

عارف المعارف

المفصل

في نتائج البحث

الجزء الأول

الناشر فوزي يوسف صاحب مكتبة الأندلس في القدس

١٩٩٩

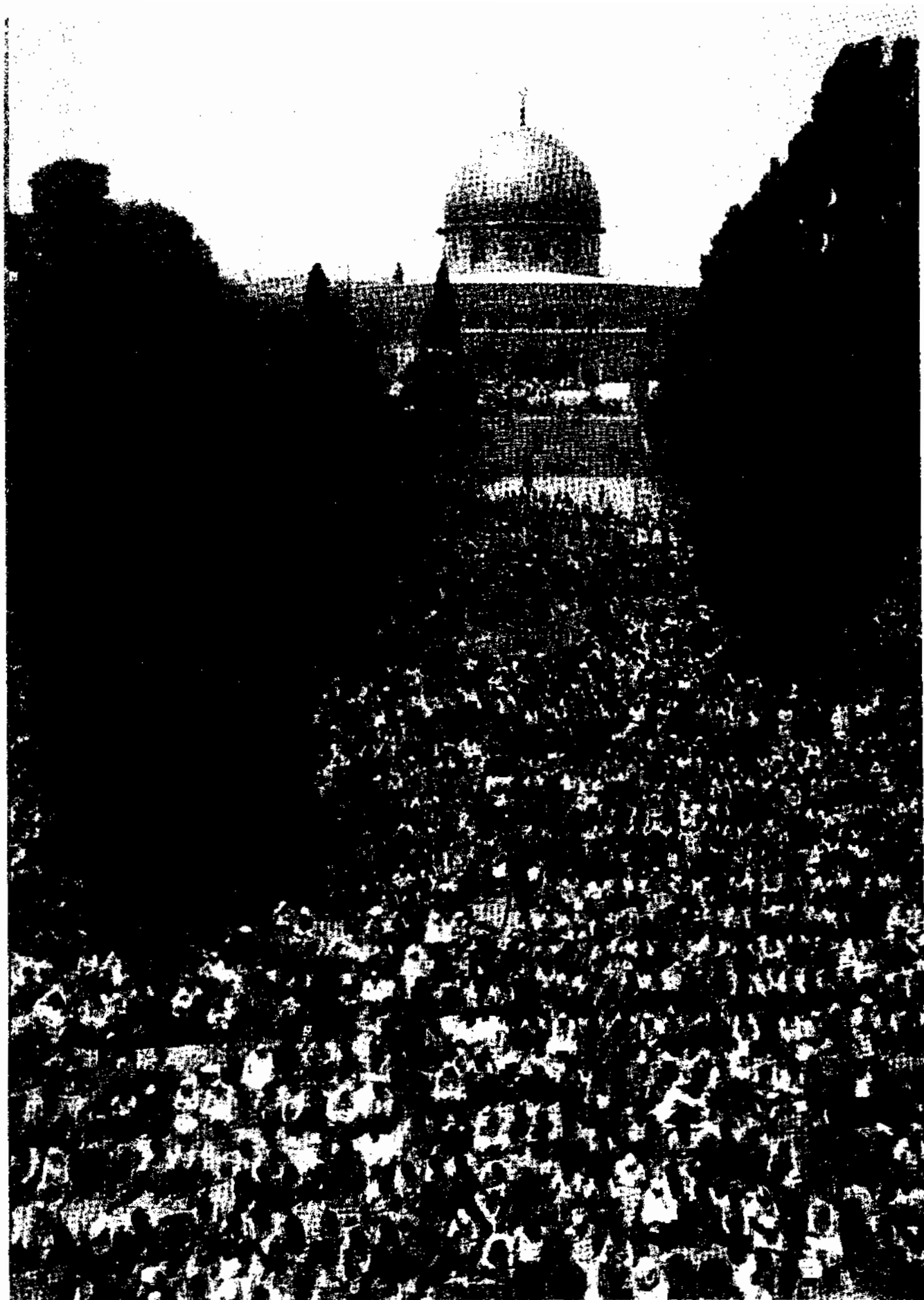
الطبعة الخامسة

م. مشحور وأولاده

مطبعة المعارف - القدس

الاهراء...

... الى أبي





المقدمة

حينما أخرجتُ كتابي : (الموجز في تاريخ القدس) . . . وكان ذلك قبل عشر سنين . .
وقد تولتُ إخراجَه يومئذٍ (دار المعارف) بصر . . قطعتُ على نفسي عهداً أن أتبعَه
— متى آنَ الاوان — بكتابٍ آخر يرسمُ معالمها بشيءٍ أكثرَ من الوضوح ، ويسردُ
أخبارها بقدرٍ أكبرَ من التحقيق والتحليل . وهأنذا ، برّاً بوعدِي ، أضعُ بين يديك ،
أيها القارئ الكريم ، كتابي هذا ؛ وقد سمَّيته :

المفصل في تاريخ القدس

وقد حدثتُك فيه عن أخبار هذه المدينة : من اليوم الذي بناها فيه اليبوسيون
الى يومنا هذا .

وسواءً أقرأتَ هذا الكتاب أم ذاك ، فإنَّك — وانتَ — تمنعُ النظر في صفحاته —
لن تجده مناصاً من التسليم — كما سلَّمتُ أنا من قبلك — أن القدس ليست مدينةً تاريخيةً
قديمةً فحسب ، بل إنها من أقدم المدن التي عرفها التاريخ .

وإنه لتاريخٌ عجيب . . تاريخُها .

ذلك لأنها صمَّدتْ لنوائب الزمان جميع أنواعها ، وطوارىء الحداث بجميع ألوانها .
حتى أنه لم يبق فاتحٌ من الفاتحين ، أو غازٍ من الغزاة المتقدمين والمتأخرين ، الذين صالوا
في هذا الجزء من الشرق ، إلّا ونازلته ؛ فإمّا أن يكون قد صرَّعَها ، أو تكون هي
قد صرَّعته . .

إنها مدينةٌ مقدسة . واسمها هذا . . القدس . . معناه في اللغة الطهر والبركة والقداسة
. . . وقد استهت هذه وإن كانت قد رفعت قدرها وشرَّفت اسمها وأذاعت في الخافقين
صيتها ؛ إلّا أنها ، في الوقت نفسه ، كانت — وبلا لاسف — السببَ في معظم البلايا
والإحن التي أصابتها ! ! . فكم ، وكم من مرة في التاريخ — القديم منه والحديث —
هوجمتْ ، واستبيح حِماها ! . . وكم ، وكم من مرة سُفكت دماءُ ابنائها ، ودُمرت
بنيانها تدميراً ، فجعل عاليها سافلها ! . . لا ، لسببٍ ؛ سوى أنها مقدسة ! . .

وراح الناس من جميع اطراف المعمورة يفدون إليها ، يريدون امتلاكها ! . . غير مكتفين
بالصلاة والعبادة ! . . وكان القول الفصل ؛ في اغلب الاحيان ، للسيف والمدفع ! .

وكثيراً ما شعرتُ بالرغبة تحدوني لمعرفة الحقيقة : مَنْ مِنْ هؤلاء الغزاة والفاحين كان على حق ؟ وَمَنْ منهم كان على باطل ؟ وَمَنْ الذي كان ارحم من غيره في غزوه ؟ وما هو الاثر الذي تركه هذا وذاك في هذه الديار ؟

وَسَمَّ حافز آخر . . هو الذي حفزني الى دراسة تاريخها . . انه حُبِّي . . بلى وربك ، إني أحبها : لجمالها ، وطيب نسيمها ، وجودة تربها ، ودم الآباء والاجداد الذي يَعْبَقُ أريجُها ويفوح عبيرُها في كل ذروة من 'ذراها' . ولا بدع : فانها بلدي . . ومسقط رأسي . . ومرتع قومي وعشيرتي . . ففيها أبصرتُ عيناى النور لأول مرة في حياتي . . وعلى هواها درجتُ منذ نعومة اظفاري . .

ولمّا شبيتُ عن الطوق ؛ رحلتُ أكثر من التجوال في ساحاتها ، وأسرح الطرف ملياً في معالمها . وكلما اطلت الوقوف والتأمل في اثر من آثارها ، ازدادت حباً لها وشغفاً بها .

ورمتني يد الاقدار بعدئذ . . ولحين من الدهر . . في ديار الغربية ؛ فجبت الشرقيين : الاوسط والاقصى . . وما كانت غربي الا لتزيدني حباً على حب ، وحيناً على حين : لتربها ، واهلي واهلها . . وكثيراً ما كنت اتذكر - وانا انتقل من بلد الى بلد . . سواء في الاسنانة حيث أتممت دراستي الجامعية او في سبربا حيث كنت أسيراً - أن للارض التي وُلدت فيها أمومة الام التي ولدتي ، ولقومي أبوة الاب الذي جاء بي الى هذه الحياة .

ورحم الله شوقي ، حين قال :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعَني اليه في الخلد نفسي

ولما عدتُ الى وطني بعد غربة استمرت سبع سنين ، رأيت من واجبي أن أدرس تاريخها . . القديم منه والجديد . . من جديد . . ولبثت على تلك الحال عشرين عاماً او يزيد . . منصرفاً أحياناً الى عملي الرسمي وقضاء حاجتي وحاجة بيتي وعيالي ، وأحياناً اخرى الى البحث عن تاريخ بلدي . . وقد يسّر لي مهمتي السنوات الخمس التي قضيتها رئيساً لبلدية القدس ، والثقة التي حباني بها أبناء بلدي الذين لم يرضوا عليّ بما لديهم من وثائق واخبار . الامر الذي شجعني على المضي في عملي .

فلم اترك باباً ، الا وطرقته ؛ ولا معبداً ، الا وولجته ؛ ولا كلمة منقوشة على الاسوار او الجدران ، الا انعمت النظر فيها ؛ ولا كتاباً صنف في تاريخ هذه المدينة وسمعت به ، الا ورجعت اليه انهلُ من معينه ، سواء كان ذلك الكتاب مطبوعاً او لا يزال مخطوطاً ؛ ولا طلاً من طولها البالية ، إلا وقفت عليه أستنطقُ الاثر وأستطلعُ الخبر .

الى ان تجمع لديّ ، مع طول الوقت وتراخي الزمن ، من اخبارها الشيء الكثير .
بعضه متمم للبعض الآخر . وان كان البعض واضحاً ، لا لبس فيه ولا إبهام . . . والبعض
الآخر من الغموض بحيث يحتاج الى ايضاح وتحديد . وقد اوضحته قدر المستطاع .

وقد استعنتُ بعدد غير قليل من الكتب التي وضعها المؤرخون القدامى ، واني لأذكرهم
الآن وأذكرُ فضلهم بالشكر والتقدير^(١) . فكتبْتُ ما كتبوا . وأمعنتُ النظرَ فيما قالوا .
ونقلتُ ما قالوا وكتبوا بأمانةٍ وإخلاص . فانهم اتفقوا في رواية ، اقتبست تلك
الرواية على علائها ، كأنها حقيقة مسلمة ؛ واثبتتها في كتابي ، دون الإشارة الى قائلها . والا ،
نقلتُ الروايات المتناقضة وذكرت الاسباب التي تدعوني لترجيح احداها على الاخرى .

وحاولت جهدي ألا انهج في بحوثي نهج الرواة والمؤرخين الذين اتبعوا أهواءهم السياسية
ومعتقداتهم المذهبية ؛ فعادوا عن محجة الصواب . اذ اكتفوا بذكر ما يرضيهم ويرضي
عترتهم وعشيرتهم . واما انا ، فقد حاولت تجنب ذلك النهج ما استطعت الى ذلك سبيلا .
فذكرت جميع الامم التي استوطنت هذه المدينة ، وما فعلته فيها من خير وشر . وعנית
عناية خاصة بالإشارة الى ما تركته هذه الامم من طابع فيها . ولم أبال ان كان هذا الطابع
نافعاً ام ضاراً ، وان كان مما يرضى هذا الفريق او يفضب ذاك :

« إن يمسنكم قرحٌ فقد مسَّ القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس »^(٢) .

فاذا كنت قد وفقتُ في عملي ، ورأى فيه بنو قومي ما ينفعهم في بحوثهم لدراسة
تاريخ هذا البلد المقدس ، كان ذلك ما أبتغي . واذا فاتني شيء مما كانت ينبغي أن اضيفه ،
ولم افعل . . . او قصرتُ بي الجهد عن إخراجه على الوجه الامثل . . فشفيعي في زلي طيب
قصدي . . . والله من وراء القصد . . وحسي منهم أن يرشدوني الى خطأي : عاذرين ، لا
عاذلين . فان اعقل الناس أعذرهم للناس . والعصمة لله وحده

عارف العارف

تفان كله (الضم الدوي ، حوال ١٣٨٠ ب ١١١)

(١) اقرأ ما كتبتهم عنهم وعن كتبهم في الفصل الذي أعدته للمصادر . وقد ثبتته في الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب .

(٢) سورة آل عمران . الآية ١٤٠ .



المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

يسعدني أن أحقق رغبة الاخ السيد فوزى يوسف في تقديم الطبعة الثانية من :

(المفصل في تاريخ القدس)

لمؤرخ بيت المقدس وبعض المدن الفلسطينية المرحوم عارف العارف .

لقد ظل كتاب (المفصل) المرجع الرئيسي لنا قرابة ربع قرن لم يؤلف قبله ولا بعده ما يبرزه لا في العربية ولا في اللغات الغربية، حسب علمنا، في احاطته بأحداث خمسة الاف سنة ودقته وانصافه . ويرجع ذلك الى أسباب :

أولها : أن عارف العارف رحمه الله وأكرم مثواه كان مؤرخا بالفطرة يميل منذ شبابه الى تدوين المذكرات ومتابعة الاحداث في اى بلد كان . وثبت كتيه البالغ عددها ثمانية عشر كتابا دليل صدق على ذلك مضافا اليها ثلاثة مخطوطات هي :

١ . كنت أسيرا في سبيريا .

٢ . ثلاثة أعوام في عمان .

٣ . الكويت حاضرها وماضيها .

نتمنى ان تطبع .

والسبب الثاني : أن عارف العارف كان موهوبا في تعلم اللغات . فقد ألم بست منها الماما حسنا مكنه من مراجعة المصادر المؤلفة بهذه اللغات الامر الذى لم يتحقق لمؤرخينا القدامى والمحدثين جميعا . والسبب الثالث : أنه شغل مناصب عالية، وخاصة رئاسة بلدية القدس مدة خمس سنوات فتحت أمامه الابواب المغلقة في وجه غيره فاستعان بعدد كبير من الوثائق في الاديرة والجوامع والمكتبات القديمة وخاصة الحجج الشرعية كما هو واضح من الحواشي المثبتة في الكتاب . وكذلك اطلع على عدد كبير من المخطوطات والمطبوعات في مختلف اللغات الامر الذى لم يتيسر لاحد غيره من عرب وغربيين .

والسبب الرابع : يرجع الى التزامه المنهج العلمي الحديث الذى يوجب اثبات المصادر والمراجع بأمانة ودقة وعرض الاحداث بأسلوب موضوعي برىء من العصبية رغم الموضوعات الدقيقة التي تداخلت فيها السياسة بالدين والنزعات الفردية بالنزعات القومية الامر الذى شوه كثيرا من الكتب التي ألفت بعده وحط من مكانتها العلمية .

ان هذه الاسباب مجتمعة جعلت من كتاب المفصل كتابا فريدا لا نظير له في اللغة العربية ولا في اللغات الغربية .

واقدم الناشر السيد فوزى يوسف على اعادة طبع الكتاب احتسابا لوجه الله والعلم رغم نفقاته الباهظة مكرمة تضاف الى ابن بيت المقدس البار الذى قضى زهاء نصف قرن في خدمة الكتاب العربي . والله سبحانه وتعالى يرحم المؤلف ويجزل ثوابه ويكرم الناشر ويمد في عمره انه نعم المولى ونعم النصير .

القدس

اسحق موسى الحسيني

« إني رأيت أنه لا يكتبُ إنسانُ كتاباً
في يومه ، إلا قال في غده : لو غُيِّرَ هذا لكان
أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو
قُدِّمَ هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان
أجمل . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليلٌ على
استيلاء النقص على جملة البشر . »

العهد الاصفهاني

كلمة الناشر

عندما زرت اسبانيا في عام ١٩٥٩ ، ورحت أتجول في ربوعها ، متنقلا بين مدنها وقراها ، متذكراً عهد الأندلس الزاهر ؛ تذكرت مؤرخنا الكبير الأستاذ عارف العارف . . . ووددت ان لو يسمح له وقته برحلة يقوم بها الى تلك الربوع الجميلة ؛ ليصف لنا بأسلوبه الشيق ونظره البعيد وتحليله المنصف ما يراه فيها ، ويحدث أبناء العروبة عن أجداد العرب ، وعن عصرهم الذهبي ، وعن الاسباب التي ادت الى تضعفهم وأفول نجمهم في تلك الربوع . ولا بدع ، فان لمؤرخنا الكبير تلك المكانة المرموقة في البلاد العربية ، حتى انهم يلقبونه : رجل التاريخ . وهذه كتبه الكثيرة التي وضعها عن فلسطين ، وعن عدد كبير من مدنها التاريخية تشهد بما أقول . وانه ليحضرني منها الآن :

تاريخ بئر السبع وقبائلها ، وتاريخ غزة ، والموجز في تاريخ عسقلان ، وتاريخ الحرم القدسي ، والمسيحية في القدس ، ونكبة بيت المقدس والفردوس المفقود . وكتابه الأخير هذا عن (النكبة) جاء في سبعة أجزاء . وقد حدثنا فيه ، كما حدثنا في غيره من الكتب ، عن تاريخ هذه الأرض المقدسة حديث صدق وأمانة . فذكر لنا الصفحات البيض ، كما ذكر الصفحات السود . . . ولم يغفل عن ذكر السيئات ، في الوقت الذي كان يسرد فيه الحسنات . . .

* * *

وهذا ما جعلني اذكره ، عندما وقفنا - أنا وعدد من الرفاق السائحين - أمام قصر الحمراء ، وسمعنا احد الأدلاء الأسبان يتطاول على التاريخ ؛ فيقول : « كان لأمير العرب . . . صاحب هذا القصر . . . نحو خمسين امرأة ! . . . يسكن معه في قصره ولا يخرج منه أبدا ! . . . وكان الأمير يقضي معظم وقته في قصره مستمتعاً بالغيد الحسان ! . . . وكذلك كان يفعل جميع الامراء الذين تولوا حكم الأندلس من قبل ومن بعد ! . . . ومكث العرب على تلك الحال سنين طوال ، الى أن غلبوا على أمرهم أمم ملوكنا ! . . . فخرجوا من ديارنا مدحورين ! . . . »

* * *

هذا ما قاله الدليل . . . وانه لقول فيه الكثير من السخف والتضليل . . .

فأثار قوله امتعاضنا . . . ورحنا نؤنبه ، قائلين له :

« لكل امرئ في هذه الحياة حسنات وسيئات . وللعرب أيضاً - كما لغيرهم من

الأقوام - حسنات وسيئات . والانصاف يقتضينا ان نذكر الوجهين . واما أنت ، يا هذا ، فانك لم تذكر شيئاً من حسنات العرب وامجادهم في هذه الديار . مع ان الكتب التي صنّفها المؤرخون الاسبان انفسهم تشيد بفضلهم . وهذه القصور الجميلة المنتشرة في بلادكم ، وهي كثيرة ، وهي التي ساقتنا وسأقت الكثيرين غيرنا من السائحين ابناء الامم الاخرى الى هذه الديار ، اكبر شاهد على ما نقول » .

واستشهدت^١ احدى السيدات العربيات اللواتي كنّ معنا بما قاله الدكتور غوستاف لوبون عن العرب في كتابه : (حضارة العرب)^(١) .

ان هذا العلامة الذائع الصيت ذكر العرب في مواضع كثيرة من كتابه . فقال عنهم : « انهم هم الذين مدّوا اوربة مادة وعلماً واخلاقاً . وقد ظلوا اساتذة لها مدة ستة قرون . وهم الذين أخرجوا الغرب من الظلمات الى النور . . . » .

وقال أيضاً : « ان حضارة العرب من انضر الحضارات التي عرفها التاريخ . . »

هذه الحادثة ذكرتني بحادثة أخرى مماثلة سمعتها من الاستاذ العارف . وهي انه سمع يوماً أحد الأدلاء يقول لجمع من السائحين في الحرم القدسي - وهو يشير بيده الى قبة الصخرة - « ان هذا المكان بناه الجان ! . . » فما كان من استاذنا الا ان أوقف الدليل عند حده . وقال له : « رويدك ، يا أخي ! ان هذا المكان من صنع العرب وليس من صنع الجان ! ان الذي بناه هو عبد الملك بن مروان . . الخليفة الاموي . . ذو المكانة المرموقة في التاريخ . . انه انسيّ وليس بجنيّ ! . . انه عربي مثلنا . . ابن وطننا وامتنا وديننا . . وإنه ليجدر بنا جميعاً أن نمجده ، وان نخلد ذكره ، وان نذكر ما فعله بكل فخر واعتزاز . . . » .



هذا ما قاله الاستاذ عارف الى الدليل . وقد سمعته ، يشير الى ذلك الحادث ، في محاضرة القاها على جمع من الادلاء في قاعة المتحف الفلسطيني بالقدس ؛ وقد استنبط منه العبرة ، فقال :

« انه لمن حقّي وحقك ، ايها العربي ، أن نفخر بما كان لاجدادنا من فضل وطول باع في فن الهندسة والبناء وفي مختلف العلوم والفنون . فان هذه الآثار البديعة التي تراها

(١) Civilization des Arabs طبع سنة ١٨٤٤ . وقد نقله الى العربية الاستاذ عادل زعيتر . وتولت طبعه سنة ١٩٤٥ دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

هنا وهناك : في القدس والقاهرة . . . وفي دمشق وبغداد . . . وفي ربوع الاندلس . .
وتلك الطلول التي سمح الدهر بها ، فابقاها . . . لندلنا دلالة واضحة على ما شادوا من
مبان وقصور ؛ كانت ، على مر العصور ، شامة في جبين الدهر . . . »

أولئك آباي ، فجئتني بثلهم اذا جمعتنا يا جرير الجامع

هذه الروح الوثابة . . . وهذا الحب العميق للوطن الغالي . . . وهذه الصراحة
والامانة في نقل احداث التاريخ وتصويرها . . . هي التي دفعتني للتعاون مع الاستاذ
العارف في اخراج كتبه . . . وقد اخرجت له قبل عامين كتابا في : (تاريخ قبة الصخرة
المشرفة والمسجد الاقصى المبارك) . وهأنذا أخرج له : (المفصل في تاريخ القدس) .

فعلى الله الاتكال . ومنه نطلب العون والتوفيق .

فوزي يوسف

صاحب مكتبة الاندلس بالقدس





الناشر

خمس فرزي :

لله ما أثمر أربك ، وما أسع ظلك ..
فقد أخذت بيدي عندما انتفيت من وضع كتابي ؟
فأبج نبتة الفجرة المشرفة المسبحة لارضه المبارك . دمان
زبدك قلوبنا . فتوليت إخراجك . دمان لك ما شئت ..
دهانت تأفة الهم من مرة فخر . فتوتلي
إخراج : هذا الكتاب : المفضل في تاريخ القدس .
دلول ، ولولا كفتك .. الأندلس .. لما
سبح الكتاب هذا ، ولا زال ، نديم يا الفجر
ظله دُرُك ..

علاء الدين

بيته المقدس . ١٢ شوال ١٣٨٠
٢٨ آذار ١٩٦١

محتويات الكتاب

الباب الاول

القدس في العهود الغابرة

الصفحة		الصفحة	
٢٨	القدس في زمن الفرس	١	القدس مدينة ييوسية
٣٣	القدس في عهد اليونان	٢	حضارة اليبوسيين
٤٠	القدس في عهد الرومان (قبل المسيح)	٥	القدس في زمن الفراعنة
٤٥	القدس في عهد السيد المسيح	٨	القدس وبنو اسرائيل
٥٤	القدس في عهد الرومان (بعد المسيح)	٢٤	القدس في عهد الآشوريين
٧١	القدس في العهد البيزنطي	٢٦	القدس وبابل

الباب الثاني

الفتح الاسلامي

القدس وعمر بن الخطاب

٨٨	بدء القتال وحصار القدس	٨٣	آيات وأحاديث في قدسية القدس
٨٩	الروم يقررون الاستسلام بحضور الخليفة	٨٣	الفتح الاسلامي سبقه فتح عربي
٨٩	عمر بن الخطاب يلبي النداء	٨٤	النبي يبشر المسلمين بفتح القدس
٩١	فتح القدس	٨٤	معركتا (مؤتة) و (تبوك)
٩١	العهد العمرية	٨٥	ابو بكر الصديق يغزو الروم
٩٤	أهل ايلياء يمضون عهداً	٨٦	معركتا (اليرموك) و (فحل)
٩٤	مقى تم فتح القدس ؟	٨٦	جيش لفتح الشام وآخر لفلسطين
٩٥	الصحابه الذين اشتركوا في الفتح	٨٧	انتداب ابي عبيدة بن الجراح لفتح القدس
٩٦	عمر بن الخطاب وكنيسة القيامة	٨٧	مقاديم الجيش يزحفون صوب القدس
٩٨	أين بنى عمر مسجده ؟	٨٨	ابو عبيدة بن الجراح ينذر الروم

الصفحة		الصفحة
١٠١	عمر بن الخطاب يزور القدس مرة أخرى	٩٩
١٠١	طاعون عمواس	١٠٠
١٠١	اثر الفتح الاسلامي في فلسطين	١٠٠
١٠٢	التسامح الديني	١٠٠
١٠٢	تغلغل القبائل العربية في البلاد	١٠١
		تفقد عمر معالم المدينة ومصالح السكان
		ذمي يشكو أمره لعمر ، فيأخذ بيده
		تقشف ابي عبيدة بن الجراح
		عمر بن الخطاب ينصح رجاله
		يزيد بن ابي سفيان يتولى ادارة القدس

الباب الثالث الحروب الصليبية

١٥٨	مملكة اللاتين في القدس	١٤٧	القدس والحروب الصليبية
١٦٢	ملوك الصليبيين في القدس	١٥٠	الحملة الصليبية الاولى
١٦٤	آثار الصليبيين في القدس	١٥٤	غودفري دوبريون يحتل القدس
١٦٥	وصف القدس في أيام الصليبيين	١٥٥	مذبحة القدس الرهيبة

صلاح الدين

١٧٩	الخانقاه الصلاحية	١٦٩	صلاح الدين يناوئ الصليبيين
١٧٩	المدرسة الصلاحية	١٧١	معركة حطين
١٨٠	سور المدينة	١٧١	حصار القدس
١٨٠	مقبرة باب الساهرة	١٧٣	صلاح الدين يفتح القدس
١٨٠	قبة يوسف	١٧٥	معالم الحكم الصلاحي في القدس
١٨١	جامع الجبل	١٧٨	البيارستان الصلاحي

القدس وحفدة صلاح الدين

	بعد أن كانوا يحبونه؟	١٨٢	الملك الافضل نور الدين
١٨٧	الملك الناصر صلاح الدين داود	١٨٣	الملك العزيز عماد الدين
١٨٧	المسدنة بين الكامل وفرديك	١٨٣	الملك المنصور ناصر الدين
١٨٨	الملك الصالح نجم الدين ايوب	١٨٤	الملك العادل سيف الدين
١٨٩	ملوك بني أيوب يقتتلون	١٨٤	الملك المعظم شرف الدين
١٨٩	تكرر الحملات الصليبية وانقراض الدولة الايوبية	١٨٥	آثار الملك المعظم عيسى في مدينة القدس
		١٨٦	لماذا كره المقدسيون الملك المعظم عيسى

الباب الرابع

القدس في عهد المماليك

المماليك البحرية

<u>الصفحة</u>	<u>الصفحة</u>
٢٠١	١٩٧ شجرة الدر
٢٠١	١٩٧ الملك المعز عز الدين ايبك
٢٠١	١٩٧ الملك المنصور علي بن ايبك
٢٠٢	١٩٧ الملك المغيث بن العادل
٢٠٦	١٩٨ الملك المظفر سيف الدين قطز
٢٠٦	١٩٨ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس
٢٠٦	١٩٩ منشآت الملك الظاهر بيبرس في القدس
٢٠٦	٢٠٠ الملك السعيد ناصر الدين محمد
٢٠٦	٢٠٠ الملك العادل بدر الدين سلامش
٢٠٦	٢٠٠ الملك المنصور سيف الدين قلاون
٢٠٦	٢٠٠ منشآت الملك المنصور قلاون في القدس
٢٠٦	٢٠١ الهدنة بين المنصور قلاون والفرنجية
٢٠٦	٢٠١ الملك الاشرف صلاح الدين خليل
٢٠٦	٢٠١ الملك الناصر محمد بن قلاون (للمرة الاولى)
٢٠٦	٢٠١ الملك المنصور حسام الدين لاجين

المماليك الأبراج

٢٠٨	٢٠٧ الملك الظاهر برقوق
٢٠٨	٢٠٧ منشآت الملك الظاهر برقوق في القدس
٢٠٨	٢٠٨ الملك الناصر فرج بن برقوق (للمرة الاولى)
٢٠٨	٢٠٨ الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق
٢٠٩	٢٠٨ الملك الناصر فرج بن برقوق (للمرة الثانية)
٢٠٩	٢٠٨ الملك الاشرف برسباي
٢٠٩	٢٠٨ منشآت الملك الاشرف برسباي
٢٠٩	٢٠٨ الملك العادل المستعين بالله

الصفحة		الصفحة	
٢١٠	منشآت الملك الاشرف قايت باي في القدس	٢٠٩	الملك الاشرف اينال
٢١٣	احداث القدس في عهد قايت باي	٢٠٩	الملك المؤيد احمد بن اينال
٢٢١	اسماء الملوك والحكام في عهد المماليك	٢١٠	الملك الظاهر يلباي
٢٣٢	اسماء القضاة والنواب في عهد المماليك	٢١٠	الملك الظاهر ترميغا
		٢١٠	الملك الاشرف قايت باي

مدارس القدس القديمة

٢٤٧	المدرسة الارغونية	٢٣٦	المدرسة الخنثنية
٢٤٨	المدرسة التشتيرية	٢٣٦	المدرسة الصلاحية
٢٤٨	المدرسة الخنفية	٢٣٨	المدرسة الافضلية
٢٤٨	المدرسة الحكيمية	٢٣٩	المدرسة الميمونية
٢٤٨	المدرسة الاسعدية	٢٣٩	المدرسة الجراحية
٢٤٨	دار السلام القرآنية	٢٤٠	المدرسة النحوية
٢٤٨	المدرسة المنجكية	٢٤٠	المدرسة الناصرية
٢٤٩	المدرسة المحدثية	٢٤٠	المدرسة البدرية
٢٤٩	المدرسة الحسنية	٢٤٠	المدرسة المعظمية
٢٤٩	المدرسة الطازجية	٢٤١	دار الحديث
٢٥٠	المدرسة البارودية	٢٤١	الرباط المنصوري
٢٥٠	المدرسة الخنبيلية	٢٤١	رباط البكر
٢٥٠	المدرسة اللؤلؤية	٢٤٢	المدرسة الدوادارية
٢٥٠	المدرسة الخاقونية	٢٤٣	المدرسة السلامية
٢٥١	المدرسة البلدية	٢٤٣	المدرسة الوجيبية
٢٥١	المدرسة الطشتيرية	٢٤٣	المدرسة الموصلية
٢٥١	المدرسة الجهاركية	٢٤٣	المدرسة الجالقية
٢٥١	المدرسة الطولونية	٢٤٣	المدرسة الجاولية
٢٥٢	المدرسة النصيبية	٢٤٤	المدرسة الكرمية
٢٥٢	المدرسة الصيبية	٢٤٤	المدرسة التنكزية
٢٥٢	المدرسة الفترية	٢٤٥	المدرسة الامينية
٢٥٢	المدرسة الكاملية	٢٤٦	الخانقاه الفخرية
٢٥٣	المدرسة الباسطية	٢٤٦	المدرسة الملكية
٢٥٣	المدرسة القادرية	٢٤٧	المدرسة الفارسية

الصفحة	المدرسة الزمينية	الصفحة	المدرسة الحسنية
٢٥٥	المدرسة القرشندية	٢٥٤	المدرسة العثمانية
٢٥٥	المدرسة الاشرفية	٢٥٤	المدرسة الجوهرية
		٢٥٥	المدرسة المزهرية

الباب الخامس

القدس في عهد الاتراك العثمانيين

٢٦٣	كيف ومتى فتح السلطان سليم الاول القدس	٢٧٠	السلطان عبد الحميد الاول بن مصطفى الثالث
٢٦٥	السلطان سليمان الاول (القانوني)	٢٧٠	السلطان سليم الثالث بن مصطفى الثالث
٢٦٦	السلطان سليم الثاني بن سليمان الاول	٢٧١	القدس و نابليون
٢٦٦	السلطان مراد الثالث بن سليم الثاني	٢٧٢	القدس واحمد باشا الجزار
٢٦٦	السلطان محمد الثالث بن مراد الثالث	٢٧٤	السلطان مصطفى الرابع بن عبد الحميد الاول
٢٦٦	السلطان احمد الاول بن محمد الثالث	٢٧٤	السلطان محمود الثاني بن عبد الحميد الاول
٢٦٦	السلطان مصطفى الاول بن محمد الثالث	٢٧٧	القدس و ابراهيم باشا
٢٦٦	السلطان عثمان الثاني بن احمد الاول	٢٩٢	القدس في اواخر الحكم التركي
٢٦٦	السلطان مصطفى الاول (للمرة الثانية)	٢٩٢	السلطان عبد الحميد الاول بن محمود الثاني
٢٦٦	السلطان مراد الرابع بن مصطفى الاول	٢٩٢	حرب القرم
٢٦٧	السلطان ابراهيم الاول بن احمد الاول	٢٩٤	التنافس بين الدول في القدس
٢٦٧	السلطان محمد الرابع بن ابراهيم الاول	٢٩٦	السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني
٢٦٧	اوليا جلبي يصف القدس سنة ١٦٧٠ م	٢٩٦	السلطان مراد الخامس بن عبد الحميد
٢٦٩	هنري موندل يصف القدس سنة ١٦٩٦ م	٢٩٦	السلطان عبد الحميد الثاني بن عبد الحميد
٢٧٠	السلطان سليمان الثاني بن ابراهيم الاول	٢٩٦	القانون الاساسي الاول
٢٧٠	السلطان احمد الثاني بن سليمان الثاني	٢٩٧	الحرب بين تركيا وروسيا
٢٧٠	السلطان مصطفى الثاني بن محمد الرابع	٢٩٨	فشل المساعي اليهودية في استعمار فلسطين
٢٧٠	السلطان احمد الثالث بن مصطفى الثاني	٢٩٩	الاتقلاب العثماني وخلع السلطان عبد الحميد
٢٧٠	السلطان محمود الاول بن مصطفى الثاني	٢٩٩	السلطان محمد رشاد الخامس
٢٧٠	السلطان عثمان الثالث بن محمود الاول	٣٠٠	السلطان محمد وحيد الدين
٢٧٠	السلطان مصطفى الثالث بن احمد الثالث	٣٠٠	مصطفى كمال (اتاتورك) والغاء الخلافة

القدس ومعالم الحكم التركي فيها

الصفحة	الصفحة
٣٠٣	منشآت الاتراك في القدس
٣٠٩	كيف كانت القدس تدار في العهد التركي؟
٣٢٧	سلاطين الاتراك العثمانيين وولاية القدس
٣٣٠	النظام المالي في العهد التركي
٣٤١	الناحية الاقتصادية في العهد التركي

الصفحة	الصفحة
٣٥١	مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة
٣٥٢	الامن والفتن والثورات
٣٦٣	الاختلافات الدينية
٣٦٥	الثورة العربية الكبرى
٣٦٨	زوال الحكم التركي

الباب السادس الاحتلال البريطاني

٣٧٤	الحرب العالمية الاولى	٣٩٢	المجلس الاستشاري
٣٧٤	حملة الاتراك الاولى على قناة السويس	٣٩٢	المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع
٣٧٧	حملة الاتراك الثانية على قناة السويس	٣٩٣	الوفد العربي الفلسطيني الاول
٣٧٧	الانكليز ينقلبون من طور الدفاع الى طور الهجوم	٣٩٤	المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس
٣٧٨	معارك غزة	٣٩٤	المجلس التشريعي
٣٧٨	الجنرال اللنبي يتولى القيادة بدلاً من الجنرال موري	٣٩٤	صك الانتداب
٣٧٩	موقف الجيش التركي	٣٩٩	المؤتمر العربي الفلسطيني السادس
٣٨٠	الجيش الانكليزي يزحف صوب القدس	٤٠٠	المندوب السامي الثاني الفيديمارشال بلومر
٣٨٤	الحكومة التركية تنسحب من القدس	٤٠٠	حوادث البراق
٣٨٤	محاولات تركية فاشلة لاسترداد المدينة	٤٠١	المندوب السامي الثالث السرجون تشانسلا
٣٨٤	اول بيان يذيعه اللورد اللنبي	٤٠١	المؤتمر العربي الفلسطيني السابع
٣٨٦	لماذا تغلب الاتراك على امرهم	٤٠١	تكرار النزاع حول البراق
٣٨٧	جمال باشا السفاح	٤٠٢	المؤتمر الاسلامي الاول
٣٨٧	الادارة العسكرية	٤٠٢	شركة البوقاس
٣٨٧	جمعية محبي القدس	٤٠٢	ثورة عام ١٩٢٩
٣٨٨	وعد بلفور	٤٠٣	لجنة شو وتواصيها
٣٨٩	وعود بريطانيا للملك حسين بن علي	٤٠٤	الكتاب الابيض
٣٨٩	معاهدة سايكس - بيكو	٤٠٥	ركود الهجرة اليهودية
٣٩٠	المندوب السامي الاول السرهريرت صموئيل	٤٠٦	نكوص البريطانيين والغاء الكتاب الابيض
		٤٠٦	العرب يوجهون كفاحهم ضد البريطانيين
		٤٠٧	اللجنة الملكية وتواصيها

الصفحة	الصفحة
٤١٨	كيف تلقى اليهود تواصي اللجنة الملكية
٤١٨	ثورة العرب
٤١٩	المنذوب السامي الرابع السر آرثور واكهوب
٤٢٠	المؤتمر الاسلامي الثاني
٤٢٠	المؤتمر العربي الارثوذكسي
٤٢١	اللجنة التنفيذية العربية تتقدم المظاهرات
٤٢١	الاضراب العام
٤٢٢	اللجنة العربية العليا
٤٢٢	اتحاد الاحزاب الفلسطينية
٤٢٢	استمرار الاضراب وبوادر العصيان
٤٢٣	الانكليز يبطشون بالعرب دون هوادة
٤٢٤	تدخل ملوك العرب ووقف الاضراب
٤٢٤	ميزان الربح والخسارة
٤٢٥	سوء الخاتمة لعهد السر واكهوب
٤٢٥	المندوب السامي الخامس سرماك مايكل
٤٢٥	الثوار العرب يستولون على معظم البلاد
٤٢٥	لجنة وود هيد تفشل في مهمتها
٤٢٥	الحكومة البريطانية تتراجع عن التقسيم
٤٢٦	نار الثورة تزداد ضراماً
٤١٨	مؤتمر لندن الاول
٤١٨	وقع الكتاب الابيض عند العرب واليهود
٤١٩	ثورة اليهود
٤٢٠	المنذوب السامي السادس الفيكونت غورت
٤٢٠	القضية الفلسطينية تنتقل للصعيد العربي العام
٤٢١	تدخل الولايات المتحدة
٤٢١	المنذوب السامي السابع والاخير السر
٤٢٢	الن غوردن كاننغهام
٤٢٢	استمرار الهجرة وتوسع المستعمرات اليهودية
٤٢٢	الاجنة الانكلو - اميركية
٤٢٣	مؤتمر ملوك العرب في زهراء انشاص
٤٢٤	مؤتمر بلودان
٤٢٤	توحيد الاحزاب العربية
٤٢٥	ثورة اليهود
٤٢٥	مؤتمر لندن الثاني
٤٢٥	مؤتمر لندن الثالث
٤٢٥	مشروع بيفن
٤٢٥	الحكومة البريطانية تتخلى عن الانتداب
٤٢٦	رحيل الجيش البريطاني عن البلاد

الباب السابع

القدس كما رأيتها في مطلع عام ١٩٤٧

٤٣٩	جبالها وأوديتها	٤٢٩	مكائنها بين المدن
٤٤٢	ابنتها	٤٣٠	موقعها الجغرافي
٤٤٢	طرقها	٤٣٠	مساحتها
٤٤٣	حدائقها	٤٣٠	سكانها
٤٤٣	ملاهيها	٤٣١	احياؤها
٤٤٣	محطات الاذاعة فيها	٤٣٢	سورها
٤٤٤	مدارسها	٤٣٥	طقسها
٤٤٩	دور الكتب فيها	٤٣٥	امطارها ومياهها

الصفحة		الصفحة
٤٧٤	شركاتها التجارية	٤٥٢
٤٧٦	بنوكها ومصارفها	٤٥٢
٤٧٧	خدمات البرق والبريد والهاتف	٤٥٦
٤٧٨	البلدية	٤٦٠
٤٧٩	القدس من الناحية الادارية والسياسية	٤٦٢
٤٨٤	مستوى المعيشة فيها	٤٦٥
٤٨٦	اخلاق وطباع	٤٦٦
		٤٦٧

الباب الثامن

الاماكن المقدسة

الاماكن الاسلامية المقدسة

٥٠٥	مقابر المسلمين بالقدس	٤٩١	الاماكن الاسلامية المقدسة
٥٠٥	مقبرة ماملا	٤٩١	مسجد الصخرة
٥٠٩	مقبرة باب الساهرة	٤٩١	المسجد الاقصى
٥٠٩	مقبرة باب الرحمة	٤٩٦	مساجد القدس وجوامعها الاخرى
٥١٠	المقبرة اليوسفية	٤٩٨	البراق
٥١١	ترب اخرى	٤٩٩	زوايا القدس
٥١٤	المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى	٥٠٢	مقام النبي داود

الاماكن المسيحية المقدسة

٥٣٠	كنيسة الجثمانية	٥١٧	كنيسة القيامة
٥٣١	الآباء الدومنيكيون	٥٢٣	درب الآلام
٥٣١	الآباء الكرمليون	٥٢٤	قبر النستان
٥٣١	راهبات مار يوسف	٥٢٦	أديرة الروم الارثوذكس
٥٣١	راهبات مار صهيون	٥٢٨	الروم الكاثوليك
٥٣١	هوسبيس النمسا	٥٢٩	كنيسة القديسة حنة
٥٣٢	راهبات المحبة	٥٢٩	الارسلالات الكاثوليكية
٥٣٢	الآباء الانتقاليون	٥٣٠	الآباء الفرنسيسيون
٥٣٢	نوتردام دو فرانس	٥٣٠	دير اللاتين

الصفحة		الصفحة
٥٣٧	كنيسة مريم المجدلية	٥٣٢ الآباء اليسوعيون
٥٣٨	الامان	٥٣٣ بطاركة اللاتين
٥٣٨	كنيسة المخلص	٥٣٣ الارمن الارثوذكس
٥٣٨	أوغستا فكتوريا	٥٣٣ دير مار يعقوب
٥٣٨	كنيسة نياحة العذراء	٥٣٣ كنيسة ستنا مريم
٥٣٩	الارسالية الانجيلية للبروتستانت	٥٣٣ الارمن الكاثوليك
٥٣٩	كتدرائية القديس جورج	٥٣٤ الاقباط
٥٤٠	الكنيسة الاسكتلندية	٥٣٤ الاحباش
٥٤٠	الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية	٥٣٤ دير السلطان
٥٤٠	كنيسة القديس بولس	٥٣٥ السريان الارثوذكس
٥٤٠	القسس العرب	٥٣٥ دير مار مرقس
٥٤٠	الجالية الاميركية	٥٣٥ السريان الكاثوليك
٥٤١	الجالية البولونية	٥٣٥ دير مار مبارك
٥٤١	دوم بولسكي	٥٣٦ الموارنة
٥٤١	المقابر المسيحية	٥٣٦ الروس
٥٤٢	مقبرة الحرب الانكليزية	٥٣٧ كنيسة الصمود

الاماكن اليهودية المقدسة

٥٤٥	ثشتت اليهود	٥٤٤ المقابر اليهودية
٥٤٦	عدد اليهود بعد الشتات	٥٤٤ قبر ابشالوم
٥٤٦	المسألة الشرقية وبعث فكرة اسرائيل	٥٤٤ قبر يهوذا شافاط
٥٤٧	الحركة الصهيونية	٥٤٤ قبر يعقوب
٥٤٧	وعد بلفور والوطن القومي اليهودي	٥٤٥ قبر النبي زكريا
٥٤٧	حراب الانكليز توصل اليهود الى اهدافهم	٥٤٥ الكنيس اليهودية في الحي القديم

مصادر الكتاب

٥٦٩	الكتب الالمانية	٥٤٩ الكتب العربية
٥٦٩	الكتب الفرنسية	٥٦٦ الكتب التركية
		٥٦٧ الكتب الانكليزية

الباب الاول

القدس

في العهود الغابرة

- القدس مدينة ييوسية
- حضارة اليبوسيين والكنعانيين
- القدس في زمن القراعنة
- القدس وبنو اسرائيل
- القدس في عهد الآشوريين
- القدس وبابل
- القدس في زمن الفرس
- القدس في عهد اليونان
- القدس في عهد الرومان (قبل المسيح)
- القدس في عهد السيد المسيح
- القدس في عهد الرومان (بعد المسيح)
- القدس في العهد البيزنطي

القدس مدينة يبروسية

واليبوسيون من القبائل الكنعانية . والكنعانيون من ذرية سام

هكذا كان الكنعانيون في بادئ الامر متفرقين . ولكنهم ما عتموا ان اتحدوا بحكم الطبيعة وحرية الدفاع عن النفس ؛ فكوّنوا قوة ، واستطاعوا بعدئذ ان يغزوا البلاد المجاورة لهم . فاسسوا لهم كياناً ووطدوا مجدداً داما حيناً من الدهر .

كانوا بُناة مدن . وقد سكّنوا المدن التي بنوها . وكانوا ماهرين في فن البناء . وفي قطع الحجارة الضخمة . وكانت مدنها حصينة ومحاطة بالاسوار .

انهم اول من عرف زراعة الزيتون في هذه البلاد . حتى انهم عتلوا الاقوام الذين جاءوا من بعدهم ، ومن هؤلاء بنو اسرائيل ، هذا النوع من الزراعة .

وكذلك قل عن صناعة الفخار والنسيج . وعرفوا ايضاً المعادن والتعدين . وسنوا الشرائع والقوانين . ولما جاء بنو اسرائيل من بعدهم ، اخذوا عنهم الشيء الكثير من سننهم وقوانينهم ومن افكارهم ومبادئهم وحضارتهم . ومن اعمالهم انهم اخترعوا حروف الهجاء واوجدوا الكتابة ونشروها في بلادهم .

وعلمنا من آثارهم انه كانت لهم كتب ومؤلفات في عدد من العلوم والفنون . وكانت لهم اسفار . ومن هذه الكتب نفهم انهم كانوا يعبدون الاصنام . ومن اصنامهم (بعل) ومعناه الرب او السيد . انه اله الشمس . ولا تزال كلمة (بعل) تستعمل في العربية بمعنى الزوج والسيد .

اليبوسيون ، بُناة القدس الاولون . وكانت على عهدهم تدعى : (ييوس) . انهم بطن من بطون العرب الاوائل . نشأوا في قلب الجزيرة العربية ، وترعرعوا في ارجائها ، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية . والى هذه القبائل ينتمون . انهم اول من استوطن هذه الديار . وهم اول من وضع لَبْنَةً في بناء القدس . وكان ذلك حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

عندما رحل الكنعانيون عن الجزيرة رحلوا جماعات منفصلة : بعضهم حط رحله هنا . . . في هذه البقعة من الارض . . وقد سميت بعدئذ باسمهم . فراحت تدعى : (ارض كنعان) . والبعض الآخر نزل ما بين النهرين . وهم البابليون . فسميت البقعة التي نزلوها باسمهم : (بابل) .

والذين هبطوا ارض كنعان ايضاً هبطوا في انحاء مختلفة : بعضهم اعتصموا بالجلال . والبعض الآخر بالسهول والوديان . وقد عاشوا ، بادئ بدء ، متفرقين . حتى المدن التي انشأوها ، ومنها ييوس^(١) وشكيم^(٢) وبيت شان^(٣) ومجدو^(٤) وبيت ايل^(٥) وجيزر^(٦) واشقلون^(٧) وتعنك وغزة . . وما الى ذلك من مدن لا تزال حتى يومنا هذا قائمة في هذا الوجود . . فان كل واحدة منها كانت تعيش منفردة ومستقلة عن الاخرى .

(١) القدس (٢) نابلس (٣) بيسان (٤) تل التسام (٥) بيتن (٦) تل الجزر (٧) عسقلان

ورد ذكرها في الواح (تل المارنة) .

وقد ظهر بينهم، مع الزمن، ملوك. وبنى أولئك الملوك القلاع والحصون . وانشأوا حول الحصون اسواراً من طين (٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م) . ومكثوا رداً من الزمن في عز ومنعة واستقلال .

ومن ملوكهم الذين حفظ لنا التاريخ اسماءهم (ملكي صادق)^(١) . وعلى قول انه هو اول من اخط (ييوس) وبناهما^(٢) . وكان قبل ذلك يسكن في كهف من الكهوف المنبثة في جبالها . وكانت له سلطة على من جاوره من الملوك والرؤساء . وكان بنو قومه يطلقون عليه لقب : (كاهن الرب الاعظم) .

ذكره ابن العبري في تاريخه^(٣) فقال انه هو الذي بنى (قرية السلام) . ومن هنا جاء اسمها (سالم) و (شاليم)^(٤) و (اورو - سالم) . فسكنها باقي ايامه لاهجاً بالعبادة . فما غشى امرأة ، ولا اراق دم ، وما اكل سوى الخبز والخمر . كان يطلق عليه : (ملك السلام) . وقد اجتمع ابراهيم عند مجيئه الى هذه البلاد^(٥) في طريقه الى مصر . فخرج ملكها (ملكي صادق) لاستقباله . فهناك بسلامة الوصول، وقدم اليه بعض الهدايا ومنها الخبز والخمر .

كانت (ييوس) في ذلك العهد حصنة . وكانت آهلة بالسكان . وكانت المواشي تسرح في جنباتها . وكانت تزرع فيها اشجار العنب والزيتون . وقد اشتهر عنبها ، كما اشتهر زيتها وزيتونها . وقصارى القول : كانت ارض كنعان بوجه عام وييوس بوجه خاص تفيض يومئذ لبناً وعسلاً . الامر الذي حدا بالاقدمين على تشبيهها بـ (الجنة) .

وعرف الكنعانيون عن طريق البابليين - وهؤلاء ايضاً كما سبق وقلنا من القبائل الكنعانية التي تدفقت من جزيرة العرب - انواعاً من المعادن ، فاستعملوها . وانا لذاكرون منها النحاس والبرونز . كما عرفوا الواناً من الخضار والحيوانات الداجنة . وكذلك قل عن الخضار والحيوانات وبعض المعادن الاخرى التي عرفوها عن طريق المصريين وعن طريق الحيثيين . وعن الفينيقيين المجاورين لهم عرفوا الخشب واستعملوه .

وبعبارة اوجز تعلم الكنعانيون الشيء الكثير من الاقوام التي سبقتهم من حيث العيش والاستقرار في الرقعة الممتدة من جبل لبنان الى النيل ، ومن البحر الابيض المتوسط حتى ما بين النهرين .

ليس هذا فحسب . فان الكنعانيين الذين اقتبسوا من البابليين والمصريين والحيثيين والفينيقيين حضارتهم ، اعملوا تفكيرهم في الاشياء التي اقتبسوها فزادوها نفعاً واتقاناً (٢٦٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م) . وفي بعض هذه الاشياء - ولا سيما في الاسلحة والثياب - تفوقوا على غيرهم من الاقوام المجاورة لهم .

وقصارى القول : اسس الكنعانيون - ومنهم اليبوسيون - حضارة كنعانية ذات طابع خاص .

(١) ان هذا الاسم مؤلف من كلمتين : (ملك) وهي فينيقية الاصل ومعناها القادر . و (صادق) ومعناها المستقيم .

(٢) كتاب (السير السليم في تاريخ يافا والرملة واورشليم) للاباء الفرنسيسيين . ص ٥١ .

(٣) كتاب (مختصر الدول) ص ١٦ .

(٤) سفر التكوين . الاصحاح الرابع عشر . العدد ١٨ .

(٥) اختلف المؤرخون في تعيين التاريخ الذي وقع ←

من الجنوب (وادي حنوم) ونسميه في يومنا هذا وادي الربابة . ومن الشرق (وادي قدرون^(١)) وكانت محاطة بسورين .

وحفر اليوسيون تحت الارض نفقا يمكنهم من الوصول الى (عين روجل) وهي التي نسميها الآن (عين ام الدرج) . ولا سيما اثناء الحصار .

وكان فيها على عهد اليوسيين واد يسمونه (وادي التروين) يفصل بين تل اوغل وتل موريا المتقدم ذكرهما . ويظهر ان هذا الوادي كان يمتد الى مسافات شاسعة نحو الشمال . وكانت تقوم عليه ممرات طبيعية يمر المرء بواسطتها من الجانب الواحد الى الآخر . وكان هذا على عمق يتراوح بين الخمسين قدماً والتسعين من سطح الارض في يومنا هذا . غير انه اُملئ مع الزمن . ولم يأت املاؤه عفوا . وانما اتى بقرار وتصميم . والمعتقد ان (طريق الواد) الكائنة غربي الحرم اُملئت على هذا النمط . لا ، بل هناك من يعتقد انها فرع من وادي التروين المتقدم ذكره .

عندما خرج بنو اسرائيل من مصر ، واطلوا على ارض كنعان ؛ رأوا فيها ما رأوا من خيرات وبركات . . . وكانوا قد سمعوا عنها ما سمعوا . . . راحوا يغيرون عليها بقصد امتلاكها . . . قائلين : انها هي الارض التي وعدهم الله بها ! عندئذ ايقن الكنعانيون ان مصلحتهم تقضى عليهم بنسيان الماضي - يوم كانوا في احتراب مع المصريين - فطلبوا العون من مصر . لاعتقادهم ان المصريين اولى من بني اسرائيل . ذلك لأن بني اسرائيل

(١) هكذا كان الافدسون يسمونه . واما الان (١٩٤٧) فالسفلون يسمونه (وادي جهنم) واليهود (وادي ايشالوم) والمسيحيون (وادي مريم) .

ومن ملوكهم (سالم اليوسي) . فقد زاد هذا في بنائها . وشيد على جبل صهيون برجاً للدفاع عن المدينة . وكانت على عهده محصنة تحصيناً تاماً . حتى انها ناطحت بني اسرائيل وقاومتهم مقاومة عنيفة . ومكثت تناطحهم زمناً طويلاً .

كانت ييوس في ذلك العهد ذات أهمية من الناحية التجارية . وكانت من انشط المدن الكنعانية التي سمعنا بها . ذلك لأنها واقعة على طرق التجارة التي تربط حبرون^(١) ببیت ايل^(٢) . وفي بيت ايل كانت الطريق تتشعب الى فرعين : فرع يسير نحو شكيم^(٣) والآخر صوب أريحا ووادي الأردن . وكانت ذات أهمية أيضاً من الناحية الحربية . إذ أنها مبنية على اربعة تلال هي : -

صهيون^(٤) وموريا^(٥) واوغل^(٦) وبزيتا^(٧) .

وكانت ييوس تمتد من هذه التلال شرقاً حتى المرتفعات المطلّة على بركة السلطان غرباً . وكان يحدها

تابع :

فيه هذا الاجتماع . فمنهم من قال ان ذلك جرى خلال القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد .

ومنهم من قال انه وقع سنة ١٩١٣ ق . م .

(١) الخليل

(٢) قرية (بيتين) من أعمال رام الله

(٣) نابلس

(٤) التل الذي يقوم عليه الان (١٩٤٧) حي النبي داود وحارة الارمن .

(٥) الهضبة التي يقوم عليها الان مسجد الصخرة .

(٦) التل الكائن بين سور الحرم وقرية سلوان . وفيه الان حواكير عرفت باسم (الضهور) .

(٧) البقعة التي يقوم عليها الان احياء باب حطة وباب الساهرة وما بينها .

بمشاغل أخرى - فقتلوا على الكنعانيين .

وفي قول ان النزاع ظل قائماً بين الكنعانيين والعبريين حتى عام ١٠٠٠ ق م حين تمكن هؤلاء من استلاب الحكم والسيادة منهم . وما كانوا ليقفوا لولا تفرق كلمة الكنعانيين وانشغال مصر في شؤون أخرى . فقتلوا ملوكهم ودمروا مدنها . وكان في أرض كنعان يومئذ ١١٨ مدينة ذكرت كلها في الواح (تل العمارنة) . تلك الألواح التي ذكرناها في السطور المتقدمة .

ان النصر الذي ناله داود وابنه سليمان من بعده قضى على الكنعانيين من الناحية السياسية . ولكنه لم يقض عليهم من الناحية الفسيولوجية والاجتماعية . فقد جاء في الاصحاح العاشر من سفر التكوين ما يأتي :

« وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني . وكانت نخومه من صيدون حينما تجيء نحو جرار^(١) الى غزه . . . وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمه وصوبيم الى لاشع . . »

ويعتقد قوندر وكوارنت وكليمان غانو وغيرهم من الكتاب والمؤرخين ان سكان القرى القائمة حول مدينة القدس في يومنا هذا هم من بقايا الكنعانيين القدماء .

ويقول هؤلاء ان اللغة التي كانت منتشرة في المدن الكنعانية هي : الكنعانية . ثم انضمت اليها اللغة البابلية ، وذلك عندما اجتاحتها البابليون .^(٢) فاصبحت هذه لغة البلاد الرسمية . وظلت الكنعانية لغة التخاطب بين الشعب .

(١) كانت هذه (اي جرار) عاصمة (ابيالك) ملك الفلسطينيين القدماء . وكانت تقوم في الموضع الذي يقوم عليه الان (١٩٤٧) التل المعروف بـ (تل جة) على بعد عشرة اميال من مدينة (بير السبع) ومنها الى الشمال الغربي .

كان دأبهم ، كلما احتلوا مدينة ، ان يعملوا فيها وفي سكانها السيف والنار . واما المصريون فقد كانوا يكتفون بالجزية . فلا يتعرضون لسكان البلاد وعاداتهم ومعتقداتهم .

ولم يتوان المصريون في مد يد العون الى الكنعانيين . فراحوا يدفعون الاذى عنهم . ونجحوا في صد الغارات التي كان يشنها عليهم العبريون .

هناك بين الواح تل العمارنة التي وجدت في هيكل الكرنك بصعيد مصر لوح يستدل منه على أن (عبد حيبا) أحد رجال السلطة المحلية في اورو - سالم^(١) ارسل (١٥٥٠ ق م) الى فرعون مصر تاحوتس الاول رسالة يتضمن خضوعه . وقد طلب اليه ان يحميه من شر قوم دعاهم في رسالته بـ (الحيري) أو (الحيري)^(٢) . فقد كان هؤلاء من وقت الى آخر يهاجمون اورو - سالم . ولم يكن فيها يومئذ سوى حامية صغيرة .

ولقد عثر المنقبون في احدى الحجر من مقابر بني حسن على صورة تمثل قبيلة كنعانية مؤلفة من ٣٧ شخصاً من رجال ونساء واطفال وفدوا من فلسطين الى مصر في أيام الملك سنوسرت الثاني .

جاء في كتب التاريخ ان (ارض كنعان) تعرضت في تلك البرهة من الزمن الى غزوتين شديديتين : أولاها وقعت حوالي سنة ١٦٠٠ ق م والثانية - وكانت هذه اشد من الاولى - وقعت حوالي سنة ١٢٠٠ ق م . وان المصريين وان تمكنوا في بادئ الامر من صد هجمات العبريين وارجاعهم الا ان الغزاة عادوا - عندما انشغل المصريون

(١) هذا هو الاسم الثاني الذي عرفت به (القدس) يومئذ ، بعد اسمها الاول (ييوس) .

(٢) انهم هم العبريون الذين ذكرناهم في السطور السابقة .

القدس في زمن الفراعنة

واخذت تهدده بالفناء. واعاد هذا الا. عهد (امين حوتب الرابع) فشكا الى وعثر المنقبون بين الواح تل العمار رسائل بهذا المعنى ، أرسلت كلها من ويبدو من قراءة تلك الألواح ان وحدها يومئذ خاضعة لسلطة الفراع بقية المدن الكنعانية ؛ وكذلك قل وفينيقيًا . فقد كانت تدفع الجزية له . وكان المصريون قد اتخذوا يبو . لقرىها من البادية . فكان لهم فيها وجند كثيرون وموظفون وجبا اتصال بالشعوب التي تقطن الصحراء حماية طرق التجارة .

ان خضوع (ارض كنعان) لمصر عاد عليها بالنفع . اذ أنا نقرأ في كند كانت يومئذ مزدهرة . . وكان فيها ع من المعابد والقصور .

جاء في السجلات الملكية التي اخناتون (١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق. م) في تل العمارنة ذكر ليايشي^(١) . ويقع الذي اشار الى هذا الموقع في كتابه الاردن وقبائلها) ص ١١ لعله يابش

ان التاريخ وان كان قد حدثنا عن (من رع) انه فتح الشام (٣٢٣٥ ق. م) ، وعن (سنوسرت الثالث) انه غزا البلاد الواقعة في جنوب سوريا ؛ الا اننا لم نعلم بين طياته على ذكر لمدينة ييوس^(١) في عهد الفراعنة ، إلا في زمن تاحوتس الاول . فقد عثر المنقبون بين الواح (تل العمارنة) على رسالة ارسلها احد رجال السلطة المحلية في ييوس ، عبد حيبا^(٢) ، الى فرعون مصر تاحوتس الاول (١٥٥٠ ق. م) يبدي فيها خضوعه ، ويطلب منه ان يحميه ضد غارات المعتدين من اعدائه العبرانيين . فجاء هذا لنجده . واكتسح البلاد . وكان آخر انتصار له في مجدو^(٣) التي استولى عليها . واصبح الكنعانيون خاضعين لمصر .

ويقهم من الواح تل العمارنة ان فرعون مصر (تاحوتس الثالث) ايضاً وهو من السلالة الثامنة عشر (١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق. م) وطد الحكم المصري في هذه البلاد ، وان السيادة المصرية دامت فيها مئتي عام .

ولقد ورد ذكر لمثل الرسالة المتقدم ذكرها حوالي الشطر الاخير من القرن الخامس عشر قبل الميلاد . اذ بعث امير ييوس ١٤١٣ ق. م الى فرعون مصر (امين حوتب الثالث) رسوله ليخبره ان امّة معادية قوية قد استولت على اكثر المدن الكنعانية ،

(١) القدس

(٢) وفي رواية اخرى (عبد حيبا)

(٣) (تل التسل) من اعمال جنين

مصر . وتخلصت مصر منهم . خرجوا عن طريق البحر الأحمر . فتبعهم فرعون وجنوده ، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة^(١) :

« وجاوزنا ببني إسرائيل البحر . فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا . حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل . وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيكَ ببندك لتكوت لمن خلفك آية وأن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون . »

رأى سليمان الملك أنه خير له أن يكون على وفاق مع فرعون مصر ليأمن شره . فصاهره وتزوج بنته . وبهذه الوسيلة تمكن من التخلي لأعمال العمران في مملكته . وقد اكمل بناء بيته ، والهيكل ، والسور الذي كان أبوه قد شرع في بنائه .

ولما مات الملك سليمان واعتلى عرش الملك (٩٧٠ ق م) ولده رحبعام (وهو من امرأته العمونية) وراح غلامه يربعام يكيد المكائد ويدس الدسائس ضد أخيه وانقسم اسباط بني إسرائيل الى مملكتين : مملكة إسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب ؛ ضعفت شوكة اليهود .

فاستغل شيشاق ملك مصر هذه الفرصة . وزحف على أورشليم (٩٧٠ ق م) . فاخذها من رحبعام . ونهب خزائن الهيكل ، واستولى على الدروع السلطانية ، وعلى موجودات القصور الملكية . ثم سار الى مجدو فافتتحها . وبعد عودته الى مصر نقش صورته على هيكل الكرناك ، كما نقش عليه اسماء المدن التي افتتحها ومنها أورشليم ، والملوك الذين اخضعهم ومنهم رحبعام بن سليمان الملك .

حديثاً بالدير في وادي اليابس في منطقة عجلون . واما (سيلاه ميرل) فانه لا يرى هذا الرأي ، بل يرجح انها خرائب مريامين . واما اناني اعتقد جازماً انها هي (ييوس) . وهذا هو الاسم القديم للقدس . وقد جاء في الواح تل العمارنة ان حاكم ييوس استغاث بملك مصر ، وان هذا اغاثه . غير ان القائد المصري الذي عهد اليه بادارة هذه البلاد يومئذ لم يتمكن من مقاومة الثورات التي انفجرت فيها ، فطلب المدد من فرعون ، فلم يلب هذا طلبه ، فقتل هو وخادمه .

وحدثنا التاريخ ان الاتصال بين مصر وهذه البلاد لم ينقطع بعد اخناتون . فقد سيطر (توت عنخ آمون) على سورية (١٣٥١ ق م) . وغزا (رمسيس الثاني) سورية فحارب الحيثيين والكنعانيين حرباً دامت قرابة عشرين عاماً . ولقد عقد هذا معاهدة مع الحيثيين اقسم الفريقان بموجبها البلاد (١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق م) .

وعلى ذكر (رمسيس الثاني) هذا نقول أن إقامة بني إسرائيل في مصر - تلك الإقامة التي استمرت أربعة قرون^(١) - قد انتهت في عهده . وانه هو (فرعون مصر) الذي ورد ذكره في القرآن . وقد ارتقى عرش مصر بعد موت أبيه الملك سيتي الأول (عام ١٢٨٨ قبل الميلاد) . ونسب لنفسه الألوهية ، وحكم البلاد سبعة وستين عاماً . وفي زمنه ولد موسى . وفي منزله ترعرع .

ولما توفي رمسيس الثاني (١٢٢١ ق م) خلفه (مرن بتاح) . وفي زمنه خرج بنو إسرائيل من

(١) نذكر ان بني إسرائيل نزلوا مصر في اواخر عهد الرعاة المروفيين بـ (ايميكوس) .

هي الاخبار التي وصلتنا عن وضع القدس في عهد الفراعنة .

وكانت هذه البلاد على عهدهم مليئة بالغابات الكثيفة . ولا سيما ذلك الجزء من البلاد الممتد من الجبال الى البحر . وكان المصريون يأخذون منها الحطب والاشخاب اللازمة لصناعتهم .

أجل . كان المصريون يكتفون بالجزية . وما كانوا ليكثرثوا بعبادات القوم ودياناتهم . لا ، ولا بشؤونهم الاجتماعية الاخرى .

وما كانوا يصدون اي فريق من سكان البلاد عن عقد معاهدة مع الفريق الآخر . لا ، بل كانوا ينجدونهم في حروبهم مع أعدائهم .

ولم يسعوا لتمصير البلاد ، خلافاً لما فعل الرومان من بعدهم ، اذ جعلوها رومانية . وكثيراً ما تمرد الكنعانيون على المصريين . وأبوا أن يدفعوا لهم الجزية .

وصورة رجبهم يراها الرائي بشكل اسير مكتوف اليدين ، وفي عنقه حبل .

وفقد اليهود استقلالهم بعد ذلك التاريخ . فعاشوا خاضعين للاقوياء من الغزاة والفاتحين .

واشتهر الملك (يوآحاز) بارتكاب المعاصي والمنكرات . فأناه فرعون مصر نحو حوالي سنة ٦١٠ قبل الميلاد . فادبه . وغرم المدينة مئة قنطار من الفضة وقنطاراً من الذهب . وبعد ان أقام أخاه (الياقيم) ملكاً على أورشليم ، اخذه هو مكتوفاً الى مصر . فمات هناك .

وغزا فرعون مصر بساماتيخوس الثاني فلسطين عام ٥٩٠ ق. م . فتحالف مع سكانها وسكان البلاد المجاورة لها من اجل القيام بثورة عامة ضد بابل . وثار هؤلاء بالفعل . ولكن الغلبة كانت لبابل . فافتتح نبوخذ نصر القدس (٥٨٦ ق. م) . هذه



القدس وبنو اسرائيل

وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحبر بحد
السيف .. ثم احرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها .. »
ولم يسلم من سكانها سوى راحاب تلك المرأة الزانية
لانها قد خبأت الجاسوسين اللذين ارسلهما يشوع بن
نون ليجوسا خلال الديار . « واما الفضة والذهب
وآنية النحاس والحديد فقد نهبت كلها . واتخذوا
السلب والنهب ديناً لهم . عندئذ حمى غضب الرب
على بني اسرائيل فقال يشوع^(١) : « قد اخطأ
اسرائيل . بل تعدوا عهدي الذي امرتهم به . بل
اخذوا من الحرام . بل سرقوا . بل انكروا . بل
وضعوا في امتعتهم . فلم يتمكن بنو اسرائيل للثبوت
امام اعدائهم . »

٥ - ولقد تمكنوا بعد حين من احتلال
(عاي)^(٢) . ففعلوا بها كما فعلوا باريحا . احرقوها ،
وأبادوا من سكانها اثني عشر ألفاً بين رجال ونساء .
واما البهائم والغنم فقد نهبوا لانفسهم^(٣) .
ثم احتلوا الجلبجال^(٤) وشيلوه^(٥) وشكيم^(٦)
وبعض المسدن الكنعانية الاخرى . وكل مدينة
احتلوها جعلوها طعمة للنار ، وقتلوا سكانها ،
ونهبوا كل ما رأوه فيها من مال وماشية .

(١) سفر يشوع : الاصحاح ٧ عدد ١١ - ١٢ .
(٢) اعتقد انها هي خربة (الحيان) الواقعة على مسافة ميلين الى
الجنوب الشرقي من قرية بيتين من اعمال قضاء رام الله .
(٣) سفر يشوع : الاصحاح ٨ العدد ١٨ - ٢٧ .
(٤) قيل انها (تليلة الجلبولة) على بعد ميل ونصف من اريحا
للشرق . وقيل انها كانت بالقرب من المكان المعروف
بالخان الاحمر على الطريق بين اريحا والقدس .
(٥) على مسافة ثلاثة اميال من جنوب اللبن وميل واحد من
ترمسيا الى الشمال الغربي .
(٦) نابلس

عندما خرج بنو اسرائيل من مصر على عهد
فرعونها رمسيس الثاني وولده مرن بتاح ، وكان
ذلك عام ١٣٥٠ قبل الميلاد ، اجتازوا بقيادة زعيمهم
موسى صحراء سينا وقد تاهوا فيها اربعين عاما .
حاولوا في بادىء الامر دخول فلسطين من ناحيتها
الجنوبية ، فوجدوا فيها قوماً جبارين .

٢ - عندئذ ذهبوا الى جبال آدوم وموآب والبلاد
الواقعة شرقي الاردن . في تلك الآونة كان موسى
قد مات . وقبل ان يموت موسى حمل الى جبل نبو
بالقرب من مادبا حيث القى نظرة على
ارض الميعاد .

« قال له الرب هذه هي الارض التي اقسمت
لابراهيم واسحق ويعقوب قائلاً لنسلك اعطيها .
قد اريتك اياها بعينيك . ولكنك الى هناك
لا تعبر . »^(١)

وقد دفن في واد قريب من بيت فغور . ولم
يعرف انسان قبره الى الآن .

٣ - تولى قيادتهم بعد موسى يشوع بن نون وهو
احد الذين ارسلهم موسى لارتياذ فلسطين . فرجعوا
اليه قائلين : ان فيها قوماً جبارين . فعبر بهم نهر الاردن
(١١٨٩ ق . م) . واحتل اريحا بعد حصار دام
سنة ايام . والاسباط التي كان يقودها يومئذ اربعة :
راشيل وافرايم ومنسه وبنيامين .

٤ - عندما احتل بنو اسرائيل اريحا بقيادة
يشوع بن نون « حرّموا^(٢) كل ما فيها من رجل

(١) سفر التثنية الاصحاح ٣٤ (٢) سفر يشوع : الاصحاح ٦
عدد ٢١ - ٢٥ .

٨ - ان لانهم بني اسرائيل هذا اسباباً اخرى حدثنا عنها المؤرخ اليهودي يوسفوس في سطورہ التالية^(١) :

« شعر بنو اسرائيل ، باديء ذي بدء ، بالراحة والغنى . واستولى عليهم الغرور بالبلاد التي احتلوها ، والاراضي التي استغلوها . وبعد فترة وجيزة ، مالوا الى عيشة البذخ والترف ، واستسلموا الى الدعة والمخول . ثم تمردوا فساداً عادوا يكثرثون لاوامر قوادهم . وزاد في بلوائهم انهم لم يتفقوا كيف يقتسمون الاموال التي سلبوها من سكان البلاد . فحدث بينهم تنافر وانقسام . وراح بعضهم يحارب البعض الآخر » .

وانا لنقرأ شيئاً من هذا في سفر القضاة . فقد جاء فيه^(٢) ما يأتي :

« وفعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ، فعبدوا (البعل) و (عشتروت) وتركوا الرب اله آباءهم . . فحامي غضب الرب عليهم ، فدفعهم بايدي ناهبين نهبهم ، وباعهم بيد اعدائهم حولهم . ولم يقدرُوا بعد على الوقوف امام اعدائهم . حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر . . فضاق بهم الامر جدا . واقام لهم الرب قضاة ليخلصوهم . ولقضاةهم ايضاً لم يسمعو . بل زنوا . . وحادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آباؤهم . وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون اكثر من آباءهم . . ولذلك قال الرب : من اجل ان هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذي اوصيت به آباءهم ولم يسمعو لصوتي فانا ايضاً لا اعود اطرد اسنانا من امامهم . . فترك الرب اولئك الامم . . »

٦ - كان الكنعانيون قد اعدوا العدة لمقاومة بني اسرائيل عندما وصلت اليهم أنباء خروجهم من مصر . فاستنفر ملك اورو - سالم (اضوني صادق) قومه . وعقد حلفاً مع الملوك المجاورين له وكانت عددهم واحداً وثلاثين . وعلى قول يوسفوس ان الجيش الذي الفه الحلفاء سكان البلاد الاصليين لمقاومة بني اسرائيل كان مؤلفاً من ثلاثئة الف^(١) مقاتل من المشاة وعشرة آلاف من الفرسان . وكان معهم عشرون الف مركبة للنقل . ولذلك لم يتمكن يشوع من اخضاع الكنعانيين والفلسطينيين . ومات دون ان يتمكن من احتلال اورو - سالم لانها كانت محصنة تحصيناً تاماً . وكانت تحيط بها اسوار منيعة .

٧ - مات يشوع بعد ان حكم سبعاً وعشرين سنة بعد موت موسى . وكان له من العمر ، يوم حضرته الوفاة ١٢٦ سنة^(٢) . وبعد موته تولى قيادة بني اسرائيل (يهوذا) واخوه شمعون . وقد غزا بنو اسرائيل على عهدهما الكنعانيين مرة اخرى . وحاولوا اخضاعهم . وتمكنوا من الزحف الى اورشليم . « فاخذوها ، وضربوها بحد السيف ، واشعلوا المدينة بالنار^(٣) . » ورغم ان الكنعانيين فقدوا في هذه المعركة عشرة آلاف رجل ، وان ملكهم (اضوني صادق) فقد اباهم يديه ورجليه الا ان بني اسرائيل أرغوا على مغادرة المدينة تحت ضغط اليوسيين ، وظل هؤلاء يهزأون بحملات العبرانيين عدة قرون^(٤) .

(١) اعتقد ان هذه الارقام مبالغ فيها . وقد اشتهر يوسفوس باللباقة في احاديثه ولاسيما في الارقام .

(٢) الطبري ج ١ ص ٥١٥ .

(٣) سفر القضاة . الاصحاح الاول عدد ٨

(٤) برستد

(١) يوسفوس ص ٢٥ .

(٢) سفر القضاة : الاصحاح الثاني عدد ١١ - ٢٣ .

وكانت حروبهم مع الفلسطينيين اشد هذه الحروب فتكا وابعدا اثرا .

١١ - اشار برستد في كتابه (العصور القديمة) الى النضال المتقدم ذكره ، فقال :

« عندما دخل العبرانيون فلسطين واخذوا بحاربون الكنعانيين ، كانت مصر في طور التأخر والانحطاط (١١٠٠ ق م) . واشور لم تكن قد نشطت لاكتساح الغرب ، ولكن شعباً جديداً من شعوب البحر المتوسط يعرف بالفلسطينيين كان قد هاجر من جزيرة كريت الى الساحل البحري عند الزاوية الجنوبية الغربية من ارض فلسطين . وفي سنة ١١٠٠ ق م كانوا قد بلغوا درجة سامية من المدنية وتألفوا امه حربية قوية . وكان الاتحاد الفلسطيني مؤلفاً من خمس مدن . واما زعماء العبرانيين او قضاتهم فلم يكن تأليف الامة امرا هينا عليهم لشدة ما كانوا يعانون من مضايقة الفلسطينيين لهم .

ولما اشبك العبرانيون مع الفلسطينيين في قتال تغلب الفلسطينيون عليهم . »

فقد بنو اسرائيل في هذه المعركة ثلاثين الف مقاتل ، وفقدوا في المعركة التي قبلها اربعة آلاف . وفقد الفلسطينيون في احدى معاركهم مع شاول قائد العبرانيين ستين الفاً . ولكن الدائرة دارت عليه . فعمد الى الانتحار (١٠٩٥ ق م) . وعلى قول ان شاول قتل قتلاً هو واولاده الثلاثة (يوناثان وانياباد وملكيشوع) . كما قتل قائد جيشه وجمع كبير من رجاله معه .

١٢ - يفهم مما تقدم انه ليس بصحيح ما يزعمه اليهود من انهم ، في هذه البلاد اقدم عهداً من العرب . فالكنعانيون وقد جاءوا الى هذه البلاد

٩ - ظلت ييوس زمناً طويلاً متمنعة على بني اسرائيل . لا يقدرّون على ولوجها ، حتى ولا المرور منها ، دع عنك احتلالها وادارة شؤونها . فقد حدثتنا اسفار العهد القديم^(١) .

ان رجلاً لاويا متغرباً كان في جبل افرام . فاتخذ له امرأة سرية من بيت لحم . فزنت عليه سريته وذهبت من عنده الى بيت ابيا . فقام رجلها وسار وراءها ليطلب قلبها ويردها . . وبعد اللتيا والتي اخذها . وجاء الى مقابل ييوس . ومعه غلامه وحماران مشدودان وسريته . . وفيما هم عند ييوس والنهار قد انحدر . قال الغلام لسيدة : تعال نعمل الى مدينة اليوسيين هذه ونبيت فيها . فقال له سيدة : لا نعمل الى مدينة غريبة حيث ليس احد من بني اسرائيل هنا . فباتوا في جبعة .

١٠ - عاش بنو اسرائيل على الفوضى والضلال طيلة حكم القضاة وعددهم ١٤ وكان تاريخهم عبارة عن مشاغبات وانقسامات . اذا خلوا من مصيبة نسوا الله ، واذا نزلت بهم كارثة رجعوا اليه وعبدوه . يطعمونه عامداً ، ويعصونه اعواماً يلتفون حول القائد الذي يتولى قيادة امورهم سنة ، ثم ينقلبون عليه ، ويعصون اوامره سنين .

وفي خلال هذه الفوضى لم يذوقوا طعم الحرية والاستقلال ابداً . اذ حاربهم الكنعانيون ، واقتضوا مضاجعهم اجيالا طويلا . كانت الحرب بينهما سجالا . ثم حاربهم المؤابيون ، واذلّوهم . ثم حاربهم المديانيون ، والعمونيون ، والفلسطينيون

ويقول برستد ان الممدن التي عجز العبرانيون عن فتحها كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ الف وخمسية سنة . ومنازل متقنة حوت كثيراً من اسباب الراحة والرفاهية . وحكومة وصناعة وتجارة وعلم ومعرفة بالكتابة وديانة . حضارة اقتبسها اولئك العبرانيون السذج من مواطنيهم لانهم لم يستطيعوا ان يعيشوا بمعزل عن اهل المدن الكنعانية التي عجزوا عن اقتلاعها . وقد احدث هذا الامتزاج تغيرات جوهرية في حياة العبرانيين . فغادر بعضهم سكنى الحيام . وشرعوا يبنون بيوتاً كبيوت الكنعانيين . وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية . ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية . المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية . هذا ما جرى للعبرانيين الذين اقاموا في الشمال الغصيب . واما اولئك الذين اقاموا في الجنوب الماحل من فلسطين فقد حافظوا على اسلوب معيشتهم البدوية القديمة . فكان الواقف على اسوار اورشليم يشاهد حياة البداوة عن كثب . اذ يرى الرعاة قائمين على رعاية قطعانهم ومواشيهم .

١٤ - ولقد زاد في الطين بلة المنازعات الداخلية التي قامت بين اسرقي شاول وداود . فقد كانت هناك منافسة جديدة بين هاتين الاسرتين . اما داود فقد حالف الفلسطينيين وعقد معهم حلفاً . وأما شاول فانه لم يفهم ، بل اراد ان يحصل على استقلاله بالقوة . ولكنه غلب على أمره . ومات مقهوراً . وظل النزاع قائماً بين الاسرتين الى ان مسح داود^(١) ملكاً (١٠٤٩ ق. م) . سكن هذا في باديء الأمر في حبرون^(٢) ، ثم زحف بجيشه

من الجزيرة العربية اقدم عهداً فيها من اليهود . وكذلك قل عن اليبوسيين وهم فرع من الكنعانيين . ولقد حارب هؤلاء العبرانيين عند مجيئهم اليها حرباً لا هوادة فيها .

حدثتنا الموسوعة البريطانية^(١) أن بني اسرائيل عندما هبطوا هذه البلاد كان فيها اقوام وشعوب من بني عناق وبني كلاب من ابناء الجزيرة العربية . وان هؤلاء (أي بني عناق وبني كلاب) امتازوا بالجرأة وعدم الخوف . وانهم تغلبوا على داود واتباعه الذين جاءوا واستوطنوا المنطقة الواقعة جنوبي الخليل . وعندما جاءوا الى الشمال اصطدموا ببني كلاب .

١٣ - وليس بصحيح ايضاً ما يزعمه اليهود من أن لهم حضارة في هذه البلاد . فقد جاءوا اليها بالحديد والنار والخراب والدمار . فكسروا ، ونهبوا ، وقتلوا ، وفتكوا واتوا بجميع أنواع الفظائع والمنكرات عندما احتلوا هذه البلاد . وهذه هي وصية يشوع الى قومه عندما احتلوا اريحا والتي ورد ذكرها في اسفار العهد القديم^(٢) فانها اصدق شاهد على ما تقول . وكذلك قل عن احتلالهم للمدن الاخرى . ولقد حدثتنا اسفار العهد القديم انه عندما جاءوا اليها كان في البلاد انواع عديدة من الفواكه والاثمار نذكر منها التين والزيتون والخبز والعنب والرمان . ولم يذكر لنا التاريخ ان العبرانيين اضافوا الى هذه الاشجار اي نوع من الاشجار الاخرى .

(١) ولد في بيت لحم . وكان في صغره يرعى غنم ابيه . كان في الثلاثين من عمره حين ملك . وظل على كرسي الملك اربعين سنة . قضى ثلاثاً وثلاثين منها في اورشليم .

(٢) الخليل

وبنى لرجاله من حوله البيوت . وقد اتى بالخشب اللازم لهذه الابنية من لبنان ، ارسلها اليه حيرام ملك صور ، وارسل معها عدداً من الصناع الفينيقيين الماهرين . فاستعنت اورشليم ، واتخذها داود قاعدة ملكه . واشتهرت على عهده من جميع النواحي العسكرية والاقتصادية والسياسية .

١٦ - احصى داود سكان اورشليم وسكان البلاد التي احتلها ، فكانت النتيجة انه كان مع بني اسرائيل يومئذ ٨٠٠,٠٠٠ رجل . وعند بني يهوذا ٥٠٠,٠٠٠ رجل . فثار عليه من اجل ذلك قومه ونقموا . قالوا له : (الله الذي خلقنا يعرفنا ، فلماذا احصيتنا) . وصادف في تلك الاثناء أن حل ببني اسرائيل وباء عظيم فتك بهم فتكاً ذريعاً^(١) ، فقالوا ان هذا البلاء ما كان ليحل بهم لولا ان احصاهم داود . فحل بذلك عليه غضب ربه .

يظهر ان داود ندم على عمله . ذلك لان الشعب اخذ ينفض من حوله بعد عملية الاحصاء هذه . ولكي يرضي شعبه أظهر الندم ، ورغب في بناء هيكل ليكفر عن ذنبه ؛ فاشترى من (ارثان)^(٢) اليبوسي ارضه الكائنة على (جبل موريا) وكان قد اتخذها هذا بيدرا . اشتراها هي والبقر الذي كان يحرق به ارضه بخمسين شاقل من الفضة . وشرع داود في بناء الهيكل فعلا . فأتى بالحجارة التي اقتطعها من محجر هو الذي تراه على يمينك اذا ما خرجت من باب العمود ، وعلى بعد بضعة امتار

المؤلف من ثلاثين الف مقاتل والذي كان يرأسه ابن اخته (يوبآب) الى ييوس قاصداً احتلالها . فقاومه اليبوسيون مقاومة عنيفة ، وتمكنوا في بادئ الامر من صدّه عنها . لكنه عندما اعاد الكرة تمكن من احتلال (تل اوفل)^(٣) المطل على قرية سلوام^(٤) فحصر (غين روجل)^(٥) بيده . وكانت هذه هي المنبع الوحيد الذي يستقي منه اليبوسيون . فتمكن بذلك من التغلب عليهم ، واحتلال حصونهم القائمة على تل صهيون .

١٤ - قال بولتون^(٦) : « ان جنود داود وقائدهم يوبآب ، عبروا النفق الذي كان اليبوسيون حفروه قبل ذلك بسنين ، ليتمكنوا من ورود الماء الذي ينبع في عين روجل . عبره يوبآب وجنده . وبهذا تمكنوا من الوصول الى قلب المدينة . فسقطت هذه بأيديهم . »

والذي اكتشف هذا النفق هو اللفتنان وارن Warren فقال انه كان يمتد من تل اوفل في الغرب الى وادي قسدرون في الشرق . وانه هو الذي بناه اليبوسيون ، ليتمكنوا من ورود الماء أثناء الحصار .

ولما سقط النفق سقطت ييوس بيد داود وقائد جيشه يوبآب .

١٥ - اقام داود في بادئ الامر في الحصن الذي كان على جبل صهيون وسماه (مدينة داود)^(٧) . ثم بنى لنفسه قصراً على الجانب الشرقي من تل اوفل

(١) هو التل المطل على قرية سلوان والذي يسميه اللاونة (الضهور) .

(٢) سلوان

(٣) هي العين المعروفة اليوم بعين ام الدرج في قرية سلوان .

(٤) Palestine, by W. Boulton P. 102

(٥) سفر صموئيل الثاني : الاصحاح ٥ العدد ٩

(١) قيل ان الذين ماتوا من الطاعون يومئذ سبعون ألفاً .

(٢) قال ابن العربي ص ٥٣ ان هذا الاسم ذكر بالبريانية « آران »

يا رجل الدماء) . واراد اعوان الملك ان يصدوه ويضربوه . فرد عليهم الملك قائلاً : (دعوه يسب . فهذا هو ابني الذي خرج من احشائي يطلب نفسي ، فكم بالحري الآن بنياميني ..) . وظل داود طريداً الى ان عبر الاردن ، واحتمى باعدائه واعداه قومه : العمونيين .

١٨ - ولما هدأت الفتنة ومات ابشالوم ، رجع الملك داود الى اورشليم . وعاش فيها مدة . ورجعت الحرب . وكانت هذه سجلاً بينه وبين الفلسطينيين . فاستغل نجله الرابع (آدونيا) الفرصة وراح يتآمر على خلع ابيه . واجتمع باتباعه عند صخرة (زحيلت)^(١) على امل ان يعلنوه ملكاً على بني اسرائيل . ولما سمع داود الملك بهذه المؤامرة راح يعمل على احباطها . وقد احبطها بالفعل . وكانت ذلك بمساعدة نجله الاكبر سليمان .

١٩ - عندما مات داود سنة ١٠١٥ ق.م دفن في المكان الذي اسماء في حياته باسمه (مدينة داود)^(٢) . وبعد موته مسح ابنه سليمان ملكاً على بني اسرائيل . وجرى مسحه على مقربة من ماملا .

٢٠ - على عهد سليمان النبي تم بناء الهيكل . ولقد قضى في بنائه سبع سنين ونصف . واستغل الصداقة التي كانت بين ابيه داود وحيرام ملك صور فطلب من هذا ان يرسل اليه من لبنان كمية من

من الباب المذكور ، ويسميه الناس الآن (محجر سليمان) لان سليمان اخذ منه الحجارة التي استعملها بعدئذ لاتمام العمارة نفسها .

وحصن داود القسم الخارجي للمدينة الواقع حول حصن (ميلو) وربطه بالقلعة أي بالقسم العلوي الذي ذكره يوسفوس . وسمى ذلك الحصن بعدئذ (حصن داود) . وفي قول آخر أنه وصل اكمة الهيكل حيث يقوم اليوم الحرم القدسي باكمة اوفل حيث تقوم اليوم الحواكير المطلة على سلوان والمعروفة بالظهور .

١٧ - ولكن رغم هذه التحصينات لم يطل هناء اورشليم كثيراً . اذ حدث في بادئ الامر ان اقتتل اثنان من ابناء داود ، ابشالوم وامنون ، من اجل حادث حدث لتامار شقيقة الاول . فقتل ابشالوم امنونا لانه اطأ اخته الجميلة (تامارا) . قتله ، ثم هرب من وجه ابيه ، وظل طريداً ثلاثة اعوام ، الى ان عفا عنه ، فرجع الى اورشليم . ولكنه ما لبث ان اشعل نار الفتنة ضد ابيه ، لانه كان يطعم في الاستيلاء على ملكه . ويظهر ان الشطر الاكبر من الشعب كان راضيا عن هذه المؤامرة . اذ كان داود قد اسخطهم بمشروع الاحصاء الذي تقدم ذكره ، وبالضرائب الكثيرة التي فرضها عليهم ليتمكن من القيام بمشاريعه العمرانية .

فاضطرب داود الى الحرب . ولما كان يصعد جبل الزيتون التفت الى اورشليم ، والقى عليها نظرتة الاخيرة . ولم يأسف على الملك الذي اضاعه بمقدار اسفه على خيانة ولده ، وفلذة كبده ، فراح يبكي . وتبعه في البكاء اعوانه . وفي الطريق لاقاه رجل من عشيرة شاول اسمه (شمعى بن جبر) . فاخذ هذا يسبه ويرشقه بالحجارة قائلاً : (اخرج . اخرج

(١) انها (زحوية) الكائنة تجاه عين ام الدرج بسوان .

(٢) هذا ما ورد في اسفار العهد القديم . سفر الملوك الاول الاصحاح الثاني العدد ١٠ . ويقول مجير الدين ان من الناس من يعتقد (ومنهم وهب) انه دفن بالمكان المعروف بالجسائية في واد يقع شرقي بيت المقدس . ويؤيد هذه الرواية اللقي في مخطوطه : (سوانح الانس برجلتي لوائي القدس) ص ١٥٣ .

٣٠ ذراعاً . وكان يحجب بين القدس وقدس
الاقداص حاجز .

وكان الهيكل محوطاً بدارين كبيرتين: الداخلية
تسمى (دار الكهنة) والخارجية (دار اسرائيل) .
وكان له داران اخريان : واحدة تسمى (دار
الشعب) والاخرى (دار النساء) . وفي سفر اخبار
الايام تجد وصف الهيكل من الداخل . وكان
للهيكل سوران لا يسمح باجتيازهما الا للكهنة .

٢٢ - كان سليمان الملك رجلاً حكيماً . اذ رأى
بعين ثاقبة ان يكون على وفاق مع فرعون مصر
ليأمن شره . فصاهره وتزوج من ابنته . وبهذه
الوسيلة تمكن من التخلي لاعمال العمران في مملكته .
وقد بنى لابنة فرعون قصرأ جميلاً (٩٩٢ ق.م) . وكان
هذا يقوم على الطرف القبلي لجبل موريا . وقصارى
القول انتعشت اورشليم ، على عهده واتسع ملكه من
الفرات حتى حدود مصر ، وعقد معاهدات سلمية
مع جيرانه . وهو فضلاً عن الهيكل الذي اتم بناءه
والقصور التي انشأها لنفسه ونسائه ، ولكهنته ،
حصن القلعة ، وبنى حول هذه الابنية كلها سوراً .
وفي قول انه جدد ما كان هناك من اسوار . وامر
باملاء الواد الذي يفصل الجبلين بالتراب . ومن آثاره
الباقية الى يومنا هذا اسطبله الكائن تحت المسجد
الاقصى وبرك سليمان الواقعة جنوبي بيت لحم .

وقد تزوج سليمان في اواخر سني حكمه نساء
غير ابنة فرعون من الامم القريبة التي نهى الله بني
اسرائيل عن مخالطتها . ومال الى آلهتهم . وعبد
اصنامهم . وبنى بيتاً للآلاتان بالجبل الذي امام
اورشليم طوله مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعاً

خشب الارز ، ففعل ، وارسلها في مراكبه بجرأ الى
يافا . ومن هناك نقلها العمال الى اورشليم . واستعمل
هذا الخشب في بناء الهيكل . ثم بنى لنفسه قصرأ .
وشرع في بناء سور حصين حول المدينة . ولكي
يتمكن من بناء الهيكل والقيام بهذه المشاريع التي
تحتاج الى اموال طائلة اضطر الى زيادة الضرائب
والرسوم^(١) زيادة فاحشة .

٢١ - يحدوثنك عن (هيكل سليمان) احاديث فيها
شيء من المبالغة . فيقولون^(٢) انه شرع في بنائه في
العام الرابع من حكمه وانه استخدم من اجل بنائه
١٨٣ و ٦٠٠ عاملاً : منهم ٣٠ و ٠٠٠ من اليهود
اشتغلوا بالبناء (عشرة آلاف في كل شهر) . ومنهم
١٥٣ و ٦٠٠ من الكنعانيين . ومن هؤلاء ٧٠ و ٠٠٠
خصصوا لنقل الاخشاب والحجارة وغيرها .
و ٨٠ و ٠٠٠ نحّاتين ونجارين . والباقيون لمناظرة العمل
والاشراف عليه . وقد انجز البناء في سبع سنين
ونصف (١٠١٢ - ١٠٠٥ ق.م) .

مع ان الوصف الذي يصفونه به لا يدل على انه
كان كبير الحجم . فقد قيل لنا ان طوله كان ٧٠
ذراعاً (منها ١٠ أذرع للرواق و ٤٠ للقدس و ٢٠
لقدس الاقداس) وعرضه ٢٠ ذراعاً . وكان علو
الرواق ٢٠ ذراعاً وعلو القدس وقدس الاقداس

(١) البك انواع الضرائب والرسوم التي كانت معروفة في ذلك
الحين : - (التمشير) ضريبة ادخلها موسى في شريعته ،
وقد اعطيت العشور للاويين الذين لم يكن لهم نصيب في
الارض ، وكانوا يمشرون الثمن والكمون . (الخيرية)
ايضاً ضريبة فرضها موسى في شريعته ، وهي نصف شاتل
عن كل معدود . (الخراج) ضريبة فرضت على الارض
ولقد وصلت هذه الضريبة في عهد سليمان حداً لا يطاق .
(الحيوانات) ضريبة فرضت على البقر والواشي وقد كانوا
يمشرونها .

(٢) مجلة الآثار (٥ - ٦ ص ٢٤٢) للاستاذ عيسى المولوف .

هو ، وبين اسرائيل بقيادة (با آشا) . وقد حاصر هذا الاخير اورشليم ، وكاد يستولي عليها . إذ كان ملك سوريا حليفاً له . ولكن هذا الملك ما عزم ان انضم الى صفوف آسا ، فحارب معه . وانقلبت الآية . فتغلب آسا على خصمه ، ودفع عنه عادة المعتدين . وتمكن بهذه الوسيلة ايضاً من دفع غارة قامت بها قوة من المصريين والاحباش .

٢٦ - ولما مات تولى الملك من بعده ولده (يهوشافاط) .

حصن يهوشافاط المدينة . وبنى حولها القلاع . وسعى لتوحيد كلمة بني اسرائيل . ولكنه لم ينجح . وفي زمنه كتب ذلك الكتاب المشهور عند اليهود بكونه (كتاب الشريعة الموسوية) .

عاش ستين سنة . وحكم خمساً وعشرين سنة . ولما مات دفن في اورشليم . وانك لتري قبره في (وادي قدرون) الذي يسميه المسلمون (وادي جهنم) بين سور الحرم وجبل الطور . وفيه مقبرة اول من استعملها هو يهوشافاط . ولذلك يسميه اليهود : (وادي يهوشافاط) . ومعناه : (الله يقضي) .

٢٧ - ومن بعده جاء ابنه (يهورام) . وكان هذا ضعيفاً وسخيفاً . كما كان ظالماً وحسوداً . وحلت نقمته على اخوته واصدقاء ابيه فقتلهم كلهم . حتى وقع جميع افراد أسرته ، خلا واحداً من ابناؤه ، اسرى بيد العرب والفلسطيين الذين غزوا اورشليم واحتلوها . ثم استولوا على خزانها (٨٩٥ ق.م)

٢٨ - بعد موت يهورام (٨٨٥ ق.م) تولى الملك ولده (احازيا) . وكان هذا اسوأ خلقاً من ابيه . ولم يدم حكمه طويلاً . ومات قتيلاً .

٢٩ - ولما كان ابن احازيا صغيراً فالحكم كان بيد امه

وعلوه ثلاثون ذراعاً . ويعزو بنو اسرائيل خراب ملكه بعد موته الى عمله هذا .

٢٣ - ولما مات سليمان تولى الملك ابنه رحبعام (٩٧٥ ق.م) . فلم يكن هذا حسن الادارة . وكانت البلاد اساساً تن من فداحة الضرائب التي فرضها ابوه . فما كاد ينقضي على ذلك ثلاثة اعوام حتى دبت عوامل الفساد والخراب في مملكته . واخذت تسير في طريق الاضمحلال .

وانقسمت الى شطرين . مملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم . ومملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة . ونشبت حرب عوان بين رحبعام ^(١) ملك يهوذا ويربعام ^(٢) ملك اسرائيل . وراح كل منهما يفرض الضرائب والاشغال الجبرية على شعبه ليتغلب على خصمه . ولقد منع يربعام قومه من زيارة اورشليم . وبنى لهم مذبحاً في بيت ايل .

عندئذ استغل شيشاق ملك مصر هذه الفرصة . وزحف على اورشليم ، فاحتلها (٩٧٠ ق.م) . ونهب خزانها . وقفل راجعاً الى مصر .

وقصارى القول ان المدة التي قضاها رحبعام ملكاً وهي سبعة عشر عاماً . قضاها في حرب خارجية مع مصر ، وحرب داخلية مع يربعام .

٢٤ - بعد موت رحبعام جاء ابنه (ابيا) فلم ينفع قومه إلا بتغلبه على يربعام .

٢٥ - ومن بعده جاء ابنه (آسا) فظلت الحرب على عهده دائرة بين مملكة يهوذا (٩٥٥ ق.م) بقيادته

(١) ابن سليمان من امراته العمونية .

(٢) انه هو الغلام النجيب الذي كان لسليمان . وقد ذكره ابن العبري في الصفحة ٥٥ من كتابه (تاريخ مختصر الدول)

٣١ - خلفه ابنه (عزيا) ٧٨٠ ق.م . انه مستقيم وعادل . وقد اهتم بشؤون بلاده . فحصن اورشليم . وبنى حولها الابراج . وحفر الابار . ولكنه اختلف مع الكهنة والحاخاميين من اجل الهيكل . اذ ادعى ان له الحق في دخول قدس الاقداس . واما الحاخاميون فانهم انكروا عليه هذا الحق . ويظهر ان هذا هو السبب الذي حدا بيوسيفوس^(١) لان يعزرو المصائب التي اصابته القدس على اثر الزلزال^(٢) الذي جاء ذكره في سفر عاموس الى سوء ادارة (عزيا) وظلمه .

فاستمع الى سفر عاموس اذ جاء فيه :^(٣)

« قد اقسم الرب . . اني لن انسى الى الابد جميع اعمالهم . اليس من اجل هذا ترتعد الارض ، وينوح كل ساكن فيها ، وتطمو كلها كنهر ، وتفيض وتنضب كنيل مصر . . اني اغيب الشمس في الظهر ، واقتم الارض في يوم نور . واحول اعيادكم نوحاً ، وجميع اغانيكم مرثياً . . »

٣٢ - ولما مرض عزيا تولى مكانه ابنه (يوثام) ٧٥٨ ق.م .

٣٣ - ولما قضى هذا نجبه تولى الملك ابنه (احاز) . ولكن هذا ايضاً جلب الخراب الى البلاد . وغلب على امره تجاه جيش مملكة اسرائيل ، وحليفه الجيش السوري . ولكي ينتقم لنفسه استنجد

(آثاليا) وما كانت هذه من سلالة داود . ولقد حاكت مؤامرة لاجل القضاء على جميع افراد البيت من اسرة داود . إلا ان الحاخاميين والجنود الذين كانوا يحرسون الملك اطلعوا على هذه المؤامرة . فأحبطوها . وقاموا هم بمؤامرة ضدها . دامت المؤامرة ست سنوات . الى ان تمكنوا من قتل آثاليا . واجلسوا الملك الشاب (يهوشع) على عرش الملك . هكذا كانت الامور تسير من سيء الى اسوأ . فما كان يأتي ملك سيء ويموت ، إلا ويخلفه ملك اسوأ منه ويحور .

وكان كبير الحاخاميين (يهوفادا) على الدوام بجانب الملك . ولما مات هذا امر الملك برجم ابنه (زخريا) (اي ابن كبير الحاخاميين) . وقد رجم في داخل الهيكل . رغم انه كان صديقه ورفيقه في المدرسة . فتالم الشعب لهذا العمل الوحشي . وهناك في وادي قدرون قبر زخريا الى يومنا هذا . ولكنه هو ايضاً (اي يهوشع) قتل بعد زمن قصير من لدن عبيده (٨٣٩ ق.م) .

٣٠ - بعد يهوشع تولى الحكم ابنه (امصيا) . فكان اول عمل قام به ان قتل العبيد الذين قتلوا اياه . وتجددت الحروب بينه وبين ملك اسرائيل . ولكنه غلب على امره . فدخل ملك اسرائيل (يوآش) القدس ظافراً (٧٩٠ ق.م) . فدك سورها . وبعد ان نهب كل ما كان في الهيكل وفي قصر الملك من كنوز ثينة رجع الى عاصمته السامرة .

ولكن هناء امصيا في اورشليم لم يدم طويلاً . اذ ثار عليه الاورشليميون ففر من امامهم . فلحقوا به . وقتلوه في الطريق . وجاءوا به محمولاً على ظهور الخيل .

(١) الفصل العاشر من الباب التاسع الفقرة الرابعة من كتابه .

(٢) يوم انشق الجبل الى قسمين فغارت الطريق ودكت البلاد .

(٣) الاصحاح ٨ العدد ٧ - ١٠

وفي سنة ٦١٠ ق.م مر فرعون مصر نيكو من هذه البلاد في طريقه الى كركميش ؛ فعارضه الملك (يوشيا) ، فنصح اليه نيكو ان لا يفعل ، فاصر يوشيا ، وتشدد ؛ فقاتله فرعون مصر ، وقتله .

٣٥ - بعد يوشيا تولى الملك ابنه (يواحاز) . فسار هذا على خطة ابيه من حيث ارتكاب المنكرات والمعاصي . فاته فرعون مصر نيكو ، وكتفه ، وغرم المدينة مئة قنطار فضة وقنطاراً ذهباً ، واقام (الياقيم) اخاه ملكاً مكانه ؛ واخذه هو مكتوفاً الى مصر ، فمات هناك .

٣٦ - غيّر الياقيم اسمه ، فجعله (يواقيم) . ومال هذا ايضاً الى الشر والفحشاء . وعلى عهده غزا (نبوخذ نصر) ملك بابل هذه البلاد ، واسترقه عبداً ثلاث سنين .

٣٧ - ولما مات يواقيم تولى الملك ابنه (يواكين) . وعلى عهده ارسل نبوخذ نصر جيشاً عزمراً بقيادة نبوزردان ، فتح به اورشليم . وسبى جميع من فيها ، فارسلهم الى بابل ، واقام على كرسي الملك مكانه عمه (صدقيا) .

٣٨ - خضع صدقيا الى نبوخذ نصر قرابة تسع سنين . ثم قرد عليه . عندئذ زحف اليه ووصل الى اورشليم عام ٥٩٠ ق.م . كانت هذه يومئذ محصنة تحصيناً متيناً . فحاصرها وبني الابراج حولها . ودام حصاره لها سنتين ، ذقت خلالها الجوع والمرض . الى ان اختار اليهود جانب الهرب . فثلثوا جانباً من السور وهربوا منه وعلى رأسهم ملكهم (صدقيا) . فادركهم الكلدانيون في البرية . والقوا القبض على الملك وبنيه ، واتوا بهم الى نبوخذ نصر مصفيين بالاغلال . فقتل بنيه على عينه ، وفقاً بصره هو (اي صدقيا) وارسله الى بابل . وراحت

بتغلات بلازر ملك الاشوريين . فناداه الى بلاده . وجاء هذا مسرعاً . وبعد ان اخضع سوريا وشمال فلسطين اخضع القدس . وخضع آحاز له . واعتنق دينه . فعبد الاصنام . واغلق الهيكل .

هناك رواية اخرى عن احتلال الاشوريين لاورشليم في عهد آحاز . ننقلها عن كتاب (السير السليم^(١)) بالسطور التالية :

« عندما غلب (احاز) ملك يهوذا على امره في حروبه مع الاراميين ومع ملك اسرائيل ، راحت اورشليم وما حولها من البلدان نهياً مقسماً بين المغيرين : فاغتم الاشوريون هذه الفرصة وغزوا البلاد . فوفد (سنحاريب) ملك آشور سنة ٧١٣ ق.م ودخل يهوذا . ونزل على المدن المحصنة طامعاً في افتتاحها . عندئذ كان آحاز قد توفي ، وكان ابنه حزقيا قد خلفه . فارسل سنحاريب عبيده الى حزقيا ملك اورشليم طالباً اليه التسليم . فاخذ حزقيا يسعى لتحصين القدس وتقوية وسائل الدفاع عنها . وجر الماء الى داخل المدينة بشكل يحول دون استعماله من لدن الاشوريين .

وفما كان حزقيا يستشير اشعيا النبي فيما يجب عليه ان يصنع انسحب سنحاريب من امام اسوار اورشليم (٧٠١ ق.م) . ولكن الاشوريين رجعوا الى اورشليم . فاسروا الملك (منسه) الذي تولى الملك بعد ابيه حزقيا . فارسلوه الى بابل مصفداً بالاغلال . ثم ردوه الى اورشليم . فبنى حولها سوراً . ومات فيها (٦٤٣ ق.م) .

٣٩ - ثم ملك ابنه (آمون) ولما قتل هذا بيد عبيده قام ابنه (يوشيا)^(٢) مكانه ٦٤١ ق.م .

(١) ص ٥٨

(٢) « يوشع » او « يوشع »

واكملت اسوارها فان اليهود الذين جاءوا اليها من السبي وسكنوا فيها لا يؤدون جزية ولا خراجاً ولا خفارة . وفي رسائلهم التي بعثوا بها الى ملك الفرس نبهوه الى ماضي اليهود في اورشليم ، تلك المدينة التي وصفوها بالعاصية والمضرة . كما هددوه بالعصيان ، وقطع العلاقات الودية اذا هو لم يمتثل لنصائحهم ولم يمنع اليهود عن عملهم . وقد اصدر امره بمنع اليهود عن تجديد بناء السور . وظل العمل متوقفاً الى السنة الثانية من ملك داريوس (وهو المعروف عند العرب باسم دارا) . وفي عهد هذا الملك تم بناء السور (٤٤٥ ق.م) . وما كان ليتم لولا حراب الفرس . وانك لو اجد بياناً طويلاً عن هذا الحادث في العدد الاول من الاصحاح الاول من سفر نحاميا .

فاسمع ماذا يقول :

« . . حدث في شهور كسلو في السنة العشرين بينما كنت في شوشن القصر انه جاء حناني واحد من اخوتي هو ورجال يهوذا . فسألتهم عن اليهود الذين نجوا الذين بقوا من السبي وعن اورشليم . فقالوا لي انهم في شر عظيم وعار ، وسور اورشليم متهدم ، وابوابها محروقة بالنار . فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت اياماً وصمت وصليت أمام اله السماء وقلت : ايها الرب اله السماء . . اسمع صلاة عبدك الذي يصلي اليك الان . . لاجل عبيدك بني اسرائيل . . لقد أخطأنا . . لقد افسدنا . . ولم نحفظ الوصايا والفرائض والاحكام التي امرت بها عبدك موسى . . اعط التناجح اليوم لعبدك ، وامنحه رحمة امام هذا الرجل . لاني كنت ساقياً للملك^(١) . . »

كلمة بابل هي العليا في اورشليم . فنهبها ، واحرق الهيكل ، ودك اسوارها ، وجلا شعبها الى بابل . فقتل بعضهم هناك ومن لم يقتل استعبد . وهكذا انقرضت مملكة بني يهوذا . وكان ذلك حوالي سنة ٥٨٦ ق.م .

٣٩- يعزو المؤرخون انقراض اليهود يومئذ الى طبيعتهم ، وطمعهم ، وعدم امتزاجهم بغيرهم من الاقوام المجاورة لهم والامم التي يعيشون بين ظهرانيها ، واعتقادهم بانهم (شعب الله المختار) دون ان يتصفوا بالصفات التي تؤهلهم لهذا المقام الممتاز . ان فيهم طباعاً رديئة للغاية . وهذه الطبائع لا تؤهلهم لان يعيشوا مستقلين . ومن هذه الصفات الطمع ، والحسد ، وعدم الاتفاق ، والانهاك في الخلاعة والذلات ، والتردي في مختلف المعاصي ، وعدم الترفع عن اقتتراف الدنيا في سبيل المال ، وفي سبيل الغاية التي يرمون اليها .

٤٠- ولما تبوأ كورش عرش الفرس (٥٣٨ ق.م) عطف على اليهود . واذن لمن شاء منهم ان يعود الى القدس ، وسمح لهم بتجديد الهيكل ، وبناء المدينة ، فجمعوا اليها ، وكان عددهم عند رجوعهم اثنين وأربعين الفا .

قال ابن خلدون^(١) ان ملك الفرس كورش عندما سمح لليهود بالعودة الى اورشليم وتعمير السور رد اليهم الاواني التي كان قد اخذها منهم .

وقال ابن العميد ان هذه الاواني كانت خمسة آلاف واربعماية قطعة من الذهب والفضة . ولكنه عاد فنعمهم عن تعمير السور ، وذلك عندما اعترض العمونيون والاشدوديون والعرب . وكان اعتراضهم شديداً . وكانت حجة المعترضين انه « اذا بنيت هذه المدينة

(١) الملك ارتحششنا ملك الفرس .

(١) ابن خلدون ص ٧١١ .

احرقت بالنار . هلم فبنني السور ولا نكون بعد عاراً واخبرتهم عن كلام الملك فشدوا ايادهم للخير . وقالوا : لنقم ولنبن .

ويظهر ان العرب وباقي السكان والمجاورين من حورونيين وعمونيين كانوا اقوياء ، وكان اليهود يخشون بطشهم ، بدليل ان الملك اعطى نحميا عند سفره (رؤساء جيش وفرسانا) وانه لم يجرأ على كشف ما في السور من خراب نهاراً ، بل جاء ليلاً ؛ وبدليل الحادث الاتي الذي ننقله من سفر نحميا نفسه ^(١) :

« . . . ولما سمع سنبليط الحوروني وطوبيا العبد العموني وجشم العربي ساءم ذلك مساء عظيمة . . . وهزأوا بنا واحتقرونا . . . وقالوا ما هذا الامر الذي انتم عاملون . . . ثم تأمروا جميعهم معاً ان يأتوا ويحاربوا اورشليم . . . فصلينا الى هنا واقفنا حراساً ضدكم ليلاً ونهاراً . . . ومن ذلك اليوم كان نصف غلماننا يشتغلون في العمل ونصفهم يسكون الرماح والاتراس والقصى والدروع . البانون على السور بنوا ، وحاملو الاحمال حملوا . باليد الواحدة يعملون العمل ، وبالاخرى يسكون السلاح ^(٢) الرؤساء وراء كل بيت يهوذا . وكان النافخ بالبوق يجانبني . . . ولم اكن انا ولا اخوتي ولا غلماننا ولا الحراس الذين ورأى نخلع ثيابنا . وكان كل واحد يذهب بسلاحه الى الماء . . . »

وفي الاصحاح الثالث من السفر نفسه يذكر لنا نحميا كيف عمر كل فريق من بني قومه ما خصص له من السور ، وفي الغالب كان يقوم كل رئيس عائلية بتعمير الجانب القريب من منزله . ويقول نحميا انه كان يعمل معه من الولاة مئة وخمسون

وفي الاصحاح الثاني من سفره قال نحميا ما ياتي :

« وفي شهر نيسان في السنة العشرين لارتحشتا الملك كانت خمر أمامه فحملت الخمر واعطيت الملك . ولم اكن قبل مكداً أمامه . فقال لي الملك لماذا وجهك مكد وانت غير مريض فخفت كثيراً جداً ، وقلت للملك : ليحيى الملك الى الأبد . كيف لا يكمد وجهي والمدينة بيت مقابر ابي خراب وابوابها قد اكلتها النار . فقال لي الملك ماذا طالب انت . . . فصليت الى اله السماء وقلت : . . . ترسلني الى يهوذا ، الى مدينة قبور آباي ، فابنيها . فقال لي الملك والملكة جالسة بجانبه الى متى يكون سفرك ومتى ترجع . فحسن لدى الملك وارسلني ، فعينت له زمناً . . . واعطاني رسائل الى ولاة عبر النهر لكي يجيزوني حتى اصل الى يهوذا ، ورسالة الى آساف حارس فردوس الملك لكي يعطيني أخشاباً لسقف ابواب القصر الذي للبيت ولسور المدينة وللبيت الذي ادخل اليه . . . وارسل الملك معي رؤساء جيش وفرسانا . . . »

وفي الاصحاح نفسه (أي الثاني) من سفر نحميا نقرأ السطور التالية :

« فجئت الى اورشليم ، وكنت هناك ثلاثة ايام . ثم قمت ليلاً انا ورجال قليلون معي . ولم اخبر احداً بما سأعمله في اورشليم . ولم يكن معي سوى البهيمة التي كنت راكبها . وخرجت من باب الوادي ليلاً أمام (عين التتين) الى باب الدمن . وصرت اتفرس في أسوار اورشليم المتهدمة وابوابها التي اكلتها النار . . . ورجعت . . . ولم اخبر الى ذلك الوقت اليهود والكهنة والاشراف والولاة والعمال . . . ثم قلت لهم : انتم ترون الشر الذي نحن فيه : كيف ان اورشليم خربة ، وابوابها قد

(١) الاصحاح الثاني - العدد ١٩ .

(٢) الاصحاح الرابع - العدد ١٧ .

ان هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد وقد عملوا عصباناً في وسطها منذ الايام القديمة . لذلك خربت هذه المدينة . ونحن نعلم الملك انه اذا بنيت هذه المدينة واكملت اسوارها لا يكون لك عند ذلك نصيب في عبر النهر . »

فاجابهم الملك بما يلي :

« . . . الرسالة التي ارسلتموها الينا قد قرئت بوضوح امامي . وقد خرج من عندي امر ، ففتشوا ، ووجد ان هذه المدينة منذ الايام القديمة تقوم على الملوك . وقد جرى فيها تمرد وعصيان . وقد كان ملوك مقتدرون على اورشليم ، وتسلطوا على الجميع عبر النهر . وقد اعطوا جزية وخراجاً وخفارة . فلان اخرجوا امراً بتوقيف اولئك الرجال . فلا تبني هذه المدينة حتى يصدر امر مني . فاحذروا من ان تقصروا عن عمل ذلك . . . » .

« . . . ولما قرئت رسالة ارتحشستا الملك قام العرب والعمونيون والاشدوديون وذهبوا بسرعة الى اورشليم . وكان على رأسهم (رحوم) صاحب القضاء و (شمتاي) الكاتب ووقفوا اليهود عن العمل بذراع وقوة . . . » وظل العمل متوقفاً الى السنة الثانية من ملك دارا ملك الفرس .

٤١ - عندما رجع اليهود من السبي على عهد دارا ملك الفرس (٥٣٨ ق . م) وضعوا لهم مجموعة قوانين دينية . وجعلوا في هذه المرة رئيس الكهنة الذي يقيم في اورشليم متسلطاً عليهم بدل الملك . واصبحوا عبارة عن جماعة من المتدينين يرأسهم كاهن .

وظلوا كذلك حتى الفتح اليوناني .

٤٢ - عندما تسلم (انطيوخس الرابع) اريكة الحكم اضطهد اليهود وحرهم من القيام بشعائهم

رجلا . وقد تبرع الاغنياء بقسم من اموالهم لهذا العمل . وقد جاء ذكر لعدة ابواب في السور منها : باب الضأن ، وباب السمك ، وباب العتيق ، وباب الوادي ، وباب الدمن ، وباب العين ، وباب الماء ، وباب الخيل ، وباب الشرق ، وباب العد . . . »

« وكل السور في الخامس والعشرين من ايلول في اثنين وخمسين يوماً . (الاصحاح السادس العدد ١٥ من سفر نحemia)

ولكن العداء بين العمونيين والعرب كان قد ازداد ، وخوف اليهود من هؤلاء كان قد اشتد ، رغم وجود السور . اذ يقول نحemia في الاصحاح السابع من سفره : « . . . وقلت لهما ^(١) : لا تفتح ابواب اورشليم حتى تحمي الشمس ، وما داموا وقوفاً فليخلقوا المصاريع ويغفلوها . واقم حراسات من سكان اورشليم كل واحد على حراسته وكل واحد مقابل بيته . وكانت المدينة واسعة الجنبات وعظيمة والشعب قليلاً في وسطها . ولم تكن البيوت قد بنيت . (العدد ١ - ٤) . »

ورفع اعداء اليهود شكواهم الى ارتحشستا ملك الفرس ، فقالوا له ^(٢) : « ليعلم الملك ان اليهود الذين صعدوا من عندك الينا قد اتوا الى اورشليم ويبنون المدينة العاصية الرديئة وقد اكملوا اسوارها ورمموا اسسها . ليكون الآن معلوماً لدى الملك انه اذا بنيت هذه المدينة واكملت اسوارها لا يؤدون جزية ولا خراجاً ولا خفارة فاحيراً تضر الملوك . والان بما اننا نأكل ملح الملك ولا يليق بنا ان نرى ضرر للملك . لذلك ارسلنا فاعلمنا الملك لكي نعيش في سفر اخبار ابائك فتعلم

(١) اي لرئيس القصر ورئيس الكهنة .

(٢) هيكل سليمان ص ١٤٨ .

٤٣ - فاز المكابيون في بادىء الامر، واستقلوا (١٦٧ ق. م) . وقد ظهر منهم خمسة رؤساء وسبعة ملوك اليك اسماءهم :

(أ) الرؤساء :

- (١) مناتياس (١٦٧ ق. م)
- (٢) يهوذا (ابنه) (١٦٦ ق. م)
- (٣) يوناثان (اخو يهوذا) (١٦٠ ق. م)
- (٤) سيمون (اخو يهوذا) (١٤٣ ق. م)
- (٥) هركانوس الأول (١٣٤ ق. م)

(ب) الملوك :

- (١) اريسطوبولس الأول وابن هركانوس ١٠٥ ق. م
- (٢) الكسندر (اخو اريسطوبولس) ١٠٤ ق. م
- (٣) الكسندرا (امرأته) ٧٧ ق. م
- (٤) هركانوس الثاني (ابن الكسندر) ٦٩ ق. م
- (٥) اريسطوبولس الثاني (ابن الكسندر) ٦٧ ق. م
- (٦) هركانوس الثاني ايضاً ٦٢ ق. م
- (٧) انتيكانس (ابن اريسطوبولس الثاني) ٣٧ ق. م

٤٤ - عندما احتل يهوذا المكابي القدس (١٦٦ ق. م) لم يستطع احتلال القلعة التي بناها انطيوخس ابيفانوس (عام ١٦٨ ق. م) على الاكمة المعروفة بـ (عكره) . ولذلك بنى المكابيون سوراً من شأنه ان يحجز بينهم وبين القلعة وان يحول دون تسلط القلعة على المدينة والهيكل .

٤٥ - ولما جاء سيمون المكابي (١٤٣ ق. م) هدم القلعة المتقدم ذكرها ، وازال قسماً من الاكمة التي بنيت فوقها القلعة . انه فعل ذلك خشية ان يتعرض الهيكل للخطر .

ان النقد اليهودي المعروف بـ (الشاقل) ضرب

الدينية . فمنعهم من الختان ، واحرق كتبهم الدينية ، وبطل شرائعهم ، وارغمهم على انتهاك حرمة السبت وعلى اكل لحم الخنزير .

وكان (ابولينياس) عامل انطيوخس على القدس منفذاً لسياسة سيده هذه . ولكن بصورة تدريجية . فثار اليهود وقتلوا عمال الملك . واحتلوا اورشليم (١٦٤ ق. م) . وقيل انه قتل من جيش انطيوخس يومئذ اربعون الفا من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان .

واليك بعض المعلومات ^(١) عن هذه الثورة ، وكيفية نشوبها ، وانتهائها :

قرَّب انطيوخس الكاهن يشوع اليه ، وجعله الخبِرا اعظم . وكان هذا ربيب الحضارة اليونانية . حتى انه استبدل اسمه اليهودي (يشوع) باسم يوناني (ياسون) . فحسده اخوه اونياس . وراح يسعى للتقرب من الملك . وعرض عليه هذا شروطاً قاسية من شأنها ان تذلل قومه . فقبلها نكابة باخيه . واستبدل اسمه اليهودي (اونياس) باسم يوناني (منلاوس) . ثم جاء الى اورشليم ليتسلم من اخيه وظيفته . فابى هذا ان يسلمه المدينة . فتحاربوا ، ولم يتمكن احدهما من قهر الآخر ، حتى جاء انطيوخس واعلن الحكم العرفي . فاباح المدينة ونهب الهيكل . وعين قائده (فيلبس) حاكماً عليهم . ثم امر بالغاء الدين اليهودي من اصله . واكرههم على عبادة الالهة اليونانية وحظر الاختتان . واكرههم على الشغل في ايام السبت . وكان عقاب من يخالف او امره الموت . ولما اشتد الظلم نهض الكاهن (مناتياس ^(٢)) واعلن الثورة . هو واولاده الخمسة . ومنهم (يهوذا مكابيوس) احد المكابين .

(١) البرغوثي وطوطج

(٢) متيا بن حانان .

في ايام سيمون هذا^(١) . وقبة الشاقل الذهب في ذلك الحين تساوي ليرتين ذهبيتين من نقود العصر الحاضر .

٤٦ - ثم جاء (جون هركانوس) ١٣٤ ق . م وهو من الحكام المكابيين الذين حكموا القدس بعقل وسياسة . وكان الى جانب ذلك محبا للبناء والعمران . انه هو الذي بنى القلعة الواقعة في الزاوية الشمالية الغربية من منطقة الهيكل وقد اسماها (بارس^(٢)) . وهو الذي بنى في الحي الفوقاني من المدينة وعلى التل الواقع غربيها قصرأ حصيناً باسم العائلة الحشمونية المالكة . وكان هذا القصر ، على قول كاست ، متصلاً بمنطقة الهيكل يحسر يمر عن الواد المعروف بوادي الترويين .

وقيل ان جون هركانوس اضطر الى نبش قبر داود الملك ، ونهب ما كان فيه من كنز دفين ، وبيعه كي يتمكن من انشاء الابنية المتقدم ذكرها .

ان هذا التقدم في العمران الذي تم في القدس على عهد الحشمونيين ، والنصر الذي اصابوه على اعدائهم هنا وهناك ، ساقهم الى الفرور ، كعادة اليهود بوجه عام ، فصرهم عن عبادة ربهم (يهوه) وجعلهم يقيمون لانفسهم إلهاً أرضياً . فما اعتبروا من حوادث الماضي ، ولا قدروا ابداً ان العز لا يدوم ، وان الفرور قتال ، وان هذا النوع من التفكير يؤول الى الانقسام فالدمار

٤٧ - ما كاد جون هركانوس يقضي نحبه حتى راح اولاده الثلاثة يقتتلون من اجل الزعامة والملك .

(١) مجلة الآثار (٥ : ١٠ ص ٥٠٩) :
(٢) هو البناء الذي وسعه هيرودس بعدئذ ، واذاف اليه برجاً كبيراً ، واسماه (برج انطونيا) . والمعتقد انه كان يقوم في المكان الذي تقوم عليه الآن (مدرسة الروضة) الى الشال الغربي الذي من سور الحرم .

وكانت المبادي اليونانية (الهيلينية) سائدة يومئذ بين اليهود بدرجة ان كل واحد من هؤلاء الثلاثة ترك اسمه اليهودي واتخذ لنفسه اسماً يونانياً (هيلينياً) فسموا انفسهم : اريسطوبولس ، وانتيكانس ، والكسندر ، وما الى ذلك .

٤٨ - نصب اريسطوبولس^(١) هركانوس نفسه ملكاً على اليهود (١٠٥ ق . م) . ولكنه خلال المدة القصيرة التي قضاها في الملك لم يفعل شيئاً لمصلحة البلاد سوى انه سجن امه وجعلها تجوع الى ان ماتت^(٢) . ثم قتل اخاه انتيكانس من الخوف والحسد . فاستولى اخوه الاصغر الكسندر على الملك واسمى نفسه (الكسندر يانوس) ١٠٤ ق . م . وراحت القدس على عهده تذوق مرة اخرى مرارة الفوضى والحروب الاهلية والدمار .

ان الكسندر يانوس وان ملك اليهود يومئذ بالاسم ، الا ان امرأته الكسندرا كانت في الحقيقة هي الحاكمة .

٤٩ - بعد وفاة الملكة (٧٠ ق . م) تولى الملك ابنها هركانوس . وكان يعرف هركانوس الثاني . ولكنه بعد ذلك بقليل اضطر للتخلي عن التاج وعن رئاسة الكهنوت لاختيه اريسطوبولس^(٣) الذي حاربه وتغلب عليه (٦٩ ق . م) .

٥٠ - وراح الاخوان ينشدان مساعدة الدول المجاورة لهما : اما هركانوس فراح يستنجد ملك

(١) (اريسطوبولس) او (ارستوبولس) كلمة يونانية معناها (المشيرالصالح) . ومن معانيها (ابن ارستو) .

(٢) Jerusalem P. 79 , by Lionel Cust .

(٣) (تاريخ اليهود) ليو سيفوس . كتاب ١٣ فصل ٢٤ وكتاب ١٤ فصل ١

ونفوذها الذي لا يتناهى على الحكام دخلاً كبيراً فيما جرى . واذا تعمقت في الدرس وجدت سبباً آخر ، ألا وهو الاختلافات المزمنة التي تأصلت بين المتدينين الذين كانوا يدعون بـ (الحسيديم) وبين خصومهم الحشمونيين . تلك الاختلافات التي ذر قرنها على عهد يهوذا المكابي .

اضف الى هذين السببين سبباً ثالثاً (وهذا السبب وحده يكفي لتدمير مملكة عظيمة كإمبراطورية الرومان دع عنك مملكة صغيرة كمملكة القدس في عهد المكابيين) وهو تفرق الاحزاب وتنازع القواد ، ولا سيما ابناء العائلة الواحدة ، من اجل الزعامة والملك .

ولهذا لم يكن المستر ليونيل كاست فريداً بين المؤرخين في حكمه عندما قال ان الاختلافات التي قامت بين اليهود في مدينة القدس والدماء التي سالت في شوارعها كانت صفحة سوداء في تاريخهم . وهي التي ادت الى انهيار كيانهم .

٥٢ - فاهتبل بومبي هذه الفرصة ، وقضى على استقلالهم (عام ٦٥ ق م) . وبعمله هذا قضى على حرية الشعب اليهودي قضاء تاماً . فراح اليهود بعد ذلك التاريخ يعيشون في ظل الشعوب والامم الاخرى^(١) .

(١) افراً ، بعدها ، ما كتبناه عن اليهود في الفصل الذي خصناه للقدس في عهد الرومان ، وفي عهد الاحتلال البريطاني ، وبمذ قرار التقسيم الذي اصدرته هيئة الامم بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ .

العرب اريطاس (الحارث) . واما اخوه اريسطوبولس فقد استمد القوة من روما .

وزاد في تخاذلها بذور الفساد والشقاق التي كان يلقيها بينهما انتيباتر^(١) ابو هيرودس . وكان بمبايوس (بومبي) في ذلك الحين (٦٤ ق م) قد انتهى من محاربة الارمن واتي الى سورية . فاستدعاه اريسطوبولس . وهو في دمشق ، فلبى دعوته . واثابه جم غفير من اليهود^(٢) يسألونه ان يريحهم من ولاية كليها . لانه لم يكن من عادتهم ان يتولاهم ملوك . بل ان يسوسهم رئيس كهنة ويقضي بينهم بحسب سنتهم . ويظهر انه استحضر الاخوين . وبحث معها اسباب الخلاف .

اما هركانوس فشكا اليه ان اخاه انتزع الملك منه خلافاً للحق . لانه البكر . وليس له الاحقول قليلة لا تقوم باوده . وان اخاه كاللص يسطو على جيرانه ، وينهب مالهم .

واما اريسطوبولس فاجاب انه انتزع الملك من اخيه لانه لم يكن اهلاً له . وقد ازدراه الشعب لانه رجل بليد مكسال .

٥١ - انك اذا ما درست الوقائع التي سبقت انهيار الحكم المكابي والحشموني بالقدس علمت بكل تأكيد انه كان للمرأة ولتدخلها في امور الدولة

(١) كان هذا الرجل من الادوميين الذين اجبرهم هركانوس على التهود ، فتهودوا .

(٢) (تاريخ سورية) للطران الديسي . ج ٣ ص ٢٦٦

القدس في عهد الآشوريين

سوريا تغلب على مملكة اسرائيل واحتل عاصمتها (السامرة^(١)) فانقرضت مملكة اسرائيل في الشمال . وتحقق ما تنبأ به عاموس^(٢) قبل ذلك بقليل .

٣ - وفي قول آخر^(٣) « ان (شلمنصر) ملك الآشوريين غزا القدس (٧٣٠ ق. م) وسبى سكانها وانه عاد فحاربهم سنة ٧٢٣ ق. م وظل يحاربهم حتى سنة ٧٢١ ق. م . » بيد انه ، على ما يظهر ، لم يتمكن من تثبيت اقدام قومه في القدس . فبقي القسم الجنوبي من فلسطين راضخاً لسلطان الفراعنة . وقد جاء في كتب التاريخ ان العرب والعمونيين والفينيقيين وباقي سكان البلاد المجاورة كانوا في الوقت نفسه يعملون على دفع غارة الآشوريين . ولولا ذلك ما تمكن اليهود من دفع غائلة الآشوريين . ولكن هذا الحال لم يدم طويلاً . اذ اراد بنو اسرائيل أن ينفردوا في الامر . فأكاد (سنحاريب^(٤)) يعتلي عرش آشور حتى اعتزم ان يحتل فلسطين كلها : شمالها وجنوبها .

(١) جاء في تاريخ المصور القديمة لبرستد ان هذا الاحتلال جرى في ٧٢٢ ق. م بينما ذكر في الموسوعة البريطانية انه جرى حوالي سنة ٧٣٥ ق. م . وعندي ان الرأي الأخير هو الأصح . اذ ان تيغلات بلازر مات سنة ٧٢٧ ق. م .

(٢) « اسموا هذا القول الذي انا اتادي به عليكم مراثاة يا بيت اسرائيل . سقطت عنراء اسرائيل لا تعود تقوم . انظروا على ارضها ليس من يقيمها . لانه هكذا قال السيد الرب . » عاموس ٥ - ١

(٣) تاريخ القدس الشريف لسركيس ص ١٩ .

(٤) يسميه بعض المؤرخين (سنحريب) . ويقول الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف انها كلمة بابلية معناها (ارسل اخوة كثيرين) او (ليس بابن ابية الاكبر) .

لم ينفك الآشوريون عن الاغارة على فلسطين ؛ مذ وطدوا استقلالهم ، واخذوا يفكرون في توسيع حدود مملكتهم . وازدادت غاراتهم شدة بعد موت سليمان ، وتنازع رحبعام ويربعام من اجل الملك ، وانقسام الاسباط الى مملكتين : اسرائيل في الشمال ، ويهوذا في الجنوب . عندئذ ضعفت شوكة اليهود فهاجمهم المصريون من الجنوب والآشوريون من الشمال . وغدت البلاد يومئذ نهياً مقسماً بين هؤلاء واولئك .

٢ - عندما تولى (آحاز بن يوثام) قيادة اليهود كان التحاسد والانقسام قد بلغا أشدهما بين الفريقين ، فاحتربا . وكان النصر لمملكة اسرائيل في الشمال . فانهمزت مملكة يهوذا في الجنوب . وغلب آحاز على امره . ولما كان الجيش السوري حليف خصومه الشماليين وقائدهم (بيكح) Pekah ولولاهم لما تغلبوا عليه ، راح هو يفكر في طريقة للانتقام . فلم يجد اسهل من الالتجاء الى الآشوريين . فارسل رسله (٧٣٤ ق. م) الى ملكهم (تيغلات بلازر^(١)) يستنجد به ويحישه لينقذه من اعدائه . فما كان من هذا إلا ان استجاب النداء . وجاء يغزو البلاد . والحقيقة ان هذا وقومه كانوا يرتقبون مثل هذه الفرصة ، لا من اجل القدس وحدها ولكن من اجل ما بعدها من بلاد كصر ، وليبيا ، والحبشة ، والبلاد الواقعة في حوض البحر الابيض والبحر الاحمر . ولهذا بعد ان افتتح تيغلات بلازر

(١) اعتلى عرش آشور سنة ٧٤٥ ق. م .

الناس في يومنا هذا (بركة حمام البطرك) او (بركة حارة النصارى) .

٦ - ولكن لاهذه المشاريع التي قام بها حزقيا لتزويد المدينة بالماء ، ولا اسوار القدس التي كانت تحيط بها احاطة السوار بالمعصم ؛ حتى ولا الخطب التي كان يلقيها (اشعيا^(١)) النبي في شوارع اورشليم ليحسم الجماهير على القتال والمقاومة ؛ اجل ما كان هذا بكاف لينقذ القدس من الآشوريين الذين كانوا يرابطون امامها بجيش قوي ضخم . ولكن الذي انقذها هو (الطاعون) الذي جاءهم من مستنقعات دلتا النيل والذي انتشر حتى كاد يقضي عليهم ، فانسحبوا بعد ان فقدوا في هذه الحملة ١٨٥ ألفاً من رجالهم .

٧ - يظهر ان الآشوريين عادوا الى القدس مرة اخرى ، فاحتلوها . واعتقلوا الملك (منه) الذي تولى الملك بعد ابيه حزقيا ؛ فارسلوه الى بابل مصفداً بالاعلال (٦٧٨ - ٦٤٤ ق. م) . ولكنهم بعد حين اطلقوا سراحه فرجع الى القدس ، ربنى السور الثاني .

٨ - بعد مدة وجيزة دب الضعف والانحلال في صفوف الآشوريين ، فتخلوا عن هذه البلاد الى البابليين .

٩ - فاق الآشوريون البابليين والمصريين من حيث التنظيم الاداري . فقد سنوا الانظمة المتقنة للبلاد التي احتلوها ، وكانوا يضيقون نطاق الولايات مخافة ان تتقوى الواحدة ، فتتفصل عنهم . وكانوا حين نشوب ثورة في احدى هذه الولايات يعزلون اميرها الوطني ، وينصبون مكانه واحداً منهم .

(١) اشعيا الاصعاح العاشر ٢ - ٣ « ماذا تفعلون في يوم العقاب حين تأتي التهلكة من بعيد . الى من تهربون للمونة . واين تتركون مجدكم . اما يحنون بين الاسرى ، او يسقطون تحت القتلى . »

وقد ارسل اليها هذا جيشه بقيادة القائد الآشوري المشهور (ربشاق^(١)) . فحاصرها (٧١٣ ق. م) . وراح يدك اسوارها . وكان رجاله مزودين بالسيوف ، والنبال ، والتروس ، والاقواس ، والرمح . وكانت لهم مركبات خفيفة ، يجر الواحدة منها حصانان . وكانت لهم وسائل نقل منظمة . واستعملوا في حصار القدس اجهزة متينة ومعدات متقنة منها السلام والمنجنيقات .

وقد نصب القائد الآشوري مخيمه شرقي بركة ماملا . وراح من هناك يصب جام غضبه على المدينة ويضيق الخناق على سكانها .

٤ - ان الخوف والذعر قد استوليا على اليهود . فلم تجد فيهم نصائح ملكهم (حزقيا) الذي تولى الملك بعد ابيه آحاز سنة ٧٢٦ ق. م . وبقي فيه حتى سنة ٦٩٨ ق. م . وراح حزقيا يشحذ قريحته لاستنباط وسيلة ينجي بها نفسه وقومه من الهلاك . والحق انه نفع اليهود ، إذ انه عندما سمع باقتراب جيش سنغاريب ، اسرع في انشاء سور حول الاحياء المنتشرة في جبل صهيون الى الشمال وفي منطقة الهيكل .

٥ - ومن الاعمال التي قام بها (حزقيا) النفق الذي حفره في الصخر بين بركة سلوان وعين ام الدرج ، ذلك النفق الذي بلغ طوله ١٧٠٠ قدماً . والغاية منه ان يتمكن سكان المدينة من الوصول الى رأس النبع من داخل السور دون ان يعرضوا انفسهم لمهاجمة اعدائهم في ايام الحصار . واسال الماء (من بركة ماملا . .) في مجرى حفره تحت الارض الى بركة حفرها بين السور القديم والسور الحديث . سميت هذه البركة يومئذ (بركة حزقيا) . ويسمى

(١) وفي رواية اخرى (ربساكس) .

التي جمعت منها . ولكنهم لم يهتموا بترقية الشؤون الصناعية والتجارية . وكان جل اهتمامهم منصرفاً الى سلب البلاد ، وجمع ما فيها من ذهب وفضة وامتعة نفيسة .

وكان من واجبات هذا الحاكم ان يحفظ النظام ؛ ويرسل التقارير عن حالة مقاطعته الى الحكومة المركزية ؛ وان يجمع الضرائب ويرسلها الى العاصمة ؛ بعد ان يبقي منها مقدار ما يحتاج اليه في ادارة البلاد

القدس وبابل

شريعراً^(١) واخذه الى بابل بعد ان اقام مقامه صدقياً (٥٩٧ ق. م) واخذ معه عدداً كبيراً من عظماء بني اسرائيل .

٣- اراد صدقياً في باديء الامر ان يتعاون مع البابليين عملاً بوصية النبي ارميا الذي نصحه بالتعاون قائلاً انه لافائدة من الخيانة ، الا ان الرؤساء مالوا الى شق عصا الطاعة والخروج على البابليين . وكان ذلك بتشويق من مصر . فخرجوا (٥٩٣ ق. م) وكانت العاقبة وبالا عليهم .

٤- عندما بلغ نبوخذ نصر^(٢) انتفاض بني اسرائيل امر قائده نبوزردان ان يقيم بموضعه حق يوافيه ، وان يضرب اعناق الرهائن الذين معه . ثم سار هو حتى اتى بيت المقدس ٥٨٨ ق. م .

فحاصرها (٥٨٧ ق. م) وقد انضم اليه الادوميون نكابة ببني اسرائيل . وهذا العداء بين الفريقين (اي بين الادوميين وبني اسرائيل) كان قد تأصل منذ ان مر بنو اسرائيل من بلادهم على عهد موسى .

جاء في اكثر الكتب التجارية ان البابليين استولوا على القدس واخذوها من الآشوريين . والحقيقة انهم اخذوها من المصريين . اذ كانت يوم احتلالهم اياها ، منحازة الى ملوك مصر . خاضعة لسلطانهم . تدفع الجزية لهم ، وتامر باوامرهم . وكان ظل الآشوريين قد زال عن هذه الربوع قبل ذلك باعوام . فاخذ البابليون والمصريون يتنازعون السلطة والسيادة . وكان على سكان اورشليم ومملكة يهوذا ان يختاروا احد الفريقين ؛ فاما ان ينحازوا الى جانب المصريين او ان يقفوا في صفوف البابليين .

٢- كان ملك اورشليم في ذلك الحين (يهوياقيم)^(١) ٥٩٩ ق. م . ولقد خضع هذا لنبوخذ نصر ، وسلمه المدينة وعاش عبداً له ثلاث سنين^(٢) . ثم عاد فتمرد عليه^(٣) . فاقاله نبوخذ نصر واقام مكانه ابنه (يهوياكين) ٥٩٧ ق. م . ثم عاد فاقال هذا ايضاً بعد ثلاثة شهور لانه كان مثل ابيه

(١) (النهج القويم في التاريخ القديم) لهاري بورتسر استاذ التاريخ في الكلية الانجيلية . طبع في بيروت سنة ١٩٨٤ .

(٢) سفر الملوك الثاني : ٢٤ - ١ .

(٣) سفر الملوك الثاني : ٢٤ - ٤ .

(١) سفر الملوك الثاني : ٢٤ - ٩ .

(٢) تاريخ الامم والملوك للطبري . ج ١ ص ٣٨٢ . طبع في مصر سنة ١٩٣٩ .

والاغزوتك . واوطات بلادك الحيل . ولما رفض هذا طلبه غزاه فقتله . وسبى اهل مصر ، كما سبى عدداً كبيراً من سكان هذه البلاد .

٧ - فن هو نبوخذ نصر^(١) هذا ؟

انه اعظم ملوك الكلدانيين . دام على عرش بابل من ٦٠٤ الى ٥٦١ ق. م . وقامت بينه وبين فرعون مصر نيخو (اونخاؤس) الثاني عند الفرات معارك دامية (٦٠٤ ق. م) كان النصر فيها حليف البابليين . فتغلبوا على المصريين . وكانت نصر البابليين عظيماً بدرجة ان نيخو لم يحاول الاشتباك معهم في حرب مرة اخرى . فتخلى المصريون عن سوريا وفلسطين . ودخلت هذه تحت الحكم البابلي .

٨ - ذهب المسعودي^(٢) الى ان (مختصر) الذي فتح بيت المقدس وسبى بني اسرائيل لم يكن ملكاً كما وصفه اهل التواريخ في كتبهم ؛ وانما كان مرزبان^(٣) العراق والمغرب ، وكان تابعاً للملك الفرس (كيخسرو) حفيد كيكاوس ؛ ذلك الملك الذي نال بني اسرائيل منه محن فشتتهم في البلاد وكانت له معهم اقايصيص يطول ذكرها^(٤) . فصلب وجلد واحرق وباع ذرارهم ونساءهم .

قيل انه قتل في المعركة التي دارت رحاها بين

٥ - كانت القدس يومئذ محصنة تحصينا متيناً . ولما حاصرها نبوخذ نصر ، بني الابراج من حولها . ودام حصاره لها سنتين وفي قول اخر سبعة شهور . ذاقوا خلالها الامرين : الجوع والمرض ؛ الى ان اختار اليهود جانب الهرب . فثلموا جانباً من السور ، وهربوا وعلى راسهم ملكهم (صدقيا) . فادركهم الكلدانيون في البرية . والقوا القبض على الملك وبنيه . واتوا بهم الى نبوخذ نصر مصفدين بالاعلال . فقتل ابنه على عينه . وفقاً بصره هو (اي صدقيا) وارسله الى بابل^(١) . وراحت كلمة بابل هي العليا في اورشليم . فنهبا ، ودمر الهيكل الذي بناه سليمان ، ودك اسوارها ، وجلا شعبها الى بابل . فقتل معظمهم هناك . ومن لم يقتل استعبده . وهكذا انقرضت مملكة يهوذا (٥٨٦ ق. م) . الامر الذي ذكرناه في موضع آخر من هذا الكتاب .

٦ - جاء في اسفار العهد القديم^(٢) ان نبوخذ نصر سبى كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس وجميع الصناع والاقيان . ولم يبق احد الا مساكين الشعب . . وارميا النبي فانه احسن اليه ولم يصبه باذى . ذلك لانه كان قد نصح قومه الا يثوروا في وجه البابليين . فكذبوه . ولما فص على نبوخذ نصر قصته قال له هذا : « بنس القوم قوم عصوا رسول ربهم » . ثم خلى سبيله .

ويظهر ان الذين استبقاهم نبوخذ نصر في القدس ، ولم ينفعهم الى بابل ، لضعفهم او فقرهم هربوا الى مصر . فكتب الى ملك مصر يطلب ارجاعهم قائلاً^(٣) : « ان عبيداً لي هربوا مني اليك . فارجمهم الي »

(١) سفر الملوك الثاني الاصحاح ٢٥ العدد ٦ .

(٢) سفر الملوك الثاني الاصحاح ٢٤ العدد ١٤ .

(٣) الطبري ج ١ ص ٣٨٣ .

(١) هناك من يسميه (نبوخذ ززر) او (نبوخذ زار) وفي التوراة (نبوخذ نامر) . وعلى قول الطبري (ج ١ ص ٣٨٢) مختصر . وهي كلمة بابلية معناها : (ليحيى بنو الناج) او (دعوى القضاء) .

(٢) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي مؤلف (مروج الذهب ومعادن الجواهر) المتوفى سنة ٣٤٦ هـ .

(٣) اي صاحب جزؤ من المملكة او صاحب ناحية من نواحيها وواليها .

(٤) مروج الذهب ج ١ ص ١٩٢

١٠ - واصبحت هذه البلاد من أدناها الى اقصاها مستعمرة بابلية . انها كانت تدفع الضرائب لبابل . وقد ازدادت العوامل التجارية والاقتصادية مع بابل . وانتشرت الكتابة المسارية . وشاعت اللغة البابلية في السياسة والتجارة . وظلت هذه لغة البلاد الرسمية حتى الفتح الفارسي . واما اللغة التي كانت دارجة بين سكان البلاد فقد كانت الكنعانية .

نبوخذ نصر وبين بني اسرائيل اربعة وعشرون الف نسمة^(١) .

٩ - لم تقم لبني اسرائيل قائمة بعد ذلك التاريخ . وقد اشار القرآن^(٢) الى هذا الحادث التاريخي في الآية الكريمة التي جاء فيها : فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولى بأس شديد . فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين . .

القدس في زمن الفرس

شلاييل بن يهوياكين بن يهوياقيم ملك يهوذا الذي ذكرناه في موضع آخر من هذا الكتاب . ولما دخل بها ارتفعت عنده . فقال لها : اطلي مني ما تشائين . فطلبت منه ان يسمح لبني اسرائيل الذين نفيهم نبوخذ نصر الى بابل بالعودة الى اورشليم . فاذن بذلك (٥٣٨ ق.م) . على انه خيرهم بين الرحيل او البقاء اذا شاءوا . فأثر^(١) فريق منهم البقاء وهم الذين اصابوا نجاحاً في منفاهم ، واختار ما يقرب من خمسين الف من الرجال (غير النساء والاطفال) الرحيل .

ويقول البرغوثي وطوطح في كتابهما (تاريخ القدس) في تحليل ذلك ان كورش كان يطمح بافتتاح مصر والمغرب . واعتقد ان حمله لا يتحقق الا اذا ارجع اليهود الى بلادهم ، ليتكئ عليهم .

٣ - هذا ما ورد ذكره في اكثر كتب التاريخ

عندما تغلب (كورش)^(٢) ملك الفرس على البابليين ، واخضع بابل وآشور (٥٣٩ ق.م) ؛ سار في فتوحاته قدماً حتى احتل سوريا ، ثم جاء الى القدس فاحتلها (٥٣٨ ق.م) . واتسعت امبراطورية الفرس على عهده من الهند الى بحر ايجه ومصر . ان القائد الذي تمت هذه الفتوحات على يده هو (غوبرياس) . وهو الذي فتح القدس باسم الفرس .

٢ - تزوج كورش^(٤) اخت زربابيل^(٥) بن

(١) وفي ذلك جاءت الآية : فاذا جاء وعد الاخرة ليسدوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة ولينبروا ما علوا تنبيها .

(٢) فضائل بيت المقدس لابن المرجي بن ابراهيم المقدسي . مخطوط ص ٢٢ .

(٣) قال السعدي : انه يهمن بن اسفنديار بن بشتاسب بن هراسب . وكان الناس يسمونه كورش . تولى الملك عام ٥٥٣ ق.م . ودام فيه تسعة وعشرين عاماً . كان الفرس يحبونه ويلقبونه بابي الشعب .

(٤) ابن العبري ص ٨١ .

(٥) كلمة عبرية معناها : (غريب عن بابل) .

(١) تاريخ النصور القديمة لبرستد .

فبطش الملك به ، وبكثيرين من اتباعه . وهكذا تمكن اليهود ، عن طريق الحيلة والجمال ، من تخفيف ويلات السبي ، ومن رجوع فريق منهم الى فلسطين . غير انهم عاشوا فيها كرعايا اذلاء ، لا كحكام مسيطرين . وظلوا كذلك بضعة اجيال .

٥ - بعد كورش^(١) اعتلى عرش الفرس (ارتخشستا^(٢)) ٥٢٢ ق. م . فاراد هذا ان يحول دون رغبات اليهود ، حتى انه امر بايقاف حركات البناء التي اقاموها في الهيكل . ولكن (داريوس^(٣)) خال كورش ، وهو الذي خلف ارتخشستا ، اتاح لهم ذلك (٥١٩ ق. م) .

٦ - في عهد داريوس (٥٢١ - ٤٨٥ ق. م) جزئت الامبراطورية الفارسية الى عشرين ولاية . وكان على كل ولاية حاكم يدعى (مرزبان) . وكانت فلسطين احدى هذه الولايات . وكانت البلاد الواقعة شرقي الاردن وقبرص جزءاً من الولاية الفلسطينية وكان ولاية الفرس وعمالهم يتمتعون بشيء قليل من السلطة .

٧ - ومن ملوك الفرس الذين كان لهم شأن في هذه البلاد (ارتاكسر كس^(٤)) الأول . فقد قامت على عهده عدة ثورات في البلاد . وحارب اليونانيين (٤٦٠ ق. م) والمصريين (٤٥٤ ق. م) . بعث هذا الملك الى (عزرا) الذي كان سيم كاهناً في بابل ورجع مع من رجع من اليهود الى القدس

وهو أن رجوع اليهود من المنفى كان على يد كورش . واما الطبري^(١) فانه يقول : ان ذلك تم على يد (اخشويرش^(٢)) بن كيرش الذي ملك بابل وناحيتها من قبل بهممن ، وان هذا قاتل الثوار الذين ثاروا على بهممن وتغلب عليهم ، وانه جمع الاشراف من حوله واطعم الناس اللحم واسقامهم الحمر ، وانه كان يأتمر بامرهم مئة وعشرون قائداً ومع كل قائد الف رجل من الابطال ، وانه تزوج امرأة من سبي بني اسرائيل تدعى اشتر^(٣) .

٤ - ولهذا الزواج حكاية نقرأها بالتفصيل في سفر (استير) من اسفار العهد القديم . وهي تلخص في السطور التالية^(٤) :

بينما كان اليهود في بابل اخذوا يفكرون في انجع الوسائل للتخلص من السبي . ولما كانت احدى وصايا حكماء صهيون ان يتوسلوا لبلوغ اربهم بجميع الوسائل الممكنة ومنها الجمال ، عملاً بالقاعدة المأثورة « الغاية تبرر الوسيلة » فقد لجأ (مرد خاي بن بائير بن شمعي بن قيس) ، وهو احد الرجال الذين جاءوا من اورشليم مع السبي ، الى هذه الوسيلة وهي انه قدم استر بنت عمه الجميلة الى الملك (اخشويرش) الذي كان غاضباً على امرأته (وشقي) لانها رفضت امراً من اوامره . ولما رأى الملك استير ، وشاهد ما كان عليه من جمال ؛ وضع تاج الملك على راسها ، وملكها مكان وشقي . راحت استير وابن عمها مرد خاي يدسان الدسائس ضد هامان وزير الملك الذي اراد ان يبطش باليهود ،

(١) تاريخ القدس الشريف لسركيس ص ٢٤ .

(٢) كلمة فارسية اصلها : (ارتخشتر) . ومعناها : (نور واعنة) .

(٣) كلمة فارسية يلفظها العرب : (دارا) . ومعناها (مانع) .

(٤) تولى الملك في ٤٦٥ ق. م . والذي رفعه الى العرش (آرتابان) قاتل ابيه . وقد ادرك بعد مدة وجيزة احمية الجريفة ؛ فقتله بيده وقتل اولاده معه في قصره . دام ملكه قرابة اربعين عاماً . ومات في ٤٢٥ ق. م .

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٦٥٣ .

(٢) ورد هذا الاسم في اسفار العهد القديم (اخشويرش) . ومن يدري ؟ لعله هو نفسه كورش الذي ورد ذكره في الاسطر المتقدمة .

(٣) ورد هذا الاسم في اسفار العهد القديم (استير) .

(٤) هيكل سليمان ص ١٤٠ .

واقام على الملك موظفا لقبه (حامل التاج) ، مهمته ايقاظ الملك في كل صباح. لا ترفع للملك الا الدعاوى الجسام . واما الشؤون الاخرى فكان يقضيها قضاة ينتخبون من الشيوخ .

كانت لهم^(١) في البدء نقود مسكوكة من معدن الالكتروم^(٢) . ولما توسع ملكهم ، على عهد دارا ، واصبحوا اسيا د مناجم الذهب في الهند ؛ شرعوا يضربون نقودهم من معدني الذهب والفضة .

ان هذا النقد^(٣) المنسوب الى دارا كان مكتوباً : وكان مصوراً وكان عليه رسم دارا ممتطياً جواداً وبيديه قوس وسهم .

١٠ - بحثنا في السطور المتقدمة عن عهد احتلال الفرس الاول لمدينة القدس . وهو الذي جرى قبل الميلاد . ونود ان نبحت في السطور التالية عن عهد احتلالهم الثاني الذي جرى بعد الميلاد؛ فنقول :

انا وان كنا قرأنا في تاريخ الفرس : ان كسرى الاول الملقب بـ (كسرى انوشروان) والذي تولى عرش الاكاسرة في ٥٣١ بعد الميلاد ، كان من اشهر الملوك الساسانيين بل اشهرهم طراً ، وانه احتل سوريا وعقد حلفاً مع الرومان لخمس سنه ، واعان اليمن على طرد الاحباش ونبت سلطاتهم من بلاده؛ ولكننا نعلم بالضبط ما اذا كان الفرس قد اهتموا بالقدس على عهده .

١١ - ولكننا نعلم بالتأكيد ان حفيده (كسرى الثاني) وهو ابن هرمز الرابع قد صالح الرومان (٥٩١ م) وغزا بر الاناضول وسوريا . فاستولى على دمشق (٦١٣ م) وعلى القدس (٦١٤ م) . ثم سار الى

امراً (٤٥٨ ق. م) اقر به الدين اليهودي . ثم عين (نحميا) حاكماً على القدس (٤٤٥ ق. م) . واقام عليها اثني عشر عاماً .

كان نحميا من انصار الفرس ومن المقربين الى الملك . ففتح هذا سلطة واسعة . واتاح له بناء ما تهدم من السور . ويظهر ان السور كان يحيط يومئذ بجبل صهيون من الناحية الجنوبية والغربية ، ويجبل موريا حتى شرقي الهيكل . وقد تمت عمارة في اثنين وخمسين يوماً .

٨ - ظلت القدس خاضعة للملك الفرس ، تدفع لهم الضرائب والعوائد ، وتسهل لهم سبل العبور الى مصر ؛ الى ان احتلها الفاتح المقدوني الكبير (الاسكندر) ٣٣٢ ق. م

ونود ان نذكر فيما يلي نبذة عن طريقة حكم الفرس لهذه البلاد :

٩ - اشتهر الفرس^(١) ، الى عهد كورش ، بالتقشف والقناعة في معيشتهم . يقتاتون في الغالب بالحطب المجرد والماء . وربما اضافوا الى ذلك شيئاً من البقول وينامون على القاع . ومن عوائدهم ان يتزوج الاخ اخته والاب بنته والابن امه . وكانوا جهلاء . ولكنهم كانوا في نفس الوقت اقوياء . ولما فتحوا البلاد والامصار ، وتخلصوا من الاشوريين والبابليين ، واختلطوا بالقبائل الغربية عنهم ؛ ارتخت عزائمهم ، وتغيرت طبائعهم ، وجنحوا الى حب الملاهي ورغد العيش .

كان لهم جيش منظم . وكان هذا مقسماً الى اقسام . كان ملوكهم مطلقي الادارة . ولما جاء دارا قيد سلطة الملوك بمجلس مهمته اسداء المشورة لهم .

(١) (تجارة العراق قديماً وحديثاً) لرزق الله غنمة البغدادي ص ٢٤

(٢) انه معدن مزيج من الذهب والفضة والنعاس

(٣) مجلة الآثار (٥ - ٥٠ ص ١٩٩) الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف .

(١) مختصر التواريخ القديمة للقس بولس رجائي السرياني . ص

١٦٩ (سنة ١٨٧٦) .

دفنوا في ماملا و ٩٨٠٩ في حفر السور و ٢٠٠٠ أمام ابواب صهيون و ٤٢١٩ في دير يوحنا والباقون في السوق الكبير ، والسوق الصغير ، وسوق اللحم ، وبالقرب من باب الضأن ، وعين سلوان ، وعلى درجات كنيسة القيامة ، وعلى جبل الزيتون ، وفي الكنيسة التي بناها جوستانيان .

١٣ - وقصارى القول ذلك الفرس عند احتلالهم المدينة اسوارها . وكان معهم يومئذ ستة وعشرون ألف يهودي^(١) انضموا اليهم من طبريا والناصرة والجليل . فلم يكتف اليهود بتحريض الفرس على قتل المسيحيين ، بل راحوا يشتركون معهم في اعمال الهدم والتدمير . فاحرقوا كنيسة القيامة وكنائس هيلانة والجسانية وقسطنطين والاكرايون والقبر المقدس . وبالجملة احرقوا جميع الكنائس والاديار التي وجدوها فيها^(٢) . كما احرقوا جميع كنائس فلسطين . ويقدر المؤرخون عدد القتلى من المسيحيين في القدس بتسعين الف نسمة . جاء في تاريخ القدس لعمر البرغوثي وخليل طوطح ان عددهم ٦٢ الفا . ويقول المستر بيرسون ان عدد القتلى من المسيحيين (٢٤٥١٨) بالتسام .

اطلعت في مكتبة دير الروم الارثوذكس بالقدس على كتاب صدر حديثاً باللغة اليونانية ذكر فيه عدد الذين قتلوا في مدينة القدس يوم احتلها الفرس عام ٦١٤ بعد الميلاد ، وذلك نقلاً عن الراهب (انديوقس ستراتوبوس) الذي حضر تلك الموقعة . ويقول هذا الراهب ان عدد القتولين ٦٧٥٩٤ منهم ٢٤٥١٨ قتلوا عند بركة ماملا و ٩٨٠٩ عند الشجرة التي فتحوها في السور وعبروا منها الى المدينة و ٦٩١٧

مصر فاحتلها . ولم يستطع الرومان مقاومتها . اذ كانوا مشغولين باختلافاتهم الداخلية . وان القائد الذي تمت هذه الفتوحات على يده هو (شهر باراز) . وهو الذي فتح القدس باسم الفرس (١٤ ايار سنة ٦١٤ للميلاد) .

١٢ - هذا ما ذكرته الموسوعة البريطانية . واما المؤرخون العرب فقالوا ان القائد الذي احتلها كان يدعى (حرزويه) . وقد جاء في (تاريخ القدس الشريف) لسر كيس ص ١٥٧ ان غزوة القدس هذه تمت سنة ٥٩١ ، يوم ارسل برويز بن كسرى مرزبانته (خسرويه) الى القدس ، فاحتلها ، وخرّب كنائسها ، ونهب خزائنها ، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً . وسواء كان الفاتح هذا او ذاك ، فان المعروف عن القدس انها كانت يومئذ (٦١٤ ب.م) من المدن الكبيرة . كانت التجارة رائجة والصناعة متقدمة الى درجة ان كان يفد اليها تجار من جميع الجهات : من آسيا الصغرى الى بلاد فارس ، ومن هذه الى افريقيا . وبعد ان كانت تعيش في رغد من العيش ، ارسل كسرى ملك الفرس قائده (شهر باراز)^(١) على رأس جيش عزم فافتحها (في ٢٠ ايار ٦١٤) بعد حصار دام عشرين يوماً . استعمل الفرس اثناء ذلك الحصار جميع الوسائل اللازمة للاستيلاء على المدينة . فاقاموا الأبراج حولها ، ووضعوا عليها المنجنيقات . وفي اليوم العشرين قاموا بهجوم عام فدخلوا المدينة . فهرب الجنود ، واستتر الكثيرون في الخنادق وآبار المياه ، واحتمى المسيحيون بالكنائس والأديرة . اما الفرس فقد اعملوا سيوفهم في كل من عثروا عليه . وذبحوا من المسيحيين سبعين الفا . منهم ٢٤٥١٨^(٢)

(١) وقيل ان قائد الفرس يومئذ كان (سابور) .

(٢) هناك من يعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه كثيراً . ولقد نشر بيزرز في الصفحة ٣٨ من المجلد التاسع من مجلة (جامعة القديس يوسف) التي صدرت في بيروت سنة ١٩٢٣ ان عدد الذين دفنوا في ماملا يومئذ اربعة آلاف وستماية وعثمانية عشر شخصاً فقط .

(١) (تاريخ كنيسة القيامة) لثاؤفانس شار .

(٢) يقول ثاؤفانس شار انه كان في القدس يومئذ نحو ثلاثمائة كنيسة ودير .

استوهبت عود الصليب والبطريك ، وأناساً آخرين ممن سبوا ، فوهبها ما تريد .

١٥ - ولما تولى الامبراطور هرقل عرش القياصرة البيزنطيين (٦١٠ م) نزل الى الميدان ليحد من شوكة كسرى الثاني ، وفي ٦٢٧ م تغلب عليه وكسر جيشه في نينوى . فهرب كسرى . وبعد أربعة أيام اغتيل (٦٢٨ م) من قبل شعبه ، لأنه كان مستبداً . وفي ١٤ سبتمبر سنة ٦٢٩ م اعيد الصليب الى هرقل . فسادت كلمة الروم في مصر والشام . وافل نجم الفرس .

ولقد اشار الشاعر العربي الى افول نجم الفرس في قصيدة جاء فيها :

اين كسرى خير الملوك أنوشر
وان أم ابن قبله سابور
لم يهبه ريب المذون فولى الـ
ملك عنه فبابه مهجور
حين ولوا كانهم ورق جف
قالوت به الصبسا والدبور

١٦ - وقد غزا الفرس مدينة القدس^(١) ، للمرة الثالثة ٠٠ على عهد الدولة الفاطمية ، وكان ذلك حوالي سنة ١٠٧٧ م . يوم ارسل شاه العجم قائداً من قادة جيشه الى الولايات السورية . فاكتمى هذا بنهبها ، ثم ارتد . الامر الذي سنذكره في موضعه ان شاء الله .

(١) سر كس من ١٦٩ .

في المغر والكهوف والبساتين و ٤٢١٩ في دير مار يوحنا و ٢٨١٨ بجانب بركة سلوان و ٢٢٧٠ عند بوابة صهيون و ٢٢١٢ في كنيسة قوزمو داميانوس (بالقرب من المكان المعروف بالازبكية الان) و ٢٢١٠ بجانب برج داود و ٢١٠٧ عند باب ستنا مريم و ١٢٠٩ على جبل الزيتون و ١٠٩٨ في ملاجيء المعجزة و ٩٢١ في سوق القصابين و ٩١٢ في معبد السامريين و ٦٧٠ في كنيسة السيدة (على مقربة من المسجد الأقصى في الوقت الحاضر) و ٤٧٧ في كنيسة القديسة صوفيا و ٣٣٨ في كنيسة مار سراييون و ٣١٧ في السوق الكبير و ٣٠٨٠ في الزقاق المؤدي الى مار يعقوب و ٣٠٠ عند درج القيامة و ٢١٢ في دير البنات تجاه خان الاقباط و ٢٠٢ في السوق الصغير و ١٩٦ الى الغرب من تل صهيون و ٨٠ تجاه الجلجلة و ٢٨ في ساحة الولاية و ٧ في كنيسة الخضر و ٣٢٣٩ في انحاء مختلفة اخرى من المدينة .

وقيل ان اجساد القتلى جمعت يومئذ والقيت في بركة ماملا .

١٤ - بعد احتلال القدس انصرف الفرس آخذين معهم البطريك زخريا اسيراً . وهو البطريك الثاني عشر من البطارقة الذين اعتلوا الكرسي الاورشليمي . وقد مات في السبي . كما اخذوا عود الصليب الذي كانت الملكة هيلانة تركته في موضعه . وعلى قول ان (مريم بنت موريق الملك)

القدس في عهد اليونان

القدس عام ٣٣٢ ق.م^(١). اخذها من الفرس بعد ان قضى على امبراطوريتهم المترامية الاطراف . وكان ملك الفرس يومئذ دارا .

٢ - ترى كم كان عدد جيشه ، ومن اين اتى القدس ، وكيف احتلها ، وهل فتحها عنوة ام دخلها صلحاً ؟ واذا كان قد دخلها صلحاً فكيف تيسر له ذلك ؟ هذه اسئلة نرى في تحليلها والاجابة عليها مصلحة وفائدة . فنقول :

٣ - كان مع الاسكندر^(٢) اثناء دخوله القدس اربعون طبلخانة^(٣) القصد منها ارباب العدو في ساحة الحرب . ويقدر بعض المؤرخين هذه القوة باربعين الفا .

٤ - جاء في كتاب (تاريخ القدس وفلسطين) لوطوطح وشجاده ان الاسكندر التقى بشيوخ بني اسرائيل وكهنتهم على جبل سكوبس^(٤) ، الى الشمال من مدينة القدس . وهذا هو الواقع . واما يوسفوس المؤرخ اليهودي ، فيقول^(٥) :

« ولما سمع اليهود باقتراب الاسكندر وجيشه هرعوا لاستقباله خارج المدينة . هرعوا كلهم

احتل الفاتح المقدوني الكبير (الاسكندر)^(١)

(١) انه اسكندر الثالث بن فيليب الثاني ملك مقدونيا واولمبيا . ولد عام ٣٥٦ ق. م . وتعلم على يد الفيلسوف اليوناني المشهور ارسطوطاليس . وقد دخل الحرب لاول مرة عام ٣٣٨ ق. م عندما قاد جيشاً ارسله ابوه لمكافحه الثوار في الجبال . وكان يومئذ في السادسة عشرة من عمره . جاء في تفسير القرطبي انه (ذو القرنين) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم . اقرأ سورة الكهف : «ويستلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . انا مكننا له في الارض و آتيناه من كل شيء سبباً . قالوا يا ذا القرنين ان يا جوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على ان تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكنني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردماً . آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطراً . فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقاً . »

قال ابن اسحق نقلاً عن ثوربن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال : «ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب» . وفي حديث عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجال من اهل الكتاب سألوه عن ذي القرنين : «ان اول امره كان غلاماً من الروم ، فاعطى ملكاً ، فسار حتى اتى ارض مصر ، فابتنى فيها مدينة يقال لها الاسكندرية . » واما سبب تسميته (بذي القرنين) فقليل : انه كان ذا ضفيرتين من شعر فسمي بها . وقيل : انه رأى في اول ملكه كانه قابض على قرني الشمس فقص ذلك ، ففسر انه سيفل ما ذرت عليه الشمس ، فسمي بذلك ذا القرنين . وقيل : لانه ملك فارس والروم . وقيل : لانه كان اذا قاتل قاتل يديه وركابيه جميعاً . وقيل : انا سمي ذا القرنين لانه كان كريم الطرفين من اهل بيت شريف من قبل امه وابيه . وهذا هو الأرجح .

واما كلمة (اسكندر) فانها يونانية . معناها : (المعين) و (المدافع) .

(١) هذا ما ذهب اليه اكثر المؤرخين . وقال آخرون ومنهم

المستر بيرسون ٣٣٤ ق. م .

(٢) (كتاب السياسة) لارسطو .

(٣) بيت الطبل ، ويشتمل على طبول متعددة . معها ابواق وزمارات .

(٤) كلمة يونانية . معناها : « الهدف » و « الاشراف » .

(٥) راجع الفصل الثامن من الكتاب الحادي عشر . الصفحة

بتحريض من أخيه جدوع ، وطلبوا اليه ان يطلق امرأته ، او ان لا يقترب من منبر الوعظ . فاصر منسه على الاحتفاظ بامرأته . وراح الفريقان يدسان الدسائس لبعضها البعض ويجمعان الانصار . واراد سنبلاط نسيب منسه ، ان يرشي خصوم صهره بالمال . ولكن دون جدوى . وكان هذا يعلل نفسه باقتراب جيش دارا ليتكىء عليه في تحقيق آماله . ولكن آماله لم تتحقق . إذ ان الحروب التي دارت رحاها بين دارا والاسكندر كانت عاقبتها وبالاً على الفرس . فتمكن الاسكندر من قهرهم . وراح يفتح المدن والامصار التي كانت بيدهم . فاحتل دمشق وصيدا . ثم راح يحاصر مدينة صور . وفيما كان يحاصرها ارسل رسله الى الحاخام الاكبر بالقدس ، طالباً منه ان يمهده بعدد من المتطوعين ، وان يكون على صلات حسنة مع المكدونيين ، كما كان قبل ذلك مع الفرس . ولما لم يأتيه جواب يرضيه استشاط الاسكندر غضباً . وكانت صور قد سقطت في يده . فولى وجهه نحو القدس . واقسم ان لا يهنا له بال حتى يدخلها ويوقف رئيس الكهنة عند حده ، فيجعله عبرة لمن اعتبر . عندئذ رأى سنبلاط الفرصة سانحة ، فانتزها . وقلب لدارا ظهر المجن . فاخذ معه سبعة آلاف رجل من اتباعه ، وجاء الى الاسكندر وهو منهمك في حصار غزة^(١) فقال له : انه وقومه يؤثرون الدخول تحت رايته على البقاء في حكم دارا . وقد حدثه سنبلاط بما كان يدور في خلد في ذلك الحين عن صهره منسه وعن اخيه الكاهن الاعظم جدوع . واكد له انه من مصلحة الملك ان تكون قوى اليهود منشطرة الى شطرين ، كي لا يتفقوا ويتحدوا . والا فانهم يكونون مصدر شغب وتعب للملوك اليونان كما كانوا في السابق مصدر شغب وتعب للملوك آشور .

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذا الحصار في كتابنا : (تاريخ غزة) .

حتى لم يبق منهم فيها احد من السكان . ولما وصلوا الى مكان يسمى (صفا^(١)) التقوا بالاسكندر . وصفا هذه كلمة يونانية معناها الرجاء او الامل . ومنها يتمكن القادم من رؤية القدس وهيكلها معاً .

هـ - واما الفتح نفسه فقد تم صلحاً . فلم تقطر من اجله نقطة دم . واذا اردت ان تعرف السبب في ذلك فاستمع الى القصة الآتية نقصها عليك بوجه الاختصار منقولة عن يوسفوس نفسه ، ذلك المؤرخ اليهودي الذي عرف نفسية قومه اكثر من غيره من المؤرخين . قال^(٢) :

كان الفرس ، على عهد ملكهم دارا ، قد اقاموا على السامرة حاكماً يديرها باسمهم . وكان هذا الحاكم يدعى (سنبلاط) . وله بنت تزوجها (منسه) اخو (جدوع^(٣)) كاهن اليهود الاعظم بالقدس . وكان اليهود غير راضين عن منسه هذا لاقتراانه باجنبية . وكذلك كان اخوه جدوع . لا بل كان هذا اشد كرهاً لآخيه بسبب انه كان يرمي لان تكون وظيفة الكهنوت في يده . ولطالما تشاجرا من اجل ذلك . فذهب وفد من اليهود الى منسه

(١) يقول المؤرخ الانجليزي المعروف ويليام في كتابه (Holy City) ج ١ ص ٦٩ ان صفا Sapha هذه هي بيت صفا الكائنة قبلي القدس ، وان اليهود التقوا بالاسكندر عندها يوم جاء من غزة الى القدس بقصد تخريبها ، وانهم استقبلوه لابسين ثياباً بيضاء ، وقضروا اليه ان لا يؤذيم . فقبل قضرهم ولم يؤذم ولم يؤذها .

(٢) « The Antiquities of the jews » by Flavius Josephus, translated by william whiston, printed in London & New York, Book XI' Chap. VIII, P.P. 323 - 325

(٣) وفي قول آخر ان اسم الكاهن الاعظم يدوع وليس جدوع . انظر الى الجزء الثاني من المجلد الثالث من (تاريخ سورية) للطبراني يوسف الدبس . ص ٦٤ . طبع بيروت ١٨٩٨ .

فارجع الى بلادي. فقال له رئيس الكهنة: « اذهب ايها الملك العظيم ، فان الله معك^(١) » .

٦ - منح الاسكندر اليهود الحرية . وسمح لهم بان يحكموا انفسهم بانفسهم . واعفاهم من دفع الجزية مرة في كل سبع سنين . وقد سكوا على عهده نقوداً نقشوا عليها : اورشليم المقدسة . خلاص صهيون . عصا هارون . اناء على شكل كوب بدون مقبض . وقد نقش عليها من الخلف باللغة العبرية : شاكل اسرائيل^(٢) . نصف شاكل . ربع شاكل .

٧ - عندما مات الاسكندر (٣٢٣ ق. م) اقتسم ملكه قواده الاربعة ، يهمناس منهم اثنان :

(أ) (سلوقس) حاكم سورية .

(ب) (بطليموس) حاكم مصر .

وكانت القدس من نصيب بطليموس^(٣) .

٨ - حكم بطليموس اليهود رغم انوفهم . ارادوا مقاومة ، إلا أنهم لم يفلحوا . إذ شخص اليهم بجيشه . وحاصر القدس . فامتنعت عليه في بادئ الامر . ثم علم ان اليهود يحترمون السبت ، ولا يأتون بعمل فيه ؛ فهاجم المدينة في يوم سبت . وقعد اليهود عن الدفاع . فافتتح المدينة ، ودك قسماً من حصونها ، وعامل اهلها كما عامل اليهود في سائر انحاء البلاد معاملة قاسية . وأخذ منهم اكثر من مئة الف اسير

(١) تذكر ايها القاري الكريم ان دارا الذي يمرضه على محاربه هو الذي انقذ اليهود وقومه من النفي ، وهو الذي ارجعهم الى اورشليم وحمام واثاح لهم بناء الهيكل !... والله في خلقه شؤون .

(٢) الشاكل عشرون جيره ويساوي حوالي ١٥ جراما .

(٣) قال الاسناد عيسى اسكندر العلوف ان (بطليموس) كلمة يونانية معناها : (العكاوي) نسبة الى (بطولمايوس) اسم عكا اليوناني . ومن الخطأ القول (بطليموس) كما يفعل الكثيرون . وتجمع على بطالة وبطالة .

في هذه الاثناء كان الاسكندر قد نجح في احتلال غزة وأمّ القدس قاصداً تدميرها .

ولما سمع اليهود باقتراب الاسكندر وجيشه من المدينة هرعوا لاستقباله في ظاهرها . هرعوا كلهم حتى لم يبق في المدينة أحد من السكان . ولما مثلوا بين يديه في مدخل المدينة ، قابله الكهنة والشيوخ بحلل بيضاء ، وراحوا يتضرعون اليه طالبين العفو .

كان القينيقيون والمقدونيون المنحرفون في جيش الاسكندر يؤملون ان يسمح لهم قائدهم نهب المدينة ، وقتل الكهنة وتدمير الهيكل . ولكن شيئاً من هذا لم يحدث . إذ صاح اليهود بصوت واحد مرحبين بمقدم الاسكندر . وراه الكاهن سفردانيال من اسفار التوراة وقد جاء فيه « ان احد اليونان سيتغلب على الفرس وسيقوض عرش الاكاسرة » .

من هذا نرى ان فتح القدس قد تم صلحاً . وكان عدد سكانها يومئذ مئة وعشرين الفا . ويقول يوسفوس بعد ايراد قصة الفتح بالشكل المتقدم ، ان الاسكندر طلب من الكاهن الاعظم ان يعلمه عما يبتغي . فقال له هذا انه لا يبتغي شيئاً سوى ان يتاح له العمل بقوانين اجداده ، وان لا يدفع الجزية في السنة السابعة . فمنحه الاسكندر ما يشاء . وقد طلب منه ومن باقي افراد الشعب اليهودي ان ينخرطوا في جيشه ، وان يرافقوه في حروبه . فتطوع عدد منهم لهذه الغاية .

ليس هذا فحسب . بل قيل^(١) ان الاسكندر سأل رئيس الكهنة قائلاً : « انني ذاهب لمحاربة دارا وقومه الفرس . فهل ذلك بارادة الله ام لا ،

(١) تاريخ القدس الشريف لسركيس . ص ٢٩ و ٣٢ .

١٠ - ويظهر ان السلوقيين ، حفدة الاسكندر في سورية ، عادوا فتغلبوا على البطالسة . وصارت القدس من املاكهم . ومن حكامهم الذين كان لهم شأن في ادارتها انطيوخس الرابع ويعرف بـ (انطيوخوس ابيفانوس^(١)) . فقد احتلها سنة ١٦٨ ق. م^(٢) وهدم اسوارها ودك حصونها ونهب هيكلها . ثم ضربه . وقتل من اليهود ثمانين الفا في ثلاثة ايام لافرق بين الشاب والشيخ او بين المرأة والطفل وأتى يخذ من اليونان لمحايتها ضد غارات الأعداء . وبني لهم فيها حصناً . بناه بشكل يمكنه من الاشراف على التل الشرقي وعلى المدينة القديمة . وقد وسع القسم السفلي للمدينة ، وكان هذا داخلا في مدينة داود . وحصنه ، فجعله قشلاقاً للجيش السوري ، اقام فيه اليهود الجاحدين (المرتدين) . وقصارى القول عامل انطيوخوس اليهود شر معاملة فذبح على مذبحهم الخنازير ، ونصب فوقه التائيل . وكان دليله في اكثر اعماله منلاوس^(٣) رئيس الاحبار اليهود الذي خان قومه وحصل على مركزه بواسطة الخيانة والنفاق .

١١ - ومما ذكره ابن العبري^(٤) عن اعمال انطيوخوس : « انه نصب في مكان الهيكل صنم زاوس وهو المشتري ، والزم كاهن اليهود ان يضحي لهذا الصنم الأضحية . ولأنه ابنى ، عاقبه بالموت . ثم قيل له ان امرأة اسمها (اشموني) مع سبعة من بنينا قد سبوا الاصنام . فاحضرهم بين يديه ، واماتهم شرميتة . ودفنوا في اورشليم . »

(١) (انطيوخوس) كلمة يونانية . معناها : (المصادم) . ويجوز لفظها : (انتيوخوس) . و (ابيفانوس) ايضاً كلمة يونانية . معناها : (الظاهر) .

(٢) يقول المستر بيرسون ١٧٨ ق. م .

(٣) تاريخ سورية للطران يوسف الدبس . ج ٢ ص ١٦٦ .

(٤) ص ١٠١

الى مصر . ثم عاد فلان في معاملتهم واستخدم فريقاً منهم في اعمال الحراسة .

ولم يتدخل في عاداتهم وتقاليدهم . غيز انه اثقل كاهلهم بالضرائب . ومما هو جدير بالذكر ان بطليموس انتدب رجلاً يهودياً يدعى (يوسف بن طوبياس^(١)) مديراً للمال ورئيساً للحجبة في سوريا والبلاد الفينيقية . وخوله - بناء على طلبه - سلطة واسعة ، وارفقه بالفي جندي مستأجر لهذه الغاية ، ليتمكن من تحصيل الضرائب بالقوة عند اللزوم . فاصبح مدير المال هذا هو الحاكم الفعلي المسيطر على جميع بلاد فلسطين . وظل الناس كذلك مدة ذاقوا خلالها مر العيش . إذ انه جمع الضرائب بالقوة من جميع البلاد دون ان يجد اية مقاومة تذكر .

٩ - ولقد وردت حكاية الضرائب هذه في بعض الكتب الاخرى على غير هذا الوجه . فقال المطران يوسف الدبس في كتابه (تاريخ سورية) الجزء الثاني ، المجلد الثالث ، الصفحة ١٢٣ ، نقلاً عن (تاريخ اليهود) ليو سيفوس ك ١٢ فصل ٣ و ٤ ما يأتي :

« ان اونيا رئيس احبار اليهود تقاعد عن دفع الجزية المعتاد دفعها كل سنة لبطليموس ، وقدرها عشرون وزنة^(٢) . ارسل بطليموس اثنينون احد عماله الى اورشليم ، ليرغم اهلها على الدفع ، وهددهم بالطرد . فعظم القلق في اورشليم . واوقفوا يوسف ابن اخي اونيا الخبر . وكان هذا قد اشتهر بذكائه . فبرأ ساحة عمه . ثم طرحت ضرائب سورية واليهودية والسامرة في المزاد . فالتزمها يوسف بستة عشر الف وزنة اي ضعفي البديل المعروض . فأقطعه الملك تلك الأعمال عشر سنين . فقام بما فرض عليه . »

(١) (تاريخ غزه) للمؤلف .

(٢) كناية عن مئة وعشرة آلاف فرنك .

١٣ - ولقد حرض الوصي على العرش سكان يافا فتآمر هؤلاء على اليهود، ووعدوهم ان يركبواهم ونساؤهم واولادهم قوارب اعدوها لهم . ولما امعنوا في البحر اغرقوهم . وقامت بين المكابيين والعرب على اثر ذلك وقائع كثيرة . وانتشرت هذه فشمלת اليونان واليهود ، فراحوا مرة اخرى يتحاربون . وحاصر جيش انطيوخوس الخامس اورشليم . وكان هذا مؤلفاً من مئة الف من المشاة وعشرين الفا من الفرسان^(١) . حاصرها اياماً طويلة واذاقها مر العذاب . وامر الملك بهدم السور ، فهدم (١٦٣ ق.م) . وكاد يفتك باليهود لولا انه اضطر للرجوع الى انطاكية بسبب الثورة التي نشبت في سوريا ، والتي انتهت بانتصار خصمه ديمتريوس الاول الملقب بـ (سويتر^(٢)) . فرفع الحصار وتنفست اورشليم الصعداء .

١٤ - اقام الملك ديمتريوس على رأس الادارة في اورشليم (بكيديس^(٣)) . وقلد (الكيمس^(٤)) رئاسة الاحبار . ووضع تحت تصرف الاثنين جيشاً كبيراً ليحكم به البلاد . اراد بكيديس ، في بادىء الامر ، ان يمنح الى السلم . ولكنه عاد فجنح للبطش ، عندما ايقن ان اليهود قوم مشاغبون . وان سياسة السلم واللين لا تجدي معهم . فقبض على ستين رجلاً منهم ، وقتلهم في يوم واحد . ثم قبض على كثيرين آخرين وذبهم^(٥) . وقامت بعد ذلك وقائع كثيرة

ليس هذا فحسب . بل حرم^(١) عليهم القيام بشعائرهم الدينية . فاحرق كتبهم ، وحظر عليهم الختان ، وارغمهم على انتهاك حرمة السبت ، واكل الخنزير . واهلك منهم خلقاً كثيراً . وسبى النساء والاطفال . ومن نجا من الموت هرب من المدينة .

ان العامل الذي كان في القدس في ذلك الحين (١٦٧ ق.م) والذي قام بتنفيذ سياسة مولاة حرفاً بحرف هو (ابوليناس^(٢)) . كان هذا رئيساً للجزية . وكان يعمل تحت امرته اثنان وعشرون الفا من الجند . وكانت عاقبة هذه السياسة ان قامت في القدس الثورة المعروفة بثورة المكابيين . تلك الثورة التي ضعفت حكم اليونان (١٦٥ ق.م) . وقد فصلناها تفصيلاً في غير هذا المكان .

١٥ - بعد وفاة انطيوخوس الرابع تولى الملك ابنه انطيوخوس الخامس ولقب (اوباتور) اي الشريف أباً . ودام في الملك سنتين (١٦٤ - ١٦٢ ق.م) . ولما كان صغير السن تولى الامر (ليسياس) ، الوصي على العرش ، الذي نصبه ابوه قبل موته . فسالم هذا سكان البلاد . وسمح لليهود^(٣) بمباشرة فروضهم الدينية ، على شرط ان يخلصوا للدولة والملك . هذا كان في بادىء الامر ، ولكن ليسياس لم يكن مخلصاً في تصرفه . بل ، كان ينتظر اليوم الذي يستطيع فيه ان ينفذ وصية انطيوخوس ايفانوس ، فيبيد اليهود^(٤) من الوجود . وراح يؤيد الحزب المناوئ للمكابيين الذي يرأسه رئيس الكهنة منلاوس . لا ، ولا كان يهودا المكابي بمرتاح لهذه الهدنة . وكان يتوقع من ورائها شراً .

(١) (تاريخ شرق الاردن وقبائلها) لبيك باشا . ص ٤٢ .

(٢) اي الخلس او المنقذ .

(٣) احد امراء الملك . وكان قبل ذلك والياً عبر الفرات .

(٤) يهودي من بني هارون الذين لا تحق لهم الرئاسة . كان اسمه (يواقيم) ثم استبدله بـ (الكيمس) تشبهاً بالاسماء اليونانية . وتزلفا الى الحكام اليونان . فاختره الملك لرئاسة الاحبار . وقد حرض الملك ضد المكابيين . وكان السبب فيما جرى بعدئذ من حروب (يوسيفوس ك ١٢ فصل ٩) .

(٥) (تاريخ سورية) للطران يوسف الدبس . ص ٢٠٢ .

(١) تاريخ (شرق الاردن وقبائلها) لبيك باشا . ص ٤١

(٢) جاء ذكره في بعض الكتب (ابولينوس) و (ابولونيوس) .

(٣) سفر المكابيين الثاني - فصل ١١ عدد ١٣ .

(٤) (تاريخ سورية) للطران يوسف الدبس . ج ٢ ص ١٩٢

المكابيين بعد مقتل أخيه يهوذا ، رئيساً للاحبار .
واما ديمتريوس فقد وعد سكان أورشليم بالوعود
التالية (١) :

وعدهم (٢) بأن يعفيهم من الجزية ، ومن مكس
الملح (الذي كان مفروضاً على ما ينفق منه او
يباع) ، ومن ضريبة الاكاليل (كان مفروضاً على
كل واحد من الرعية ان يدفع حصة معينة من ثمن
الاكليل الذي يقدمه للملك) . ووعدهم ان يترك لهم ثلث
الزراع (قيل ان المقصود من ذلك البذر ، فمن بذر
مثلاً اثني عشر مدّاً لزمه ان يدفع للملك اربعة أمداد
من الحبوب) . وأعفاهم ايضاً من دفع نصف آثاء
الشجر (اي ثمارها) . ووعدهم باعفاهم من العشور
والضرائب ، ومن اتاوة المواشي .

هذا فيما يتعلق بالضرائب والمكوس .

ثم وعدهم بأن تكون أورشليم مقدسة وحرّة
هي وتخومها ، وان يطلق سراح المعتقلين ، ويعفو
عن المجرمين ، وأن لا يثقل عليهم في أي أمر كان .
وقبل ان يكتب في جيش الملك ثلاثون الف رجلاً
منهم ، وان يدخل خدمات الدولة من شاء منهم .
ووهبهم واردات عكا وما يتبعها ، لينفقوها في سبيل
معابدهم ، على ان يزيد عليها كل سنة خمسة عشر الف
مئقال من الفضة ، تعطى لهم من دخل الملك الخاص
وما يفيض من مال الحكومة . ويدفع الملك من
جيشه الخاص جميع النفقات اللازمة لبناء الاسوار
وأعمال التجديد والترميم .

ولكن كفة الاسكندر كانت هي الراجحة .

(١) انبأ على ذكرها خصيصاً لان فيها ما يدلنا على طبيعة اليهود
من ناحية وعلى نوع الضرائب والرسوم التي كانت تفرض على
سكان أورشليم في ذلك العصر من الناحية الاخرى .

(٢) (تاريخ سورية) لبطران الدبس . الجزء الثاني . المجلد
الثالث . ص ٢١٠ .

بن اليهود انفسهم : (انصار الكيمس من ناحية
والمكابيين من الناحية الاخرى) سالت فيها دماء
كثيرة .

١٥ - ثم استبدل الوالي بكيديس بوال غيره
يدعى (نكانور) . فهبط هذا اورشليم . وكان معه
جيش كبير . فاراد هذا ايضاً ، بادىء ذي بدء ،
ان يمنح الى السلم . ولكن موقفه هذا لم يعجب
رئيس الاحبار الذي راح يشي به الى الملك . فأمره
الملك بالقاء القبض على رئيس المكابيين وارساله اليه .
فقامت بين الفريقين حرب من جديد . وسالت فيها
دماء . وقتل نكانور . وخشي المكابيون أن يبطش
بهم ديمتريوس ، فارسلوا رسولين من رجالهم الى روما .
وعقدوا مع الرومان حلفاً (١٦١ ق . م) الغاية
منه اتقاء شر اليونان .

١٦ - بعد مقتل نكانور عاد الملك ديمتريوس
فارسل الى أورشليم الوالي السابق بكيديس ورئيس
الاحبار الكيمس ، وارفقها بجيش كبير ، نزلاً به
اورشليم . وقامت بين اليونان والمكابيين حروب
جديدة ، قتل فيها يهوذا المكابي (١٦٠ ق . م) .
والقى الوالي بكيديس القبض على أبناء الزعماء
وجعلهم رهائن ، وزجهم في قلعة اورشليم . ثم أرسلهم
الى روما . عندئذ هدد اليهود . وجنحوا الى
السلم . فاصطالح الفريقان . واستتب الهدوء الى
حين . وكانت (انطاكية) يومئذ العاصمة التي يرجع
اليها مندوب الملك الذي يقيم فيها في مختلف الشؤون .

١٧ - ثم جرى قتال من اجل الحكم بين الملك
ديمتريوس ومنافسه (اسكندر بن انطيوخوس
ايفانوس) . كان النصر فيها لحليف الاسكندر
(١٥٠ ق . م) . فاستغل اليهود هذا التنافس .
وراحوا يعرضون خدماتهم على من يؤمن لهم مصالحهم .
اما الاسكندر فقد اعترف بيوناثان الذي قاد

٢٠ - قبل ان نختتم هذا الفصل ، نرى لزاما علينا ان نقول كلمة في الطابع الذي تركه عصر اليونان في هذه البلاد ، والآثار القديمة التي وجدت فيها ، ولها صلة بذلك العصر .

اما مميزات عصر اليونان في هذه البلاد فهي :
(أ) ظهور العنصر اليوناني وانتشاره في جميع البلاد بكثرة تلفت الانظار . حتى انهم امتزجوا بسكان البلاد الاصليين ، وناسبوهم .

(ب) انتشار اللغة اليونانية انتشاراً أصبحت معه لغة البلاد الرسمية ، ولغة العلم والمدارس . واما اللغة التي كان يستعملها اهل البلاد الاصليين فقد كانت يومئذ اللغة الآرامية . وقد ظلت الحال كذلك حتى خراب القدس الاول على يد تيطس وخرابها الثاني على يد ادریان .

(ج) اقتباس اهل البلاد الصناعات اليونانية ، ولا سيما صناعة الفسيفساء التي انتشرت بكثرة في الابنية ، سواء اكانت هذه في المدن ام في القرى .

(د) انتشار الحضارة اليونانية والثقافة . فقد اسس اليونان المدارس ، وبذلوا ما في وسعهم لينشروا عن هذه الطريقة آدابهم وافكارهم ومبادئهم وتقاليدهم ، حتى ومعتقداتهم الدينية .

(هـ) انتشار النقود اليونانية^(١) ، وكانت على عهد الاسكندر بديعة السك والنقش كنقودنا الحالية وان كانت من النحاس^(٢) . وقد نقشت عليها رموز مختلفة للاله والالعب الاولمبية ، كما نقشت عليها صور الملوك والقواد .

(و) انتشار التجارة اليونانية . فقصد انشأوا المصارف (البنوك) واتخذوا السفاتج (البوالس) فاقتبس ذلك عنهم اهل البلاد .

(١) (مجلة الآثار) لصاحبها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ٥٠ - ٩ ص ٤٦٢ .

(٢) بقيت النقود اليونانية التي سكها الاسكندر على هذا الشكل في عهد خلفائه . وظلت كذلك حتى اوائل العهد المسيحي .

١٨ - انك ترى مما تقدم ان القدس كانت خلال القرن الثاني قبل الميلاد ، كريشة في مهب الريح . لا تعلم اين ، ولا متى تستقر ؟ يخطفها القوي من الضعيف . فلا تكاد تخضع لسورية يوماً او بعض يوم حتى تسي واذا هي في احضان مصر . تارة مع السلوقيين وطورا مع البطالسة .

١٩ - وفي خلال هذا التنافس كان المكابيون يظهرون على مسرح الوجود تارة ، واخرى يختفون . ولكنهم كانوا في اغلب الاحيان يختطفون ويدسون الدسائس لبعضهم البعض . فتضعفوا . وفي سنة ٧٠ ق . م . اخذ اريسطوبولس المكابي التاج عنوة من اخيه هركانوس الثاني . فقامت بين الاخوين حرب اهلية . وراح كل منهما يستنجد بدولة اجنبية من الدول المجاورة له ليتقلب على اخيه . فاستنجد هركانوس^(١) بالচারث ملك العرب . فانجده هذا وامده بجيش قوامه خمسون الف مقاتل ، وتغلب على اريسطوبولس^(٢) وجيشه ، وحاصر القدس ، وكاد ان يحتلها ، لولا ان جيش روما الذي كان استنجد به اريسطوبولس والذي جاء يقوده (بومي) كان اكثر عددا . فكان النصر حليفه . ودخل بومي القدس ظافرا (٦٣ ق . م) . وبهذا الفتح تم القضاء لا على الحكم اليوناني فحسب ، بل وعلى الغطرسة المكابية ايضا . وما كان بومي لينجح في هذه المهمة ، لولا ان البلاد كانت منقسمة على نفسها ، وان الفوضى كانت تجتاحها من ادناها الى اقصاها .

(١) (التاريخ القديم) ص ٣٤٦ .

(٢) قال المتر كاست ان الطبقة المتدينة من اليهود كالت تمضد اريسطوبولس في خطئه . وان هذه الطبقة كانت ترمي الى التغلب على اعوان هركانوس والى دفع عادية العرب . واما المطران الدبس فقد ذكر في كتابه (تاريخ سورية) ج ٣ ص ٢٦٦ واطنه نقل روايته هذه عن (تاريخ اليهود) ايوسيفوس كتاب ١٣ فصل ٢٤ وكتاب ١٤ فصل ٤١ قال : « اتى جم غفير من اليهود يسألون بومبي ان يريهم من ولاية كايها . لانه لم يكن من عاداتهم ان يتولاهم ملوك بل ان يسوسهم رئيس كهنة ويقضي بينهم بحسب سنتهم » .

القدس في عهد الرومان

(قبل المسيح)

وعادت المياه الى مجاريها ؟ غادرها بومبي ، بعد ان اقام حاكماً عاماً عليها (اسكارس^(١)) . وخوله ان يحكم باسم روما جميع البلاد السورية من الفرات الى تخوم مصر . حكم هذا المدينة بشدة : فالغى المجمع العام ، وهدم الاسوار ، وقضى على حرية الشعب اليهودي قضاء تاماً . ففرض عليهم ان يقدموا عند هيكلم في كل يوم ذبيحة تكريماً لقيصر ولروما . ذلك رمز الولاء والخضوع . وكان اليهود يفعلون ذلك مكرهين .

٤ - والأنكى من ذلك كله انه اسر اريسطوبولس الذي استنجد به . اسره هو واولاده . وارسلهم الى روما مصفين بالاغلال ، ليشهدوا استعراض جيشه ؛ ذلك الاستعراض الذي اقامه احتفاء بالنصر .

٥ - عندما قضى بومبي نخبه في روما ، واستولى على العرش (يوليوس قيصر^(٢)) ٤٩ ق. م ، تنفس اليهود الصعداء . ذلك لان يوليوس كان معروفاً بميله اليهم . فولى (انتيباتر^(٣)) الحكم ، وجعله كوال (Procurator) منتدب من قبل روما لادارة البلاد (٤٦ ق. م) . واقام من تحته (هركانوس) الحشموني حاكماً على القدس . ولكن النفوذ المكابي

قلنا في اخر فصل اليونان ان المكابيين الذين سيطروا على مقدرات القدس زمناً ، راحوا يدسون الدسائس لبعضهم البعض ، فتضعضوا ؛ وان اريسطوبولس المكابي اخذ التاج عنوة (٧٠ ق. م) من اخيه هيركانوس الثاني ؛ وانه قامت بين الاخوين حرب اهلية كان من نتائجها ان تدخلت روما في الامر . فجاء (بومبي^(١)) - وكان يومئذ في سورية ية قضى على ما تبقى من الدولة السلوقية - وحاصرها (٦٣ ق. م) . قيل انه جاءها عن طريق اريحا ، وانه هاجها من الناحية الشمالية للهيكل .

دام الحصار ثلاثة شهور^(٢) ، ضربت القدس خلاها بالمنجنيقات . وقال يوسيفوس انه كان هناك جسر يربط منطقة الهيكل بجارة صهيون ، فهدمه بومبي^(٣) وظل يضرب المدينة حتي احدث ثقباً في اسوارها ، وتمكن من احتلالها .

٢ - عندما تم للرومان ما ارادوا ، راحوا الى الهيكل ؛ فدخلوه ، واستباحوا حماته ، واعملوا في سكانه السيف بلا شفقة ولا رحمة . وراح بومبي يتوغل في ردهاته ومخادعه ، الى ان توصل الى قدس الاقداس ، الامر الذي يعتبره اليهود تدنيساً لهيكلمهم . وزاد في طين اليهود بلة ان ذلك كله جرى في يوم سبت .

٣ - ولما تم احتلال المدينة واستتب الامن

(١) ان اسمه الحقيقي عند الرومان (كنبوس بومبيوس) .

(٢) التاريخ القديم ص ٣٤٦ .

(٣) Valentine, P. 33

(١) او (اسكورس) وهو الذي تولى قيادة جيش الاحتلال .

(٢) (قيصر) كلمة لاتينية . اصلها : سيزر . ومعناها (المشقوق عنه) .

ذلك لانهم شقوا بطن امه يوم ولد . و (يوليوس) السعيد .

(٣) يهودي المذهب آتومي الاصل روماني التابعية .



القديس يوسف النجار . . ومريم البتول . . وفي حضنها السيد
المسيح . . في طريقهم الى مصر . . هرباً من ظلم هيرودس الملك



يوليوس قيصر



اسكندر ذو القرنين

في عهده تولى هيرودس ادارة القدس سنة ٤٩ ق.م

القائد المقدوني الذي فتح القدس سنة ٣٣٢ قبل الميلاد



سوتر (بطليموس الاول)



نقود رومانية

ومن صفاته^(١) انه رجل حرب وكفاح . وهو ذكي وقوى الارادة . لكنه ظالم يضحى بكل شيء في سبيل غاياته . وقد قتل^(٢) امرأته (مرينا) وثلاثة من اولاده هم اسكندر واريستوبولس وانتيباتر . قتل الاثنين الاولين بوشاية انتيباتر الذي زعم ان اخويه تأمر على ابيهما من اجل الملك . ثم قتل انتيباتر عندما ايقن انه هو ايضا قد تأمر مع الفريسيين على قتل ابيه . وشهد كثيرون على انه حاول ان يدس له سماً . ولما قتل هيرودس اولاده قال قوله المشهور^(٣) : « يحلو للمرء ان يكون خنزيراً لهيرودس على ان يكون ابناً له . » وكان ذلك قبل الميلاد بسنة .

٩ - حاول هيرودس التوفيق بين اليهود والرومان . ولما فشل في مهمته شايخ الرومان ضد قومه . ولقد ساعدتهم على توطيد اقدامهم في البلاد . ولما رأى ان الشعب يبغضه حاول ارضاءه ، وذلك بتجديد بناء الهيكل^(٤) . فشرع في السنة التاسعة عشرة من حكمه بالعمل . وقد تم تدشين البناء الجديد قبل ميلاد السيد المسيح باحدى عشرة سنة . ويقال ان قسماً من سور الحرم الحالي بني يومئذ . وقصارى القول احتقر هيرودس اليهود . فكان يضحكهم تارة ، ويبكيهم اخرى .

١٠ - ومن اعماله انه بنى (القلعة) الكائنة بباب الخليل . وبنى حولها ثلاثة ابراج . والحجارة الضخمة التي نراها الان في اساسها من بنائه . وكان له بجانب القلعة قصر كبير . وقد شاد

القديم كان قد ضعف ، وسلطة الحشمونيين كانت قد تضاءلت حيال سلطة (انتيباتر) الآدومي .

٦ - ولما مات انتيباتر تسلم زمام الادارة في القدس ابنه (فضايل) . وكان اخوه هيرودس والياً في الجليل . فراح الحشمونيون بقيادة هيركانوس ، والآدوميون بقيادة فضايل يقتتلون في شوارع القدس . فكانت الغلبة ، في بادىء الامر ، للحشمونيين . وهرب هيرودس الى روما . وكان يوليوس قيصر قد مات .

٧ - تمكن (هيرودس)^(١) من اقناع روما بصواب رأيه . وحصل ، بمعونة ماركوس انطونيوس واوقنافيوس^(٢) على لقب : (ملك اليهود) . ولكن هذا كان خاضعاً في جميع حركاته وسكناته الى روما . وكانت كلمتها هي العليا . وبعبارة اخرى كانت فلسطين على عهده مستقلة استقلالاً داخلياً تحت السيادة الرومانية .

٨ - لنقف الآن برهة نصف خلالها هذا الرجل (هيرودس) الذي اشغل حيزاً من كتب التاريخ . فنقول :

انه آدومي الاصل . اعتنق الديانة اليهودية ، ثم خرج على المكابيين انتقاماً لابيه الذي قتله هؤلاء . والتجأ الى الرومان ، فنصبوه ملكاً على فلسطين . وقد امده انطونيوس بالجند ، فقضى على المكابيين ، وقتل آخر ملوكهم انتيكانوس بن اريستوبولس الثاني (٣٧ ق . م) . وكان اليهود يكرهونه بالرغم من انه امدهم بالمال والحبوب اثناء المجاعة التي اصابتهم عام ٢٢ ق . م . ورسم بناء الهيكل (١٨ ق . م) وقد كانوا يعتبرونه اجنبياً ، ذلك لانه كان يحب التقاليد الرومانية .

(١) البرغوثي وطوطح .

(٢) (تاريخ سورية) للطران يوسف الدبس ج ٢ ص ٢٩٦ .

(٣) يوسيفوس ك ١٦ .

(٤) هذا هو الهيكل الثالث . الاول هو الذي بناه سليمان الحكيم .

والثاني هو الذي بناه زربابل بعد رجوع اليهود من السبي .

ويقول بعض المؤرخين ان هيرودس لم يبن هيكلًا جديدًا

وانما اضاف الى الهيكل القديم بعض الاروقة .

(١) (هيرودس) كلمة يونانية . معناها : (هبة هيرا) زوجة المشتري .

(٢) صار بعدئذ امبراطور الرومان . ولقب بـ : (اغسطس قيصر) .

السبب^(١) الذي حدا به لبناء المبدن^(٢) والقلاع والقصور والحصون .

١٣ - سكنت على عهد هيرودس (٤٠ - ق . م) نقود في اورشليم . نقش عليها باللغة اليونانية اسم الملك هيرودس . واشكال مختلفة منها : خودة بين تختين يعلوهما نجم . ومجن مزخرف . وقرنان . وقرنان يحيطان برمانة . ونسر يشبه النسر الذي يشاهد على نقود البطالسة .

١٤ - اقام الرومان ، على اثر وفاة هيرودس الملك ، ابنه (ارشيلوس) مكانه ٤ ق . م - ٦ ب . م . ولكن هذا عجز عن ادارة البلاد . فقامت فيها ، ولا سيما في اورشليم ، ثورات وقلاقل انتهت باقالاته . وقام كثير من رؤساء الاحزاب فنادوا بانفسهم ملوكا . فانتشرت الفوضى . وكثرت حوادث القتل والنهب والحرق والسلب . واضطر الوالي (سابينوس^(٣)) ان يستنجد بـ (فاروس) والى سورية ، و بـ (اريتاس^(٤)) ملك العرب . فانجده كل منهما بعشرين الف فارس . فقمعت الثورة . واخذ الرومان من اليهود الفقي اسيراً فقتلوه فوراً . وذاق اليهود الذل مرة اخرى .

١٥ - وفيما كانت الامور تجري في اورشليم على هذا الشكل ، كان ارشيلوس واخوته في روما يتشاكون امام اغسطوس ، ويسعى كل منهم لظهر الاخر . الامر الذي جعل اغسطوس يحتقرهم كلهم .

(حصن انطونيا^(١)) . وفي وسط هذا الحصن بنى لنفسه قصرأ ملوكيا فخما ، كما شاد عدداً آخر من الابراج والقلاع والهياكل والتماثيل والحمامات . وشاد ملعباً على الطراز الروماني (انفيثاتر^(٢)) . ومن الحصون التي بناها حصن كائن عند الزاوية الجنوبية الغربية للقسم العلوي من المدينة ، وعلى التل المعروف بجبل صهيون .

١١ - وفي آخر سنة من سني حكمه ولد السيد المسيح في بيت لحم . ولما كان هيرودس قد امر بقتل كل طفل يولد في بيت لحم ؛ فقد هربت به امه ، وهرب معها يوسف النجار ، الى مصر ، خشية ان يبطش به ذلك الملك العنيد الجبار . وفي السنة التي تلتها مات هيرودس بعد ان عاش في دست الحكم اربعين عاماً . وقيل انه مات في السنة الرابعة للميلاد .

١٢ - ومن الوقائع الجديرة بالذكر على عهده ان القدس وما حولها من البلدان اصبحت بوباً جارف وقحط شديد لانحباس المطر . فجاج الناس ، ومات كثيرون . فسك هيرودس ما كان عنده من الذهب والفضة ، وارسله الى مصر ، فابتاع به تسعين الف كرم من الحنطة ، وزعها على المحتاجين . واعطى الزراع قسماً منها ليستعملونه بذرا ، على ان يردوه اليه بمقدار ما اخذوا . ولكي لا ييوع العمال اوجد لهم اشغالا . ويقال ان هذا هو

(١) (تاريخ اليهود) ليوسيفوس . ك ١٥ فصل ١٢ وتاريخ سورية للمصنفات المذهب . ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٢) هو الذي بنى (قيصرية) وجدد بناء السامرة وسماها (سبسطية) .

(٣) كان خازن اغسطوس . وقد ارسله هذا الى اورشليم ، ليأخذ خزائن هيرودس . فنشبت نار الثورة في اورشليم وهو فيها . وعهد اليه بتهمة حفظ السلام .

(٤) هو (الحارث) بنت البترا . العربية .

(١) كان هذا الحصن يدعى قبل ذلك التاريخ : (انانيا) وفي قول اخر : (برج بارس) . بناه في الاصل المسكايون . وكان قصراً للوكةهم . فاحاطه هيرودس الى حصن واسع اسماه (حصن انطونيا) كما قلنا ، ذلك تعظيماً لاسم صديقه وحاميه مارك انطونيوس .

(٢) جاء ذكر هذا الملعب في رسائل بيلاطس ص ٥٩ الا انني لم اعثر له على اثر .

١٨ - وعلى عهد يوليانوس ، صلب السيد المسيح^(١) وحدثت في القدس حوادث جسام ذكرها في تقريره^(٢) . الذي رفعه الى قيصر روما (طيباريوس قلوذوس) الذي تسلم العرش ١٤ م وظل فيه عشر سنين . ومن ذلك التقرير نستنتج الحقائق التالية :
اولاً - كان التباغض بين الرومان واليهود شديداً الى درجة ان رئيس الكهنة اليهودي وحاشيته رفضوا تلبية الدعوة التي وجهها اليهم يوليانوس ليحضروا الوليمة التي اقامها للوجوه والاعيان . وقد استقبلوه عند للقدس بحبسه بوجوم .

ثانياً - وصف الوالي الروماني اليهود بالمكر والخبث والرياء . وحذر القيصر منهم قائلاً : انهم يضحون بكل رخيص وغمال في سبيل مصلحتهم .

ثالثاً - ان القدس من اصعب المدن المحتلة من ناحية الحكم . كان يقول عنها^(٣) « انها عش الدسائس والفتن » . شوارعها ضيقة . وهي مرصوفة رصيفاً سيئاً . موارد المياه والمجاري فيها من النوع المتجمل . والامراض منتشرة فيها انتشاراً قبيحاً .

رابعاً - كان للهيكل سور . وكان الرومان يحكمون بالموت على الجندي الذي يتخطى هذا السور^(٤) .

خامساً - ان القوة العسكرية الرومانية التي كانت مرابطة في القدس كانت ضئيلة بدرجة

وصادف ان وصل في ذلك الوقت الى روما وفد يهودي مؤلف من خمسين رجلاً يشكون^(١) من آل هيروودس ، ويرجون قيصر روما ان يضم بلادهم الى سورية ، وان يجعلها اقليماً رومانياً ، وان لا يبقى لليهود الا استقلالهم في الشؤون المذهبية . وانضم الى هذا الوفد ثمانية آلاف يهودي من سكان روما . فضموا اصواتهم الى صوت الوفد .

فكانت النتيجة ان ابقى الرومان جنودهم في اورشليم . واخفوا فلسطين بسورية ، وجعلوها ولاية تابعة لمملكتهم . واتخذوا (قيسارية) عاصمة لولايتهم^(٢) . لقرتها من البحر من ناحية وللحط من شأن اورشليم من الناحية الاخرى . ذلك لأن اورشليم كانت مصدراً للقلق والفتن . وعلى هذا الحال انقلب الحكم الروماني من استقلال داخلي اقطاعي الى نظام استعماري . وراح الحكم الرومانيون يتعاقبون الحكم على هذا الاساس .

١٦ - وانا لذا اكون منهم ما يلي :

- كوبونيوس (٦ - ٩ م)
- مارك ابيفيوس^(٣) (٩ - ١٢ م)
- اينوس روفوس (١٢ - ١٤ م)
- فالريوس غراتوس (١٤ - ٢٦ م)
- بونتيس يوليانوس^(٤) (٢٦ - ٣٦ م)

كان هذا الوالي حاكماً وقائداً عاماً وجابياً للضرائب .

(١) (تاريخ سورية) للمطران الدبس . ج ٢ ص ٣١٣ .
(٢) كان هؤلاء الحكام في بادئ الامر يخابرون روما عن طريق سورية . ثم صاروا يخابرون روماراسا . وراح الواحد منهم يلقب بـ (نائب الملك) .
(٣) وفي رواية اخرى : (ماربيوس اميفيوس) .
(٤) يسميه العرب : (يوليانوس البطني) . كذا ورد في (مختصر الدول) لابن العبري ص ١١٥ .

(١) انظر الى ما ذكرناه عن حادث الصلب في الفصل الذي خصصناه للقدس في عهد السيد المسيح .
(٢) جاء ذكر هذا التقرير في رسائل يوليانوس للاستاذ كروزيير .
(٣) رسائل يوليانوس . ص ٥١ .
(٤) رسائل يوليانوس . ص ٦١ .

المعروفة بكنيسة المسيح عند باب الخليل من الداخل .
وثكنة البوليس ودير مار يعقوب للأرمن . ويقال
ان محاكمة السيد المسيح جرت في هذا القصر ،
وليس في القصر الاخر المعروف ببرج انطونيا في
حارة السعدية حيث يقوم الآن دير راهبات صهيون .

هذا من حيث مقر القضاء . واما من حيث الدار
التي كان يسكنها بيلاطس ، فيقولون انها كانت الى
الشمال من الحرم ، وفي البقعة التي يقوم عليها الآن
القرن المعروف بقرن عبد ربه من الحارة السعدية ،
وبجانب المئذنة المعروفة بالمئذنة الحمراء .

كان بيلاطس يقضى معظم الوقت في التجوال :
مفتشاً مراكز الحدود ، مشاوراً موظفي الإيرادات ،
مصنفاً للمظالم . وقد رأى بعينه تأثير الجذب والمحل
وتعاسة الفلاحين ؛ فالغى الضرائب ، وارسل اليهم
بعض الاعانات من قيسارية عاصمة البلاد .

اخرج بيلاطس من الادارة اكثر الموظفين الذين
كانوا على عهد سلفه . ولكنه احتفظ باثنين منهم
هما : ماركيوس رونوس ضابط الحرب الاول ،
والكسندر سكرتيره اليهودي . وقد كان هذا
بمثابة جاسوس عليه . حتى ان بيلاطس نفسه قال عنه
في رسالته ^(١) : « هناك اثنان لا ينبغي لي اغضابهما
في اي حال : القيصر (لتحفظه الالهة)
والكسندري اليهودي » .

كان لليهود في عهد بيلاطس مجلس اعلى في
القدس يسمونه (السنهدريم) ، ويبلغ عدد اعضائه
السبعين . وهذا المجلس هو الذي كان يحكم اليهود
تحت سلطان الرومان . وهو مؤلف من الكهنة
والموظفين والفلاسفة وكبار المحامين . وكانت

ان الوالي الروماني فيها طلب الى زميله
في سوريا ان يمدّه بقوة من عنده ؛ فأبى
هذا قائلاً ان ما لديه من الجند لا يكفي
للمحافظة على الأمن العام في كورته .

سادساً - تذبأ بيلاطس بقرب اضمحلال سطوة
الرومان في الشرق ، بسبب قلة الجند
اللازمين لحماية امبراطوريتهم المترامية
الأطراف .

استحضر بيلاطس مهندسين : واحداً من
انطاكية ، والآخر من الاسكندرية . ورسم له
هذان المهندسان الخرائط اللازمة لإنشاء الطريقين
اللتين تصلان القدس من الشمال والشرق . وقد
انشأهما : الأولى من الساحل . والثانية من الاردن
وارميا . وكانت ارميا يومئذ ذات اهمية من الناحية
التجارية . وكانت فيها مصلحة جمركية . هذا وان
اعظم عمل قام به هذا الوالي الروماني بالقدس هو
قناة الماء التي بناها من الحجارة ، واسال فيها الماء من
برك سليمان الى القدس . وقد كان في القدس يومئذ
خسوف الفأ من السكان . ولم يكن فيها سوى بضعة
آبار . ولقد عثر المنقبون على آثار هذه القناة بالقرب من
قبة راحيل ، عند مفترق الطريق بين بيت لحم
والخليل . واستعمل من اجل ذلك خزائن الهيكل .
فثار اليهود من اجل ذلك . وكانوا ضد مشروع
القناة . ولكنه اخذ ثورتهم ، وشتت شملهم بالقوة .
الامر الذي ذكرناه بوجه التفصيل في فصلي
(القدس في عهد المسيح) و (مياه القدس في
التاريخ) . فليرجع اليهما من شاء .

كان بيلاطس يجلس احياناً في قصر هيرودس
للقضاء بين الناس . ذلك القصر الذي كان قائماً في
المكان الذي تقوم عليه الآن الكنيسة الانكليزية

« انني رجل فقير . ورغم ما سمعته عن تهديدياتي لليهود ، خلال السنوات الثلاثة المنصرمة ، تراني احاول الابتعاد عن اذاهم . افضل ان اقضي السنوات الباقية لي في منصي هذا ، في هدوء ، الى ان ينقلني قيصر . » ومع هذا كله فقد انتهت ولايته بالجزل .

للفريسيين^(١) والصدوقيين^(٢) مقاعد معينة في هذا المجلس . ولكن الاغلبية فيه كانت للفريسيين . رغم كرهه لليهود كان بيلاطس يداريهم بقدر الامكان . ذلك لانه كان يخشى من دسائسهم ضده لدى قيصر ، ولدى من يعطف على اليهود من اصدقاء قيصر . استمع اليه بحدثك عن هذه الناحية^(٣) :

القدس في عهد السيد المسيح

٢ - عاش بيلاطس في قيصرية ردحا من الزمن . كان يبعث منها باوامره الى اليهود . فلم يعباؤا به في بادئ الامر . بل ثاروا عليه . فساق عليهم كوكبة من جنده بقيادة القائد ماركيوس . فصار الجند الى القدس ، حاملين الاعلام الرومانية . ومع الاعلام صور القياصرة الثلاثة : طيباريوس (الذي كان بيلاطس يحكم باسمه) واغسطس ويوليوس قيصر . ولما وصلوا اليها ، واحتلوا الاماكن المعدة لهم في ثكنة (انطونيا^(١)) ، هاج اليهود وماجوا ، ثم راحوا يهاجمون الرومان في ثكناتهم حاملين العصي الغليظة والحجارة ، وطلبوا نزع الاعلام حالا .

ولما لم يلب القائد طلبهم راحوا الى قيصرية يشكون امرهم الى الوالي بيلاطس . وكان على رأسهم الكاهنان حنان والعاذر ورئيسها قيافا . وكان بين المجموع المحتشدة عدد غير قليل من المتعصبين والمتوحشين الذين وصفهم بيلاطس في الصفحة ٨٢

(١) حيث يقوم الان جيب المسيح وجزء من دير راهبات صهيون على درب اللام ومسندسة الروضة الى الشال القرن من الحرم .

قلنا في الفصل السابق أن (بيلاطس بوتنيوس) هو الوالي الروماني الذي انتدب لادارة القدس على عهد الرومان ، وانه ادارها من سنة ٢٦ الى سنة ٣٦ للميلاد . وفي زمنه صلب السيد المسيح .

كان في بادئ الامر يقيم في قيسارية (قيصرية) التي جعلها قاعدة حكمه . اذ كان يكره القدس . وقد قال عنها في الصفحة ٥١ من رسائله^(٤) : « انها عش الدسائس والفتن » . وفي مكان آخر من رسائله وصفها بأنها « مدينة تعسة . ليس فيها شيء يستحق الاهتمام سوى الابنية الضخمة التي شيدها هيرودس » . وكان فيها يومئذ خمسون الفا من السكان .

(١) الذين يحافظون على الشرع اليهودي ، ويقاومون اليونانيين والرومانيين وغيرهم من الاجانب .

(٢) اكثر مرونة من الفريسيين في امور الدنيا والدين ، ويعرفون بالفتنة المعتدلة .

(٣) رسائل بيلاطس ص ١٢٢

(٤) هذه الرسائل ارسلها بيلاطس الى صديقه سنيكا في روما وقد جمعها الاستاذ و . ب . كروزيير استاذ كلية تربتي بجامعة اوكسفورد . وقد عربت ونشرت في جريدة (فلسطين) سنة ١٩٤٥ .

السيد المسيح . وهناك من يعتقد ان المحاكمة جرت في القصر الذي كان يعرف يومئذ بـ (برج انطونيا) وقد ذكرناه في الاسطر المتقدمة .

٣ - قابل اليهود بيلاطس ببرودة تامة ووجوم . لانهم كانوا يكرهونه . ولم يكتفوا بذلك ، بل رفض رئيس الكهنة ورجال حاشيته الدعوة التي وجهها اليهم بمناسبة وصوله للمدينة وتسلمه الحكم فيها . رغم هذا كله لم يثر . لا ، بل انه لم ينبس ببنت شفة . بل راح يعمل من اجل اصلاح حالة السكان الزراعية والاقتصادية . وكانت هذه في حاجة الى اصلاح . فاخذ يقضي معظم وقته في التجوال : متفقداً مراكز الحدود ، مشاوراً موظفي الإيرادات ، مصغياً لمظالم الشعب . وقد رأى بعينه تأثير الجذب والحل وتعاसे الفلاحين . فالغي الضرائب ، ومنحهم الهبات المالية .

ثم اخذ يفكر في تعمير المدينة نفسها ، وقد كانت في حاجة الى التعمير . اذ كانت شوارعها ضيقة وطرقها مرصوفة رصفاً سيئاً . ماؤها قليل ، وجاريها قذرة . والامراض منتشرة فيها بشكل مخيف . فرأى بيلاطس بعين ثاقبة انه لا يتيسر له اصلاح هذه الحال الا اذا اتى اليها بالماء . فاخذ يفكر في سحب مياه (العروب) في اقنية حجرية . ولقد ظن ، وبعض الظن اثم ، ان هذا العمل سيتقبله اليهود بالارتياح ، لانه في مصلحتهم . وما درى انهم من الحماقة بدرجة انهم سيقاومونه . اجل ، رفض اليهود مساعدة بيلاطس في انشاء قناة الماء ، رغم انه حاول ان يقنعهم بان القدس ستزداد لاول مرة في التاريخ الماء القراح ، وان هذا امر حيوي ، هو في صالحهم من الوجهتين : العمرانية والدينية . ولكنهم ابوا . وقد قتلوا حاخاماً اشتبهوا بأنه ينظر للمشروع بعين الرضا . ورفضوا

من رسائله بقوله : « انهم اعتادوا الصراخ والشغب ، وانهم يستسيغون الشجار من اجل الدين ، فيمتثلون طعماً سائفاً وشراباً » .

كان بيلاطس يومئذ قادراً على قمع ثورتهم وتشتيت شملهم . ولكنه ضبط نفسه خشية ان يلومه قيصر ، او يشي به اعداؤه في روما فيشوهون حقيقة عمله ويكونون السبب في ابعاده عن منصة الحكم . ورغم انه كان يكره اليهود كرهاً لا مزيد عليه ، فقد اعترم مداراتهم بقدر الامكان ، وصرفهم بالتي هي احسن . ذلك لانه كان يخشى دسائسهم واليهود مشهورون بالدس . وما كان ليخشى دسائسهم لولا انه كان فقيراً ، وكان في حاجة للمال الذي يربحه من وراء منصبه . لقد ذكر بيلاطس نفسه هذه الحقيقة في الصفحة ١٢٢ من رسائله فقال : « اني فقير . والافضل ان اقضي السنوات الباقية لي في منصي هذا ، في هدوء ، الى ان ينقلني قيصر » .

ان هذا السبب هو الذي جعله يحتفظ بسكرتيره اليهودي الكسندر . رغم انه اقال اكثر الموظفين الذين كانوا على عهد سلفه . ولقد ذكر ذلك في الصفحة ١٢ من رسائله فقال :

« هناك اثنان لا ينبغي لي ان اغضبهما في اي حال : قيصري (حفظه الله) والكسندر اليهودي . . . » . وكان هذا يقوم باعمال التجسس له بين ابناء قومه .

ولما اشتعلت نيران الثورة بالقدس ، وعجز القائد ماركيوس عن تهدئتها ، كتب الى بيلاطس . فجاء هذا الى القدس . ونزل في القصر الذي بناه هيرودس الملك^(١) . وفي هذا القصر جرت محاكمة

(١) كان ذلك البناء يومئذ قائماً في المكان الذي تقوم عليه الآن كنيسة المسيح Christ Church وثكنة البوليس ودير مار يعقوب للارمن .

وكانت في القدس ابنية ضخمة هي التي شيدها هيرودس الملك على التلال الغربية: سببا قصره الجميل، والحصن الذي اقامه على مقربة من الهيكل، والهيكل نفسه الذي جدد عمارته، والمدرج (امفيثيتر) الذي انشأه في وسط المدينة.

قصارى القول: كان كل شيء في المدينة يدل على السعة والثراء. الا في منطقة الهيكل، فكان حماه يقومون باعمال لا ترضي الرب ولا العقل السليم. وفي هذا الظرف ظهر السيد المسيح.

٦ - هبط السيد المسيح القدس، وكانت على عهده تدعى اورشليم. هبطها مرة في نعومة اظفاره، وثلاث مرات بعد نشر رسالته: الاولى في الثامن عشر من شهر اكتوبر سنة ٢٨ للميلاد. والثانية بعد ذلك بشهرين، اي في ديسمبر من تلك السنة. وفي الثالثة اعتقل، وسيق الى المحاكمة، وحكم عليه بالموت.

٧ - المعروف عند الكثيرين ان الذي اعتقله، وادانه، وصلبه هو (بيلاطس بونتيسوس) الوالي الروماني الذي تقدم ذكره. وقد ورد اسمه في الكتب العربية بيلاطس البنطي. ولطالما اتهموه، لهذا السبب، بالعدو والظلم وعدم التسامح والاستبداد. ولكن الذي يطالع كتب التاريخ واسفاره المختلفة، يرى ان ما اصاب السيد المسيح كان اليهود هم السبب فيه. اليهود. . . القوم الذي نشأ منهم، وليس الوالي الروماني، ولا الرومان. واليك البيان كما رواه لنا التاريخ وروته الاسفار:

٨ - عندما ظهر المسيح واخذ يلقي تعاليمه على الناس كان في الثلاثين من عمره. ولم تكن تعاليمه سياسية البتة. ولم يكن يستهدف بثورها السلطة الرومانية التي كانت مهيمنة على البلاد في ذلك الحين. وانما كان يتوخى اصلاح المجتمع الذي يعيش فيه،

ان يقدموا اية مساعدة مالية: لا من جيوبهم ولا من خزائن الهيكل، حتى ولو على سبيل القرض. لا. بل راحوا الى ابعد من ذلك. واخذوا يهددون بيلاطس بهدم القناة (انظر الى الصفحة ١٠٢ من رسائل بيلاطس). ورجعوا الوالي نفسه بالحجارة. عندئذ فقد بيلاطس صوابه. واصدر امره. فهاجمهم الجند. وشتتوهم بالقوة. وكان عدد القتلى كبيراً. ولقد حرم عليهم التظاهرات والاجتماعات العامة والتجمع في الشوارع والقاء الخطب المهيجه. فنفروا ايدي سبا. شأنهم امام القوة. وبهذه الوسيلة تمكن بيلاطس من قمع ثورتهم، ومن الوصول الى هيكلهم؛ فنهب امواله، واتم بها مشروع القناة.

٩ - هذه توطئة لم نبدأ منها. اوردناها لتعطيك فكرة عن القدس بوجه خاص وعن اليهود والرومان بوجه عام، عندما قام السيد المسيح بنشر رسالته وبث تعاليمه. ولولاها لكان مجتثا عن السيد المسيح نفسه وعما اصابه من اذى في ذلك العهد ناقصاً.

١٠ - كانت القدس، على عهد السيد المسيح، اكبر واوسع مما كانت عليه في زمن سليمان الحكيم. وكان عدد سكانها قد ازداد كثيراً. وسورها قد اتسع، فراح يشمل التلال الكائنة الى الغرب من الوادي المعروف بوادي التروبين^(١). وكان يقوم على الوادي المذكور، في مواضع عديدة، جسر مقلطة كبيرة يعبرها المشاة. وكان في المدينة وفي اطرافها يومئذ عدد غير قليل من الكروم، يزرع فيها العنب والتين والزيتون، وتقوم في وسطها المناظر. وكانت سائط النقل للبضائع والادمين منحصرة في الحمير من الدواب.

(١) هو الحي المعروف بـ (الواد) في يومنا هذا.

فاكل الجميع حتى شبعوا . وجمعوا الكسر التي تبقت ، فجاءت اثنتي عشرة قفة .

(د) مشى على الماء . فركد البحر ، بعد ان كان هائجا .

(هـ) ابرأ المريض المقعد الذي مكث ثلاثين سنة ينتظر دوره ليغسل في بركة (حسدا)^(١) بالقرب من (باب الضأن)^(٢) . فقال له : « قم . احمل سريرك . وامش » . فقام في الحال وحمل سريره ومشى .

(و) ابرأ الأعمى^(٣) . فرد اليه بصره .

(ز) أحيا الميت^(٤) . فاخرجه من قبره .

انقاذه من حمأة الشرور التي كان منغمساً فيها فكان يقول : « هذه هي وصيتي ، ان تحبوا بعضكم بعضاً ، كما احببتكم . ليس لاحد حب اعظم من هذا ان يضيع احد نفسه لاجل احبائه » . وقوله : « من لطمك على خدك اليمين ، فادر له الايسر » . وكان اكثر غضبه منصبا على حمأة الهيكل ورؤساء الكهنة من بني اسرائيل الذين وصفهم « بالذئاب الكاسرة » . وقال عنهم : « انهم جعلوا الهيكل مغارة للصوص والعصابات » لكثرة الضرائب التي كانوا يجبونها والاموال التي يبتزونها من الزائرين . ولانهم كانوا يبيعون الغنم والحمام والبقير في داخل الهيكل ، حيث يقوم صيارفتهم .

انه كان يعرف اليهود معرفة تامة ، ولا سيما يهود اورشليم . فقد كان يكرههم ، ولا يأمنهم على نفسه^(١) . وكثيراً ما كان يقول : الخلاص هو من اليهود^(٢) .

٩- ان هذه المبادئ التي كان يبشها السيد المسيح فتحت عيون الجماهير ؛ فراحوا يلتفون حوله ، ويسمعون الى نصائحه . وقد ازدادوا إعجاباً به يوم سمعوا بمعجزاته ، ومنها انه :

(أ) حوّل الماء الى خمر في عرس اقيم في (قانا) من اعمال الجليل .

(ب) ابرأ ابن خادام الملك الذي كان مريضاً في (كفر ناحوم) . ابرأه بعد ان عز شفاؤه ، ولم يره .

(ج) اطعم جمعا من الناس التقى بهم عند بحيرة طبرية ، ويقدر عددهم بنحو خمسة آلاف نسمة ، طعاماً لا يزيد على خمسة ارغفة وسمكتين .

(١) انجيل يوحنا - الاصحاح ٣ عدد ٢٤ .

(٢) انجيل يوحنا - الاصحاح ٤ عدد ٢٢ .

(١) انها هي البركة السكائنة بداخل المدرسة الصلاحية للروم الكاثوليك عند باب الاسباط .

(٢) يعرف الان باب الاسباط .

(٣) رأى انسانا اعمى منذ ولادته . فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من اخطأ . هذا ام ابوه ، حتى ولد أعمى . فقال لهم : « لا هذا اخطأ ، ولا ابوه . ولكن لتظهر اعمال الله فيه » . قال هذا وتقل على الارض . وضع من التفل طينا ، وطلّى عيني الأعمى . وقال له : اذهب واغتسل في بركة سلوام . فغسل واغتسل وغدا بصيراً .

(انجيل يوحنا - الاصحاح ٩ عدد ١ - ٧)

(٤) كان في بيت عنا (القرية التي نسميها الان الميزرية) رجل مريض يدعى « العازر » . وكان له اختان تدعيان : مريم ومريتا . وكان يسوع يحب مريتا واختها والعازر . فاخبرناه بعرض اخيها . فجاء اليها ولكن متأخرا . ولما اتى يسوع وجد انه قد صار له اربعة ايام في القبر . وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا الى مريم ومريتا معزين . فلما سمعت مريتا ان يسوع آت لافته . واما مريم فاستمرت جالسة في البيت . فقالت مريتا لـ يسوع : « يا سيدي لو كنت ههنا لم يت اخي . لكنني الان اعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيكه الله » . فصرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : « العازر هام خارجا » . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات باقطة ووجهه مافوف بتبدل . فقال لهم يسوع : « حلوه . ودعوه يذهب » .

(انجيل يوحنا - الاصحاح ١١ عدد ١ - ٤٤)

(ب) سألوه عن رأيه في (زكا) . ذلك الرجل العشار الذي كان رئيساً لجباة الاموال في اريحا ، والذي جمع اموالا طائلة عن طريق الرشوة والظلم . فامتدحه ، ولم يترفع عن النزول في بيته ، والاكل على مائدته ، واتخاذها من اخلص الاولياء مدى الدهر ، على امل ان يرتدع عن فعله . وقد ارتدع: فوهب نصف ماله لفعل الخير . وصار تقياً . حتى رسم اسقفاً على قيسارية . فاتهموه بتشجيع الرشوة ، والظلم ، وابتزاز المال .

(ج) ارادوا ان يوقعوا بينه وبين السلطة الرومانية . فسألوه يوماً عن رأيه في الضرائب التي تجمعها تلك السلطة منهم ، وعما اذا كان يجب عليهم ان يدفعوها . فقال لهم : « ما دمتم تستعملون العملة التي عليها صورة قيصر ، فانكم تعترفون بسلطانه عليكم . اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » .

٧ - انك ترى مما تقدم ان اليهود لم يتمكنوا بادىء ذي بدء من ايقاع السيد المسيح في الشرك الذي نصبوه له . الى ان بحث عن الوهيته ، وقال لهم ان الله ابوه ، وانه والاب واحد^(١) . عندئذ هاجوا وماجوا ، ورأوا فيه رجلاً ثورياً يريد تحطيم امانيتهم . فهجموا عليه ، وكادوا يقتلونه . ففر من امامهم . وغادر المدينة . وفيما كان يسير على جبل الزيتون ، التفت الى اورشليم التي اقصوه عنها . وخاطبها قائلاً :

« يا اورشليم . يا اورشليم . يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين . كم مرة اردت ان اجمع اولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً ... »

ولقد جاء ذكر بعض هذه المعجزات في القرآن . اذ جاء في سورة (آل عمران)^(١) ما يلي :

« ورسولاً الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم ، اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لکم ان كنتم مؤمنين » .

وجاء في سورة (الزخرف)^(٢) ما يلي :

« ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون » .

٦ - ان هذه الاقوال من جهة ، والمعجزات من جهة اخرى ، ولا سيما المعجزة الاخيرة (قيام العازر من قبره حياً) اثارت غضب اليهود وكهنتهم ، سيما وانه قام ببعض اعماله ومعجزاته في يوم سبت . وللسبت حرمة عند اليهود . فقاموا لذلك وقعدوا . وراحوا يفكرون في رفع امره الى السلطات الرومانية عسى ان تخلصهم منه . ولكن لا بد من وجود تهمة تبرر سوقه الى القضاء ، وادانته . فما هي هذه التهمة :

(أ) اتوا اليه مرة بامرأة زانية ، فسألوه عن حكمه فيها . فقال لهم : « من كان منكم بلا خطيئة فليرجها . والا فليخرج » . فخرجوا كلهم . ولم يبق هناك سواه والمرأة الزانية . فقال لها يسوع : ولا انا ادينك . اذهبي ولا تخطئي ايضاً^(٣) . فاتهموه بتشجيع الخطيئة .

ابطاء . سواء اكان ذلك باغتياله سرأ او بادانته قانونياً .

ولكن كان على السلطات ان تسير في حذر . لان كل محاولة لالقاء القبض عليه جهره ستعجل الثورة . وكان يسوع في الواقع قد اختفى عن الانظار . ويقال ان نيقوديموس ، ذلك الشيخ العجوز الذي كان عضواً في مجلس السنهدريم ، ارسل اليه سرأ منبأ اياه بالقرار . فعاش في البرية شرقي اورشليم . ولكنه عاد فرجع اليها في عيد الفصح ودخلها للمرة الثالثة . لقد جاءها في هذه المرة علناً ، ودخلها جهاراً . وكان يعلم ان مصيره سيكون في هذه المرة الموت المحتم .

جاء المسيح مع تلاميذه الى مكان عبر (وادي قدرون) حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه . وفي تلك الليلة قام عن عشائه ^(١) وخلع ثيابه واخذ منشفة واتزر بها ، ثم صب ماءً في مغسل وابتدأ يغسل ارجل التلاميذ ^(٢) ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها . ثم قال لهم : « انكم تدعونني معلماً وسيداً . وحسناً تقولون . لاني انا كذلك . فاذا كنت وانا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم ، فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض ... الحق اقول لكم انه ليس عبد اعظم من سيده ، ولا رسول اعظم من مرسله . ان علمتم هذا ، فطوباكم ان عملتموه . »

(١) اختلفت الروايات حول المكان الذي تناول فيه السيد المسيح عشاءه الاخير . فمن قائل انه تناوله في بستان الجثاينة حيث دامه الجند بدلالة يهوذا الاسخريوطي ، وقبضوا عليه . ومن قائل انه تناوله في المكان الذي تقوم عليه الآن الكنيسة المعروفة بكنيسة نياحة العذراء « دورميتيون » في حي النبي داود . ولكن الرواية الثانية وهي من تقاليد القرن الرابع عشر ضعيفة . لان ذلك البناء لم يقم الا بعد المسيح بعدة قرون .

(٢) من هنا نشأ العيد المعروف بـ « خميس الغسل » في القدس حيث يجتمع المسيحيون في ساحة الكنيسة ويشاهدون البطريرك يغسل ارجل اساقفته اقتداءً بالمسيح .

٨ - كان السيد المسيح يكره اورشليم . وكان يذيع رسالته في ريفها ، خشية ان يغدر به اليهود . ومن اقواله المأثورة في هذا الباب ^(١) : « لاكرامة لني في وطنه . »

ولما دخل القدس في (عيد المظال) لينشر رسالته ، ويسمع صوته للعالم اليهودي مغتماً فرصة العيد ، وخرج منها على الشكل الذي وصفناه فيما سبق ، لم يجد ملجأ آمن من (بيت عنا) ^(٢) . تلك القرية التي كان يحبها وظلما التجأ اليها في ايام ضيقه . وبعد ان مكث في بيت الاختين ، مرثا ومريم ، اللتين كان يحبهما واخاهما (العازر) الذي احياه من الموت ، خرج الى البرية . وراح يتجول في التلال والسهول الواقعة بين اورشليم ونهر الاردن ، وقد قال يوماً لأحد تلاميذه : « للشعالب اوجار ولطيور السماء اوكار . واما ابن الانسان فليس له اين يسند رأسه . »

٩ - اجتمع مجلس السنهدريم على اثر قصة العازر وقيامه من القبر . فكروا في امر يسوع . وقالوا : « اذا ظل سائراً على خطته هذه ، يفلت زمام الشعب من بين ايدينا . وتلجأ جماهير الفصح الى التمرد والعصيان ، فتتوجه ملكاً . وعندئذ يقوم الرومان فيدمرون هيكلنا وامتنا . » اي انهم في الظاهر كانوا يخشون سطوة روما ، وفي الباطن يخافون انهيار سلطتهم الدينية ، فيحرمون الخيرات الكثيرة التي كانت تدرها عليهم تلك السلطة .

قال قيافا رئيس الكهنة : « خيراً ان يموت انسان واحد عن الشعب حتى لا تهلك الامة كلها . هذا الانسان يجب ان يموت . »

هذا هو القرار النهائي : يجب ان يموت في غير

(١) انجيل يوحنا - الاصحاح ٤ عند ٤٤ .

(٢) العيزرية . وهي قرية تبعد عن القدس نحو ميل واحداً الى الشرق

وصاحوا في وجه بيلاطس قائلين : اصلبه ! اصلبه ! فاسلمه اليهم ليصلب . فاخذوه الى موضع الجمجمة ويقال له (جلجثة) وصلبوه^(١)، وصلبوا اثنين آخرين معه . وكتب بيلاطس على الصليب هذه الكلمات :

يسوع الناصري ، ملك اليهود

١٢ - هنا يحسن بنا ان نستمع الى ما يقصه علينا بيلاطس بونتئوس عن هذه الحادثة . فقد جاء في التقرير الذي رفعه هذا الى القيصر في روما وصف مسهب للسيد المسيح ، وتعاليمه ، والاسباب التي ادت الى هياج اليهود وقيامهم ضده . ومن تقريره نستنتج الامور التالية :

اولاً - ان (يسوع الناصري) كان يومئذ لا يتجاوز الثلاثين ربيعاً من عمره ، وانه ممتلي هيبة ووقاراً . وعلى وجهه وفي نحياه سمات النبيل والشرف والوقار .

ثانياً - اتاح له الوالي الروماني ، ان يعمل ويُعَلِّم كما يشاء ، وان يخاطب الجماهير دون معارضة او مراقبة .

ثالثاً - ان هذه الحرية التي منحها الوالي الروماني ليسوع اغاظت اغنياء اليهود ورؤساءهم . اذ كان يسوع يشدد النكير عليهم . ويكثر من لومهم وتقريعهم ، قائلاً لهم : « انتم قبور مبيضة . انتم تظهرون امام الناس بمظهر حسن ، واما من الداخل فانكم مملؤون مرارة وموتاً » . وكان يسخر من اغنياء اليهود الذين ارادوا ان يرشوه بالمال ، قائلاً : « ان فلس المعوز خير من فلسكم ، وافضل » .

(١) الاسلام لا يعترف بالصلب . وفي ذلك نزلت الآية الكريمة .

« وما قتلوه . وما صلبوه . ولكن شبه لهم » .

١٠ - كان يهوذا سمعان الاسخريوطي^(١) يعرف ذلك الموضع . لان يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه . فاخذ يهوذا الجند وخدماً من رؤساء الكهنة والفرسيين ، وجاء الى هناك بمساعل ومصابيح وسلاح . وكان مع تلميذه سمعان بطرس سيف ، فاستله ، وضرب به عبد رئيس الكهنة ، فقطع اذنه اليمنى . فامر يسوع ان يرجع السيف الى غمده . ثم ان الجند والقائد وخدماً اليهود قبضوا على يسوع ، واوثقوه ، ومضوا به الى دار رئيس الكهنة وكان الوقت شتاء والبرد قارصاً . فاضرم الخدم الجمر ليصطي الحاضرون . وفيما كان رئيس الكهنة قيافا يستجوب يسوع ، جاء احد الخدم ولطمه قائلاً : (اهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟) . فأجابه يسوع : « ان كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي ، وان حسناً فلماذا تضربني » . وانكر بطرس الذي كان واقفاً يصطي انه من تلاميذه^(٢) .

١١ - ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية^(٣) وكان الوقت صباحاً . فاستقبله بيلاطس . وسألهم عن التهمة التي يوجهونها اليه . ثم ادخله الى دار الولاية . وجري بينها حديث طويل . ثم قال لليهود : انا لم اجد فيه اية علة تستحق الاعدام . ولكنهم عندما صاحوا اخذه بيلاطس وجلده . وضفر العسكر اكليلاً من شوك وضعوه على رأسه والبسوه ثوب ارجوان . وكانوا يلطمونه^(٤) .

(١) كلمة عبرية معناها « رجل القتل » . وكان هذا احد التلاميذ الاثني عشر الذين لازموا السيد المسيح حين قُتِل عنه تلاميذه الآخرون . وكان المسيح يعرف انه شيطان وانه مزعم ان يسلمه الى اعدائه .

(٢) انجيل يوحنا - الاصحاح ١٨ عدد ١ - ٢٧ .

(٣) المظنون ان دار الولاية كانت يومئذ في « قصر انطونيا » وهو الذي اتخذ في الربع الاول من القرن العشرين مدرسة لروضة المعارف الوطنية ، الى الشمال من الحرم .

(٤) انجيل يوحنا - الاصحاح ١٩ عدد ١ - ٢ .

لهم : « ان لكم عادة في مثل هذا العيد ان تطلقوا سراح مجرم ، فخلوا سبيل يسوع . »
قالوا : لا ، بل اصلبه !

قال لهم : « ان الشريعة اليهودية نفسها تحذر من الاسراع في تنفيذ الحكم كما تطلبون . انها تحتم على القاضي ان يتروى بالامر ويصوم يوماً كاملاً قبل ان ينطق بحكم الاعدام . . . ان الشرع اليهودي يأمر بايقاف رجل على باب المحكمة حاملاً عليها وفارساً على بعد بضعة خطوات منه ، يناديان بالحكم وباسماء الشهود ، على يدب في قلب احد الحضور رحمة فيقول كلمة يحمي بها عن المجرم . . . »

صاحوا بصوت واحد : « خذه ! اصلبه ! »
فامر اذ ذاك بجلده ، ظناً منه ان ذلك يرضيهم . فابوا ، واصرروا على طلبهم . فاخذ اذ ذاك طشتاً وغسل يده امامهم قائلاً لهم : « انني بريء من دم هذا الصديق » . فهاج اليهود وماجوا ، وقاموا وقعدوا واخذوا الناصري من امام الوالي الروماني ، فساروا به عن الطريق التي عرفت بعدئذ بدرب الآلام^(١) . وساقوه الى جليثة^(٢) . وهناك صلبوه .

هذا ما ورد في الكتب والاسفار المسيحية عن الصلب . واما المسلمون فانهم لا يعترفون بالصلب . ولقد اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله^(٣) :

(١) اسمها باللغة اللاتينية : (ريودولاروزا) .

(٢) (الجليظة) او (الجليظة) اسم الموضع الذي صلب فيه السيد المسيح . وقد اختلف المؤرخون في تاويل هذا الاسم . فقال القديس ايرونيموس ان الجليظة معناها الجمجمة ، وانها سميت كذلك بسبب هاجم القتل الذين لاقوا حتفهم في ذلك المكان . وقال اوريجانوس انه سمي كذلك لان جمجمة آدم اتي البشر مدفونة هناك . والقول الاول هو الصحيح .

(٣) سورة النساء : الآية ١٥٧

وظل اليهود يدسون الدسائس وينصبون له المكائد حتى نالوا ما يبتغون . وكانوا السبب فيما جرى له . وما هو باول ، ولا آخر ، من عمل اليهود على مناوآته من المصلحين .

رابعاً - اغتتم رؤساء الكهنة واحزاب اليهود الثلاثة (الهيروديسيون والصدوقيون والفريسيون) وغيرهم من اليهود اعداء الناصري ، فرصة الاعياد اليهودية يوم غصت القدس بجماعات المعيدنين الذين وفدوا اليها من كل حذب وصوب ؛ فالفقوا القبض على السيد المسيح ، واتوا به الى بيلاطس قائلين : « اصلبه ! اصلبه ! » فعز الامر على بيلاطس . وكان قد آلى على نفسه ان يحميه من « مخالف الذئاب الكاسرة » . ورأى ان الشورة لا محالة ناشبة ، اذا هو لم يعمل برأي اليهود ولم يصلبه . فطلب الى زميله قائد الجيش الروماني بسوريه ان يمه بئمة فارس ومئة راجل ولكن هذا لم يستطع ان يلبي طلبه لقلة ما عنده من الجنود .

خامساً - ثار اليهود ، وقبضوا على يسوع ، فساقوه الى رئيس الكهنة (قيافا) الذي حكم عليه بالموت . وارسله الى بيلاطس مقيداً طالباً منه تنفيذ الحكم . فاحاله هذا الى هيروودس لانه من سلطنته (اي من ناصرة الجليل) . فاعاده ذاك الى بيلاطس قائلاً بدهائه المعروف « انه لا يتعدى حقوق الوالي الروماني » . وبالحال غص البلاط بالثائرين من اليهود الصارخين : « اصلبه ! اصلبه ! »

سادساً - كان المسيح هادئاً ساكناً وسط هذا البحر الهائج المتلاطم ، فلم يخاصم ، ولم يدافع . وقد حاول بيلاطس ان يسكن غضبهم قائلاً

وكذلك قل عن مريم البتول. فقد ذُكرت بشيء كثير من التقديس والتعظيم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم . وانا لنكتفي منها بذكر الآيات التالية :

« اذ قالت الملائكة ^(١) يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . »

وقال ^(٢) : « قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون . »

هذا من الناحية الدينية . اما من الناحية القومية . فيكفي القول : انا ، نحن سكان هذه البلاد ، عرب قبل ان نكون مسلمين ومسيحيين . تجمعنا العروبة . وانا لنترجع فيها الى اصل واحد ، ودم واحد ، ووطن واحد ، ولغة واحدة ، وتاريخ واحد .

ولئن اختلفنا في بعض العقائد الدينية فان اختلافنا هذا لا يعدو اختلافاً بين اخوين يعيشان في منزل واحد حول اية مسألة من المسائل الاجتماعية الاخرى .

« لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون . » ^(٣)

« وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شبه لهم . »
هذا ولا بد من القول ان المسلمين يحلون السيد المسيح ويرفعونه الى اسمى درجات التقديس . وقد يصل اجلهم له ولا مة مريم البتول حد . يقصر عنه الكثيرون من اتباع المسيح انفسهم . فقد اقتبسوا هذا الشعور من كلام الله الذي أنزل على نبيهم ودون في قرآنهم ، والذي يتلونه كل صباح ومساء في صلواتهم .

ألم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ^(١) :

« فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله ، واشهد باننا مسلمون . ربنا آمننا بما انزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين . »

وقال ^(٢) : « اذ قال الله يا عيسى ايني متوفيك ورافعك ايلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم ايلي مرجعكم ، فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . »
وقال ^(٣) : وجعلني مباركاً اين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبرأ بالذي لم يجعلني جباراً شقياً . والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم أبعث حياً . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . »

(١) سورة آل عمران : الآية ٤٢

(٢) سورة آل عمران : الآية ٤٧

(٣) سورة المائدة : الآية ٨٢

(١) سورة آل عمران : الآية ٥٢

(٢) سورة آل عمران : الآية ٥٥

(٣) سورة مريم : الآية ٣١

القدس في عهد الرومان

(بعد المسيح)

ذكرنا في الفصلين السابقين كيف كانت القدس في عهد الرومان قبل السيد المسيح . . وكيف كانت ، أثناء وجود المسيح فيها . . وكيف اضطهده اليهود . . وكانوا السبب في تعذيبه وموته على يد الوالي الروماني بيلاطس بونتئوس . . و انتهينا الى القول ان ولاية هذا الوالي قد انتهت - رغم كل الاعمال التي قام بها لارضاء قيصر في روما وارضاء اليهود في اورشليم - بالعزل . ونريد الآن ان نقص عليك ماذا جرى بعد ذلك التاريخ . فنقول :

وانشئت على عهده ايضا حارة جديدة سميت (بزيئا) وهي الكائنة في الناحية الشمالية الشرقية من المدينة . وشرع في بناء السور المعروف بالسور الثالث . وادخل فيه المكان المعروف بالجلجثة . فنصح اليه الامبراطور قلاوديوس ان يقلل من انشائه ولا سيما ما يختص منها بالاسوار^(١) . وعلى عهده انشئ اول محفل ماسوني في اورشليم .

انه بعد ان تزوج بنت اريطاس ملك العرب ، راح يفكر في الاقتراح (بهيروديا) امرأة اخيه . فاكشفت امرأته العربية مؤامراته . فهربت الى ابيها ، وحدثته بما جرى . فما كان من هذا الا انه ساق عليه جيشا . وظل يحاربه الى ان قهره ودحر جيشه . وقد سخطت عليه روما ، فنفته وامرأته هيروديا .

٣ - عندما مات هيروودس اغريبا Herod Agrippa كان ولده اغريبا الثاني البالغ من العمر ١٧ سنة في روما . وكان حديث السن بدرجة لا يستطيع معها ان يتولى ادارة بلاد

(٤) عندما حاصر تيطس القدس عام ٧٠ لم يكن بناء هذا السور قد تم .

كانت فلسطين يومئذ تابعة لسورية . وكان في سورية وال يدعى (ويتلوس) . فارسل هذا (مرشلوش) خلفا لبيلاطس بونتئوس . وايد غايوس قيصر هذا التعيين .

٢ - ويظهر ان (هيروودس اغريبا) حفيد هيروودس الكبير الذي كان يومئذ حاكما في الجليل^(١) اراد ان يهتبل الفرصة السانحة . فجاء الى القدس . وطمح في امتلاك زمام الامور فيها ليسترجع مجد جده الاكبر . فنال مبتغاه . وانتعشت القدس على عهده . (٣٧ - ٤٤ م) . فبنيت فيها القصور الشاهقة والاروقة الفخمة والمسارح الضخمة .

(١) انه هو الذي ارسل اليه بيلاطس السيد المسيح ليحاكمه . فرفض . وقد لقبه المسيح بالعلب . استمع اليه يقول في الانجيل لوقا (ص ١٣ - عدد ٣١ - ٣٤) .

« في ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له اخرج واذهب من ههنا لان هيروودس يريد ان يقتلك فقال لهم امضوا قولوا لهذا الثعلب ها انا اخرج شياطين واشفي اليوم وغدا وفي اليوم الثالث اكمل ... يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . »

جنوده ، وقد عدها اليهود مهينة لمراسمهم الدينية . واتهموا الوالي بانسه هو الذي حرض الجندي على قولها . حاول (قومانوس) في بادىء الامر اقناع اليهود بانهم لم يحرض الجندي ، وطلب اليهم ان يخلدوا الى السكينة . ولكنهم لم ينصاعوا لاوامره . فاصدر امره الى الجند كي يكونوا على اهبة الاستعداد . فظن اليهود ان الجند سيهاجمونهم . فهربوا . وداس بعضهم على بعض وهم هاربين في شوارع القدس الضيقة . فمات كثيرون دون ان يضربوا او يصابوا بيد .

وما كادون يفيقون من الم هذه الفوضى حتى وقعوا في افطع منها . اذ هاجم بعض اليهود عبداً من عبيد الامبراطور يدعى (اسطفان) ونهبوا ما بيده . فطالبهم قومانوس بتسليم المجرمين الذين اقترفوا هذا الذنب ، ورد ما اخذوه منه . فرفضوا . ومزق احد الجنود كتاب التوراة علامة التحقير والازدراء . فجاء اليهود الى (قومانوس) وشكوا اليه امرهم قائلين : انهم لا يهتمون عملاً كهذا يعدونه تحقيراً لاهتهم . فارضاهم قومانوس في هذه المرة . وقطع رأس الجندي الذي قام بهذا العمل .

وفي عهد قومانوس ايضاً قام شغب بين اليهود والسامريين . اذ كان يهود الجليل يأتون الى الهيكل عن الطريق التي تمر من بلاد السامرة ، وكثيراً ما كان الخصام يتكون بين اليهود والسامريين لهذا السبب . وفي احدى المرات قتل عدد كبير من يهود الجليل . فجاءوا الى قومانوس يشكون . ولكن قومانوس التزم جانب السامريين . وساعدهم . فتغلبوا على اليهود .

رفع الفريقان ، قومانوس واليهود ، امرها الى القيصر . فسحب القيصر قومانوس . وحكم عليه بتجريدته من رتبته العسكرية .

كاليهودية مليئة بالمشاغبات . ولذلك ارسل (كسبيوس فادوس Cuspius Fadus) حاكماً من لندن روما (٤٤ م) . وكان على عرش الرومان يومئذ (غايوس قيصر Gaius Caesar) الذي تسنم العرش على اثر وفاة ابيه الامبراطور طيباريوس (٣٧ م) .

٤ - وجد الوالي كسبيوس فادوس^(١) البلاد في حالة من الفوضى لا تطاق : الامن مسلوب والمجاعة سائدة والفتن منتشرة والخلاف مستحکم بين الشعب والحكومة .

وحدثت ، على عهده ، وقائع بين اليهود وبين خصومهم العرب والادوميين . فانتصر للعرب . وقبض على اربعة من اليهود . فقتل اثنين ، وراح البلاد من المشاغبات . وبعد ان مكث في الولاية سنتين استقال . فخلفه (طيباريوس اسكندر) ٤٦ م Tiberius Alexander . وهو من اليهود المرتدين . وكان اول عمل له انه قتل اثنين من زعماء اليهود لانها حرصا قومها على الثورة ضد الرومان بسبب (احصاء اليهود) . وفي ايامه حصلت مجاعة شديدة .

٥ - وفي زمن خلفه (فنتديوس قومانوس) ٤٨ م Ventidius Cumanus ثارت اضطرابات داخلية في القدس بسبب بعض كلمات فاه بها^(٢) احد

(١) ان المعلومات التي ذكرناها عن هذا الوالي والولاية الذين اقوا من بعده اقتبسنا معظمها عن كتاب انكليزي اسمه : (Jerusalem, City of Herod & Saladin) by Palmer and W. Besant

ومن (تاريخ سورية) للعلامة المطران يوسف الدبس .

(٢) جاء في (تاريخ سورية) للمطران الدبس ان هذا الجندي كان من حراس الهيكل ، وانه لم يفقه بكلام ، وانما كشف عن عورته على مرأى كثيرين من الشعب وبينهم عدد من الكهنة . وصادف ذلك اليوم عيد الفطر . فحبسوا ذلك اهانة لهم .

٦ - بعد قومانوس تولى الادارة (كلوديوس فيليكس Claudius Felix ، اخو بالاس Pallas صديق الامبراطور الحميم .

كان فيليكس رجلاً ضخم الجثة ، عديم المبدأ . وكان مبذراً ومحباً للفخفة والظهور . وكانت البلاد عند مجيئه في حالة من الفوضى لا تطاق . مليئة بالزعماء الطماعين : دينهم النهب والسلب وقطع الطرق . وكان احد هؤلاء الزعماء يهودياً من يهود مصر . فوصل من الجراة الى درجة انه جمع من حوله عدداً كبيراً من بني قومه . وصعد الى جبل الزيتون زاعماً انه يستطيع بكلمة واحدة ان يدك اسوار المدينة ، فيدخلها هو وقومه دخول الظافرين . فاتهم فيليكس بجنده ، فشئت شملهم وقتل منهم اربعة اشخاص . وفي زمن فيليكس هذا قامت خصومات شديدة بين الشعب اليهودي وبين كبار الحاخاميين . فلم يكتف هؤلاء بان يسلب بعضهم بعضاً بالكلام القارس ، بل راح بعضهم يرمي البعض الآخر بالحجارة . وقد حدثت المؤرخون الذين قصوا علينا قصة هذا الخلاف ان كبار الحاخاميين وصلوا من النفوذ الى درجة انهم نهبوا البيادر وخصوا انفسهم بجميع الاعشار التي حصوها . فسببوا بذلك موت الفقراء من الحاخاميين جوعاً .

وفي عهد فيليكس ايضاً حدث اول اضطراب في قيسارية . كانت هذه المدينة منشطرة الى شطرين متساويين : السوريون واليهود . وكان السوريون يدعون التفوق على الآخرين ، بحجة ان هيرودس مؤسس المدينة وان كان هو بنفسه يهودياً الا انه هو الذي بنى الهيكل والتأثيل التي فيها والتي يقصد منها جعل المدينة سورية في نفس المكان الذي كان يقوم عليه برج ستراو

واما اليهود فانهم ادعوا ان المدينة ، يهودية لان بانيتها يهودي ، ويجب ان لا يحكمها الا اليهود .

واستعمل الفريقان ، من اجل دعم حقوقها ، السلاح . وكان لدى اليهود من السلاح احسنه . وتدخل فيليكس بين الفريقين يحنده وسلاحه . وارجع السكنى الى نصابها . ثم سمح لكل الفريقين بان يرسلوا ممثلين لينوبوا عنهم في عرض قضيتهم على الامبراطور . وكان حكم الامبراطور في صالح السوريين وبالأحرى اليونان . فثار اليهود لهذا الحكم كعادتهم عندما يكون القرار في غير صالحهم .

٧ - بعد فيليكس تولى الادارة (فستوس) ٦٠ م . كان رجلاً حازماً فتمكن من السيطرة على اليهود الثائرين . ومن التدابير التي اتخذت على عهده ان نيرون الملك امر رئيس الكهنة وخازن الهيكل اليهوديين بالبقاء في روما رهينة ليخلص اليهود في الطاعة له . ولكن حكم فستوس لم يدم طويلاً . اذ اصابه مرض بعد حين ، ومات به ٦١ م .

٨ - بعد فستوس اقام نيرون (البيئوس) . ذكره المؤرخ يوسيفوس في تاريخه فقال : « انه لا يوجد نوع من انواع الذنوب والآثام الا وكان له دخل فيه . . انه لم يكتف بنهب الناس وسرقة اموالهم وفرض الضرائب الباهظة عليهم ، ولكنه كان يطلق سراح المجرمين الذين كانوا في السجون تلقاء مبالغ معينة فرضها عليهم . حتى انه لم يبق في السجن الا الاشخاص الذين لم يستطيعوا ان يعطوه شيئاً . . » . فانتشرت الفوضى وعمت البلوى .

ولكن بالر الذي يشير الى ما قاله يوسيفوس عن البيئوس يحذر القراء من اخذ كلامه على علاته ، اذ ان يوسيفوس يهودي . ومن مصلحة ان يبرر عمل قومه يوم ثاروا . فكأنه يريد ان يثبت للملأ ان

ليس بصحيح ما قيل عن (فلورس) من انه كان يرمي الى سوق اليهود الى الثورة . كلا . ولكنه كان يرمي الى جمع ثروة لنفسه بأسرع ما يكون من الوقت . إذ انه كان يعتقد ان الثورة ان آجلا او عاجلا لا محالة واقعة . ولا مفر منها . ولذلك فكر في ادخار مبلغ من المال يكفي لمعيشته فيما اذا اقبل من عمله ، او نفى . ولم تكن الثورة من مصلحته .

الاضطرابات الاولى حدثت في قيسارية (سنة ٦٦ م) . إذ كان اليونان من يوم الى آخر يزدادون جرأة على اليهود ، ويحقرونهم .

كان لليهود كنيس . وكان امام هذا الكنيس . ساحة ارادوا ان يشتروها ليضيفوها الى كنيسهم ولكن صاحب العرصة وهو وثنى رفض بيعها . وبنى فوقها عددا من الخوانيت الصغيرة . ولم يترك لليهود الا مدخلا ضيقا الى كنيسهم . فذهب واحد منهم يدعى (جون) وشكا الى فلوروس امرهم . وطلب منه ان يتدخل في الامر . وعرض عليه في نفس الوقت رشوة قدرها ثمانية ثلثت . وهذا مبلغ كبير .

ترك فلوروس اليهود واليونان يقتتلون من اجل المعر المؤدي الى كنيس قيسارية . فاستعمل الفريقان السلاح . وغلب اليهود على امرهم . فانسحبوا من المدينة الى مكان يبعد عنها عدة اميال . وارسلوا (جون) الى الحاكم فلورس وقد كان يومئذ في السامرة طالبين منه المنجدة . ظن جون انه سينال حظوة عند فلورس بسبب الرشوة التي كان قدمها له . ولكنه ، على العكس من ذلك ، القى القبض عليه وزجه في السجن .

بعدئذ سافر فلورس الى القدس حيث كانت فكرة الثورة قد انتشرت . ولما رأى ذلك ثارت

اليهود ما كانوا ليثوروا لولا ظلم الحاكم الروماني . اذ ان يوسيفوس نفسه ذكر في مكان آخر من كتابه ان البينوس كان يرمي الى نشر الامن والسكينة والطمانينة في البلاد .

وقد كان من سوء حظ البينوس انه صادق الحاخام الاكبر (حنان) . ولما اختطف الفوضويون من اليهود العازر ابن الحاخام الاكبر حنان ، وافق على اطلاق سراح عشرة من الاسرى المسجونين لديه كهدية لتلقاء خلاصه . واتبعت هذه الطريقة في كثير من الحوادث المماثلة حتى اخلت السجون كلها . فلم يبق فيها سجين .

ولقد تم ترميم الهيكل في هذه الايام (٦٤ م) . فوجد ثمانية عشر الفا من العمال الذين اشتغلوا في بنائه انفسهم من غير عمل . فانضم هؤلاء الى المساجين الذين اطلق سراحهم . فامتلات شوارع القدس بالعمال العاطلين والعصابات المسلحة واتبع الحاخاميين المعزولين .

فاستخدم البينوس العدد الكبير من هؤلاء العمال العاطلين في رصف شوارع المدينة بالحجارة .

٩ - بعد البينوس تولى الادارة (جيسيوس فلورس Gessius Florus) ٦٥ م . ويظهر ان القدس كانت يومئذ تابعة لسورية . وانه كان في سورية وال روماني يدعى (كيستيوس غالوس Cestius Gallus) . وان هذا جاء الى القدس في عيد الفصح ٦٦ م وامر بتعداد الجديان Lambs الذين ذبحوا على سبيل التضحية . فكان عددهم ٢٥٥,٦٠٠ ومعنى ذلك انه كان يومئذ في القدس وضواحيها عدد كبير من الناس ؛ منهم من كان في المدينة قبلا ، ومنهم من جاء اليها في ايام العيد ولاجل قضاء العمد فقط .

جنده على المضي في النهب والسلب والقتل . وفي اليوم التالي نادى فلورس اليه كبير الحاخامين مرة اخرى . وطلب منه اثباتا لخلاص الشعب وندمهم على ما بدا منهم من عصيان ، ان يخرجوا للاقفاة كوكبتين من الجنود الرومانيين كانتا على وشك دخول المدينة ، وان يبدوا سرورهم . ففريق منهم رضي ، وفريق اخر رفض هذا التكليف . ثم عادوا ، فانصاعوا لنصائح الحاخامين . وهرعوا لاستقبال الجنود القادمين . ولكنهم ما لبثوا حتى اخذ بعضهم يسب فلورس . فداسهم الفرسان بخيولهم . وحدث على اثر ذلك اضطراب عظيم عند ابواب المدينة .

دخل الجند . وساروا نحو حصن انطونيا ، قاصدين وضع ايديهم على القلعة والهيكل معا . ولما دخلوا الحصن كان اليهود قد هدموا قسماً من المعبر الارضي الذي كان يربط الحصن بالهيكل . فاراد فلورس ان يعمر ما هدمه اليهود . ولكنه لم يستطع لكثرة اليهود الذين كانوا في الشوارع . فرجع الى قيسارية في اليوم التالي . تاركا ورائه كوكبة واحدة من الجند . وظلت المدينة في غليان وهياج .

بعث اليهود بشكواهم الى كيستوس غالوس Gestius Gallus وطلبوا التحقيق . وكذلك فعل فلورس فارسل . هذا مفتشا للتحقيق يدعى Neapolitanus نيابوليتانوس . والتحق به ، عند اقترابه من القدس ، اغريبا . فخرج اليهود لاستقبالها من مسافة بعيدة . خرجوا ليكونوا يتظاهرون كعادتهم . وطلبوا من اغريبا ان يؤازرهم كي يتخلصوا من بلوهم ، ومن نيابوليتانوس ان ينقذهم من فلورس وظلمه . واخذوه وفرجوه على جميع احياء المدينة . وارادا ان يبرهنوا له على ان المدينة هادئة ، وان السكان ثاروا ضد فلورس ولم يشوروا ضد الرومان . ثم ذهب نيابوليتانوس الى

براكين غضبه . فارسل الى اليهود رسلا يحذرونهم عاقبة الامر . ولكن اليهود التجأوا الى الهيكل . واخذوا ينادون القيصر (كأنه يسمعهم) . طالبين منه انقاذهم من فلورس . وراح بعضهم يحمل السلال في ايديهم ، ويدورون على المنازل يستجدون الدراهم من اجل فلوروس ، كأنه رجل بائس ومسكين وفي حاجة الى المال . . .

وفي اليوم التالي جاء الخبر بأن فلورس يتقدم مع جنده نحو المدينة . فارادوا ان يقابلوه وان يستعطفوا خاطره . ولكن فلورس لم يكن في حالة تمكنه من قبول رسلهم . فارسل اليهم ضابطاً من ضباطه يدعى (كاييتو) ومعه خمسون فارساً امرهم بترك النفاق والرجوع الى حيث كانوا .

دخل فلورس المدينة متمطياً ظهر جواده . فاخذ السكان ينظرون اليه ، ويتسائلون عما سيفعله ؟ فنصب في اليوم التالي محكمته على ابواب قصره . واستحضر كبير الحاخامين فطلب منه ان يسلمه الاشخاص الذين قادوا الثورة . فانكر كبير الحاخامين اية معرفة له بقيادة الثورة ، وطلب منه ان لا يعاقب المدينة كلها من اجل خطأ اقترفه عدد من الشباب المتهوسين . ثم اعتذر لفلورس عما جرى وطلب منه الرحمة .

ولكن فلورس بدلا من ان يجيبه الى طلبه ، امر جنده بنهب المدينة (٦٦ م .) ونهب سوقها الكائن في القسم الاعلى من المدينة . فنهبوه ، وسلبوا كل ما وقعت عليه ايديهم ، وقتلوا من اليهود خلقاً كثيراً^(١) عندئذ جاءته فيرونيكي (برنيكة) اخت اغريبا صارعة . ووقفت امامه حاسرة الراس حافية القدم طالبة الرحمة . ولكن فلورس ، الحاكم الروماني الذي لا يعرف اللين رفض طلبها ، وحض

(١) جاء في (تاريخ سورية) للديس ج ٢ ص ٣٣٩ ان عدد القتلى بلغ يومئذ ٣٦٠٠ قتيلاً .

فخسر الأغنياء . وبرز في الميدان زعيم جديد هو (مناحيم) الابن الاصغر ليهودا الجليلي . فجاء هذا مرتديا ثيابا ملكية ومحاطا بجاشية من الجند ، كأنه يريد ان يقلد المكابيين ، وسمى نفسه ملكا .

احتل الثوار قلعة انطونيا والقصر الملكي واخرجوا الجند الروماني من المدينة .

وقتل الحاخام الاكبر حنانيا الذي وجد مختبئا في دهليز . فانتفخ مناحيم بالنصر الذي ناله بدرجة انه اصبح لا يطاق . وكان بالامكان التخلص من هذا الملك المفقوع . . الذي خلع من قبل رئيس الكهنة اليعازر . . وعُذب حتى مات . وسلم قائد الجند الروماني نفسه مشترطا انقاذ جنده . فسمح له بذلك . ولكنهم ما كادوا يلقون اسلحتهم حتى هاجمهم اليهود وقتلهم كلهم الا ميتليوس فقد ابقوا على حياته شريطة ان يتهود (٦٦ م) . ولم يبق في اورشليم روماني واحد .

في نفس اليوم والساعة التي كان اليهود يغمس فيها خناجرهم في صدور الرومان بالقدس ، قامت مذبحة كبيرة ضدهم في قيسارية . حيث ثار السوريون واليونانيون ضدهم ، وذبحوا منهم عشرين الفا في يوم واحد . وقد جرى نفس الشيء في كل مدينة سورية . وذبح اكثر اليهود في جميع هذه المدن (١) فما كان ثمة لزوم لاية اسباب خصوصية لاثارة الشعور . رلا كان ثمة امكان لذلك . ذلك لان اليهود قوم ميالون للاضطراب ، وفيهم قسوة وعناد ، وهم متعصبون ، ومغرورون . ولذلك كانت الحرب ضدهم لا بد منها ، وكان مصيرهم هذا لا مفر منه . (B. & palmer) قادتهم ما كانوا راغبين في

الهيكل ليقدم الضحايا التي كان يسمح للاجانب بتقديمها ، واشاد بذكر اليهود واخلصهم للامبراطورية ورجع الى كيستوس .

واما اغريبا فقد نصح اليهود بان يفكروا في مصلحتهم ، وان لا يستهينوا بقوة الرومان ، وان لا يسبوا لانفسهم ولامتهم الخراب بسبب نزاع بسيط مع احد الحكام . وفيما كان يحدثهم كانت الدموع تتساقط من عينيه . وكانت برنيكة اخت اغريبا تساعد في دفاعه .

رضخ اليهود لنصائح اغريبا ، وعبرات اخته فيرونيكي ، فركنوا الى الهدوء ، ودفعوا الى الخزينة ما عليهم من ضريبة ، وعمررو الخراب الذي احداثوه في حصن انطونيا . ورجعت المياه الى مجاريها .

ولكن كان عليهم ان يطيعوا فلورس ما دام في دست الادارة حتى يقال من منصبه . فرفضوا ذلك . ولما اصر عليهم اغريبا بهذا الشرط ، رجموه بالحجارة ، وسبوه وشموه باقبح السباب والشتم . فغادر اغريبا المدينة هو واخته . وتركوا المدينة تنعى سوء طالعتها .

فبدأ العصيان من جديد . وكان البادىء في القدس اليعازر بن حنانيا الحاخام الاكبر . اذ منع العادة التي كانت متبعة من حيث تقديم الضحايا في الهيكل من لدن الاجانب . ومنع تقديم الهدايا الملوكية . حاولت العناصر المعتدلة تهدئة الامن . ولكن دون جدوى . وامتد اغريبا المعتدلين بقوة من عنده ، قوامها ثلاثة آلاف رجل . ولكن دون جدوى . ضبط الثوار الهيكل . وبقي المعتدلون والاغنياء في القسم العلوي من المدينة . وبدأ الخصام بين الفريقين ، وقد استمر سبعة ايام . حرق الثوار جميع الاضبارات والسجلات التي فيها الديون .

(١) جاء في (تاريخ سورية) المطران الدبس انه قتل يوشد في نيسان ثلاثة عشر الفا من اليهود . وفي عسقلان الفان . وفي عكا الفان . وهكذا قل عن المدن الاخرى .

وبينما كان فسباسيان يقترب من اورشليم، ويتأهب لفتحها؛ كان اليهود^(١) يعملون بقيادة (حنانيا) رئيس الكهنة. وقد عمر هذا الاسوار ورفضها. ودخلها في نفس الوقت (يوحنا الخارجي^(٢)) فوضع يده على الاموال كلها، فثار ثائر اليهود، وتمنوا ان لو يأخذ الرومان المدينة ليستريحوا من شره. وقامت حرب داخلية بين حنانيا الكاهن ويوحنا الخارجي. واستمد يوحنا العون من الادوميين (عرب). فانتحدهم فقامت قوامها عشرون الف رجل، مدججين بالسلاح. فدخل هؤلاء المدينة وكان الهوء يوم دخولهم ماطراً. وقتل جماعة يوحنا بمساعدة الادوميين نحو خمسة آلاف رجل من سكان اورشليم.

ثم ظهر خارجي آخر يسمى (سمعان بن جيورا). وكان معه عشرون الف رجل فاخذ يحارب اورشليم من الخارج. ويوحنا يحاربها من الداخل. وحدثت على اثر ذلك فتن وحروب طويلة، اصاب اورشليم بسببها ضنك عظيم. فانتحدر عدد كبير من اليهود بالقائم انفسهم من على الاسوار. ولما اسفر النهار وجدوا على الطرق وفي الاسواق ثمانية آلاف وخمسة جثة مجندلة (شباط ٦٨ م).

١٢ - في هذه الاثناء اضطر فسباسيان الى العودة الى روما، ليتولى عرش الامبراطورية الذي شغرت بموت نيرون الذي حطته النذوة عن اريكة الملك فانتحدر (٦٨ م). فتولى قيادة الجيش من بعده ابنه تيطس^(٣).

القتال. ولكن الجماهير كانت متحمسة للقتال. وازدادوا حماساً عندما نجحوا في اخراج الوالي الروماني كيستوس خارج اسوار المدينة.

١٠ - عندما غلب كيستوس على امره وطرده الى خارج المدينة، اسرع نحو الجنوب مع جيش قوامه عشرون الف رجل. وعاد فاحتل المدينة.

عندما عاد كيستوس لحصار القدس انقسم اليهود الى قسمين: قسم اراد ان يفتح ابواب المدينة الى الرومان، وقسم ابى. وفيما كانوا يتجادلون اتهم الاخبار برفع الحصار فجأة، وانسحاب الجند لسبب لا يزال مجهولاً حتى يومنا هذا.

وفيما كان الجند الرومانيون يتراجعون، اخذ عدد كبير من اليهود يرمونهم بالاقذار والحجارة والسباب والشتائم. فانقلب الانسحاب الى هزيمة. ولما رجع كيستوس يحيشه كانت - على قول يوسفوس - ربعة قد قتل. ونساء سمعة الجيش الروماني الى درجة لم يُسمع بثملها من قبل.

١١ - ثار ثائر الامبراطور (نيرون) الطاغية. فارسل اليهم قائده فلافيوس فسباسيان^(١) Vespasian ارسله على وجه السرعة لاطفاء الثورة. وامده بجيش مؤلف من ثلاثة فيالق (٦٠٠٠٠ مقاتل). هذا عدا عن كتائب المتطوعين. جيش كامل العدة والعدد لم يجهز الرومان مثله من قبل. فعارب هذا الجيش اليهود في بلاد الجليل. وكانت يرأسهم يوسفوس المؤرخ اليهودي الشهير. وانتصر عليهم. وباع الامرى الذين اسرهم بيع العبيد (٦٧ م). ولكن. انقضت شهور قبل ان يصل فسباسيان الى القدس.

(١) سماء ابن العبري في تاريخ (مختصر الدول) ص ١١٦ اسفيناوس.

(١) سركيس ١١٩.

(٢) ويسمونه «يوحنا الحشي».

(٣) سماء بن جبر الدين «طيطوس» وكذلك ورد اسمه في «تاريخ سورية» للطران الدبس وفي مختصر الدول لابن العبري ص ١١٧ وذكره ابن خلدون والمعري «طيطس» ومعناها «المحترم» تنسب عرش الامبراطورية من سنة ٧٩ الى ٨١ م.

قدر عدد الجنود النظاميين في هذه الفياق بثلثين ألفاً . فاذا اضيف اليهم عدد الخدام والمتطوعين ، بلغ مجموع الحملة ثمانين ألفاً . وكان في عداد هذه الحملة فرقة كاملة العدد من متطوعي الانباط وهم عرب .

١٥ - نصب تيطس نخيمه في شمال المدينة على جبل سكوبس وعلى بعد ألف وثلث مئة متر من السور^(١) ومعه الفيلق الخامس عشر . واقام الفيلق العاشر على جبل الزيتون . ثم وضع الفيلق الخامس غربي المدينة تجاه برج هيبيكوس وفصائل عند الباب المعروف بباب الخليل . ووضع الفيلق الثاني عشر في الموضع الذي نسميه اليوم بالمسكوبية . وقصارى القول احاط بالمدينة احاطة السوار بالمعصم من الشرق والشمال والغرب .

الآلات التي استعملها الرومان في حصارهم هي التي اعتادوا استعمالها في مثل هذه الحالات : الابراج المتحركة والمقاليع وما الى ذلك من ادوات قتال . ولأجل بناء البروج وادوات الحصار قطع الرومان جميع الاشجار التي كانت حول المدينة^(٢) . لم تفرس اشجار جديدة مكان هذه الاشجار التي قطعت خلال القرون العشرة التي اعقبت هذا الحصار ، حتى ان الصليبيين عندما حاصروا المدينة لم يجدوا ما يحتاجون اليه من خشب .

١٦ - انقضت الايام الاربعة الاولى للحصار بتنظيف الارض شمال المدينة ، وتهيئة وسائل الهجوم من تلك الناحية . لانها الناحية الوحيدة التي اقامها السكان حول الحدائق والبساتين ، وقطعوا

ولقد استولى الرعب على أفئدة اليهود قبل ان يصل تيطس ، الى درجة ان قسماً كبيراً منهم مات خوفاً وجزعاً . ووصل الخوف والجزع بالحاخامين الى درجة انهم شعروا ، وهم في كنائسهم يعبدون الله ، ان الارض تحت اقدامهم قد زلزل زلزالها .

وفيا كان تيطس يحشد رجاله لمهاجمة المدينة كان جون يستعد لمهاجمة رجال العازر في الهيكل . وقد هاجمهم فعلاً ، ودخل الى صميم الهيكل ، وذبح عدداً كبيراً من المعارضين . ومن تبقى منهم انضم اليه . وبهذه الحركة قضى على شيعة العازر . فبقى في المدينة حزبان : حزب جون « في قلعة الهيكل التي عليها المعول في صيانة القسم السفلي من المدينة » ، وحزب سيمون « في قصر هيرودس المسيطر على القسم العلوي منها » .

١٣ - وفيما كان الفريقان يقتتلان ، ظهر تيطس أمام اسوار المدينة ، ومعه جيش جرار . جاء معزماً ان يدكها دكا ، وان يجعل عاليها سافلها . وكان ذلك سنة ٧٠ للميلاد (١١ ابريل^(١)) .

١٤ - كان جيش تيطس مؤلفاً من اربعة فيالق :
(أ) الفيلق الخامس بقيادة (سيكستوس سيرالييس (Sextus Cerealis)
(ب) والفيلق العاشر بقيادة (لارتيوس ليبيدوس (Lartius Lepidus)
(ج) والفيلق الثاني عشر ، وهو الذي غلب على أمره يوم كان بقيادة (كيستيوس (Cestius)
(د) والفيلق الخامس عشر المرافق للقائد العام تيطس .

(١) (تاريخ سورية) للطران الدبس . ج ٢ ص ٣٦٥
(٢) لبناء الابراج اللازمة للهجوم .

(1) See Vol. i, P. 478 of the (Journal) Holy City, by Williams.

تيطس وقد اشار الى هذه الحادثة في كتابه ان المدينة كانت في تلك الايام كالجسم الكبير المؤلف من اعضاء مشلولة. وكان البؤس مخيماً على الكهول من الرجال والعجائز من النساء. ووصل بهم البؤس والجوع الى درجة انهم اصبحوا يتمنون مجيء الرومانيين. وما كان يجدي بالمقاتلين من ابناء الشعب اي نصح كي يصطلحوا ويعملوا بيد واحدة على تخليص ما بقي في ايديهم. وما كان ثمة اي امل في الوصول الى اي تفاهم بين الفريقين. وقد خيم الرعب والشقاء على المدينة من كل جانب.

١٩ - قبل ان يشرع تيطس في الحصار نصح الى السكان ان يفتحوا له الابواب. ولم يغرض لذلك شرطاً سوى الخضوع للسلطة الرومانية ودفع الخراج. فابوا. عندئذ شرع في القتال.

٢٠ - استولى الرعب على اليهود. ولا سيما عندما شرع الرومان يضربونهم بالحجارة وبالآلات التي اعدوها للحصار. وحاولوا الخروج من باب سري. قاصدين تخريب آلات الحصار بالنار. وحاربوا بجرأة ويأس. واشترك تيطس بنفسه في هذه المعركة. وقتل بيده اثني عشر يهودياً. وكاد اليهود يتغلبون على الرومان. لولا ان جاء الرومان مدد من الاسكندرية في آخر لحظة. فانتصروا على اليهود.

وفي اليوم الخامس عشر من ايام الحصار تمكن الرومان من اختراق جانب من القسم الخارجي للسور. ففر اليهود. وتخلوا عن شجاعتهم. ولجأوا الى داخل السور الثاني. فاستولى تيطس على بيئاتها^(١) التي كانت تؤلف ثلث المدينة (٧ ايار سنة ٧٠ م).

٢١ - كان السور الثاني يمتد بين قصر هيرودس ومنطقة الهيكل قاطعاً وادي تيروبين (حارة

(١) حارة باب حطه وباب العمود في الوقت الحاضر.

الاشجار المثمرة (يوسيفوس) التي كانت بين هذه البساتين وبين سور المدينة. وعلى قول انهم قطعوا جميع الاشجار التي كانت في شمال المدينة وغيرها لئلا تعيق حركاتهم الحربية.

وصادف ان حل عيد الفصح، فهرعت الجموع من يهود وادوميين الى الهيكل يتعبدون. وما كانوا يصدقون ان الهيكل ايضاً معرض لخطر السقوط في ايدي الاعداء. لا، بل كانوا يعتقدون بان الاله يشوعاً سينقذهم مما هم فيه. ويقول تآكتيوس ان عدد الجماهير التي احتشدت في منطقة الهيكل يومئذ يقدر بستائة الف انسان. واما يوسيفوس فانه قدرهم بضعفي هذا العدد او يزيد. واما الذين اشتركوا بالقتال فعلاً فقد قدر يوسيفوس عددهم بثلاثة وعشرين الفا.

وفي خلال المعارك المحلية التي قامت بينها هدم قسم كبير من المنازل وحرقت القسم الآخر. وحرقت معها الجيوب التي كانت مدخرة فيها. ولهذا ذر قرن المجاعة في المدينة قبل ان يبدأ الحصار.

١٧ - كان للقدس يومئذ ثلاثة حصون: حصن هيرودس (باب الخليل) وحصن انطونيا (شمال الحرم) وحصن الهيكل.

وكانت المدينة نفسها تعج بالسكان^(١) الذين ينتمون الى مختلف الاحزاب. اما العازر واتباعه الموجودون في منطقة الهيكل، فقد كان لديهم كميات كبيرة من الذخائر والمؤن؛ واما خصومهم الذين كانوا في خارج الهيكل، فلم يكن لديهم شيء من ذلك. وكانوا يتضورون جوعاً.

١٨ - ويقول يوسيفوس الذي كان يرافق

(١) قال يوسيفوس انه كان فيها يومئذ مليون نسمة. واما المؤرخ الروماني Tacitus تأستنه فانه يقول انه كان فيها ستمائة الف نسمة فقط.

به . وبأويل الذي يعثرون عليه وفي يده اكل ، او على وجهه علامة الشبع . فقد كانوا يذبونه حتى يعترف لهم اين يوجد ما يأكلون . اضاعوا كل امل في الهرب والنجاة (يوسيفوس) . وكانت ازقة المدينة مليئة بجثث الاموات من الشيوخ والعجز . والمنازل مليئة بالنساء والاطفال الذين كانوا يعالجون سكرات الموت من الجوع . وكثيرون منهم ماتوا ، بينما كانوا يحاولون دفن من سبقهم من الاموات .

٢٥ - وعندما اشتد الخطر ، المجاعة في الداخل والعدو في الخارج ، اتحد الاثنان : يوحنا وشمعون . وكان تيطس منهمكاً في تشييد ابراجه ، ليهاجم منها الهيكل (وقد قضى في تهيئة ذلك سبعة عشر يوماً) . فبنى منها في باديء الامر اربعة . ولكن اليهود تمكنوا من حرقها . فانسحب الرومان الى الورا .

٢٦ - عقد تيطس مجلساً ليستشيره : ماذا يجب ان يصنع ؟ فتقرر ، بناء على اشارته ، اقامة سور حول المدينة A wall of Circumvallation وحصار كامل ، وقطع كل اتصال بين القدس والمدن الاخرى ، ولم يحاول اليهود عرقلة الاعمال التي قام بها الرومان في هذا السبيل (اذ كانوا ضعافاً للغاية) ولم يسمح لاحد بالوصول الى السور .

فاشتدت النكبة على اليهود . وزاد عدد الذين ماتوا منهم جوعاً .

ويقال ان تيطس نفسه ، رغم انه قوي الارادة ورغم تصميمه على الظفر مهما كلفه الامر ، اخذته الشقة ؟ فراح يبكي ، ويشهد الله على انه لم يكن السبب في ما جرى . .

٢٧ - لم يفكر اليهود بالاستسلام . وعندما راح

الواد . ذلك الوادي الذي امتلأ ، قبل الحرب الاهلية بين جون وسيمون ، بمنازل طبقة العوام من الشعب . وكان هذا الحي اكثر احياء المدينة ازدهاراً بالسكان . والسور الذي كان يحميه لم يكن من القوة بدرجة التحصينات الاخرى . حتى ان الرومان تمكنوا في بحر خمسة ايام من اختراقه . فدخلوا المدينة وعلى رأسهم تيطس .

٢٢ - امر تيطس بعدم تخريب البيوت ، وعدم النهب والسلب ، وعدم الاعتداء على السكان . فعل ذلك على امل ان يحدث تفرقة بين الجند والسكان . ولكن اليهود ظنوا ذلك ضعفاً منه . فراحوا يهاجمون الرومان في الشوارع من المنازل والاسوار . وظلوا كذلك حتى تمكنوا من اخراجهم من الاماكن التي احتلوها في داخل المدينة . واستولوا على السور من جديد .

دامت المعركة اربعة ايام اخرى عندما دخل تيطس مرة اخرى ، وهدم جميع القسم الشمالي من السور ، واستولى على القسم السفلي من المدينة .

٢٣ - استعرض تيطس جيشه امام اسوار المدينة ، وعلى مرأى من اليهود المحصورين فيها . ودام الاستعراض اربعة ايام كان الجيش الروماني خلالها يمر من امام المدينة بمشاته وفرسانه ، كلهم مرتدين بذاتهم العسكرية ومسلحين بالات عدد حربية كاملة . فامتلأت قلوب اليهود رعباً عندما رأوا هذا العدد من الجند ، وهذه الاسلحة الكاملة ، وهذا النظام البديع في السير وفي اتباع الاوامر .

٢٤ - خاف اليهود . ولكنهم لم يستسلموا . ما كان لهم اي امل . وكان يموت منهم في كل يوم آلاف كثيرة . وكانوا يلقون بجثث الموتى من على الاسوار الى الوديان . وكانت الجنود يروحون ويفقدون في شوارع المدينة ، باحثين عن غذاء يقتاتون

حتى ان أحد حراس الابواب المسؤولين عن حفظ سجل الاموات ، قال : ليو سيفوس انه مر من بابيه منذ بدء الحصار ١١٥٠٨٨٠ ميلاً . ويقدر يوسفوس ، نقلاً عن الكثيرين من المؤرخين الذين يثق بهم ، عدد الاموات منذ بدء الحصار بستماية الف .

٢٩ - ثابر تيطس على تشديد الخناق على اليهود ، وظل يرمي السور بالمنجنيق وادوات الحصار . ويحفر الخنادق تحت السور حتى تمكن من قلعة اساسه وهدمه . وظل يفعل ذلك حتى سقط السور . ولكن بالدهشته ما اشدها عندما رأى تيطس ان اليهود كانوا قد بنوا وراء هذا السور الذي تهدم سوراً جديداً . وراح اليهود من فوقه يدافعون .

٣٠ - وعد تيطس بمكافأة عالية كل من يسبق الآخرين في تسلق السور . فحاول روماني يدعى (سابنيوس) مع احد عشر رجلاً آخرين تسلق السور . ولكنه قتل من لشدن اليهود . وكذلك رفاقه . فمنهم من قتل ، ومنهم من جرح . ولكن الرومان عادوا فتغلبوا . فاحتلوا قبل كل شيء قلعة انطونيا وساروا نحو الهيكل . فأخذ اليهود يسهون انفسهم الى الرومان زرافات ووحداثا ، طالبين الرحمة من تيطس . فتلقاهم تيطس بالطف ، وارسلهم الى جفنة .

٣١ - قيل ان جندياً رومانياً^(١) احرق الهيكل دون امر من تيطس . رفعه جندي آخر على اكتافه والقي بالنار من نافذة من نوافذ الهيكل الشمالية . حاول اليهود اطفاءها . ولكنهم دون جدوى . وتيطس نفسه مع اركان حربه اسرع لينقذ ما يمكن انقاذه . ولكنه جاء متأخراً . إذ سقط الهيكل الى الحضيض (١٠ آب سنة ٧٠ م) .

(١) قيل انه كان يعرف ان تيطس لا يريد ان يحرق الهيكل ولكنه خالف امر قائده .

واحد منهم يدعى (مانيا) يخبر الرومان من اجل الاستسلام ، اكتشفوا امره ؛ فقتلوه وثلاثة من اولاده .

وكذلك جرى لآخر منهم يدعى (يودا) ، ابن احد القواد الذي كان مسؤولاً عن القسم العلوي من المدينة . فقد اتفق هذا مع عشرة من رجاله ، وارسل الى الرومان رسولا يدعومهم للمجيء واستلام القلعة .

ولكن تيطس لم ينخدع . وخشي ان يكون اليهود قد نصبوا له مكيدة جديدة . وعندما اكتشفت هذه المؤامرة قتل يودا ورجاله العشرة ، والقيت جثثهم من على الاسوار بين ارجل الرومانيين .

وفي تلك الآونة من الحصار جرح يوسفوس المؤرخ المشهور . جرح بجرح اصابه في رأسه . وقد كان اليهود المحصورون يكرهونه اكثر من كرههم لأي انسان آخر . ولما كان يحرض قومه على الاستسلام ، فقد كانوا يعدونه خارجاً عليهم .

٢٨ - نصح يوسفوس قومه بالاستسلام . فتبعه فريق منهم ، وخرجوا يريدون تسليم انفسهم الى الرومان . ولكنهم صادفوا طالعاً سيئاً . اذ كان قد اشيع عنهم ؛ انهم قبل خروجهم من المدينة ابتلعوا الذهب الذي كانوا يملكونه . فقتلهم المتطوعون من العرب والسوريين الذين كانوا في الجيش الروماني ، ليعثروا على الذهب الذي في بطونهم . فجزع اليهود الذين في داخل المدينة ، وعدلوا عن التسليم .

وكانت المجاعة تزداد كل يوم عن يوم . وكان عدد الاموات كل يوم في ازدياد . واكل الناس الكلاب والجرذان والحشرات . ولم يعد للفضة قيمة . وذبحت امرأة اسمها (مرياند) ابنها وأكلت لحمه . وانتشر الوباء .

وجدوا بعض الناس مختبئين. فحكموا عليهم بالموت. وفي البعض الاخرى عثروا على جثث الموتى .

إلا يوحنا وسمعان، فانهم لم يعثروا عليها في باديء الامر، لابين الاسرى ولا بين الاموات. ولكنهم عثروا عليها بعد حين. اما جون فقد سلم نفسه بعد احتلال القدس ببضعة ايام . فسجنه وابقاه سجيناً مدى الحياة . واما سيمون فلم يسلم نفسه الا في اكتوبر . وقد اخذه معه الى روما . وفي الاستعراض الذي اقامه هناك اختفاء بالنصر قتله .

قدر يوسفوس عدد من هلك في هذه الحرب بمليون ومائة الف نسمة . والذين اخذوا ارقاء ونقلوا الى رومية تسعة وتسعون الفا . والباقيون طردوا الى مصر وغيرها من البلدان وحقت على اليهود نبوءة ارميا الذي قال : « الذين للموت فالى الموت . والذين للسيف فالى السيف . والذين للجوع فالى الجوع . والذين للسبي فالى السبي » .

٣٣ - قامت افراح الرومان : زينبات ، وضيافات ، وترقيات ، ومكافئات ، وتقسيم منهوبات . ودامت هذه الافراح ثلاثة ايام (١ ايلول ٧٠)

بعدئذ سافر تيطس الى قيصرية . واخذ معه الفيلقين : الخامس والخامس عشر . وابقى في القدس الفيلق العاشر بقيادة (ترنتيوس روفوس) لاجل صيانة الامن في المدينة . وارسل الفيلق الثاني عشر الى شواطئ الفرات .

٣٤ - وفي قيسارية اقام تيطس الحفلات الدالة على انتصاره . واستحضر في هذه الاحتفالات وحوشاً ضارية . وارغم كثيرين من اسرى اليهود ان يصارعوها .

(١) لوك وكيث روش ص ٥٦

٣٢ - قتل عشرة آلاف شخص في مكان الهيكل . بينهم اطفال وشيوخ ، وحاخاميون . وهرب ستة آلاف الى القصر الملكي . ذلك البناء الفخم الذي كان يتوج جدار الهيكل من الناحية الجنوبية ويمتد حتى وادي قدرون شرقاً . ولكن الرومانيين اطلقوا النار على هذا القصر ايضاً . ومات الفارون . ويقول يوسفوس ان ارض الهيكل كانت تغلي ناراً ودماً . وان عدد المذبوحين كان اكثر من عدد الذابحين . وان الجنود الرومانيين كانوا يدوسون على جثث الموتى أثناء سيرهم . وان اكثر المنازل هدمت او احترقت . ولما دخل تيطس الى منطقة الهيكل استقبل فيه كما تستقبل الملوك .

عندما تم احتلال المدينة من قبل تيطس ، وذبح فيها من ذبح ، وحرق ما احرق ، واسر من اسر ، راح يبيع هؤلاء الاسرى كالعبيد : فمنهم من اشترى ليحارب مع الرومان ، ومنهم من القى للوحوش الضارية كي يصارع هذه الوحوش في المسارح ، ومنهم من حكم عليه بالاشغال الشاقة في المناجم مدى الحياة .

وراح الرومانيون يبحثون عن اليهود الفارين في الغرف والمخابئ المحفورة تحت الارض . وكانت القدس في تلك الايام مليئة بمثل هذه الغرف والمخابئ ، وعندما بحثوا عن الكنوز والاموال المخبأة فيها ،

(١) اسم هذا الجندي (دوميروس) وهو سوري الجنسية حورانى المولد مسيحي المذهب . ولقد تطوع في الجيش الروماني نكاية باليهود اعداء السوريين واعداء الرومان في ذلك الحين . واحرق الهيكل محالفاً بذلك امر تيطس . وقد اشتركت اخته (دوميرا) معه في هذا العمل . وتبعها عدد من الجنود الاخرين ، لاعتقادهم بان القضاء على الهيكل قضاء على الهمز الذي يلتف حوله اليهود .

(٢) من الاتفاقات الغربية ان الهيكل القديم الذي بناه سليمان الملك دمر على يد نبوخذ نصر في مثل هذا اليوم (اي ١٠ آب) من سنة ٥٨٦ ق.م .

فظفرت بهم الوحوش ، وافترستهم . وكذلك فعل باليهود في حفلات ومصارعات اخرى .

ثم سافرتي طس الى روما ، مضطجبا معه يوسفوس . فقبل فيها بعظيم الاحتفاء كما لو كان ملكا . فاقبعت على شرفه حفلات . ورفعت اقواس النصر .

٣٥ - سك الرومان ، احتفاء بهذا النصر ، نقودا (٧٩ - ٨١ م) يرى الرائي على وجه القطعة منها صورة تيطس ويده الصولجان وامامه امرأة يهودية حزينة جالسة على الارض ومتكئة على نخلة ، وعلى الوجه الاخر اسير يهودي مكبل اليدين واقف ينظر الى امرأتين اسيرتين . وفي ذلك اشارة الى سبي اليهود الذي تم على يد تيطس الذي قهرهم وأذلهم .

٣٦ - يقول بالمر وبيزانت اللذان نقلت عنهما وقائع هذه الحرب الضروس ان المؤرخ اليهودي يوسفوس الذي جرى ما جرى امام سمعه وبصره كان محقا في زعمه ان اليهود ما كانوا ليلغوا هذه الدرجة من الذل والمسكنة والتقهر والانخزال ، لولا انهم كانوا مشاغبين وانانيين وفوضيين ، لا يحبون النظام ولا يطيعون الاوامر .

٣٧ - هجرت القدس هجرا طويلا بعد احتلالها من لدن تيطس . فلم يبق فيها سوى الحامية الرومانية يجنودها وضباطها ، وهم افراد الفرقة العاشرة ؛ وان الداخل من باب الخليل الى المدينة القديمة يرى على يساره تجاه السور بناء كبيرا . وفي الطابق الارضي لهذا البناء وفي وسطه يرى عموداً من رخام نقش عليه اسم هذه الفرقة .

وقد رجع اليها المسيحيون الذين كانوا فيها . واما اليهود فقد حظر عليهم الرجوع اليها . ذلك لان الرومان ايقنوا انهم مصدر القلاقل والفتن التي

كانت تشتعل في البلاد ، وان اكثر هذه القلاقل والفتن كانت تنبعث من القدس التي اسموها ، كما احماها اليونانيون من قبلهم ، « عش الدسائس والفتن » .

٣٨ - لم يضطهد امبراطور الرومان فسباسيان اليهود الذين عاشوا خارج مدينة القدس . اذ اكتفى بما اصابهم من ذل . ولكنه فرض على كل واحد منهم دراختين ؛ لا ، من اجل هيكلهم ولكن من أجل بناء هيكل باسم « جوبيتر كابيتالينوس » اي مشترى العاصمة . وقد حصلوها فوراً . وبحث عمال فسباسيان عن كل شخص يت بالنسب الى الملك داود من اجل القضاء على الاسرة المالكة .

٣٩ - ظل اليهود قابعين في اماكنهم حيث كانوا اربعين عاما . لم يثوروا ، لا ، بل ولم يحرکوا ساكنا . ولكنهم عادوا الى الشغب في عهد الامبراطور تراجان (١٠٦ - ١١٤ م) . فقد حدثنا التاريخ انهم في روما مثلاً كانوا يأتون باعمال من شأنها اغاظة الرومان . فبينما يكون هؤلاء مجتمعين ليحتفلوا بميلاد ولي عهدهم ، كان اليهود يقيمون المناحات . وبينما يكون البلاط الامبراطوري في حداد لموت احدي بنات الاسرة المالكة ، يظهر اليهود اقصى آيات الفرح والسرور : فيضيئون الشموع وينشدون الاغاني والاهازيج . ومن هذا العناد نشأ الاضطهاد الذي وقع عليهم في ذلك العهد .

٤٠ - ففي زمن الاسكندر ذبح اليونان جميع اليهود الذين كانوا فيها ، فقام اليهود الذين في قبرص على اثر ذلك وذبحوا ٢٤٠٠٠٠ من مواطنيهم . في طرابلس الغرب ومصر ايضا ثار اليهود . كما ثاروا في بلاد ما بين النهرين .

واما في القدس ، وقد تمكن عدد كبير من اليهود من الرجوع اليها بسبب ضعف الحامية فيها ،

فقام يصلي دون ان يستأذن القضاة الذين كانوا يستجوبونه . فحكموا بتعذيبه .

اخفى اليهود بادیء ذي بدء غايتهم . كانوا يعرفون المغائر ، والمخابىء ، والمرات تحت الارض ، وطرق المواصلات . وحفروا الدهايز تحت الارض واوصلوها بعضها ببعض . وحصنوا المواقع القابلة للتحصين . وقد نجحوا في ثورتهم في الايام الاولى من ثورتهم . فاستولوا على عدد كبير من القرى والمواقع المحصنة .

وكان همهم في الدرجة الاولى الاستيلاء على القدس . ولم يكن فيها يومئذ سوى حامية صغيرة . فدخلوها من غير مقاومة تذكر . واعادوا بناء الهيكل .

٤٣ - - والحاكم الروماني (تورنوس روفوس) الذي كان لديه عدد قليل من الجنود وان كانت استطاع ان يذبح عدداً كبيراً من اليهود الكاثنين خارج القدس ، الا انه لم يكن من القوة بحيث يستطيع ان يسيطر على الثائرين في داخل القدس . وكان هؤلاء يزدادون سطوة وبأساً في كل يوم .

٤٤ - - فسأدى ادريانوس اليه (يوليوس سيفيروس Julius Severus) بوجه السرعة . وجاء هذا بقوة كبيرة . وسار على الخطة التي كان قد رسمها من قبله فسباسيان . فهاجم الامكنة المحصنة الواحد بعد الآخر . ثم احتل القدس . وكسر معنويات الثوار . وذبح بارقوخبا . فياس الثوار . وراحوا يسمونه : (باركزيبا Bar koziba) ابن الكذاب . وفي المعركة التي تلت ذلك في ضاحية من ضواحي القدس ، وكان قائد الثوار فيها ابن بارقوخبا ، تغلب الرومان على اليهود وقتلوا منهم ٥٨٠٠٠٠٠ بالسيف . هذا غير الذين ماتوا منهم جوعاً او مرضاً او حرقاً بالنار . ومن لم يمت بطويقة

فقد ثاروا ايضاً . ولكن ثورتهم هذه أطفئت على الفور من لدن الحاكم الروماني (لوقيوس كويتوس Lucius Quietus)

٤١ - ولما مات تراجان واعتلى على عرش الامبراطورية (ادريانوس^(١)) ١١٧ - ١٣٨ م تحلى عن جميع البلاد الواقعة في الشرق وراء نهر الفرات . فعاش اليهود في ما وراء ذلك النهر مع الفرس اصدقاءهم وساداتهم الاقدمين .

وقد اعتزم ادريانوس ان يقضي على الشعب اليهودي الذي كان لا يهدأ له بال دون ان يكون السبب في نوع من انواع الشغب والاضطراب . فعين اخا زوجته (اكيلا) والياً على المدينة . وامره باعادة المدينة الى سابق عزاها . فحظر هذا على اليهود الاختتان (الطهور) ، وقراءة التوراة ، واحترام السبت . واعتزم - الى ذلك - قلب مدينة القدس الى مستعمرة رومانية .

٤٢ - عندئذ قام بارقوخبا ، ابن الكوكب واصل اليهود . وانتحل لنفسه صفة المسيح المنتظر . وحرص قومه على الثورة . فقامت اضطرابات دموية (١٣٥ ب.م) كانت اشد الثورات التي قام بها اليهود واكثرها دماً . ولكنها انتهت بفشل اليهود .

بدت الثورة باشاعات . وسرت الاشاعات بسرعة البرق : « المسيح المنتظر قد جاء ! . تحققت نبوة (بلغام) ! . يقود بارقوخبا مئتي الف محارب من اليهود المتدينين ! . »

عندئذ استحضر الوالي الروماني الجديد (تورنوس روفوس Turnus Rufus) الحاكم (عقيبا) اليه وسجنه . واتي به الى المحكمة . وفيما كانوا يستجوبونه على فعله ، تذكر الحاكم عقيبا انه حان وقت الصلاة .

(١) يكتب البعض هذا الاسم (هيريان) و (هيريانوس) . وعندنا انه من الانسب كتابته بهذا الشكل : (ادريانوس) . فقد ذكره ابن العبري في (مختصر الدول) ص ١٢١ ادريانوس .

من الطرق ، طرده من المدينة . فلم يبق فيها منهم واحد .

٤٥ - ولما قضي على الثورة التي قادها بارقوخبا سنة ١٣٥ بعد الميلاد ، فرض الوالي الروماني (سبتيموس سيفيروس Septimus Severus) (١) على اليهود تدابير لا يطبقونها ، لئلا يثوروا مرة أخرى . فغادروا فلسطين . وتشتتوا في جميع أنحاء العالم : في سوريا وآسيا الصغرى وفي مصر وطرابلس الغرب وجزر الأرخيبيل وإيطاليا وبلاد اليونان والغال وغيرها من البلدان .

ولم تقم لهم في فلسطين قائمة بعد ذلك التاريخ .
٤٦ - - امتست القدس خراباً على عهد ادرينوس . إذ انه حصدها حصداً . . وأصبحت قرية صغيرة تابعة لقيصرية من جميع النواحي الادارية والسياسية والاقتصادية والدينية . وقد حظر على اليهود الرجوع اليها . وسكنها اقوام مختلطة من يونان وسوريين ورومان .

وقد اضطهد الامبراطور ادرينوس المسيحيين ايضاً (٢) . فامر (سنة ١٣٥ م) بإجلائهم عن الكنيسة . وقد امر بدم المكان بكية وافرة من التراب والحجارة . وغطى أرضه الاصلية وبلطه . وبنى فوق الجلجلة والقبر هيكليين وثنيين . ونصب فوقها تمثالاً المشتري والزهرة . ثم حول الأرض المجاورة لها الى بستان (٣) .

٤٧ - وفي عام ١٣٩ م اي بعد مضي اربع سنوات على خراب اورشليم الثاني ، بنى الامبراطور

(١) كان هذا قبل ان يعتلي العرش متزوجاً امرأة سورية اسمها (جولية دمنة) . ومعنى سيفيروس الصارم . ولما اعتلى العرش أصبحت امرأته هذه الامرة الناهية في جميع أنحاء الامبراطورية .

(٢) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ٧ .

(٣) رسالة القديس ايرونغوس السابعة عشرة الى بولينا . عدد ٣

ادرينانوس مدينة جديدة على انقاض المدينة القديمة احتفالاً بمرور واحد وعشرين عاماً على ارتقائه سدة الملك ، دعاها (ايليا كابيتولينا (١)) . وقد حظر على اليهود ليس فقط دخول هذه المدينة الجديدة ، بل والنظر اليها من بعيد . وبهذا قضى على كيانهم قضاء مبرماً وإلى الابد .

٤٨ - بنى (ادرينانوس) سوقاً في المكان المعروف الآن بباب العمود . واقام هناك اروقة واعمدية كثيرة قيل انها كانت تمتد حتى جبل صهيون .

٤٩ - بعد بناء القدس الجديدة (ايليا كابيتولينا) أصبحت (٢) المسكوكات التي ضربت فيها لاتينية . وقد توصل الاثريون الى عدد من هذه النقود الرومانية ترجع الى ذلك العهد والى عهود الاباطرة التي جاءت من بعده .

٥٠ - الآن وقد انتهينا من ذكر الوقائع التي جرت في القدس على عهد الرومان ، نود ان نلقى نظرة على حالة القدس يومئذ من ناحية عمرانية واجتماعية ، فنقول :

منحوا البلاد ، في بادئ الامر ، استقلالاً داخلياً تابعاً للسيادة الرومانية . وعينوا ابناءها حكاماً . ولكنهم عادوا مع توالي الثورات والاضطرابات فعدلوا عن الحكم الذاتي ، وضموها الى امبراطوريتهم . واخذوا يبعثون اليها بالحكام من ابناء روما ليحكموها . ومع ذلك فقد حدثت اثناء التاريخ ان معاملتهم للشعوب والبلاد المحتلة كانت معاملة انسانية واحترام . وانهم كانوا يمنحونهم نفس الحقوق التي كانوا يمنحونها لاهلنا الوطن .

(١) ان هذا الاسم مأخوذ من اسم اسرته (ايلوس) . واسم التمثال (جويستر كابيتولين) الذي نصبه فوق المكان الذي صلب فيه السيد المسيح .

(٢) مجلة (الراعي الصالح) ج ١٢ .

التي تدير عليها القوافل التجارية في عهد الرومان :
القدس - اللسان - غور المزرعة - الكرك -
الطفيلة - الشوبك .

وكان الانباط قد احتكروا القوافل ووسائل
النقل على هذه الطريق في النصف الاول من القرن
الاول للميلاد ؛ لعدم وجود منافس لهم ، ولعدم
استعمال الطريق البحرية في ذلك الحين بسبب جهلهم
فعل الرياح الموسمية .

وكانت هنالك طريق بين فيلادلفيا (عمان)
والقدس ^(١) تتبع الطريق الحديثة التي
تخترق وادي الاردن .

رصف الرومان هذه الطرقات ، وجعلوها دائمة
بدلاً من مؤقتة . ولا شك ان المهندسين الذين رسموا
مخططاتها كانوا ماهرين ، بدليل ان اقساماً من هذه
الطرق لا تزال باقية الى الآن .

٥٤ - هناك نقود ومسكوكات ترجع الى عهود
الاباطرة : اغسطس (٦٣ ق.م - ١٤ م.) .
طيباريوس (١٤ - ٣٧ م.) . كلوديوس (٤١ - ٥٤ م.) .
نيرون (٥٤ - ٦٨ م.) . فسباسيانوس (٦٩ - ٧٩ م.) .
تيطس (٧٩ - ٨١ م.) . وهي تحمل آثارهم .

وبين عهدي طيباريوس وكلوديوس ، اي في عهد
كاليجولا (٣٧ - ٤١ م.) ضربت عملة في اورشليم . وجميع
القطع التي ضربت في ايامه تحمل نفس الرموز .
نقش على وجهها : من الملك اغريباس (باليونانية)
مظلة في حقل مزدانة بالزهو ، وعلى الخلف ثلاث
سنابل ، وعلى يسارها ويمينها رقم السنة السادسة
من حكم اغريباس .

اثناء الثورة التي اوقد نارها (سمعان بارقوخيا)
في زمن الامبراطور ادريانوس (١١٧ - ١٣٨ م)

٥١ - وقد ازدادت القدس ، على عهدهم ، اهمية
من جميع النواحي السياسية والعسكرية والتجارية .
لا ، بل اصبحت من اهم الاهداف التي ترمي اليها
الامبراطورية الرومانية في الشرق . فكانت الجيوش
تقد اليها من الغرب الى الشرق .

٥٢ - وكان من الطبيعي ايضاً ان يكون لهذه
الحركة ، حركة الازدهار والعمارة ،
تأثيرها في الحركة الفكرية وفي طرق الادارة
والجباية . فقد حدثنا التاريخ انهم كانوا يفرضون
الضرائب ويحبون الرسوم ومنها :

ومنها الجزية ^(١) ، وعشر الغلة ^(٢) ، وخراج
الاملاك ^(٣) ، واثاوة المال ، والمكوس على الواردات
والصادرات وما الى ذلك . ويقول الاستاذ محمد كرد
على الذي اشار الى طرق الجباية ^(٤) هذه في عهد
الرومان ان روما غنيت يومئذ ، والبلاد فقرت .

ان الطريق الحالية التي تمر من داخل المدينة من
باب العامود الى باب الاسباط ، والتي تفصل بين منطقة
الحرم وحارة السعدية ، كانت قبل العهد الروماني واديا
يفصل بين حارتي موريا (منطقة الحرم اليوم) . وبيزيتا
(باب حطة وحارة السعدية اليوم) ولما احتل
الرومان القدس ازالوا هذا الوادي باملأته بالتراب .
وكان ذلك بامر من الامبراطور (يومي) .

٥٣ - كانت الطريق الاتي ذكرها من اهم الطرق

(١) من سن ١٤ للذكور و ١٢ للإناث حتى سن ٦٥ .

(٢) كانوا يؤجرونها الى متعهدين يسمونهم (المشارين) وكان
هؤلاء يجبون اكثر مما يستحقون وكثيراً ما بيع الفقراء
الذين يعجزون عن دفع ضرائبهم في الاسواق بيع الرقيق .

(٣) واحد في المئة .

(٤) خطط الشام ص ٤٧ الجزء ٥ .

(١) (تاريخ شرقي الاردن وقبائلها) لبيك باشا . ص ٧١

لهم ولع بالشغل والعمل . يرغبون في القناعة . لهم عزم ثابت . ذوو شدة ومراس .

ولقد قطعوا شوطاً بعيداً في سبيل عمران هذه البلاد . فلا المعابد التي بنوها ، ولا المخافر والحصون التي شيدها ، كانت لتليهم عن واجباتهم الاخرى . فقد عبدوا الطرق ، وحفروا الصهاريج ، وانشأوا المجاري ، واقاموا السدود والجسور ، وغرسوا الاشجار . فازدهرت التجارة والصناعة في عهدهم .

٥٧ - ولكنهم بعد الفتوحات ابطرتهم النعمة والسعة . فتفرغوا للملاهي ، واحبوا العظمة ، واشتغلوا بالملاعب والملاهي ، وانتحلوا ديانة الامم والبلدان التي افتتحوها .

٥٨ - وانه لمن المؤسف القول ان اكثر المنشآت التي قامت في هذه البلاد على عهد الرومان ، عفت آثارها : فقسم منها الم به الخراب في اثناء الثورة المكابية وثورة بارقورخبا وغيرها من الثورات . وما تبقى منها بعد هذه الثورات ، خربه الفرس عندما احتلوا المدينة (٦١٤ م) قبيلاً الفتح الاسلامي . وكان تخريبهم لها بتحريض من اليهود . ولقد حدثناك عن هذا الحادث بالتفصيل في فصل الفرس .

ضرب اليهود في اورشليم مسكوكات عبرية (١٣١ م) نقش على وجهها : اورشليم . هيكل في واجهته اربعة اعمدة . غصن نخلة . سيمان . عنقود . عود طرب . شجرة بلح مثمرة . غصن دالية . وعلى الخلف : السنة الاولى من خلاص اسرائيل . السنة الثانية . شجرة في حقل . حزمة من الاغصان . حرية اورشليم . يوقان . اناه له مقبضان .

وكثير من هذه القطع النقدية ضرب على مسكوكات قديمة ، تعود الى زماني ادريانوس و تراجان^(١) .

٥٥ - اللغات التي كانت مستعملة في القدس ، على عهد الرومان ، هي : (الآرامية) . وقد كانت هذه يومئذ لغة التخاطب العامة . و (العبرية) لغة اليهود من السكان . و (اليونانية) لغير اليهود ، وللمثقفين من السكان على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم . و (اللاتينية) لموظفي الرومان وعماهم . وقد بلغت هذه الذروة على عهدهم .

٥٦ - كان الرومان ماهرين في صناعة البناء ، والنقش على الرخام . وفي صناعة التماثيل والاوئان .

(١) عملة (الراعي الصالح) ج ١٢



القدس في العهد البيزنطي

٤ - ان اول من تنصر من اباطرة الرومان هو امبراطور المملكة الرومانية الشرقية : (قسطنطين) (١). فقد تنصر هو وسمح للنصرانية بالانتشار في الغرب ، بينما كانت هذه مضطهدة في الشرق . وقامت بينه وبين ليسينيوس حروب كان النصر فيها حليفه . فتم له ما اراد . وفتح روما . فاصبح القائد غير المنازع للمملكة الرومانية في الشرق والغرب . واقام على انقاض بيزانس القديمة مدينة جديدة اسمها : قسطنطينية (٣٣٠ م . ب م .) فزاد في ساحتها اربعة اميال . وبنى حولها سوراً . واتخذها عاصمة ملكه . وبنى في القسطنطينية كنيسة اسمها : (اياصوفيا) . فمن هو هذا قسطنطين ؟

٥ - جاء في الموسوعة البريطانية Encyclopaedia Britannica انه (قسطنطين الكبير) . وانه ولد بمدينة (نيش) من أعمال صربيا . وكان ذلك بتاريخ ٢٧ شباط ٢٨٨ م . وقد عاش تسعاً واربعين سنة . تسنم العرش بعد وفاة ابيه قسطنطينوس الاول . وكان ذلك بتاريخ ٢٦ تموز ٣٠٦ م . وراح يحمل لقب « قيصر » في الشرق والغرب من مملكته . . تزوج من فوستا Fausta ابنة مكسيميان . . وانتصر في حروبه على اعدائه . وكان يقود جيشاً قوامه مئة الف مقاتل . وقيل في انتصاره انه (٣) بينما كان يزحف صوب اهدافه

وصل الاصطدام ذروته بين الوثنيين والمسيحيين على عهد امبراطور الرومان مكسيمينوس (٣٠٣ م) . وكان على رأس الكرسي الاورشليمي يومئذ الاسقف ايرمون (١) . فقد قبض على عدد كبير من المسيحيين ، وقتلوا بعد ان عذبوا : بعضهم احرق بالنار ، والبعض الآخر طرح لوحوش البر . وكان الوثنيون في بعض الأحيان يكتفون بتكليفهم بالرجوع عن ديانتهم . فاذا رفضوا عذبوا بوضع ارجلهم في قوالب من حديد ، او كشطت جلودهم وهم احياء . وقد امر الوالي الروماني ارضاء للامبراطور مكسيمينوس ان لا تدفن جثث الموتى من المسيحيين .

٢ - عندما مات مكسيمينوس (٣١٤ م) وتولى الامبراطور قسطنطين الامر ، وقف الاضطهاد الذي كان موجهاً للدين المسيحي . اذ نشر هذا امراً اتاح فيه لجميع رعاياه حرية الدين .

٣ - كانت الامبراطورية الرومانية منشقة الى مملكتين :

(أ) المملكة الغربية وعاصمتها روما
(ب) المملكة الشرقية وعاصمتها بيزانس
وكانت فلسطين آنئذ تحت سيطرة المملكة الرومانية الشرقية وكانوا يسمونها : (الدولة البيزنطية) .

ولكن الملك قسطنطين وحد المملكتين كما سترى في الاسطر التالية :

(١) قسطنطين كلمة لاتينية معناها : الحازم .
(٢) ويسمونها اسطنبول واسلامبول واستانبول واستنبول . وهي مؤلفة من ثلاث كلمات : اس - تسن - بولس . اي في المدينة .
(٣) (تاريخ مختصر الدول) لابي الفرج بن اهرن الطليبي الملقب المعروف بابن العربي . ص ١٣٤

(١) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية . ص ٢٧
(٢) استانبول

للحكام الاداريين بالتدخل في الشؤون العسكرية .
ونظم ايضا الشؤون المالية والبلدية والزراعية .
ووسع سلطات رجال الكهنوت . وشجع (اللامركزية)
في اعمال الولايات .

١٠ - توفي في ٢٢ ايار ٣٣٧ م . ودفن في
كنيسة ابوستولس بالقسطنطينية .

١١ - عندما تنصر قسطنطين تبعه خلق كثير
من سكان البلاد التي كان يحكمها ، ومن سكان البلاد
المجاورة لمملكته ايضا ، فتنصروا . وكذلك قل
عن سكان فلسطين الذين اعتنقوا النصرانية . ولم
يمض وقت كبير حتى تنصرت امه الملكة هيلانة^(١) .
وزارت هيلانة مدينة القدس (٣٢٦ م) . فبنت فيها
كنيسة القيامة .

تري كيف ولماذا واين بنتها ؟ هذا ما سنقصه
عليك في السطور التالية :

١٢ - قلنا في موضع آخر من هذا الكتاب ان
السيد المسيح اُدين في القدس على عهد الوالي الروماني
(بيلاطس) وحكم عليه بالموت . وكان من عادة
الرومان ان يصلبوا المحكوم . فاخذوه الجند . ولما
مضوا به الى الموضع الذي يدعى (الجمجمة)
صلبوه^(٢) هناك . ويقال لهذا الموضع ايضا (جلبجثة) .
وكان المكان الذي صلب فيه قريبا من المدينة^(٣) ،
خارج السور . ولما كان المساء جاء رجل غني من
الرامنة اسمه يوسف^(٤) . « وكان هذا رجلا صالحا

في اورولا ؛ شاهد في السماء ، وهو يبتهل الى رب
السماء كي ينصره على اعدائه ، قبساً من نور شبيه
بشارة الصليب . فاستبشر . وصاغ لنفسه صليباً
من ذهب ، وكان يرفعه على رأس ربحه . ولما غزا
روما وافتتحها ، وتم له ما اراد ، رأى من مصلحته
ان يتنصر . فتنصر ، واصبح منذ ذلك الوقت
مسيحياً صادقاً .

٦ - في سنة ٣٢٥ م اصبح قسطنطين الحاكم المطلق
في الشرق والغرب . وفي سنة ٣٢٦ م نقل عاصمة
ملكه من روما الى الشرق . وقبل نهاية السنة نفسها
كان الحجر الاساسي لمدينة القسطنطينية
الجديدة قد وضع . فقد فعل ذلك بغية ان يتخذ
الدين المسيحي الدين الرسمي لمملكته . ذلك لان
روما كانت يومئذ غارقة في عبادة الالهة .

٧ - وقبل ان يموت قسم مملكته (٣٣٥ م) بين
اولاده الثلاثة : قسطنطينوس وقسطنطينس
وقوستوس . وحفيديه دالماتيوس وهينباليانوس . اما
قسطنطينوس وهو ابنه الاكبر فقد اعطاه القسطنطينية
واما ابنه الثاني قسطنطينس فقد اعطاه مصر والشام
وما بين النهرين وارمينيا . واما قوستوس ، وهو
الابن الاصغر فقد اعطاه روما . واعطى حفيديه ما
ان تبقى من اجزاء مملكته .

٨ - اضهد الملك قسطنطين اليهود^(١) ففرض
عليهم ان يتنصروا . فريق منهم تنصر بالفعل ، ولكنهم
لم ياكلوا لحم الخنزير . وفريق تظاهروا بالنصرانية ،
ولكنهم ظلوا على دينهم ، وامتنع الآخرون عن
التنصر ، فقتلوا . ومن نجا من القتل غادر البلاد .

٩ - وضع قسطنطين قوانين عديدة لتنظيم
الادارة والجيش . ففصل بين السلطتين ، ولم يسمح

(١) (هيلانة) كلمة يونانية . معناها : (الفاتنة) .

(٢) العقيدة الاسلامية تقول : « وما قتلوه ، وما صلبوه ،
ولكن شبه لهم . . » الى آخر ما جاء في الاية ١٥٧ من
سورة النساء ؛

(٣) انجيل يوحنا : - ف ١٩ عدد ١٧ - ٢٠

(٤) انجيل متى : - ف ٢٧ عدد ٥٧ - ٦٠

(١) (تاريخ القدس الشريف) لسركيس . ص ١٥٦

هيلانة اورشليم (٣٢٦ م) ؛ فهدمت الهيكل ، وحطمت الاصنام التي اقامها ادرينوس ، وازالت الاتربة والحجارة . فظهرت صخرة الجلجلة^(١) بارزة على هيأتها الأصلية . وفي وسط البستان بدت مغارة المسيح . وفي هذا المكان نفسه بنيت كنيسة القيامة (٣٣٥ م) . وكانت يومئذ مستطيلة الشكل على غرار كنيسة المهد في بيت لحم في يومنا هذا . وكان موضع القبر ، في باديء الأمر ، خارج السور . ولما بنت الملكة هيلانة الكنيسة وسعت السور هناك بحيث أصبحت الكنيسة داخل السور ، وراحت تعتبر جزءاً من المدينة . ويشمل هذا الاسم الآن مجموع الكنائس والمعابد المشيدة فوق الجلجلة وقبر السيد المسيح والمغارة التي اكتشف الصليب فيها .

١٣ - قال ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م)
نقلًا عن ابن الراهب :

« عندما جاءت هيلانة ام الملك قسطنطين لزيارة بيت المقدس سألت عن موضع الصليب . فاخبرها مقاريوس الاسقف ان اليهود اهالوا عليه القرباب والزبل . فأحضرت رجال الكهنوت وسألهم رفع ما هنالك من الزبل . ثم استخرجت ثلاثة من الخشب : خشبة المسيح والخشب اللتين صلب عليهما اللصان . وسألت ايتها خشبة المسيح . فقال لها الاسقف ان الملت يحيا بمسيحها . وبنت على الموضع كنيسة

(١) اختلف المؤرخون في تأويل هذا الاسم : فقال بعضهم انه اسم الموضع الذي جاء الجند يسوع اليه بعدما حكم عليه بالموت . وقال القديس ايرونيموس ان الجلجلة معناها الجمجمة . وانها سميت كذلك بسبب هاجم القتل الذين عوقبوا في هذا المكان . وقال اوريجانوس انه دعي الجمجمة لان جمجمة آدم ابي البشر مدفونة هناك . والاعتقاد سائد بين المؤرخين ان في هذا الموضع مات المسيح ، وفيه اكتشفت الصليب . وكان من عادة الرومان ان يدفنوا أدوات الصلب بجوار قبر الرجل المحكوم عليه بالموت .

وباراً . ولم يكن موافقاً لرأيهم وعلمهم^(٢) . « فتقدم الى بيلاطس وطلب جسد يسوع . فامر بيلاطس حينئذ ان يعطى الجسد . فاخذ يوسف الجسد . ولفه بكتان نقي . ووضع في قبره الجديد الذي كان قد نحت في الصخرة . ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى^(٣) . »

كان قبر المسيح في البدء عبارة عن مغارة^(٤) محفورة في الصخر ، لها حجرة خارجية بثابة دهليز . ولهذا الدهليز باب منخفض جداً من الجهة الغربية يسده حجر كبير . وهو يفضي الى حجرة داخلية ترى فيها عن يمينك صفة محفورة في الصخر وضعت عليها رفات المسيح .

وبظهر انه كان في ذلك المكان في اوائل عهد النصرانية كنيسة . ولكننا لا نعلم الا النذر اليسير عن هذه الكنيسة التي حدثنا التاريخ عنها فقال^(٥) : « ان المسيحيين اضطهدوا اضطهاداً شديداً على عهد امبراطور الرومان ادرينوس (١٣٥ م) ، وان هذا الامبراطور اجلام عن الكنيسة ، وامر بردم المكان وتغطيته بالتراب والحجارة ، ثم بلطه ، وبنى فوق الجلجلة والقبر هيكليْن وثنيين ، ونصب فوقهما تمثالي المشتري والزهرة . ثم حول الارض المجاورة لها الى بستان » .

ولما تبوأ الملك قسطنطين عرش القياصرة واعتنق الدين المسيحي وكانت تقياً ، انتعشت النصرانية انتعاشاً كبيراً . وزارت امه الملكة

(١) انجيل لوقا : - ف ٢٣ عدد ٥٠ - ٥١

(٢) انجيل متى : - ف ٢٧ عدد ٥٨ - ٦٠ . انجيل مرقس : ف ١٥ عدد ٤٦ . انجيل لوقا : - ف ٢٣ عدد ٥٠ - ٥٢

(٣) تاريخ كنيسة القيامة لثاوفانوس .

(٤) رسالة القديس ايرونيموس السابعة عشرة الى بولينا - عدد ٣

الاماكن المقدسة مطمورة وقائم عليها هياكل وثنية . فاسف الامبراطور وقرر بالحال ارسال والدته القديسة هيلانة الى اورشليم (٣٢٦) . فجاءت هذه ووجدت انغارة التي فيها الصليبان والجلجلة ومحل القبر . واخبرت الامبراطور . فامر ببناء كنيسة القيامة فوق محل الصليب .

١٤ - حدثني الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو الجامع العلمية في بيروت ودمشق والبرازيل ان الملكة هيلانة والدة قسطنطين البيزنطي عندما اكتشفت عود الصليب عملت الترتيب التالي الذي كانت قد اتفقت عليه قبلاً مع ابنها ومع الحكومة : انها اقامت على رؤوس الجبال تلالا في مسافات مختلفة بين القدس والقسطنطينية ، وراحت توقد على هذه التلال المشاعل بوساطة اناس مخصوصين وضعتهم قبلاً لهذه الغاية ، حتى وصل الخبر الى القسطنطينية . فاحتفل هناك باكتشاف عود الصليب . وهذا هو السر في ان النيران توقد في « عيد الصليب » . ذلك لانه لم يكن ثمة يومئذ أية واسطة اخرى لاجل نقل الخبر بسرعة كما هي الحال في يومنا هذا .

١٥ - قال الراهب ثاوفانوس ان قسطنطين لم يبن كنيسة واحدة في ذلك الموضع ، بل بنى ثلاث كنائس ؛ هي :

- (أ) كنيسة القيامة (او كنيسة القبر المقدس)
- (ب) كنيسة الجلجلة (وهي التي عرفها العرب فيما بعد بالاقرايون)
- (ج) كنيسة الشهادة (او المرتريون) وهي متاخمة للجلجلة ومحتوية على جزء منها . وقد دعيت ايضاً (كنيسة اكتشاف الصليب) . ذلك لانه يوجد تحتها مغارة قيل ان الصليب اكتشف فيها .

(القيامة^(١)) . وامرت مقاريوس الاسقف ببناء الكنائس . وكان ذلك لثلاثمائة وثمان وعشرين سنة من مولد المسيح عليه السلام . وقال في مكان آخر : « انها اخرجت الصليب من تحت الزبل والقيامات وغشته بالحجر والذهب وجاءت به الى روما » .

وذكر المقرئ (١٣٥٨ - ١٤٤١ م) في كتابه « القول الابريزي » ما حريفته : « وفي السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت امه هيلانة الى القدس وبنت به كنائس للنصارى . فدلها مقاريوس الاسقف على الصليب ، وعرفها ما عملته اليهود . فعاقبت كهنة اليهود حتى دلوها على الموضع . فحفرته . فاذا قبر وثلاث خشبات . زعموا انهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من الثلاث خشبات ، الا بان وضعت كل واحدة منها على ميت قد يلي ، فقام حياً عندما وضعت عليه خشبة منها . فعملوا لذلك عيداً مدته ثلاثة ايام ، عرف عندهم بعيد الصليب . وعملت له غلافاً من ذهب . وبنت كنيسة القيامة التي تعرف اليوم بكنيسة قمامة . واقامت مقاريوس الاسقف على بناء بقية الكنائس وعادت الى بلادها . فكانت مدة ما بين ولادة المسيح وظهور الصليب ثلاثمائة وثمان وعشرين » .

والمأثور في تاريخ الكنيسة ملخصاً^(٢) عن اوسابيوس Eusebius (٣٢٦ - ٣٣٥) وسقراط (ك ١ ف ١٧) وسوزومانوس (ك ٢ ف ١) وتوادوريطوس (ك ١ ف ١٧) من مشاهير مؤرخي الكنيسة في القرنين الرابع والخامس ان القديس مقاريوس بطريرك اورشليم وقت اجتماع الاساقفة في المجمع الاول المسكوني (سنة ٣٢٥) هو الذي قال للامبراطور قسطنطين العظيم ان

(١) هكذا كان اسم القيامة في اوائل الفتح الاسلامي .

(٢) مجلة (الراعي الصالح) الجزء الثامن . ص ١٤٧

ولده (اركاديوس) و (هونوريوس) المملكة . فجعلها مملكتين : واحدة في الشرق وعاصمتها بيزانس . والثانية في الغرب وعاصمتها روما .

١٩ - في سنة ٥١٣ م كان حاكم (اوليمبوس) منتدباً من قبل الملك انسطاسيوس . وعلى عهده كان بطريرك القدس الياس الثاني (وكان هذا من نسل عربي) . وقد ثار الرهبان في عهده على رؤسائهم . كما ثاروا ضد الملك وضد الرسول الذي ارسله الى القدس . فعزله الملك . ونفاه الى العقبة . فاقام بدلاً منه (يوحنا الثالث) بطريركا على اورشليم . ولكن الملك عاد فعزل اوليمبوس ، وعين بدلاً منه والياً اسمه (انسطاسيوس) .

٢٠ - في ٥٢٧ م توفي الملك يوستينوس وخلفه يوستينيانوس (جوستانيان) العظيم . وعلى عهده ثار اليهود والسامريون للمرة الثالثة في فلسطين . فقاد عليهم قائده يوحنا . وعساعدة والي فلسطين ثؤدورس أطفشت الثورة ، وتشتت شمل اليهود ، وقتل من السامريين عشرون ألفاً^(١) . وقد انشأ هذا عدداً من الكنائس والاديرة والصوامع في اورشليم وفي ما حولها من الجبال والوديان . وانتشر في البلاد عدد كبير من النساك والرهبان .

٢١ - بنى جوستانيان الاول ، في مدينة القدس مستشفى . كما بنى فيها سنة (٥٤٣ م) كنيسة اسمها : (كنيسة العذراء الجديدة^(٢)) . وفي قول ان الذي شرع في بناء هذه الكنيسة هو البطريرك ايليا الاول . وقد اتقيا جوستانيان . اما البطريرك ايليا (وكانوا يسمونه ايضاً الياس) فانه عربي من

وكان حول هذه الكنائس اروقة جميلة وباحات واسعة وصفوف من اعمدة مرمرية ، يتألف من مجموعها بناء فخم ، طوله مئة متر او يزيد . وقد استغرق تشييد هذا البناء ست سنين .

١٦ - هذا ما عرفناه عن (كنيسة القيامة) التي بنتها الملكة هيلانة بامر من ولدها قسطنطين . وقد تم تدشينها في الثالث عشر من شهر ايلول عام ٣٣٥ للميلاد .

١٧ - ولما اعتلى جوليان الجاحد^(١) العرش ، فرح اليهود ؛ إذ ارسل هذا رسالة الى البطريرك الغي فيه جميع القوانين التي صدرت ضد اليهود . ووعدهم بالشيء الكثير عندما يرجع من الشرق . وامر باعادة بناء الهيكل بالقدس ، وعهد بهذه المهمة الى رجل من رجاله المخلصين هو البيوس Alypius . فطفق اليهود يردون الى القدس من كل صوب . ولكنهم ما كادوا يحفرون الاساس لبناء الهيكل ، حتى اندلع لهيب النار من تحت الارض ، وسمع انفجار شديد . فهرب العمال ، وتأجل العمل . ولم يتجدد . واعتبر الناس هذا دليلاً على غضب السماء . ثم مات جوليان وبموته قضي على امل اليهود . فيئسوا . ففريق منهم فسر ذلك باحترق الغاز السام الذي تحت الارض ، وفريق قال ان المسيحيين اعدوا تلك النيران ليحولوا دون اعادة بناء الهيكل .

١٨ - ان اتحاد المملكتين الرومانيتين الشرقية والغربية لم يدم طويلاً . إذ انه عندما توفي (ثيودوسيوس) سنة ٣٩٥ م احد قيصرة الرومان في الشرق اقتسم

(١) اسمه الاصلي Flavius Claudius Julianus

ولد في استانبول سنة ٣٣٢ م . تسلم العرش سنة ٣٦٠ م وتوج في استانبول عام ٣٦١ م . انه ابن يوليوس قسطنطين الكبير . كان وثنياً . وكان يكره الدين المسيحي . وكان يؤثر عبدة الاوثان على المسيحيين في مناصب الدولة . ولهذا لقبوه بالجاحد .

(١) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية ص ٣٧ .

(٢) سميت كذلك للتفريق بينها وبين كنيسة اخرى تحمل هذا الاسم بنيت قبل هذا التاريخ . وكانت عند كنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الغربية .

وغيلديمايستر^(١)، وكرزويل^(٢)، وغيرهم كثيرون .
٢٣ - وفي زمن جوستانيان ثار السمرة وذبجوا
المسيحيين في أحيائهم . ولكن ثورتهم اطفئت وعوقبوا .
فاستتب الامن . وفي المجلس الكنائسي الخامس
الذي التأم على عهده (٥٣٤ م) تقرر ان تكون
القدس مركزا للبطريركية .

٢٤ - ولكن لم يمض زمن كثير حتى دب الفساد بين
رجال الدين المسيحي . فراح هؤلاء يختصمون ويتجادلون
في صفات المسيح^(٣) (فذهب بعضهم الى انه ذو طبيعة
ومشيئة واحدة) . وقال بعضهم : (انه ذو طبيعتين
ومشيئتين : الهية وانسانية) . وقال اخرون : (ان
هذا الارسل ونبى كريم^(٤)) .

وكان جو القدس يومئذ مشبعاً بانين الاشخاص
الذين عذبوا اجسادهم من اجل تخليص ارواحهم^(٥) .
فراح المسيحيون يتساءلون عما اذا كانت خشبة الصليب
قد اكتشفت ؟ ومن ذا الذي يملكها فيما اذا اكتشفت ؟
وهل يجوز ان يقطع جزء منها لباع الى الحجاج او
الى امير ذي نفوذ واعتبار ؟ وفيما كان رجال الدين
يتجادلون في هذه المسائل وما شابهها من الاختلافات
الدينية ، كانت البلاد تتدهور تدهوراً ظاهراً .

Die Arabischen Nachrichten (١)
Zur Geschichte der
Harambauten, Z. D. P. W.
XIII. P P. 12 - 13, by
Gildmeister

Early Muslim Architecture, (٢)
by K. A. C. Creswell.
P p. 23 - 24

The Desert of the Exodus, (٣)
by E. H. Palmer

(٤) البرغوثي وطوطح .

B. and Palmer (٥)

نجد . وفي قول انه يوناني ولد في بلاد العرب .
انه هو الذي بنى دير العذراء في القدس ودير
قسطنطين . وعلى عهده قام البدو بغزو القدس ،
ونهبوا الاديرة ، وذبجوا الرهبان .

٢٢ - وعلى ذكر (كنيسة العذراء) التي بناها
جوستانيان نذكر ، والشيء بالشيء يذكر ، ان
المؤرخين اختلفوا في تعيين موضعها . فمنهم من
قال : انها كانت تقوم في نفس الموضع الذي يقوم
عليه الآن المسجد الاقصى . ومن هؤلاء : الاستاذ
عيسى اسكندر المعلوف^(١) . وسركيس^(٢) . ومنهم
من جاوز هذا الى حد القول ان المسجد الاقصى
نفسه هو الكنيسة ايها ، لا قديم ولا آخر . ومن
هؤلاء : الدكتور ريشاردسون ، وفليكس فايبري
Felix Fabri ، وفيليب داويرزا
Philip D' auersa ، وادوارد هوغ^(٣)
وادوارد روبنسون^(٤) .

واما ابن البطريق فقد قال : ان الروم لم
يعظموا الموضع الذي كانت يقوم عليه هيكل بني
اسرائيل ، ولم يبنوا عليه كنيسة . يقول السيد المسيح :
« هو ذا يترك لكم بيتكم خراباً » . وقد ايد هذا القول
كثيرون نذكر منهم : طوبلر^(٥) . ورايس^(٦) .

(١) مجلة الآثار ٦٠٠-٥ من ٢٤٣

(٢) تاريخ القدس الشريف من ١٥٧

(٣) Visit to Alexandria, Damascus &
jerusalem, by E. Hogg II. P. 289.

(٤) Biblical Researches by E.
Robinson. I. PP. 438 - 41.

(٥) Topographie Von Jerusalem, by
Tobler 1. PP. 581 - 2

(٦) Z. D. P. W. by Reiss, XI.
P P. 204 - 7

وكانت دولة الرومان، في ذلك الزمان، من أقوى الدول في ذلك العصر^(١). وكذلك قل عن دولة الفرس التي كان يقوم على رأسها كسرى. وكانت هاتان الدولتان تتناطحان، وتعملان على نشر سيطرتهما على الأمم المجاورة لهما، وبعد أن كانت الحرب سجلاً بينهما، انتصر هرقل على كسرى (٦٢٥ م). فقويت شوكته. وأصبح ذا بأس وقوة. وراحت أعلام بزنطية تحفق على مصر وسورية وفلسطين. واسترجع هرقل من الفرس الصليب الذي كانوا قد أخذوه من بيت المقدس.

كان اغتباط المسلمين يومئذ بانتصار هرقل على فارس عظيماً. ذلك لأن هرقل كان مسيحياً. والمسيحيون أهل كتاب كالمسلمين. وأما الفرس فكانوا مجوساً. ولهذا كان المسلمون يكرهون أن ينتصر المجوس على المسيحيين. وقد غاظهم انتصار الفرس في بادئ الأمر، يوم غزا الفرس هذه البلاد (٦١٤ م) وقتلوا من سكانها المسيحيين خلقاً كثيراً وهدموا جميع كنائسهم.

وما ارتأب المسلمون أبداً في أن الروم سيعودون فينتصرون على الفرس بعد قليل. وكان في طليعة المتنبيين بانتصار الروم على الفرس بعد قليل النبي محمد عليه الصلاة والسلام وصاحبه الأمين أبو بكر.

ولم يمض على تنبؤهم سوى بضع سنين حتى انتصر هرقل (٦٢٥ م) وهزم الفرس. وفي ذلك نزلت الآية الكريمة^(٢):

«الم. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين. لله الأمر من

٢٥ - أن من يتتبع تاريخ ذلك العصر يرى أنه بعد موت جوستانيان (٥٦٧ م) تسلم العرش عدة أباطرة. ولكن أكثرهم كانوا ضعفاء. وكانوا السبب في سرعة تدهور الامبراطورية. وقد استغل الفرس هذه الفرصة، فآخذوا يغزون الولايات الشرقية.

٢٦ - وعندما تبوأ العرش الامبراطور (هرقل) ٦١٠ - ٦٤١ م زحفت جيوش كسرى ملك فارس (٦١٣ م) غرباً. وبعد استيلائها على سوريا زحفت إلى فلسطين وفي عام ٦١٤ م احتلت القدس وذبحت ٩٠٠٠٠ مسيحياً.

ولقد أقدموا على هذه الغزوة بتحريض من اليهود الذين كانوا يتوقون للانتقام من المسيحيين. فهدموا كنيسة القيامة. كما هدموا معظم الكنائس والأديرة التي كانت في القدس. وأمر كسرى أن يؤخذ رخام هذه الكنائس وينقل إلى بلاده.

ولقد أصاب الروم في ذلك العهد جوع شديد، حتى قيل أن الناس أكلوا الجيف وجلود البهائم.

٢٧ - ولكن هرقل عاد فجمع قواه، وقطع خط المواصلات بين الجيش الفارسي وقاعدته في الرافدين. وانتصر على الفرس في معركة نينوى الحاسمة ٦٢٧ للميلاد. وعلى أثرها تصالح الفريقان فأطلق الفرس سراح الأسرى من الرومان وأعادوا الغنائم التي نهبوها من القدس ورجعت سوريا وفلسطين إلى حظيرة الدولة البيزنطية. ودخل هرقل مدينة القدس في ١٤ أيلول ٦٢٩.

٢٨ - في تلك الفترة من الدهر ظهر الاسلام. وظهر النبي العربي المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام. وراح هذا يدعو الناس كافة لترك عبادة الأصنام. واتباع دينه: دين الاسلام.

(١) (حياة محمد) لمحمد حسين هيكل. ص ٣٧٠

(٢) سورة الروم: الآيات ١ - ٥

واسترجع منهم الصليب الذي اخذوه من بيت المقدس . وكان قد نذر الله على نفسه ان يحج الى بيت المقدس ماشياً ، ليرد الصليب الى مكانه . فتناول كتاب النبي من يد الرسول الذي حملته اليه . وتلى عليه مترجماً . فلم يغضب . بل رد عليه ردأحسناً . ولكنه في قرارة نفسه لم يعبأ بهذا الداعي الى دين جديد . ولم يدر بخلفه انه لن تمض سنوات قليلة ، حتى يكون بيت المقدس ، وتكون فلسطين كلها ، والشام ، تستظل براية الاسلام . وهكذا كان .

٢٩ - وفي عهد هرقل هذا (٦١٠ - ٦٤١ م) جرى حادث الاسراء والمعراج . حيث اسرى بالنبي العربي الكريم الى بيت المقدس . ومن فوق الصخرة المشرفة الموجودة في هذا البيت ، عرج النبي الى السماء . وفي ذلك نزلت الآية الكريمة^(١) :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، لنزيه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .

وقد اختلف العلماء في تفسير الاسراء وفي وصفه على حقيقته : هل كان بالروح أم بالجسد ؟ فذهب بعضهم الى أنه كان بالروح . وقال آخرون انه كان بالجسد . وسواء أكان الاسراء والمعراج ايضاً بالروح أو بالجسد ، فانهما ان دلا على شيء ، فانما يدلان ، على ما كان لهذا البلد المقدس من اهمية في نظر الرسول . اذ كان عليه الصلاة والسلام يعلم العلم اليقين ان الحجاز وما يليه من اقطار وسهول وبقاع ومن اودية غير ذات زرع ، لا تنفع العرب في شيء ، ما لم يكن هذا البلد

قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

ورغم هذا النصر الذي ناله البيزنطيون ، على يد هرقل ، والذي كان يتمناه المسلمون ؛ فان النبي محمداً عليه الصلاة والسلام ، رأى من الحكمة ان يدعوه هرقل وقومه الى دينه .

وكما ارسل النبي رسله الى كسرى عظيم فارس ، وإلى المقوقس عظيم القبط في مصر ، وإلى امراء عمان واليامة والبحرين ، وإلى الحارث الغساني ملك الحيرة ، والحارث المحيري ملك اليمن ، وإلى نجاشي الحبشة ؛ فقد ارسل ايضاً رسولا من عنده ، هو دحية بن خليفة الكلبي . ارسله الى هرقل عظيم الروم ، يدعوه الى الاسلام . وارسل مع الرسول كتاباً الى هرقل ختمه بخاتمه الذي نقش عليه « محمد رسول الله » . قال فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبدالله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . اما بعد ، فاني ادعوك بدعاية الاسلام . أسلم تسلم . يؤتلك الله اجرک مرتين . فان توليت ، فانما عليك اثم الاريسيين^(١) يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

كان هرقل ، عندما دخل عليه رسول النبي العربي دحية الكلبي ، في مدينة حمص . وكان قد عاد يومئذ من المعركة التي انتصر فيها على الفرس .

(١) قال الاستاذ محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) ص ٣٧١ انه من معاني الاريسيين الخدم والخدم . وان القصد من ذلك تحذير هرقل انه مسؤول عن اثم رعيته لصدده ايام عن الدين .

ان يدفن في بيت المقدس . وكان الكثيرون يريدون الأخذ بهذا الرأي ، لولا ان هذا البلد كان لا يزال بأيدي الروم ، وكان بين الروم والمسلمين عداوة شديدة منذ معركة (مؤتة) و (تبوك) .

ومع ذلك فقد ظل المسلمون حافضين وصية نبيهم . فراحوا ، بعد موته ، يعدون العدة لفتح القدس . وقد جاءهم التوفيق على يد عمر بن الخطاب الذي تم له فتح هذا البلد المقدس في السنة الخامسة عشرة للهجرة (٦٣٦ م) . وسنقص عليك قصة هذا الفتح في الفصل القادم ان شاء الله .

المقدس ايضاً مرتبطاً بها . وانه لا حياة للعرب في جزيرتهم ، اذا لم تكن تخومها الشمالية محمية ، واذا لم يكن هذا البلد ايضاً في حوزتهم . ولهذا راح يحث المسلمين على فتحه .

وفي ذلك وردت احاديث نبوية كثيرة . ومن دلائل التشجيع انه جعل المسجد الاقصى ببيت المقدس ، زهاء سبعة عشر شهراً ، قبلته في صلاته .

ومن كثرة ما جاء على لسان النبي عليه الصلاة والسلام من آيات واحاديث في مدح بيت المقدس وتقديسه ، ان بعض الصحابة ارتاوا ، عند موته ،

★

★★

الباب الثاني
الفتح الاسلامي

- القدس وعمر بن الخطاب
- القدس وبنو امية
- القدس وبنو العباس
- القدس وبنو طولون
- القدس وبنو الاخشيد
- القدس الفاطمية
- القدس والاتراك السلجوقيون
- القدس والأرثقيون

القدس والفتح الاسلامي

على الناس زمان يقول احدهم : ليتني تبنة في لبنة في بيت المقدس .

وعن عمران بن حصين انه قال : « قلت . يا رسول الله ما احسن المدينة ! قال : كيف لو رأيت بيت المقدس . قلت : وهل هي احسن ؟ قال : كيف لا ، وكل من بها يزار ولا يزور . وتهدي اليها الارواح ولا تهدي روح بيت المقدس لغيرها . . . » .

وعن ابي هريرة ان النبي قال : « اربع من مدائن الجنة : مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس » .

الفتح الاسلامي سبقه فتح عربي :

هذا هو السر الذي حدا بالمسلمين للتفكير في فتح بيت المقدس . ولا غرابة في ذلك . فقد سبق الفتح الاسلامي هذا ، فتح عربي من قديم العصور والازمان . وثبت ان العرب كانوا يقطنون فلسطين قبل الغزو البابلي ، اي قبل الفتح الاسلامي بنحو ٤٤ قرناً . وكذلك قل عن الفتح المحمدي ، وهو فتح عربي ؛ فقد سبق هذا الفتح ، الفتح الاسلامي بنحو ٢٨ قرناً .

ان الكنعانيين و اليبوسيين^(١) والعاملقة الذين استوطنوا فلسطين ، اتوها من جزيرة العرب . وان الانباط الذين كونوا دولة البتراء الشهيرة التي امتد سلطانها الى فلسطين وسورية كانوا عرباً . وكذلك

(١) اقرأ ما كتبناه عن اليبوسيين الذين كانوا اول من بنى مدينة القدس ، وكانت على عهدهم تدعى (يبوس) ، في الفصل الاول من هذا الكتاب . وعنوانه : (القدس مدينة يبوسية) .

آيات واحاديث في قدسية (القدس) :

ليس بمستغرب ان يفكر المسلمون في فتح القدس ، وهي المدينة المقدسة في نظرهم ، التي ورد ذكرها في قرآنهم ، وعلى لسان نبيهم ، وفي احاديث صحابتهم وأئمتهم واعلامهم .

فقد اسرى بالنبي المصطفى عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . وفي ذلك نزلت الآية الكريمة : « سبحانه الذي اسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله . . . » . وما كان النبي ليسرى الى الى هذا البلد الامين ، لولا انه كان يعلم العلم اليقين انه عرق الجزيرة النابض وقلبها الحفاق ؛ وانه لا حياة للعرب في جزيرتهم ، اذا لم يكن هذا البلد في حوزتهم . واذا لم تكن تخومهم الشمالية بين البحر والبادية محمية .

هذا هو سر الاسراء .

ورد في الحديث الشريف : « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى » .

وروي عن الامام علي بن ابي طالب انه قال : « وسط الارضين ارض بيت المقدس ، وارفع الارض كلها الى السماء بيت المقدس » . وعن ابي هريرة انه قال : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » .

وقال الامام علي لصمصعة : « نعم المسكن بيت المقدس . القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله . وليأتين

معركتنا (مؤتة) و (تبوك)

لم يكتف النبي بهذا الأسلوب من التشجيع على فتح بيت المقدس . فقد قرن القول بالفعل . ولقد حدثنا التاريخ انه هو بنفسه حاول فتحها في حياته ثلاث مرار :

فقد جهز^(١) في السنة الثانية للهجرة (٦٢٩ م) جيشاً قوامه ثلاثة الاف مقاتل . وأمّر عليه مولاه زيد بن حارثة . ولكن هذا الجيش انكسر في موقعة (مؤتة) . ثم حاول فتحها مرة اخرى . وقاد هو بنفسه جيشاً وصل به الى تبوك . ولقد ذكر كعب بن مالك^(٢) هذه الغزوة في احاديثه فقال :

ان النبي عليه الصلاة والسلام كان اذا اراد السير في الغزاة ، يؤذن بالمسلمين بالجهاد ، ويكتمهم اين يحاهدون مكيدة للعدو . الا في غزوة تبوك التي كان يرأسها بنفسه فقد بيّنها للمسلمين وقال :

« يا أيها الناس . اني أريد الروم »

وكان مع النبي يومئذ ثلاثون الف مقاتل وعشرة الآف فرس من الخيل . وقد استخلف على المدينة ، (محمد بن مسلمة الأنصاري) .

وعندما بلغ تبوك بعث منها علقمة بن مجزز المدلجي الى فلسطين ، وبعث خالد بن الوليد الى دومة الجندل . واما هو فبعد ان صالح اهله ايلة^(٣) وتلك الانحاء قفيل راجعاً . ذلك لان احوال قريش كانت يومئذ تستدعي وجوده في الحجاز .

ثم جهز النبي للمرة الثالثة في السنة الحادية

قل عن ملوك الحيرة في العراق والفساسنة في بر الشام .

اجل . انه مما لا شك فيه ان العرب اهتموا بهذه البلاد منذ العصور القديمة . فقد هبطها^(١) عرب البادية ، قبل ان يهبطوا مصر ويؤسسوا فيها دولتهم المعروفة (بملوك الرعاة) وبعد خروجهم منها . وكذلك قل عن القبائل اليمنية التي غادرت جزيرة العرب على اثر (سيل العرم) . فانها نزلت هذه البلاد ، واستوطنتها ، وسرحت في ارضها وبقاعها سوائها ، وارتادت مناجعها . وهي التي تدر لبناً وعسلاً . ولطالما تغنى العرب بها في جاهليتهم واسلامهم .

النبي يبشر المسلمين بفتح القدس :

روي عن محمد بن حسن بن قتيبة العسقلاني انه قال^(٢) : حدثنا محمد بن النعمان عن سليمان بن عبيد الرحمن عن بنت شرحبيل عن هاني بن عبد الرحمن عن ابراهيم عن ابي عتبة عن عبد الله بن الديلمي عن عبد الرحمن بن غنم قال : سمعت معاذ بن جبل يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ . انه سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش الى الفرات ، رجاءهم ونساءؤهم . وهم مرابطون الى يوم القيامة . فمن احتل ساحلاً من سواحل الشام وبيت المقدس ، فهو في جهاد الى يوم القيامة » .

وروي ان النبي قال لشداد بن اوس : « الا ان الشام ستفتح ، وبيت المقدس سيفتح ، وتكون انت وولدك اثمة بها ان شاء الله » .

(١) البرغوثي ووضوح

(٢) ابن عساكر ص ١٠٦ و ١٠٧

(٣) العقبة .

(١) (الفلسطينيون عرب) الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف رئيس
الجمع العلمي في لبنان

(٢) مثير الفراع ص ١٦٥

ولقد جهز لهذه الغاية اربعة جيوش ، وعقد الويتها لاربعة من كبار القواد . هم :

- (١) عمرو بن العاص فلسطين^(١)
- (٢) شرحبيل بن حسنة الاردن
- (٣) يزيد بن أبي سفيان البلقاء
- (٤) أبو عبيدة بن الجراح دمشق

عندما سلم ابو بكر الراية الى عمرو بن العاص قال له^(٢) : قد وليتك هذا الجيش^(٣) . فانصرف الى اهل فلسطين ، وكاتب ابا عبيدة ، وانجده اذا ارادك . ولا تقطع امرأ الا بمشورته . اتق الله في شرك وعلايتك ، واستحبه في خلواتك . فانه يراك في عملك . وقد رأيت تقدمتي لك على من هم اقدم منك سابقة ، واقدم حرمة ؛ فكن من عمال الآخرة . وارد لعملك وجه الله . واسلك طريق ايلياء حتى تنتهي الى ارض فلسطين . واياك ان تكون وانيا عما ندبتك اليه . واياك والوهن ، واياك ان تقول جعلني ابن ابي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به . واعلم يا عمرو ان معك من المهاجرين والانصار من اهل بدر . فاکرمهم ، واعرف حقهم ، ولا تتطاول عليهم بسلطانك . ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول : انما ولاني ابو بكر لأني خيرهم . واياك وخدائع النفس . وكن كأحدهم . وشاورهم فيما تريد من امرك . والصلاة ثم الصلاة . أذن لها اذا دخل وقتها . واحذر من عدوك . وامر اصحابك بالحرس . ولتكن انت بعد ذلك مطلماً عليهم . واطل الجلوس بالليل مع اصحابك ، واقم بينهم واجلس معهم . اتق الله اذا

(١) جرى ، بعد نشوب القتال ، تبديل في القواد . فتم فتح القدس على يد ابن عبيدة بن الجراح .

(٢) فتوح الشام الواقدي .

(٣) يعني اهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب . وجاء في كتاب (التنبيه والاشراف) للمعدي ان جند فلسطين كانوا من لحم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة .

عشرة للهجرة (٦٣٢ م) جيشاً أمر عليه أسامة ابن يزيد . ولكن المنية فاجأته ، قبل ان يغادر جيش أسامة البلاد^(١) .

أبو بكر الصديق يغزو الروم :

أكمل ابو بكر وصية النبي ، وارسل الجيش الذي كان النبي قد اعده بقيادة اسامة بن زيد ، وزوده بالنصيحة التالية :

« لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغفلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لله وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع^(٢) . فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .

ولكن جيش أسامة لم ينجح عامئذ الا في اخضاع بعض القبائل . فرجع الى الحجاز بعد اربعين يوماً .

ما كان اخفاق اسامة ليفت في عضد ابى بكر ، اذ راح يستنفر العرب . ولبي هؤلاء دعوته ، فخفوا سراعاً من جميع انحاء الجزيرة العربية . واعتزم - في هذه المرة - فتح الشام كلها ، لا فتح بيت المقدس وما حولها من البلدان فقط .

(١) جاء في كتاب (مختصر الدول) لابن العبري الصفحة ١٦٢ ان نبي الاسلام محمداً عليه الصلاة والسلام عندما توفاه الله اراد اهل مكة من المهاجرين رده اليها لانها مسقط رأسه . واراد اهل المدينة من الانصار دفنه بالمدينة ، لانها دار مبعوثهم ودار نصرته . وارا حدث جاعة نقله الى بيت المقدس ، لانه موضع دفن الانبياء ، وفيها المسجد الأقصى الذي اسرى به اليه ، وكثيراً ما كان يذكره ، وكان قبل موته معتزماً فتحه . ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة . فدفنوه بمجرتهم حيث قبض .

(٢) يعني بهم الخورة والرهبان

اليها بعد معركة اليرموك^(١) وافتتحوها فقد تمكن العرب بعدها من قطع الاتصال بين قوى الروم العسكرية بفلسطين وعاصمتهم في انطاكية . وكانت هذه اعظم ضربة وقعت على رأس الروم ، بعد الضربة التي انزلها بهم الفرس قبل ذلك ببضع سنين (٦١٤م) .

جيش لفتح الشام وآخر لفلسطين :

بعد معركة فحل شطر الجيش العربي نفسه الى شطرين : شطر سار لفتح الشام بقيادة ابي عبيدة بن الجراح ، والشر الآخر انتشر في فلسطين ليتغني رفع راية الاسلام فيها ، بقيادة عمرو بن العاص . والجيش الفلسطيني ايضا انتشر الى خمس حملات ؛ فتولى :

(أ) معاوية بن ابي سفيان واخوه يزيد قيادة الحملة التي ارسلت الى قيساريه لمنازلة حاميتها .

(ب) علقمة بن حكيم ومسروق بن فلاك العكي قيادة الحملة التي ارسلت الى القدس لمنازلة حاميتها .

(ج) ايوب المالكى قيادة الحملة التي ارسلت الى الرملة

(د) علقمة بن مجرز قيادة الحملة التي ارسلت الى غزة

(هـ) وعمرو بن العاص تولى محاصرة (اجنادين)^(٢) .

وكان فيها حامية قوية للروم يقودها ارطوبون .

فاستسلمت اجنادين في منتصف السنة الخامسة عشرة للهجرة (٦٣٦ م) . وانسحب ارطوبون مع من سلم من رجاله الى القدس .

لاقيت العدو . وقدم قبلك طلائعك فيكونوا امامك . واذا وعظمت فارجز . واصلح نفسك ، تصلح بك رعيتك . واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر . فيكون ذلك فخراً منك . وألزم اصحابك قراءة القرآن . وانهم عن ذكر الجاهلية ، وما كان فيها ، فان ذلك يورث العداوة بينهم . واعرض عن زهرة الدنيا حتى تلقى من مضى من سلفك . وكن من الائمة المدوحين في القرآن ؛ اذ قال تعالى : « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا » وواحبنا اليهم فعل الخيرات واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين . »

ثم قال له : « امض بارك الله فيك وفيهم . » « فساروا في سبعة آلاف مقاتل يريدون فتح فلسطين . »

معركتنا (اليرموك) و (فحل) :

سار الامراء في الاتجاه الذي عينه لهم القائد الاعلى ابوبكر الصديق . فتغلغلوا في احشاء البلاد . ثم التحق بهم خالد بن الوليد قائد جيش العراق . فولوه امارة الجيش المحارب كله . ووقعت واقعة (اليرموك) الشهيرة بين الروم والعرب . قدس المؤرخون عدد الروم الذين اشتركوا في تلك الموقعة بمئتي الف . والعرب بأربعين الفاً . ولكن النصر ، رغم ذلك ، كان حليف العرب . ان معركة اليرموك هذه من المعارك الفاصلة التي قررت مصير سورية وفلسطين معاً ، وازالت سيطرة الروم عن الشرق كله ، ومن المعارك الحاسمة معركة (فحل)^(١) التي سار العرب

(١) هي اليوم قرية من قرى اردن من لواء عجلون من اعمال شرق الاردن . وقال الاستاذ احمد سامح الخالدي في شرحه لثير الثرام (ص ١٠) انها خربة تعرف اليوم بطبقات فحل او طبقات فحل جنوبي جسر الجماع . وكانت تسمى فيها مضى (بلا) . وهي احدى المدن اليونانية العشرة في شرق الاردن .

(١) (حروب الاسلام والامبراطورية الرومانية) لامين سعيد .

ص ١٤٦

(٢) هي اليوم منطقة رملية بين مدينتي الرملة وبيت جبرين . وقد طوست معالمها مع الزمن . وعلى رأي الاستاذ احمد سامح الخالدي (راجع شرحه لثير الثرام ص ١٣) انها هي الخربة المعروفة بالجنايتين بالقرب من الرملة .

انتداب ابي عبيدة بن الجراح لفتح القدس

يظهر ان ابا عبيدة بن الجراح كان في تلك الاثناء، قد انتهى من فتح الشام، فاستخلف عليها يزيد بن ابي سفيان، ورجع هو ليتولى قيادة الجيش الاسلامي الذي كان يحاصر القدس (٦٣٥ م). وراح عمرو بن العاص^(١) ففتح المدن الفلسطينية، الواحدة بعد الاخرى. وكان ابو بكر الصديق قد انتقل الى دار البقاء، وتولى الخلافة من بعده عمر بن الخطاب.

مقاديم الجيش :

وفي كتاب للآباء الفرنسيسيين^(٢) انه بعد فتح الشام اوعز عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح^(٣) ان يزحف الى القدس. فلبى ابو عبيدة امر الخليفة. واستدعى سبعة من مقاديم الجيش، فعقد لكل منهم راية، ضاماً اليه خمسة آلاف مقاتل بين فارس راجل. وامرهم بالمسير الى بيت المقدس.

ففي اليوم الاول^(٤) دعا (خالد بن الوليد) فعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس. وسرحه الى بيت المقدس.

وفي اليوم الثاني دعا يزيد بن ابي سفيان. وعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس. وامره ان يلحق بمخالد.

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ١٠٥

(٢) طوطح وشعاعة.

(٣) اله عامر بن عبيد الله بن الجراح. ويتصل في فهر بنسب النبي الذي اقبه (امين الامة). وهو احد العشرة الاولين الذين بايعوا النبي. توفي في طاعون عمواس (٥١٨ هـ - ٦٣٩ م). ودفن في الغور المعروف بـ (غور الكبد) من اعمال الاردن.

(٤) (تاريخ القدس الشريف) لسركيس. ص. ب. ١٦٠.

وفي اليوم الثالث دعا (شرحبيل بن حسنة). وعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس من اهل اليمن. وقال له : سر بعساكرك الى بيت المقدس ولا تختلط بمن تقدم قبلك.

وفي اليوم الرابع دعا (المرقال بن هاشم). وعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس من جميع المسلمين. وسرحه على اثر شرحبيل.

وفي اليوم الخامس دعا (مسبب بن نجية الغزاري). وعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس من النخع وغيرها من القبائل. وامره بالمسير في اثر اصحابه.

وفي اليوم السادس دعا (قيس بن المرادي). وعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس. وسيره وراءهم.

وفي اليوم السابع دعا (عروة بن مهلهل ابن زيد الخيل). وعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس. وسيره وراء الجميع.

كان جملة من سيرهم عمر بن الخطاب من الشام الى بيت المقدس سبع فرق. مجموع افرادها خمسة وثلاثون الفا. كلهم^(١) فرسان نشيطون ورجال ماهرون في الفروسية والمبارزة ورمي النبال. وكان حملهم خفيفاً. وكانت مؤنهم واثقالهم لاتذكر. وكانوا يقنعون بالاكل من الحاجيات. وما عرف التاريخ اصبر منهم على العطش والجوع والمشي عند الحاجة. وكان مبدأهم في الحرب : « لن يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها. ولا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ».

كان كل واحد من هؤلاء الامراء يحيط رحله في

(١) البرغوثي وطوطح.

او القتال . فرفضوا الشقين الاولين ، واخاروا القتال .

وبعد ذلك كتب مقاديم الجيش الى ابي عبيدة يخبرونه بما جرى . فاصدر امره بالهجوم على المدينة . وقال لهم انه قادم في اثر الكتاب .

بدء القتال :

بدأ القتال في اليوم التالي . فكان اول من برز للقتال بنو حمير ورجال اليمن . فتلقاهم الروم بالنبال . وكان هؤلاء يتلقونها بدرقهم (دروعهم) . وفي اليوم الثاني تقدم الباقون من رجال القبائل الاخرى . ونشبت معركة دامية حتى اليوم العاشر . وفي اليوم الحادي عشر اشرفت راية ابي عبيدة ، وفي رفقته عبد الرحمن بن ابي بكر ، ونفر من الابطال المجاهدين . فاستقبله المسلمون بالتهليل والتكبير . فدب الرعب في قلوب الروم . وحمي وطيس القتال . واعتزم المسلمون ان لا يرفعوا الحصار حتى يقضي الله بينهم وبين الروم . وكان الوقت شتاء . ودام الحصار اربعة شهور . لم ينقض يوم واحد منها دون قتال . الى ان قنط السكان . وحل فيهم الضنك والجوع . فرأوا التسليم . وخرجوا الى ابي عبيدة مستأمنين . يتقدمهم قائدهم (صفرونيوس) حاملا على صدره الصليب المقدس . وعلى جانبيه القسس والرهبان : كل منهم يحمل انجيلا . فطلبوا الصلح . فتلقاهم ابو عبيدة بالترحيب ، وخاطبهم يدعة ولين قاتلا لهم : « ان التسليم اكثر نفعاً لكم » . فانصاعوا . ولكنهم اشترطوا ان لا يسلموا المدينة إلا لشخص الخليفة . فوافقهم . وامر جنده بالكف عن القتال . فسارت هدنة استمرت الى ان جاء عمر بن الخطاب .

الموضع الذي خصصه له القائد العام ابو عبيدة بن الجراح تجاه بيت المقدس . فوصلوا كلهم ، الواحد بعد الآخر ، على سبعة ايام .

فحل خالد بن الوليد قرب الباب الذي يؤدي الى اريحا ، وعروة بن مهلهل مما يلي طريق الرملة . وفي المكان المعروف الان بباب الساهرة يزيد بن ابي سفيان . وكذلك فعل القواد الاخرون .

انذار ابي عبيدة بن الجراح :

ولما وصل ابو عبيدة الى الاردن ، بعث الرسل الى اهل ايلياء . وبعث معهم الانذار التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من ابي عبيدة بن الجراح الى بطارقة اهل ايلياء وسكانها . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول . اما بعد فانا ندعوك الى شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور . فان شهدتم بذلك ، حرمت علينا دماؤكم واموالكم وذرايركم ؛ وكنتم لنا اخوانا . وان ابيتكم ، فاقروا لنا باداء الجزية عن بد وانتم صاغرون . وان انتم ابيتكم ، سرت اليكم بقوم هم اشد حبا للموت منكم لشرب الخمر واكل لحم الخنزير . ثم لا ارجع عنكم ان شاء الله ابدا ، حتى اقتل مقاتليكم واسبي ذرايركم » .

انقضت الايام الاربعة الاولى دون حرب او ضرب . وانتظر المسلمون ان ياتيهم جواب الروم على الانذار المتقدم ذكره . ولكن دون جدوى . وفي اليوم الخامس^(١) اقترب يزيد بن ابي سفيان من السور ، وكلم الروم المحاصرين بواسطة ترجمان اخذه معه . فخيرهم : اما ان يسلموا ، او يدفعوا الجزية ،

(١) (تاريخ القدس الشريف) لسركيس . ص ١٦١ .

اخذ الخليفة برأي علي . وسار الى بيت المقدس بعد ان استخلفه على البلاد . وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة^(١) :

سما عمر لما اتته رسائل
كاصيد^(٢) يحمي صرمة^(٣) الحلي اغيدا^(٤)
وقد عضلت^(٥) بالشام ارض اهلها
تريد من الاقوام من كانت انجدا^(٦)

سار عمر راكباً راحلته ، ومعه غلام له يعاقبه الركوب ؛ متزودين شعيراً وتقرأ وزيتاً . وعلى بعيرهما الاحمر قرية ماء^(٧) .

بعد ان سار^(٨) امير المؤمنين عن المدينة قاصداً بيت المقدس نزل الجابية^(٩) . فاستقبله^(١٠) يزيد وابو عبيدة وخالد على الخيول . عليهم الديباج والحريز . فنزل واخذ الحجارة ورماهم بها . وقال : « ما اسرع ما رجعت عن رأيكم . اياي تستقبلون في هذا الزي . وانما شعبتم منذ سنتين . وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم » .

وفما كان معكراً بالجابية فزع الناس الى السلاح . فقال لهم ما شأنكم ؟ فقالوا : الا ترى الخيل والسيوف ! فنظر . فاذا كردوس يميلون

(١) نقلها الطبري في الصفحة ١٠٨ من كتابه

(٢) (الاصيد) الاسد الذي يخال في مشيته ، والمالك الذي لا يلتفت الى ورائه .

(٣) (صرمة) بالصاد المكسورة قطاع الابل .

(٤) (اغيد) الغلام بغيد غيداً مالت عنقه لانت اعطافه فهو (اغيد) .

(٥) (عضلت) الارض باهلها اي غصت بهم لكثرتهم وضاقوا .

(٦) الرجل الشجاع الذي يقدم على مالا يستطيعه سواء .

(٧) (شدرات الذهب) لابن العباد الحنبلي . ج ١ ص ٢٨ .

(٨) (اشهر مشاهير الاسلام) لرفيق بك العظم .

(٩) قرية من قرى الجولان شمالي حوران .

(١٠) ابن الاثير . ص ١٩٤ .

قرر الروم الاستسلام بحضور الخليفة :

كتب ابو عبيدة الى الخليفة يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر امير المؤمنين من عبيدة بن الجراح . سلام عليك . فاني احمد الله الذي لا اله الا هو . اما بعد فانا اتقنا على اهل ايلياء . فظنوا ان لهم في مطاولتهم فرجا . فلم يزداهم الله بهذا الا ضيقاً ونقصاً وهزلاً وذلاً . فلما راوا ذلك ، سألوا ان يقدم عليهم امير المؤمنين ، فيكون هو الموثق لهم والكااتب . فخشينا ان يقدم امير المؤمنين ، فيغدر القوم ويرجعوا ؛ فيكون مسيرك اصلحك الله عناء وفضلاً . فاخذنا عليهم الموائيق المغلظة بايمانهم ، ليقبلن وليؤدن الجزية ، وليدخلن فيما دخل فيه اهل الذمة ؛ ففعلوا . فان رايت ان تقدم فافعل . فان في مسيرك اجرا وصلاحاً . اتاك الله رشدك . ويسر امرك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . »

عمر بن الخطاب يلي النداء :

كان عمر بن الخطاب رجلاً ديمقراطياً ، ولم يكن دكتاتوراً . ولهذا جمع اليه ، بمجرد وصول رسالة ابن الجراح ، اهل الحل والعقد ؛ واستشارهم في الامر . فكان رأي عثمان : ان لا يذهب الخليفة بنفسه . إذ ان العدو لا بد وان يضطر للتسليم ، ما دام قد اصيب بالضعف والرعب . وكان رأي علي : ان يسير الخليفة الى فلسطين ، عملاً برأي قائده المحنك ، خشية ان يياس العدو اذا رفضت شروطه المعقولة ؛ فيتمسك بمحصنه ، او يأتيه مدد من عدو آخر . فيتغير الموقف ، وتنعكس الآية ، ويصيب المسلمين ضرر عظيم .

بالسيوف . فقال عمر : هذه مستأمنة ، فلا تراعوا ، وامنوهم . فامنوهم . واذا هم اهل ايلياء . وعلى رأسهم (العوام) . فنلقاهم المسلمون براية الامان . واما (ارطبون) و (التذارق) ومن لم يشأ مصالحة المسلمين من امراء الروم فقد لحقوا بمصر . ولم يكونوا مع الوفد .

قص الوفد على عمر بن الخطاب ما هم فيه من ضنك عظيم وحصار شديد . وقالوا له انهم ايقنوا بعد انقطاع المدد عنهم واستيلاء المسلمين على اطراف الشام ومدنها العظام ، مأخوذون لا محالة . وانهم خافوا إذا سلموا المدينة للمسلمين أن لا يصالحوهم على ما صولح عليه اهل المدن الاخرى ، لكثرة ما لاقى المسلمون منهم من عناء ، وما بذلوا في حروبهم من دماء . ولما كان بيت المقدس مكروماً عند المسلمين ، لانه محل الإسراء ، ومقر الانبياء ؛ خافوا ان ينزع المسلمون منهم كنيتهم الكبرى . فرأوا تأكيداً للامان ، ان ياخذوا العهد من امير المؤمنين . وقد طلبوا الامان .

بعد ان سمع عمر بن الخطاب كلام وفد الروم ، غادر الجابية قاصداً بيت المقدس . فركب^(١) فرسه . فرأى به عرجاً ، فنزل عنه . واتى ببرذون^(٢) ، فركبه . فجعل يتجملجل به . فنزل وضرب وجهه ، وقال : لا اعلم من علمك هذه الحيلة . فركب بعيراً ولم يركب برذونا بعده .

عندما اقترب عمر رضي الله عنه من ايلياء ثلثاه المسلمون^(٣) بخيلهم ورماحهم ورجالهم . واصطفوا لاستقباله صفوفاً متراسة ؛ راكبين خيولهم ،

(١) ابن الاثير . ص ١٩٤ .

(٢) (البرذون) من الدواب ما هو دون الجبل العربا واقد من الحمار . انتاه برذونه وجهها براذين .

(٣) الانس الجليل .

سارعين رماحهم . ثم اقبل عليه قائد الجيش ابو عبيدة في موكب عظيم من جنده وحاشيته . فاذا هو على قلو^(١)ص ، لابساً سلاحه ، متنكباً قوسه . فلما رأى امير المؤمنين ؛ اتاخ قلو^(٢)صه ، واتاخ امير المؤمنين بعيره . فنزل ابو عبيدة واقبل الى عمر . واقبل عمر الى ابي عبيدة . فلما دنا عمر من ابي عبيدة مد ابو عبيدة يده الى عمر ليصافحه ، فحمد عمر يده ؛ فاخذها ابو عبيدة واهوى ليقبلها ، قاصدا تعظيمه . وتعانق الشيخان ، ثم ركباً يتسامران . وسارا ، وسار الناس امامهما .

وهناك رواية اخرى تقول : ان عمر بن الخطاب جاء من المدينة راساً الى بيت المقدس . وانه لما وصل اليها نزل على الجبل الشرقي المعروف ب (طور زيتا)^(٢) وحكي ان قيادة الجيش تلقوا عمر رضي الله عنه عندما اقترب من ايلياء ببرذون وثياب بيض . وكلموه ان يركب البرذون ، ليراه العدو ، فهو اهيـب له عندهم . وان يلبس الثياب البيض ويطرح الفروة عنه . فابى . ثم لجوا عليه . فركب البرذون بفروته وثيابه . فهلج^(٣) به البرذون وخطام ناقته بيده بعد . فنزل وركب راحلته ، وقال : « لقد غيرني هذا حتى خفت ان اتكبر وانكر نفسي . فعليكم يا معشر المسلمين بالقصد ، وانما اعزكم الله عز وجل به » .

وبعد ان استراح قليلا قص عليه ابو عبيدة الخبر اليقين منذ افترقا الى ذلك الحين .

(١) القلو^(١)ص من الابل الشابة .

(٢) هذا ما قاله غير الدين في كتابه (الانس الجليل) . واما المؤرخون الآخرون فيقولون ان عمر اقبل على القدس من ناحية (جبل المكبر) . ولما بلغ ذلك الجبل ورأى منه المدينة ، هلج وكبر . وتبعه صعبه . فهللوا وكبروا . ومن ذلك اليوم سمي ذلك الجبل : (جبل المكبر) .

(٣) هلج البرزون مشى مشية سهلة في سرعة .

العهد العُمري

بكى عمر على ما روى له رقة وحنانا . وامر من فوره ان يبلغوا بطريرك المدينه قدومه . فلبى امره على جناح السرعة . فخرج حينئذ البطريرك من الكنيسة ، يتبعه الاساقفة والقسيسون والرهبان والشمامسة ، حاملين الصليب المقدس . ولما انتهوا الى مقام الخليفة ، خف للقائهم . وقد حياهم بالسلام . واقتبلهم بمزيد الاحتراف والاكرام . ثم تحدثوا في شروط التسليم . وكتب لهم (١٥هـ - ٦٣٦م) وثيقة الامان التالية وهي التي عرفت فيما بعد بالعهد العُمري : -

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان . اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر ملتها . انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من اموالهم . ولا يكرهون على دينهم . ولا يضار احد منهم . ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود . وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن . وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم ، فهو آمن على نفسه وما له ، حتى يبلغوا مأمنهم . ومن اقام منهم آمن ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم ، فانهم امنون على انفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان فيها من اهل الارض ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم . ومن رجع الى اهله ، فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية . كتب وحضر سنة خمسة عشر .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان . هذا هو عهد الامان الذي اعطاه عمر بن الخطاب لاهل ايلياء . وقد سلمه الى صفرونيوس بطريرك الروم ، وهو الذي طلب حضور الخليفة بنفسه ليتسلم المدينة . ولقد تسلمها عمر وسلم صفرونيوس هذا العهد . وقد اخذناه عن الامام ابي جعفر محمد ابن جرير الطبري . اقرأ الجزء الثالث الصفحة ١٠٥ من كتابه (تاريخ الامم والملوك) . طبع في مطبعة الاستقامة بالقاهرة . واخذ الطبري عن خالد وعبادة من الصحابة المعروفين . ونقل عنه معظم المؤرخين . وهو الذي اعتمدناه .

ونقل مجير الدين النص نفسه في كتابه (الانس الجليل) الصفحة ٢٢٤ ، وان كان في روايته بعض التحريف ، كقوله (مقيمها) بدلا من سقيمها ، و (بريها) بدلا من بريئها ، وبيعتهم بدلا من بيعهم . (وصليهم) بدلا من صلبهم . (وايليا) بدلا من ايلياء . وما الى ذلك من الفروق البسيطة التي يدركها القارئ اللبيب .

النص الحقيقي للعهد

هذه هي (العهد العُمري) . وهذا هو نصها الذي اجمع عليه المؤرخون . ولست ادري ، وايم الحق ، من اين اتى رجال البطريركية الارثوذكسية في القدس ، بالنص الذي اذاعوه في اليوم الاول من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٥٣ ، وقالوا عنه انه نسخة عن الاصل المحفوظ في مكتبة الروم بالفنار من اعمال استانبول .

وهو ، في اعتقادي ، نص ملفق ؛ القصد منه اظهار ما للروم من (حق التقدم) على الطوائف المسيحية الاخرى . وما كنت لاعباً بهذه الناحية ، لولا ان فيه ذكراً لطوائف لم تكن موجودة في القدس عندما دخلها عمر بن الخطاب ، ولم يأت ذكرها بتاتاً في العهدة العمرية .

وقبل ان ادلك على مواضع الضعف في النص المنشور حديثاً ، ارى من الحكمة ان ادرجه فيما يلي كما اذاعه رجال البطريركية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي اعزنا بالاسلام واکرمنا بالايمان ورحمنا نبيه محمد ﷺ وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات والفرقة قلوبنا ونصرنا على الاعداء ومكن لنا من البلاد وجعلنا اخواناً متحابين . واجمدوا الله عباد الله على هذه النعمة . هذا كتاب عمر بن الخطاب بعهد وميثاق اعطى الى البطريرك المبجل المكرم وهو صوفرونيوس بطريرك المثلث الملكية في طور الزيتون بمقام القدس الشريف في الاشغال على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات حيث كانوا واين وجدوا وان يكون عليهم الامان . وان الذمي اذا حفظ احكام الدين وجب له الامان والصون منا نحن المؤمنين والى من يتولى بعدنا وليقطع عنهم اسباب جوارحهم كحسب ما قد جرى منهم من اسباب الطاعت والخضوع . وليكن الامسان عليهم وعلى كنائسهم ودياراتهم وكافت زياراتهم التي بيدهم داخلاً وخارجاً وهي القمامة وبيت لحم مولد عيسى عليه السلام كنيسة الكبراء والمغارة ذي الثلاثة ابواب قبلي وشمالي وغربي وبقية اجناس النصارى الموجودين هناك وهم الكروج والحش والذين ياتون للزيارة من الافرنج والقط والسريان والارمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطريرك المذكور ويكون متقدماً

عليهم لانهم اعطوا من حضرت النبي الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بحتم يده الكريمة وامر بالنظر اليهم والامان عليهم . كذلك نحن المؤمنين نحسن اليوم اكراماً لمن احسن اليهم ويكونوا معافين من الجزية والغفر والمواجب ومسلمين من كافت البلايا في البر والبحور وفي دخولهم للقمامة وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شيء . واما الذين يقبلون الى الزيارة الى القمامة يؤدي النصراني الى البطريرك درهم وثلاث من الفضة وكل مؤمن ومؤمنة يحفظه ما امرنا به سلطاناً ام حاكماً والى يجري حكمه في الارض غني ام فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات . وقد اعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام عبد الله وعثمان بن عفان وسعد بن زيد وعبد الرحمن ابن عوف وبقية الاخوة الصحابة الكرام . فليعتمد على ما شرحنا في كتابنا هذا ويعمل به . وابقاءه في يديهم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله واصحابه والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل في العشرين من الشهر ربيع الاول سنة خمس وعشر للهجرة النبوية وكل من قوى مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن والى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثاً ولرسوله الكريم باغضاً » .

هذا هو النص الذي اذاعه رجال البطريركية بالقدس . وقد ارسلا نسخاً كثيرة منه الى مختلف المكاتب والدواوين . فاعتبره القوم حقيقة ثابتة ! واما الاسباب التي حدثتني الى الشك في صحة هذه النسخة فهي :

اولاً - لأن نصها يخالف النص الذي اعتمده المؤرخون العرب والذي دوناه في السطور المتقدمة .

ثانياً - لانه كتب بأسلوب غير الاسلوب العربي

ثالثاً - ما كانت هذه المدينة تسمى يومئذ
بـ (القدس) . لا ، ولا بالقدس الشريف .
بل كان اسمها : (ايليا) و (ايلياء) .

ولقد صاحبها اسمها هذا منذ عهد
الرومان ؛ يوم فتك الامبرطور ادريانوس
باليهود ، وخرّب اورشليم (١٣٩ م) ،
وبنى على انقاضها مدينة جديدة اسمها :
(ايليا كابتولينا) . وهي مشتقة من
(ايلوس) كلمة يونانية معناها الشمس
و (كابيتول) معناها المركز او المقر .
وقد ظل هذا الاسم معروفاً في اوائل الفتح
الاسلامي . فخاطب عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في عهده اهل (ايلياء) ولم يخاطب
اهل القدس . ولم يكن اسم (القدس)
معروفاً في ذلك العهد .

رابعاً - المعروف انه لم يكن من الطوائف النصرانية
في ايلياء ، عندما فتحها عمر بن الخطاب ،
سوى « الروم » . اذ كانت فلسطين كلها ،
لا ايلياء وحدها ، في عهد هرقل داخلة في
حظيرة الدولة البيزنطية ، وكانت تسودها
تعاليم الكنيسة الشرقية . وكان الروم
وحدهم موضع البحث في ذلك الحين . ولم
يرد في النص الاصيل اي ذكر للافرنج
والقبط والسريان والارمن والنساطرة
والبعاقة والموارنة ، الذين ذكروا في النص
الذي اذاعته البطريركية انهم كانوا تابعين
لبطريك الروم ! . وليس يعني هذا ان
العهد العمرية لا تشمل هذه الطوائف او
انها مستثناة من الامان . وانما نعي انه لم
يبحث عنهم . ولو كان منهم احد
يومئذ في القدس ، لنص عنهم في العهد .

القديم الذي كان معروفاً في القرن الاول
للهجرة . فما عرف العرب في ذلك القرن
كلمة (الملت) بالثناء المفتوحة ، وانما عرفوها
بالثناء المربوطة (الملة) . لا ، ولا (الذمت)
و (كافت) و (حضرت) و (الجزيت)
و (الطاعت) . فان التاء المفتوحة في
الكلمات المتقدم ذكرها وفيما يشابهها من
كلمات ، من وضع الاتراك . وكذلك قل
عن الكلمات والجل التالية :

« البطريرك المبجل المكرم وهو
صوفرونيوس بطريرك الملت الملكية في طور
الزيتون بمقام القدس الشريف . . » .

« كحسب ما قد جرى منهم من الطاعت
والخضوع . . » .

« . . لانهم اعطوا من حضرت النبي
الكريم والحبيب المرسل من الله . . » .

« . . وكلمن (. .) قرى مرسومنا
هذا . . » . وكأنهم يريدون ان يقولوا :
كل من قرأ مرسومنا هذا . . .

هذه وغيرها من الكلمات والتعابير ، راسياً
الكلمات التركيبية المثبتة في الطرف الايسر من البيان
المنشور ، وقد قيل عنها انها (ترجمة حرفية) للنص
الاصيل (؟) . كل ذلك يدل على انها نسخت في
العهد التركي . وفي صدرها كلمة (عهدنامه)
وشهادة (رب سهل امور حسين) . كل ذلك
مكتوب بمداد مختلف الالوان : فيه الاسود والاحمر
والمذهب . وبعض السطور مزينة باشكال مختلفة
من الزهر . الامر الذي لم يكن مألوفاً في القرون
السابقة ، بله القرن الاول للهجرة .

ذلك لان الغاية واحدة. الا وهي «التسامح الديني». وهذا ما كان يهدف اليه الخليفة في عهده ، ومما فعله الخلفاء من بعده .

أهل ايلياء أيضاً يمشون عهداً :

قال عبد الرحمن بن غنم^(١) ان عمر بن الخطاب كما انه اعطى اهل ايلياء عهداً، اخذ عليهم ايضاً عهداً حين صالحهم . واليك صيغة العهد الذي اخذه عليهم :

« هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين من نصارى مدينة ايلياء . انكم لما قدمتم علينا سالناكم الامان لانفسنا وذرائنا واموالنا واهل ملتنا . وشرطنا لكم ان لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية^(٢) ولا صومعة راهب . ولا نجس منها ما كان في خطط المسلمين . ولا نمنع كنائسنا ان يزلها احد من المسلمين في ليل ولا نهار . وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل . وان ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليال ، نطعمهم ولا نواري في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً . ولا نكتم غشاً للمسلمين . ولا نعلم اولادنا القرآن ، ولا نظهر شركاً ، ولا ندعو اليه احداً ، ولا نمنع احداً من ذوي قرباننا الدخول في الاسلام ان اراده . وان نوقر المسلمين ، ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر . ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتكفى بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نعمله معنا . ولا ننقش على خواتمنا بالعربية . ولا نبيع الخمر . وان نجوز

مقدام رؤوسنا ، وان نلزم زيننا حيثما كنا . وان نشد زنا نير على اوساطنا . ولا نظهر الصليب على كنائسنا . ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في اسواقهم . ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا الا ضرباً خفيفاً . ولا نرفع اصواتنا مع موتانا . ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين . ولا نطلع عليهم في منازلهم . . . » هذا ما كتبه قائد جيشه . ولما اتى عبد الرحمن بن غنم بالكتاب الى عمر بن الخطاب زاد فيه ما يأتي : « ... ولا نضر احداً من المسلمين . شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان . فان نحن خالفنا شيئاً من شروطنا لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا . وقد حل لكم منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق . »

هذا ما رواه الامام البيهقي وغيره . ويقول مجير الدين في كتابه (الانس الجليل) ان هذه الشروط اعتمدها ائمة الاسلام وعمل بها الخلفاء الراشدون .

متى تم فتح القدس ؟

بعد ان امضى عمر بن الخطاب لاهل ايلياء عهد الامان واخذ عليهم صك العهد المتقدم ذكره ، دخل بيت المقدس سنة ١٥ للهجرة (٦٣٦ م) . هذا ما قاله مجير الدين في كتابه الانس الجليل . وقد ايدته في ذلك الطبري وغيرهما من المؤرخين . واما سبط بن الجوزي ورفيق العظم^(١) وابن العماد^(٢) والمسعودي^(٣) وابن رسته^(٤) فقد ذهبوا

(١) مؤلف كتاب (اشهر مشاهير الاسلام) .

(٢) مؤلف كتاب (عذرات الذهب) ج ١ ص ٢٨

(٣) مؤلف كتاب (التنبيه والاشراف) ج ٧ ص ٣٢٩ .

(٤) مؤلف كتاب (الاعلاق النقية) ص ٣٢٩ .

(١) الانس الجليل

(٢) مصرية . معناها مكن الاسقف .

الصحابة الذين اشتركوا في الفتح :

وانه ليحسن بنا ان نذكر هنا اسماء الصحابة الذين دخلوا بيت المقدس يومئذ مع عمر بن الخطاب نقلناها عن الانس الجليل ومثير الغرام :

ابو عبيدة بن الجراح (واسمه عامر بن عبد الله ابن الجراح) الفهري . معاذ بن جبل الانصاري . بلال بن رباح مؤذن الرسول . عياض بن غم^(١) . خالد بن الوليد^(٢) . ابو ذر الغفاري (واسمه جندب بن جنادة) . ابو الدرداء عويم^(٣) . عباد بن الصامت الانصاري^(٤) . سلمان الفارسي^(٥) . ابو مسعود الانصاري (عتبة بن عامر البديري) . نعيم بن اوس الداري^(٦) . عمرو بن العاص السهمي . عبدالله ابن سلام ابو الحارث (اسرائيلي الاصل وكان اسمه الحصين فقيره الى عبدالله . شهد فتح بيت المقدس) . سعيد بن زيد (وعن مثير الغرام انه سعيد بن زيد

(١) جاء في مثير الغرام - انه بنى في بيت المقدس حماما .
(٢) بطل اليرموك . دخل بيت المقدس وشهد فتح دمشق . وتوفي بحمص . وقبره فيها بزار .
(٣) جاء في شرح مثير الغرام للاستاذ احمد سامح الخاندي انه هو سعد بن ابي وقاص . وفي الانس الجليل ان ابا الدرداء عويم رجل ، وسعد بن ابي وقاص رجل اخر . وكلاهما من الصحابة الذين حضروا فتح بيت المقدس .
(٤) (عباد بن الصامت) صار بعدئذ واليا على ايلياء . وهو اول من تولى القضاء في فلسطين . سكن بيت المقدس . ومات ودفن فيها (٣٤ هـ) .

(٥) كان مملوكا فارسيا ، فاسلم . ثم اشتراه ابوبكر ، واعتقه . وقد مات في خلافة عثمان بالمداين (٣٦ هـ) .
(٦) « نعيم بن اوس الداري » دخل القدس يوم الفتح . وكان اميرا عليها يقضي الناس باذن عمر . رغم المقام الرفيع هذا دخل عليه « روح بن زنباع » الجذامي يبني لغرسه شعيرا عملا بقول النبي « من نقي لغرسه شعيرا في سبيل الله كتب له بكل شعيرة حسنة » . رواه الطبراني في معجمه الصغير « مثير الغرام ص ٢٤٣ » . قيل انه او ، من اسرج المساجد . توفي سنة ٥٤١ هـ .

الى ان فتح بيت المقدس قد تم في سنة ست عشر في ربيع الاول ، وقيل لخمس خلون في ذي القعدة . واما ابن خلدون (ص ١٠٦) فقد ذكر الروايتين ولكنه رجح الاولى (اي ١٥ هـ) . وكذلك فعل ابو الفداء^(١) . واما البلاذري^(٢) فانه يقول ان فتح ايلياء تم في سنة ١٧ للهجرة .

عندما دخل عمر المدينة استقبله صفرونيوس . وقد دخل من ورائه المسلمون . دخلوها مكبرين مهللين . وعلى قول الانس الجليل ان عدد الصحابة الذين دخلوها معه اربعة الاف . وقد كانوا متقلدين سيوفهم . وراية العرب ترفرف فوق رؤوسهم .

تذكرت حرب الروم^(٣) لما تطاولت واذ نحن في عام كثير نزائله واذ نحن في ارض الحجاز وبيننا مسيرة شهر بينهن بلبه واذ ارطبون الروم يحمي بلاده يحاوله قرم هناك يساجله فلما رأى الفاروق ازمان فتحها سما يجنود الله كيا يصاوله فلما احسوه وخافوا صواله اتوه وقالوا انت ممن نواصله والقت اليه الشام افلاذ بطنها وعيشا خصيبا ما تعد ما كله اباح لنا ما بين شرق ومغرب مواريث اعتقاب بنتها قرامله وكم مثقل لم يضطلع باحتاله تحمل عبا حين شالت شوائله

(١) مؤلف كتاب (المختصر في اخبار البشر) ص ١٦٩ .

(٢) مؤلف كتاب (فتوح البلدان) ص ١٤٥ .

(٣) من قصيدة لزياد بن حنظلة اشار فيها الى فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب . نقلناها عن الطبري ص ١٠٨

صنعاء) ذو الاصابع اليمني^(١) ويقال له الجهني او الخزاعي . قال الحافظ ابو بكر الخطيب انه مات ودفن في القدس . مات من غير عقب . ابو محمد البجاري (الانصاري البصري) قال صاحب مثير الغرام اظنه مسعود بن انس بن زيد بن احرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك البجاري . كذا نسبه الواقدي وغيره . قال الحافظ ابو بكر الخطيب انه مات من غير عقب . ودفن في القدس . سلام بن قيسر (وقيل سلامة بن قيسر) . كان واليا لمعاوية على بيت المقدس ، وله عقب بها . وانكر بعضهم صحبته . مات ودفن في القدس . عبدالله بن كعب^(٢) (ويقال له ابن ام حرام) . سكن بيت المقدس . وهو آخر من مات فيها من الصحابة . عصف بن الحارث . صفية بنت حبي ام المؤمنين . قدمت بيت المقدس فصلت فيه . وصعدت على طور زيتا فصلت . ودعت الى الله ، ثم قالت : «من ها هنا يتفرق الناس يوم القيامة الى الجنة او الى النار» . علقمة بن حكيم . صفوان ابن امية . سهيل بن عمرو . الحارث بن هشام .

عمر بن الخطاب وكنيسة القيامة :

كان اول عمل قام به عمر بن الخطاب بعد فتحه بيت المقدس ان زار كنيسة القيامة . ولما كان في داخل الكنيسة حان وقت الصلاة . فاشار عليه

ابن عمرو بن نفيل) . ابو اسحاق سعد بن ابي وقاص (واسمه مالك بن وهب) . مرة بن كعب الفهري . كان من خطباء ايليا في اماراة معاوية ، توفي بالاردن (٥٧ - ٦٧٦ م) . شداد بن اوس ابن اخي حسان بن ثابت^(١) وقبره ظاهر بيت المقدس يزار في مقبرة باب الرحمة تحت سور المسجد الاقصى . ابو هريرة (واسمه عبد الرحمن بن صخر) . معاوية بن ابي سفيان . وقد تعاهد مع عمرو بن العاص بيت المقدس بعد قتل عثمان على ان ينصر كل منها الآخر .

ومن الذين حضروا فتح القدس ايضا عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي . عبدالله بن عباس . عبدالله بن عمر بن الخطاب . عوف بن مالك ابن عوف الاشجعي . ابو جعة الانصاري . جندب بن سباع وقيل حبيب بن سباع وقيل ابن وهب . وائلة بن الاسقع الهوازني . مات في بيت المقدس . وقيل مات في الشام . ابو امامة صدى بن عجلان الباهلي ، سكن بيت المقدس . محمود بن الربيع (ابو نعيم) . يزيد بن ابي سفيان . (كان اميرا بالشام ولما مات امر عمر مكانه اخاه معاوية بن ابي سفيان) . ابو ربحانة شمعون القرظي (من بني قريظة كانت ابنته ربحانة سرية النبي ، سكن بيت المقدس وكان يعظ في المسجد الاقصى ، مات من غير عقب ودفن في القدس) . الشريد بن سويد . عبدالله بن ابي الجدع التميمي ويقال له الكناني . فيروز الديلمي (ويقال له ابو عبدالله وقيل ابو عبد الرحمن وابو الضحاك الحميري . سكن بيت المقدس . ويقال انه مات بها وجاء في مثير الغرام ان معاوية ولده على

(١) انه من اهل اليمن الذين جاؤا لفتح ونزلوا بيت المقدس . روى عنه انه قال : «قلت يا رسول الله ارايت ان ابتليت بالبقاء بعدك اين تامرني . قال : عليك بيت المقدس . لعل الله يرزقك ذرية يمدون ويروحوون اليه (يعني مسجد بيت المقدس) شرح مثير الغرام ص ٣٢ .

(٢) من اوائل الذين اسلموا ومن صلى الى القبايتين . انه قريب عبادة بن الصامت . وهو احد الاربعة الذين جمعوا القرآن (الاشذرات ج ١ - ص ٣٢) . قال عمر عنه يوم مات : (اليوم مات سيد المسلمين) .

(١) كان ذا علم وحلم وعبادة واجتهاد . وهو الذي بشره النبي لما دنت وفاته « صدم » بفتح الشام وبيت المقدس . وله عقب بيت المقدس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا بَطَلَ عَسَى اللَّهُ بِكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ مَنْ لَا يَكُونُ. أَعْطَاهُمْ مَا نَالُوا لَأَتَمُّهُمْ وَأَسْوَأُهُمْ. وَلَكِنْ أَيْدِيَهُمْ وَصَلَابَتُهُمْ
وَسِقْمَتُهُمْ وَرَيْبُهُمْ. وَأَنْ لَا تَكُونَ مِنْكُمْ مَنْ لَا يَكُونُ. وَلَا تَكُونَ مِنْكُمْ مَنْ لَا يَكُونُ. وَلَا تَكُونَ مِنْكُمْ مَنْ لَا يَكُونُ.
وَعَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ أَنْ يَكُونُوا عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ.
وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ.
وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ.
وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ.
وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ.
وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ. وَمَنْ لَا يَكُونُ عَلَى مَا يَكُونُونَ.

عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ

سيرة علي بن أبي طالب
مكتبة روضه جنة
خالد بن الوليد عمرو بن العاص عبد الرحمن بن عوف معاوية بن أبي سفيان



الخليفة العادل عمر بن الخطاب امام اسوار بيت المقدس

وأنه كان يتسع لثلاثة الاف من المصلين .
ولكن احداً من هؤلاء وأولئك لم يذكر لنا :
اين كان ذلك المسجد بوجه التحديد ؟ فمنهم من قال :
انه كان عند الصخرة التي نظفها عمر بيده . ومنهم
من قال : انه كان في الموضع نفسه الذي يقوم عليه
البناء الحالي للمسجد الاقصى .

وسواء بنى عمر رضي الله عنه مسجده في هذا
الموضع ، أو ذاك ؛ على الصخرة ، أو الى جانبها ،
أو بعيداً عنها ؛ فانه مما لا شك فيه أن موضع الحرم
الحالي بوجه الاجمال مقدس في نظر المسلمين .

انه اولى القبليتين . فقد صلى المسلمون عليه في
بادي الامر نحو سبعة عشر شهراً قبل ان يتخذوا
الكعبة قبلتهم .

وهو ثالث الحرمين اللذين خصهما الله بالشرف
والتعظيم ^(١) .

وقد روي عن النبي (صلعم) أنه قال : « ان
الصلاة في المسجد الاقصى افضل من الصلاة في غيره » .
ولهذا امر المسلمين ان يحرموا للحج من بيت
المقدس . وفي ذلك قال : « من أهل بالحج والعمرة
من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام ، غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجب له الجنة » .

وفي رواية اخرى ^(٢) ان عمر انتهى الى المسجد
الاقصى ليلاً . فدخله ، وصلى به . ولم يلبث ان طلع
الفجر . فامر المؤذن بالاقامة . فتقدم ، وصلى

البطريق صفرونيوس ان يصلي في داخل الكنيسة
قائلاً : (مكانك صل) . ولكن عمر أبى وخرج من
الكنيسة ، وصلى في مكان قريب منها لجهة الجنوب .
وبعد ان اتم صلاته قال للبطريق : (ائذن لي ايها
الشيخ ، انني لو اقامت الصلاة في كنيسة القيامة
لوضع المسلمون عليها الايدي من بعدي في حجة
اقامة الصلاة فيها . واني لأبى ان امهد السبيل
لحرمانكم منها ، وانتم لها احق واولى) .

أين بنى عمر مسجده ؟

ثم طلب الى البطريق ان يريه مكان الهيكل .
وفي قول - وهذا هو الاصح - ان عمر طلب الى
البطريق ان يدلّه على مكان يبني فيه مسجداً للمسلمين .
فدله البطريق على منطقة الهيكل .

وذهب الاثنان معاً الى منطقة الهيكل ، يرافقهما
عدد من الصحابة والقسس وقادة الجيش . وكان
المكان مهجوراً بالمرّة ، ينشق فوقه بوم الخراب . ولم
يكن فيه سوى الظلل الباقي من عهد الرومان . ولم
يكن على الصخرة أي نوع من انواع البناء . لا بل
كانت الصخرة مغطاة بالزبل والاقذار . اذ كان سكان
المدينة قد اتخذوها مزبلة .

فدهش عمر ، وراح ينضح التراب بكفيه ، وينقله
بشوبه ، وتبعه الصحابة ، فراحوا يرفعون عن الصخرة
التراب ، الى ان بدت للناظرين ؛ فأمر عمر ببناء
مسجد في ذلك المكان .

ذكر المؤرخون هذه الحقيقة . وهي ان عمر رضي
الله عنه قد بنى مسجده في المنطقة التي كان يقوم فيها
الهيكل . وقال بعضهم انهم رأوا المسجد بأعينهم ^(٣)

(١) ومنهم السائح المعروف (آر كولف) الذي زار القدس سنة
٣٣٣ للميلاد . والسائح المؤرخ (جيروم) الذي زارها
بعده بقليل .

(١) الاول هو (المسجد الحرام) بمكة . والثاني هو المسجد
الذي دفن فيه النبي بالمدينة . وهذا هو الثالث . وقد جاء في
الحديث : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد
الحرام . ومسجدي هذا . والمسجد الاقصى .

(٢) اشهر مشاهير الاسلام - رفيق بك العظيم .

في شوارع المدينة ويغشي اسواقها . وكانت هذه لا تزال تئن من الخراب الذي أحدثه الغزو الفارسي . ذلك الغزو الذي سبق الفتح الاسلامي باثنتي عشرة سنة . فرآى بعين ثاقبة ان يبدأ بالتنظيم الاداري والقضائي أولاً . فلم يتمهل ، ولم يتوان . ففرض للمسلمين القروض^(١) واعطى العطايا . اعطى صفوان ابن امية والحارث بن هاشم وسهيل بن عمرو اقل مما اخذ من قبلهم . فامتنعوا من اخذه . وقالوا : لا نعرف ان يكون احد اكرم منا . فقال : اني انما اعطيتكم على السابقة في الاسلام ، لا على الاحساب . قالوا : فنعم اذنت ، واخذوا^(٢)

ثم وضع التاريخ الهجري . ودون الدواوين . وقسم البلاد الى مناطق . وعين عليها الامراء . ورتب البريد . واقام العيون (الاستخبارات) . وعين قاصياً (مفتشاً) يطوف على المأمورين ، ويحق الشكايات . واسس الحسبة (البلدية) لمشاركة الموازين والمكاييل ومراقبتها ومنع الغش وتنظيف الازقة وشر الكنف والرفق بالحيوان . وهدم البناء المحدث في وسط السوق . وحظر على الناس الازدحام في الطرق . وحضهم على التجارة ، فقال : « لا يلهكم الرياسة وحبها . لا يغلبكم الغرباء على التجارة فانها ثلث الامارة » .

روى عن سلامة بن قيسر وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلفه ببيت المقدس يصلي بالناس ، انه رضى الله عنه لما فتح بيت المقدس وقف على راس السوق في اعلاه فقال : لمن هذا الصف ؟ يعني صف سوق البزازين . فقالوا : للنصارى . فقال : لمن الصف

(١) الرواتب .

(٢) (الكامل في التاريخ) لعلاء الدين اسماعيل بن سعيد المعروف بابن الاثير الحلبي المتوفى سنة ٦٩٩ هـ ص ١٩٤ والطبري ص ١٠٨ .

بالناس ، ثم دعا بكعب الاحبار^(١) وكان لما دخل المسجد ، قال : ارقبوا لي كعباً . ولما اتى به قال له : « اين ترى ان نجعل المصلى » ؟ فقال : « الى الصخرة » . قال عمر : « ضاهيت والله اليهودية يا كعب » . ثم قال : « بل نجعل قبلته صدره » ، كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورها » . فانما لم نؤمر بالصخرة ولكننا امرنا بالكعبة . فجعل قبلته صدره .

ثم قام الى كنيسة^(٢) كان الروم قد دفنوا بها الهيكل^(٣) في زمن بني اسرائيل ، وقال : « يا ايها الناس ، اصنعوا ما اصنع » . وجثا في اصلها ، وجثا في فرج من فروج قبائه . وبنى فوقه مسجداً . وبينما كان عمر ينظف موضع الصخرة سمع التكبير من خلفه . فقال : ما هذا ! قالوا : كبر كعب ، وكبر الناس بتكبيره .

ولا غرابة ان يظهر كعب الاحبار سروره ويكبر لما جرى . وهو اسرائيلي الاصل . يعلم سوء ما لاقى بنو اسرائيل من الرومان ، وما كانوا يلاقونه من اضطهاد من النصارى الذين حظروا عليهم حرية التوجه الى قبلتهم . كما يعلم جميل المسلمين لاهل الكتاب واطلاقهم لهم حرية التعبد والسكن والاعتمال حيثما كانوا .

تفقد عمر معالم المدينة ومصالح السكان :

وبعد ان اتم عمر بن الخطاب زيارته لهذين المكانين المقدسين : القيامة والصخرة . راح يحول

(١) كان يهودياً ثم اعتنق الاسلام . ووافق عمر بن الخطاب اثنا فتحه بيت المقدس . وكان اليهود يمتنون ان لو يفتح المسلمون بيت المقدس نكاه بالمسيحيين . وكثيراً ما كانوا يحرشونهم على فتحها .

(٢) الكنيسة الزبالة .

(٣) الهيكل الذي بني على الصخرة . وكان الرومان قد هدموه والقوا عليه الزبالة نكاه باليهود .

امير من الاحياء غيرك الا استزارني . فقال ابو عبيدة : يا امير المؤمنين . اني اخاف ان استزيك فتعصب عينيك في بيتي . قال : فاستزرنى . قال : فزرنى . فلما أتاه عمر في بيته فاذا ليس فيه شيء الا لبد فرسه . واذا هو فراشه وسرجه . واذا هو وسادته . واذا كسر يابسة في كوة^(١) بيته . فجاء بها . فوضعها على الارض بين يديه . واتاه بملح جريش وكوز خرف فيه ماء . فلما نظر عمر الى ذلك بكى . ثم قال : انت اخي . وما من احد من اصحابي الا وقد نال ونالت منه غيرك . فقال له ابو عبيدة : « الم اخبرك انك ستعصب عينك » .

ثم جمع المسلمين فقال : ما يحل للوالي من هذا المال ؟ فقالوا جميعاً : اما لخاصته فقوته وقوت عياله ، لا وكس ولا شطط . وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف . ودابتان الى جهاده وحوائجه وحملاته الى حجه وعمرته . والقسم بالسوية ان يعطي اهل البلاء على قدر بلائهم . وبرم امور الناس بعدد . ويتعاهددهم عند الشدائد والنوازل حتى تكشف . ويبدأ باهل الفيء اي الذين افاء الله عليهم بات اشتروا في الجهاد والفتح ، ولن لحق بهم واعانهم واقام معهم

عمر بن الخطاب ينصح رجاله :

بعد ان رتب الامور ووضع كل شيء في نصابه اعترم الرجوع الى المدينة . وقبل مغادرته بيت المقدس ودع جنده . وبعد ان حمد الله واثى عليه بما هو اهل له ، وصلى على نبيه ، خاطبهم قائلاً^(٢) : « يا اهل الاسلام ، ان الله قد صدقكم الوعد .

(١) « الكوة » الحرق الصغير في الخائط و « الكو » الحرق الكبير .

(٢) الانس الجليل .

الغربي الذي فيه حمام السوق ؟ فقالوا للنصارى . فقال بيده هكذا : هذا لهم ، وهذا لهم يعني النصارى . وهذا لنا مباح يعني السوق الاوسط الذي بين الصفيين وكانت فيه قبة من رصاص .

ذمي يشكو امره لعمر ، فيأخذ بيده :

وبينا كان يبحث عن شؤون المدينة وعما اصاب سكانها من حيف وضم اثناء الفتح ، اتاه رجل من النصارى له ذمة مع المسلمين في كرم عنب . فشكا اليه الذمي قائلاً^(١) : يا امير المؤمنين كرمي كان في ايديهم ، فلم يستبيحوه ، ولم يتعرضوا له . وانا رجل لي ذمة مع المسلمين ، وقعوا فيه فدعا عمر رضي الله عنه ببرذون له . فركبه عريانا من العجلة . ثم خرج يركض في اعراض المسلمين . فكان اول من لقيه ابو هريرة يحمل فوق رأسه عنباً . فقال له : وانت ايضاً يا ابا هريرة ! فقال : يا امير المؤمنين . أصابتنا محضة شديدة . فكان احق من اكلنا من ماله من قاتلنا . فتركه عمر . ثم اتى الكرم . فنظره . فاذا هو قد اسرعت الناس فيه . فدعا عمر الذمي ، فقال له : كم كنت ترجو من غلة كرمك هذا . فقال له شيئاً . قال : فخل سبيله . ثم اخرج عمر ثمنه الذي قال له . فاعطاه اياه . ثم اباحه للمسلمين .

وقد امر رجاله بالعدل . وقال لهم : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » .

تقشف أبي عبيدة بن الجراح :

روى ان عمر لما فتح بيت المقدس وكتب كتاب الامان والصلح ، دخل الناس بعضهم في بعض واقام عمر اياماً . ثم قال لأبي عبيدة : « لم يبق

(١) الانس الجليل .

وفلسطين الى البلاد الحجازية بطريق العقبة . وقيل ان السبب في مجيئه هو الطاعون . فقد انتشر هذا في الشام وفي فلسطين . ودام فيها ثلاثين يوماً ، وانتشر بشكل خاص في (عمواس) . فمات من جرائه خلق كثير : منهم ابو عبيدة بن الجراح^(١) وضرار بن الازور الكندي^(٢) ومعاذ بن جبل^(٣) ويزيد ابن ابي سفيان ، وشرجيل بن حسنة ، والحارث ابن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وعتبة بن سهيل وعدد آخر من اشراف الناس^(٤) . فخاف عمر ان ينتشر الروم فرصة ضعف البلاد ، بسبب هذه المصائب ؛ فسار الى القدس ، ونزلها ثانية . فأسى الشكالي واليتامي ، واعان الفقراء والاحتاجين . ونظر في امور الناس ومصالحهم . ثم صلى وصلى الناس من ورائه . وبكى وبكوا معه على تلك الارواح الطاهرة التي قضت نحبها وهي تجاهد في سبيل اعلاء كلمة الله .

اثر الفتح الاسلامي في فلسطين :

وانه لجدير بنا ان نذكر هنا^(٥) ان الشعب الفلسطيني لم يتأثر ، على مر الدهور ، باي فتح مثل تأثره بالفتح اسلامي ، وان ثقافته لم تتأثر عن طريق الامم التي احتلت بلاده ، مثل تأثرها بالفتح العربي . فقد ترك هذا الفتح العظيم في هذه البلاد طابعاً لا تقوى على محوه يد الدهر .

ولم يكن الفتح العربي للقدس فتحاً دينياً فحسب ؛ بل كان فتحاً عسكرياً ، وعنصرياً ، ولغوياً ايضاً^(٦)

(١) دفن في غور ابي عبيدة ، وقبره لا يزال ظاهرة للعيان .

(٢) دفن بالقرب من ابي عبيدة بن الجراح .

(٣) دفن في الشونة (٤) الطبري ج ٣ ص ١٦١

(٥) المهدي ص ٤

(٦) المهدي ص ٥

ونصرهم على الاعداء . واورثكم البلاد . ويمكن لكم في الارض . فلا يكونن جزاؤه منكم الا الشكر . واياكم والعمل بالمعاصي . فان العمل بالمعاصي كفر للنعم . وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ، ثم لم يفرغوا الى التوبة ، الا سلب عزمهم وسلط عليهم عدوهم . وبعد ذلك اذن بلال ، وسمع الصحابة صوته ، فذكروا النبي ، وبكوا . اذ كان آذانه ذاك اول اذان بعد موت النبي . وكان اطولهم بكاء ابو عبيدة الجراح القائد العام الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في افتتاح بيت المقدس . ثم قضى صلاته ، وقفل راجعاً الى الحجاز .

يزيد بن ابي سفيان يتولى إدارة القدس :

وقبل سفره الى الحجاز اقسام عمر على بيت المقدس (يزيد بن ابي سفيان) ، على ان ياتر باوامر ابي عبيدة بن الجراح . وانتدب للصلاة من بعده (سلامة ابن قيصر) . هذا في بيت المقدس ومن الناحية الادارية . واما من الناحية العسكرية فقد امر على فلسطين رجلين . فجعل (علقة بن حكيم) على نصفها الشمالي وانزله الرملة ، و (علقة بن مجرز) على نصفها الجنوبي وانزله ايلياء . فنزل كل منهما في عمله مع جنوده .

عمر بن الخطاب يزور القدس مرة اخرى :

ولقد عاد عمر ، فزار القدس مرة اخرى عام ١٧ للهجرة (٦٣٩ م) ويعرف بعام الرماد ؛ اذ اجتاحت^(١) الحجاز عامش قحط شديد ، وجاع الناس ، وهلكت الماشية . فامر الخليفة عامله ابا عبيدة وعمرو بن العاص ، فارسلا الجيوب من سورية

(١) بك باشا ص ١٠٤ .

تغلغل القبائل العربية في البلاد :

ومن مميزات الفتح العمري ان العنصر العربي قد انتشر في فلسطين انتشاراً سريعاً . واليك^(١) اسماء بعض الذين وصلت اليها اسماؤهم من نزلوا بيت المقدس بعد الفتح العمري وقبل الفتح الصلاحي . فريق منهم نزله زائراً وفريق مستوطناً :

اويس بن عامر القرني . عبيد عامل عمر على بيت المقدس . استعمله على بيت المقدس عندما وقع الطاعون فيها ، فكانت الجنائز تغسل وهو يصلي فيها . ولا يحمل الجنائز الا الشباب . عمر بن سعد من عمال عمر بن الخطاب ، استعمله على حمص . شداد^(٢) بن اوس ، وكنيته ابو ثابت . حضر فتح بيت المقدس . ابو نعيم المؤذن وهو اول من اذن ببيت المقدس (بعد بلال) . وكان عبادة بن الصامت والي ايلياء يأت به في صلاته . ابو الزبير الدار قطي . مؤذن بيت المقدس . ابو سلام الجيش (واسمه محظور) . ابو جعفر الحرش (وفي مثير الغرام ابو خصص) . خالد بن معد بن الكلاعي . جبهة ام الدرداء^(٣) . كانت تجالس المساكين ببيت المقدس . فتقيم سنة فيه ، وسنة في الشام . ابو العوام ، مؤذن بيت المقدس . قبيصة بن ذؤيب . عبدالله بن محيرز . هاني بن كلثوم . عرضت عليه اماره فلسطين فامتنع . محارب بن اثار . كان قاضياً . وحديثه

انه كان فتحاً عسكرياً ، لان فتوحات العرب من بعده اتسعت حتى شملت الهند والصين من الشرق وبحر الظلمات من الغرب ؛ وعنصرها ، لان الجنس العربي تغلب على الاجناس الاخرى بدرجة انه تمثلها في اكثر الاقطار ؛ ولغويها ، لان اللغة العربية انتشرت انتشاراً سريعاً .

وضرب المسلمون^(٤) في بيت المقدس ، غداة الفتح ، مسكوكات من النحاس نقشوا على وجهها (محمد رسول الله) ورسم سيف ، وعلى الوجه الاخر ايلياء وفلسطين وحرف «م» و «الهِلال» .

كانت اللغة اليونانية قبل الفتح الاسلامي وفي اوائله سائدة في بيت المقدس . فأتت ، مع الفتح ، اللغة العربية تنافسها . وما هي الا بضع سنين حتى تلاشت الاولى وسيطرت الثانية . وفي خلافة عبد الملك بن مروان الغيت اليونانية ، وقامت مكانها اللغة العربية . وراحت هذه تستعمل في جميع مصالح الدولة ودواوينها . وضربت الدنانير الاسلامية . فاصبحت الحكومة عربية بكل ما في هذه الكلمة من معنى . ومستقلة استقلالاً تاماً بكل ما في كلمة الاستقلال من معان سياسية واقتصادية وثقافية . والفضل في ذلك كله يعود الى الفتح العربي الذي تم على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب .

التسامح الديني

ولقد تمتع المسيحيون^(٥) في زمن العرب بالحرية الدينية . وراوا من شمعهم وابائهم وكرم نفوسهم ما لم يروا مثله من الرومان والبيزنطيين المسيحيين انفسهم .

(١) مجلة « الراعي الصالح » . ج ١٢ . ٣١ ديسمبر

١٩٤٣ ص ١٨٢

(٢) تاريخ القدس - الطولح وبولس . ص ٢٥ .

(١) الانس الجليل ومثير الغرام .

(٢) انه تداد بن اوس بن ثابت بن المنذر ، صحابي من الانصار . كان عائلاً ، وكان تقياً وحنيفاً . مات في بيت المقدس ودفن فيها (٤١ هـ) .

(٣) خطيبها معاوية بن ابي سفيان فابت . وقالت سمعت ابا الدرداء يقول سمعت رسول الله يقول المرأة لاجر ازواجها فاذا اردت ان تكوني زوجي في الجنة فلا تتخذي بعدي زوجا . ومن اقوالها : « طلبت العبادة في كل شيء . فما رايت اشقى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم » .

مات سنة ١٩٧ هـ . محمد بن ادريس الشافعي احد
الائمة المجتهدين العظام في الاسلام . المؤمل بن
اسماعيل البصري توفي سنة ٢٠٦ هـ . بشير بن
الحارث الحافي . ذو النون المعري ابو الفيفي ثوبان
ابن ابراهيم . السري بن المفلي السقطي مات
٢٥١ هـ . محمد بن كرام المتكلم . توفي ببيت المقدس
(٢٥٥) ودفن بباب اريحا عند قبور الانبياء .
صالح بن يوسف ابو شعيب المقنع ^(١) بكر بن
سهل الدمياطي . احمد بن يحيى البزاز البغدادي
اقام ببيت المقدس الى ان مات به ٣٤١ هـ . الشيخ
سلامة بن اسماعيل بن جماعة المقدسي . ابو الفرج عبد
الواحد بن احمد بن محمد بن علي بن احمد الشرازي
(شيخ الاسلام ، وهو الذي نشر مذهب الامام احمد
في بيت المقدس) . ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي ^(٢)
النابلسي توفي سنة ٤٩٠ هـ . ابو الفضل عطاء شيخ
الشافعية بالقدس وشيخ الطريقة الصوفية . ابو
المعالى المشرف بن الرجا بن ابراهيم المقدسي من علماء
بيت المقدس . ابو القاسم بكر بن عبد السلام بن
الحسين بن القاسم الانصاري . كانت الفتاوي
تاتي اليه من مصر والشام . اسره الافرنج وقتلوه
في بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ . ابو القاسم عبد الجبار
بن احمد بن يوسف الشرازي . استشهد على يد الافرنج
حين اخذهم القدس سنة ٤٩٢ هـ . الامام الغزالي
(حجة الاسلام) ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي
الطوسي . صنف اكثر تصانيفه ببيت المقدس ومنها
احياء العلوم ولد في ٤٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٥٠ هـ . محمد

يخرج في كتب الاسلام . وكان يقوم الليل ، ويكف
عن الناس ، ويبسط في النفقة لسكان بيت المقدس .
عبدالله بن فيروز الديلمي . فقيه مقدسي خرج له ابو
داود والنسائي وابن ناجة . زياد بن ابو سودة .
مقدسي روي عن عبادة بن الصامت وابي هريرة .
ابو الحسن الازهري الاندلسي الملقب بالنهرواني .
ابراهيم بن محمد بن يوسف العرياني . ابو عتبة الخواص .
عباد بن عباد الارسوفي . ثور بن يزيد . مات ببيت
القدس سنة ١٥٣ هـ - ٧٧٠ م . عبدالله بن عامر
العامري . ابو عبدالله بن خصيف . قاسم الزاهد
(وعلى قول مثير الغرام قثم الزاهد) . محمد
ابن حاتم بن محمد بن عبد الكريم الطائي .
ابو محمد عبدالله بن الوليد بن سعد بن بكر الانصاري
مات في بيت المقدس . جعفر بن محمد النسابوري
(٢٧٠ هـ) . كعب الاحبار بن مانع الحميري . كان
يهوديا فاسلم . ابراهيم بن ابي عبله المقدسي . جبير
ابن نصير الحضرمي . عبد الرحمن بن غنم الاشعري
(وفي مثير الغرام عبد الرحيم بن غنم الاشعري) .
مالك بن دينار . محمد بن واسع . بنت اسماعيل
العدوي البصرية مولاة آل عقل . توفيت ١٣٥ هـ -
٧٥٢ م وقبرها على راس جبل طورزيتا شرقي
بيت المقدس . سليمان بن طرخان الهشمي
التميمي . مقاتل بن سليمان المفسر (مات
سنة ١٥٠ هـ) . الاوزاعي عبد الرحمن بن
عمر . سفيان الثوري (ابن سعيد بن مسروق)
مات سنة ١٦١ هـ . ابراهيم بن ادم بن اسحق توفي
سنة ١٦١ هـ . الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ^(١) .
ركيع بن الجراح بن سليم . ابوسفيان الرواسي

(١) يقال انه حج سبعين حجة راجلا . وكان في كل حجة يحرم من
صخرة بيت المقدس . توفي سنة ٢٨٢ هـ

(٢) اقام بالقدس مدة طويلة . وهو استاذ حجة الاسلام الامام ابي
حامد الغزالي وصاحب المدرسة الصرية (الزاوية الغزالية
بالقدس) .

(١) كان نظير مالك في العلم . قيل كان دخله في السنة ثمانين الف دينار .
ولكن لا ينقضي عام الا وعليه دين من كثرة جوده وبره .

بن حسن بن سهل بن عبدالله البلاشاغوي
ولي قضاء بيت المقدس ٥٠٦ هـ

ابو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن احمد^(١)
المعروف بابن القيسراني ، ولد ببيت المقدس ٤٤٨ هـ
وله تصانيف جمه . ابو الفنائم محمد بن علي بن ميمون
القرشي الكوفي . ابوروح ياسين بن سهل القابس
الحشاب^(٢) . ابو الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم
المقدسي ، ولد بالقدس سنة ٤٤٢ هـ . الامام ابو
بكر الطرطوش محمد بن الوليد بن محمد بن خلف
ابن سليمان بن ايوب القرشي الفهزي الاندلسي . ولد
٤٥١ هـ وتوفي ٥٢٠ هـ . ابو عبدالله محمد بن احمد بن
يحيى الاموي العثماني المقدسي توفي ٥٢٧ هـ . ابو
عبدالله محمد بن احمد المقدسي العثماني المشهور
بالديباجي من اولاد الديباجي بن عبدالله بن سمر
ابن عثمان بن عفان . ابو الحسن علي بن احمد بن عبدالله
الريفي المقدسي . ابو علي الحسن بن فرح بن حاتم
المقدسي . الامام ابوبكر بن العربي محمد بن عبدالله
المغربي الاندلسي الاشيلي . توفي ٥٤٣ هـ . ابو بكر

(١) جاء في شرح منير الغرام انه الامام الحافظ ابو الفضل علي
ابن محمد بن طاهر .

(٢) وفي منير الغرام (ابورباح ياسين) .

الجرجاني محمد بن احمد بن ابي بكر ٥٤٤ هـ . تاج
الاسلام ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور
السمعاني توفي ٥٦٢ هـ . ادريس بن ابي خولة
الانطاكي . عبد العزيز المقدسي . جبير بن نفير
الحضرمي . اتى بيت المقدس وصلى فيه . ومات
سنة ٧٥ هـ . ومن اقواله : « خمس خصال قبيحة :
الحدة في السلطان ، والحرص في العلماء ، والقسوة
في الشيوخ ، والشح في الاغنياء ، وقلة الحياء في ذوي
الاحساب . عمر بن عبد العزيز . امير المؤمنين
الامام العادل . قال صاحب منير الغرام انه اجتمع
بخالد بن يزيد بن معاوية بصخرة بيت المقدس .
رجا بن حيوة الملقب بابي المقدام وابي نصر
الكندي . هو الذي كان يشرف على بناء قبعة
الصخرة في ايام عبد الملك .

وكان من جلة العلماء الاعلام . توفي سنة
١٠٢ هـ . الوليد بن عبد الملك . سليمان بن عبد
الملك . ابو جعفر المصور . توفي سنة ١٥٨ هـ .
المهدي بن المنصور توفي سنة ١٦٩ هـ

هذا غيض من فيض لاسماء عدد من الصحابة
والاعلام الذين نزلوا بيت المقدس وقضوا نحبهم فيه
اثناء الفتح العمري وبعده .



القائد خالد بن الوليد سيف الله المسلول



الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فاتح القدس

القدس في عهد بني أمية

معاوية بن أبي سفيان :

معاوية بن أبي سفيان هو مؤسس الدولة الاموية . كان ، على عهد النبي ، كاتب الوحي . وكان احد قادة الجيش العربي الذي انتدبه ابو بكر الصديق لفتح الشام وفلسطين . فقد اشترك في واقعة اليرموك ، وحاصر قيسارية وافتتحها . وحضر فتح بيت المقدس ، وكان من شهود (العهدة العمرية) التي اعطاها عمر بن الخطاب لاهل ايلياء . وقد ولاه عمر بعدئذ الشام (١٨ هـ - ٢٣٩ م) . وولاه عثمان نفس العمل بعد مقتل عمر .

ولما مات عبد الرحمن بن علقمة الكناني ، وكان على فلسطين ، ضم عمله الى معاوية ، فاصبح معاوية (٢١ هـ - ٦٤١ م) الحاكم المطلق في البلقاء والاردن وفلسطين وانطاكية والسواحل ومصر مصرين وقيليقية . وظل اميرا في الشام عشرين سنة ، قبل ان يتولى الخلافة ويستقل بالحكم .

دم عثمان بن عفان :

ولما قتل عثمان وتولى الخلافة على بن ابي طالب لم يبايعه معاوية بالخلافة . لا ، بل راح يطالب بدم عثمان ويتهم عليا بقتله . وانضم اليه عمرو بن العاص . وذكر المؤرخون^(١) ان معاوية قدم بيت المقدس ، وقدم عليه عمرو بن العاص ، فبايعه على دم عثمان وامضيا في بيت المقدس لاتفاق التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تعاهد عليه معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس بعد قتل عثمان وحمل كل واحد منهما صاحبه

(١) خطط الشام ج ١ ص ١٣٨ .

الامانة ان يبني عهد الله على التناصر والتناصح في امر الله والاسلام ولا يخذل احدا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة^(١) ولا يحول بيننا ولد ولا والد ابدا ما حيننا فيما استطعنا » .

راح معاوية بعد هذا التعاهد يطالب عليا بدم عثمان ولكن عليا رفض طلبه قائلا : « . . ما انت وعثمان . انما انت رجل من بني امية ، وبنيو عثمان اولي بعثمان منك » .

معركة صفين :

فقامت بين الرجلين واتباعهما (حرب صفين) المشهورة ٦٥٧ م - ٣٧ هـ . كان النصر فيها حليف معاوية . فخلاله الجو . واصبح الامر المطلق في مصر والشام والعراق والحجاز .

٤ - بويح بالخلافة^(٢) ٤١ هـ - ٦٦١ م . وانشأ اسطولا عظيما غزا به الروم . وحاصر القسطنطينية . وابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه اليها احد . منها انه اول من وضع البريد ، واستخدم المسيحيين في مصالح الدولة ، واخرج الخلافة عن اصولها ، فبعد ان كانت بالعهد لا فضل الصحابة او بالشورى بينهم جعلها - كالملك - وراتبه .

ان اول من اتخذ (مرير الملك) للجلوس عليه في الاسلام معاوية بن ابي سفيان . وهو اول من اتخذ (المقصورة) للصلاة في الجامع^(٣) .

(١) البطانة ، ومن يتخذك متمداً من غير اهلك . (البستان) .

(٢) جاء في الصفحة ١٦ من الجزء الثامن من كتاب (البداية والنهاية) لابي الفداء ان معاوية بويح بالخلافة في ايلياء (القدس) وجاء في (منير الغرام) ان معاوية بويح بابل في رمضان (٤٠ هـ) تلك بيعة اهل الشام . ودخل الكوفة فبايعه الحسن بن علي (٤١ هـ)

(٣) صبح الاعشى ص ٧ .

الاجناس والاديان بقصد التجارة وتبادل المعطاء والبيع والشراء . وكثيرا ما يمكث هؤلاء في هذه المدينة المضيافة بضعة ايام . فتري الشوارع مكتظة بحمالهم وخيلهم وحمرهم ، دع عنك البغال والثيران ، بشكل يجعل السير فيها ضعيفا . ومن الغرائب التي يكاد المرء لا يصدقها ، ان المطر يهطل بغزارة عشية اليوم الذي تترك فيه هذه الجموع الغفيرة وحيواناتها المدينة ؛ فيغسل الشوارع ، ويزيل ما فيها من روث واقدار . وتسيل مياه الامطار هذه في المنحدرات كالانهار ، فلا يبقى منها في الابار سوى القليل .

في تلك البقعة الجميلة ، حيث كان يقوم في يوم من الايام هيكل سليمان ، بني المسلمون مسجدا مربع الاضلاع . بنوه من حجارة واعمدة ضخمة نقلوها من بعض الاطلال والخرائب المجاورة . ويقال ان هذا المسجد يتسع لثلاثة الاف من المصلين .

بعد ان وصف كنيسة القيامة وكنائس القدس الاخرى ، واتى على لحة من تاريخ السيد المسيح مما لا يخرج عما قلناه عن هذا الموضوع في فصول اخرى من هذا الكتاب ، قال :

« ليس على جبل الزيتون اشجار خلا العنوب والزيتون . ولكن نوعا جيدا من القمح يزرع فيه . واضن ان تربة هذا الجبل لا تساعد على غرس الاشجار . وانما تنفع لزراع الحبوب والزهور . ان اعلى نقطة فيه مرتفعة عن سطح البحر مقدار ٢٦٩٣ قدما . ان جبل صهيون اصغر من جبل الزيتون من حيث الطول والعرض . وبين هذين الجبلين يقع وادي يهوشافاط ، ويقال له وادي جهنم ووادي قدرون ايضا .

والي القدس : سلام بن قيسر

جاء في الانس الجليل ان سلاما بن قيسر (وعلى قول سلامة بن قيسر) وهو صحابي مشهور كان واليا معاوية على بيت المقدس . وانكر بعضهم صحبته .

ولقد انشيء مقر جديد للحكومة (في غضون القرن السابع للميلاد) اي اثناء حكم معاوية بن ابي سفيان . في نفس المكان الذي كان يقوم عليه قصر هيرودس في عهد الرومان . وهذا انقر عبارة عن حصن مستدير بني على طراز قصور الخلفاء التي رايناها في مدن الشام . والحصن متصل بسور يقع في الطرف الجنوبي من صحن القلعة .

القدس في اوائل العهد الاموي :

ازار القدس على عهد مؤسس الدولة الاموية معاوية بن ابي سفيان ، اسقف افرنسي الاصل يدعى (اركولفوس) . هبطها عام ٦٧٠ للميلاد . وقضى فيها تسعة شهور وذكر عنها الشيء الكثير . وانا لننقل فيما يلي بعض النقاط التي تهنأ من رحلته (١) :

« كان على سور بيت المقدس يومئذ ٨١ برجاً . وله مئة ابواب ثلاثة منها فقط تستعمل للدخول والخروج : واحد منها غربي المدينة والثاني شماليها والثالث شرقيها .

في اليوم الخامس عشر من ايلول من كل سنة يؤم القدس من كل حذب وصوب جماهير غفيرة مختلفة

The Pilgrimage of Arculfus, (١)
Translated by, Rev. - James Rose
Macpherson. B. D.

مروان بن الحكم في الشام

تبع أهل الحجاز عبدالله بن الزبير . وبقيت مصر مترددة حيناً ، ثم أقرته . وأما أهل الشام فقد بايعوا مروان بن الحكم . فاحترب الفريقان : عبدالله بن الزبير (الحجاز) ومروان بن الحكم (الشام) وجيشاهما في مرج راهط . وانقسمت البلاد إلى قسمين : - قيس ويمن . وكان النصر لمروان (قيسي) . وكان بفلسطين نائل بن قيس الجذامي فمال إلى الزبير . ولكن مروان حاربه وتغلب عليه . فاخذها منه . ثم سار إلى مصر . فصالحه أهلها . فاخذها من ابن الزبير . واستتب لمروان الأمر في مصر والشام (٦٤ هـ - ٦٨٤ م) .

عبد الملك بن مروان

ولما توفي مروان بن الحكم ، بويع ابنه عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ - ٦٨٤ م) . وعلى عهد عبد الملك هذا كان الوالي على فلسطين رجل يدعى (منصور) . انه (أي عبد الملك بن مروان) هو الذي بنى مسجد الصخرة والمسجد الأقصى . وهما من أعظم آثار بني أمية في فلسطين . لا بل من مفاخر العرب في الشرق كله . واليك ما نعرفه عن هذين المسجدين :

مسجد الصخرة :

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعد أن استشار المسلمين ، ورصد لبنائه "خراج مصر لسبع سنين . وعهد بإدارة العمل إلى اثنين من رجاله هما : رجاء بن حياة بن جود الكندي^(١) أحد

ويؤتى بالحشب إلى بيت المقدس من غابة كسيفة واقعة على بعد ثلاثة أميال من الخليل إلى الشمال ، وعلى تل منتصب في وسط سهل متسع يقع على يسار لمسافر إلى القدس ، ولا يبعد عن الطريق إلا قليلاً . وفي هذه الغابة تنبت أشجار الصنوبر بكثرة . ومن هذه الأشجار ينقل المقدسيون الحشب الذي يحتاجون إليه من أجل البناء والوقيد . ينقلونه على جماهم . اذ ان المركبات والكرات تادرة الوجود في القدس ، وفيما حولها من بلدان » .

يزيد بن معاوية

عين معاوية ، قبل وفاته ، ولده يزيد ولياً للعهد . ولما مات تولى يزيد الملك ٦٥ هـ - ٦٨١ م . وفي زمنه قامت فتن في الحجاز والعراق . ففي الحجاز عصاه عبدالله بن الزبير . وتحصن بالكعبة . فغزاها يزيد بجيشه . وحاصر الكعبة ورماها بالنار^(١) لتحصن عبدالله بن الزبير فيها . وفي العراق ثار الشيعة وقتل الحسين بن علي في كربلاء . قتل ابن زياد عامل يزيد على العراق .

عبد الله بن الزبير في الحجاز

بعد موت يزيد ، بويع ابنه معاوية ٦٤ هـ - ٦٨٤ م ولكنه لم يملك في الحكم أكثر من شهر ونصف . اذ توفي دون أن يكون له ولد .

فهدف أهل الحجاز بمبايعة (عبدالله بن الزبير) . ويقال ان معاوية بن يزيد تنازل له عن الخلافة قبل وفاته . ومن قائل انه تنازل عنها يوم بايعوه ، لما شعر بعجزه عن مناهضته .

(١) أصله من بيسان . ويصكى بأبي المقدام . توفي سنة

مروان امير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين . تقبل الله منه ورضي عنه آمين » .

ذهب بعض المؤرخين ، ومنهم اليعقوبي^(١) سنة ٢٦٠ هـ - ٨٧٤ م ، الى ان الغاية من بناء مسجد الصخرة بهذا الشكل البديع هي الاستعاضة عن الكعبة بسبب ثورة عبدالله بن الزبير الذي ثار على الامويين واعلن استقلاله في الحجاز (٦١ هـ - ٦٨٠ م) . فاراد عبد الملك بن مروان ان يصرف الناس عن الكعبة ، خشية ان ياخذهم ابن الزبير عند الحج بالبيعة . وعلى قول انه منعهم عن الحج بالمرة . واعتزم بناء مسجد الصخرة .

ومن المؤرخين من يرى ان عبد الملك بن مروان انما بناه حتى يكون للمسلمين مسجد يباهي في بهائه وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة . وخاصة انه كان في سورية وفلسطين يومئذ من الكنائس الكثيرة البالغة غاية العظمة ما خشي معه عبد الملك ان يظل المسلمون يتطلعون الى هذه المنشآت المسيحية دون ان يكون لهم ما يفخرون به . فقد روى المقدسي^(٢) الذي جاء بعد اليعقوبي بقرن والذي هبط بيت المقدس سنة ٣٧٤ هـ - ٩٨٤ م « ان عبد الملك عندما رأى قبة القيامة

العلماء الاعلام في صدر الاسلام . ويزيد بن سلام^(١) مولى عبد الملك بن مروان . وعلى قول مجير الدين^(٢) أن الموكل بالصرف رجاء ، وان هذا ضم إليه يزيداً وولديه .

شرع البنائون في البناء سنة ٦٦ هـ - ٦٨٥ م وفرغوا منه سنة ٧٢ هـ^(٣) - ٦٩١ م . فبنوا في باديء الامر قبة السلسلة الكائنة شرقي الصخرة لتكون نموذجاً . ثم بنوا المسجد نفسه .

ولما كان قد بقي من المبالغ المخصصة للبناء مئة الف دينار ، فقد أمر عبد الملك بها جائزة الى رجاء ويزيد فرفضا قائلين : « نحن أولى ان نزيده من حلي نسائنا ، فضلاً عن اموالنا . فاصرفها في أحب الاشياء اليك » . فأمر^(٤) بان تسبك وتفرغ على القبة والابواب .

نقش اسم عبد الملك بن مروان على قناطر التسمية الوسطى في الناحية الجنوبية الشرقية من الداخل وبالحظ الكوفي المذهب . وانك لو اجد هناك كتابة مزخرفة بالفسيفاء على ارض لازوردية^(٥) تقول : « بنى هذه القبة عبدالله عبد الملك بن

(١) من اهل بيت المقدس .

(٢) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل

ج ١ ص ٢٤٢

(٣) هذا ما جاء في اکثر الكتب التاريخية ، وهو الذي اعتمدناه . واما عبط بن الجوزي فلم يذكر في كتابه « مرآة الزمان في تاريخ الاعيان » أن ابتداء البناء كان سنة ٦٩ هـ . والفراغ منه سنة ٧٢ هـ . وكذلك قال ابو المعاسن القاسبي بهاء الدين وادب عبدالله السيوطي شمس الدين . وجاء في « منير العرام بفضائل القدس والشام » لمؤلفه احمد المقدسي ص ٩٨ انه بني سنة ٧٠ للهجرة .

(٤) مجير الدين ج ١ ص ٢٤٢

(٥) اللازورد معدن مشهور ينشأ في ارمينية وفارس . وهو ازرق شفاف يضرب الى خضرة وحمرة (البستان) .

(١) انه احمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي . ولد في مصر ، وساح في بلاد الاسلام . ثم عسدا الى مصر ، وتوفي بها (٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م) . وفد الف قبل موته كتابين : اولها في التاريخ . ويعرف بـ (التاريخ اليعقوبي) ، طبع في ليدن سنة ١٨٨٣ م . والثاني في الجغرافيا وقد اسماه : (كتاب البلدان) ، طبع في ليدن ايضاً سنة ١٨٦٠ م . واليعقوبي اول من بحث عن السبب في بناء مسجد الصخرة من المؤرخين العرب .

(٢) كتاب (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) ص ١٥٩ .

والسلام قال : (لا تشد الرحال الا الى ثلاث : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى) . ثم ذكر لهم كيف انه اسرى بالنبي الى هذا المكان ، وكيف انه وضع قدمه على هذه الصخرة عندما صعد الى السماء .

وبهذه الوسيلة تمكن من اقناعهم ، ومضى في مشروعه العظيم ، الى ان تم له ما اراد .

اختلف المؤرخون فيما اذا كان عبد الملك قد استعمل في بناء مسجد الصخرة بعض الحجارة والاعمدة التي كانت في كنائس فلسطين ، تلك الكنائس التي دمرها الفرس^(١) قبيل الفتح الاسلامي ، او في غيرها من الكنائس .

فروى ابن البطريق^(٢) في تاريخه ما نصه : « وبامر عبد الملك بن مروان قلعت قبة كانت للنصارى في كنيسة بعلبك ، وهي من نحاس مطلي بالذهب . فنصبها على الصخرة » .

وقال المستريرشموند^(٣) : « ان مواد البناء كانت يومئذ متوفرة في البلاد ، ولا سيما من بقايا الكنائس التي هدمها الفرس يوم احتلوا القدس عام ٦١٤ للميلاد . تلك البقايا التي كانت مبعثرة هنا وهناك » .

واما الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف الذي نقل^(٤) عن ابن البطريق الرواية المتقدم ذكرها ، فقد

التي يحج اليها المسيحيون خشي ان تؤثر ضخامة هذه الكنيسة على قلوب المسلمين . فاعتزم ان يبني قبة مثلها او احسن . ونصب على الصخرة قبة كما ترى » .

ومهما قيل في الغاية التي كان يهدف اليها عبد الملك بن مروان من وراء هذا البناء ، فمما لا شك فيه انه استشار المسلمين في بنائه كما قلنا في مستهل البحث . ولكن اقوال المؤرخين تضاربت من حيث الردود التي حصل عليها . فقد قرأت في مخطوط عثرت عليه في خزانة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف^(١) بعنوان (تاريخ الخلفاء المسلمين) ص ٩١ « ان عبد الملك بن مروان عندما اعتزم بناء صخرة بيت المقدس والمسجد الاقصى قدم من دمشق الى بيت المقدس . وبث الكتب في عمله كله الى جميع الامصار . وقال : ان عبد الملك يريد ان يبني قبة على الصخرة تكس المسلمين من الحر والبرد . ولا يريد ان يفعل ذلك دون راي رعيته . فلتكتب اليه الرعية بما ترى . فوردت عليه الكتب قائلة : يرى امير المؤمنين رايه موافقا سعيدا . نسال الله تعالى ان يتم له ما نوى من بناء بيته ومسجده ، ويجري ذلك على يديه ، ويجعله مكرمة ولن مضى من سلفه تذكرا » .

هذا ما رواه المعلوف ، واظن انه مأخوذ عن ابن البطريق .

واما اليعقوبي (سنة ٢٦٠ هـ - ٨٧٤ م) فانه يقول ان المسلمين ضجوا عندما ادرکوا الغاية التي يرمي اليها وهي صدمهم عن الحج . فقالوا : اتنمنا عن حج بيت الله الحرام ، وهو فرض من الله . فقال لهم : لم يحدثنا ابن شهاب الزهري ان النبي عليه الصلاة

(١) راجع ما كتبناه عن هذا في فصل الفرس .

(٢) انه سعيد بن بطريق من فسطاط مصر « ٥٢٦٣ - ٥٣٢٨ » صار في خلافة القاهرة بالله بطريركا على الاسكندرية . ومات بها . له « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » ، طبع في ثلاثة اجزاء سنة ١٩٠٦ على نفقة الجمعية الشرقية بباريس .

(٣) Dome of the Rock by E. T. - Richmond. P. 2

(٤) مجلة الآثار ٥ - ٦ ص ٢٤٨

(١) عضو الجامع العلمية في مصر وسورية ولبنان .

فوق هذه البسيطة . لا ، بل انه أجل الآثار التي خلدها التاريخ .

وقال المستر فرغوسن : « ان مسجد الصخرة الجمال على جانب عظيم . لقد زرت كثير أمن القصور الفخمة والمباني الجميلة في الهند وفي أوربا وفي أكثر أنحاء العالم . ولكنني ، على ما اذكر ، لم ار ما هو أجل ولا ابداع ، ولا افخم من قبة الصخرة . وان التناسب البديع في الاحجام والالوان لم اجده في أي بناء آخر . »

وقال الكاتب كرزويل ، استاذ فن العمارة الاسلامية بجامعة فؤاد الاول بالقاهرة : « لقبة الصخرة أهمية ممتازة في تاريخ العمارة الاسلامية . فقد بهرت ببها وروبقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين . »

جاء في (مشير الغرام بفضائل القدس والشام) ص ١٠٠ أنهم ، عندما بنوا قبة الصخرة ، كانوا في كل اثنين وخميس يطحنون الزعفران ويمزجون بالمسك والعنبر والماورد الجوري . ويخمرون هذا المزيج ليلا . وفي الغداة يأمرؤن الخدام ، فيدخل هؤلاء الحمام ، فيغسلون ، ويتطهرون ، ثم يرتدون الثياب النظيفة ويأتون الى مسجد الصخرة حاملين ما تخمر بالامس . وبعد ان يغسلوا الصخرة ، يأتون بجامر الذهب والفضة فيها العود والند المزوج بالمسك والعنبر . فيرخون الستور حول الاعمدة كلها . ثم يحملون البخور ، ويدورون حول الصخرة . ثم ينادي المنادي في صف البزازين : الا ان الصخرة قد فتحت للناس . فمن اراد الصلاة فيها فليأت .

وكان يقف على كل باب من ابواب المسجد عشرة من الحجاب . ومتى دخله المصلون شمسوا رائحة البخور والمسك والعنبر .

قال انها تحتاج الى تمحيص . وقال المستر كرزويل^(١) انه لا يشك في أن الذين بنوا مسجد الصخرة استفادوا من قياسات كنيسة القيامة . فان قطر قبة الصخرة من الداخل ٢٠ متراً و ٣٠ سنتمتراً . وارتفاعها ٢٠ متراً و ٤٨ سنتمتراً . وقطر قبة القيامة من الداخل ٢٠ متراً و ٩٠ سنتمتراً . وارتفاعها ٢١ متراً و ٥ سنتمترات .

ومها كان الامر فان مما لا ريب فيه ان مسجد الصخرة ، بقبته الجميلة ، وبنائه المتين ، وتكوينه الرائع ، جاء آية في فن الهندسة لا في العصر الذي بني فيه فحسب ، وانما على مر العصور والايام . فقد بهرت قبته ببها وروبقها وفخامتها وتناسقها كل من انعم النظر فيها وحاول دراستها من العلماء والباحثين . وانك لترى في هذا المسجد ، وانت تنظر اليه ، جمال الهندسة العربية والذوق العربي متمجاً بشي من الطراز الفارسي والاسلوب البيزنطي . ولا ريب فقد اشترك في بنائه صناع من العرب والفرس والروم البيزنطيين .

قال الدكتور هارتمان Hartmann ان مسجد الصخرة نموذج من التناسق والانسجام . وقد أيدته في وصفه هذا الباحثة الهولندية المعروف « فان برشم » .

وقال الاستاذ هايتر لويس^(٢) : « ان مسجد الصخرة ، بلا شك ، من أجل الابنية الموجودة

(١) The Origin of the plan of the Dome of the Rock - by K. A. C. Creswell , P 27

(٢) The Holy Places of Jerusalem by Hayter Lewis. P. 26

المسجد الأقصى^(١) :

بعد ان بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة سنة ٥٧٢ هـ - ٦٩١ م بنى المسجد الأقصى ٥٧٤ هـ - ٦٩٣ م .

ذكر المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ان باني المسجد هو عبد الملك بن مروان . وايداه في قوله هذا اكثر المؤرخين في القرنين الثالث والرابع للهجرة . وهناك من يقول ان باني المسجود هو الوليد بن عبد الملك الذي انتهى اليه الحكم سنة ٥٨٦ هـ - ٧٠٥ م . ويستدل هذا الفريق على صحة قوله بما جاء في الرسائل^(٢) التي كتبها « قرة بن شريك » عامل الامويين على مصر في عهد الخليفة الوليد الى احد حكام الصعيد بين سنتي ٩٠ و ٩٦ للهجرة . تلك الرسائل التي كتبت على ورق البردي والتي ورد فيها ذكر الاقصى . وفيها طلب « قرة بن شريك » من احد حكام الصعيد ان يرسل اليه صناعاً ماهرين لمسجد بيت المقدس .

قال العمري في كتابه « التعريف » عن الوليد انه نقل الفسيفساء من القسطنطينية الى دمشق ، ومنها الى القدس ومكة والمدينة ؛ ليزين بها جدران المسجد .

(١) كان اسم (المسجد الأقصى) يطلق فيما مضى على الحرم القدسي كله ، بما فيه المسجد الحالي الذي ندعوه بالأقصى ومسجد الصخرة وما بينهما . وبعبارة اخرى جميع الاماكن والمعابد الاسلامية القائمة ما بين الاسوار . وهذا ما قصدته الآية الكريمة : « سبحان الذي اسرى بعده ايلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . » وفي يومنا هذا يطلق على المسجد الواقع جنوبي قبة الصخرة وفي الناحية القبلية من الحرم .

(٢) محفوظة في المتحف البريطاني بلندن .

واني ميال للاعتقاد بان البناء قد شرع فيه زمن عبد الملك بن مروان « ٥٧٤ هـ - ٦٩٣ م » وتم في زمن ابنه الوليد^(١) « ٥٨٦ هـ - ٧٠٥ م » . ومهما كان الامر فمما لا شك فيه انه هو الذي غشى قبة الاقصى بالنحاس . وهذا اخذه من كنيسة في بعلبك^(٢) .

قال المستر كرزويل K. A. C. Creswell مفش الآثار في حكومة فلسطين ايام الانتداب البريطاني ، انه كان هناك ، في الموضع الذي يقوم عليه الاقصى الآن ، مسجد بناه عمر بن الخطاب سنة ١٤ هـ - ٦٣٥ م .

وحذا حذوه آخرون فقالوا : « ان عبد الملك بن مروان بنى المسجد الأقصى في الموضع الذي كان يقوم عليه مسجد عمر من الناحية الشرقية ، وان هذا المسجد كان محاذياً للسور الشرقي ، وقد تم بناؤه في السنة الثامنة عشرة او السنة الحادية والعشرين للهجرة . وكان يتسع لثلاثة آلاف من المصلين . كان سقفه من خشب ، وقد اندثرت آثاره مع الزمن » . ولقد ضرب على هذا الوتر كثيرون من المؤرخين المسلمين فقالوا : ان المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب يوم الفتح اقيم في المكان الذي فيه المسجد الأقصى الحالي اي في الطرف الجنوبي من ساحة الحرم .

(١) اشتهر الوليد بالبناء . فهو الذي بنى المسجد الاموي بالشام . وهو الذي عمر ووسع عدداً كبيراً من المساجد في المدن التي افتتحتها . وفي ايامه فتحت الاندلس والهند واتسعت امبراطورية العرب من الصين شرقاً الى المحيط الاطلنطي غرباً ، ومن البحر الاسود شمالاً الى صعيد مصر جنوباً .

(٢) (خطط الشام) للاستاذ محمد كرد علي . ص ٢٦٦ .

فلا القناطر ولا العقود التي تحمل الاقصى ؛ لا ، ولا
الاعمدة والتيجان التي فوق الاعمدة من النوع الذي
كان معروفا على عهد جوستانيان . وبناء المسجد
نفسه لا يشبه اية كنيسة من الكنائس التي بنيت
في ذلك العهد . ولم يكن لاية كنيسة من الكنائس
التي بنيت في تلك العهود قبة كقبة المسجد الاقصى .

اضف الى ذلك انه لا يعقل ان يبني جوستانيان
كنيسة في وسط المكان الذي كان يقوم عليه
هيكل سليمان . وهو الرجل الذي اشتهر بالزهد
والتدين

قال اوتيوخوس^(١) « ان النصارى لم يبنوا اية
كنيسة في منطقة الهيكل بسبب غضب السيد
المسيح على تلك المنطقة ودعائه عليها بالخراب . »
ولم يذكر التاريخ ان المسلمين سلبوا النصارى اية
كنيسة من كنائسهم اثناء الفتح الاسلامي . ولو
فعلوا ذلك لاقام المؤرخون المسيحيون الضجيج
وانتقدوا اعمال المسلمين . ولكن العهدة العمرية التي
اعطاها عمر بن الخطاب الى نصارى ايلياء تشهد
بعكس ذلك .

هذه نبذة موجزة عن مسجدي الصخرة والاقصى .
اوردناها هنا . ومن شاء التفصيل عن هذين المسجدين ،
فليرجع الى كتابنا : (تاريخ قبة الصخرة المشرفة
والمسجد الاقصى المبارك) . ذلك الكتاب الذي طبع
في (مطبعة دار الايتام الاسلامية) بالقدس
سنة ١٩٥٨ .

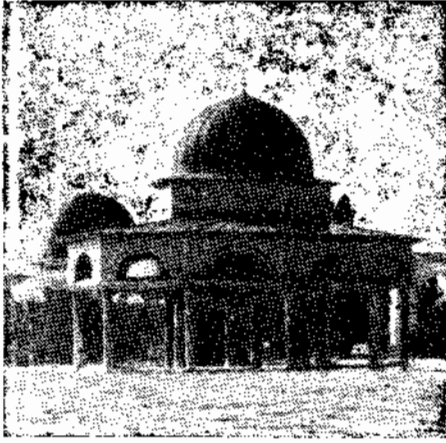
وهناك رواية اخرى تقول ان المسجد الذي
بناه عمر ، بني عند الصخرة التي نظفها بيده من
الاساخ حيث دفن الروم هيكل بني اسرائيل .
ولم يبن في موضع الاقصى الحالي . ولكن هذه
الرواية الاخيرة ضعيفة . لم يرد في كتب التاريخ
ما يؤيدها .

وذهب بعض المؤرخين^(٢) الى ان المسجد
الاقصى بني في الموضع الذي كانت تقوم عليه
الكنيسة التي بناها الامبراطور البيزنطي جوستانيان
(٥٤٣ م) ، وان اسم المهندس الذي هندسها (تيو
دوروس) . ومنهم من تجاوز هذا الى حد القول
ان المسجد الاقصى هو نفسه الكنيسة اياها
لا قدم ولا اخر . وكانت على قول هؤلاء ،
تدعى يومثند (كنيسة العذراء الجديدة)
لاجل التفريق بينها وبين كنيسة بنيت بهذا الاسم
قبل ذلك التاريخ . وكانت هذه (اي القديمة)
عند كنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الغربية .
واما المؤرخ جيمس فرغسون ، فقد انكر هذا
القول في الصفحة ١١٨ من كتابه :

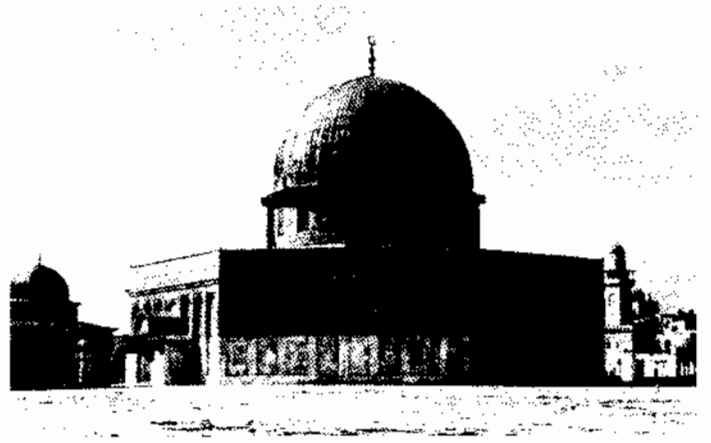
An Essay On The Ancient Topography of Jerusalem

اذ قال : « ان المسجد الاقصى ليس بكنيسة
جوستانيان . ولا صحة ايضا للقول القائل انه بني
في الموضع الذي كانت تقوم عليه تلك الكنيسة .

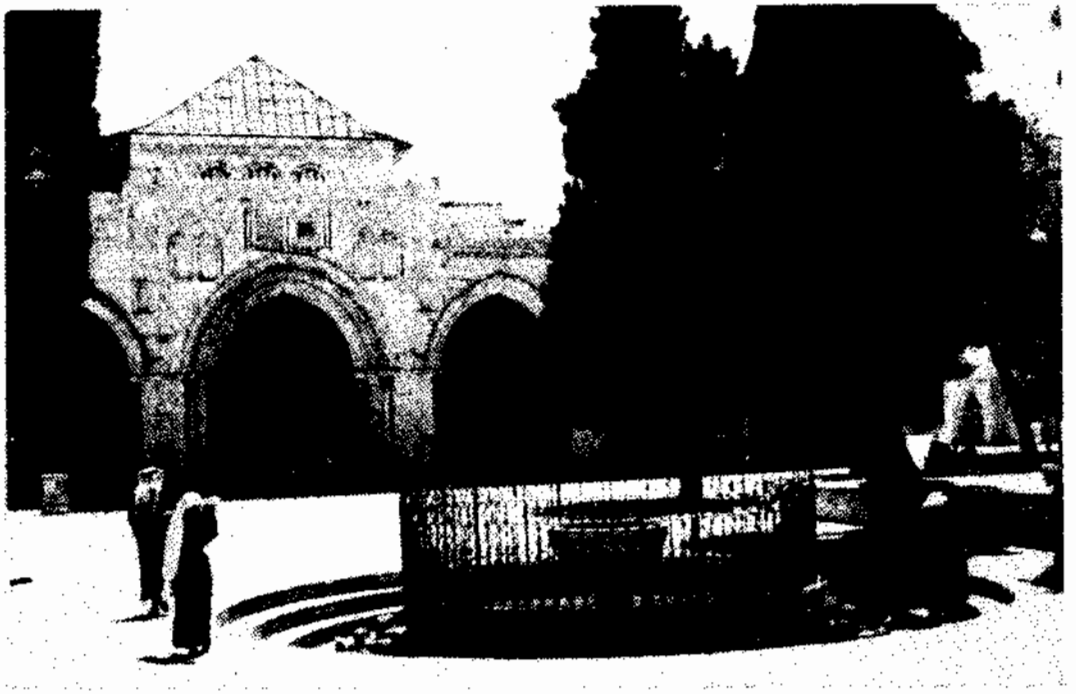
(١) Biblical Researches;
Vol.I.P. 440 by Dr. Robinson,
الدكتور ريتشاردسون Dr. Richardson وكاثروود
Catherwood وبونومي Bonomi
واروندل Arundale



قبة السلسلة



قبة الصخرة المشرفة



المسجد الاقصى المبارك

الطرق في عهد عبد الملك :

وقد اعتنى عبد الملك بن مروان بفتح الطرق وتعميدها . وكان يضع على مسافات معينة من هذه الطرق حجارة ينقش عليها اسم الذي امر بتعميرها ، والمسافة التي تفصل بين دمشق مقر الخلافة والمكان الذي فيه الحجر :

أ - عثر المنقبون^(١) في عام ١٨٨٤ بين خرائب (خان الحثورة) على طريق أريحا على بلاطة^(٢) من الرخام مكسورة وقد نقش عليها الكلمات التالية : « . . . وسلم امر بعمارة هذا الطريق وصفة الاميال عبدالله عبد الملك امير المؤمنين رحمة الله عليه من دمشق الى هذا الميل تسعة ومائة ميل . . . »

ب - وفي عام ١٨٩٣ عثروا بالقرب من باب الواد على طريق الرملة على حجر ابيض^(٣) نقش عليه هذه الكلمات : -
« امر بعمارة هذا الطريق وصفة الاميال عبد الله عبد الملك امير المؤمنين رحمة الله عليه من ايليا الى هذا الميل ثمانية اميال . . . »

ج - وفي القرب من دير القلظ ، شمالي الطريق المؤدية الى اريحا، عثروا عام ١٨٩٦ على بلاطة من رخام نقش عليها هذه الكلمات :
« . . . امر بعمارة هذا الطريق وصفة الاميال

القضاء على ثورة ابن الزبير

ظل عبد الملك بن مروان يتربص بابن الزبير الدوائر ، حتى ظفر به ، فقتله (٧٣هـ) . وبايعه سكان الحجاز واليمن ، وصفاه ملك مصر والشام والحجاز والعراق واليمن وغيرها من البلدان .

نقود ومسكوكات أموية :

ومن اعماله انه اول من حول الدواوين الى العربية . ونقش الدنانير والدرهم بالعربية^(١) . وكان النقش على الجانب الواحد (الله احد) وعلى الآخر (الله الصمد)^(٢) . قال البلاذري^(٣) : قلت لسعيد بن المسيب من اول من ضرب الدنانير المنقوشة . فقال : عبد الملك بن مروان . وكانت الدنانير في الجاهلية ترد رومية والدرهم فارسية .

فكانوا لا يتبايعون الا على انها تبر . وكان وزن المثقال عندهم اثنين وعشرين قيراطاً الا كسراً ، ووزن العشرة دراهم سبعة مثاقيل . وكان الرطل اثني عشر اوقية ، وكل اوقية اربعين درهماً . فأقر رسول الله ذلك ، وأقره ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وأقره بنو أمية في بدء عهدهم . الى ان جاء عبد الملك ابن مروان وضرب الدنانير خاصته .

سلك المسلمون في ايلياء^(٤) نقوداً نقش على وجهها - محمد رسول الله ، ورسم سيف . وعلى الخلف ايلياء وفلسطين وحرف م والهلال .

(١) Materiaux Pour un corpus. Inscriptionum Arabicarum, par Max Van Berchem.

(٢) هذه البلاطة موجودة الآن في متحف استنبول

(٣) هذا الحجر موجود الآن في متحف اللوفر بباريس

(١) كان نقش الدنانير قبل ذلك بالرومية والدرهم بالفارسية.

(٢) مجير الدين .

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٧١ و ٤٧٢

(٤) مجلة الراعي الصالح ج ١٢

ومن صفات عبد الملك بن مروان انه كان متساهلاً . ومن البراهين التي يذكرونها على حسن معاملته للنصارى وثقته بهم ، انه ولاهم خدمة المسجد الأقصى . فقد حدثنا مجير الدين الحنبلي انه كان لهذا المسجد عشرة خدام من النصارى يتوارثون خدمته في عمل الحصر وكس المسجد وكس القناة التي يجري الماء فيها الى الصهاريج وكس الصهاريج^(١) . ولقد بلغ التساهل معه الى حد انه لم يغضب يوم دخل عليه الاخطل ذلك الشاعر النصراني التغلبي ثلاً وقال :

ولست بصائم رمضان طوعاً
ولست بأكل لحم الاضاحي
ولست بقاءم ابداً انادي
قبيل الصبح حي على الفلاح
ولست بزاجر عيسا بكوراً
الى بطحاء مكة للنجاح
ولكن سأشرهها ثولاً
واسجد عند منبلسج الصباح

الوليد بن عبد الملك :

بعد وفاة عبد الملك بن مروان بويع ابنه الوليد ٨٨٦ - ٧٠٥ م . وقد كانت ايام الوليد من ابرك ايام بني أمية^(٢) . وقد سهل الطريق ؛ وعمر الجوامع العظام ؛ وبث في الامة روح العمران ؛ واعان الفقراء والمرضى والمقعدين والعميان . وبلغ بنو أمية على عهده اقصى درجات العز . فتغلغل جيوشه في بلاد الترك والروم والهند . وفتح موسى بن نصير باسمه الاندلس ، فأتى اليه منها بالأموال والجواهر . ووقف ابناء الملوك والأمراء على بابه يطلبون الرضى والامان . وكان قد همّ بالاقامة في بيت المقدس .

(١) الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٢٤٩

(٢) خطط الشام ج ١ ص ١٥٣

عبدالله عبد الملك امير المؤمنين رحمة الله عليه من دمشق الى هذا الليل سبعة اميال ومائة ميل .

د - وعلى حجر كلسي ابيض عثروا عام ١٩٠٢ عند كنيسة ابو غوش ، على طريق الرملة ، نقش عليه هذه الكلمات :

« امر بعمارة هذا الطريق وصفة الاميال عبد الملك امير المؤمنين رحمة الله عليه من ايليا الى هذا الليل سبعة اميال » .

هـ - من هذه الاميال المكتوبة على الحجارة لمعرفة المسافات نستنتج ما يأتي :

١ - الامويون كانوا يُعنون بتعبيد الطرق وتعميرها .

٢ - وكانوا يهتمون بذكر المسافات .

٣ - وان المسافات كانوا يقيسونها بالاميال لا بالكيلومترات .

صفات عبد الملك :

قال عمرو بن العاص : « كان عبد الملك حن البشر عند اللقاء ؛ حسن الحديث اذا حدث ؛ حسن الاستماع اذا حدث ؛ هين المؤنة اذا خولف ؛ لا يمازح من لا يشق بعقله ودينه ؛ ولا يخالف لثيماً ؛ ولا يتكلم بما يعتذر منه » .

كان يكره الكذب والكذابين . وعندما ظهر الحارث الكذاب راح يطلبه . ولما علم الحارث بذلك هرب فاخفى ببنت المقدس . فظل عبد الملك يبحث عنه حتى عثر عليه وقتله .

كان يحب الصلاة . قيل انه كان يوماً من الايام جالساً في الصخرة عند ام الدرداء . فقامت تتوكأ عليه حتى ادخلها المسجد . ومضى فصلى بالناس .

كان الامر فيها لاشك فيه انه هو الذي غشي قبة الاقصى بالنحاس . وقد اخذه من كنيسة في بعلبك^(١) . ومن اعمال الوليد في بيت المقدس انه كان يضع الفضة في قصاع ويقسمها على قراء المسجد . توفي سنة ٩٦ للهجرة .

سليمان بن عبد الملك :

بعد وفاة الوليد بن عبد الملك ولي اخوه سليمان ابن عبد الملك (٩٦ هـ - ٧١٤ م) . وكانت دمشق عاصمة الدولة الاموية . واما فلسطين فقد كان فيها وال يرجع في امره الى حكومة الشام . الا في زمن سليمان بن عبد الملك فقد احب هذا فلسطين وخاصة الرملة . وقد كان والياً عليها عندما جاءه الخبر بوفاة اخيه الوليد . وقد بايعه الناس وهو على سطوح الصخرة . وهم ان يحول عاصمته من دمشق الى الرملة او القدس . ثم عدل عن ذلك .

بعد ان تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة اتى بيت المقدس ، وافته الوفود بالبيعة . فكان يجلس في قبة في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة (قبة السلسلة) . ويبسط . ويجلس الناس من حوله على الكراسي والوسائد ، والى جانبه الاموال وكتاب الدواوين .

عمر بن عبد العزيز :

مات سليمان بن عبد الملك وهو يبني مدينة الرملة (٢١ صفر ٩٩ هـ) ، فبوع ابن عمه عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ - ٧١٧ م) . فقد اشتهر هذا بالعدل والحلم . فنع عماله عن اخذ الجزية من اهل الذمة . وقد كان في نفس الوقت بعيد النظر . إذ انه لما احس بنية اليهود ببيت المقدس اخرجهم منها .

(١) (خطط الشام) لمحمد كرد علي . ص ٢٦٦ .

في زمن خلافة الوليد بن عبد الملك عومل المسيحيون في القدس وفلسطين معاملة قاسية^(١) لعدم موافقتهم المسلمين في الهجوم على القسطنطينية ، ووضعت الجزية على الرهبان ، وجعلت اللغة العربية اجبارية .

المسجد الاقصى :

هناك من يقول ان الذي بنى المسجد الاقصى الوليد بن عبد الملك الذي انتهى اليه الحكم سنة ٨٦ هـ - ٧٠٥ م . ويستدل هذا الفريق على صحة قوله بما جاء في الرسائل^(٢) التي كتبها (قرة بن شريك) عامل الامويين على مصر في عهد الخليفة الوليد الى احد حكام الصعيد بين سنتي ٩٠ و ٩٦ للهجرة . تلك الرسائل التي كتبت على ورق البردي والتي ورد فيها ذكر الاقصى . وفيها طلب (قرة بن شريك) من ذلك الحاكم ان يرسل اليه صناعاً ماهرين لمسجد بيت المقدس .

قال العمري في كتابه (التعريف) عن الوليد انه نقل الفسيفساء من القسطنطينية الى دمشق ، ومنها الى القدس ومكة والمدينة ، ليزين بها جدران المساجد .

واني ميال الى الاعتقاد بان البناء قد شرع فيه زمن عبد الملك بن مروان (٧٤ هـ - ٦٩٣ م) وتم في زمن ابنه الوليد^(٣) (٨٦ هـ - ٧٠٥ م) . ومهما

(١) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية ص ٥٨ .

(٢) مخطوطة في المتحف البريطاني بلندن .

(٣) اشتهر الوليد بالبناء . فهو الذي بنى المسجد الاموي بالشام . وهو الذي عمر ووسع عدداً كبيراً من المساجد في المدن التي اقتنتها . وفي ايامه فتحت الاندلس والهند واتسعت امبراطورية العرب من الصين شرقاً الى المحيط الاطلنطي غرباً ، ومن البحر الاسود شمالاً الى صعيد مصر جنوباً .

فترة من الهدوء تسبق العاصفة :

بعد عمر بن عبد العزيز تعاقب على كرسي الدولة الأموية كل من :

يزيد بن عبد الملك	١٠١ هـ - ٧٢٠ م
هشام بن عبد الملك	١٠٥ هـ - ٧٢٤ م
الوليد بن يزيد	١٢٥ هـ - ٧٤٣ م
يزيد بن الوليد	١٢٦ هـ - ٧٤٤ م
ابراهيم بن الوليد	١٢٦ هـ - ٧٤٤ م
مروان بن محمد	١٢٧ هـ - ٧٤٤ م

ولم يجر في فلسطين خلال هذه الفترة من الزمن حوادث تستحق الذكر ، سوى ان اهلها تأمروا في زمن يزيد بن الوليد (١٢٦ هـ) على اميرهم ، فقتلوه .

فلسطين تشور ضد الحكم الأموي :

وفي زمن مروان بن محمد ، وهو آخر الخلفاء الأمويين ، انتشر الفساد وساءت الاحوال في جميع انحاء البلاد ، وكثرت الفتن بدرجة ان منازعي مروان على الخلافة كثروا . ومن الذين ثاروا في وجه الحكم ابن ضبعان بن روح بن زنباع زعيم فلسطين في ذلك الحين . وكان من هؤلاء وفي طليعتهم ابو العباس الهاشمي . فقد بايعه اهل العراق وخراسان . فاشتد ساعده . وجمع جيشاً حارب به جيش مروان . فتغلب عليه . وهرب مروان الى مصر ، فلحق به وقتله . وبهذا قضى على الدولة الأموية قضاء تاماً (٢٧ جمادي الآخرة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م .) .

وفي ذلك قال الشاعر^(١) :

باتوا على قتل الاجيال تحرسهم
غلب الرجال فما اغتتهم القل

(١) خطط الشام ج١ ص ١٧٥ .

واستزلوا بعد عز من معاقلمهم
فاودعوا حفراً يابس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساء لهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما اكلوا دهنراً وما شربوا
فاصبحوا بعد طول الاكل قدأ كلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم
ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا
فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
اضحت منازلهم قفراً معطلة
وسا كدوها الى الاجداث قدرحلوا

نهاية الحكم الأموي :

لما قتل مروان بن محمد تفرق بنو أمية في البلاد هرباً بانفسهم^(١) . وقد كان عبدالله بن علي ابن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب قتل منهم على نهر ابي فطرس^(٢) من بلاد فلسطين نحواً من ثمانين رجلاً (١٣٢ هـ) . وحذا اخوه داود بن علي بالحجاز حذوه ، فقتل منهم نحواً من هذا العدد .

(١) كتاب التنبيه والاعراف للسعودي ص ٣٢٩ و ٣٣٠
(٢) جاء في (دائرة المعارف) لعماد بطرس البستاني ج ٢ ص ٣١٠ انه نهر كان قرب الرملة من ارض فلسطين . وقال المهلبى انه يوجد على اثني عشر ميلاً من الرملة ومنها الى الشهاب نهر . يقال له (نهر ابي فطرس) مخرجه من عين في الجبل المتصل بنابلس . وينصب في البحر المتوسط عند مدينتي ارسوف ويافا . وقال ابو نواس :

واصبحن قد فوزن عن نهر فطرس

وهن من البيت المقدس زور

وكان مع مروان حين قتل ، ولداه عبدالله وعبيدالله ، فهربا الى مصر ، فالتوبة . اما عبيدالله فقد مات من الفقر والعطش . واما عبدالله فقد ذهب الى الحجاز . وظل يتنقل في البلاد الى ان اسره ابو العباس السفاح .

فعاش في السجن بقية ايام ابي العباس وايام المنصور والمهدي والهادي . فاخرجه الرشيد وهو شيخ ضرير .

القدس في زمن العباسيين

قلنا في آخر الفصل المتقدم ان الاحوال في البلاد على عهد (مروان بن محمد) آخر الخلفاء الامويين ، ساءت الى درجة ان منازعيه على الخلافة كثروا . وكان من هؤلاء وفي طليعتهم **ابو العباس الهاشمي** . فقد بايعه اهل العراق وخرسان . بايعوه في الكوفة . فاشتد ساعده . وجمع جيشا حارب به جيش مروان فتغلب عليه . وهرب مروان الى مصر . فلحق به وقتله . وبهذا قضى على الدولة الاموية . (٢٧ جمادي الاولى ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م) .

٢ - القائد العباسي الذي احتل فلسطين في ذلك الحين هو (**صالح بن علي**) عم السفاح . فقد جاء اليها في خمسين الف مقاتل . ففتحها . وكان زعيمها في ذلك الحين (الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع) . فانخرط هذا تحت لواء الحكم العباسي . انه في الحقيقة كان من الذين ثاروا على مروان بن محمد وكان من العوامل التي ادت الى انهيار الحكم الاموي في فلسطين .

٣ - ارسل القائد صالح بن علي الى ابن اخيه السفاح ، زعماء الامويين الذين كانوا قد التجأوا الى فلسطين ، ومنهم الوليد بن معاوية بن عبد الملك

وعبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك وعبد الجبار ابن يزيد بن عبد الملك . فقتلهم .

٤ - قيل ^(١) ان صالح بن علي لما قدم فلسطين اظهر للناس ان امير المؤمنين اوصاه ببني امية وامره بصلتهم والحاقهم في ديوانه ورد اموالهم اليهم . فقدم عليه من اكابرهم وخيارهم ٨٣ رجلا ، وفي قول ^(٢) ٧٢ ، فقتلهم . ولم يسبق منهم سوى افراد قلائل . منهم عبد الرحمن بن معاوية مؤسس الدولة الاموية بالاندلس .

٥ - نذكر فيما يلي اسماء الخلفاء العباسيين الذين تولوا الخلافة وكانت القدس من اعمالهم تارة بالفعل وطورا بالاسم :

ابو العباس عبدالله بن محمد الملقب بالسفاح	
١٣٢ هـ - ٧٥٠ م	
ابو جعفر المنصور	١٣٦ هـ - ٧٥٤ م
محمد المهدي	١٥٨ هـ - ٧٧٥ م
موسى الهادي	١٦٩ هـ - ٧٨٥ م
هارون الرشيد	١٧٠ هـ - ٧٨٦ م

(١) خطط الشام ج ١ ص ١٧٥

(٢) الطبري

كان يومئذ (عبدالله بن علي) . ثم ضمت الاردن الى دمشق . وتعين (صالح بن علي) حاكما على فلسطين والبلقاء تحت امرة (عبدالله بن علي) . وكلامهما عباسي . وظل تابعا له حتى خرج عبدالله على المنصور وغلب . فتعين صالح الى مصر .

٧ - ابو جعفر المنصور :

عندما بويغ في ١٣٦ هـ - ٧٥٤ م (محمد بن الاشعث) ان يسير الى الاردن ويخرج عمال (صالح بن علي) من الاردن والبلقاء وفلسطين . فاخرجهم منها . وقدم بيت المقدس^(١) بعد الرجفة الاولى وكان قد وقع شرقي المسجد وغريبه . فرفعوا اليه ذلك لبنينه . فقال ما عندي شيء من المال . فأمر بقلع الصفائح الفضة والذهب التي على الابواب . فضربت دنائير ودراهم وانفق عليه حتى فرغ منه (١٥٤ هـ - ٧٧٤ م) وتوفي سنة ١٥٨ هـ - ٧٧٤ م .

زار بيت المقدس على عهده الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي عالم اهل مصر . التقى بالخليفة ابي جعفر المنصور عند المسجد الأقصى . وقيل انه^(٢) كان نظير مالك في العلم .

ثم حدث زلزال اخر سنة (١٥٨ هـ - ٨٨٤ م) فوقع البناء الذي كان امر به ابو جعفر المنصور . ان هذا الزلزال كان شديداً ، لدرجة انه اثر على جميع المباني في المدينة المقدسة ، ولا سيما المسجد الأقصى . حتى ان الناس امتنعوا عن الصلاة فيه مدة طويلة .

ولما قدم المهدي من بعده كان المسجد خراباً . فأمر ببنائه وقال :

محمد الامين ١٩٣ هـ - ٨٠٩ م
عبدالله المأمون ١٩٨ هـ - ٨١٣ م
المعتصم بن الرشيد ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م
هارون ابو جعفر (الواثق بالله)

٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م
جعفر بن المعتصم (المتوكل على الله)

٢٣٢ هـ - ٨٤٧ م
المنتصر بن المتوكل ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م
احمد بن محمد بن المعتصم (المستعين بالله)

٢٤٨ هـ - ٨٦٢ م
المعتز بالله بن المتوكل ٢٥٢ هـ - ٨٦٦ م
المهتدي بالله بن الواثق ٢٥٥ هـ - ٨٦٩ م
المعتمد على الله بن المتوكل ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م
المعتضد بالله ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م

المكتفي بالله بن المعتضد ٢٩٢ هـ - ٩٠٥ م
المقتدر بالله جعفر ٢٩٥ هـ - ٩٠٨ م
القاهر بالله بن المعتضد ٣٢٠ هـ - ٩٣٢ م

وانا لذاكرون فيما يلي الوقائع التي وقعت على عهد هؤلاء الخلفاء والتي اتصلت بنا انباؤها وكانت لها صلة ببيت المقدس :

٦ - ابو العباس عبدالله محمد الملقب بالسفاح :

عندما بويغ في ١٣ ربيع اول سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م كان اول عمل قام به انه اقال ولاية الامصار وابدلهم بولاية من اقاربه ، فجعل على مصر عمه (صالح بن علي) قاتل مروان . وفي غرة شعبان ١٣٣ هـ ورد اليه كتاب امير المؤمنين بامارته على فلسطين^(١) . فنزلها ومعه عبد الملك بن نصير وعدة من اهل مصر .

وفي رواية اخرى^(٢) ان والي سورية وفلسطين

(١) منير التورام .

(٢) الانس الجليل ح ١ ص ٢٥٩

(١) جرجي زيدان ج ١ ص ١٢٧

(٢) تاريخ فلسطين للبرغوثي وطوطح

اشياء : المسجد الاموي بدمشق، والموالي، وعمر بن عبد العزيز، ومسجد الصخرة في بيت المقدس .
مات سنة ١٦٩هـ - ٧٨٥م .

٩ - لم تذكر القدس في زمن الخليفة العباسي موسى الهادي (١٦٩هـ - ٧٨٥م) . واما في زمن اخيه هارون الرشيد (١٧٠هـ - ٧٨٦م) فقد ذكرت كثيراً . ولا بدع فقد بلغت دولة العرب في ايامه من العمران والمجد ما فاح ارجه في اقاصي الارض .

فقد عامل هارون الرشيد النصارى معاملة حسنة^(١) . فسمح للامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء حيث يقوم على آثارها كنيسة الدباغة ويجانبها دير يأوي اليه زوار اللاتين . وفي سنة ٧٩٦م اهدى شارلمان ساعة وفيلاً واقشة نفيسة . وتعهّد بحماية الحجاج المسيحيين الذين يأتون لزيارة القدس . كان شارلمان على احسن حال مع هارون الرشيد . فكان يرسل في كل سنة وفداً الى القدس يحمل الهدايا الى الخليفة والاموال لفقراء المسلمين . وارسل الخليفة اليه^(٢) مفاتيح القيامة والقبر المقدس .

١٠ - خلف الرشيد ابنه محمد الامين (١٩٣هـ - ٨٠٩م) ومن بعده جاء اخوه عبد الله المأمون . فقد بويع المأمون بالخلافة سنة ١٩٨هـ - ٨١٣م . على عهده زار الامام الاعظم محمد بن ادريس الشافعي

(١) البرغوثي وطوطح .

(٢) يقتضي الانتباه الى هذا القول اي ان المفاتيح التي ارسلها هارون الرشيد الى شارلمان الملك . هي مفاتيح كنيسة القيامة وليست مفاتيح بيت المقدس كاجاء في بعض الروايات . ومنها رواية نجيب العقيقي كما روى في الصفحة ٤٦ من كتابه (المستشرقون) . كما انه لا صحة للقول الذي ورد في الكتاب نفسه بان ذلك جرى سنة ٨١٠م . لان هارون الرشيد انتقل قبل ذلك الى دار البقاء .

« رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال . انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه » فتم البناء في خلافته (١٦٣هـ - ٧٨٠م) .

لسنا ندري كيف كان تخطيط الاقصى في ادواره الاولى . الى ان جاء المقدسي في القرن الرابع الهجري (٣٧٥هـ - ٩٨٥م) ووصف لنا في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) تخطيطه ايام المهدي . ويؤخذ من وصفه ذلك انه كان يتكون من رواق اوسط كبير يمتد من الشمال الى الجنوب ، يغطيه جملون ، وينتهي من الجنوب بقبة عظيمة . وتكتنف الرواق الاوسط من كل من جانبيه سبعة اروقة موازية له وقل ارتفاعاً منه ، محمولة عقودها جميعاً على اعمدة اسطوانية . ويتوسط الواجهة الشمالية باب كبير كان يسمى : (باب النحاس الاعظم) يؤدي الى الرواق الاوسط رأساً . وعلى كل من يمينه ويساره سبعة ابواب يؤدي كل منها الى رواق من الاروقة الجانبية المتقدم ذكرها .

٨ - محمد المهدي بن المنصور . بويع سنة ١٥٨هـ - ٧٧٥م . وفي عهده عمر المسجد الاقصى . في اقصى الجنوب بالمسجد المذكور قبة مزينة بالقصوص الذهبية الملوّنة . يغلب على الظن انها صنعت في خلافة المهدي^(١) .

امر بابعاد بطريرك اورشليم الياس الثالث الى بلاد الفرس . وامر ان يسكن المسيحيون في محلة واحدة . وحصل منهم فدية .

روى عن ابن حارثة احمد بن ابراهيم بن هشام الغساني قال : كان المهدي يقول لكتابه ابي عبد الله الاشعري ان بني امية سبقونا في اربعة

(١) خطط الشام ص ٢٧١ :

١٢ - **المعتصم بن الرشيد** : تولى الخلافة بعد اخيه المأمون (٨١٨هـ - ٨٣٣م) فلقب نفسه المعتصم بالله . وفي عهده بدأ تقهقر دولة العرب . اذ فضلا عن كونه اميا وضعيفا ، كان اول من جند الاتراك واستعان بهم في الحرب . وقد امر عامله في مصر ان يسقط من في ديوان مصر من العرب وان يقطع العطاء عنهم . وراح العباسيون من بعده يرقون مواليهم من حارس ووصيف الى قائد وامير . ولم يحفظ هؤلاء الجليل . فانكروا حسن الولاء . وسلبوا الخلفاء ابهة الملك . واصبح هؤلاء آلات بايديهم . وفي ايام المعتصم (٨٢٤هـ - ٨٣٨م) بعث الخليفة الى فلسطين رجلا من رجاله يدعى رجاء بن ايوب الحضاري (وفي رواية رجاء ابن اشيم الحميري^(١)) . وسار هذا لقتال تميم اللخمي ويعرف بابي حرب . ويلقب ايضا بالمبرقع . وكان من اهل الغور . خلع الطاعة . ودعا لنفسه . فتبعه خلق كثير . وروي الطبري ان السبب الذي حدا بالمبرقع للخروج على السلطة العباسية ان جنديا اراد التزول في داره وهو غائبا عنها . وفيها زوجته (وفي قول اخته) . فبانعته . فضربها بسوط اصاب ذراعها . فاثرت فيها . فلما رجع ابو حرب الى منزله ، بككت وشكت اليه ما فعل بها . وارته الاثر بذراعها . فتناول ابو حرب سيفه ، ومشى الى الجندي . فقتله . ثم هرب . والبس وجهه برقعا . وراح يتنقل من جبل الى جبل في بقاع فلسطين والاردن ويصف الظلم الذي اصابه . فصدقه كثيرون . وكثر انصاره^(٢) . وكان مع رجاء الحميري ايضا جيش كبير العدد . فاحترب الفريقان في الرملة (٨٢٦هـ - ٨٤٠م) . وكانت الغلبة للقائد العباسي . فأسر تميم . وقتل عدد كبير من اصحابه .

بيت المقدس^(١) . وصلى فيه . كما زارها عدد كبير من العلماء واهل الفضل . وبلغ العلم على عهده مبلغا عظيما .
١١ - اصاب قبة الصخرة ثي من الخراب في عهد الخليفة العباسي المأمون . فأمر بترميمه عندما زار بيت المقدس . ولما انتهى العمل من الترميم (٨٢٦هـ - ٨٣١م) ارادوا ان يتزلفوا اليه ، فاستبدلوا اسم الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان باسمه . ولكنهم غفلوا عن تغيير السنة التي حدثت فيها العمارة . ترى كيف عرفنا ذلك ؟

ان فوق الاعمدة التي يقوم عليها سقف المسجد حول الصخرة من الناحية الجنوبية الى الشرق خطأ ضيقا مصنوعا من البلاط الازرق نقش عليه بالاحرف الكوفية المذهبة الكلمات الآتية :

« بنى هذه القبة عبد الله ، عبد الله الامام المأمون امير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين . » لم يفتن الصانع الى تغيير التاريخ . فقد ابقى سنة ٨٧٢ . وهي السنة التي اتم فيها عبد الملك بن مروان البناء . ولم يذكر السنة التي تم ترميم البناء فيها على يد المأمون (٨٢٦هـ - ٨٣١م) .

ثم انه وجد المكان ضيقا بحيث لا يتسع لاسم الخليفة المأمون والقابه . فاضطر الى كتابة ذلك بطريقة تخالف تلك التي كتبت بها الكلمات الاخرى . اي ان الحروف التي كتب اسم المأمون بها مزدحمة متراسة ، يختلف شكلها عن الحروف التي سبقتها . ثم ان لون الفسيفساء التي جرى بها التحريف اشد سمرة من لون الفسيفساء القديمة .

ما كاد المأمون ينتقل الى دار البقاء حتى اخذت مملكته المترامية الاطراف بالانقسام .

(١) (خطط الشام) لمحمد كرد علي . ج ١ ص ١٩٢

(٢) قيل انه كان مع المبرقع يومئذ خمسون الفا من اهل اليمن .

(١) الانس الجليل ج ١ ص ٢٦٠ .

١٢ - **هارون ابو جعفر** : (الواصل بالله) تولى الخلافة بعد موت ابيه المعتصم (٢٢٧هـ - ٢٤٢هـ) . وقد بلغ الخصام على عهده بين القيسية واليسنية الى الذروة .

ثار القيسيون بالشام فبعث الواصل اليهم رجاء ابن ايوب الحضاري وفي رواية^(١) رجاء بن اشيم الحيري فاخضعهم . ثم سار رجاء الى فلسطين لقتال تميم اللخمي ويعرف بلبي جرب ويلقب بالمبرقع . وكان هذا قد خرج على العباسيين ودعا لنفسه فتنبه خلق كثير ومنهم جماعة كبيرة من لحم وجذام وعامله وقد قدروا اتباعه بمئة الف نسمة .

١٣ - عندما توفي الواصل بالله بويج اخوه **جعفر بن المعتصم** (٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ) ولقب بالمتوكل على الله . وقد قسم مملكته بين اولاده : فولى المنتصر افريقية وكل المغرب وسوريا وما بين النهرين والحجاز واليمن وحضر موت والبحرين والسند ، وولى المعتز خراسان وطبرستان وفارس وارمينيا واذربيجان ، وولى المؤيد دمشق وحمص والاردن وفلسطين . ولكن المنتصر لم يقتنع بهذا فراح يدس الدسائس ضد اخوانه حتى قتل بيد الحرس التركي .

زار بيت المقدس حوالي ذلك التاريخ ذو النون المصري ابو الفيض ثوبان بن ابراهيم الصالح ، فقال عنها^(٢) « وجدت على صخرة بيت المقدس كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل . وهذه الكلمات اصول ما استعبد الله به الخلق . » استحضره المتوكل على الله من مصر . وكان كلما وعظه يبكي .

١٤ - لم تذكر القدس في عهد المنتصر بن المتوكل على الله (٢٤٧هـ - ٢٦١هـ) والمستعين بالله (٢٤٨هـ - ٢٦٢هـ) والمعتز بالله (٢٥٢هـ - ٢٦٦هـ) . وكل ما يحذر بنا ان نذكره عن هذا العهد ان دسائس الاتراك قد كثرت في بغداد مقر الخلافة حتى انهم اوعزوا الى المعتز ان يتنازل عن الخلافة ففعل فاودعوه السجن . ثم قطعوا عنه الغذاء فمات جوعاً .

وفي عهده عقد لعيسى^(١) بن الشيخ بن السليل الشيباني على الرملة ، فانفذ خليفته (ابا الفراء) اليها واستولى على فلسطين جميعها . وتغلب على دمشق واعمالها . وامتنع عن حمل المال الى العراق .

١٥ - اقام الاتراك عنه ابن عمه **المعتدي بالله** بن الواصل (٢٥٥هـ - ٢٦٩هـ) . وفي زمنه كان احمد ابن عيسى بن الشيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين^(٢) والاردن . فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبد بها . فبعث احمد بن المدبر (مدير المالية في مصر ومفتش الخراج فيها) بسبعائة وخمسين الف دينار من مال مصر الى بغداد . فقبض ابن شيخ عليها وفرقها في اصحابه . وكانت الامور قد اضطربت ببغداد . فطمع ابن شيخ في التغلب عليها ، واشيع انه يريد مصر .

١٦ - وفي رجب ٢٥٦هـ ذبح المهدي وبويج **المعتد على الله** وهو ابن المتوكل الثالث . فبايعه الجميع إلا ابن شيخ زعيم فلسطين . فانه لم يدع له . ولم يبايعه لاهو ولا اصحابه . فبعث اليه بتقليد ارمينيا فوق ما معه من بلاد الشام . وفسح له في الاستخلاف

(١) خطط الشام ج ١ ص ١٩٥ .

(٢) جرجي زيدان ج ١

(١) خطط الشام ج ١ ص ١٩٢

(٢) ابن جلكان ج ١ ص ١٠١

عليها والاقامة على عملها . فدعا حينئذ للمعتد وبأبيه .

١٧ - كتب الخليفة المعتد على الله (٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م) الى احمد بن طولون بمصر وكان قائداً للقوات المصرية يأتمر بأمر الخليفة العباسي ببغداد . بعث اليه سرّاً ان يتأهب لحرب ابن شيخ . فجهز هذا جيشاً كبيراً . وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة ورد ما اخذ من المال . فاجاب بحجاب قبيح . فسار احمد في ٦ جمادى الآخرة مستخلفاً اخاه موسى بن طولون على مصر . ولكنه قبل ان يصل الى فلسطين استبدله الخليفة بـ (اماجور التركي) . فلقبه اصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه . فحاربهم اماجور ، فانهزموا منه وقتل قائدهم . فلحق ابن شيخ بـارمينيا . وتقلد اماجور اعمال الشام كلها .

١٨ - لم تذكر القدس في عهد المعتض بالله (٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) سوى انه اهتمبيل الفرصة فسمى لاستعادة سلطة اسلافه على البلاد . ولكنه مات قبل ان ينال مبتغاه .

١٩ - ولما تولى الخلافة ابنه المكتفي بالله (٢٩٢ هـ - ٩٠٤ م) انفذ جيشاً الى الشام فتملكها . ثم هجم على مصر فاخترقها . وهكذا عادت السلطة الى الخلفاء العباسيين في مصر والشام معاً على عهده بعد ان بقيت رديحاً من الزمن في يد الطولونيين .

٢٠ - بعد المكتفي بوبع جعفر المقتدر بالله (٢٩٥ هـ - ٣٠٨ م) وفي زمنه توفي عيسى بن محمد الامير النوشري الذي تولى امرة الشام على عهد المنتصر والمستعين ، وتولى شرطة بغداد ايام المكتفي ، وامرة مصر على عهد المكتفي واخيه المقتدر بالله وكانت القدس من اعماله ، توفي وهو على امرة مصر^(١) .

(١) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥٦

فحمل الى القدس ودفن بها (٢٩٧ هـ - ٩٠٩ م) .
٢١ - ولما قتل المقتدر ، بوبع اخوه القاهر بالله الابن الثالث للمعتض بالله (٣٢٠ هـ - ٩٣٢ م) . فولى هذا على مصر ابا بكر محمد بن طنج . ومن هذا نشأت دولة حكمت مصر وسوريا مدة من الزمن عرفت « بالدولة الاخشيدية » .

٢٢ - قبع الخلفاء العباسيون بعد ذلك التاريخ في قصورهم . فلم يبق لهم في شؤون الملك حول ولا طول . واقتصرت سلطتهم على المسائل الدينية . وظلوا كذلك الى ان زحف هولاكو على بغداد (٦٥٦ هـ - ١٢٥٧ م) وقضى على الخلافة العباسية فيها . فغادروها بعد ان عاش منهم فيها سبعة وثلاثون خليفة . غادروها الى مصر . حيث عاش منهم خمسة عشر خليفة ، كان آخرهم محمد التوكل على الله الذي تنازل عن الخلافة الدينية الى السلطان سليم العثماني (٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م) . وسلمه مفاتيح الحرمين . فتكون الخلافة قد عاشت ٧٦٧ سنة . .
٢٣ - ان تأثير العباسيين في فلسطين ولا سيما في

عهدهم الاخير كان ضئيلاً بسبب بعد المسافة . ولذلك انتقلت السلطة فيها بسرعة من يد العباسيين الى يد الطولونيين ، فالى الاخشيديين والفاطميين بمصر .

ومع هذا كله لم يخل عهدهم من الوقائع التي لها صلة بهذه البلاد . وكانت القدس على عهدهم لا تزال تحمل اسمها الروماني الذي احتفظت به منذ الفتح الاسلامي : ايليا .

٢٤ - ذكر ابن خرداذبة^(١) بيت المقدس في

(١) ابو القاسم عبيد الله بن خرداذبة من الادباء الذين عاشوا في اواسط القرن الثالث للهجرة

وصف برنارد القدس وما حولها من القرى فقال: « ان المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام . والامن العام مستتب . حتى ان المسافر ليلا يجب ان تكون بيده وثيقة تثبت هويته ، والا زج في السجن حتى يحقق في امره ويتضح قصده . واذا سافرت من بلد الى بلد ونفق جملي او حماري وتركت امتعتي مكانها وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة ، عدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد » .

كان ذلك في عام ٨٧٠ للميلاد . ولكن تفكيره كان منصرفاً بالاكثـر الى اماكن العبادة . فذكرها كلها ولم يذكر عن المدينة نفسها الا النذر اليسير . وقال انه نزل في نزل معد للحجاج الذين يتكلمون اللغة الرومانية . ذلك النزل الذي اسسه الملك شارلمان . ويجانبه سوق يترقب على الشخص الذي يعيش فيه^(٢) ان ينقـد المحتسب الذي يناظره قطعـتين من الذهب كل سنة .

(٢) كذا في الاصل . ومنه اراد ان يقول: (الذي يعمل فيه) .

كتابه (المسالك والممالك)^(١) فقال : « كورة ايباء وهي بيت المقدس بينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلاً . ومنها الى مسجد ابراهيم ثلاثة عشر ميلاً مما يسلي القبلة . ومنها الى البحيرة المنتنة^(٢) اربعة اميال » .

٢٥ - زار القدس خلال القرن التاسع للميلاد (برنارد الحكيم) . زارها بعد ان نال رضى البابا في روما . وقد مر بالاراضي الايطالية التي كانت خاضعة للنفوذ العربي . فجمـله صاحب باري^(٣) رسائل الى امراء الشرق يوصيهم به خيراً .

(١) طبع في لندن ص ٧٨

(٢) البحر الميت .

(٣) هو الامير خواجه الذي انتدبه ابو الغرائيق محمد الثاني بن احمد الاغلبى لانقام فتح ايطاليا سنة ١٠٢١ - ٨٦٥ . وكان يطلق عليه حاكم ايطاليا وقائد العالم (رواد الشرق العربي ص ٥٤)



الدولة الطولونية

عيسى بن شيخ الشيباني قائد الجند بفلسطين والاردن ، لان هذا ابي ان يبايع المعتمد بالخلافة . وقد سار بجيش كبير لمحاربته . غير انه قبل الوصول الى فلسطين امر بالرجوع الى مصر .

ذلك لان اماجور التركي والي الشام ، عندما رأى تآلق نجم ابن طولون في مصر ، اخذ يوغر صدر الخليفة عليه (٢٥٧ هـ - ٨٧٠ م) . فامر الخليفة بالرجوع الى مصر . وارسل اماجور على بر الشام . وبقي ابن طولون واليا عامسا على القطر المصري .

٣ - ولما توفي اماجور اغتنم ابن طولون الفرصة ليضم سوريا الى مصر . وقد سار اليها بجيشه . ولما احتشدت جيوشه في فلسطين ، اتاه محمد حاكم الرملة خاضعا . فاقره في منصبه . ولما وصل دمشق رحب به علي بن اماجور فاقره في منصبه . وهكذا علت كلمته في بري مصر والشام (٢٦٥ هـ - ٨٧٨ م) .

٤ - وعلى قول^(١) ان القدس دخلت في حكم ابن طولون سنة ٨٣٣ م وان النصاري قاسوا على عهده وانه حظر عليهم ان يلبسوا الا الدرع مرفوعا من قبل ومن دبر . وحرّم عليهم ركب الخيل .

٥ - ومن الاحداث التي حدثت في عهد احمد ابن طولون الحرب العصبية التي وقعت بفلسطين (٢٥٧ هـ - ٨٧٠ م) بين لحم وجذام ، فتحاربوا حربا اخذت من الفريقين .

عندما غزا العرب بلاد الترك ، واسروا من اسروا من سكانها ؛ راحوا يرسلون الى بلاط الخليفة ببغداد من يأسرونه من الترك ، فيستخدمهم الخلفاء وكبار الامراء في منازلهم ويدعونهم بالمماليك .

من هؤلاء الاسرى^(١) (طولون) . وهو ينتمي الى احدى القبائل الاربع والعشرين التي تتألف منها تركستان . اسره (ابن اسد الصامي) احد عمال المأمون في احدى المواقع الحربية . فارسله الى الخليفة . فاعجب المأمون به والحقه بحاشيته . وما زال يرفقه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بامير الستر .

٢ - بقي طولون في منصبه عشرين عاما ، خدم خلالها المأمون واخاه المعتمد . وفي زمن المعتمد هذا كان الضعف قد دب في صفوف العباسيين الى درجة انه لم يبق للخليفة سلطة على البلاد سوى الاسم . واصبحت خلافتهم دينية لا دنيوية . فسيطر طولون ، ولقب بعدئذ بابي العباس .

هذا هو مؤسس الدولة الطولونية .

تألق نجم ابن طولون ، باديء ذي بدء ، في مصر (٣٤٨ هـ - ٨٦٢ م) وطارت شهرته . فكان تقيا ، لين العريكة ، مقداما ، ملما بالسياسة ؛ وكان قائدا للقوات العسكرية فيها ، يأتمر بأمر الخليفة العباسي ببغداد .

ولقد طلب منه الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل (٢٥٦ هـ - ٨٦٩ م) ان يتأهب لمقاتلة احمد بن

(١) المير السليم . ص ١٢٩ وتاريخ القدس لسركيس ص ١٦٨ .

(١) جرجي زيدان ج ١ ص ٦٤٣

المعتضد الفرصة ، وعزم ان يستعيد سلطة اسلافه على البلاد .

١١ - قتل هارون بطعنة من احد المغاربة في

جيشه (٢٩٢ هـ - ٩٠٤ م) . ويقال ان عمه شيان ابن احمد هو الذي قتله . ولكن الامراء ثاروا عليه واجبروه على التسليم . فتسلم الامر **محمد بن سليمان** وهو الذي أنفذ من لدن الخليفة المكتفي بالله بن المعتضد الى الشام على رأس جيش ليمتلكها . وتملك مصر من بعدها . واعاد الى الخليفة العباسي سلطته السابقة .

وقد قتل شيان بعد ذلك ببضعة ايام . وهكذا انتهى حكم الدولة الطولونية في القدس (٩٠٥ م ^(١)) .

١٢ - ما كانت القدس من الاهمية بمكان على عهد الدولة الطولونية . ولم تذكر الا قليلا . لان البلاد كانت في حال حرب . وما كانت القدس مهمة من الناحية الاستراتيجية . اذ انها لم تكن واقعة على الدرب بين مصر والشام بالتام . وقد احتل مكانها من هذه الناحية يومئذ المدن الساحلية الواقعة على تلك الطريق وفي مقدمتها الرملة . وما كان الناس ليقصدوا القدس يومئذ الا لغايات دينية .

(١) « تاريخ القدس » لحنبل سر كيس . ص ١٦٨ و « السير السليم » ص ١٢٩ .

٦ - توفي ابن طولون في اليوم العاشر من شهر ذي القعدة سنة ٢٧٠ هـ - ١١ مايو ٨٨٤ م ودفن عند سفح المقطم بمصر .

٧ - بعد موته اقيم ابنه **خماروية** في مكانه (٢٧٠ هـ - ٨٨٣ م) فكان اميراً على مصر والشام . وعلى عهده وقعت واقعة بين احمد بن الموفق الملقب بالمعتضد بالله وبين خماروية تدعى (واقعة الطواحين) .

٨ - وطد خماروية بعدئذ العلاقات بينه وبين الخليفة المعتضد بالله ، وارسل الى بغداد وفداً يحمل للخليفة الهدايا ، ويعلمه ان مصر تؤدي الخراج وقدره مائتا الف دينار . فثبته الخليفة في امارته لثلاثين سنة . ولكنه مات مقتولا (٢٨٢ هـ) .

٩ - حال موت خماروية نوبع ابنه (جيش) الملقب بابي العساكر . فلا الشام قبلته ولا مصر اقرته . فثار الجميع عليه وقتلوه .

١٠ - بعد مقتل جيش اقام زعماء الثورة اخاه (**هاوونا**) مكانه (٢٨٣ هـ - ٨٩٦ م) . وثبته الخليفة المعتضد على مصر . ولكن الناس عدلوا عن طاعته بعد نصبه . وعصوه . ورئيس هذه الثورة (**طنج بن جف**) صاحب الشام . فاغتتم الخليفة



الدولة الاخشيدية

ظن بنو العباس انهم نجوا من يناسبهم العداء في الشام ومصر، يوم قضوا على ابناء طولون. ولكن ظهرت لهم (الدولة الاخشيدية) او (دولة بني طنج) . ورأس هذه الدولة هو محمد الاخشيد (الملقب بابي بكر) بن طنج بن جف بن بلكين ابن فوري بن خاقان .

٢ - نزل جف هذه البلاد على عهد المعتصم بالله ابن هارون الرشيد ، فاقطعه السامراء (او سر من رأى) . وتوفي في بغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل على الله (٢٤٧هـ - ٨٦١م) . دخل طنج بن جف في خدمة خمارويه بن احمد بن طولون ، فقلده بعض المناصب الهامة ، وولاه دمشق وطبرية . وظل يرتقي في هذه المناصب الى ان مات في حبس العباس بن المحسن وزير الخليفة العباسي المكتفي بالله .

وكان مع طنج في السجن ابنه محمد الاخشيد . ولكنه نجى من السجن . وجاء الى الشام . وهناك ولده الخليفة المقتدر مدينة الرملة (٣١٦هـ - ٩٢٨م) . فاقام بها سنتين . ثم تولى الشام (٣١٨هـ - ٩٣٠م) .

٣ - ولما قتل الخليفة العباسي المقتدر بالله وبويع بالخلافة اخوه القاهر بالله بن المعتضد بالله (٣٢٠هـ - ٩٣٠م) ولي هذا اي (محمد بن طنج) (١) مصر ، ولقب بالاخشيد (٢) (٣٢٧هـ -

٩٣٨م) . ومن هذا نشأت دولة حكمت مصر وسوريا معاً مدة من الزمن عرفت : (بالدولة الاخشيدية) .

٤ - وفي سنة (٣٢٨هـ - ٩٣٩م) اعطى (١) الخليفة الراضي بالله لقب امير الامراء لمحمد بن رائق صاحب فلسطين وكان مستقلاً عنه . فلاح له ان يغزو الشام وعليها الامير بدر بن عبدالله الاخشيدي . فحاربه فهرب بدر ، فنهض محمد الاخشيد من مصر لانجاده . ولكن الفريقين اصطلحا قبل ان يصطدما . ولكنها عادا فاقتتلا . فوضع محمد الاخشيد يده على الرملة . واسر خمسمية رجل من جيش ابن رائق .

٥ - قتل في هذه المعركة حسين اخو الاخشيد (٢) . فانفذ ابن رائق ابنه مزاحماً الى الاخشيد ليغزيه ، فأكرم وفادته . واصطلحا على ان تكون البلاد من الرملة الى حدود مصر للاخشيد وباقي الشام لمحمد بن رائق ، وان يحمل الاخشيد الى ابن رائق في كل سنة مئة واربعين الف دينار تعويضاً عن الرملة .

٦ - ولما قتل محمد بن رائق (٣) سنة ٣٣٠هـ نهض محمد الاخشيد لاسترجاع البلاد التي كانت تنازل عنها لمحمد بن رائق . وقد استرجعها منه

- (١) جرجي زيدان ج ١ ص ١٨٥
(٢) لسان ندرى ان كان هذا هو اخو الاخشيد الذي جاء ذكره في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢١٠ والذي اسماه الحسن بن طنج بن جف الامير المظفر الفرعاني التركي وقال عنه انه مات في الرملة ودفن بالقدس (٣٤٢هـ - ٩٥٣م) .
ام ان للاخشيد اخين احدهما حسن الذي ذكر في النجوم والثاني حسين هذا .
(٣) قتله الحمدانيون بالموصل .

- (١) جاء في خطط الشام ج ١ ص ٢١٣ ان محمد بن طنج تقلد مصر من جهة الراضي ، وان هذا ولده اياها بعد ان عزل متوليها احد بن كيفك وضم اليها البلاد التابعة .
(٢) هذا لقب ملوك فرعانة الذين تمرد منهم . ومعناه (ملك المنلوكة) .

بالفعل . وفي سنة ٣٣٢ هـ - ٩٤٣ م تولى اماره الحجاز . فسادت كلمته في مصر والشام وفلسطين والاردن والحجاز .

٦ - مات الاخشيد في دمشق ، ودفن في القدس (٣٣٤ هـ - ٩٤٥ م) .

بعد موته ولي الامر ابنه ابو القاسم محمد الملقب بـ (انوجور) . فاستضعفه سيف الدولة . وقصد دمشق فلحقها . فخابروا كافورا وصي الامير . فجهز هذا جيشاً عرمرماً . فالتقى الجيشان قرب الرملة . وانهزم سيف الدولة . واسترجع كافور دمشق وفلسطين^(١) (٣٣٤ هـ - ٩٤٦ م) .

٧ - زار القدس خلال تلك الفترة من الزمن السائح الفارسي المشهور ، ناصري خسرو ووصفها في كتابه (سفرنامه)^(٢) . وان ارضها كلها مبلطة بالحجارة . وانهم سووا الجهات الجبلية فجعلوها مسطحة بحيث تغسل الارض كلها وتنظف بعد الامطار . وانه يوجد على حافة سهل (السامرة) قرافة عظيمة وقبور كثير من الصالحين .

٨ - ولما مات انوجور بن الاخشيد (٣٤٩ هـ - ٩٦٠ م) حمل الى القدس ودفن بها عند ابيه . ومن بعده تولى الحكم اخوه علي الملقب بابي الحسن . ولم يكن له من الامر شيء سوى الاسم . اذ منع كافور الناس من الاجتماع به . وظلت صلاته بمدير مملكته كافور سيئة الى ان اعتلت صحته . ومات لاحدى عشرة خلت من محرم سنة (٣٥٥ هـ - ٩٦٥ م) وحمل الى القدس . ودفن عند ابيه الاخشيد واخيه انوجور .

(١) البرغوثي وطوطح .

(٢) رحلة تقع حوادثها بين سنة ٣٤٧ هـ - ٩٥٨ م وسنة ٤٤٤ هـ - ١٠٥٢ م . نقلها الى العربية وعلق عليها يحيى الخشاب بحرق . ٥١٣٦٤ - ١٩٤٥ م .

وبموت ابي الحسن انفرد كافور في حكم مصر . ولقب بالاخشيدي (٣٥٥ هـ - ٩٦٥ م) . وخطب له على منابر مصر والشام والحجاز والثغور . وكانت هذه كلها من اعماله .

٩ - لما انفرد كافور بالامر (٣٥٥ هـ - ٩٦٥ م) كان في بيت المقدس^(١) وال يعرف بمحمد بن اسماعيل الصنهاجي . اضطهد بطريق القدس وكان ابي مقابلته فهجم عليه الوالي في اشياعه . واحرق ابواب كنيسة القيامة . وسقطت قبتها . ونهبوا كنيسة صهيون واحرقوها . قال ابن بطريق : وهدم اليهود وخربوا اكثر من المسلمين . ثم قتل البطريرق .

١٠ - توفي كافور سنة ٣٥٦ هـ - ٩٦٦ م ودفن في القدس^(٢) . ووقع الخلاف ، على اثر وفاته ، بين الاخشيديين . فراح كل واحد منهم يدعي الامارة

(١) خطط الشايج ١ ص ٢١٥ .

(٢) قال صاحب (النجوم الزاهرة) ج ٤ ص ١٠ انه توفي في مصر وحمل تابوته الى القدس ودفن به . وكتب على قبره :

ما بال قبرك يساكافور منفرداً

بالصحيح المرات بعد العسكر النجب

يسدوس قبرك آحاد الرجال وفد

كانت اسود الثرى تحشاك في الكتب

(والمرث) مغازة لانباء فيها .

واما ابن خلكان فيقول نقلا عن القضاعي في كتاب الخطط وعن الفرغاني في تاريخه ان كافور توفي سنة ٣٥٧ هـ - ٩٥٧ م وانه دفن بالقرافة الصغرى ، وقبته مشهورة هناك .

وقال المقرئى ، نقلا عن ابن زولاق في كتب سيرة المعز لدين الله انه في سنة ٣٦٢ للهجرة سار (اي المعز) على شاطئ النيل حتى بلغ بني وائل ومعه وجوه الدولة ، فعطف على بركة الجيش ثم الصحراء ، ومر على قبر كافور .

وقال جرجي زيدان في كتابه (تاريخ مصر) ج ١ ص ١٩١ انه دفن في القرافة الصغرى ، وقبته هناك .

وقال الوليد بن بكر العمري : وجدت على قبر كافور مكتوباً د

انظر الى عبر الايام ما صنعت افنت اناساً بها كانوا وما فنت

دنياهم ضحكك ايام دولتهم حتى اذا فنت فاخت لهم وبكت

« فلسطين ازكى بلدان الشام . ومدينتها العظيمة الرملة . وبيت المقدس يليها في الكبر . وبيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال يصعد اليها من كل مكان قصد من فلسطين . وبها مسجد ليس في الاسلام مسجد اكبر منه . والبناء في زاوية من غربي المسجد يمتد على نحو نصف عرض المسجد . والباقي من المسجد فارغ الا موضع الصخرة ، فان عليه حجراً مرتفعاً مثل الدكة . وفي وسط الحجر على الصخرة قبة عالية جداً . وليس ببيت المقدس ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع . وهو من اخصب بلدان فلسطين . وفي مسجد بيت المقدس ، لكل واحد من عامة الانبياء المعروفين ، محراب معروف . ويزرع في جبالها وسهولها اشجار الزيتون والتين والحميز والعنب ، وسائر الفواكه اقل من ذلك » .

لنفسه . فتضعفت الدولة الاخشيدية . راستولى **جوهر الصقلي** قائد المعز الفاطمي على البلاد .

١١ - لم تذكر القدس على عهد الاخشيديين ، الا قليلا . ولم تكن يومئذ ذات اهمية لا من الناحية التجارية ولا من الناحية الحربية . ذلك لانها لم تكن واقعة على الدرب الاساسي بين مصر والشام . وقد احتل مكانها من هذه الناحية المدن الواقعة في السهل والكثانة على الدرب بالذات مثل الرملة . وما كانت القدس يومئذ لتقصد بالذات ، الا لغايات دينية .

١٢ - ان احسن وصف للقدس ، على عهد الاخشيديين ، نجده في الصفحة ٥٦ من كتاب (مسالك الممالك) **للاصطخري**^(١) . قال :

(١) هو ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارس الاصطخري المعروف بالكرخي . عاش في اواسط القرن الرابع للهجرة . وقام برحلته سنة ٩٥١ للميلاد . وكتابه هذا طبع في لندن سنة ١٨٧٠ .

القدس الفاطمية

(٣٦٥ هـ - ٩٧٥ م) . فقامت بينه وبين (افتكين) صاحب الكلمة العليا في الشام حرب دامت شهرين . قتل فيها عدد كبير من الفريقين . وقد استعان اهل الشام على المغاربة بالقرامطة^(١) . فجاء ملك القرامطة (الحسن بن احمد القرمطي) من بغداد . واجتمع اليه من رجال الشام نحو خمسين الف مقاتل . فرحل جوهر قائد العزيز الفاطمي من دمشق . وتبعه افتكين والقرمطي واتباعها . فحصره في عسقلان سبعة عشر شهراً . ذاق خلالها الامرين . ولكنه تمكن بعد جهد جهيد من الخلاص . فرجع الى مصر . واخبر العزيز بما جرى .

٣ - سار العزيز ، في هذه المرة ، الى الشام بنفسه ، ومعه سبعون الف مقاتل . فالتقى بافتكين والقرامطة في ظاهر الرملة ، فقاتلهم ، وانتصر عليهم ، واسر افتكين ، واخذته الى مصر حيث مات فيها . وبلغت خسائر جيش العزيز عشرين الفا من المغاربة .

٤ - جاء العزيز الى فلسطين مرة اخرى عندما ثار (مفوج بن الجراح) امير بني طيء وسائر العرب في فلسطين . خشي العزيز يومئذ عاقبة الامر . فجهز العساكر لمحاربته . وارسلهم

كان كافور آخر ملوك بني الاخشيد . ولما اذنت شمس الدولة الاخشيدية بالافول ، رأى عقلاء مصر انه لا ينجيها من الفوضى التي كانت فيها الا القاؤها في حضن دولة قوية . فكتبوا الى المعز الفاطمي صاحب المغرب يستدعونه الى مصر . فجهز هذا حملة مؤلفة من مئة الف محارب ، والف وخمس مئة جمل تحمل الذهب والفضة . وارسلها الى مصر بقيادة (جوهر) . فدارت الدائرة على الاخشيديين . واقام جوهر الخطبة للمعز .

لم يدخل المعز في طاعة الخلفاء العباسيين . بل ادعى الخلافة لنفسه ، قائلاً : « نحن افضل من بني العباس . انا من ولد فاطمة بنت رسول الله » . وكان الخليفة في بغداد يومئذ المطيع لله العباسي . فلم يقره على عمله . وراح الاثنان يتنازعان .

ولما استقرت . قدم جوهر بمصر ، سير جمعا كبيرا الى الشام بقيادة (جعفر بن فلاح) . فجاء هذا الى الرملة ، وكان بها الحسن بن عبدالله بن طنج ، فقاتله جوهر وتغلب عليه . ثم استولى على فلسطين كلها ، وجبى اموالها . ثم ملك الشام . واقام الخطبة للمعز (٣٥٩ هـ - ٩٦٩ م) . فقعطت الخطبة العباسية فيها ، واصبح الفاطميون خلفاء مصر والشام والمغرب معاً .

٢ - بعد وفاة المعز تولى ابنه العزيز^(١)

(١) اسمه نزار بن معد . كان محبا للعلم . وكان يكره اهل السنة . وسد الامر الى رجاله من المسيحيين وآخرين من اليهود . ولقد تزوج من حريم اخت البطريرك اوربستيس الذي تولى الكرسي لاورشليمي سنة ٩٨٤ م .

(١) فرقة من الباطنية نسبوا الى حمدان قرمط . لقب بذلك قرمطه في خطه و في خطوه . والقرامطة زنادقة دهريون يقولون بقدوم العالم ، وينكرون الرسل والشرائع كلها ، ويميلون الى استباحة كل ما يبيل اليه الطمع وينكرون الثواب والعقاب . ويقولون ان الجنة نعيم الدنيا ، وان العذاب هو الاشتغال بالصلاة والصوم والحج . وما الى ذلك (دائرة معارف وجدي ج ٧ ص ٧٢١) .

ساويرس بن المقفع اسقف الأشمونين في عهد المعز العزيز. واشترك في كتابة هذه السيرة عدد من الاحبار المتعاقبين. منهم الانبا زخاريا البطريرك الرابع والستين. وقد عاصر هذا الحاكم بامر الله. وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة نسخة فتوغرافية لهذا المخطوط.

قبل كل شيء نريد ان نصف لك الحاكم ، من الناحية البدنية والعقلية ، وصفاً يساعدك على تفهم الاحداث التي وقعت على يده . فنقول :

كان الحاكم ذا بنية قوية وطلعة مهيبه وصوت جهوري . انه رجل غريب الاطوار . متناقض الصفات والاعمال . فاقد الاتزان . كان كل يوم في حال .

فتارة كان يظهر في صورة جبار منتقم . وظالم يحب سفك الدماء . وغدار لا يستقر على ثقة او صداقة . . وطورا كان يظهر في مظهر الجود والتشف والزهدي والميل لفعل الخير .

ويل لمن يلاقه في ساعة الغضب ! وطوبى لمن يلقاه في ساعة الرضا !

وكثيرا ما كان يأمر بالشيء ويبالغ في العطاء ثم يرجع عنه ويبالغ في نقضه .

كان احيانا يحب العلم ويكرم العلماء . . ولكن سرعان ما ينقم على العلم والعلماء ؛ فيضطهدهم ، او يقتلهم ، او ينفيتهم . . .

كريم احيانا ، وبخيل الى ابعد حدود البخل في بعض الاحايين . متدين . . زاهد . . تقي احيانا . واحيانا يأتي بفعال لا تمت الى الدين بصلة . .

ومن غريب طباعه انه كان يكره اكل الملوخية والتمرس والجرجير ، وما الى ذلك من طعام . وقد منع الناس المستظلين بحكمه من اكلها . وحرّم ذبح

بقيادة قائده التركي (بلتكين) . فسار هذا الى الرملة . واجتمع اليه العرب من قيس وغيرهم . ولقي ابن الجراح ، فهزمه . فاستولى على البلاد كلها . وصفا له الجو .

اقام العزيز على ولاية فلسطين وزيراً قبطياً هو الشيخ ابو اليمن قزمان بن مينا الكاتب^(١) . وسكن هذا في دير السلطان من املاك القبط . ولما اقتتلت جيوش الشام ومصر هرب هذا ، آخذاً معه اموال النبوة . وقد بلغت يومئذ مئة الف دينار .

٥ - ولما توفي العزيز خلفه ابنه المنصور ، ولقب الحاكم بامر الله (٣٨٦ هـ - ٩٩٦ م) فحكم البلاد نحو ٢٥ سنة . كانت مليئة بالحوادث الغريبة والمتناقضات . ولهذا رأينا من الفائدة ان تأتي على ذكر بعضها . ولا سيما تلك التي تفسر لنا ما ألم بالقدس في تلك الفترة من الدهر .

قرانا عنه بحوثا كثيرة للمقريزي^(٢) وابن الاثير^(٣) وابن الجوزي^(٤) وابن خلكان^(٥) وابن خلدون^(٦) وابن العميد^(٧) وابن تغري بردي^(٨) ومحمد عبدالله عنان^(٩) . وفي مخطوط كنسي اسمه (سير البيعة المقدسة) وهو ذيل لكتاب (سر الآباء البطاركة) الذي وضعه

(١) تاريخ الكرسى الاورشليمى للاقباط الارثوذكس (الشاس كامل صالح تالة الاسكندري . مخطوط .

(٢) ج ٢ ص ١٦٧

(٣) ج ٩ ص ٤٠

(٤) ج ١٣ ص ٤٠١

(٥) ج ٢ ص ١٦٦

(٦) ج ٤ ص ٦٠

(٧) طبعة نيدن . ص ٢٥٩

(٨) ج ٤ ص ١٧٨

(٩) طبعة (دار النشر الحديث) بالقاهرة . ص ٤٠ وما بعدها

النصارى ان يلبسوا الغيار ، ويشدوا الزنار ، وان يلبسوا العمام السود . والغى اعيادهم : عيد الصليب ، وعيد الغطاس ، وعيد الشعانين واعياد الشهداء . وحرّم ضرب النواقيس . وامرهم بان يعلقوا الصليبان في اعناقهم .

وحرّم على النصارى واليهود معاً ركوب الخيل . الا الحمير والبغال ، فيجوز لهم ان يركبوها شريطة ان يكون سرجها من خشب . . ولا يجوز لهم ان يستخدموا رجلاً مسلماً ، او جارية مسلمة . . وحظر على المكارية المسلمين ان يحملوا على دراهم ذمياً ، كما حظر على الملاحين المسلمين ان يحملوا في سفنهم ذمياً .

وفي سنة ٣٩٩ هـ - ١٠٠٨ م امر بهدم عدد من الكنائس ومنها (كنيسة القيامة)^(١) . وتقول الرواية الكنسية المعاصرة ان الامر الذي اصدره الحاكم يومئذ بهدم هذه الكنيسة صيغ في عبارة موجزة تقول : خرج امر الامامة اليك بهدم قيامة . فاجعل سماءها أرضاً ، وطولها عرضاً . . وتقول الرواية ان الذي كتب هذا الامر كاتب نصراني يسمى : (ابن شترين) . وان الامر ارسل يومئذ الى (بارختكين) والى الرملة (فلسطين) . فقام بتنفيذه في الحال^(٢) . فهدمت كنيسة القيامة . وأزيلت كنيسة « مار قسطنطين » التي بداخلها .

الابكار الا في عيد الاضحى . كما حرم صيد السمك الذي لا قشر له . وحرّم دخول الحمام بلا منزر . وحرّم على النساء ان يكشفن وجوههن في الطريق . كما حرّم عليهن التزين والتبرج والمشى وراء الموتى والبكاء والعيول والصباح . ومنع زيارة القبور ، وحرّم على الناس ان يخرجوا من منازلهم بعد الغروب ، وامرهم بالبقاء داخل منازلهم حتى الفجر ، وهكذا توقف البيع والشراء ليلاً . ولم يكنف بتحريم شرب الخمر ، ولكنه امر بكسر جميع الاواني التي يشرب فيها . وحظر بيع الزبيب واستيراده . كما حظر شراء مقدار من العنب يزيد على اربعة ارطال ، لئلا يستعمل في صنع النبيذ . وقد اتلف معظم الكروم ، وهاجم اماكن البغاء . واعدم جميع الكلاب (خلا كلاب الصيد) . كما امر بقتل جميع الخنازير .

والغريب في هذه الامور انه لم يكنف بالنصح والاقناع ، وردع الفاعلين بالتي هي احسن ، او بالتشهير او التغميم او الجلد او السجن . ولكنه كان احياناً يصل في قصاصه حدّ الاعدام . واغرب من ذلك ان كثيراً ما كان يلغي في غده امراً كان اصدره في امسه .

امه (اي ام الحاكم بامر الله) جارية رومية نصرانية من الطائفة المعروفة بطائفة الروم الملكية . وكان لها ايام ابية العزيز بالله بن المعز لدين الله نفوذ عظيم في الدولة . حتى انه (اي العزيز) انتدب اخاها (اريسطيس) بطركاً للملكية ببيت المقدس (٣٧٥ هـ - ٩٨٥ م) . وكان لهذه المصاهرة اثرها حيناً من الدهر في سياسة العزيز نحو النصارى من حيث التسامح الواضح والعطف الشديد . ولكن ، هذا العطف لم يستمر طويلاً . بل انقلب الى بغض . ففي سنة ٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م امر

(١) هكذا كانوا يسمون « كنيسة القيامة » في ذلك الحين . وقد ظل اسمها هذا « امم القيامة » عالقاً بها حتى اواخر العهد التركي . والسبب في هذه التسمية راجع الى ان القبر المقدس بني على الموضع الذي كانت توضع به القيامة خارج اسوار بيت المقدس ايام المسيح ، وهو نفس الموضع الذي يقول الانجيل : ان السيد المسيح قد صلب فيه « راجع معجم البلدان لياقوت » .

(٢) كتاب « الحاكم بامر الله » لـ محمد عبد الله عنان . ص ٦٩

يبيعون المناصب الكنسية) . وقال الراهب للحاكم : (انت ملك الارض . لكن للنصارى ملك لا يعاب بك ، لكثرة ما قد اكتنز من الاموال . لانه يبيع الاسقية بالمال) . وراح يعدد امام الحاكم ما كان وما لم يكن من العيوب والمثالب التي اثارت سخطه ، فاصدر امره بهدم الكنائس ومطاردة النصارى .

قال جرجي زيدان عند اشارته لهذه الحوادث في كتابه (تاريخ مصر الحديث) ج ١ ص ٢٠٨ : « ان السبب الرئيسي لهذا الاضطهاد تقدم النصارى في ايامه حتى صاروا كالوزراء . وتعاضلوا لاتساع احوالهم وكثرة اموالهم فتزايدت مكابدهم للمسلمين على عهد عيسى بن نسطوروس وفهد بن ابراهيم النصرانيين . . . وكانت هناك يومئذ حرب بين الروم والمسلمين . فخرّب الروم بعض جوامع المسلمين . فانتقم الحاكم منهم . . . » .

ويبدو ان هذه الشدة التي استعملها الحاكم بامر الله مع النصارى واليهود ، قد احدثت اثراً سيئاً في البلاد ، فراح النصارى واليهود يفرون منها الى الخارج ؛ ولهذا عاد الحاكم ، فندم . والغى (٤١١ هـ - ١٠٢٠ م) . معظم القوانين والوامر المتقدم ذكرها . واطلق للنصارى واليهود الحرية والقيام بشعائهم الدينية كما يشاءون . وسمح للنصارى بتجديد ما درس من كنائسهم وبيعهم واديارهم . ورد لهم ما اخذه منهم . ليس هذا فحسب . بل سمح للذميين الذين دخلوا في دين الاسلام كرهاً ، ان يرتدوا ويعودوا الى دينهم الاصلي . فارتد كثيرون .

ومن السجلات الدالة على اطلاق الحرية للنصارى في اقامة شعائهم واعادة كنائسهم ، سجل الى (نيقيفور) بطريرك بيت المقدس ، يؤذن فيه

وهدم الدير الملاصق لها . وكان هدمها في شهر صفر سنة ٤٠٠ هـ - ١٠١٠ م .

وقيل في تحليل السبب الذي جعل الحاكم ينقم على النصارى ، هو ان الوزراء والكتاب الذين استخلصهم للحكم من النصارى ، اسرفوا^(١) في الاستئثار بسلطانهم واستغلاها . فقد اطلقوا العنان لاهوائهم الطائفية . وقدموا النصارى في مناصب الدولة ، واقصوا عنها المسلمين . وجمع الموظفون النصارى عن هذه الطريق ثروات طائلة . واقتنوا كثيراً من الجواري والعبيد المسلمين . واكثروا من اقامة الكنائس والاديار . فبدت الاقلية النصرانية عزيزة الجانب ، وتقلص نفوذ الاكثرية المسلمة في البلاد .

واما (كنيسة القيامة) التي امر الحاكم بهدمها ، فقد ذكر المؤرخون لها سببين ؛ احدهما : ما وصل الى علمه عن الصلوات والادعية الدينية والشعائر التي اعتبرت شبيهة بالوثنية^(٢) وهي مثيرة ؛ وما يقبها من مواكب دينية صاخبة ، يضج فيها النصارى بالصلوات والادعية ويرفعون الصلبان الضخمة . ولا سيما في ايام الفصح وفي عيد الشعانين . وتقول الرواية الكنسية المعاصرة^(٣) : (ان راهباً قبطياً يدعى يونس نقم على البطريرك زخاريا ، لانه لم يرسمه اسقفاً . فتقدم الى الحاكم . ووصف له ما يتمتع به الاحبار النصارى من النفوذ والجاه ومظاهر السلطان والعظمة والثراء . وكونهم

(١) (الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية) لمحمد عبد الله عنان ص ٧٥

(٢) تاريخ الانطاكي ص ١٩٦

(٣) المخطط الكنسي المسمى (سير البيعة المقدسة) وهو ، كما سبق وقلنا ، ذيل للكتاب الذي وضعه الاسقف ساويرس بن المقفع بعنوان (سير الاباء البطارقة) . وكتاب (الحاكم بامر الله) لمحمد عبد الله عنان ص ٦٩

من الرجال الذين نشأوا في ذلك الزمان رجل يدعى (حمزة بن علي الزوزني) . ذكره المؤرخون فقالوا انه هو مؤسس المذهب الدرزي . وقد اعتبروا ما كتبه^(١) (انجيلا) للدعوة الاحادية التي كان يبشر بها ، والتي تقوم على الاعتقاد بالوهية الحاكم .

وكان لحمزة بن علي هذا زميلان ساعداه في نشر الدعوة . وهما : محمد بن اسماعيل (او انوشتكين) والحسن الفرغاني الملقب بالآخرم . بدأوا في نشر دعوتهم بصر . ولما طوردوا نزلوا الشام . وفي الشام نشروا دعوتهم . فكانت اصل المذهب الذي يعتنقه الدروز في يومنا هذا . ويدعو حمزة في رسائله للتبرؤ من جميع الاديان الاولى . ويدعو الناس لدينه الجديد . واهم ركن من اركان هذا الدين هو تأليه الحاكم بامر الله . وكان نسخ محمد الشرائع التي سبقته ، فان للحاكم الحق في ان ينسخ شريعة محمد . . ومن هنا جاءت مطاردته لاحكام الدين الاسلامي . ولكن دعوته بقيت محصورة في طائفة محدودة من الناس .

وفي زمنه^(٢) ثار (المفرج الطائي) مرة اخرى على الدولة الفاطمية . فنزل على الرملة (٩٩٦هـ - ٩٩٦م) . ونهب اهلها . فأنفذ اليه ارجوان وصي الحاكم (جيش ابن الصمصامة بن عليان) فحاربه . واسترد الرملة منه . وهرب المفرج الطائي من بين يديه . ثم ثار ثانية فملك الرملة ، وما والاها . فخشي الحاكم عاقبة الامر . فارسل يسترضيه وابنه حسانا . فاصطلح الفريقان . ولكن الحاكم عاد فغدر بالاثنيين . وازاح حسانا وابنه المفرج وعشيرتهما عن اراضي الرملة . واخذ ما كان لها فيها من الحصون . ونهب اموالها . ثم امنها على

باقامة الصلاة في عرصة كنيسة القيامة واطلاها . وقد اصدر بعدئذ امره بتعمير الكنيسة المذكورة . وفي قول انه امر بتعميرها من ماله الخاص . ولكنه قضى قبل ان تعمّر . وقد أعيد بناؤها في عهد المستنصر بالله . ولم يقتصر ظلمه على النصارى واليهود بل تعداه للمسلمين ايضا . ولاختلاف المذهب بين الحاكم ورعاياه دخل كبير في ذلك . انظر مثلا : فقد حدثنا المؤرخون ومنهم المقرئ^(١) ان الحاكم امر (٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م) بسب ابي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعأوية وغيرهم من الصحابة^(٢) . انه لم يفعل ذلك سرا . بل امر بان تكتب اسماء هذا الرعيل من السلف الصالح - مقرونة باللعنات - على ابواب المساجد ، وعلى ابواب الخوانيت والدور والمقابر . ولما ضج الشعب لهذا الاجراء المثير ، تراجع الحاكم وامر بالغناء المرسوم (٣٩٧ هـ - ١٠٠٦ م) . وامر بحوكل ما كتب على المساجد والدور والقبور .

وفي بعض الروايات انه حاول ان يعدل بعض الاحكام الجوهرية للدين الاسلامي : كالصلاة والصوم . ولكن لم يرد دليل قطعي على انه عدلها . وان كان ورد دليل على انه الغى صلاة الجمعة في رمضان والعيدين . وقد الغى الزكاة والحج .

لسنا نريد ان نذهب الى بعيد في تحليل العقيدة الدينية التي كان يعتنقها الحاكم بامر الله . ولكن لا بد لنا من اشارة خاطفة الى (المذهب الدرزي) الذي وضعت أسسه في تلك البرهة المليئة بالمفاجآت من الدهر . فنقول :

(١) هناك في دار الكتب المصرية طائفة من الوثائق الخطية

كتبت بين سنتي ٤٠٨ و ٤٠٩ للهجرة (١٠١٧م) . واهم

هذه المخطوطات هو المخطوط الذي يحمل رقم ١٣٣ .

(٢) (تاريخ فلسطين) لعمر الصالح البرغوثي وخيل طوطح .

(١) المقرئ ج ٤ ص ٧٣ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ .

(٢) (الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية) محمد عبدالله

عنان . ص ٧٦ .

الفريقان . فعاد الحسن بن جعفر الى مكة . وعاد الحاكم ، فبسط سيادته على هذه البلاد .

وانك لواجد الخبر اليقين عن هذه المعارك التي وقعت في فلسطين ايام الحاكم بامر الله في نهاية الارب (ج ٢٦ ص ٥٦) والانطاكي (ص ٢٠١) والمقرزي (ج ٣ ص ٢٥٥) وابن خلدون (ج ٤ ص ٥٧) والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٢٢٢) والحاكم بامر الله (ص ١٠٢) .

٦ - وتولى الخلافة الفاطمية الظاهر لاغاز دين الله بعد ابيه الحاكم بامر الله . وسيطر الظاهر على هذه البقعة من الارض من سنة ٤١١ الى ٤٢٧ هـ (١٠٢٠ - ١٠٣٥ م) . وفي عهده توفي محمد بن ابراهيم بن محمد ابو الفتح الطرسوسي المجاهد في سبيل الله . استوطن بيت المقدس بنية الرباط ، وتوفي به (٤٠٨ هـ - ١٠١٧ م) .

٧ - من الحوادث التي وقعت في القدس على عهد الظاهر لاغاز دين الله ، ان النصارى تمتعوا بحريتهم الدينية على مقياس واسع . فسمح للذين غيروا معتقدهم على عهد ابيه الحاكم بامر الله ان يرجعوا الى حظيرة دينهم القديم . واعيد بناء الكنيسة المتهمة . ولقد تم ذلك عملاً بالهدنة التي عقدت مع الروم (٤١٨ هـ - ١٠٢٧ م) . اذ اعاد الروم بناء جامع القسطنطينية ، واعاد هو بناء كنيسة القيامة . قال الانطاكي (٢) ان الظاهر شرع في بناء سور القدس . وخرب المتولون لعمله كنائس كثيرة في ظاهر المدينة واخذوا حجارتها الى الاسوار . وحدث زلزال كبير على عهده .

وفي خلافة الحاكم بامر الله الفاطمي زلزلت

حياتها . فاستسلموا . وبعد ان اكرمها وضع للمفرج . من دس له السم . فمات . وظن الحاكم انه ارتاح منه . غير ان ولده حسانا قام (٤٠٢ هـ - ١٠١١ م) يثار . وعقد حلفاً مع (صالح بن مرداس) امير بني كلاب (وسنان بن عليان) امير الشام ؛ على ان تكون البلاد :

آ (من حلب الى عانه - لصالح بن مرداس
ب (دمشق وملحقاتها - لسنان بن عليان
ج (من فلسطين الى مصر - لحسان بن مفرج الطائي

وقد استغاث به (اي بحسان بن مفرج) آل المغربي ، وكبيرهم أبو الحسن بن علي المغربي . وكان هذا قد خدم العزيز وزيراً في الشام . ولكن الحاكم في فورة من فوراته الفجائية غضب عليه وعلى ولده محمد ؛ ففضى عليها واستطاع ولده الثاني ابو القاسم ان ينجو بنفسه . ففر من الشام . واستغاث بحسان . وكان هذا قد ارتفع الى مقام الزعامة : لا ، لاسرة الجراح وحدها ؛ بل لفلسطين كلها . وكان آل الجراح من ألد الخصوم للدولة الفاطمية .

فثار حسان . وزحف على الرملة . واستولى عليها . وقتل حاكما . واستدعى حسان وعثرته آل الجراح ، وصالح بن مرداس امير بني كلاب ، وسنان بن هليان امير الشام ؛ استدعوا (الحسن بن جعفر الحسني) امير الحرمين . فنادوا به خليفة علوياً مكان الحاكم . وسمي الحسن (امير المؤمنين الراشد لدين الله) . ودخلت القدس يومئذ في طاعته .

وبعث الحاكم جنده الى فلسطين . يقودهم (يارتكين) العزيزي . الا ان بني الجراح تقووا عليهم . وبسطوا نفوذهم على جنوب الشام كله . وبعد ذلك اصطلح

(١) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٣

(٢) يحيى بن سعيد بن يحيى (٤٠٥ هـ) مؤلف كتاب (تاريخ الذيل) تمة ابن البطريق

الارض (٨٤٠٧ - ١٠١٦ م) . فسقطت على أثرها بعض اجزاء القبة الكبيرة في مسجد الصخرة وقسم كبير من سور الحرم . فرمت في خلافة ولده الظاهر لاعزاز دين الله (٤١٣ هـ - ١٠٢٢ م) . وكانت يومئذ مغطاة بالرصاص من الخارج وبالفيسفاس من الداخل . وقد تم تعميمها على يد (علي بن أحمد) المنقوش اسمه على الاخشاب المصققة في صدغ الدهليز الذي في رقبة القبة . وقيل^(١) ان الحاكم بأمر الله نفسه هو الذي قام بتعميرها يومئذ . فاصلح القبة القديمة وضرب عليها قبة اخرى من الخشب لتقيها من عبث الامطار وتأثير الاجواء .

٨ - وفي زمن الخليفة المستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله (٤٢٧ هـ - ١٠٣٦ م) اتسع سلطان الفاطميين ، وامتد من المغرب ومصر الى خراسان وفارس . ثم عاد ينكمش . وعلى عهده كثرت الزلازل في مصر والشام (٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م) . فانتلم سور القدس . وانشقت الصخرة .

وفي سنة ٤٥٨ هـ - ١٠٦٦ م امر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بتجديد الواجهة الشمالية للمسجد الاقصى وسجل هذا التجديد في كتابة كوفية حفرت بالحجر باعلى الواجهة الشمالية للرواق الاوسط هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب . امر بعمل هذا الوجه مولانا وسيدنا معد ابي تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى سلفه وخلفه ، في نظر الامير الاجل الاعز علم الملك نصر الدولة ذي الفضيلتين . وجرى ذلك على يد الفاضل ابي الحسين

(١) (الرحلة الحجازية) محمد لبيب البتوني . طبع بمصر . ١٦٣

عبد الرحمن بن الحسن بن علي الانصاري المعروف بالاجوف سنة ثمان وخمسين واربعائة » .

ظل الكثير من بناء الظاهر قائماً الى ما قبل التعميرات التي تمت في السنين الاخيرة .

مثلاً فيما يعلو العقود التي تحمل القبة ، والفيسفاس المذهبة التي ما زالت موجودة الى الآن ، والرواق الاوسط باعمده ، وما يعلوها ، وبعض الاعمدة والعقود في القسم الشرقي . والمرجح ان مساحة المسجد من الداخل ايام الظاهر هي نفس مساحته الحالية اي ٨٠ متراً طولاً و ٥٥ متراً عرضاً .

وفي ١٠ محرم سنة ٤٢٥ هـ (١٠ كانون الاول ١٠٣٣ م) حدث زلزال آخر . فخرّب المسجد الاقصى الذي عمره المهدي خراباً ظاهراً . فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله في السنة التالية (١٠٣٤ م) مبقياً ما امكن ابقاؤه من البناء السابق . ولم يغير من تخطيطه العباسي سوى تضييقه من الشرق والغرب بحذف اربعة اروقة من كل جانب . فاصبح يكتنف الرواق الاوسط الكبير ثلاثة اروقة فقط من كل جانب . والمعتقد ان القبة الحالية والابواب السبعة التي في شمال المسجد هي من صنع الظاهر لاعزاز دين الله . وتحتوي الفيسفاس الذهبية التي تحلّي الواجهة الشمالية للعقد الذي يحمل القبة كتابة^(١) بالخط الكوفي تشير الى ذلك التجديد هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذي اسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله . جدد عمارته مولانا على أبو

(١) اكتشف المهندسون هذه الكتابة اثناء قيامهم بالتعميرات التي جرت في الاقصى سنة ١٩٢٥ . اقرأ ما كتبناه عن تلك التعميرات في كتابنا : (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك) .

وطبرية وما بعدها حتى دمشق . ثم تحول الى مصر في ٢٠ ألف مقاتل . وعسكر بالقرب من القاهرة . فصالحه بدر الجمالي على ١٥٠ ألف دينار ، يدفعها له بعد خروجه من مصر . ثم هاجمه وتغلب عليه . وخسر التركمان على اثر تلك المعركة جميع البلاد التي افتتحوها في سوريا . فدخلت في حوزة الخليفة المستنصر . ومات بدر الجمالي في مصر (٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م) بعد ان حكم فيها عشرين سنة . وبعده ببضعة ايام توفي الخليفة المستنصر .

١٢ - من المعاهد التي كان لها شأن عظيم في القرنين الرابع والخامس الهجري (دار العلم الفاطمية) بيت المقدس^(١) . وكانت هذه الدار فرعاً لدار العلم الفاطمية التي اسسها في القاهرة الحاكم بامر الله (٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م) .

١٣ - ان احسن وصف لمدينة القدس ، على عهد الخلفاء الفاطميين ، نجده في كتاب (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للمقدسي^(٢) . فقد كانت فلسطين

(١) (المعاهد المصرية في بيت المقدس) للاستاذ احمد سامح الخالدي ص ٤

(٢) شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر الملقب بالمقدسي . ولد في بيت المقدس (سنة ٥٣٦ هـ - ١١٤٦ م) . وهو ينتمي الى اسرة البشاري التي استوطنت بيت المقدس منذ الفتح الاسلامي . امه تنتمي الى اسرة اصلها من (بيار) في ولاية جرجان من بلاد الفرس . التقط حب البناء من جده لايه ابي بكر . اذ كان هذا معمارياً ماهراً . وكان ضليعاً في العلوم الدينية والقضائية ، وفي الجغرافيا والشؤون الاقتصادية والتجارية . وعندما بلغ العشرين من عمره حج الى بيت الله الحرام . ولم يكتب كتابه الذي ذكرناه في الاسطر المتقدمة والذي يزعم تقدمه من الجغرافيين العرب ، الا بعد ان بلغ الاربعين من عمره . وكان قد جاب البلاد والامصار ، ودرس الطبائع والاحوال . كان كاتباً وشاعراً من طراز عال .

الحسن الامام الظاهر لاعزاز دين الله امير المؤمنين ابن الحاكم بامر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الاكرمين ، على يد ابي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اثابه الله ، وتولى ذلك الشريف ابو القاسم ابن ابي الحسن الحسين سنة ٤٢٧ هـ اعانه الله .

٩ - وتوفي (٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م) احمد بن محمد بن عقيل الشهر زوري الامام الفاضل والاديب الشاعر . توفي في القدس ودفن فيها^(١) . ومن شعره :

واحسرتا مات حظي من قلوبكم
وللحظوظ كما للناس آجال

١٠ - كان المستنصر ضعيفاً^(٢) . فقويت شوكة الاتراك في زمنه (٤٥٩ هـ - ١٠٦٦ م) . وراحت البلاد نهياً مقسماً بين الاتراك والعبيد . فكتب الى بدر الجمالي صاحب الشام يطلب منه ان يأتي بجيشه الى مصر ليوليها عليها . فقبل هذا مشروطاً ان يستبدل جنود مصر بمن يختارهم من اهل الشام . وسافر من سوريا الى عكا براً ، ومنها الى مصر بجرأ (٤٦٧ هـ - ١٠٧٤ م) . ففضى على امراء المستنصر . فقلده هذا وزارة السيف والقلم ، ولقبه (امير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين) . وعادت سطوة الخليفة السياسية والدينية الى الديار المصرية .

١١ - اغتتم الامير^(٣) اتسز بن اوق اغوارومي احد الامراء التركمانين غياب بدر الجمالي عن سوريا ، فقدم اليها غازياً ؛ فاستولى على بيت المقدس^(٤)

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٨١
(٢) تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ج ١ ص ٢٢٥
(٣) تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ج ١ ص ٢٢٧
(٤) في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٨٧ ان اتسز بن اوق دخل القدس سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م

على عهده جزءاً من الشام . وكانت الشام يومئذ مقسمة الى ستة ألوية^(١) هي :

١ - قنسرين - عاصمتها حلب (ومن أعمالها انطاكية ومرعش واسكندرونه وحماه ومعرة النعمان)

٢ - حمص - عاصمتها حمص (ومن أعمالها السامية وتدمر واللاذقية وجبلة)

٣ - دمشق - عاصمتها دمشق (ومن أعمالها الغوطة وبانياس وحوران والجولان والحولة والبقاع)

٤ - الاردن - عاصمتها طبرية (ومن أعمالها عكا وصور واللجون ودرعا وبيسان)

٥ - فلسطين - عاصمتها الرملة (ومن أعمالها بيت المقدس وبيت جبرين وغزة وعسقلان ويافا وارسوف وقيصرية ونابلس واريحا وعمان)

٦ - الشراة - عاصمتها صفار (ومن أعمالها مؤاب وتبوك ومدين ومعان)

وصف المقدسي جميع هذه المدن . ولما جاء الى ذكر بيت المقدس^(٢) ، قال :

« بيت المقدس ليس في مدائن الكور اكبر منها . لا شديدة البرد ، وليس بها حر ، وقل ما يقع بها الثلج . سألني ابن قاضي الحرمين عن الهواء بها فقلت : « مهيج ، لا حر ولا برد شديد . قال : هذه صفة الجنة . بنيناها حجير ، لا ترى احسن منه ، ولا اقنن من بنائها ، ولا اعف من اهلها ، ولا اطيب من العيش بها ، ولا انظف من اسواقها ، ولا اكبر من مسجدها ، ولا اكثر من مشاهدتها . غلبها خطير ، وليس لمعنتها نظير . وفيها كل حاذق وطبيب .

(١) جمع (لواء) وهو ما نسميه اليوم بالمنطقة او الكور كما قال المقدسي نفسه في كتابه .

(٢) (احسن التفسير في معرفة الاقاييم) ص ١٦٥

واليها قلب كل لبيب . ولا تخلو كل يوم من غريب .

« كنت يوماً في مجلس القاضي المختار ، ابي يحيى ابن بهرام بالبصرة . فجرى ذكر مصر . الى ان سئلت : اي بلد اجل . قلت بلدنا . قيل : فايها اكثر خيرات . قلت : بلدنا . قيل : فايها اكبر . قلت بلدنا . فتعجب اهل المجلس من ذلك . وقيل : انت رجل محصل . فقد ادعيت ما لا يقبل منك . وما مثلك الا كصاحب الناقة مع الحجاج . قلت : اما قولي اجل ، فلانها بلدة جمعت الدنيا والآخرة . فمن كان من ابناء الدنيا واراد الآخرة وجد سوقها . ومن كان من ابناء الآخرة فدعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها . واما طيب الهواء فانه لاسم لبردها ولاذى لحرها . واما الحسن فلا ترى احسن من بنائها ، ولا انظف منها ، ولا ائزه من مسجدها . واما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال ، والاشياء المتضادة كاللازجة واللوز والرطب والجوز والتين والموز . واما الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر واليه المنتشر . وانما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي ﷺ ، ويوم القيامة ترفان اليها فتحوي الفضل كله . واما الكبر فالخلافتي كلهم يحشرون اليها . فاي ارض اوسع منها . فاستحسنوا ذلك ، واقرؤا به .

« إلا ان لها عيوباً عدة . يقال ان في التوراة مكتوب : (بيت المقدس طشت من ذهب مليء بالعقارب^(١)) . ثم لا ترى اقذر من حماماتها . ولا اثقل مؤنة . قليلة العلماء . كثيرة النصارى . وفيهم جفاء . . ضرائب ثقال على ما يبيع رجاله على

(١) جاء في (انحاء الاخصا) ص ٦١ عن صفوان بن عمرانه قال : - قال الفقيه ابو المعالي المشرف - : « ويعني بالعقارب بني اسرائيل الذين كانوا يعملون فيه بجماعي الله تعالى حتى عمهم من البلاء ما عمهم » .

الأبواب . فلا يمكن احداً ان يبيع شيئاً مما يرتفق به الناس الا بها مع قلة يسار . وليس للمظلوم انصار . والمستور مهموم . والغني محسود . والفقيه مهجور . والاديب غير مشهود . لا مجلس نظر ولا تدريس . قد غلب عليها النصارى واليهود . وخلا المسجد من الجماعات والمجالس . وهي اصغر من مكة واكبر من المدينة .

«عليها حصن بعضه على جبل وعلى بقيته خندق . ولها ثمانية ابواب حديد : باب صهيون ، باب التيه ، باب البلاط ، باب جب ارميا ، باب سلوان ، باب اريحا ، باب العمود ، باب محراب داود . الماء بها واسع . ويقال ليس ببית المقدس احسن من الماء والأذان . قل دار ليس بها صهريج واكثر . وبها ثلاث برك عظيمة : بركة بني اسرائيل ، بركة سليمان ، بركة عياض . حماماتهم لها دواع من الازقة . وفي المسجد عشرون جباً متبجرة . وقل حارة الا وفيها جب مسبل . غير ان مياهها من الازقة . وقد عمد الى واد فجعل بركتان يجتمع اليها السيول في الشتاء . وشق منهما قناة الى البلد تدخل وقت الربيع ، فتملاً صهاريج الجامع وغيرها .»

١٤ -- وصف المقدسي مسجد الصخرة . فقال : ان قبته مكونة من ثلاثة اقسام : الاول من الواح مزوقة . والثاني من اعمدة حديدية شبكت لثلاث تملها الرياح . والثالث من خشب عليه الصفائح . وفي وسطها طريق الى عند القضبان الحديدية يصعداها الصناع لتفقدتها وترميمها . فاذا بزغت الشمس على القبة اشرفت . وتلألأت المنطقة . ورأيت شيئاً عجيباً .»

ومضى المقدسي في وصفه يقول : « ان مسجد الصخرة بناء مستدير . تعلوه قبة مرتكزة على منطقة محاطة بست عشرة نافذة . محمولة على اربعة

وبعد ان وصف المسجد الاقصى وصفاً دقيقاً ، قال (١) :

«سلوان محلة في ربض المدينة تحتها عين عذيبية تسقي جناتاً عظيمة . اوقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد . تحتها بئر ايوب . ويزعمون ان ماء زمزم يزور ماء هذه العين ليلة عرفة . وادي جهنم على قرنة المسجد الى آخره قبل الشرق . فيه بساين وكروم وكنائس ومغائر وصوامع ومقابر وعجائب ومزارع . في وسطه كنيسة على قبر مريم . ويشرف عليه مقابر فيها شداد بن اوس الخزرجي ، وعبادة بن الصامت . وجبل زيتا مطل على المسجد

ومضى المقدسي في وصفه يقول : « ان مسجد الصخرة بناء مستدير . تعلوه قبة مرتكزة على منطقة محاطة بست عشرة نافذة . محمولة على اربعة

(١) ذكرنا مقالته المقدسي عن المسجد الاقصى في كتابنا : (تاريخ الحرم القدسي) .

(١٠٥٢ م). وقد عرج خلالها على بيت المقدس (٤٣٨ هـ - ١٠٤٧ م). ثم رجع إليها مرة أخرى. فوصفها وصفاً دقيقاً. وانا لذاكرون فيما يلي ببعض ما قاله عنها^(١):

« دخلت بيت المقدس في اليوم الخامس من شهر رمضان سنة ٤٣٨ هـ - ١٠٤٧ م. فاكون قد قضيت سنة كاملة في الطريق منذ غادرت بلدي بلخ. وكان سفري متواصلاً، لم استرح من عنائه إلا هنا. ان السوريين وسكان البلاد المجاورة يسمون هذه المدينة: (بيت المقدس) او (البيت المقدس). ويسموننا ايضاً (القدس). وكثيراً ما يحج هؤلاء اليها عندما لا تتيسر لهم وسائل الحج الى مكة، ويشبعون فيها رغباتهم الدينية. فيضحون فيها الضحايا، ويتقربون الى الله بالصلاة والعبادة. ويصل عدد الحجاج في بعض الاعوام الى عشرين الف. وكثيراً ما يأتي هؤلاء معهم باطفالهم ليختننهم بين جدرانها وبالقرب من مساجدها.

« ان القرى والارياف الكائنة حول بيت المقدس راقعة على سفوح الجبال. والاراضي مزروعة زرعاً جيداً. ينبت فيها القمح والبن والزيتون. كما ينبت فيها انواع كثيرة من الاشجار. ورغم انه لا يوجد بالقرب منها عيون جارية، فان الحصاب في زروعها كثير الوقوع. والاسعار معتدلة، وكثير من الرؤساء يملك الواحد منهم ١٦٨٠٠ غالوناً

شرق هذا الوادي، على رأسه مسجد لعمر نزله ايام فتح البلد، وكنيسة على الموضع الذي صعد منه عيسى (ع)، وموضع يسمونه الساهرة. وحدثني عن ابن عباس ان الساهرة هي ارض القيامة: بيضاء لم يسفك عليها دم.

وفي مكان آخر من كتابه^(٢) قال:

« سكان بيت المقدس كلهم شيعة. ولا ماء فيه للمعتزلة. وانما هم في خفية. ولا ترى به مالكيّاً ولا داودياً. ولاصحاب ابي حنيفة بالمسجد الاقصى يجلس ذكر يقرؤون في دفتر. وكذلك الكرامية في خوانقهم. والتجارات به مفيدة. يرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزبيب والخروب والملاحم والصابون. ومن بيت المقدس الجبن والقطن والزبيب العيونوني والتفاح وقضم قريش الذي لانظير له والمرايا وقذور القناديل والابر.

١٥ - وهناك وصف آخر لمدينة القدس، على عهد الفاطميين، في (سفرنامه). ذلك السفر الممتع الذي ألفه (ناصر بن خسرو)^(٣). وقد دوت فيه انباء الرحلة التي قام بها من وطنه ايران، الى بلاد الحجاز، والتي دامت قرابة سبع سنين (١٠٤٥ -

(١) ص ١٧٩ - ١٨٢

(٢) ابو معين ناصري بن خسرو. ولد في قرية من اعمال بلخ سنة ٥٣٩٤ - ١٠٠٣ م. وقيل انه يرجع في نسبه الى الامام علي. كان يشغل منصباً ادارياً هاماً في ولاية خراسان من اعمال الدولة السلجوقية. قضى ناصري خسرو، حسب اعترافه، معظم حياته مدمناً الخمر، وفيما كان يتجول في يوم من الايام، بين بلخ والمرو متفقداً شؤون المنطقة التي عهد اليه بافائها، رأى في لومه شجراً وكان هذا الشجر كان يؤنبه لاستهواره واكثره من شرب الخمر. فما كاد يفيق من نومه حتى تاب. واعتزم السفر الى بلاد الحجاز، ليحج. وما هي الا عشية او ضحاها حتى استقال من منصبه، وغادر وطنه ميماً شطر الحجاز. وفي طريقه اليها عرج على بيت المقدس. وقد رافقه في رحلته هذه اخوه وعبيده الهندي.

(١) ننقل هذا الكلام عن النسخة الانجليزية المترجمة عن الاصل الفارسي. وقد ترجمها غاي لوسترينج Guy Le Strange في كتابه الذي اسماه:

Diary of a Journey through Syria & Palestine
وقد طبع في لندن عام ١٨٩٦

« وفيه امكنة يأتي الناس اليها للصلاة والدعاء الى الله كي يقضي حاجتهم ... وبين المسجد والسهل واد كبير وعميق . وفي بطن الوادي ضرائح كثيرة ، ومقامات بنيت على الطراز القديم ، ومنها (طنطور فرعون^(١)) . وهذا الوادي يسمونه (وادي جهنم) . ولقد قيل لي ان السبب في تسميته بهذا الاسم ان جيوش المسلمين كانت في الفتح الاسلامي معسكرة في سهل الساهرة ، وانه لما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطل من هذا السهل على الوادي قال :

« حقاً ان هذا هو وادي جهنم .. » ويعتقد العوام انك اذا وقفت على جانب من جوانب هذا الوادي ، سمعت صراخ اولئك الذين يعذبون في جهنم . ولكنني لم اسمع شيئاً ! .

« وعلى بعد نصف فرسخ من المدينة الى الجنوب ، وفي اسفل الوادي ، تجد عينا من الماء تنبع من الصخر وتسمى (عين سلوان) . وحول العين ابنية عديدة . والماء يجري بانحدار من تلك العين الى القرية حيث يقوم عدد كبير من المنازل والبساتين . ويقال ان من يغتسل بماء هذه العين من رأسه الى اخمص قدميه يشفى من اوجاعه ، حتى ومن الامراض المزمنة .

« وفي المدينة بيارستان^(٢) بديع جداً . وينفق على هذا البيارستان مبالغ طائلة تأتي عن طريق البر والاحسان . ويعالج فيه عدد كبير من المرضى . والاطباء يتقاضون راتباً مقطوعاً . »

ثم وصف المسجد الاقصى والصخرة وصفاً دقيقاً . ذكرناه في كتابنا : (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك) .

(١) قبر ابيشالوم .

(٢) انه اول مستشفى اسس في بيت المقدس ، وهو من المعاهد الكبرى التي اسسها الفاطميون في هذه البلاد (المعاهد المصرية في بيت المقدس للاستاذ احمد سامح الخالدي ص ٥) .

من زيت الزيتون^(١) . والزيت يحفظ في الابار والاحواض ، ويصدرونه الى البلاد الاخرى .

« القدس مدينة قائمة على تلال . تعيش على مياه الأمطار . ليس فيها ينابيع جارية وانما تكثر هذه في القرى المجاورة . يحيط بالمدينة سور منيع من الحجارة . وللور ابواب حديدية . ليس فيها اشجار ، اذ انها مبنية على الصخر .

« القدس مدينة عظيمة جداً ، يقطن فيها عشرون الفا من السكان . فيها ابنية عالية واسواق جميلة ، ومبينة ببناء متقناً ونظيفة . اسواقها كلها مرصوفة بالبلاط . ولقد ازالوا التلال والمرتفعات ، فجعلوها منبسطة بحيث يتمكنون من تنظيف المكان كله بسهولة كلما هطل المطر .

« فيها صناع كثيرون . ولكل صنعة سوق خاص بها . والمسجد قائم في الحي الشرقي الى الجنوب من المدينة ، بحيث يؤلف القسم الشرقي لسور المدينة سور المسجد ايضاً . وعندما تخرج من المسجد ، ترى امامك سهلاً فسيحاً منبسطة يسمونه : (الساهرة^(٢)) . وعلى حدود هذا السهل تقوم مقبرة كبيرة .

(١) ورنث هذه الرواية في كتاب (رواد الشرق العربي) لمؤلفه الاستاذ نقولا زيادة ، ص ٦٦ به الشكل الاتي . « يبلغ الدخل السوي لبعض كبار المثرين نحواً من خمسين الف من زيت الزيتون (يقابل ٤٢٠٠ تنكة) . ويستعمل القار المجموع من مياه البحر الميت في طلاء الاجزاء السفلى من الاشجار ، لحفظها من الديدان . ويستعمله الصيادلة لاجل المحافظة على العقاقير من الحشرات » .

(٢) يقول المترجم ص ٢٤ ان هذا الاسم ورد في بعض النسخ غلطاً (السامرة) . وان الاصل هو (الساهرة) اي السهل ، وهو المكان المنبسط الذي يؤلف القسم الشمالي من جبل الزيتون . كنا نريد لتعليق قوله هذا بانه يقصد السهل الفسيح الكائن غربي جبل الزيتون لاشماليه . وهو الى الشمال من السور ، حيث يقوم الان حي باب الساهرة . لولا انه بحث في السطور الاخرى عن واد عميق يفصل بين المسجد والسهل . وليس ثمة واد عميق سوى وادي جهنم الذي يفصل بين السور والطور .

القدس في عهد السلجوقيين

وكان جيشه لا يقل عن اربعمئة الف مقاتل .
ثم استولى الب ارسلان على القدس (٥٤٦٥ هـ -
١٠٧٢ م) والرملة . اخذها من خلفاء مصر
الفاطميين . وخطب للقائم العباسي . واتسع ملكه
حتى امتد من الصين شرقاً الى اقصى اليمن في الجنوب .
من رجال القدس الذين اشتهروا ، على عهد الب
ارسلان ، سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسي .
وكان يكنى بابي الفتح . ولد بالقدس^(١) سنة
٥٤٤٢ هـ - ١٠٥٠ م وتفق على الفقيه نصر المقدسي
(استاذ الغزالي) حتى برع في الفقه . كان من
المؤلفين . وروى عنه الكثيرون .

٤ - ولما مات الب ارسلان تولى الملك ولده
جلال الدولة ابو الفتح **محمد ملك شاه** ، ولقب
بالسلطان العادل .

وعلى عهده ثار المقدسيون على حاكمهم (٥٤٧٠ هـ -
١٠٧٧ م) . فأرسل عليهم جيشاً بقيادة قائده
(آتسز بن اوق) الخوارزمي . فحاصر هذا
المدينة ، وكان فيها عسكر مصري ، ففتحها عنوة ،
ونهبها ، وقتل اهلها ؛ حتى انه لم ينج منهم من احتسى
بالمسجد الاقصى ، ولكنه كف عن عاذ بالصخرة^(٢) .

جاء في تاريخ^(٣) غزة (انه عندما اغار على
القدس قتل من سكانها ثلاثة آلاف انسان . ونهب

السلجوقيون اخلاط من الترك . انهم اصل
الأتراك العثمانيين . كان في مقدمتهم رجل يقال له
(دقاق^(١)) . وهذا انجب (سلجوق) . وقد اسلم
سلجوق ، وعاش في انحاء بخارى . وكان يغزو
الترك . ولما توفي ترك ثلاثة اولاد : ارسلان وميكائيل
وموسى . وخلف ميكائيل بيغو وطفغرل واينال
وجفرى وداود .

٢ - عظم امر **طفغرل بك** من هؤلاء الامراء ،
وكان شجاعاً ؛ فملك جرجان ، وطبرستان ،
وخوارزم ، وهذان ، والدينور . وهادنه ملك
الروم . فعمر مسجد القسطنطينية ، واقام فيه الصلاة
والخطبة لطفغرل بك . ثم دخل بغداد (٥٤٤٧ هـ -
١٠٥٥ م)^(٢) . ولقب بالسلطان ركن الدين ابى طالب
محمد طفغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق .

كان في بغداد يومئذ الخليفة العباسي القائم بامر
الله ، فأبقاه . ولكنه قبض على الملك الرحيم ابى
نصر وعلى قواده ، وازال دولة بني بويه .

٣ - ولما توفي تولى الملك من بعده ابن اخيه عضد
الدولة ابو شجاع **محمد الب ارسلان**^(٣) بن جفرى
بك . ففتح هذا حلب ، وهزم الروم ،

(١) قال ابن الاثير في كتابه (الكامل في التاريخ) ج ٩
ص ٣٢٢ ان اسمه (تفاق)

(٢) وعلى قول ابن الاثير ٥٤٣ هـ - ١٠٤٥ م

(٣) الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق
(خطط الشام ج ١ ص ٢٦٢)

(١) « اهل العلم بين مصر وفلسطين » للاستاذ احمد سامح

الخالدي ص ٨

(٢) البرغوثي وطوطح

(٣) لفائف

فيها دولة عرفت بدولة الارتقيين (٤٧٠هـ - ١٠٧٧م).

٦ - وفي سنة ٤٨٤هـ - ١٠٩١م توفي ارتق^(١) عن ولدين :

الغازي^(٢) وسقمان^(٣). فحكما معا في بيت المقدس وسائر فلسطين وفي قسم من البلاد الواقعة غربي سوريا.

٧ - وصل عمال ملك شاه من الظلم والقسوة^(٤) الى درجة ان المسيحيين الذين كانوا يؤمنون ببيت المقدس بقصد الحج، راحوا يندبون سقوط حكومة الخلفاء العرب التي اشتهرت بتسامحها الديني ومساعدتها للمسيحيين في القيام بواجباتهم وطقوسهم الدينية. ولكن مهما يكن من امر العمال، فقد اتسعت^(٥) مملكة السلطان ملك شاه اتساعا عظيما. فاطاعته البلاد جميعها. وخطب له من حدود الصين الى الداروم من ارض الشام. واطاعته اليمن والحجاز. كانت يأخذ خراج ملك القسطنطينية كل سنة. وعمل اعمالا خيرية كثيرة.

٨ - ولما مات ملك شاه، ضببط زوجته (توكان خاتون) العسكر، وكتمت موته. ثم حلفتهم من اجل ولدها محمود. فتولى الملك من بعده. وقامت بينه وبين اخوته حروب لا نرى مجالا

(١) وعلى قول انه توفي سنة ٤٩٣هـ - ١٠٩٩م (دائرة معارف وجدي) ج ١ ص ١٤٦

(٢) كذا وردت في تاريخ مصر الحديث. وكتبها ابن ميسر في تاريخه (الغازي). ووردت في نجوم الزاهرة (ابن غازي).

(٣) كذا وردت في تاريخ مصر الحديث. وكتبها ابن ميسر في تاريخه (سكمان). وكذلك وردت في نجوم الزاهرة

(٤) The Decline & Fall of the Roman Empire Chap. 57. Gibbon

(٥) (تاريخ الدولة الاتابكية) لابن الاثير. ص ٢٣.

اموالهم، وسبى نساءهم، واستعبد احرارهم). وقال الاستاذ محمد كرد علي^(١):

كان اتسز بن اوق التركماني ظلما. حتى خلت البلاد من قاطنيتها. فساد الجوع، واشتد الغلاء حتى بيعت غرارة القمح باكثر من عشرين دينارا، وقيل بثني دينار، هذا اذا وجدت. ومنع الاذان (حيى على خير العمل). وكان يعتقل الناس، فيفقدون انفسهم بال يودونه له. ويظهر ان فعالة هذه ادت الى قيام ثورة في الشام. وان الثورة سرت الى فلسطين. وكان اتسز واصحابه تركوا اموالهم بالقدس. فوثب القاضي والشهود ومن بالقدس على اموالهم ونسائهم، فنهبوا. واستعبدوا الاحرار. فخرج اتسز من دمشق فيمن انضوى اليه، ودخل القدس، فقتل ثلاثة آلاف انسان. واجتمعى قوم بالصخرة والجامع، فقرر عليهم الاموال، لانه لم يقتلهم، واخذ مالا كثيرا. ثم سار الى الرملة فلم يجد بها احدا. ثم سار الى غزة، وقتل كل من فيها، فلم يدع عينا تطرف.

- ومن عمال ملك شاه الذين تولوا ادارة بيت المقدس الامير (ارتق بن اكسك^(٢)) التركماني. فقد كان هذا - قبل ان يتولى ادارة القدس - من بماليك^(٣) ملك شاه. عمل تحت امرته. ثم صار الى تنش. وقيل انه كان زعيما للقبائل التركمانية التي اخرجها السلجوقيون من ضواحي بحر قزوين، وساقوهم الى سوريا، فانتشروا فيها وفي فلسطين. وقد استولى على بيت المقدس^(٤) بجند السيف. واسس

(١) خطط الشام. ج ١ ص ٢٦٤

(٢) وعلى قول تغري بردى في نجوم الزاهرة ص ١٠٦ وابن خلكان ج ١ ص ٨٥ ارتق بن اكسك

(٣) (دائرة معارف وجدي) ج ١ ص ١٤٦

(٤) (تاريخ مصر الحديث) جرجي زيدان. ج ١ ص ٣٣٣

من الارتقيين . فسار إليها على رأس جيش جرار من مصر ، وكان بها - كما قدمنا - سقمان بن رائق واخوه ايل غازي وابن عمها سونج ؛ فحصر البلد ، ونصب عليها المنجانيق ، وقتلهم اربعين يوماً . وارسل اهل القدس فواطئوه على فتح الباب . وطلبوا منه الامان ، فامنهم . وفتحوا له الباب ، وخرج سكان من باب آخر . ومضى الى الرها ، ومضى اخوه ايل غازي الى بغداد .

١٠ - ظل النزاع قائماً بين الفاطميين والسلجوقيين - الفاطميون متمسكون بالخلافة العلوية والسلجوقيين يميلون الى الخلافة العباسية - الى ان باغتهم الصليبيون . فرأى هؤلاء الطريق مهيأة لاحتلال البلاد . فاحتلوها فعلاً . وطرّدوا الفريقين منها .

لذكرها هنا . غير انه لا بد من القول ان السلطان ملك شاه كان - قبل موته - قد اقطع اخاه تاج الدولة الامير قتش بن السلطان الب ارسلان مدينة دمشق واعمالها وطبرية وبيت المقدس وغيرها (٥٤٨٦ - ١٠٩٣ م) .

٩ - ولكن هذا لم يهنأ بها كثيراً . اذ ما كادت سنة ٤٨٩ هـ^(١) - ١٠٩٥ م تهل ، حتى جاء الافضل امير الجيوش من مصر الى القدس ، يسعى لتخليصها

(١) هذا ما جاء في النجوم الزاهرة . ص ٤٨٦ . وجاء في خطط الشام ج ١ ص ٢٧٣ ان امير الجيوش الافضل حاصر القدس واحتلها سنة ٤٩١ هـ - ١٠٩٦ م . وايد هذه الرواية ابن ميسر في تاريخه ص ٤٦٢ . واما ابن العبري فانه يقول (ص ٣٤٢) ان ذلك جرى سنة ٥٤٩٢ هـ وان المصريين وان نصبوا المنجنيق نيفا واربعين يوماً الا انهم تمكنوا بيت المقدس بالامان .



الباب الثالث

الحروب الصليبية

و

صلاح الدين

● القدس والحروب الصليبية

● القدس وصلاح الدين

● القدس وحفدة صلاح الدين

القدس والحروب الصليبية

٢ - فهل كان المسيحيون حقاً مضطهدين في ذلك الحين . هذا ما نريد ان نعالجه في الاسطر التالية :

قال الاستاذ رثيف ميخائيل الساعاتي^(١) :
« انصافاً للحق يجب ان نصرح بان مسيحيي فلسطين كانوا يعيشون مع المسلمين ، اخوانهم في الوطنية واللغة ، في سلام وصفاء . وكان الخلفاء يسندون الوظائف العالية الى اصحاب المواهب منهم . اما الاضطهادات التي كانت تحيق بهم في بعض فترات التاريخ ، فترجع الى شذوذ عقلية بعض الملوك الذين لم ينج المسلمون انفسهم من اذاهم . فاذا كان ملك مستبداً عاتياً ، فمن الظلم ان نقيس عليه سائر الملوك » .

وقال الاستاذ (سيد امير علي)^(٢) في الصفحة ٢٧٦ من كتابه (تاريخ العرب والتمدن الاسلامي)^(٣) :

« كان المسيحيون منذ تأسيس الدولة الاسلامية مغمورين بفيض من الكرم والتسامح ، فكانوا يؤدون مراسيمهم الدينية بالحرية التامة ، ويتمتعون بحقوقهم المدنية كاملة غير منقوصة ، ويتنقلون في انحاء

زار بيت المقدس عام ١٠٩٣ م عدد من الزائرين بينهم راهب افرنسي يدعى (بطرس الناسك) . قابل هذا الراهب بطريرك القدس سمعان ، وتحدث لاثنتان معاً حول ضرورة تخليص القدس من يد المسلمين . ولما رجع الى بلاده ، اخذ معه رسالة استغاثة من البطريرك للبابا (اوربانوس الثاني) .



البابا اوربانوس الثاني

وراح يدعو الناس لانقاذ المسيحيين في الارض المقدسة من ربقة العبودية . وانتشرت الفكرة بمساعي البابا الذي خطب معلناً ضرورة انقاذ ضريح السيد المسيح من ايدي الكفار ، ومنحهم غفراناً تاماً عن جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر . ووعد الذين يموتون فيها جنات الخلد (١٠٩٥ م) . واعفاهم من دفع الفوائد .

(١) مجلة (الراعي الصالح) الجزء السابع من ١٣٣ في ٣٠ سبتمبر ١٩٤٠ .

(٢) العضو في مجلس شورى الملك بانكلترا ومؤلف (روح الاسلام) و (القانون الاسلامي) .

(٣) ألف هذا الكتاب باللغة الانكليزية وعنوانه :

A Short History of the Saracens

وترجمه الى اللغة العربية رياض رافت . وطبع في القاهرة

١٩٣٨ .

ولقد ايد هذه الرواية (غاي لوسترينج) في مقدمة كتابه^(١) فقال: « يحذر بنا ان نعترف ان المسيحيين لم يكونوا بمضطهدين ذلك الاضطهاد الذي اتخذوه سبباً لمحلاتهم الصليبية » .

اذاً ماهي الاسباب الحقيقية للحملات الصليبية؟ يقول الروم^(٢) :

« ان الغاية الظاهرة من الحروب الصليبية تخليص الاراضي المقدسة من يد المسلمين . ولكن الصليبيين اظهروا بفعالهم ان غايتهم الحقيقية هي الاستيلاء على الاراضي المقدسة وجعلها لاتينية ، وان يلاشوا الارثوذكسية منها » .

واما السلاطين فانهم ينكرون هذا القول ، ويدحضونه بشدة ، ويقولون ان الغاية الحقيقية هي تخليص (قبر المسيح) من يد المسلمين .

ويقوم فريق آخر من هؤلاء ، فيعترف ان الغاية من الحروب الصليبية ، لاهذه ولاتلك ؛ وانما هي غاية تجارية بحتة » .

٣ - من احسن ما قيل في اسباب الحملات الصليبية القول التالي^(٣) :

« ان البابوات بعد ان وقفوا على شغف العالم الاوروبي بالثقافة العربية ، حيث كانت يترتب على الذين يريدون الوقوف على حضارة عصرهم ان يجيدوا اللغة العربية ، وللعربية فلسفة ، وفلسفتها تناقض الانجيل . وكان العرب قد سادوا العالم بالقرآن . وكاد صوت المؤذن يتغلب على صوت الناقوس . وكاد

الامبراطورية حسباً يشاؤون واينما يبتغون . ويتكاثرون مع امراء الدول الاجنبية دون لوم او تثريب ، كما كان لهم الحق في تلك الضياع والارضين . وعلى الجملة كانوا يتمتعون بكل ما يتمتع به المسلمون .

« اما مناصب الدولة فكانت مفتوحة ابوابها امامهم دون تفرقة بينهم وبين المسلمين ، باستثناء ايام الحكم المتعصبين . وكانت الكنائس والاديرة المسيحية قائمة في كل مكان . وكان الحجاج المسيحيون يؤمون القدس من كل حذب وصوب بسلام آمنين ولم يتيسر لهم ذلك الا بفضل احتلال العرب لتلك البلاد . وفي بيت المقدس الذي يحترمه معتقو الديانة الاسلامية والمسيحية ، خصص حي كامل لسكنى البطريرك والكهنة (١٠٦٣ - ١١١٠ م) .

ولكن بعض المتوسمين من الحجاج لم يكونوا ليخففوا من غلوئهم ومعتقدهم ان المسيحيين مظلومون . وكانوا ينظرون الى بقاء المسلمين في القدس بعين البغض والاستنكار . وكانوا يعودون الى بلادهم وقلوبهم مملوءة بالحسد والحقد » .
من هنا نشأت الحروب الصليبية .

وعندما وصف المقدسي (بيت المقدس^(١)) في اثناء رحلته قال عنها ما يأتي : « حيثما ذهبت وجدت اليهود والنصارى اصحاب الكلمة العليا » . والمقدسي كما هو معروف ، زار بيت المقدس (٩٨٥ م) قبل الحروب الصليبية (١٠٩٣ م) . بقرن او يزيد . وروايته هذه تدل على ان النصارى كانوا يومئذ معززين غير مضطهدين . وهذا يناقض السبب الذي اختلق بعدئذ لاجل القيام بالحملة الصليبية على بيت المقدس .

(١) "Description of Syria including Palestine" by Guy Le Strange

(٢) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية . ص ٧١ - ٧٢

(٣) (المستشرقون) لتجيب العقيقي وهولباني . ص ٤٢ - ٤٥ . طبع ببيروت ١٩٣٧ .

(١) اقرا ما قاله عنها بالتفصيل في فصل الفاطميين .

ذلك .. فبا جنود الجحيم ، كونوا جند الله الذي لا يموت ! .. »

الى ان قال فوسديك : «ومن هذا يفهم انه كتب عليهم مقاتلة المسلمين لثلا يقتل بعضهم بعضا . فكانت النتيجة انهم قاتلوا المسلمين واقتتلوا .. فقد حدثنا التاريخ ان العداوة والبغضاء تأصلتا بين مختلف الطوائف المسيحية بالاستانة ، لدرجة ان رجال الكنيسة الارثوذكسية فيها قتلوا بضعة الاف من اللاتين ومن رجال الكنيسة الكاثوليكية . وباعوا زهاء اربعة الاف آخرين في الاسواق بيع العبيد ، فاشترام المسلمون ، وراح الارثوذكسيون يصلون صلاة الشكر لله ، عندما قطعوا رأس اسقف من اساقفة اللاتين ، وربطوه بذنب كلب ، وجروه في شوارع المدينة . »

٤ - قال المؤرخ الافرنسي (مكسيموس موند^(١)) ما يأتي :

« عقد البابا اوربانوس الثاني الاجتماع الاول لاجل ترتيب الحملة الصليبية في مدينة (بلاصانس) ، حيث اجتمع ما يزيد على مئتي اسقف ورئيس اساقفة واربعة آلاف الكيركي وثلاثين ألفاً من العلمانيين المنتمين الى مختلف الاقطار والامصار . اجتمع هؤلاء في الهواء الطلق في مكان فسيح خارج المدينة . فقرروا ارسال حملة صليبية الى اورشليم ، ليأخذوا قبر المسيح من ايدي المسلمين .

« ولكن . يظهر ان الاجتماع الاول لم ينجح . فقد انعقد بعد حين (١٠٩٥ م) اجتماع ثان في

العرب يشكلون خطراً على اوروباني دينها وديناها . لذلك سعوا لمقاومتها بطرق مختلفة ، منها :

(١) تحريم الفلسفة الاسلاية والآخذين بها .

(٢) تشييد مدارس لتعليم العربية والعبرية والكلدانية في اشهر عواصم اوروبا .

(٣) انشاء رهبنة الاخوة الوعاظ (اي الدومينيكيين) وتثقيفهم الثقافة العربية . وجعلوا دستورهم التبشير بالمسيحية ، والرد على القرآن .

« ولقد اذكى الامراء في الشعب عاطفته الدينية . فقالوا له : (انت مسيحي) . وصوراه المغارة التي ولد فيها المسيح ، وكرم الزيتون ، والعشاء السري ، وطريق الجلجلة ، وقبر المسيح ، مخضباً بالدم ! ثم قالوا له : يجوز ان يبقى قبر المسيح بيد محمد وجماعته ؟ وقد وصفوا له محمداً النبي العربي الكريم بعبارات تدل على جمل وتعصب لا يبرهما الا تغرض وارادة يرميان الى استفزاز شعور العامة على قتال المسلمين . »

وقال هري اميرسن فوسديك في كتابه (حجة الى فلسطين^(١)) : « ان الحافز الاساسي للحملة الصليبية لم يكن سامياً بالشكل الذي حاولوا افهامه للناس . فقد اماط البابا اوربانوس اللثام عن الحقيقة عندما نادى اليه الامراء الاقطاعيين الذين كانوا دوماً يقتتلون ، وقال لهم : اذا كان لا بد من اراقة الدماء ، فهاكم الكفار ! . اذهبوا اليهم وغمسوا ايديكم بدمائهم . . . ولئن كنت احذثكم بهذه الخشونة فما ذلك الا لان رسالتي تحتم علي

(١) الف كتابا باللغة الافرنسية ترجمه مكسيموس مظلوم الى العربية بمنوان : (تاريخ الحروب المقدسة في المشرق) . واقواله هذه وردت في الصفحة ٧ من الترجمة العربية ، طبعت في اورشليم ١٨٤١ . ومكسيموس هذا هو بطريك انطاكية والاسكندرية واورغليم وسائر المشرق .

(١) A Pilgrimage to palestine by Harry Emerson Fosdick, P. 255 Student Christian Movement Press, London.

التحقوا بالحملة على أمل الغنم ، سواء من الناحية المادية او المعنوية ؛ رجال ونساء . قسس ورهبان . بعضهم مشاة على اقدامهم ، والبعض راكبين خيولهم او بغالهم او حميرهم . والبعض الآخر على عجلات . والفريق الراكب هم الامراء . انهم كانوا مدججين بالدروع والسيوف والرماح . ومن ورائهم الخدم وافراد الخاشية . واما الجنود المشاة فبأيديهم الاقواس والنشايث (السهام) . جهلة لا قائد لهم ، ولا آمر ، ولا رادع : كل يغني على ليله . وكثيراً ما اختلفوا ، وتضاربوا ، وتقاتلوا . لا نظام ، ولا ترتيب ، ولا مواقيت معينة للسفر والراحة . وقصارى القول : فوضى لا سائس لها ولا زاجر . حتى ان بطرس الناسك نفسه شك من سلوكهم وسماهم^(١) لصوصاً لا يستحقون رؤية قبر المسيح .

قال مكسيموس موند^(٢) : ان الحملة الصليبية الاولى كانت مؤلفة من ثلاثئة الف مقاتل . وقال آخرون غير ذلك . والحقيقة انه يجب علينا ان نتلقى كل ما قبل عن عدد الصليبيين الذين اشتركوا في الحملات الصليبية بالحيطه والحذر . ان المؤرخ فالشر Fulcher نفسه الذي رافق الحملة الاولى يعترف^(٣) انه لا الكاتب ولا القارى . الاعتيادي الذين عاشا في ذلك الزمن ، كان باستطاعتها ان يفهموا الارقام فهماً حقيقياً . الارقام الرومانية وان كانت مستعملة في ذلك العهد ، إلا انه ما كان من السهل قراءة ستة ارقام مكتوبة على صف واحد ، او ادراك المعنى الحقيقي الذي كانت ترمز اليه هذه الارقام . حتى

مدينة كليرمون ، وكان الفصل شتاء والبرد قارساً . خطب البابا . وخطب بطرس الناسك . قادهى : انه شاهد المسيحيين مثقلين بالسلاسل الحديدية ، يعاملون معاملة الاسرى والعبيد . وانه رأى قبر المسيح مهاناً ، وزواره مضطهدين من قبل اعداء الله والبشر .

الى ان قال^(١) : « ان كهنة الرب فقراء واذلاء ! يجرون من داخل الكنيسة الى الخارج ، حيث يضربون ويقتلون » ! عندئذ تقرر القيام بحملة صليبية واسعة ، لتخليص القدس وقبر المسيح من يد المسلمين !

هـ - هرعت الجموع للاشتراك في الحملة الاولى . فريق منهم محارب . وآخرون فلاحون



« جندي صليبي محارب »

(١) ص ١١

(٢) وتاريخ الحروب المقدسة ص ٢٩

(٣) The First Crusade by August C. Krey ' P. 16' printed in London, 1921.

اوسطاكيوس^(١) . بلدوين^(٢) . جرارد . غرنيل . روبرت الملقب بـ (قورت هاوز)^(٣) . الكونت روبرت فلاندرس^(٤) . الكونت روبرت اوف نورمندي اسطفان^(٥) . كاتريز^(٦) . ريكاردوس اميرسالارنوس . رانولف . روبرت دو هوس . روبرت دوسوردقال هرقل دوبرليناك . غولياقوس دو ساريان . اديمار دو موتيل^(٧) ريموند بالاط . سيمون^(٨) . كليرمونت . الكونت سان جيل . روجار دوقواكس غولياموس . رامبرت دواورانج هرمفروا دو منتيك . ايزارد دوديا . وغيرهم كثيرون .

٧ - ولما كانت مؤن هذه الجموع الفقيرة قليلة ، فقد قاموا^(٩) بأنواع النهب والخطف والسلب في البلاد التي اجتازوها . و « كانت انبائهم^(١٠) المتكررة ، وما اقترفوه من فظائع ، وما اخرجوه من موبقات تسبقهم الى الاراضي التي كانوا يزعمون اجتيازها . وكان سكانها يغادرون مدنها وديارهم ، حاملين معهم كل ما يملكون هرباً من لقاءهم » .

ان الكتاب الذين رافقوا الحملات الصليبية ، اذا ما ارادوا وصف جسامتها ، كانوا يكتبون بالقول : « انها مؤلفة من عدد لا يحصى » او « انهم كرميل البحر » و « اوراق الخريف » وغير ذلك من العبارات الغامضة . وقد استنتج فالشر واوغست وغيرهما من المؤلفين ، انه ليس بالامكان تعيين عدد الصليبيين الذين اشتركوا في الحملات الصليبية بالضبط . اصف الى ذلك ان قسماً من الذين سجلوا اسماءهم في باديء الامر قد تخلوا عن الحملة في الطريق او هربوا منها . وهناك آخرون التحقوا بها . وما كان عددهم ثابتاً بالمرّة .

٦ - لم يكن لهذه الحملة قائد عام^(١) . وانما كان لها قواد كثيرون نذكر منهم : - بطرس الناسك^(٢) . غودفري دوبريون^(٣) . اويستاس غويتار^(٤) . غوشالك الكاهن^(٥) . الكونت اميكون^(٦) . بوهيموند تارتوم^(٧) . تنكريد ريموند اوف طولوز^(٨) .

(١) (تاريخ الحروب المقدسة) لمكسيموس موند . ص ٢٩

(٢) قاد المتطوعين الفرنسيين . وسار عن طريق المانيا . وبطش بالهنغارين ، قتل منهم اربعة الاف رجل . فقايله الهنغارون ، وفتكوا جيشه فتكاً ذريعاً .

(٣) امير بلاد اللورين . قاد عشرة آلاف فارس ، واربعة الف رجل من المتطوعين الافرنسيين القاضين حول الرين . وكان هؤلاء أكثر فطنة وادبا من الذين تقدمهم .

(٤) شهب هو واتباعه البلغارين في اثناء مرورهم من بلغاريا . فقاتلهم البلغارون ، وقتلوا عدداً كبيراً منهم ، وشتتوا الآخرين .

(٥) قاد متطوعي النمسا والتحق ببطرس .

(٦) قاد متطوعي المانيا . فظهر هو واتباعه عجرفة زائفة . وتمدوا على سكان البلاد التي مروا منها . فقاتلهم البلغارون . واحاق بهم ما احاق بغيرهم .

(٧) قاد في باديء الامر هو وابن عمه تنكريد عشرة آلاف فارس وعشرين الفا من المشاة . وقد كان طويل القامة . محباً للفتحة . حسوداً . غشوباً . ثم قاد الحملة كلها بعد ان استقال منها اسطفان .

(٨) قاد مئة الف مقاتل بين فارس وراجل .

(١) قاد متطوعي بولونيا .

(٢) اسم جرمانى معناه البارز . والقوى . ذكره ابن الجوزي وغيره من المؤلفين العرب (بنديون) (العامة تقول (برنويل) .

(٣) حاكم ولاية نورمانديا . انه الابن الاكبر لجليوم القاهر .

(٤) والي مقاطعة فلاندره . وكان يلقب بحرية المسيحيين .

(٥) والي مقاطعة بلواز . وقد قاد الحملة مدة بعد وفاة ممثل البابا اديجار . ثم استقال .

(٦) كان مستشار الحملة الحربي .

(٧) كان يمثل البابا . وقد اقامه هذا رئيساً روحياً للحملة . مات في الطائفة قبل ان يصل الى اورشليم .

(٨) سمعان بطريرك بيت المقدس .

(٩) (تاريخ الحروب المقدسة) لمكسيموس موند . ص ٢٤ .

(١٠) (مجلة الراعي الصالح) لطريكية الروم الارثوذكس بالاسكندرية ج ٣ ص ٥٥ - ٥٧ .

على تل صهيون من ناحيتها القبلية الغربية . وكذلك فعل الكونت ريموند . وضرب الآخرون خيامهم في مواقع أخرى حول المدينة . وتركوا الجانب القبلي المطل على سلوان والجانب الشرقي المحاذي لوداي جهنم .

٩ - بدأ الحصار في اليوم السابع من يونيو سنة ١٠٩٩ م . ودام نيفاً وأربعين يوماً^(١) عانوا خلالها أنواع المحن ، لقلة الماء ونفاذ الذخيرة ، وفقدان لوازم الحصار من خشب وأدوات أخرى . كان الوقت صيفاً ، والحرارة شديدة . أشعة الشمس محرقة ، والهواء القبلي الحار يعصف مع القبار . الحيوانات هلكت وكثير من الصليبيين ماتوا من العطش . رائحة كريهة وأمراض الخيل والبغال والبقر وباقي المواشي والحيوانات التي لم تنفق ، لم تكن قادرة ان تسير بضع خطوات من شدة العطش . ذلك لان الماء كان قليلاً للغاية . وكان يباع زقاً^(٢) الماء الرديء الفاسد الذي كانوا يأتون به من مسافة تسعة أميال بقطعتين كبيرتين من الفضة . ولطالما اقتتل الصليبيون انفسهم من أجل الماء . ولم تكن هناك حراش وأشجار كافية لصنع آلات القتال اللازمة للحصار . فهدموا البيوت في القرى والمزارع المجاورة ، ليسدوا بها هذا النقص . ولكن دون جدوى . وفي ساعة اليأس جاءت المراكب من جنيف موسوقة ذخائر . فداستها سفن المسلمين وحرقتها . ولكن قسماً كبيراً من الذخائر كان قد نجا . وقد دهم سوري على حرش واقع بين نابلس وسبسطية ، فقطعوا منه

« ولما بلغوا مدينة صوفيا أمرهم الامبراطور الكسيس كومنين ان لا يمشوا في المدينة أكثر من ثلاثة أيام ، بسبب اعمال العنف والنهب التي اقترفوها في اراضيها . فلم يسع بطرس الناسك الا ان ينصاع للأنذار ، معتذراً له ولشعبه عن سلوك جنوده الشائن » . وفي رواية أخرى ان البلغاريين قاتلهم قتالاً شديداً .

وعندما وصل الصليبيون الى القسطنطينية راحوا يسطون على المنازل والقصور القائمة في ضواحيها . بل انهم ذهبوا الى أبعد من هذا ، فهجموا على الكنائس نفسها ونهبوها .

ولما اجتازوا الاناضول قاتلهم (قليج ارسلان) قتالاً شديداً ، ليس هنا مجال ذكره . ولكن لا بد من القول انهم عبروا بعدئذ انطاكية وطرابلس وبيروت وصيدا وصور وعكا ويافا والرملة . وعندما وقفوا أمام أسوار بيت المقدس (حزيران ١٠٩٩) كان عددهم اربعين الفا . وفي قول آخر^(٣) : خمسين الفا .

٨ - حاصر فريق من الصليبيين المدينة من ناحيتها الشمالية : من باب الاسباط حتى باب العمود ، ومن هذا الباب حتى المكان الذي تقوم عليه الآن المسكوبية . فكان روبرت اوف نورمندي بالقرب من كنيسة القديس اسطفان . وبالقرب منه الكونت روبرت اوف فلاندرس . واما غودفري دوبيون وتتكريد ، فقد حاصروا من ناحيتها الغربية^(٤) . واما الكونت سان جيل فقد عسكر

(١) تاريخ القدس الشريف لسركيس ص ١٧٢

(٢) هذا ما جاء في كتاب The First Crusade

لأولفه August C. Krey ص ٢٤٩ نقلاً عن

مؤرخ شهد الحصار بعينه . وفي رواية أخرى ان غودفري

عسكر مع جنده في الناحية الشمالية الشرقية بالقرب من

باب الساهرة .

(١) مركيس ص ١٧٢

(٢) الرق مصنوع من جلد المعزي يسلم ويدبغ : يتسع الصغير

منه لجرة ماء والكبير ضعفها . ويسميه العامة (ضرف) او

(ظرف) وهو الوعاء .

رؤساؤهم وقوادهم مجلس شورى^(١) لاجل تعيين يوم للهجوم العام وكيفيته . فقرروا استبدال خطتهم السابقة . وفي اثناء الليل نقلوا البرج الخشبي المركب على الدواليب مع سائر الآلات والاعمال التي كان (الدوكاده لورين) نصبها في محلها . نقلوها الى جهة شرقي المدينة عند (باب سيدار) . ثم نصبوا المنجانيقات والاكباش والآلات الحرب الاخرى ، بين باب دمشق والبرج القرن الذي دعي فيها بعد برج تنكريد . وفي يوم الخميس الموافق ١٤ من شهر تموز سنة ١٠٩٩ عند شروق الشمس امر جميع الرؤساء والقواد جنودهم بالهجوم العام . فهاجوا المدينة من كل جهة . وكانت الاسلحة التي بأيديهم هي الحراب والسيوف والرماح والخناجر والنبابيت والمقاليم التي تستخدم لرشق الحجارة والحذف الطابايات الرصاصية ، وكذلك القوس والنشاب . وكانوا الاسبين الدروع الحديدية والفولاذية ، والخيالة حاملين الدوارق^(٢) والاتراس المدورة والمربعة ثم الاتراس الطويلة . وكان لكل من القواد راية في اعلاها نوع من انواع التصاوير والتأثيل . وعلى الرايات صور مختلفة : صلبان ونمورة واسود ونجوم وابراج . ولم يكن امر الحرب بيد واحد من القواد حين المعركة . بل كان كل واحد من الامراء والحكام في الموضع الذي يقوم عليه ، يرتب عساكره ويدير امورهم كما يشاء .

١٢ - واستعمل المسلمون في اثناء الدفاع عن اورشليم المواد الملتبئة والكباير المشتعلة بالزيت والنشاب القوية . وكان لديهم اربعة عشر آلة حربية كبيرة جدا مركبة على الاسوار . فابلوا في

الاشجار اللازمة لآلات الحصار . فانتعشت آمالهم وشيدوا ثلاثة ابراج عالية . ولكنهم رغم ذلك فشلوا .

١٠ - كان في القدس افتخار الدولة يديرها باسم الخليفة الفاطمي (المستكفي بالله) . وكان هذا قد ابعد عنها المسيحيين^(١) . وابقى فيها المسلمين . وحشد فيها العدد الذي اعتقد انه كاف للدفاع عنها من الجنود المصريين . وكانت قوة الدفاع مؤلفة من اربعين الف مقاتل . هذا خلا السكان المدنيين وعددهم يومئذ عشرون الفا . وقد حصنها وادخر في غنابرها جميع الذخائر . وكان قبل بدء الحصار امر بتخريب جميع الحقول^(٢) التي حول المدينة لئلا يستغلها الاعداء . ولم يكتف بهذا . بل ردم الابار^(٣) التي في البر فجاء الصليبيون جوعا لا يوصف . وعطشوا عطشا عظيما . ويقول المقريري ان الذي كان على منصة الحكم يومئذ هو المستظهر بالله احمد بن ملك شاه بن عضد الدولة . (ج ١ ص ٢١)

١١ - اقام الصليبيون^(٤) برجين عاليين ، اطلوا منها على السور : احدهما بباب صهيون والاخر بين باب العمود وباب الاسباط وهو برج الزاوية . ثم انشأوا برجانا ثلثا . فجاء المسلمون واحرقوا البرج الذي كان بباب صهيون . وقتلوا من فيه . وطال امد الحصار ، دون ان يتمكن الصليبيون من الاستيلاء على المدينة . عندئذ عقد

(١) (الحروب الصليبية في الآثار السريانية) للقس اسحق ارملة السرياني . طبع بيروت ١٩٢٩ ص ٢٦

(٢) كذلك فعل ستالين عندما اجتاحت الالمان روسيا في اوائل الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) .

(٣) (تاريخ الحروب المقدسة) لمكسيموس موند . ص ١٥٤ .

(٤) النجوم الزاهرة . ج ٥ ص ١٤٨

(١) مكسيموس . ص ١٦٦

(٢) فلانس كانوا يبسوها . وهي جمع (دورق)

ذلك اليوم بلائاً حسناً في الدفاع عن المدينة . ودام القتال اثني عشرة ساعة الى ان جن الليل .

١٣ - وهكذا قل عن اليوم الثاني . وفيه وجه المسلمون قواهم ضد البرج الكائن فيه **غودفري** . فمات في ذلك اليوم عسدد كبير من رجاله . وكان ريموند من الناحية القبلية يقاتل . وتكريرد وروبرت يحاربان فوق الابراج الخشبية في شمال المدينة . الى ان وقعت الواقعة ، والتقى الجمعان وجها لوجه . فراحا يقتتلان بالحرايب والرماح والسيوف . ورجحت يومئذ دفة المسلمين على الصليبيين . اذ تمكنوا من تحطيم الات الحرب الخشبية التي كانت مع الصليبيين . حطموها بالنيران التي اطلقوها عليهم من الاسوار باساليب مختلفة . وزاد في طين النصارى بلة قلة الماء للشرب . وفقدان الخل اللازم لتبريد الحرايب والرماح ، ليقدروا على نقلها بايديهم . فقط عدد كبير منهم قتلى . وجرح عسدد آخر بالسهم . وحرقت آخرون بالمواد الملتببة التي حذفت من داخل المدينة ومن على الاسوار .

١٤ - كاد الصليبيون ان يياسوا ، لولا ان عاد اليهم الرجاء باشاعة القاها بينهم رجال الدين قائلين : « هوذا القديس جاورجيوس ، يطل عليكم من جبل الزيتون ! . . هوذا العون الالهي جاء ليحميكم ! . . فقاموا على اثر ذلك بهجوم عنيف . وتمكنوا من دك البرج الكبير . فاجتاز الدوك دي لورين من فوق الردم وادرك السور . وامر غودفري بمد الجمر المرتفع . فمد ، ومر عنه غودفري ، وتبعه الآخرون ؛ فدخلوا المدينة وراحت النبال تنهال على المسلمين مثل المطر . وكذلك قل عن السهام النارية . واقدم رجل يدعى

(لتولدوس)^(١) وهو من اشراف فلانديا تحت وابل من السهام ، فارتقى السور ، ووضع عليه راية الصليب . الامر الذي اثار حمية الصليبيين المهاجمين . فقاموا بهجماتهم الاخيرة . وكانت شديدة للغاية . ففتحت المدينة . وكانت اول من دخلها من باب الساهرة **غودفري دوبويون** الافرنسي **Goodfrey du Bouillon** . ثم خلع عساكر تنكريد ، وعساكر غودفري ، باب القدس اسطفانوس بضرب الفؤوس والمعاول ، ففتحوه . ودخل المدينة باقي جماهير الصليبيين : الساعة الثالثة بعد ظهر الجمعة الموافق الخامس عشر من تموز سنة ١٠٩٩ م - ٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ .

١٥ - بعد ان تم لهم احتلال المدينة ، عقدوا^(٢) (ديوان مشورة عسكرية) . فاصدر اعضاء هذا الديوان حكمهم بموت كل مسلم باق داخل المدينة ! وشرعوا فوراً في تنفيذ الامر . ولم تجد ايضاً اعتراضات اولئك الذين ارادوا ان يحولوا دون هذه القسوة . وظلت الدماء تهرق مدة اسبوع كامل ؛ قاموا خلاله باعمال فظيعة ، ومنكرات يقشع لها البدن . ولم يختلف اثنان من المؤرخين ، لا من الفرنج ولا من المسلمين ، في ذكر هذه الفظائع وانتقادها انتقاداً مرا .

فقال ريموند داجيلس^(٣) **Raymond D'Agiles** الذي شهد الاحتلال : « ان الدماء وصلت في رواق المسجد حتى الركب » .

وقال مكسيموس موند^(٤) : « لم يوفر الصليبيون احداً من سيوفهم ! لا من الرجال ، ولا من النساء

(١) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية . ص ٧١

(٢) مكسيموس ص ١٧٤

(٣) تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ص ٦٣

(٤) (تاريخ الحروب المقدسة ص ١٧٢)

وهكذا نرى انه كان من اهم الغايات الظاهرة للحروب للصليبية تخليص الاراضي المقدسة! ولكن هناك غايات مكنونة في صدور الرجال : منها ما هو انتقام من العرب الذين امتد ملكهم الى اسبانيا وفرنسا وبلاد اليونان وصقلية وغيرها. ومنها ما هو استئثار بالسلطة الزمنية والدينية... لقد اظهروا بعد فوزهم الباهر، ما كانوا يضمرونه؛ وشهد العالم من المظالم والمحازي ما لا يتفق مع لقبهم . (الصليبيين) . . . اظهروا باعمالهم ان غايتهم من الاستيلاء على الارض المقدسة : ان يجعلوها بقعة لاتينية، وان يلاشوا الارثوذكسية منها بالكلية . . . متوسلين بجميع انواع الخيل والحداد والاضطهادات التي يتورع البرابرة عن ارتكابها . . . لقد سكروا بخمرة الانتصار، فاستيقظت فيهم روح الغلبة والاستعمار . واقترنت هذه بحب السفك والقتل والانتقام . . . فصالوا في المدينة قتلا ونهباً. وكانوا يتعقبون المسلمين في كل مكان . ولم يحجمهم المسجد المعروف بالصخرة، حيث فتكسوا بهم، وذبحوا آلاف اللاجئين اليه من رجال ونساء واطفال ابرياء . . . هذا ما فعله ويا للأسف اصحاب الصليب المبشرون بالانجيل، ودعاة الدين الذي يأمر بالصفح والسلام . . .

وقال المؤرخ الافرنسي الميسو ميشو^(١) :

« كان المسلمون يذبحون ذبح الانعام في الشوارع والمنازل . ولم يجد اهل المدينة محلاً اميناً يعتصمون به . فالقى بعضهم نفسه من فوق الاسوار، وازدحم الآخرون في القصور والمساجد والحصون. ولكن ذلك لم يخدم نفعا . اذ ان الصليبيين حاصروا جا مع عمر - الذي اعتصم فيه المسلمون - وجددوا تلك المناظر

العجز، ولا من الاطفال . وظن المسلمون ان مسجد عمر يحميهم من الموت، ولكن ظنهم قد خاب . اذ ان الصليبيين لحقوا بهم خيالة ومشاة، ودخلوا المسجد المذكور، وابدوا كل من وجدوه فيه بحد السيف . ودم المؤرخون قسوة هؤلاء الجنود البربرية » .

قال طوطح وبولس^(٢) : « كان المسيح قد علم تلاميذه ان يحبوا اعداءهم . ولكن ما قاموا به من التوحش والهمجية في المكان الذي صلب فيه السيد المسيح، لما يندى له جبين المسيحي اليوم حياء وخجلاً » .

وقال الاخوان شحادة الخوري ونقولوا الخوري^(٣) :

« امر الصليبيون، الاشخاص الذين بقوا احياء من العرب ان يجمعوا جثث موتاهم اكواما ويحرقوها بالنار. وبعد ذلك قتلوا هؤلاء ايضا . وهي قسوة يتبرأ منها الدين المسيحي الذي يدعون انهم جاءوا لنصرته؛ فضلا عن انها جعلت روح العداوة والانتقام تتاصل في قلوب المسلمين ضد مسيحيي البلاد التعساء؛ فسيبوا ضررا عظيما لهم، لم يكن اخف وطأة من اضرار ملوك الروم . فلو سلم مسيحيو هذه البلاد من هجمات ملوك الروم المتواترة، وغزوات الصليبيين المتعددة، وفظائع اولئك وهؤلاء بمسلمي البلاد؛ لعاشوا الى جانب اخوانهم المسلمين عيشة راضية، لا يتخللها نكد ولا كدر » .

وجاء في تاريخ الكنيسة الرسولية الارشليمية ص ٧١ - ٧٢ عن الحروب الصليبية وفتح بيت المقدس مطالعات كثيرة تقتطف منها النبد التالية:

(٥) (طوطح وبولس) ص ٢٨

(١) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ٧٠

(١) ج ١ ص ٢٣٩ من كتابه (تاريخ العرب والتعدن الاسلامي) ص ٢٨٢ .

يضعون اجساد المسلمين في اسياخ حديدية ، ويشوونها على النار ! واماماً فعلوه في بيت المقدس ، عندما احتلوا في ١٥ تموز ١٠٩٩ ، فحدث عنه ولا حرج . فقد اعملوا في المسلمين يد الذبح والتقتيل ثلاثة ايام صحاح ، دون رحمة ولا روية . ولم يميزوا بين رجل وامرأة ، او بين صغير وكبير . وراحوا يتباهون انهم قتلوا سبعين الفا من المسلمين ، وانهم لم يغمدوا سيوفهم قبل ان تخذت نار الانتقام المتأججة في قلوبهم !

والغريب انهم قاموا بهذه الفعالة التي تقشع لها الابدان باسم المسيح . الامر الذي جعل الشرق يستقبل صلاح الدين بالترحاب ، ويعتبره منقذا ورحيا . وراح هذا الشرق ينتفس الصعداء ، عندما طرد الصليبيون من الارض المقدسة . وساد الاعتقاد بانه ما كان ليصيبهم ما اصابهم ، لولا انهم يستحقون هذا المصير .

ومع ذلك فان الناس راحوا يذكرون بالثناء والتمجيد ، المعاملة الحسنة التي لقيها الصليبيون من صلاح الدين بعد تلك الاثام التي اقترفوها ! سيما عندما أمنهم على اموالهم وأرواحهم

١٦ - اختلف المؤرخون في تعيين عدد القتلى الذين قتلهم الصليبيون يوم الفتح . فقال قائل (١) : «انهم مئة الف نسمة» . ولكن الاكثرية (٢) قدرهم بسبعين الفا فقط .

١٧ - كان اول عمل قاموا به ، بعد هذه المجزرة

الوحشية التي تعد وصمة في جبين فرسان التيتون . اذ هجم الجنود على الهاربين ، واعملوا السيف في رقابهم من غير ما شفقة ولا رحمة . ولم يكن يسمع في تلك الساعة الرهبة غير انين الجرحى وحسرة الموتى . كذلك وطئوا بخيولهم الجثث المكدة في اثناء مطاردة الهاربين . كما احرقوا البعض حيا . ثم جاءوا بالذين كانوا قد لاذوا بالفرار ، ووضعهم على -ثت الموتى المكدة ، ومثلوا بهم اشنع تمثيل . ولم تكن تجدي في ذلك الموقف الدامي ، دموع النساء ؛ ولا صراخ الاطفال ، ولا منظر البلد الذي صفح فيه السيد المسيح عن جلاديه . فان هذه المناظر كلها ما كانت لتلين قلوبهم القاسية . وقد استمرت هذه المذابح اسبوعا . والذي نجا من سكان بيت المقدس عومل «معاملة الارقاء» .

واخذ اليهود قسطهم من هذه المجزرة ، اذ جمعهم الصليبيون في كنيسهم ، وحرقوهم (١) .

وقال (هري امرسن فوسديك) في كتابه (حجة الى فلسطين) (٢) :

« لا شك في ان الصليبيين قد اقترفوا في الارض المقدسة خطيئات لا تغتفر ، مخالفين بذلك الاهداف السامية التي حفزتهم لاقتناحها ؛ وانهم قد انحطوا الى درجة من التهلكة المزوج بالانانية والحق وسفك الدماء ، فانقلب جهادهم الى نهب ، وسلب ، وقتل وقدمير . حتى انهم في انطاكية ، وهم في طريقهم الى بيت المقدس ، اقترفوا افطع اثم دونه التاريخ في سجل السكر والدعارة والفجور ؛ اذ كانوا

(١) كذا في (تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية) ص ٧٠ . واما في (النجوم الزاهرة) ج ٥ ص ١٥٠ فقد جاء ما يسلي : « . . . واحرقوها عليهم » .

(٢) A Pilgrimage to Palestine by Harry Emerson Fosdick, P. 256

(١) (مرآة الزمان في معرفة الخلفاء والاعيان) لسبط بن الجوزي المتوفي سنة ٦٥٤ - ١٢٥٦ م (والنجوم الزاهرة) ج ٥ ص ١٤٨ .

(٢) (تاريخ الحروب المقدسة) لمكيوس موند ص ١٧٤ .

الصخرة والاقصى معاً سبعين قنديلاً : منها عشرون ذهباً ، في كل قنديل ألف مثقال ؛ ومنها خمسون فضة ، في كل قنديل ثلاثة آلاف وستماية درهم بالشامي . واخذوا من الاموال ما لا يحصى .

هذا ما قاله اكثر المؤرخين . والحقيقة انهم (اي الصليبيين) لم يغيروا شيئاً من بناء مسجد الصخرة ، سوى انهم قلبوه الى الكنيسة اسموها : Templum Domini اي هيكل السيد . وجعلوا به الصور والتماثيل . وانشأوا على الصخرة نفسها مذبحاً^(١) . كما انشأوا حول الصخرة سياجاً من الحديد المشبك^(٢) . وكسوا الصخرة نفسها بالرخام^(٣) . ونصبوا فوق القبة صليباً كبيراً .

واما المسجد الاقصى ، فقد غيروا الكثير من معالمه . واستعملوه لاغراضهم الاهلية والدينية والحربية . فاتخذوا جانباً منه كنيسة ، والجانب الآخر مكنناً لفرسان الهيكل . وكانوا يسمونه Palatium او Templum Solomonis و اضافوا اليه من الناحية الغربية بناءً جديداً

(١) قال مستر ج . فن . فنصل بريطانيا بالقدس في الصفحة ٢٤٨ من مذكراته ان الحجارة التي بنى بها الصليبيون مذبحهم ، اقتطعوها من الصخرة نفسها .

(٢) هذا السياج الحديدي المشبك الذي يفصل الصخرة عن التيمنية الوسطى ظل قائماً حتى سنة ١٩٥٩ ، عندما رفع من مكانه بسبب العمارة الواسعة التي اجريت المسجد .

(٣) قال الكتبتن كروزيل استاذ في الممار الاسلامي في جامعة فؤاد الاول بالقاهرة ، في مقال له نشرته مجلة (الهلل) في عددها الصادر سنة ١٩٣٩ ص ٨٨ ، وقوله هذا منقول عن ابن الاثير ، ان الافرنج كسوا الصخرة بالرخام خشية ان تزول الصخرة من الوجود ، ذلك لان قساوسة النصارى كانوا يقطعون منها اجزاء يبيعونها للحجاج الذين ياتون من وراء البحار . وكان هؤلاء الحجاج يحملون معهم - في طريق عودتهم الى بلادهم - قطع الصخرة هذه تبركاً وتيمناً بها . وكان ذلك مصدر ربح وفير لأولئك القساوسة .

البشرية الهائلة ، انهم كتبوا الى البابا يهنئونه بفتح بيت المقدس قائلين^(١) :

« اذا اردت ان تعلم بما جرى لاعدائنا ، فثق انه في ايوان سليمان ومعبده ، كانت خيلنا تخوض في بحر من دماء العرب المسلمين الى ركبتها » .

ثم راحوا يديرون المدينة كما يشاؤون . فحولوا^(٢) قبة الصخرة الى كنيسة . وسموها Templum Domini . واعطى بلدوين جانباً منها الى فرسان الهيكل . ورسموا على جدرانها الداخلية رسوماً نصرانية . ولكنهم لم يغيروا ما على ابوابها وابواب المسجد الاقصى . من كتابات وآيات قرآنية .

وروي ابن العبري^(٣) : « ان الفرنج اخذوا من مسجد الصخرة اربعين^(٤) قنديلاً فضياً . وزن كل واحد ثلاثة آلاف وستماية درهم من الذهب المصري . واخذوا تنوراً من فضة وزنه اربعون رطلاً سوريا . والرطل السوري يوازي ستة ارطال بغدادية . واستولوا على اوان وزينات اخرى كثيرة . . . واخذوا من الاموال ما لا يحصى » . وفي (النجوم الزاهرة)^(٥) انهم اخذوا من

(١) تاريخ العرب والتمدن الاسلامي . ص ٢٧٢

(٢) مجلة الآثار ٥ - ٦ ص ٢٥١

(٣) تاريخ مختصر الدول لفرغوريوس ابني الفرج بن اهرن الطيب الملقب السرياني الارثوذكسي المعروف بابن العبري . ولد سنة ١٢٢٦ م وتوفي سنة ١٢٨٦ . وكتابه هذا طبع بمدينة اكسفورد بالعربية واللاتينية ، بمراجعة العلامة بوكوك سنة ١٦٦٣ م . وفي بيروت ١٨٩٠ م . وقد ترجم الى الالمانية سنة ١٧٨٣ م . وروايته هذه وردت في الصفحة ٢٧ (٤) وفي رواية سبط بن الجوزي انهم اخذوا من مسجد الصخرة والاقصى معاً سبعين قنديلاً في كل قنديل ألف مثقال .

(٥) ج ٥ ص ١٤٨ .

١٨ - كانت الصدمة الاولى عنيفة . وما كان الصليبيون لينالوا هذا النصر ، لو كانت في البلاد حكومة قوية وشعب رزين متحد . ولم يكن قد انقضى على الحكم السلجوقي في سوريا وفلسطين سوى عشر سنوات . ولم يكن السلجوقيون بقادرين على ان يتحدوا . اذ قد انقسمت مملكتهم بعد مقتل الوزير (نظام الملك) ١٠٩٢ م ، وكثر التنازع بين الرقباء الطامعين في العرش ، ونشبت في سوريا وفلسطين حروب اهلية واضطرابات داخلية اهلكت الحرث والنسل . ولم تكن البلاد قادرة على صد تيار الصليبيين . فتمكن هؤلاء عند اول حلة قاموا بها من الاستيلاء على قسم كبير منها . فذل المسلمون . وراحوا يندبون سوء حظهم . وراح الشعراء يستنهضون الهمم للاخذ بالثأر .

١٩ - بعد فتح القدس اسس الصليبيون فيها مملكة لاتينية صغيرة . واختاروا **غودفري دويون** اميرا عليهم . فاخذوه الى كنيسة القيامة ، وتوجوه فيها . ولكنه مات بعد قليل ، ودفن في الكنيسة^(١) . . . وانتخب بعده **بلدوين الاول** . وفي زمنه (١١٠٠ - ١١١٨ م) اصبحت القدس عاصمة مملكة تمتد من بيروت الى العقبة . وكان لها اسطول في ميناء العقبة^(٢) . وكانت وارداتها وافية ، مصدرها الرسوم المستوفاة من القوافل التي كانت تسير بين سوريا ومصر والحجاز ، والضرائب المفروضة على حاصلات البلاد ، والرسوم التي تجبى من القوارب التي كانت تسير في البحر الميت .

٢٠ - زار القدس ، عام ١١٠٦ للميلاد ،

استعملوه مستودعاً لاسلحتهم . وامسا السراييب القديمة التي كانت تحت الاقصى (ويسمى المقدسيون : الاقصى القديمة) ؛ فقد اتخذها الصليبيون اسطبلًا لحيوهم . والاعتقاد سائد بأن تلك السراييب هي من بقايا هيكل سليمان .

وكان اول عمل عمله الصليبيون عندما احتلوا مدينة القدس ، ان دخلوا كنيسة القيامة . دخلوها حفاة . وقد وجهوا طبعاً اهتمامهم الى تعميرها . قال اسقف صور غوليئس (وهو مؤرخ ايضاً) ان الصليبيين حافظوا بدرجة الامكان على ما كان في الكنيسة من بنيان . إلا انهم جمعوا المعابد المتفرقة في كنيسة واحدة هي الكنيسة الحالية . جمعوها تحت سقف واحد ومتين . وزادوا على ذلك بأن بنوا الى الشرق من القبر المقدس كنيسة لها ثلاث حنايا متجهة نحو الشرق ، وهي المعروفة في يومنا هذا (١٩٦٠) بكنيسة نصف الدنيا . ثم شادوا قبة نحيفة لكنيسة الصليب ، وبنوا في محل الشهادة ديراً هو الآن بيد الاقباط . وضافوا اليها صحناً واسعاً ، وهيكلًا للكهنة . وهذه الزيادات المختلفة اصبحت كنيسة القيامة الاصلية في المركز ، ومن حولها الابنية الكنسية العديدة ، متصلة بكنيسة الجلجثة ، في مجموعة من الكنائس المتداخل بعضها ببعض من جميع الجهات .

ورفع الصليبيون فوق الزاوية الجنوبية الغربية برجاً للاجراس . ويقول ثاوفانوس ان هذا البرج كان ذا ثلاثة طوابق : هدم منها بفعل الزلازل طابقان هما العلويان وبقي الطابق السفلي كما كان . والبابان الكبيران اللذان تراهما في واجهة الكنيسة من الناحية الجنوبية ، هما من فعل الصليبيين . وقد سد احدهما فيما بعد .

(١) رأيت قبره في اول غرفة علي بين الداخل الى الكنيسة ، تحت الجلجثة .

(٢) بيك باشا . ص ١٢٥

لاعتقادهم بأنه لا نفع يرجى من ورائها . وكانت نصيبه فعلا الفشل .

٢٢ - في اكتوبر عام ١١٧٦ م اتى الى فلسطين وليام دي مونتفرات ، وتزوج سيبيل Sybil اخت الملك **بلدوين الرابع** . ولكنه توفي في السنة التالية ، تاركاً وراءه طفلاً أصبح فيما بعد ملكاً ، وسمي **بلدوين الخامس** .

٢٣ - وفي عام ١١٨٠ م - ٥٥٥٥ هـ تزوجت سيبيل **بجوى دي لوسينان** Guy De Lusignan وبذلك أصبح له حق شرعي للوصاية على العرش ، حتى وللجلوس على العرش فيما اذا توفي الطفل .

ولكن الامراء كانوا يكرهونه ، فعقدوا اجتماعاً في عكا ، وانتخبوا **ريموند^(١)** لان يكون وصياً على الملك لمدة عشر سنوات . ولما مات الطفل بعد ذلك بسنة ، زحف جوى ومعه ريجنالد^(٢) صاحب الكرك وجماعة من فرسان الهيكل الى القدس ، وقبضوا على زمام الامور فيها ، وتوجوا **جوى** ملكاً عليها .

ولكن ريموند صاحب طرابلس ، لم يرض بتتويج جوى ملكاً على القدس ؛ فثار ثأره ، وراح يفكر في مراضاة صلاح الدين ، فتحالفوا معه . ولما كان صلاح الدين ليرضى بالتحالف معه ، لولا ان **ريجنالد** امير الكرك فسخ العهد وكسر الهدنة باعته (١١٧٨ م - ٥٨٢ هـ) على قافلة من قوافل المسلمين سائرة على طريق الحج ، وسوقها رجالاً ونساء الى الكرك .

٢٤ - عندما نهب ريجنالد القافلة ، واسر من

راهب روسي اسمه **دانيال** فقال : انه بالرغم من فقدان الينابيع في المدينة وليس ثمة نبع قريب منها غير بركة سلوام ، فان القمح ينبت فيها وفيما حولها من بقاع بخصاب . وكذا قل عن الشعير فان الحبة التي يبذرهما المرء في ارضها تنتج تسعين حبة ، وفي بعض الاحايين مئة . هناك كروم من العنب والتين والزيتون والحروب والحميز ، وانواع لا تحصى من اشجار الفاكهة .

وفي موضع آخر من الرسالة التي كتبها هذا الراهب قال : ان الامن مفقود على الطريق التي تصل اريحا بالقدس ؛ تلك الطريق التي كان يربط فيها عدد كبير من قطاع الطريق .

وقطاع الطرق هؤلاء الذين ذكرهم الراهب الروسي ، ليسوا في اعتقادي سوى ابناء البلاد الذين نجوا من المذابح الصليبية ؛ فراحوا يتكثرون ويتجمعون في المغاور والكهوف ، ويتحينون الفرص للانقضاض على الصليبيين وارجاع البيت المقدس الى حظيرة المسلمين .

٢١ - بعد بلدوين الاول قام بلدوين الثاني والثالث .

ولما توفي بلدوين الثالث ، خلفه اخوه **المري** او **المريك** (١١٦٢ م - ٥٥٦ هـ) . فكانت سياسته خرقاء . واضرت بالمسألة اللاتينية . فابتدأت مملكة القدس ، منذ تبوأ عرشها ، بالاضمحلال والتدهور . انه ، بدلا من ان يحتفظ بصداقة الفاطميين في مصر ، سار لفتح مصر وانتزاعها من بين ايديهم . فاضاع بذلك حليفاً قويا . وقوى به عدوه نور الدين . فرفض كثير من جماعة فرسان الهيكل التعاون معه في هذه الحملة ،

(١) صاحب طرابلس الذي خلس الكرك وفادى المسلمين على هدنة الاربع سنوات التي ذكرناها في غير هذا المكان .

(٢) ريجنالد (هو الذي بسمه العرب ارناط .

فاحتل عكا ومجدل الصادق ويافا والناصرية
وقيسارية وحيفا وصفورية ثم سبسطية ونابلس .
ثم سار الى عسقلان وفتحها . ثم فتح الرملة والد
وغزة والخليل وبنه وبيت لحم وبيت جبرين .

وامر صلاح الدين قائد اسطوله حسام الدين
لؤلؤا ، ان يقطع طريق البحر ، ويرابط على
الشواطئ ؛ فيرقب حركات العدو من ناحية
البحر .

٢٦ - ثم ارسل رسلا لمفاوضة اهل القدس كي
يسلموا المدينة . فرفضوا . عندئذ سار اليها . وكان
فيها يومئذ ستون الف جندي . فافتحتها في ٢٧ رجب
٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م . وسمح للفرنجة بمغادرتها بعد
دفع الفدية . فغادروها . الامر الذي فصلناه في
فصل آخر من هذا الكتاب .

٢٧ - احدث سقوط القدس في يد المسلمين على



« ريكاردوس قلب الاسد »

يد صلاح الدين دويا هائلا في العالم المسيحي . بذل

رجالها من أسر ، توسل اليه هؤلاء بارجاعهم .
لكنه رفض . ويقول ابو الفداء ان السلطان صلاح
الدين خابره في صدمهم ، وطلب اليه ارجاعهم .
ولما رفض ، خابر (صلاح الدين) السلطة المركزية
(أي الملك في القدس) . ولما قيل له ان صاحب
الكرك حر ان يفعل ما يشاء ، ينس واقسم بينه
المشهور : انه لا بد وان يحاربه ، ويحارب
الصليبيين كلهم معه ؛ وانه لا بد وان يقطع رأس
ريجنالد بيده ، اذا وقع هذا اسيراً .

عندئذ اعلن صلاح الدين الجهاد ، وارسل الى
امرائه وعماله في جميع اطراف مملكته ، يخبرهم بما
نوى . فاخذت الجيوش تزحف الى فلسطين من كل
حذب وصوب . من الموصل وحلب والجزيرة
واربيل ومن مصر .

ويظهر ان اللاتين فطنوا الى خطورة الموقف .
فأرسلوا رؤساء دينهم الى ريموند مهدين ناقمين .
فاضطر هذا اخيراً للانضمام الى صفوفهم . ووقعت
على أثر ذلك واقعة (حطين) (٢٥ ربيع الثاني
٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) التي انتصر فيها صلاح الدين ،
وانهزم جيش الصليبيين بعد ان قتل منهم ثلاثون
الفا . فوقع الملك ريجنالد صاحب الكرك واكثر
جنوده اسرى بيد المسلمين . ثم سقطت القدس .
وبسقوطها زالت المملكة اللاتينية .

ومعنى ذلك ان مملكة اللاتين الصليبية التي
قامت على انقاض الدول الاسلامية المتنافرة في
الشرق ، ما لبثت ان انقرضت عندما افاق الشرق
من غفلته وانتبه الى اخطائه واتحد . والفضل في
ذلك يعود الى ذلك القائد المدرب والبطل العظيم
صلاح الدين .

٢٥ - بعد معركة حطين سار في فتوحاته ؛

والسلطان صلاح الدين في القدس ، مجتهد في عمارته وفي تحسين سوره . ثم غادر المدينة في أوائل جمادى الاولى من تلك السنة . وخرج العسكر المصري يريدون السلطان ، فكبسهم الفرنج واخذوا جميع ما معهم . وتبدد الناس في البرية . وأسر الفرنج منهم خمسين رجل . واخذوا نحو ثلاثة آلاف جمل . ثم قصدوا المسير الى القدس . ولكنهم اختلفوا . فنزلوا بالرملة . وبعثوا رسلهم في طلب الصلح .

٣٠ - وفي العاشر من رجب سنة ٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م سار السلطان الى يافا واخذها من الفرنج عنوة . ثم رحل الى يازور وامر بتخريبها . وسار الى الرملة . ومنها الى القدس . وعزم على لقاء الفرنج . فاختلف عليه اصحابه . واسمعه بعضهم كلاما جافيا ، فانشي عن ذلك . وقبل طلب الفرنج . فعقد معهم هدنة عامة في البر والبحر . مدتها ثلاث سنين وثلاثة اشهر ، اولها ١١ شعبان (ايلول) ٥٨٨ هـ ؛ على ان يكون للفرنج من يافا الى عكا ومنها الى صور وطرابلس وانطاكية . وعم السرور الفريقيين . لانها كانا قد ملا الحروب التي طال اجلها .

واختلط عسكر الفرنج بعسكر المسلمين . فرحل المسلمون الى يافا للتجارة . ودخل خلق عظيم من الفرنج الى القدس للزيارة . فاکرمهم السلطان ومد لهم الاطعمة وباسطهم . ثم رحل الى دمشق بعد ان غاب عنها اربع سنين .

٣١ - مات صلاح الدين في دمشق في السنة التي تلتها (٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م) .

٣٢ - قبل ان نختم هذا الفصل ترى من الفائدة ان نذكر^(١) ملوك الصليبيين الذين اعتلوا

رجال الكهنوت قصارى جهودهم في الاستنجاد بالشعوب المسيحية والاستجارة بملوك اوربا وامرائها . وراح بطريرك القدس نفسه الذي كان صلاح الدين قد احسن اليه ، يطوف المدن الاوربية حاملا صورة المسيح ، حاثا على الاخذ بالثار . فشارت اوربا من جديد . وتألفت حملة صليبية جديدة . وجاءت جموع الفرنج تتدفق على صور وباقي الثغور التي سمح صلاح الدين للصليبيين الذين غادروا القدس بان ينزلوا فيها . واشترك في هذه الحملة ثلاثة من اعظم ملوك المسيحيين وهم : **فردريك بارباروسا** امبراطور المانيا ، **وفليب اوغسطس** ملك فرنسا ، و **ويكاردوس** قلب الاسد ملك انكلترا .

٢٨ - فاحتلوا عكا . وذبحوا حاميتها . عندئذ امر صلاح الدين بتخريب عسقلان لعجزه عن حفظها . فخرها . ثم رحل عنها الى الرملة فخرّب حصنها ايضا . وهدم حصن الطرون . وكان بين الفريقين عدة وقائع في البر والبحر لا ، نرى مجالا لذكرها ، الى ان عاد الى القدس (في آخر ذي القعدة سنة ٥٨٧ هـ - ١١٩١ م) ليحصنها ويتأهب لمقاومة الصليبيين فيها .

امر بعمارة سور بيت المقدس وتجديد مآرث منه . وكان ينقل الحجارة بنفسه مع العمال . واحكم المحل الذي ملك منه البلد^(١) . واتقنه . وقواه . وامر بحفر خندق خارج السور . وسلم كل برج الى امير . وكان قد وافاه فيها^(٢) (ابو الهيجاء السمين) بعسكر مصر .

٢٩ - وأهملت^(٣) سنة ٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م

(١) البرغوثي وطوطح

(٢) المقرئ

(٣) المقرئ

(١) كيث روش ولوك .

- ١٦ - ماري وجون دوبرين ١٢١٠ - ١٢١٢ م
 ١٧ - يولانده وجون دوبرين ١٢١٢ - ١٢٢٥ م
 ١٨ - يولانده وفردريك ١٢٢٥ - ١٢٢٨ م
 ١٩ - قونراد وفردريك ١٢٢٨ - ١٢٤٣ م
 ٢٠ - قونراد (وحده) ١٢٤٣ - ١٢٥٤ م
 ٢١ - قونرادين ١٢٥٤ - ١٢٦٨ م
 ٢٢ - هوج ١٢٦٩ - ١٢٧٧ م
 ٢٣ - شارل اوف انجو (يطالب بالعرش)
 ١٢٧٧ - ١٢٨٤ م
 ٢٤ - جون ١٢٨٤ - ١٢٨٥ م
 ٢٥ - هنري ١٢٨٥ - ١٢٩١ م

٣٣ - كانت مملكة اللاتين تشغل منطقة طولها اكثر من الف ميل ، وعرضها نحو الخمسين . ولها من الشاطئ البقعة الممتدة من انطاكية الى العرش . في شرقها الكرك ووادي الاردن ، وفي غربها البحر ، وفي جنوبها العقبة . وكانت هذه المنطقة ذات أهمية من الناحيتين السياسية والتجارية ، اذ كانت تسيطر على طرق القوافل التجارية التي تربط الشام بمصر . ولكنها في نفس الوقت كانت محاطة بمدن كبيرة . ترابط فيها جيوش المسلمين ، ومنها الشام

- (13) Isabella & Amaury II.
 (14) Isabella.
 (15) Mary.
 (16) Mary & John de Brienne.
 (17) Yolande & John de Brienne
 (18) Yolande & Fredrick.
 (19) Conrad & Fredrick.
 (20) Conrad.
 (21) Conradin
 (22) Hugh.
 (23) Charles of Anjou.
 (24) John
 (25) Henry.

عرش (المملكة اللاتينية) بالقدس . وبودنا ايضاً ان نلقي نظرة على اساليب الحكم التي اتبناها هؤلاء ، والطابع الذي تركوه في البلاد :

- ١ - غود فرى دو بويون ١٠٩٩ - ١١٠٠ م
 ٢ - بلدوين الاول ١١٠٠ - ١١١٨ م
 ٣ - بلدوين الثاني ١١١٨ - ١١٣١ م
 ٤ - مليسندة وفولك انجو ١١٣١ - ١١٤٤ م
 ٥ - مليسندة وبلدوين الثالث ١١٤٤ - ١١٥٢ م
 ٦ - بلدوين الثالث (وحده) ١١٥٢ - ١١٦٢ م
 ٧ - آموري الاول ١١٦٢ - ١١٧٣ م
 ٨ - بلدوين الرابع ١١٧٣ - ١١٨٥ م
 ٩ - بلدوين الخامس ١١٨٥ - ١١٨٦ م
 ١٠ - سيبيل وغاي دولوزغنان ١١٨٦ - ١١٩٠ م
 ١١ - غاي دولوزغنان (وحده)
 ١١٩٠ - ١١٩٢ م
 ١٢ - ايزابلا وهزى اوف شامبان
 ١١٩٢ - ١١٩٧ م
 ١٣ - ايزابلا وآموري الثاني ١١٩٧ - ١٢٠٥ م
 ١٤ - ايزابلا (وحدها) ١٢٠٥
 ١٥ - ماري ١٢٠٥ - ١٢١٠ م

- (١) Godfrey de Bouillon.
 (2) Baldwin I.
 (3) Baldwin II.
 (4) Melisende & Fulk of Anjou
 (5) Melisende & Baldwin III.
 (6) Baldwin III.
 (7) Amaury I.
 (8) Baldwin IV.
 (9) Baldwin V.
 (10) Sybil & Guy de Lusignan
 (11) Guy de Lusignan.
 (12) Isabella & Henry of Champagne.

يُعدّون المعاهدات ويصدرون القرارات التي تنفعهم وتؤيد مصالحهم الشخصية، دون ان يستشيروا الملك في القدس . ولم يكن للملك سلطة واسعة تخوله حق مطالبة هؤلاء الامراء بالاذعان لاوامره . ولقد تكونت في البلاد اربع طبقات هي :

الملك ، والاعيان ، ورجال الكنيسة ، والارساليات .

ولقد طفحت^(١) البلاد بالقلاع والحصون . وراح كل امير يتحصن في حصنه ويسعى لتوسيع حدوده ، غير عابئ بالملك ورغائبه . لا ، بل كانوا في بعض الاحايين يحارب بعضهم بعضا . وقد نسي جلهم ، ان لم نقل كلهم ، المصلحة العامة . لا ، بل نسوا ايضا الغاية الدينية التي حاربوا في سبيلها ، وهبطوا البلاد من اجلها .

وانحط المسلمون^(٢) الى اسفل دركة من دركات الرق والعبودية . وحلت المحاكم الاستبدادية محل المحاكم النظامية . وعرض الرجال والنساء في الاسواق والحارات مصفيين بالسلاسل .

وتألفت في البلاد فرق كثيرة ، منها^(٣) :

(الداوية) . اطلق المؤرخون المسلمون هذا الاسم على جمعية فرسان الهيكل Templiers . اسسها (Rugh de Payns) سنة ١١١٩ م لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس . انهم^(٤) قوم من الافرنج يجلسون انفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون انفسهم عن النكاح وغيره . لهم امال وسلاح . ويتعادلون القوة . ولا طاعة عليهم لاحد .

(١) المهندي ص ٧

(٢) تاريخ العرب والتمدن الاسلامي .

(٣) المقريري .

(٤) (النجوم الزاهرة) ج ٦ ص ٣٣ (ومعجم البلدان) ج ٢ ص ٢٦٦

وحلب . وما كانت لتذوق طعم الراحة من هجمات المسلمين وغزواتهم المتكررة^(١) .

اجل انها اثارت الحماس الديني . ولكنها^(٢) لم تسع لتحسين حالة البلاد ؛ لا من وجهة الامن والنظام ، ولا من الناحية الاقتصادية او السياسية . حتى الناحية الاخلاقية فقد كانت في حالة يرثى لها . وكانت واردات الملك^(٣) عبارة عن رسوم تجبى من القوافل ، وعوائد تجبى في المراعي وهي تشبه العوائد الجمركية ، وارباح تستوفي من مواد حصرت تجارتها في فئة من الناس ، ورسوم المحاكم ، وضرائب شخصية تجبى من المسلمين واليهود ، والجزية . ولكن لم يكن ثمة نظام مالي ، ولا كانت هناك طرق منظمة لجباية هذه الرسوم والعوائد .

وكان **المزارعون** المستأجرون ينقدون اصحاب الاراضي التي يأخذونها منهم ليؤزعوها ، قسما من غلة الارض يتراوح بين الثلث والنصف ، خلا الضريبة الشخصية ورسوم العمل .

وكانت الادارة في ذلك العهد (لامركزية) تقوم على اساس (الحكم الاقطاعي) . وكانت الامراء الثلاثة في الشمال نوعا ما مستقلين . اذ كانوا

(١) جاء في (كتاب الاعتبار) لاسامة بن منقذ ص ١١٨ طبع سنة ١٩٣٠ ما يأتي : « تعاقد بعمدوين البرونسي (يقصد بليدوين الثاني) صاحب البيت المقدس مع روجار صاحب انطاكية يوم حج هذا الى بيت المقدس على ان تكون انطاكية لبعمدوين اذا مات روجار قبله ، وان يكون البيت المقدس لروجر اذا مات بعمدوين قبله . وفي يوم الخميس ٥ جمادى الاولى سنة ٥١٣ هـ (١٤ آب ١١١٩ م) حدث ان نجم الدين أيلغازي بن ارتق لقي روجار فقتله ، وقتل جميع عسكره . فسار بعمدوين الى انطاكية وتسلمها . ولكنه لم يمكث فيها الا قليلا . »

(٢) المهندي ص ٥

(٣) Barker , Enc. Br. VII, 533

المعارف والصنائع التي تعلمها الصليبيون في بلاد

المشرق واتوا بها الى اوربا . واتساع المتجر . وقعوا على فوائد شتى فيما يختص بالجغرافية والتاريخ والطب وغير ذلك . وجلبوا الى اوربا انواعاً من النباتات كانت مجهولة لديهم . من ذلك قصب السكر . واتوا الى اوربا بالرقم الهندي الذي سموه الرقم العربي لاقتباسهم اياه من العرب .

كانت اوربا ، قبل الحروب الصليبية ، تسير في معاملاتها التجارية على اساس (التبادل العيني) . وما كانت تكثرث بالنقد الا قليلاً . وفي خلال الحملات الصليبية اضطر الصليبيون الى ابتياع حاجاتهم الضرورية بالنقد . وظل هذا النوع من التعامل سائداً بعد تلك الحروب .

٣٤ - من آثار الصليبيين في القدس :

١ - كنيسة القديسة حنة .

٢ - اضافوا الى البرج الكبير في قصر هيرودس الملك (القلعة) بعض الصحنون والافنية . فصارت القلعة في شكل لا يختلف كثيراً عن شكلها الحالي .

٣ - كان يقوم على الشارع الذي يمتد من الزاوية الشرقية القبلية للكنيسة الروسية حتى باب القيامة ، في زمن الصليبيين ، ثلاث كنائس هي :

(١) كنيسة القديسة مريم الكبرى^(١) .

St. Marie Major

(٢) كنيسة القديسة مريم اللاتينية^(٢) .

St. Marie Latin

(١) هي التي بنيت على انقاض كنيسة الالمان الحالية في الدباغة

(٢) يعتقد انها كانت تقوم في المكان الذي فيه الآن مدخل سوق الدباغة من الناحية الشمالية .

(الاسبتارية) او (الاسبتاليون). فقد اطلق المؤرخون المسلمون هذا الاسم على جمعية فرسان المستشفى (Hospitaliers) . اسسها (Blessed Gerard) سنة ١٠٩٩ م بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس . وكانت دارها مأوى ينزل به الحجاج والمرضى من المسيحيين .

انهم^(١) طائفة من رجال الدين . كان مبدأ امرهم في القرن التاسع الميلادي في ايطاليا . وكانوا يلقبون Notre Dame de la Scala ثم زاد عددهم في الحروب الصليبية لمساعدة الصليبيين من جهة ، ونشر الدين من جهة اخرى^(٢) .

ثم تحولت الجمعيتان (الداوية والاسبتارية) الى هيئة حربية . واتخذتا المسجد الأقصى مقراً لاعمالهما . وجعلتا مخزناً لاسلحتها . فكان لرؤسائها وفرسانها شأن كبير في تاريخ الامارات والحروب الصليبية .

لم تؤثر الحملات الصليبية على البلاد من حيث اللغة . إذ ظل العرب عرباً يتكلمون العربية ويخاطبون الفرنجة عند الحاجة بواسطة الترجمة .

ولم يحاول الصليبيون ان يراعوا عوائد البلاد او يلبسوا الثياب التي يلبسها السكان . لا بل ظلوا متمسكين بعوائدهم . وراحوا يرتدون الثياب الفخمة التي لا تلائم الوسط الذي يعيشون فيه . واعتبر بعضهم هذا سبباً من اسباب انكسارهم . وقصارى القول ان البلاد لم تستفد من الحملات الصليبية كثيراً . وانما كانت غنائم الصليبيين منها كثيرة . منها^(٣) :

(١) (النجوم الزاهرة) ج ٦ ص ٣٣

(٢) (دائرة المعارف الافرنسية) ج ٢٠ ص ٢٩١

(٣) (المختصر في تواريخ القرون المتوسطة) للقس بولس رحاني السرياني . ص ٢٧٧ .

يتأخر عن القافلة ليدفن رفيقه يعرض نفسه لخطر القتل والاعتقال من العرب الذين أصبحوا يكرهون المسيحيين^(١) كرها شديداً ، بسبب ما فعله الصليبيون بهم في بيت المقدس .

(ب) وزارها سنة ١١٠٦ للميلاد راهب روسي يدعى (**دانيال**) . وكتب عنها وعن كنائسها الشيء الكثير^(٢) . ومما قاله ان القدس مدينة كبيرة ، تحيط بها اسوار منيعة عالية ، وان اسوارها بنيت بشكل مربع اضلاعه متساوية . ومع ذلك فان الحكم اللاتيني لم يكن موطد الاركان إلا في داخلها . واما في خارج الاسوار ، فقد كان حبل الامن مضطرباً . وان الثوار العرب كانوا منتشرين في جميع انحاء البلاد . وان التلال والوديان الكائنة بين القدس ووادي الاردن ، كانت مسرحاً للسمور والضباع والاسود ووحوش الفلا . وان المدينة محاطة بعدد من الوديان القاحلة والجبال الجرداء . وانه لا نهر فيها ، ولا عين جارية ، خلا بركة سلوان . وليس لدى السكان ما يشربونه او يسقون به دوابهم سوى مياه الامطار . ومما قاله دانيال : ان زراعة الحبوب ناجحة في تلك الاراضي

- (١) The pilgrimage of Saewulf . translated by Rev . the Lord Bishop of Clifton . P.8
(٢) Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel In the Holy Land, 1106 A. D. Annotated by Col. Sir C. w. Wilson K. C. B. .K.C. M. G. .F. R. S. ,R. E.

(٣) كنيسة الداوية^(١) .

Church of Hospitallers

(٤) اقاموا بجانب كنيسة القديسة مريم الكبرى مستشفى لمدواة المرضى من الجند ومن سكان القدس المقيمين فيها ومن الحجاج النصارى الذين كانوا يقدون اليها . ويقول بعض المؤرخين ان هذا المستشفى كان يسمى **الفري مريض** .

(٥) وعلى جانب المستشفى المتقدم ذكره انشأوا نزلاً ، لا يزال رواق من اروقته ظاهراً في يومنا هذا ، حيث تعيش اسرة الدكتور اينسلر الالماني في شارع الدباغة . ويقال ان (**سوق البزار**) الذي يباع فيه الخضار الآن هو جزء من النزل الصليبي القديم وان شارع الدباغة الحالي كان يدعى (**شارع النخل**) ، وكان معداً للصاغة وتجار الحلي ٣٥ - واليك اسماء السياح الذين زاروا القدس خلال الحكم اللاتيني . وما قالوه عنها :

(أ) زار القدس بعيد مجيء الصليبيين ببضع سنوات (١١٠٢ م) الرحالة **سيولف الولشي** وقد ذكر في كتابه^(٢) انه قضى في الطريق بين يافا والقدس يومين . وقد وصف وعورة الطريق وخطارها . فهي وعرة لانها جبلية ، وخطرة لان بعض السكان يرابطون في الطريق . هذا فضلا عن انه يوجد ثمة كثير من الحيوانات المفترسة . وويل للذين يقتلون على الطريق . فانهم لا يجدون من يجرؤ على دفنهم . اذ ان من

- (١) يعتقد المسيحيون انها كانت في المكان الذي يقوم عليه الان المسجد العمري والمدرسة العمرية قبلي كنيسة القيامة .
(٢) Early Travels P.33

الصخرية رغم ندرة الأمطار . وانه لمن فضل الله على سكان القدس ان تعطي الحبة التي يزرعونها ، قحاً كانت ام شعيراً ، مئة وتسعين حبة ؛ مع ان الحبة الواحدة^(١) لا تثمر في الحماة فلسطين الاخرى اكثر من خمسة وعشرين ضعفاً .

الى ان قال انه يوجد حول القدس مساحات واسعة من الكروم التي تزرع فيها اشجار العنب والتين والجميز والخروب والزيتون وما الى ذلك من الفواكه الاخرى .

(ج) ولقد توفي ، في تلك الاثناء ، الامام الفزالي محمد بن محمد بن محمد ابو حامد (الطوسي الفقيه الشافعي . توفي سنة ٥٥٥ هـ - ١١١١ م . وكان امام عصره . درس ، وافتي ، وصنف . ثم ترك ذلك كله ، ولبس الخام الغليظ ، ولازم الصوم ، وحج . ثم قدم الى القدس^(٢) . حيث أخذ في تصنيف كتابه المشهور في (احياء العلوم) . وقد اتمه بدمشق .

(د) وقد زار القدس سنة ١١٧٢ م الرحالة الالماني ثيودوريتش فقال عنها : انها مدينة جبلية ، لكن صخورها جميلة ، فيها الابيض والاحمر والرخام المتعدد الالوان . وكلها صالحة لاخذ حجارة البناء . اما حيث يتجمع بعض التراب بين الصخور فنمو جميع انواع الفواكه ، وتكون الجبال مكسوة بالكروم والتين والزيتون .

واما الاودية فتملأها الجيوب والبساتين . اكثر شوارعها^(١) مبلطة بالواح كبيرة من الحجر . وهي مسقوفة بعقود حجرية . فيها نوافذ يدخل منها النور . وبيوتها مبنية من الحجر الجميل النقش . واسطحها مستوية . وليس لديهم اي ماء سوى ماء المطر الذي يجمعونه في آبار محفورة لهذه الغاية . والخشب غالي الثمن في القدس لانه يأتيها من مكان بعيد ألا وهو لبنان .

٣٦ - وكان يتردد على بيت المقدس في العهد الصليبي مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة^(٢) بن مرشد ابن علي بن المقداد بن نصر بن منقذ الكناني . الف كتاباً اسماه : (كتاب الاعتبار^(٣)) . وقد جاء في الصفحة ٩٩ منه ما يلي :

« كل من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية اجفى اخلاقاً من الذين قد تبدلوا وعاشروا المسلمين . فن جناء اخلاقهم قبحهم الله انني كنت اذا زرت البيت المقدس دخلت الى المسجد الأقصى . وفي جانبه مسجد صغير قد جعله الافرنج كنيسة . فكنت اذا دخلت المسجد الأقصى وفيه الداوية ، وهم اصديقي ، يخلون لي ذلك المسجد الصغير اصلي فيه . فدخلته يوماً ، فكبرت ووقفت في الصلاة . فهجم علي واحد من الافرنج ، مسكني ورد وجهي الى الشرق . وقال : كذا صل . فبادر اليه قوم من الداوية ، اخذوه واخرجوه عني . وعدت انا الى الصلاة فاغفلهم . وعاد هجم علي ذلك نفسه . ورد وجهي الى

(١) رواد الشرق العربي . ص ١٣٦

(٢) كان فارساً شجاعاً واديباً كاتباً وشاعراً ولد في شيراز (٤٨٨ هـ -

١٠٩٥ م) ودخل القدس في عهد الصليبيين وفي زمن

صلاح الدين (النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٧)

(٣) طبع ليدن سنة ١٨٨٤

Physical History of Palestine (١) by Kitto

(٢) (النجوم الزاهرة) ج ٥ ص ٢٠٣

« وليس عندهم شيء من النخوة والغيرة. يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته . يلقاه رجل آخر. يأخذ يد المرأة ، ويعتزل بها ، ويتحدث معها ، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث . فاذا طولت عليه خلاها مع المتحدث مضى ! »

الشرق . وقال كذا : صل . فعاد الداوي . دخلوا اليه وأخرجوه . واعتذروا الي وقالوا : هذا غريب ، وصل من بلاد الافرنج في هذه الايام . وما رأى من يصلي الى غير الشرق . فقلت حسبي من الصلاة . وخرجت . »



القدس في عهد صلاح الدين

ولقد استغل الغرب هذا الانقسام ، فقام يرتب حملاته الصليبية ضده ، وراح ينتزع بيت المقدس من يده . وقد تم له ما اراد . الامر الذي فصلناه تفصيلا في الفصل الذي تقدم ذكره .

كان العالم الاسلامي ، قبيل الفتح الصليبي ، يتخبط في دياجير الفوضى والانقسام . وكانت الفاطميون من ناحية ، والسلجوقيون من ناحية اخرى ، ينازعون العباسيين السلطة . فراحت البلاد نهبا مقسما بين هؤلاء وهؤلاء .



والرابعة في انطاكية . وكانت مقاطعة القدس اشدهن وقعاً واكثرهن تنكيلاً بالمسلمين . وكان من ابطاها البونى اوناط الذي حاول احتلال الحجاز وتخريب الكعبة وهدم قبر الرسول . حتى انه استحضر سفناً^(١) ، وسار بها بحراً الى ثغر من الثغور القريبة من المدينة على شاطئ البحر^(٢) .

اضف الى هذا ان صاحب الكرك ويجالد اعتدى ، اثناء الهدنة ، على قافلة من القوافل الاسلامية (١١٨٦ م) ؛ فنهبا ، وأسر رجالها . فاعتزم صلاح الدين كسر شوكتهم ، وانقاذ البلاد من غطرستهم . ورأى بعين ناقية ان ذلك لا يتم له الا اذا احتل القدس التي كانت السبب في مجيئهم الى هذه البلاد . وفي الحقيقة ان فتح القدس واستردادها من الصليبيين كان يشغل بال المسلمين منذ زمن نور الدين .

٥ - ان من ينعم النظر في صفحات التاريخ يرى ان نور الدين لم ينقطع عن بث الارصاد وارسال الفدائيين الى بيت المقدس وما حولها من ديار ، مذ سقطت هذه بيد الفرنجة ، ليجوسوا خلال الديار ، ويعرفوا كيف ومن اين يمكن مهاجمتها واسترجاعها الى حضيرة المسلمين .

ففي سنة ٥٥٠٦ - ١١١٢ م اغار المسلمون^(٣) على الضياع التي بين القدس وعكا . فغربوا ونهبوا وقتلوا . ثم عادوا الى دمشق .

٢ - في تلك الفترة من الزمن اقتطع بنوزنكي (مماليك السلاجقة) ولاية الموصل . وامتدوا الى سورية . واشتهر منهم نور الدين ببناهضته للفرنج ؛ فامتلئ دمشق (٥٤٩ هـ - ١١٥٤ م) ، واختار اسد الدين شيركوه^(١) قائداً عاماً لجنده . ولقد غزا اسد الدين مصر ثلاث مرات ، وجرت بينه وبين الصليبيين وقائع كثيرة ، ابلى فيها بلاءاً حسناً . فولاه (العاضد) الوزارة ولقبه الملك المنصور . ولما توفي اختار العاضد ، بطلب من امراء الجند ، ابن أخيه يوسف صلاح الدين^(٢) للوزارة .

٣ - ناوأ صلاح الدين الصليبيين مناوأة شديدة واغار عليهم في الكرك وعسقلان والرملة وغزة ، فازعجهم . ثم فتح العقبة . وارسل اخاه شمس الدولة الى اليمن ، ففتحها . وتوغل هو في السودان وضمه الى مصر^(٣) . وفي سنة (٥٦٧ - ١١٧١ م) وبناء على طلب نور الدين ، امر بلبس السواد شعار العباسيين ، وخطب في الجوامع للخليفة العباسي المستضيء ، وقطع خطبة الفاطميين . فانقرضت بذلك الخلافة الفاطمية . وفي ١١٧٥ م ولاه الخليفة حكم مصر والنوبة والمغرب وسورية وفلسطين^(٤) .

٤ - كان الصليبيون قد اسسوا ، بعد احتلالهم القدس ، اربع مقاطعات : الأولى في القدس ، والثانية في الرها وارف ، والثالثة في طرابلس ،

(١) عم صلاح الدين

(٢) اتفق اهل التاريخ على ان اياه واهله من (دوين) من اعمال اذربيجان . ومن قبيلة كردية . ولد سنة ٥٣٢ - ١١٣٧ م بقلعة تكريت . (ابن خلكان) .

(٣) البرغوثي وطوطح .

(٤) ابن خلكان ص ٣٩٩ ورواد الشرق العربي ص ١٣

(١) اتى بها شقفاً مفككة ، وعبر بها الصحراء من الكرك الى العقبة ، وفي خايح العقبة ركبا ، فأخذت تجري في البحر .

(٢) المهدي ص ٢٠

(٣) كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ . ص ٥٤

الواحد بن السائب، أيوب بن عبد الله. خرج وهو يسأل الله الشهادة .

وفي كهف قريب من المغارة نفسها، عثر الاستاذ (دالمن) على حجر نقش عليه بعض الكلمات رسمها الاستاذ (شيك) ونشرها في إحدى المجلات سنة ١٨٩٢ م . وقصد حلها (ماكس فان برشم) . فظهر أنها اسم (عبد الله عثمان بن سعيد القصري^(١)) . واستنتج من خطها الكوفي أنها والكتابات المتقدمة ذكرها ترجع الى منتصف القرن السادس للهجرة ، أي في زمن الملك العادل نور الدين بن زنكي الملقب بالشهد ، وهو الزمن الذي كانت القدس فيه في حوزة الأفرنج .

ذهب بعض المستشرقين الى أن هؤلاء القوم طائفة من المتصوفين أو الدراويش . وقال بعضهم أنهم خوارج أو قطاع طرق . ولكن الاستاذ عادل يؤكد أنهم أبطال من رجال نور الدين كان يبعث بهم ، بين كل آونة وأخرى ، ليجسوا خلال الديار ، ويأتوا اليه بالخبر اليقين . لأنه كان يسعى لاجلاء الصليبيين عن المدينة . ولكنه قضى نحبه ، قبل أن يدرك غايته . فقام بهذه المهمة ربيبه وخليفته صلاح الدين .

٦ - عندما اجتار نهر اليرموك قبل معركة حطين كانت قوة صلاح الدين ١٢,٠٠٠ فارس و ١٢,٠٠٠ متطوع . هذا على قول ابن الأثير . وأما ابن الجوزي فإنه يقول أن المتطوعين كانوا ٨٠,٠٠٠ . ويقول مؤرخو الغرب أن مجموع الجنود الذين كانوا تحت إمرة صلاح الدين لم يجاوزوا الـ ٧٠,٠٠٠ (المهتدي : ص ٣٥) . ومهما كان الأمر فإنه مما لا

وحدثنا ابن ميسر في تاريخه^(٢) ما يأتي :

« بعد أن احتل الصليبيون بيت المقدس واخذوها من الأفضل ، لم ينفك المسلمون عن ازعاجهم ومناوئتهم بين كل أونة وأخرى . وفي التاسع من جمادى الأولى سنة ٥٥٣ هـ - ١١٥٨ م سار اليها عسكر ، فعات وخرب وعاد بغنائم . »

ولقد عثر الاستاذ (مكاليستر^(٣)) في أسفل جبل الزيتون ، وعلى بعد ٦٠٠ متر من الزاوية الشمالية الشرقية من البرج المعروف قديماً ببرج اللقلق ، عند ملتقى وادي الجوز بوادي قدرون ، على مغارة مصهجة بالجص ذات قاعتين مربعتين ، داخلية وخارجية ، ذرع كل منها أربع في أربع تقريباً . تحتوي الداخلية منها على بضع عشرات من الكتابات العربية المحفورة على جدرانها الثلاثة . فربما كما هي ، وادعها لدى الاستاذ الألماني (دالمن) . وهذا اطلع عليها العلامة السويسري (ماكس فان برشم) الاختصاصي في مثل هذه الأمور . فعقد هذا فصلاً مطولاً عن هذه النقوش في مجموعته القيمة ، ولكنه لم يوفق الى حلها .

زار الاستاذ عادل نفسه المكان ، فوجد على الجدران كتابات عربية واسماء كتبت بخط كوفي ، يدل شكله على أنه من آثار منتصف القرن السادس للهجرة . ولقد تمكن من قراءة الاسماء التالية :

الله ولي بكر بن عمر ، حمزة بن حميد ، بشير بن عبد الله ، محمد بن سنان ، المنشيء اياس بن احمد ، عبد

(١) ض ٤٧٢

(٢) من مقال الاستاذ عادل جبر نشر في العدد ١٤ - ١٩٢٣ من مجلة (صوت الشعب) لصاحبها عيسى بندك .

(١) القصري نسبة الى قصر الخنقاء بمصر. وقد انتسب اليه كثيرون . منهم : فارس الدين بن ميمون القصري ، وأبوه ميمون القصري صاحب نابلس في أيام الملك العادل نور الدين الشهيد .

الى صلاح الدين . ولكننا نستبعد ان تكون هي وحدها التي حفزت صلاح الدين لفتح بيت المقدس . اذ كان صلاح الدين ، كما قلنا في الاسطر المتقدمة ، قد اعتزم فتحها بعد معركة حطين . لا بل انا نجزم انه لولاها لما وقعت معركة حطين . حتى ان احد المنجمين حذر صلاح الدين من فتح بيت المقدس قائلاً : انه قد يخسر احد عينيه ، اذا هو دخلها . فأجابته قائلاً :- « اني لاؤثر ان افقد بصري كله ، اذا كان من وراء ذلك فتح بيت المقدس »^(١) .

٨ - اثبت صلاح الدين بمهارته الحربية التي استعملها ، انه امير قائد^(٢) نزل الى ميادين الحروب خلال القرون الوسطى . فانظر ماذا فعل ؟ انه قبل ان يحاصر القدس ارسل الى قائده **لؤلؤ** رسالة ، امره فيها ان يراقب الشواطئ ، اثناء حصاره بيت المقدس ، لئلا يأتي الصليبيون مدد من اوربا . وأمره بالاستيلاء على اي مركب او سفينة لاتينية يراها تمخر في البحر . ولم يهاجم القدس ، الا بعد ان استولى على عسقلان وبيت جبرين من الجنوب ، وبعد ان طهر وادي الاردن من الشرق .

٩ - في ٢٠ أيلول ١١٨٧ شوهدت طلائع جيش صلاح الدين تقترب من اسوار بيت المقدس الى الغرب آتية من الخليل . وقد كانوا مزيجاً من العرب والكرد والأتراك . فعسكروا في النيكوفورية بين المحطة وبركة ماملا . ولكن سرعان ما ظهر لصلاح الدين ان هذا المكان ليس بمناسب لاجل الشروع في عمليات الحصار . وان الصليبيين المحاصرين قد يستغلونه لمصلحتهم . لان السور الغربي مشيد على أكمة مرتفعة . وعلى السور في تلك الناحية

شك فيه ان المعركة الفاصلة التي قامت في حطين (٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) بينه وبين الصليبيين كان النصر فيها حليفه .

ان انتصار صلاح الدين على الصليبيين في معركة حطين^(١) كان مقدمة لانزاهمهم في بيت المقدس . وهذا الانتصار نفسه هو الذي قضى على امانيتهم في استعمار فلسطين^(٢) . ان معظم سكان فلسطين كانوا في ذلك الحين من المسلمين . ولذلك استقبلوا اصلاح الدين بالترحاب . وفي بحر ايام قلائل اخذت الراية الصفراء ، راية صلاح الدين ، تخفق على أكثر المدن بفلسطين . وبعد ايام قلائل التحق به اخوه **العادل** الذي جاء من مصر لهذه الغاية . فسار الى بيت المقدس يريد افتتاحها

٧ - قيل انه كان في بيت المقدس شاب مأسور من اهالي دمشق ، وان هذا الشاب كتب على لسان القدس الابيات التالية وارسلها الى صلاح الدين :

يا ايها الملك الذي لمعالم الصليبان نكس
جاءت اليك ظلامسة تسمى من البيت المقدس
كل المساجد طهرت وانا على شرقي منجس

اورد مجير الدين في كتابه الانس الجليل هذه الابيات ؛ وقال انها هي التي حمست صلاح الدين ، وجعلته يفكر في فتح بيت المقدس ؛ وانه بعد ان افتمتجها التقى بالشاب ؛ فأنس فيه الكفاءة ، فلولاه خطابة المسجد الاقصى . واما نحن فنقول : ان القصة قد تكون واقعية من حيث كتابة الابيات وارسالها

(١) المهدي ص ٥٠ و (كتاب الروضتين في اخبار الدولتين) مؤلفه ابي شامة ص ٢٦٠

(٢) وصف (العهد الكاتب) في كتابه (البرق) ص ٢٧٠ السنة التي انتصر فيها المسلمون على الصليبيين في حطين ب (السنة الحسنة اغسنة) . لان فيها وقعت كسرة حطين ، وفيها فتح الساحل ، وفيها فتحت الارض المقدسة كلها للمسلمين .

(١) لم يذكر هذه الرواية احد من المؤرخين سوى ابن الجوزي . جزؤ ٨ ص ٢٥٤ .
(٢) المهدي ص ٥٨ .

١٠ - عندما اتم صلاح الدين ترتيباته ، وركب آلات الحصار ، واصبح قادراً على اقتحام الاسوار ؛ بعث في طلب اشراف المدينة وخاطبهم بقوله^(١) : « انني احترم مدينة القدس ، ولا ارجب في انتهاك حرمتها باراقة الدماء فيها . ولهذا انصحكم بترك المدينة . واتعهد من جهتي بان اعوضكم عن اموالكم بالاموال والاراضي » . ولما رفض هؤلاء الاذعان لنصحه ، اخذ يضربها بالمنجنيق ؛ فقام قتال عنيف بين الفريقين^(٢) مات فيه خلق كثير من الجانبين . ولكن دفعة المسلمين كانت هي الراجحة . اكثر الابراج قد تهدمت ، والسور قد انثلم من ناحية وادي جهنم^(٣) . فيئس الصليبيون ، وارسلوا رسلهم^(٤) الى صلاح الدين ، يعرضون عليه الاستسلام ؛ فرفض في بادي الامر ، قائلاً : « انه لن يمنحهم الشروط الطيبة التي منحها لغيرهم . ولا بد من دخول القدس ، كما دخلها الصليبيون قبل ٨٨ عاماً » . عندئذ استولى الخوف على سكان المدينة . فذعرت النساء ، وبكى الاطفال ، وراح الرهبان يولولون في شوارع المدينة ، ويندبون سوء المصير . ثم عادوا ، فارسلوا باليان ليفاض صلاح الدين . وقد طلب منه الصلح باسم اله البشر اجمعين . ومما قاله هذا لصلاح الدين^(٥) : « انه اذا ظل مصرأ في طلبه ، فانهم لن يسلموا . في البلاد عدد كبير من الناس . انهم لن يسلموها بسهولة . سوف يذبحون نساءهم ، لئلا تقع في ايدي المسلمين . ويهدمون الصخرة والاقصى . ويقتلون المسلمين من الاسرى

ابراج مسيطرة على المواقع التي احتلها . فلا يستطيع بناء الابراج التي كان لا بد من بنائها لضرب المدينة بالمنجنقات . والاراضي هناك من ناحية طبوغرافية لا تسمح بمثل هذه العمليات . اصف الى هذا ايضا ان الشمس التي تشرق من الشرق ، ستكون دوماً معاكسة للجيش الذي ياتي من الغرب طيلة النهار : من ساعة اشراقها من وراء جبل الزيتون حتى غروبها وراء ظهورهم . فلا يستطيع هذا ان يحارب خلال تلك المدة . ولهذا ارسل صلاح الدين طلأته ليستكشف الجهات الاخرى . ولما اتم كشفه في اليوم الخامس ، نقل جيشه الى الناحية الشمالية تجاه اسوار المدينة من الشمال^(٦) . الارض هنا واسعة ومنبسطة . انها تتسع لتخيم الجيش براحة وسهولة . وبإمكانه هنا ان يقترب من السور ، وان يلغمه دون كبير عناء . اذ لا آكام ولا هضاب . اصف الى ذلك ان السور من الناحية الشمالية كان اضعف من غيره واكثر انخفاضاً . وكانت هناك طريق موازية لاستقامة السور . ومع ذلك فقد قضى صلاح الدين في هذه الناحية عشرين يوماً ، قبل ان يتمكن من احتلال المدينة . ذلك لانه كان يحتاج الى بعض الوقت لترتيب آلات الحصار . ولا تنس انه كان في القدس يومئذ^(٧) ستون الف مقاتل خلا النساء والاطفال . وكانت محوطة بسور منيع . فما كان من السهل احتلالها قبل ان يعد جميع المعدات التي تفيده مأربه .

(١) تاريخ العرب والتمدن الاسلامي .

(٢) ابن خلكان ج ٢٠ ص ١٨٨

(٣) الانس الجليل لمجير الدين .

(٤) الرسول الذي ارسله الصليبيون لمفاوضة صلاح الدين هو

(باليان بن نيرزان) صاحب الرملة (ابن العبري ص ٣٨٤) .

(٥) ابن الاثير . ج ١١ ص ٢٠٧ .

(١) يقال انه عسكر هذه المرة في البطحاء الكائنة بين

المكسوبة وباب العمود وباب الساهرة .

(٢) ابن الجوزي ج ٨ ص ٢٥٤ . وكذلك (النوادر السلطانية

والمحاسن البوسفية) للقاضي بهاء الدين ابي الحسن يوسف

ابن تميم المعروف بابن شداد .

اربعين يوماً . وضمن لهم سلامة الرحيل الى صور وطرابلس .

(ج) امر بان توزع الصدقات على الفقراء والمرضى والارامل واليتامى والمقعدين ، وان يزودوا بالدواب .

(د) استأذنته الملكة (ازبلا) بالسفر ، فاذن لها ولرهناء كبير من النساء اللواتي كن معها . ولم يكتف بذلك ، بل أمر برد الاسرى الى اقاربهم .

(هـ) سمح لرجال الصحة - رغم انهم اشبهوا السلاح عليه - بان يواصلوا اسعاف الجرحى ومعالجة المرضى والعناية بالحجاج المسيحيين .

واما نصارى بيت المقدس^(١) فقد سمح لهم بان يسكنوا فيها ، ولا يخرجوا ، وان يؤمنوا ، ولا يزعموا . واقام فيها وفي اعمالها منهم الوف .

١٢ - جاء في البرق^(٢) : « وشرع الفرنج في اخلاء البيوت ، وبيع ما ادخلوه من الاثاث والقوت . وامهلوا حتى باعوا بارخص الاثمان . وكان خروجها اشبه بالهجرة . لا سيما ما تعذر نقله لثقله وصعوبة حمله . وكانوا كما قال الله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك واورثناها قوماً آخرين » .

(١) هذه الرواية التي وردت في (تاريخ العرب والتقدم الاسلامي) ايدها اكثر الروايات الاسلامية . وانا امر الحق لاندي كيف نوفق بينها وبين رواية الانس الجليل^(٣) اذ قاله جبر الدين : ان الذين لم يدفعوا الفدية وعددهم زهاء خمسة عشر الف (سبعة الاف رجل وثمانية الاف امرأة وطفل) بقوا في القدس ودخلوا في الرق . وفي السلوك ج ١ ص ٩٦ ان ستة عشر الفا ممن لم يقدر على شراء انفسهم اسروا

(٢) (كتاب الروضتين في اخبار الدولتين) ص ٣٣٨

الذين كانوا في المدينة وعددهم خمسة آلاف . ثم يحاربون حرب الابطال » . استشار صلاح الدين^(٤) قواده ورجاله ، وبناء على مشورتهم منح الصليبيين ما يطلبون . واتاح لهم مغادرة المدينة لقاء الجزية ، على ان تدفع خلال ٤٠ يوماً . ووضع على ابواب المدينة امناء ليحصلوا الجزية . فابتدأ خروج المسيحيين في اليوم الثاني من اكتوبر . وفي ذلك اليوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ - ٢ اكتوبر ١١٨٧ م احتل المسلمون القدس . وكان الوقت بعد بزوغ الشمس بثلاث ساعات^(٥) .

١١ - اظهر صلاح الدين شيئاً كثيراً من التسامح في معاملة النصارى^(٦) :

(أ) رغم انه حدد الفدية بعشرة دنانير شامية عن كل رجل ، وخمسة دنانير عن كل امرأة ، ودينار واحد^(٧) عن كل طفل ؛ وحصل عن هذه الطريق ما يقرب من مئة الف دينار ؛ فانه عفا عن كثيرين منهم ، فلم يدفعهم الجزية . ويقول المؤرخون : انه اقتدى هو وحده عشرة آلاف شخص . واطلق اخوه سيف الدين ابو بكر الملقب بالملك العادل سراح سبعة آلاف شخص .

(ب) سمح لجميع الجنود الصليبيين بان يغادروا المدينة مع اطفالهم وعائلاتهم خلال

(١) الهجوم الزاهرة ج ٦ ص ١١٠ .

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك .

(٣) العرب والتقدم الاسلامي ص ٣٠٧ .

(٤) قال القياضي ابن شداد ان الجزية التي حصلت عن كل صغير ، ذكر او انثى ، كانت ديناراً واحداً . واما العباد فانه قال : انها كانت دينارين . وقيل انها كانت في الاصل دينارين ، ثم خفضت الى دينار واحد .

وغلّبوا على ما في الدور من الماعون والمدخور .
أما الصناديق والأخشاب والرخام وما يجري مجراها
مما توفرت منه الأنواع والأقسام ، فإنها بقيت بحالها
متروكة .

وأشار العماد الكاتب على السلطان أن لا يسمح
لهم بأخذ ما كان على القبر من صفائح الذهب
والفضة ، وكانت تقدر بمئتي ألف دينار ، قائلاً له :
اعطيناهم الأمان في أموالهم لا على أموال الكنائس
والديارات .

فرفض السلطان ذلك لئلا يتهم بالغدر .

١٣ - كتب عماد الدين بوصفه أمين السر
لصلاح الدين ٧٠ كتاباً يخبر المسلمين بالفتح .

ومما جاء في الكتاب الذي أرسله إلى الإمام
الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن الإمام المستضيء
بامر الله قوله^(١) :

« اجتمع في القدس كل شريد منهم وطريد .
واعتصم بمتعتها كل قريب منهم وبعيد . وظنوا أنها
من الله مانعتهم ، وإن كنيستهم إلى الله شافعتهم .
فلما تركها الخادم رأى بلداً كبلاد ، وجمعاً كيوم
التناد ، وعزائم قد تألبت وتألفت على الموت .
فنزلت بعرضته ، وهان عليها مورد السيف وإن
تموت بغصته . فنازل البسلد من جانب : فإذا أودية
عميقة ، ولجج وعر عميقة ، وسور قد انعطف عطف
السوار ، وبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد
الدار ؛ فعدل إلى جهة أخرى كانت للمطالع عليها
معرج ، وللدخيل فيها متولج . فنزل عليها ، واحاط
بها ، وقرب منها ، وضرب خيمته بحيث يناله
السلاح بإطرافه ، ويزاحمه السور بأكتافه ، وقابلها

ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها ، وحاجزها ثم ناجزها ،
وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ، وصدع جمعها ؛
فاذا هم لا يصبرون على عبودية الحد عن عنق الصفع .
فراسلوه ببذل قطيعة إلى مدة ، وقصدوا نظرة من
شدة وانتظار النجدة . فعرفهم الخادم في لحن
القول ، واجابهم بلسان الطول . وقدم المنجنقات
التي تتولى عقوبات الحصون عقبها وحبالها ، وأوتر
لهم التي ترمي ولا تفارقها سهامها ولا تفارق سهامها
نصالها . وقدم النصر بشيراً من المنجنقي يخلد اخلاده
إلى الأرض ، ويعلو علوه إلى السماك . فحينئذ يئس
الكفار من أصحاب الدور ، كما يئس الكفار من
أصحاب القصور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله
الغرور . . . »

١٤ - بعد احتلال القدس انتشر جنود صلاح
الدين في شوارع المدينة وأحيائها : يحفظون الأمن
والنظام . ويحولون دون الفوضى والسرقات . فلا
نهب ، ولا نزاع ، ولا هم يحزنون . وقد رفعت
الاعلام الإسلامية على أسوار بيت المقدس ، ونصب
صلاح الدين خيمته خارج السور ، ليتمكن من
استقبال الوفود الكثيرة التي جاءت لتهنئته . ويقول
ابن الجوزي^(٢) : إن عدد المشايخ والرؤساء الذين
جاءوا لتهنئته ، زاد عن الألف .

ثم وزع العطايا والهبات^(٣) على قواد جيشه
وأمرائه . وأقام الولائم . واطعم الأسرى من
المسلمين الذين كانوا بيد الصليبيين . وبعد أن أكرمهم

(١) رواد الشرق العربي ص ٧٤ .

(٢) جاء في النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠ أن صلاح الدين
اضطر لأن يبيع شيعه من ضياعه ، ليتمكن من تفريق
على أيدي المجاهدين من رجاله وقادة جيشه .

(٣) (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين) ص ٣٢٠

ابن خلكان ص ٤١٩

فخذ الخراج من البسيطة كلها
واستأد فرض جزية وموظف
واقبض على الدنيا بكف زهادة
وابسط لرحمتها جناح تعطف
جاءت جنود الله تطلب ثارها
وصدورها بك عن قليل تشتفي
فانهض بها وتقاضى حقل موقنا
ان الاله بما تؤمله حفي
انت اصطفيتهم لنصرة ديننا
لله در المصطفى والمصطفى

١٥ - بعد ان تقبل صلاح الدين تهاني المهنيين
شرع في تنظيم المدينة . فذهب ، قبل كل شيء ، الى
مسجدي الصخرة والاقصى . وازال ما بهما من
آثار نصرانية^(١) . انه ازال النقوش والصلبان
التي رسمها الصليبيون على جدران الصخرة الداخلية ،
وغطاها بالرخام . وغسل الصخرة بماء الورد ،
فبخرت وفرشت . وامر بعمارة المسجد الاقصى
وتحشيه ورصفه بالفسيفساء والرخام .

ان في اقصى الجنوب بالمسجد الاقصى ، قبة
مرفوعة مزينة بالفصوص الذهبية الملونة . هذه على
الغالب صنعت في خلافة المهدي ورممت في زمن
الفاطميين وعلى عهد صلاح الدين الايوبي . ورتب في
المسجد من يقوم بوظائفه . فرسم^(٢) للقاضي محي
الدين محمد بن زكي الدين على القرشي ان يخطب في
المسجد الاقصى . فخطب ودعا للخليفة الناصر
وللسultan صلاح الدين . وانتصب بعد الصلاة ،

وكسأهم ، ارجعهم الى بلادهم . وقد احسن صلاح
الدين الى عدد كبير من العلماء .

كان معه اثناء الفتح الفقيه عيسى بن محمد بن
عيسى بن محمد بن احمد بن يوسف بن القاسم بن عيسى
ابن محمود بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن
علي بن ابي طالب . فقد اكرمه اكراما زائدا . وراح
يستشيره في اكثر اموره .

ومن الذين قربهم اليه الرحالة والطبيب اللغوي
والعالم المعروف موفق الدين عبد اللطيف البغدادي .
فقد زار هذا بيت المقدس بعد الهدنة خصيصا للقاء
صلاح الدين . واجتمع عنده بقاضي العسكر بهاء
الدين بن شداد ، والقاضي الفاضل ، والعماد الكاتب
وغيرهم كثيرين . ووصف موفق الدين مجلس صلاح
الدين بقوله :

ان نجم الدين يوسف الحسين بن الجاور الوزير
العزيمي ارسل اليه من مصر قصيدة ، جاء فيها :

يا ايها الملك الذي لطباعه
وسيوفه خلقا رضى وتعسف
لله يوم عروبة اذا عربت
ساعاته عن نصرك المتصرف
سنت سيوفك في الرؤس ختانة
ذهبت بمهجة كل عالج اقلق
ما للسواحل غير بحرك حافظ
بشبا سنان او بصفحة مرهف
احيت دين محمد واعمدته
وسترته من بعد طول تكشف

وضبطت ديوان الجهاد بعامل
من عامل وبشرف من مشرفي
ويجهز العزم الذي لا ينثني
وبناظر الرأي الذي لم يطرف

(١) كان الصليبيون قد حولوا مسجد الصخرة الى كنيسة ،
واقاموا فيها مذبحا ، واتخذوا جانبا من مسجد الاقصى كنيسة
والجانب الاخر مخازن ومنازل . وقد ملأها بالصور والنمايل
(٢) الانس الجليل .

١٦ - وأما كنيسة القيامة ، فقد فكّر صلاح الدين ، في بادي الأمر ، ان يأمر بإغلاقها . ولما استشار اصحابه ، اشار بعضهم بهدمها ، خشية أن يلجأ الصليبيون اليها ، ويتحصنون فيها . وأما باقي الصحاب فقد نصحوه ألا يفعل ذلك ، وان يعامل خصومه بالحسنى اسوة بعمر بن الخطاب . فعمل بنصحتهم . ولم يهدمها . ولكنه اكتفى بإغلاقها مؤقتاً ، ريثما ينتهي القتال . وعندما استتب له الامر ، عاد قاهر بفتحها . ففتحت . وقد سمح للمسيحيين بحرية العبادة فيها ، على ان يدفع كل شخص يغشاها من الفرنج قطعة يؤديها عند الدخول . واستثنى من ذلك النصارى سكان البلاد .

١٧ - رحل الصليبيون الذين غادروا بيت المقدس الى انطاكية ، وطرابلس ، وصور . فتجمع منهم في هذه المدن والثغور خلق كثير . وراح هؤلاء يتلقون النجيدات التي اخذت بعد ذلك ترد اليهم تباعاً عن طريق البحر .

ولم يكن صلاح الدين بغافل عما فعله الصليبيون . فقد اتى بعدد من القبائل العربية ، واقطعها لهم . فتوطن القدس^(١) قبائل من بني حارث ، وكانت منازلهم عند القلعة خارج المدينة . وحارة بني مرة من جهة الغرب الشمالي الى سوق الفخر (خان الزيت) . وحارة السعدية لبني سعد ، وكانت لهم حراسة باب الخليل ومفتاحه بيدهم . وبلي عقبة الشيوخ من جهة الشمال حارة بني زيد . وحارة الجراخنة سوق القطانين . ثم وزعهم على البلدان . ورتب الاعياد والمراسم المعروفة في بلادنا^(٢) . ومنها : (موسم

زين الدين بن نجما ، فوعظ الناس . وكانت تلك هي اول جمعة^(١) صليت بالمسجد المذكور بعد الفتح الصلاحي (الجمعة ٤ شعبان ٥٨٣ هـ) .

ثم امر بترخيم المحراب العمري القديم . وانك لتقرأ اليوم فوق محراب المسجد الاقصى السطور التالية منقوشة بالفيسفساء المذهبة : « بسم الله الرحمن الرحيم . امر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الاقصى الذي هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن ايوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، عندما فتحه الله على يديه في سنة ٥٨٣ هـ وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة ، واجزال حظه من المغفرة والرحمة » .

ثم امر بان ينقل الى المسجد الاقصى المنبر^(٢) الذي امر بصنعه نور الدين زنكي في حلب (٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م) . وانك لتقرأ الآن على خشب المنبر الكلمات التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم . امر بعمله العبد الفقير الى رحمته الذاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لاعداء دينه الملك العادل نور الدين ذكر الاسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين ابو القاسم محمود بن زنكي ابو سيف ناصر امير المؤمنين ، اعز الله انصاره وادام اقتداره واعلا مناره ونشر في الحافقين الويته واعلامه واعز اولياء دولته وازال كفار نعمته . وفتح له وعلى يديه . وذلك في سنة ٥٦٤ هـ »^(٣) .

(١) قال القاضي ابن شداد : ان الجمعة صليت ببيت المقدس يوم فتحة . وأما العاد فانه قال : ان يوم الفتح ضاق عن ذلك . فصليت في يوم الجمعة التالي .

(٢) (الكامل في التاريخ) لابن الاثير ج ١١ ص ٣٦٥ .

(٣) هذه وما اليها من اعمال قام بها صلاح الدين في مسجد الصخرة والاقصى ذكرناها بالتفصيل في كتابنا : (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك) . طبع في (دار الایتمام الاسلاميه) بالقدس عام ١٩٥٨ . نأشره الاستاذ فوزي يوسف صاحب (مكتبة الاندلس) .

(١) البرغوثي وطوطم .

(٢) هناك اعتقاد آخر وهو ان هذه الاعياد والمواسم من وضع الملك الظاهر بيبرس . وأما انا فاقول : ان الذي انشأ الفكرة هو صلاح الدين . وأما الذي وسعها وازادها اليها ، فهو الظاهر بيبرس .

الملوك لتنهضة بفتح بيت المقدس : من الروم والعراق وخراسان . وارسل الى امبراطور الدولة البيزنطية (اسحاق الثاني) بعثا ليخبره بما تم على يديه من الفتح ، ويسلم اليه مائة وتسعين رجلا من رعايا الدولة البيزنطية ، كانوا قد وقعوا في يده اثناء حروبه ضد الصليبيين . ونتج عن هذا البعث ان عقد الامبراطور والسلطان حلفاً سنة ٥٨٥ هـ - ١١٨٩ م كان من اثاره عداء عواهل غرب اوربا للدولة البيزنطية^(١) .

٢٠ - زار صلاح الدين القدس مرة اخرى بعد الفتح . وكان ذلك في ثامن ذي الحجة سنة ٥٨٤ هـ . ونزل هذه المرة في دار القسس المجاورة لكنيسة القيامة من الشمال والغرب ، وقد اتخذها - كما ذكرنا في غير موضع من هذا الكتاب - مسجداً ورباطاً للصالحاء الصوفية .

٢١ - انتعشت الحركة التجارية في البلاد على اثر الفتح الصلاحي ، حتى أن السياح الذين زاروا القدس في تلك الآونة قالوا : « ان من صادراتها الجبن والقطن والزبيب والتفاح وقضم قريش الذي لا نظير له والمرايا وقدور القناديل والابر والالبان » .

ان السوق المسقوف الواقع شرقي كنيسة الدباغة ، والذي نسميه الآن سوق المبيضين ، كان على عهد صلاح الدين ، سوقاً للخضار . والقسم غير المسقوف منه ، وهو الممتد من سوق المبيضين في الجنوب الى الشارع المؤدي الى كنيسة القيامة في الشمال ، كان سوقاً لبيع الدجاج والجبن وجميع انواع الالبان في ذلك الزمان .

النبي موسى) لاهل القدس واعمالها . و (موسم النبي صالح) للرملة واعمالها . و (موسم الداروم) لغزة واعمالها . وكذلك قل عن (موسم المنطار) . و (موسم الحسين) لعسقلان واعمالها . و (موسم ابي عبيدة بن الجراح) لعرب المساعيد والمشافة والصقر . و (موسم النبي روبين) ليافا واعمالها . و (موسم ابي العيون) لبنى صعب والشعراوية . وكذلك قل عن (علي بن عليم) . وغير ذلك كثير . وجعل هذه المواسم كلها تابعة لموسم (النبي موسى) الذي جمع له قرى بني مالك وبني حسن وجبل القدس والوادية . وعززهم بجبل الخليل ونابلس الذين يردون متعاقبين الى القدس مع اسلحتهم ومؤنهم وذخائرهم استعداداً للطوارئ . فتصادف هذه المواسم (عيد الفصح) الذي يأتي فيه الأوروبيون لزيارة القدس . والسبب في ذلك ان الصليبيين كانوا نكثوا العهد مراراً . فخشى صلاح الدين ان هم دخلوا القدس زواراً ، ان ينقلبوا جنوداً ، فيحتلون المدينة .

١٨ - قبل ان يغادر القدس ، عهد صلاح الدين بإدارتها الى اخيه الملك العادل (ابو بكر سيف الدين) . فاتخذ هذا دير القديسة مريم على جبل صهيون داراً للحكم . ونزلها هو وجنده . ولما رحل عنها صلاح الدين رحل معه اخوه الملك العادل . فتولى ادارة القدس احد امرائه الامير حسام الدين ساروج التركي^(١) . واستمر هذا على ولايته الى وقوع الهدنة بين السلطان والافرنج في سنة ٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م . فتولاها بعد الهدنة الامير عز الدين جرديك .

١٩ - رحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان ، يريد عكا . فاته ، وهو في عكا ، رسل

وأما السوق الذي نسميه في يومنا هذا سوق العطارين ، وهو الكائن شرقي السوقين المتقدم ذكرهما ؛ فإنه كان في تلك الأيام سوقاً للمطاعم والحلاقين .

٢٢ - لا يسعنا قبل ان نختتم هذا الفصل الا ان نشير الى المؤسسات التي انشأها صلاح الدين في بيت المقدس . ومنها : البيمارستان ، والخانقاه ، والمدرسة الصلاحية ، والسور والخندق الذي حوله ، ومقبرة باب الساهرة ، وقبة يوسف ، والجامع الذي على جبل الطور .

البيمارستان :

أما (البيمارستان)^(١) فقد انشأه سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م . أنشأه في الحي المعروف الآن بالدباغة . وكان فيما مضى يشمل المكان المعروف بسوق البازار والبقعة الكائنة في شماله وشرطراً من الارض التي تقوم عليها كنيسة الدباغة^(٢) وشرطراً من الارض التي تقوم عليها سوق افتيموس للروم الارثوذكس .

جاء في (تاريخ البيمارستانات في الاسلام)^(٣) : ان السلطان صلاح الدين ، عندما فتح القدس ، امر بان تجعل الكنيسة المجاورة لدار الاشبتار

(١) كلمة فارسية مؤلفة من (بيمار) ومعناها المريض او الدليل و (ستان) ومعناها المنزل او المكان وقد حرفت مع الزمان فصارت (مارستان) و (مرستان) . وبعد ان كانت تطلق على المستشفى من اي نوع كان ، راح الناس يطلقونها على مستشفى الامراض العقلية فقط .

(٢) اكتشف الالمان بين الانقاض ، وهم يحفرون اساس هذه الكنيسة ، حجارة نقش عليها اسم صلاح الدين واسماء الذين تولوا الحكم من بعده . (مجلة الراعي الصالح) السنة الثانية الجزء الثاني عشر ١٥ آذار ١٩٤٥ م ٤٣٧

(٣) للدكتور احمد عيسى بك من ٢٣

بقرب حمامه مارستانا للمرضى . ووقف عليها^(١) مواضع . وزودها بالادوية والعقاقير الغزيرة . وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف الى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع ابي تميم . وقال النويري^(٢) : وعزم السلطان صلاح الدين على الحج . ثم عاد الى القدس ورتب احواله . وعين الكنيسة التي في شارع قمامة بيمارستانا ، ونقل اليه العقاقير والادوية . ولقد ذاع صيت هذا البيمارستان في عهد صلاح الدين وفي العهود التي تلت . اذ كان يداوي الجرحى والمرضى من الجنود والاهلين ويوزع الادوية والعقاقير على الناس بلا مقابل .

ومن الاطباء الذين عملوا في المارستان الصلاحي بالقدس رشيد الدين بن علي الصوري . المكنى بابي الفضل . وقيل^(٣) ان اسمه الحقيقي ابو المنصور بن ابي الفضل بن علي الصوري . ولد في صور ، وتعلم صناعة الطب ، واقام بالقدس يطبب المرضى (٦١٢ هـ - ١٢١٤ م) . وكان وحيد زمانه في معرفة الادوية . فقربه الملك العادل اليه . وبعد وفاة الملك العادل صار طبيباً لابنه الملك المعظم عيسى . وله عدة مؤلفات . توفي سنة (٦٣٩ هـ - ١٢٤٢ م) .

ومنهم : يعقوب بن صقلان (وفي قول آخر صقلاب) النصراني المقدسي . ولد بالهدس . وقرأ الحكمة والطب . واقام بالقدس في مباشرة البيمارستان الصلاحي . ذكره ابن القفطي في كتابه (تاريخ الحكماء) . فقال : انه ظل مقيماً فيه حتى عام (٦١٥ هـ - ١٢١٨ م) . وكان من المقربين الى الملك

(١) عقد الجمان (لاميني) .

(٢) نهاية الارب في فنون الادب (حوادث سنة ٥٨٨ هـ .

(٣) تاريخ البيمارستانات في الاسلام) للدكتور احمد عيسى طبع في دمشق سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩ م . ص ٢٣٠ -

٢٣٣ -

وبعضها راكب على ظهر الكنيسة ، فحواله الى جامع ورباط اوقفه خانقاه للصوفية^(١) . وتاريخ الوقف في الخامس من شهر رمضان سنة ٥٨٥ هـ - ١١٨٩ م .

وقد صارت هذه في الاسلام داراً للمجاهدين . عليها منارة انشئت زمن المماليك . انشأها الشيخ برهان الدين بن غانم شيخ الخانقاه حوالي سنة ٨٢٠ هـ - ١٤١٧ م .

ونقل مجير الدين الحنبلي عن الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ عبدالله البغدادي ، انه لما قصد الشيخ برهان الدين بن غانم بناء المنارة المذكورة شق ذلك على النصارى بالقدس ، لكونها على كنيسة القمامة . فاجتمع رأيهم على دفع مال كثير للشيخ برهان ، على ان يترك بناءها ، فلم يقبل .

المدرسة الصلاحية :

جعل صلاح الدين كنيسة القديسة حنة^(٢) مدرسة للشافعية . وفي ذلك يقول مجير الدين : « وفاوض السلطان جلساءه من العلماء في مدرسة للفقهاء الشافعيين ورباط للصالحاء الصوفيين ، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنة . ويقال ان فيها قبر حنة ام مريم عليها السلام . وهي عند باب الاسباط . ووقفها في ثلاث عشر رجب سنة ٥٨٨ هـ . ووظيفة مشيختها من الوظائف السنية في الاسلام »

(١) مجير الدين ج ١ ص ٣٠٢

(٢) يعتقد المسيحيون ان هذه الكنيسة بنيت في المكان الذي كان يقوم عليه ، قبل ميلاد المسيح ، مسكن يواكيم وحنه والذي مربي البتول . حفظت هذه الكنيسة ، كما حفظ غيرها من الكنائس ، في الفتح العمري . ولكنها هجرت في اوائل القرن التاسع (٨١٢ م) بسبب الاضطرابات التي قامت في المدينة . ولما ملك الفرنجة القدس (١٢٩٢ - ١٠٩٩ م) اعادوها كنيسة

المعظم عيسى بن الملك العادل . فنقله الى دمشق . وصار طبيبه الخاص . واصابه نقرس ووجع مفاصل اقمده عن الحركة ، حتى قيل : ان الملك المعظم اذا احتاج اليه استدعاه في محفة تحمل بين الرجال . قال الاستاذ رثيف الساعاتي^(١) :

ان هذا البيارستان انهار كغيره من المباني مع الايام . وان الزلزال الذي حدث عام ١٤٥٨ م اتى على البقية الباقية من انقاضه . ولعله يقصد البناء الاصلي الذي شيده صلاح الدين . اذ ان السجلات^(٢) التي عثرنا عليها في المحكمة الشرعية بالقدس ، تدل على انه كانت هناك في اواسط القرن الثامن عشر ، مؤسسة تعرف بالمارستان الصلاحي ؛ حتى ان القاضي عين زين بن امام قلعة البرك في وظيفة خدمة المرضى والمجانين بالمارستان الصلاحي بعثمانيين في كل سنة ، عوضاً عن حجازي بن العجمية لوفاته . وقد امره بتقوى الله في عمله ، وبلاستنابة عند الحاجة . وحضر المتولي على الوقف عبد الله العلمي وبقية المتولين ، واحالوا الى زين ، نظير خدمته ، اجرة الخاضعين السكائين بالدباغة ، المعروفين بالسجن الذين كان يتناول اجرتهما حجازي المزبور الخادم السابق بما لها من الاجرة في كل سنة ، وقدرها ستة غروش عديدة . وقبل ذلك ، وفي سنة (١١٦٧ - ١٧٥٣ م) كان متولى وقف البيارستان الصلاحي محمد بن نجم الدين افندي العلمي .

الخانقاه الصلاحية

اخذ صلاح الدين جانباً من منزل البطريرك الملاصق لكنيسة القيامة من ناحيتها الشمالية ،

(١) مجلة (الراعي الصالح) . السنة الثانية . الجزء الثامن عشر ١٥ آذار ١٩٤٢ ص ٣٤٦ .

(٢) السجل ١٨٨ - ٢٢١ الصفحة ٢٦٣ التاريخ ١١٣٩ - ١٧٢٦ م .

العادل وامرائه . وبعض الحجارة التي كانوا يقطعونها من الخندق كانوا يبنونها في السور . ولقد وصف الرحالة الذائع الصيت موفق الدين عبد اللطيف البغدادي الذي ذكرناه فيما تقدم ، وقلنا انه زار القدس خصيصاً ليرى صلاح الدين . وصف هذا اهتمام صلاح الدين ببناء السور بقوله :

« . . . وكان مهتماً في بناء سور القدس ، وحفر خندقه . يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه . ويتأسى به جميع الناس ، الفقراء والاعنياء ، الضعفاء والاقياء ، حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل . ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر . ويأتي داره وعيسد الطعام ، ثم يستريح ، ويركب العصر ، ويرجع في المشاغل . ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً . . . »

مقبرة باب الساهرة

كانوا يسمونها فيامضى (مقبرة المجاهدين) . وهي من آثار صلاح الدين . انها على بعد بضعة امتار من باب المدينة الشمالي المعروف بباب الساهرة . فيها عدد كبير من قبور الصلحاء والمجاهدين . وتستعمل حتى يومنا هذا (١٩٦٠) لدفن الموتى من المسلمين .

خلا جانب من جوانبها وهو منها الى الشرق ، حيث تقوم الان (١٩٦٠) دار الاخوان المسلمين ومنازل فريق من آل العلمي وغيرهم . فقد اندرس هذا الجانب - ولسنا ندرس كيف اندرس ؟ وتبعثرت القبور التي كانت فيه ! .

قبة يوسف

واقعة الى الجنوب من فناء الصخرة ، بين القبة النحوية ومنبر برهان الدين . نقشت عليها الكلمات الاتية :

وكتبت الوقفية التالية على حجر كبير وضع على باب المدرسة ولم يزل الى الآن :
« بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله . هذه المدرسة المباركة ، وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدين والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شادى محي دولة امير المؤمنين ، اعز الله انصاره ، وجمع له بين خير الدنيا والآخرة ، على الفقهاء من اصحاب الامام ابي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه . سنة ثمان وثمانين وخمس مائة . »

وقال ابو الفداء : « رحل السلطان صلاح الدين الى القدس في ٤ رمضان . فتفقد احواله ، وامر بتشديد اسواره ، وزاد في وقف المدرسة التي عملها . وهذه المدرسة كانت تعرف قبل الاسلام بصند حنة ويذكرون ان فيها قبر حنة ام مريم . ثم صارت في الاسلام دار علم ، قبل ان يملك الفرنجة القدس . ولما ملك الفرنج القدس سنة ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م اعادوها كنيسة كما كانت قبل الاسلام . فلما فتح السلطان القدس ؛ اعادها مدرسة ، وفوض تدريسها ووقفها الى القاضي بهاء الدين بن شداد . »

سور المدينة

اهتم صلاح الدين بتعمير السور ، وتجديد ما تهدم منه ، اهتماماً كبيراً . وجدد ابراجاً حربية من باب العمود الى باب الخليل . وحفر حول السور الخنادق ، لئلا يسهل الدنو منه . وكان يعمل بيده في ذلك ، ويشارك العمال^(١) في نقل الحجارة ، والصناع في اعمال البناء . وكذلك قل عن اولاده وعن اخيه

(١) قال مجير الدين ج ١ ص ٣٣٨ ان الغني من العمال الذين اشتغلوا في عمارة الخندق والسور مع صلاح الدين ، كانوا من اسرى الفرنجة ، وبعضهم من الموصل ؛ وان صاحب الموصل ارسلهم مع بعض حجابيه ، وقد حمهم مقدارا من المال لينفق في بناء السور ؛ وان العمل استمر نصف سنة .

٢٣ - مات صلاح الدين^(١) في دمشق سنة ٥٨٩هـ. ودفن في تربة بنيت له بجوار جامع بني أمية . وكان عمره لما مات نحواً من سبع وخمسين سنة . وترك من الأولاد سبعة عشر ذكراً وبناتاً واحسدة صغيرة . ولم يخلف في خزانته سوى سبعة وأربعين درهما . ولم يترك داراً ولا عقاراً . كان رحمه الله كثير التواضع ، قريباً من الناس ، كثير الاحتمال ، شديد المداراة ، محباً للفقهاء وأهل الدين والخير ، مائلاً إلى الفضائل ، يستحسن الشعر الجيد ويردده في مجلسه . شديد التمسك بالشرعية . كريماً ، ورعاً ، عادلاً . والاهم من هذا كله انه كان شجاعاً في الحروب . ولولم يكن له من الفضل الافتح بيت المقدس ، وادخال هذه البلاد المقدسة في حوزة المسلمين لكفاه ذلك فخراً . فقد بقيت كلمة العرب والاسلام هي العليا في هذه البلاد من الفتوح الصلاحي (١١٨٧ م) إلى الاحتلال الانكليزي (١٩١٧ م) أي قرابة سبعة قرون ونصف قرن .

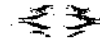
١ - المقيزي

« بسم الله الرحمن الرحيم . وصلواته على محمد النبي وآله . امر بعمارتها وحفر الخندق مولانا الملك الناصر صلاح الدين والدين سلطان الاسلام والمسلمين خادماً الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس ابو المظفر يوسف بن ايوب محي دولة امير المؤمنين . ادام الله كيانه ونصر اعلامه في ايام الامير الكبير سيف الدين على بن احمد اعزه الله سنة سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة النبوية . »

جامع الجبل

المقصود هنا جبل الطور الكائن شرقي بيت المقدس . جدد صلاح الدين ووسعه . وكان ذلك بناء على رسالة كتبها القاضي الفاضل^(١) باسم ابناء القدس ، وارسلها إلى صلاح الدين ، وقد طلب فيها توسيع جامع الجبل ، فوسعه .

١ - اقتبست هذه المعلومات من مخطوط وجدت في مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بعنوان . مجموعة مراسلات القاضي الفاضل والعماد الكاتب وابن بصفة . ويرجع تاريخ هذا المخطوط إلى سنة ٦٤٤ هـ - ١٢٤٦ م .



القدس وحفدة صلاح الدين

في سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م . وهذا بين من الكتابة التالية التي وجدتها منقوشة على حجر من الرخام مثبت في جدار المسجد . وقد كتبت بالخط النسخي الايوبي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . امر بعمارة هذا المسجد الشريف والدرجة المباركة ، مولانا الملك الافضل نور الدنيا والدين خادم بيت الله المقدس وحافظه من المردة الكافرين ابو الحسن علي بن مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن ايوب ، قدس الله روحه ونور ضريحه ابتغاء رضوانه ، في شهور سنة تسع وثمانين وخمس مائة . بتولي الفقير الى رحمة الله عز الدين جرديك متولي الحرم بالبيت المقدس » .

٢ - في تلك البرهة توفي (٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م) علي بن احمد الامير سيف الدين (٢) بن المشطوب ملك الحكارية (٣) . وقد صلي عليه بالجامع الاقصى ، ودفن بالقدس .

٣ - ارسل الافضل الى اخيه العزيز كتاباً تنازل له فيه عن القدس ، ووافق على الحاقها بمصر . وكان ذلك بتدبير من وزيره ابن الاثير . لانها كانت تحتاج الى مال ورجال لدفع عادية الفرنج عنها . فسر العزيز بذلك . وارسل مع (عز الدين جرديك

بعد وفاة صلاح الدين (٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م) انقسمت امبراطوريته المتراصة الاطراف الى عدة ممالك ، فصارت :

الشام وفلسطين - لابنه علي الملقب بالملك الافضل (ابي الحسن نور الدين) .

مصر - لابنه عثمان الملقب بالملك العزيز (ابي الفتح عماد الدين) .

حلب - لابنه غازي الملقب بالملك الظاهر (غياث الدين) .

الحرك والشوبك وقسم من الجزيرة وما بين النهرين - لاختيه الملك العادل (ابي بكر سيف الدين) .

حصص - لابن عمه شيركوه .

اليمن - لاختيه الثاني طفتكين بن ايوب (سيف الاسلام) .

وكانت مدينة القدس (١) مضافة للافضل وهو اكبر اخوته . وهو الذي انشا (المدرسة الافضية) (٢) بحارة المغاربة وتعرف قديماً بالقبعة . ومن آثاره (المسجد العمري (٣)) الكائن الى الجنوب من ساحة كنيسة القيامة . والظاهر انه بناء على اساس قديم . وبنى له منارة (٤) علو زاوية الدركاه . وكان ذلك

(١) بحير الدين

(٢) راجع ما كتبناه عنها في (مدارس القدس القديمة)

(٣) عندما ذكر بحير الدين هذا المسجد قال عنه انه «كائن عند قامة علو سجن الشرطة» . ومن هذا نفهم انه كان هناك يومئذ شرطة وسجن .

(٤) هدم بعضها على اثر زلزلة وقعت في محرم سنة ٥٨٦٣ هـ - ١٤٥٨ م . فانعيد بناؤها حوالي سنة ٥٨٧٠ - ١٤٦٥ م .

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١١٧

(٢) كان اميرا شجاعا . دخل مصر مع اسد الدين شيركوه . وعاد بعد سلطنة صلاح الدين الى البلاد الشامية .

(٣) ناحية من نواحي الموصل ، يسكنها اكرااد . ويقال لهم الحكاربه .

ومن حسناته في بيت المقدس ، انه وقف^(١) جميع اراضي خربة دير ابي ثور واراضي القمرية الشرقية والغربية واراضي خربة بيت سميرة الكائنة ظاهر القدس الشريف ، على الشيخ احمد الثوري ، ثم على اولاده وذريته . وفي حالة انقطاع النسل على بر لا ينقطع .

٧ - ولما توفي الملك العزيز (٢٧ محرم سنة ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م) انتقل ملكه الى ولده محمد . ولقب بالسلطان الملك المنصور ناصر الدين . الا انه كان صغيراً . فاقم الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي ، بناء على توصية ابيه ، اتابكا^(٢) .

٨ - ويظهر ان الامير قراقوش هذا كان مكروهاً ، وكان بين الامراء من يطمع في منصبه هذا . فقد حدثنا التاريخ ، انه قامت في القدس ، على أثر ذلك ، مؤامرة قوامها الامير فخر الدين جهاركس من امراء الدولة بمصر ، والامير زين الدين قراجا ، والامير اسد الدين سر استقر ، والامير شجاع الدين طغرل السلاحدار والامير عز الدين اسامة ، والامير فارس الدين ميمون القصري صاحب نابلس . وقد جاء هذا الى القدس ومعه سبعمائة فارس منتخبون . واشترك في المؤامرة نائب القدس يومئذ (الامير صارم الدين صالح) . فكاتب هؤلاء الملك العادل ، وكان يومئذ في دمشق ، يستدعونه لاتباعه الملك المنصور . ولكن الملك الافضل احبط هذه المؤامرة ، وسار الى مصر ، فاستولى على امور الدولة . ولم يبق للمنصور غير الاسم . وقبض على فريق من المتآمرين ، وفر

النوري (متولي القدس^(١) عشرة آلاف دينار ، لينفقها في عسكر القدس . فخطب له بها . ثم ارسل اليها جنداً آخرين ، خشية ان ينقض الفرنج الهدنة .

٤ - ثم بدا للافضل (بدمشق) ان يعود عما رغب فيه لاختيه ، ورجع عنه فعلاً^(٢) . فتنافر الاخوان . وزاد في تنافرهما تدخل الامراء (٥٩٠ هـ - ١١٩٤ م) . فساءت الحال وتنافرت القلوب . وخرج العزيز من مصر يريد لقاء اخيه الافضل . وانتزع الشام من يده ، بمسكر من الصلاحية والاسدية والاكرد وغيرهم . وكاد ينتزعها منه ، لولا ان توسط باقي الاخوة والاعمام . واصلحوا ما بينها .

٥ - ولكن الفساد عاد فاشتد بين الاخوين باغراء من عمها الملك العادل . فاخذ العزيز القدس والشام من يد اخيه الافضل . واصبح الحاكم المطلق في مصر والشام معاً . وبعد ان استتب له الامر ، نزل القدس (رمضان ٥٩٢ هـ - ١١٩٥ م) . فاقال ابا الهيجاء السمين^(٣) . واقام على القدس بدلاً منه الامير شمس الدين سنقر الكبير .

٦ - كان الامير عثمان (العزيز) بن الملك الصالح صلاح الدين شجاعاً ، وكان كريماً عادلاً ورحيماً . فقد ابطل بعض الضرائب والرسوم التي كانت تجبى من الناس على عهده . ومنع استخدام اهل الذمة في شيء من الخدم السلطانية . والزم هؤلاء لبس الغيار^(٤) .

(١) هو الامير جرديك بن عبدالله النوري الذي ولاه صلاح الدين نيابة القدس .

(٢) المقرئ ج ١ ص ١١٥

(٣) تولى ابو الهيجاء نيابة القدس بعد وفاة الامير جرديك .

(٤) جاء في فادوس (محيط المحيط) ان الغيار هو الملبوس الذي يتميز به اهل الذمة عن المسلمين في القرون الوسطى .

(١) اقتبسنا هذه المعلومات عن حكم صدر من المحكمة الشرعية بالقدس بتاريخ ١٢٢١ هـ وبوقيع القاضي السيد احمد نجيب .

(٢) كلمة تركية مؤلفة من (انا) بمعنى الاب و (بك) بمعنى امير . وهي هنا بمثابة الوصي على العرش وقائد الجيش .

وخسائة . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وسلم تسليما .

١١ - توفي في تلك السنة (٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م) الزاهد ابو عبدالله محمد بن احمد القرشي الهاشمي الاندلسي ، ودفن في بيت المقدس .

١٢ - اتسعت مملكة العادل ، فقسمها قبل موته بين اولاده : الملك الكامل ناصر الدين محمد (مصر) . والملك الاشرف مظفر الدين موسى (الشرق) . والملك الاوحد نجم الدين ايوب (خلاط وميافارقين) . والملك المعظم شرف الدين عيسى (من العريش الى حمص) . وجاء في النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٧٢ انه كان للملك العادل ابن آخر يدعى الملك الامجد حسن ، وان هذا توفي في حياة ابيه ، ودفن بالقدس في مدرسة بنيت باسمه .

١٣ - ولما مات^(١) (٦١٥ هـ - ١٢١٨ م) ترك في خزائنه سبعمائة الف دينار . استولى عليها ابنه الملك المعظم . وكانت القدس من اعماله . وكان يديرها بالنيابة عنه^(٢) الامير عز الدين عمر بن يغمور المعظمي (٦١٠ هـ - ١٢١٣ م) . وكان يلقب بالمتولي . ثم ادارها الامير بدر الدين المكاوي^(٣) .

١٤ - يحكى عن الملك المعظم عيسى بن العادل ابي بكر ، انه كان يلبس الكفوتة الصفراء بلا شاش ، ويخترق الاسواق من غير ان يطرق بين يديه كغيره من الملوك .

الاخرون . فانقسمت البلاد الى قسمين : قسم (بمصر) يؤيد الملك المنصور بوصاية الملك الافضل ، وقسم (بدمشق) يؤيد الملك العادل . وراحت القدس تعاني الم الحرب والغلاء بين هذا وذاك . ولكنها - على ما يظهر - كانت يومئذ ترجع دفء الشام . اذ جاء في السلوك^(١) ان الصلاحية قدمت من القدس نصرة للعادل ، وان عضد العادل اشتد بقنودهم ، وجهز الى القدس من يمنع الميرة الواصلة من مصر الى الافضل . فوجدوا يزكج (وهناك من يقول ياركوح) قد اخرج سبعمائة من عسكر مصر نجدة للافضل . فقاتلهم وكسروهم وغنموا مامعهم .

٩ - ظل الافضل وعمه العادل يتحاربان ، وكانت الحرب سجالا بين الفريقين ، الى ان تغلب العادل . فدخل مصر ، واقام على اتابكية الملك المنصور (٥٩٦ هـ - ١١٩٩ م) . ثم خلعه في السنة نفسها ، وتولى السلطنة بدلا منه . فاصبح ملك مصر والشام ، وسمي (السلطان الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب) .

١٠ - من آثار الملك العادل في القدس سقاية الحرم والمطهرة (٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م) . ولقد نقش على حجر من رخام بالخط النسخي الايوبي القديم ، وباحرف صغيرة الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بعمل هذه السقاية المباركة السعيدة مولانا السيد الاجل الملك العادل المظفر الهمام ناصر الاسلام غياث الانام سيف الدنيا والدين سلطان جيوش المسلمين ابو بكر محمد بن ايوب خليل امير المؤمنين ، ادام الله قدرته واعلا ابداء كلمته ونصر في الخافقين اعلامه والويته بمحمد وآله وذريته ، في شهر شوال سنة تسع وتسعين

(١) جاء في السلوك للمقريزي (ص ٦٢٧) ان الملك العادل كان حيد السيرة ، حسن العقيدة ، كثير السياسة . حنكته التجارب . وكان اميل الى المكائيد واخذع منه الى الحروب . صبور - حليم . مهيب . عظيم . دين . وكان اكولاتها . وكان يضيف بدمشق ويقيم في مصر .

(٢) القلقشندي . ج ٤ ص ٢٢ .

(٣) مات على جبل الطور . ونقلت رفاته الى القدس . ودفن في مقبرة مامل .

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ج ١ ص ١٤٩ .

شاذية . وتولى عمارته عز الدين عمر بن يغمور المعظمي . في شهور سنة عشر وسبائة . والحمد لله رب العالمين » . (٦١٠ هـ - ١٢١٣ م) .

ومنها (سبيل شعلان) فقد بناه الملك المعظم عيسى سنة ٦١٣ هـ - ١٢١٦ م . وهو واقع شمالي الحرم والقرب من الرواق الذي بناه هو (اي الملك المعظم) .

ومن آثاره (المدرسة البدرية) الكائنة في وسط المدينة القديمة ، وفي الناحية الغربية من شارع القرمي^(١) . وقد اندثرت ، ولم يبق منها الا بعض آثار دجت بالابنية الحديثة . وقد كتب على مدخلها بالنسخ الايوبي هذه الكلمات^(٢) :

« بسمه . . . انشأ هذه المدرسة المباركة على اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه ، المولى الامير الكبير الغازي المجاهد الشهيد بدر الدين محمد بن ابي القاسم الهكاري ، رحمه الله وتقبل منه ، في شهور سنة عشرة وسبائة ، وجعل نظرها الى الارشد من اولاده ، كثروهم الله تعالى وجعل سعيهم مشكوراً وذنبهم مغفوراً . ورحمه الله ولن ترحم عليه » .

ويظهر ان البيمارستان الذي عمره صلاح الدين في بيت المقدس والذي خصص يومئذ لمعالجة المرضى ، كان موضع عناية الملك المعظم . فقد حدثنا ابن العبري^(٣) ان يعقوب بن صقلان الطبيب المملوكي المقدمي ، وكان مولده بالقدس الشريف وبه قرأ شيئاً من الحكمة على تاذوري الفيلسوف الانطاكي ، كان يباشر شؤون البيمارستان ، الى ان ملكه الملك المعظم فاخص به . وكان هذا حسن المعالجة بالتجربة

ويظهر ان سكان البلاد كلهم تبعوه ، واقتبسوا عنه هذا اللباس . فقد حدثنا القلقشندي^(١) انهم كانوا يلبسون الكلونات الصفر على رؤوسهم مكشوفة بغير عمام ، وذوائب شعورهم مرخاة تحتها ؛ سواء في ذلك المالك والامراء وغيرهم .

١٥ - قيل ان الملك المعظم عيسى كان يحب القدس كثيراً . ولطالما نزها ، متفقدا احوالها . حتى انه عندما التقى بالفرننج في الساحل ، وقتلهم وانتصر عليهم ، وقتل منهم من قتل واسر من الداوية من اسر ، رأي ان يبعث بالاسرى الى بيت المقدس . فارسلهم اليها منكسي الاعلام^(٢) .

١٦ - ان للملك المعظم شرف الدين عيسى اثار جمة بمدينة القدس ، نذكر منها : الاروقة التي امام المسجد الاقصى من الشمال والمؤلفة من سبعة اقواس . وكذلك الابواب الخشبية التي تجدها عند مدخل الاقصى من الشمال (٦٣٤ هـ - ١٢٣٦ م) .

و (المدرسة المعظمية) . ويقال لها ايضاً (الحنفية) . واقعة على طريق سنتنا مريم وللشمال منها ، مقابل الزقاق المؤدي الى باب الحرم المسمى باب العتم .

ومن آثاره البرج القائم في وسط القلعة بباب الخليل . فانك اذا ما دخلت القلعة المذكورة وجدت برجاً بالقرب من الجامع الى القبلة ، وعلى احد جدرانها حجر كلبي ، نقشت عليه بالخط النسخي الايوبي ، السطور التالية^(٣) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . . لا اله الا الله محمد رسول الله . . . عمل هذا البرج المبارك بأمر مولانا الملك المعظم شرف الدنيا والدين ابي المظفر عيسى ابن الملك العادل سيف ابي بكر محمد بن ايوب بن

(١) ان هذا الشارع كان بين شارع باب السلسلة وشارع السراية .

(٢) برشنام .

(٣) ص ٤٤٣ .

(١) ص ٥٥١ ج ١ ، ص ٥ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٢٣ .

(٣) برشنام .

والعطش . ونهبت الاموال التي كانت لهم بالقدس .
وبلغ ثمن القنطار من الزيت عشرة دراهم . والرطل
النحاس نصف درهم .

ونقل المعظم ما كان في القدس من اسلحة
وآلات قتال^(١) . فشق ذلك على المسلمين . وذموا
عمله .

ذم الناس المعظم لتخريبه القدس . فقال^(٢)
القاضي مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي قاضي
الطور في خراب القدس :

مررت على القدس الشريف مساما
على ما تبقى من ربوع كأنجم
ففاضت دموع العين مني صباة
على ما مضى من عصره المتقدم
وقد رام عليح ان تعفى رسومه
وشمر عن كفي لثيم مذمم
فقلت له شلت يمينك خلها
لمعتبر او سائل او مسلم
فلو كان يفدى بالنفوس فديته
بنفسي وهذا الظن في كل مسلم

ومن الذين ذموه اسامة بن منقذ الكناني الذي
ذكرناه في آخر فصل الصليبيين . وقيل انه (اي
الملك المعظم) اتهمه بمكاتبة الملك الظاهر غازي
صاحب حلب . فهرب اسامة من القاهرة . خرج
منها كانه يريد ان يتصيد .

وكان به مرض النقرس . فلحق به الملك المعظم
عيسى الى غزة . وفي الطريق رآه بعض الصيادين .
فرموه . واخذوه الى الخليل . ومنها الى القدس .

البيارستانية . وقد ارتفعت حاله عند الملك ، وكثر
ماله الى ان مرض . وقيل ان الملك المعظم كان اذا
احتاج اليه في مرضه ، استدعاه بحفنة تحمل بين
الرجان . ولم يزل كذلك الى ان مات المعظم صاحبه ،
ومات هو من بعده بقليل (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) .
١٧ - ولكن هذا الملك الذي عمر القدس ،
وجدد فيها كثيرا من الآثار ؛ عاد فامر بتخريبها
(سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م) ؛ خشية ان يستولي
الفرنج عليها . واليك البيان :

بلغ الملك المعظم ان الفرنج اعزموا اخذ القدس .
فاستشار الامراء في تخريبها . فاشاروا بتخريبها
قائلين^(١) : قد خلا الشام من العساكر . فلو اخذ
الفرنج القدس حكموا على الشام جميعه . وكان
بالقدس اخوه العزيز عثمان وعز الدين ايبك استادار .
فكتب اليهما المعظم بخرابه . فتوقفا وقالوا : نحن
نحفظه . فكتب اليهما ثانية وقال : لو اخذوه
لقتلوا كل من فيه ، وحكموا على الشام وبلاد
الاسلام . فشرعوا في خراب البور اول يوم من
محرم سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م . وخربت اسوار
المدينة وابراجها كلها . خلا برج داود ، وكان غربي
البلد ، فانه ابقاء . ووقع في المدينة ضجة عظيمة .
وخرج النساء والمحدثات والبسات والشميوخ وغيرهم
الى الصخرة^(٢) والاقصى ، فقطعوا شعورهم ، ومزقوا
ثيابهم . ثم خرجوا هاربين . وتركوا اموالهم .
وامتلأت بهم الطرقات . فتوجه بعضهم الى مصر .
وبعضهم الى الكرك . وبعضهم الى دمشق .

وكانت البنات المخدرات يمزقن ثيابهن ، ويربطنهن
على ارجلهن من الحصى . ومات خلق كثير من الجوع

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤٤

(٢) في الاصل الصحراء . واما في مرآة الزمان والذبل على
الروضتين وعقد الجمان الى الصخرة

(١) المقريزي .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤٤

المسلمين ويقيمون فيه شعار الاسلام من الأذان والصلاة .

(٤) وان تكون القرى التي بين عسكا وياقسا وبين اللد والقدس ، بأيدي الفرنج ، دون ما عداها من قرى القدس .

وعقدت الهدنة بينها مدة عشر سنوات وخمسة أشهر وأربعين يوماً ، أولها ثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م)^(١) ، وحلف الملكان : ملك الفرنج والملك الكامل ، على ما تقرر . فبعث السلطان ، على اثر ذلك ، بخروج المسلمين منه (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) . وتسليمه الى الفرنج . فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعيول . وحضر الائمة والمؤذنون من القدس الى تخيم الكامل واذنوا على بابه في غير وقت الأذان . فعز عليه ذلك ، وأمر بأخذ ما كان معهم من السور والقناديل والفضة والآلات ، وزجرهم ، ثم قال لهم : امضوا الى حيث شئتم^(٢) . فانكر المسلمون على الملك الكامل هذا العمل الفظيع ، وراحوا يشنفونه في جميع الاقطار .

واستأذن الامبراطور فردريك من الملك الكامل في دخول الحرم ، فاذن له . وسير القاضي شمس الدين قاضي نابلس في خدمته . فسار معه الى المسجد بالقدس . وطاف معه ما فيه من المزارات^(٣) .

واعجب الامبراطور بالصخرة والاقصى .

وهناك سلموه الى الملك المعظم . فانزله بصهيون . وبعث اليه بثياب وطعام . ولاطفه . وقال له : « انت شيخ كبير . وبك نقرس . سلم الينا نفسك . فتعيش بيننا مثل الوالد . فامتنع وشم المعظم . فبعث به المعظم الى الكرك . واعتقله بها . واستولى على قلاع واماواله ودخائره وخيله . فكان قيمة ما أخذ منه الف الف دينار .

١٨ - عندما مات الملك المعظم عيسى (٦٢٤ هـ - ١٢٢٦ م) صار ملكه بدمشق والقدس والسواحل ، ولولده الملك الناصر صلاح الدين داود^(١) . ولما كان هذا صغيراً وعاجزاً عن تدبير شؤون الدولة ، فقد هاجمه عمه الملك الكامل ، وأخذ منه اكثر البلاد التي كانت تابعة له ، ومنها نابلس والقدس (٦٢٥ هـ - ١٢٢٧ م) .

١٩ - وفي تلك السنة قدم الامبراطور فردريك ملك الفرنج الى عسكا ، وكان قد استدعاه^(٢) قبل موت اخيه الملك المعظم . وبعد مفاوضات عديدة تولاها من الجانب الاسلامي الامير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ والشريف شمس الدين الارموي قاضي المعسكر وقع الاتفاق بين الملك الكامل وبين الامبراطور فردريك ملك الفرنج :

(١) على ان يأخذ ملك الفرنج القدس من المسلمين ، ويبقيها على ما هي من الخراب ولا يحدد سورها .
(٢) ان يكون سائر قرى القدس للمسلمين لا حكم فيها للفرنج .

(٣) وان يكون الحرم - بما حواه من الصخرة والمسجد الاقصى - بيد المسلمين لا يدخله الفرنج الا للزيارة فقط ، فيتولاه قوام من

(١) جاء في كتاب (العرب والتعدن الاسلامي) ان هذه الهدنة عقدت سنة ٥٦٢٩ - ١٢٣١ م .

(٢) السلوك ص ٢٣١ .

(٣) نقل المقرئ نيا هذه الزيارة عن كتاب (مفرج الكرب في اخبار بني ايوب) . وهذا الاخير كتبها من حديث له مع القاضي شمس الدين الذي رافق الامبراطور .

(١) ابن العبري ص ٤٢٥

(٢) السلوك ص ٢٢٨

٢٠- بكى الناس في دمشق على ماجرى في بيت المقدس. وزاد سخطهم على الملك الكامل بسبب تحريض ابن اخيه الملك الناصر صاحب دمشق وبسبب الدروس التي كان يلقيها في جامع دمشق الحافظ شمس الدين سبط بن الجوزي (مؤلف كتاب مرآة الزمان) عن فضائل بيت المقدس . فاجتمع في ذلك المجلس عدد لا يحصى من الناس . وعلت اصواتهم واشتد بكاءهم وانشد الحافظ شمس الدين قصيدة ابياتها ثلثماية بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التي
تفاخر ما في الارض من صخرات

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات^(١)

فلم ير بدمشق اكثر بكاء من ذلك اليوم .

٢١- ظل الكامل يطمح في الاستيلاء على دمشق، فحاصرها . وبعد قليل تمكن من الاستيلاء عليها . وعقد حلفاً مع ابن اخيه الملك الناصر ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م . فاعطى الناصر بدلاً من دمشق الكرك واعمالها والصلت والبلقاء و نابلس واعمال القدس وبيت جبريل . وصار للكامل فضلاً عن مصر ودمشق ، الشوبك والخليل وطبرية وغزة وعسقلان والرملة ولد وما بأيدي المسلمين من الساحل .

٢٢- ولما مات الملك الكامل تولى الملك من بعده ولده الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل . فاستولى هذا على اكثر البلاد التي كانت بيد الملك الناصر ، ومنها اعمال القدس ٦٣٦ هـ - ١٢٣٨ م ولكن الناصر داود عاد فتمكن من ابن عمه الملك الصالح فسجنه ، واسترد هذه البلاد منه .

(١) يقول المقريزي في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) ص ٢٣٣ ان السبط اخذ هذا البيت عن قصيدة لعجل الخزاعي .

وصعد درج المنبر ، فرأى قسيساً بيده الانجيل . فزجره ، وانكر مجيئه ، واقسم لئن عاد احد من الفرنج يدخل هنا بغير اذن لياخذن ما فيه عيناه . (فاقنا نحن بمالك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده ، وقد يقدم علينا وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الانعام منه ، فلا يتعدى احد منكم طوره) . ثم نزل الملك في دار . وامر شمس الدين قاضي نابلس المؤذنين ، الا يؤذنوا تلك الليلة . فلم يؤذنوا . فلما اصبح الصباح ، قال الملك للقاضي : (لم لم يؤذن المؤذنون على المنابر ؟) . فقال له القاضي : (منهم المملوك اعظماً للملك واحتراماً له) . فقال له الامبراطور : (اخطأت فيما فعلت . والله انه كان اكبر غرض في المبيت بالقدس ، ان اسمع آذان المسلمين وتسبيحهم في الليل) .

وعلى قول ان احد المؤذنين واسمه عبد الكريم اذن في تلك الليلة وقت السحر . وكان الانبروز^(١) (يقصد الامبراطور) نازلاً في دار القاضي . فجعل المؤذن يقرأ الآيات التي تخص النصارى مثل قوله : (ما اتخذ الله من ولد) و (ذلك عيسى بن مريم) . ولكن القاضي امره ان لا يؤذن في الليلة التي نلتها . فلم يؤذن . فسأل الامبراطور عن السبب فقال له القاضي السبب . فقال الامبراطور : (اخطأتم يا قاضي . اتغيرون انتم شعاركم وشرعكم ودينكم لاجلي . فلو كنتم عندني في بلادتي ، هل كنتم ابطل ضرب النافوس لاجلكم ، بالله لا تفعلوا ، هذا اول ما تفعلون عندنا) .

(١) (عقد الجمان) العيسى ج ١٨ ص ٨٣ و (مرآة الزمان) لابن الجوزي : الانبروز . وفي تاريخ ابن الوردي الانبراطور . وفي (الجوم الزاهرة) ج ١ ص ٢٧١ الانبروز . وكذلك في (مرآة الزمان) و (شذرات الذهب) و (الذيل على الروضتين) .

فناصر طهره أولا

وناصر طهره آخرًا

٢٥ - وفي نفس السنة (٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م)
افرج الملك داود عن الملك الصالح نجم الدين
وسارا معًا الى القدس^(١) ، وتحالفا على ان ديار
مصر للصالح ، والشام والشرق للناصر . وان
يعطي الصالح للناصر مائتي الف دينار .

٢٦ - ولكنها عادا فاختلفا ، وتنكر الواحد
منها للآخر . وراح الناصر داود (صاحب الكرك)
يتفق مع الصالح اسماعيل (صاحب دمشق) لمحاربة
الملك الصالح نجم الدين . ولكي ينجح في محاربتها
له ، وافقا الفرنج بتسليمهم القدس ؛ على ان يكونوا
عونًا لها على الملك الصالح نجم الدين . وسلمهم
بالفعل طبرية وعسقلان . فعمر الفرنج قلعتها .
وحصونها . وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس .
وجلسوا فوقها بالحجر ، وعلقوا الجرس على المسجد
الاقصى^(٢) .

٢٧ - غادر الملك نجم الدين ايوب القاهرة
واستدعى الخوارزميه^(٣) الى ديار مصر لمحاربة اهل
الشام . فقطع هؤلاء الفرات (٦٤٢ هـ - ١٢٤٤ م)
وهم زيادة على عشرة آلاف فارس وانضموا الى

٢٣ - وفيما كان ملوك بني ايوب خلفاء صلاح
الدين يقتتلون ، كان الفرنج يستعدون لقتالهم .
وقد عمروا (اي الفرنج) في القدس قلعة ، وجعلوا
برج داود احد ابراجها . وكان قد ترك لما خرب
الملك المعظم اسوار القدس . فلما بلغ الناصر داود
عمارة هذه القلعة ، سار الى القدس . وظل يرميها
بالمجانيق ، حتى اخذها بعد واحد وعشرين يوما
(٩ جمادى الاولى ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م) . اخذها عنوة
بن معه من عسكر مصر . وتأخر اخذ برج داود
الى خامس عشرة ، فاخذ من الفرنج صلحا على
انفسهم دون اموالهم .

٢٤ - هدم الناصر برج داود^(١) ، واستولى على
القدس ، واخرج منه الفرنج . فساروا الى بلادهم .
ووصل الى القدس ، يوم فتحه من قبل الملك الناصر
داود ، يحي الدين بن الجوزي ، ومعه الامير صاحب
جمال الدين بن مطروح^(٢) . فقال جمال الدين يمدح
الملك الناصر داود ، ويذكر مضاهاته لعمه الملك
الناصر صلاح الدين في فتح القدس :

المسجد الاقصى له عادة

سارت فصارت مثلا سائرا

اذا غدا بالكفر مستوطنا

ان يبعث الله له ناصرا

(١) يقول المقرئ نقيلا عن ابن واصل ان الغرض من
زيارتها القدس يومئذ ان يحلف كل منها صاحبه على
الصخرة المقدسة .

(٢) جاء في السنوك للمقرئ ص ٣١٥ ان جمال الدين بن
واصل صاحب كتاب مفرج الكرب شاهد بام عينه ما
احدثه الفرنج ببيت المقدس .

(٣) ينتسبون الى بلاد خوارزم شرفي بحر قزوين . وهم نتر .
عندما هاجهم المغول وابادوا حكومتهم ، هابوا في البلاد
يقنون ويهون . وفشل جنكيز خان بدمجهم ، وهم
ينهمون من امامه ، حتى وصلوا العراق . فسمع بهم الملك
الصالح ايوب . واستدعاهم لمحاربة الفرنج وبني عمه .
فاتفقوا معه على شريطة ان تعطى لهم الاطاعات ويسكنهم البلدان .

(١) بقي هذا البرج وبقيت القلعة خرابا ، الى ان اعاد المماليك
بناها في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد . وسنذكر لك
كيف تم ذلك في فصل المماليك .

(٢) هو الامير صاحب جمال الدين ابو الحسين يحيى بن عيسى
ابن ابراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن ابراهيم بن
الحسين بن مطروح . اصله من صعيد مصر . ولد بانيوط .
ثم قدم القاهرة واشتغل وبيع في الادب والكتابة . واتصل
بخدمه الملك الصالح نجم الدين ايوب : قال ابو المظفر : - كان
فاضلا كريما شاعرا ، ومن شهره الابيات المتقدم ذكرها .

العساكر المصرية . وهجموا على القدس وعلى رأسهم
مقاديمهم الامير حسام الدين بركة خان ، وخان
بردى ، وصاروخان ، وكشلوخان . وقتلوا الفرنج
وعساكر الشام . فاحتلوا القدس . وبذلوا السيف
في من كان به من النصارى ، حتى افنوا الرجال^(١)
وسبوا النساء والاولاد ، وهدموا المباني التي في القيامة ،
ونبشوا قبور النصارى ، واحرقوا ما احرقوا . ثم
ساروا الى غزة فنزلوها . فارسل اليهم الملك الصالح
نجم الدين ايوب يأمرهم بالاقامة في غزة ، ووعدهم
ببلاد الشام .

وفي غزة التقى الجمعان :

عسكر دمشق ومعهم الفرنج .

وعسكر مصر ومعهم الخوارزمية . فكان
النصر حليف الخوارزمية ومصر . وقتل من الفرنج
ومن اهل الشام ما يربو على الثلاثين الفا (٦٤٣ هـ -
١٢٤٥ م) . وعادت القدس من املاك الملك الصالح
نجم الدين . وكذلك قل عن الخليل وغزة والسواحل .

٢٨ - كتب القاضي الفاضل الى السلطان
الملك الصالح نجم الدين ايوب الرسالة التالية يبشره
فيها بفتح القدس^(٢) :

« اعز الله سلطان المقام ، ونصر حربه وذويه ،
وجعل الظفر والتأييد مما يليه ، ولا زالت البشائر
تؤم جنابه وتنتحيه ، والبصائر تشكر فعله وترفضيه ،
والاوليا تقصد حسن بشره واحسان بره ، والاعداء
يكب كل منهم بين يديه ليديه وفيه . . . وينهي
ان العلم الشريف محيط بانفساخ الهدنة وانقضائها . »

(١) جاء في (تاريخ شوقي الاردن وقبائلها) لمؤلفه بيك باشا
ص ١٥١ ان الجيش الذي زحف على القدس يومئذ
(١٢٤٤ م) كان بقيادة ركن الدين بيبرس . وان هذا
عندما احتل القدس عمل السيف في سبعة آلاف من سكانها
(٢) مجموعة المراسلات ص ٣٩ .

وعند ذلك اخلى الفرنج القدس من ساكنيه ، ورحل
من كان به من قاطنيه . ولم يبق به الا طاغية من
طغاتهم ، وداهية من دهاتهم . كان في مدة الهدنة
قد بذل في عمارة قلعتها غاية الاجتهاد . وجنى لها
ثروات الاموال من جميع البلاد . وشحنها بما قدس
عليه من الذخائر والازواد . فاستقوى شرزمة من
ابطالهم وفرسانهم . واستهوى طائفة من رجالهم
وفرسانهم . واستحلفهم على الموت ، فحالفوه وبايعوه .
واستخف قومه ، فاطاعوه وبايعوه . فاقاموا بالقلعة
المذكورة يخيفون السبيل ، ويقطعون الطريق .
ويرمون النار ، ويصيحون الحريق . وعمدوا الى القلعة
والبرج ، فحفوها بالستائر وآلات القتال . وشحنوها
بالعدد والذخائر والرجال . وسحروا اعين الناس ،
واسترهبوهم بما القوه من العصي والحبال . فتوجه
الملوك اليها . ونزل بطائفة من العسكر عليها .
وطاولها لعله يتسلها بالامان ، كما سلت بالامس .
وقصد ان لا يراق بها دم مسلم هو خير مما طلعت
عليه الشمس . فاصروا على المصاراة والممانعة . وابوا
الا المدافعة . فجرد الملوك جماعة من الرماة
فاطلقت من نبل المنايا وبلا . وارسلت اليهم من منايا
الحنايا رسلا . ونصب عليهم المناجيق التي هي كما علم
المولى خضم القلاع . . فارتهم بانهار من كواكبها
نجومها . وجعلت احجارهم لشياطينهم رجوما .
ورمى الزراقون النار في ستائرهم المنتظمة فاحترقت .
ودخل النقاوبون من اسوارهم الملتحمة فاحترقت .
فعند ذلك طلبوا الامان ليخرجوا بنفوسهم
سليمة . وقنعوا بالاياب ورأوه نعم الغنيمة .
فاجابهم الملوك الى ملتسمهم ، ومكنهم من الخروج
بمجرد انفسهم . واستولى الملوك على ما في القلعة
والبرج من عدة وذخيرة . واقتسم العسكر ما بها
من غلة وميرة . وقد سير العبد رسوله ليتلو بين
يدي مولانا سورة الفتح من لسانه ، ويروي خبر

قلبوا له ظهر المجن . فراحوا يؤيدون الناصر داود صاحب الكرك ، والصالح اسماعيل صاحب دمشق . ذلك لان الملك الصالح ايوب لم يف لهم بوعده ، ولم يعطهم الشام . ومهما يكن من امر الخوارزميين ، فان الامير حسام الدين اشترك معهم في جميع المعارك التي خاضوا غمارها . وظل يحارب حتى قتل في معركة حمص . فنقل رأسه الى حلب وجسده الى القدس (١ محرم ٦٤٤ هـ - ١٩ مايس ١٢٤٦ م) . وقيل انه كان نائباً للملك في القدس . وكان يلقب بملك الامراء . وهناك تربة فيها قبره ، وقبر ولديه بدر الدين محمد بك وحسام الدين كره بك . وذلك في المكان المعروف بالمكتبة الخالدية تجاه المدرسة المعروفة بالطايزة وعند ملتقى طريق باب السلسلة بطريق حارة المغاربة . واليك الكتابات المنقوشة على هذه القبور :

كتب على الاول : « كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . هذا قبر الفقير الى رحمة الله تعالى حسام الدين ملك الامراء البركة خان . توفي في سنة اربع واربعين وستمائة . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين » . (٥٦٤٤ هـ - ١٢٤٤ م) وكتب على الثاني : « بسم الله الرحمن الرحيم . كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقب الدار . هذا قبر العبد الفقير الراجي رحمة الله وغفرانه حسام الدين كره بك بن بركتخان . نور الله ضريحه . توفي ثالث ذو الحجة سنة احدى وستون وستمائة للهجرة . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين . وصلى الله على محمد وآله اجمعين » . (٦٦١ هـ ١٢٦٣ م) .

وكتب على الثالث : « بسم الله الرحمن الرحيم . ينشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها

الواقعة ببيانه المعتضد بعيانه . فانه كان للفتوح مشاهداً ، وللعُدو مع المجاهدين مجاهداً . طالع بذلك والله تعالى ينصر المولى وينصر به . ويصل سبب التوفيق بسببه . ويبلغه في الدارين غاية امله ونهاية مطلبه . بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى » .

٢٩ - زار الملك الصالح نجم الدين ، على اثر ذلك ، القدس (٦٤٤ هـ - ١٢٤٦ م)^(١) . فتصدق على فقرائها بالفي دينار . وامر بذرع سورها ، فجاء في ستة الاف ذراع بالهاشمي . فامر بصرف القدس في عمارته ، وان احتاج الى زيادة حملت اليه من مصر .

٣٠ - الان وقد انتهينا من ذكر المعركة التي كان قائدها مقدم الخوارزميين الامير حسام الدين بركة خان ، نرى من العدل ان نقول الكلمة التالية :

قال الاستاذ عبدالله مخلص في رسالة بعث بها الى صديقه الاستاذ عيسى اسكندر العلوف صاحب مجلة (الآثار) بزحلة - نقلا عن ابي الفدا في تاريخه طبعة مصر ج ٤ ص ١٧٥ - ان حسام الدين بركة خان هو مقدم الخوارزمية الذين اتفقوا مع الصالح اسماعيل والناصر داود على محاربة الملك الصالح ايوب . وجاء في كتاب (السلوك في معرفة دول الملوك) ص ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ ان الملك الصالح ايوب هو الذي استدعى الخوارزميين ، فاتفقوا معه ، وحاربوا في صفوفه ضد الصالح ايوب والناصر داود . وان الامير حسام الدين كان في مقدمتهم يوم احتلوا القدس . والحقيقة ان الخوارزميين لم يبقوا على حال . لقد حالقوا الملك الصالح ايوب اولاً . واعانوه على فتح القدس . ثم

(١) جاء في (النجوم الزاهرة) ج ٦ ص ٣٥٤ ان الملك الصالح زار القدس سنة ٦٤٦ هـ

(٦٤٢ هـ - ١٢٤٤ م) ، واستيلاء المسلمين على القدس ؛ اثار غضب الصليبيين ، وفزع ملوك اوربا كلهم . فرتبوا الحملة الصليبية التي يسمونها بالسابعة . فوصلت هذه الحملة الى قبرص (٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) . وبعد انقضاء الشتاء نزلوا في سواحل فلسطين . وكان على رأسهم ريدنا فرنس الملقب (لويس التاسع) . وكان هذا من اعظم ملوك الفرنجة واشدهم بأسا . وكانت الغاية من هذه الحملة تخليص بيت المقدس من المسلمين .

٣٢ - عندما وصلت الحملة الصليبية السابعة الى شواطئ فلسطين ، ارسل قائدها وزعيمها لويس التاسع كتابا (٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م) الى السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب جاء فيه :

« اما بعد . فانه لم يخف عنك اني امين الامة العيسوية ، كما اني اقول انك امين الامة المحمدية . وانه غير خفاف عنك ان اهل جزائر الاندلس يحملون الينا الاموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلي منهم الديار . وقد ابديت لك ما فيه الكفاية ، وبذلت لك النصيح الى النهاية . فلو حلفت لي بكل الایمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قدامي الشمع طاعة للصليبان ؛ ما ردني ذلك عن الوصول اليك ، وقتالك في اعز البقاع عليك . فان كانت البلاد لي ، فيا هدية حصلت في يدي ؛ وان كانت البلاد لك والغلبة علي ، فيدك العليا ممتدة الي . وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت في طاعتي ، تلاً السهل والجبل ، وعددهم كمد الحصى ، وهم مرسنون اليك باسياف القضا . »

فلما وصل الكتاب الى السلطان ، وقرئ عليه ؛ اغرورقت عيناه بالدموع ، واسترجع (اي قال :

نعم مقيم . خالدين فيها ان الله عنده اجر عظيم . هذا قبر العبد الفقير الى الله الراجي رحمته وغفرانه الامير الكبير بدر الدين محمد بك بن بركتخان . توفي مستهل ربيع الاول لثمان وسبعين وستماية ٦٧٨ هـ . »

وقد نقش على نافذة الخزانة والمقبرة ما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول . فاكتبنا مع الشاهدين . ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة . انك لا تحلف الميعاد . يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا . انه هو الغفور الرحيم .

هذه تربة العبد الفقير الى الله وغفرانه بركتخان . نور الله ضريحه . توفي يوم الجمعة مستهل محرم وكتب سنة اربع واربعين وستماية . غفر الله له ولوالديه ولئن دعا له بالنعرة . امين يا رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . « ١٢٤٤ م .

« ياك ازعدم آمديم وناياك شديد آسوزه درامديم وعماك شديد بوديم زخاك تيره وزآتس آب بازدرخاك شديد . »

ونقش ايضا على عتبة النافذة :-

« انشأ هذا الشباك والقبه به المرحوم الشهيد الملك حسام الدين بركة خان مع باب القنطرة وعلوها والبوابة المباركة والمسقاة والحوانيت وعلوهم وخمسه بيوت بدار الواقف الفقير الى الله تعالى محمد بن احمد ابن ابي العلاء لطف الله تعالى به في مستهل ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وسبعماية . « ١٣٧٠ م .

٣١ - ان انهزام الصليبيين في موقعة غزة

مصرعك . والى البلاه يقلبك ، والسلام .

٣٣ - دارت المعارك بين الفريقين في مصر . ولا محل لذكر هذه المعارك هنا . غير انه لا بد من القول ان الملك الصالح نجم الدين ايوب مات (٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م) والقدس لا تزال في يده . وتولى مكانه ولده الملك المعظم غياث الدين تورانشاه .

٣٤ - ان الملك المعظم لم يحسن الادارة . فاهمل الامراء والاكابر ، وابعد غلمان ابيه ، وقدم الاراذل . وجعل الطواشي مسروراً ، وهو خادمه ، استأدار السلطان . واساء الى المسالمين وتوعدهم . وانهمك في الفساد . فنفرت منه قلوب المسالمين البحرية . فتسأ مروا عليه . وقتلوه (٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م) . وبمقتله انقرضت دولة بني أيوب بمصر .

٣٥ - من رجال بيت المقدس الذين اشتهروا على عهده الامام جمال الدين ابو عبد الله محمد بن سليمان البلخي المقدسي المعروف بابن النقيب . ولد بالقدس^(١) سنة ٦٢١ هـ - ١٢٢٣ م واقام في الازهر مدة طويلة . وله مصنف حافل بلغ تسعة وتسعين مجلداً . وفيه الشيء الكثير عن اخبار بني أيوب .

(١) (اهل العلم من مصر وفلسطين) الاستاذ احمد سامح الخاندي ص ١٠

انا لله وانا اليه راجعون) فكتب الجواب بخط القاضي والكاتب الشهير بهاء الدين زهير بن محمد . واليكه^(١) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه اجمعين . اما بعد : فانه وصل كتابك ، وانت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد ابطالك . فنحن ارباب السيوف . وما قتل منا قرن الا جددناه ، ولا بغى علينا باغ الا دمرناه . فلورأت عيناك - أيتها المغرور - حد سيوفنا وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وخربنا منكم ديار الاواخر والاولى ، لكان لك ان تعض على أناملك بالندم . ولا بد ان تزل بك القدم في يوم اوله لنا وآخره عليك . فهناك تسمى بك الظنون ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . فاذا قرأت كتابي هذا ، فكن فيه على اول سورة النحل : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » .

« وكن على آخر سورة ص . ولتعلمن نبأه بعد حين . . ونعود الى قوله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . والله مع الصابرين » . والى قول الحكماء : « ان الباغي له مصرع » وبغيتك

(١) الساوك ص ٣٣ .



الباب الرابع
القدس
في عهد المماليك

● القدس في عهد المماليك البرجية

● القدس في عهد المماليك البحرية

● مدارس القدس القديمة

القدس في عهد المماليك

مع الملك الناصر^(١) في دمشق . وكان الخلاف يحوم حول سوريا . فراح الفريقان يقتتلان : مماليك مصر من ناحية ، والأمراء الأيوبيون في دمشق من الناحية الأخرى . وكانت الحرب سجالاً بينها . ثم اصطلحا^(٢) (٦٥١ هـ - ١٢٥٣ م) : على أن يكون للمصريين إلى الأردن ، وللناصر ما وراء ذلك . وإن يدخل فيما للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله .

٥ - بعد مقتل الملك المعز إيبك ، تولى الملك ابنه الملك المنصور على بن إيبك التركماني (٦٥٥ هـ - ١٢٥٧ م) . ولكن هذا كان صغير السن ، وكان ضعيفاً . فاستغل رجال الشام ضعفه ، وخرج فريق منهم إلى القدس . وكان فيها يومئذ (سيف الدين كبك^(٣)) . فطلبوا منه أن يكون معهم فامتنع . فاعتقلوه . وخطبوا بالقدس للملك المقيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن أيوب . ثم ساروا إلى غزة ومصر . وفي الصالحية وقعت الحرب بين الفريقين . فكان النصر لحليف المصريين .

يظهر أن مماليك مصر اعتقدوا أن خصومهم ما كانوا ليجرؤوا على التحرش بهم ، رغم الاتفاق السابق ، لولا ضعف ملكهم ، فخلعوه (٦٥٧ هـ - ١٢٥٩ م) . واقاموا مكانه الأمير سيف الدين قطز

بعد أن تسعت مملكة بني أيوب ، على عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكانت كلمتهم هي العليا في مصر والشام ؛ عادت ، فتضاءلت عندما توفي الملك الصالح (٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م) وتولى مكانه ولده الملك المعظم غياث الدين تورانشاه . إذ أن هذا لم يحسن إدارة الملك . فنشرت قلوب المماليك البحرية منه ، فتآمروا عليه ، وقتلوه (٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م) . وبمقتله انقرضت دولة بني أيوب .

٢ - اجتمع أمراء المماليك على أثر ذلك الحادث . واتفقوا على إقامة (شجرة الدر^(١)) في مملكة مصر . فاصبحت هذه سيدة البلاد . واقاموا (الأمير عز الدين إيبك) التركماني على رأس جيشها . ٣ - لم ترض الشام عن هذه الحركة . لا ، ولا بغداد . وقد استنكرها الخليفة العباسي المعتصم بالله . وحدث أن اقترنت شجرة الدر ، على أثر ذلك ، بالأمير عز الدين إيبك . وتنازلت له عن الملك . فاصبح ملكاً . وراح يدعى « الملك المعز عز الدين إيبك الجاشنكير التركماني » .

٤ - أسس إيبك العائلة المملوكية الأولى (٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م) . وعرف بلقب المعز . واختلف

(١) أنها في الأصل جارية تركية وعلى قول أرمني . اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب . فثالث عنده الخطوة الكبرى . اسمها عصمة الدين . وتلقب بام خليل وشجرة الدر . أنها وإن كانت تتمتع بمكانة ممتازة في قصر الملك الصالح ، إلا أنها ما كانت لتحلم أنها ستصبح الأميرة الزاهية في البلاد ، لولا مقتل تورانشاه .

(١) الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٢) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٤٤

بباب^(١) العيد . والذي تولى بناء الخان المذكور هو الأمير جمال الدين محمد بن نهار^(٢) . ولما تم بناؤه (٦٦١ هـ - ١٢٦٢ م) وقف عليه قيراطاً ونصف بالمطر^(٣) ، وثلاث وربع قرية المشيرفة من بلد بصرى من أعمال حوران ، ونصف قرية لبنى^(٤) . على أن يصرف ريع ذلك في خبز وفلوس واصلاح تعال من يرد عليه من المسافرين المشاة . وبني به مسجداً وطاحونا وفرنا وبستاناً . ونادى بالقدس الا ينزل احد في زرع .

٩ - عندما ذكر القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥٠) الخان الذي بناه الملك الظاهر بالقدس ، قال انه (امر ببناء خان خارج البلد) . انا لا نظن انه يقصد خارج السور . اذ ان السور كان يومئذ لا يزال متهدماً منذ زمن الملك المعظم عيسى (١٢١٩ م) . ولم نسمع بتعميره خلال تلك السنوات التي انقضت بعد ذلك التاريخ . وانما نيل الى الظن انه يقصد ان يقول في اقصى المدينة . ومن يدري ؟ لعله يفصد البناء الذي لا يزال قائماً حتى الآن عند مفترق الطرق بباب العمود من الداخل ، وعلى بعد مئة متر من الباب المذكور الى القبلة . له اربع قبب مبنية على الطراز الهندسي الذي كان مألوفاً في زمن المماليك . وهو الآن وقف يستغله جماعة من آل الخالدي والعلمي

المعزي^(١) ، ولقبوه بالملك الظفر . وقد عرف هذا بالشدة والصرامة والاقدام .

٦ - ولما قتل قطز^(٢) اقام الامراء الذين قتلوه بدلا منه الأمير وكن الدين بيبرس^(٣) (١٩ ذي القعدة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م) ولقب بالملك الظاهر بيبرس . وكان يكنى (ركن الدين ابو الفتح بيبرس الصالحى النجمي البندقداري) .

٧ - كان اول عمل قام به الملك الظاهر بيبرس بعد ان تولى الملك ، الغاء جميع الضرائب التي احدثها قطز ، وتعمير البلاد التي دخلت تحت حوزته . انه حكم فلسطين حكماً عادلاً . وطارده من بقي فيها من الصليبيين . وقاوم جيوش التتار ، وصدهم عن فلسطين ، واهتم بالاماكن المقدسة اهتماماً تاماً ، فعمرها .

٨ - ولقد زار بيت المقدس يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ٦٦١ هـ - ١٢٦٢ م . فجدد قبل كل شيء ما كان قد تهدم من الصخرة^(٤) . وجدد قبة السلسلة ، وزخرفها . ورتب برسم مصالح المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم . وانشأ بها خاناً للسبيل نقل بابه من دهليز كان للخلفاء المصريين بالقاهرة . وعلى قول انه باب القصر المعروف

(١) كان من مماليك المعزايك .

(٢) الذي قتل قائد جيشه بيبرس . وهو الذي تولى الملك من بعده . وقيل ان السبب في ذلك هو ان قطز وعده بحلب ثم امترد وعده ، فاضمر له الشر ، فقتله .

(٣) انه تركي الاصل . اشتراه الملك الصالح نجم الدين ايوب ووفى في مناصب الدولة حتى اصبح ملكاً .

(٤) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٤ . وعلى رأي فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان ، قبة الصخرة هي التي جدد بها وليست الصخرة نفسها .

(١) كان ذلك الباب احد ابواب القصر الكبير الفاطمي . وقيل له باب العيد ، لان الخليفة كان يخرج منه في يوم العيدين للصلاة . صبح الاعشى للقلقشندي ج ٣ ص ٣٥٠ .

(٢) هذا ما جاء في السلوك وعيون التواريخ . واما في الاصل فانه محمد بن بهادر (النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢١) .

(٣) وفي عيون التواريخ قيراطاً ونصف من الطرة (النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢١) .

(٤) في عيون التواريخ قرية لفتا (النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢١) .

— ١٢٧٠ م^(١) . وهو الذي بنى على قبر موسى عليه السلام عند الكتيب الأحمر قبلي اريحا قبلة ومسجداً ، ووقف عليه وقفاً (٥٦٦٨ - ١٢٦٩ م) .

١١ - ومن صفات الملك الظاهر انه كان يشجع العلم . وكانت القدس على عهده مأوى للعلماء . ومنهم^(٢) :

المحدث زين الدين احمد بن عبد الدائم بن نعيمة المقدسي . ذكره الذهبي فقال عنه : انه توفي سنة ٦٦٩ هـ - ١٢٧٠ م بالقدس ، ودفن فيها .

وشيوخ الحرم القدسي موسى بن غانم بن علي بن ابراهيم بن عساكر بن حسين الانصاري . كان كبير القدر ، وكان شجاعاً . تولى مشيخة الحرم بالقدس . ومات بها بعد ان جاوز السبعين ٦٦٩ هـ - ١٢٧٠ م .

والامير شرف الدين ابو محمد عيسى بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن كامل الكردي الهكاري . فقد كان هذا احد اعيان القدس . سمع الحديث وحدث . ولد بالقدس سنة ٥٩٣ هـ - ١١٩٦ م . وكان احد الامراء المشهورين بالشجاعة والاقدام . وله وقائع معدودة ومواقف مشهورة مع العدو ، بارض الساحل وفي الاعمال الجلييلة . قدمه الملك الظاهر بيبرس على العساكر في الحروب غير مرة . مات بدمشق سنة ٦٦٩ هـ - ١٢٧٠ م . ومن شعره ما كتبه للوزير شرف الدين بن المبارك وزير اربل :

وقليبو وغيرهم . يعرف متولو الوقف انه من آثار الملك الظاهر . ويظهر انه كان على عهد الملك الظاهر غفرأ لرجال الشرطة ، او دارا للاستراحة ، او مقراً للمحتسب الذي كان مسؤولاً عن الحسبة ونظارة السوق . وقد يكون الخان الذي ذكره القلقشندي قريباً من هذا المكان .

١٠ - ولقد زار الملك الظاهر بيبرس القدس مرة اخرى في شعبان من سنة ٦٦٤ هـ - ١٢٦٥ م . ويظهر ان التعميرات التالية جرت خلال زيارته الثانية هذه او بعدها بقليل :

ان (رباط البصير) الكائن شمالي الطريق الموصلة الى الحرم من جهة باب الناظر وعلى بعد بضعة امتار من الباب المذكور للغرب ، انشئ سنة ٦٦٦ هـ - ١٢٦٧ م^(١) . هناك بلاطة من رخام وضعت فوق بابه ونقش عليها ، بالنسخ المملوكي القديم وباحرف صغيرة ، الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . هذا ما وقف الامير علاء الدين آيدغدي^(٢) الركني . وقف جميع داخل هذا الباب من الاقباء والساحة على الفقراء الواردين لزيارة القدس الشريف ، وقفاً مؤيداً في سنة ست وستين وستاية . . » . وقد استغل الاتراك هذا المكان ، على عهدهم ، سجنًا . وسموه : (حبس الدم) .

وقال مجير الدين في موضع آخر من كتابه الانس الجليل ان الفصوص التي على الرخام في مسجد الصخرة من الظاهر من آثار الملك الظاهر (٥٦٦٩ هـ

(١) هذا ما قاله مجير الدين في الصفحة ٤٣٣ من كتاب (الانس الجليل) . واما المقرئ في قوله في الصفحة ٦٠٨ من كتابه (السلوك في معرفة دول الملوك) ان عمارة الصخرة انجزت سنة ٥٦٧١ - ١٢٧٢ م .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢٣٠

(١) (الانس الجليل) مؤلفه مجير الدين . ص ٣٩٤ و ص ٦٠٥ .
(٢) كان ناظرًا لاقواف القدس . وله فيها عدة عمائر وروابط وآثار . وكلمة (آيدغدي) تركية معناها : (ولد القمر) .

١٥ - (المسجد القلندري) واقع في طريق دير اللاتين أو حارة دير الافرنج ، في الناحية الجنوبية . لم يبق منه اليوم سوى الاسم .

أسس هذا المسجد في زمن الملك المنصور قلاوون (٦٨٦ هـ - ١٢٨٧ م) . يدل على ذلك الكتابة الآتية وهي مكتوبة على الحائط المطل على الطريق قياسها ٨٦ م في ٤٥ :

« بسملة . . . الصلاة . . . جددت عمارة هذا المسجد المبارك في أيام مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ، خلد الله ملكه . ومما وقف له وحبس عليه الطبقة اعلاه والتربة قبائله وما يليه من الغرب بتاريخ سنة ستة وثمانين وستماية .

١٦ - (الكبكية) (القبقية) ويسمى الناس (القبقية) . قبة جميلة واقعة في تربة ماملا والى الشمال الشرقي من البركة . وهناك على بلاطة من رخام فوق مدخلها نقش بالنسخ المملوكي القديم الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . والصلاة على نبيه محمد وآله . هذه تربة العبد الفقير الى الله تعالى الامير علاء الدين ايدغدي بن عبدالله المعروف بالكبكي . توفي في يوم الخميس الخامس من شهر رمضان المعظم سنة ثمانية وثمانين وستماية . تغمده الله برحمته واسكنه جنته » (٢٢ سبتمبر ١٢٨٩ م)

١٧ - واليك بيان الوقائع التي جرت على عهد الملك المنصور قلاوون ، نذكرها بمقدار ما لها من صلة تاريخية بمدينة القدس ، منقولة عن كتاب السلوك في معرفة دول الملوك للمقريزي . قال :

(أ) اعتقل ملك الكرج توما سوطا بن كلياري

عند زيارته لبيت المقدس (٦٨١ هـ -

١٢٨٢ م) وارجمه الى بلاده .

أحببنا ان غبت عنكم وكان لي الى غير مغناكم مراح وایام فما عن رضا كانت سليمى بديلة بلیلى ولکن للضرورات احكام

١٢ - مات الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م بعد ان ملك مصر والشام سبع عشرة سنة . كان يحب القدس . وقد نزلها . وكانت عدة عسكره اثني عشر ألفاً : ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب . وكان كثير السفر ، خفيف الحركة . حتى قال فيه سيف الدولة المهندار من أبيات يمدحه فيها :

يوماً بمصر ويوماً بالحجاز وبالـ
شام ويوماً في قرى حلب

تدير الملك من مصر الى يمن الى العراق وارض الروم والنوبي

١٣ - تولى الملك ، بعد الملك الظاهر ، ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد (٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م) ثم ابنه الثاني الملك العادل بدر الدين سلامش (٦٧٨ هـ - ١٢٧٩ م) . ولم يذكر التاريخ انها قاما بعمل في القدس . وقد ترك الملك كلاهما خلعاً . فتولاه من بعدهما الملك المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٩ هـ - ١٢٨٠ م) . وكان يلقب بالصالحى الالفى .

١٤ - قامت على عهده بالقدس المنشآت الآتي ذكرها :

(رباط قلاوون^(١)) ويسمى ايضا الرباط المنصوري . انشأه سنة ٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م . ووقفه على الفقراء من زوار القدس .

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذا الرباط بالفصل الذي خصصناه لمدارس القدس في عهد المماليك .

يافا والرملة وقيسارية وبيت جبريل ، ومملكة نابلس واعمالها . ومملكة الاطرون واعمالها ، وارسوف ، وقاقون ، ولد ، والعوجا ، وما معها من الملاحة ، ويسان ، والطور ، واللجون واعمالها ، وجنين وعين جالوت ، والمملكة الصفدية ، والنصف لمملكة عكا ، والمملكة الدمشقية ، ومملكة حمص ، ومملكة حماة ، والمملكة الحلبية . واما القسم الباقي من البلاد ؛ فاما ان يكون قد ترك للفرنج كله ، او نقاسمه لتفريق مع السلطان .

١٩ - بعد وفاة الملك المنصور قلاوون تولى الملك ابنه السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل (٦٨٩ هـ - ١٢٩٠ م) . ثم ابنه الثاني السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ هـ - ١٢٩٤ م) . وفي زمنه جددت فصوص الصخرة . وفي سنة ٦٩٦ هـ ١٢٩٦ م تولد السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري المعروف بالصغير . وخطب له في القدس وغزة ومصر والكرك ونابلس . وبعد مقتل الملك المنصور لاجين (٦٩٨ هـ - ١٢٩٨ م) تولى الملك للمرة الثانية السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . ثم تسلط الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري (٧٠٨ هـ - ١٣٠٨ م) . ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون للمرة الثالثة (٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م) . ودامت سلطنته في هذه المرة حتى سنة (٧٤١ هـ - ١٣٤١ م) .

٢٠ - ومن المنشأب التي قامت في القدس على عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون تذكر المدارس^(١) والاروقة التالية^(٢) :

(١) ارجع الى ما كتبناه عن هذه المدارس في الفصل الذي خصصناه للمدارس .

(٢) ارجع الى ما كتبناه عن هذه الاروقة في الفصل الذي خصصناه للحرع القدسي .

(ب) زار القدس^(١) . واقال نائبها عماد الدين ابن ابي القاسم . واقام مكانه نجم الدين السونجي^(٢) (٨٦٢ هـ - ١٢٨٣ م) .

(ج) اصدر مرسوما يقضي بالا يستخدم احد من اهل الذمة - اليهود والنصارى - في خدمات الدولة . فصرفوا عنها (٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م) .

(د) عين بدر الدين محمد بن جماعة خطيبا بالقدس ، عوضا عن الشيخ قطب الدين عبد المنعم بن يحيى بن ابراهيم اقرشي بحكم وفاته (٦٨٧ هـ - ١٢٨٨ م) . وكان ذلك بناء على توصية الامير علم الدين سنجر الدواداري الذي كان شاداً ومديراً من غزة الى الفرات .

١٨ - وفي يوم الخميس ، الخامس من شهر ربيع الاول من سنة ٦٨٢ هـ - ٣ يوليو ١٢٨٣ م^(٣) قامت هدنة بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الفرنج بعمكا^(٤) ، مدتها عشر سنين وعشرة شهور وعشرة ايام وعشر ساعات . على ان يكون للسلطان الملك المنصور وولده البلاد الاتي ذكرها : مملكة الديار المصرية ، والبلاد الحجازية ، وثمر غزة المحروس وما معها من الموانئ والبلاد ، والمملكة الكركية والشوبكية والصلت وبصرى ، ومملكة بلاد الجليل ، ومملكة القدس الشريف ، وعسقلان واعمالها وموانئها وسواحلها ، ومملكة

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٧ و ج ٤ ص ٧٨١

(٢) نسبة الى سونج من اعمال سمرقند .

(٣) (تاريخ الدول والملوك) لابن الفرات ج ١٤ ص ١٨٨ و (دولة بني قلاوون في مصر) للدكتور محمد جمال الدين سرور ص ٢٣٣

(٤) كانت عكا وصيدا وعنتلي من بقايا مملكة القدس . ومملكتها في تلك السنة

Charles of Anjou

ليس هذا فحسب . بل انه قام بترميم القلعة نفسها . وبعد ان كانت هذه طلالاً ينشق فوقه يوم الخراب ، جددتها وحصنها . وكان ذلك على يد كافل المملكة بكتمر الجوكندار وفي سنة ٧١٠ هـ - ١٣٢٠ م . وانك لتري^(١) على بلاطة من رخام موضوعة في القوس الذي فوق المدخل الثاني الكلمات الآتية مكتوبة بالخط النسخي المملوكي القديم :

« بسم الله . . . عز لمولانا السلطان الاعظم الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون اعز الله نصره في شهور سنة عشر وسبعماية » .

٢٢ - وفي زمن الملك الناصر محمد بن قلاون تجدد تذهيب قبة الصخرة من الداخل ، وصفائح الرصاص من الخارج . وانك لو اجد في اسفل رقبة القبة من الداخل ، فوق اقواس الدهليز الكلمات التالية :

« امر بتجديد وتذهيب هذه القبة مع القبة الفوقانية برصاصها مولانا ظل الله في ارضه القائم بسننه وقرضه السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاون ، تغمد الله برحمته . وذلك في سنة ثمان عشرة وسبع مائة » . ١٣١٨ م .

٢٣ - وفي زمنه ايضاً جددت^(٢) قبة المسجد الأقصى . وانك لتقرأ حول القبة من الداخل الكلمات التالية مكتوبة باحرف كبيرة من النوع المعروف بالثلث : « بسم الله الرحمن الرحيم . جددت هذه القبة المباركة في ايام مولانا السلطان المالك الناصر العالم العادل المجاهد المرباط المشاعر المؤيد المنصور قاهر الخوارج المتمردين محي العدل في العالمين سلطانات

مدرسة رباط الكرد عند باب الحديد (٦٩٣ هـ - ١٢٩٣ م) . والمدرسة السلامية بباب شرف الانبياء (٧٠٠ هـ - ١٣٠٠ م) . والمدرسة الوجيهية بخط درج الموله (٧٠١ هـ - ١٣٠١ م) . والمدرسة الجاولية^(٣) شمالي الحرم عند درج الفوامة (٧١٥ هـ - ١٣١٥ م) . والمدرسة الكريمة بباب حطه (٧١٨ هـ - ١٣١٨ م) . والمدرسة التنكيزية عند باب السلسلة غربي الحرم (٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م) . والمدرسة الامينية شمالي الحرم (٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م) . والمدرسة الملكية ويقال لها مدرسة الجوكندار ايضاً في شمالي الحرم (٧٤١ هـ - ١٣٤٠ م) .

ومنها ايضاً الرواق الممتد من باب الفوامة الى باب الناظر (٧٠٧ هـ - ١٣٠٧ م) . والرواق الممتد من باب الناظر الى باب القطانين ، ومن باب القطانين الى باب المغاربة .

٢١ - ومن هذه المنشآت :

(الجامع) الكائن بداخل القلعة عند زاويتها القبيلة الغربية . وقد كتب على بابه بالخط النسخي المملوكي الكلمات الآتية : « بسم الله . . . انشأ هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون اعز الله نصره في تاريخ سنة عشرة وسبعماية حسبنا الله ونعم الوكيل » . ١٣١٠ م .

(١) نسبة لمنشئها الامير الكبير علم الدين ابو سعيد سنجر بن عبيد الله الجاولي . ولد بأمد سنة ٥٩٣ هـ - ١٢٥٥ م وظل يترقى في مناصب الدولة الى ان ولي نظارة الحرمين الشريفين نيابة القدس . وقد انشا وهو في القدس هذه المدرسة التي عرفت باسمه . بناها في المكان الذي كان يقوم عليه (برج انطونيا) على عهد الرومان . وقد توفي في شهر رمضان سنة ٥٧٤ هـ - ١١٣٤ م . ودفن بالخانقاه التي بناها في القاهرة بالقرب من جامع ابن طولون .

(١) برشام . والقلشندي ج ٤ ص ٦٠١

(٢) اعتقد ان الملك محمد بن قلاون لم يجدد القبة نفسها ، وانما جدد تذهيبها .

العدل العامل الملك الناصر سيف الدنيا والسيد سلطان الاسلام والمسلمين مولانا السلطان الشهيد محمد قلاون الصالحى . تغمدہ اللہ بالرحمة . بنظر العدل الفقير الى الله تعالى ، بالبلا الصابري ، ناظر الحرمين الشريفين ، بتاريخ شهر رجب الفرد سنة اربعين وسبعماية « ١٣٣٩ م .

٢٤ - وهو الذي انشأ القنطرتين اللتين تراهما منصوبتين فوق الدرجتين الى اقصى الشمال من فناء الصخرة . احدهما (وهي الى الشرق) مقابل باب حطة . والثانية (وهي الى الغرب) مقابل الباب المعروف بباب العتم او باب فيصل . والبك ما نعرفه عن هاتين القنطرتين وعن الفناء الذي تقومان عليها .

أما فناء الصخرة^(١) فانه فناء مربع الشكل . فرش بالبلاط الأبيض سنة ٦٩٣هـ - ١٢٩٣ م في أيام الملك المنصور قلاون ، على يد نائب القدس في ذلك الحين ، الامير علاء الدين آيدوغدي بن عبد الله الصالحى النجمي . طوله من القبلة إلى الشمال أكثر من عرضه من الشرق الى الغرب . انه فناء واسع مساحته من القبلة الى الشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعاً ، ومن الشرق الى الغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع . وهو مرتفع^(٢) إثني عشر قدماً ، يصعد اليه بأدراج من

(١) ويسمى ايضا (صحن الصخرة) . واما عامة الشعب من سكان القدس فيسمونه (سطح الصخرة) و (سطوح الصخرة) .

(٢) هذا ما جاء في (خطط الشام) ص ٢٧٠ وفي اعتقادي ان الفناء المذكور فرش بالبلاط قبل ذلك بضع سنوات . ذلك لأن الامير علاء الدين آيدوغدي الذي قام بهذا العمل توفي سنة ٦٨٨ - ١٢٨٩ م بدلتا على ذلك البلاطة المثبتة على تربته (القبية) في مقبرة مأمون الله .

(٣) يعتقد بعض المؤرخين ان هذا الارتفاع غير طبيعي ، وان ارض الصخرة كانت فيما مضى منخفضة ، وان هذا المنخفض من الارض الذي كان حول الصخرة املئ بالتراب . ولكن هؤلاء المؤرخين لم يستطيعوا ان ينجز موافق تاريخ وقع هذا الاملاء . وان كان بعضهم يميل الى الاعتقاد انه جرى في زمن سليمان الملك .

الاسلام محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون الصالحى تغمدہ اللہ برحمته في شهور سنة ٧٢٨ هـ « ١٣٢٨ م .

وامر بوضع الرخام في صدر المسجد (٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م) . وقد تم ذلك بمعرفة الامير ناصر الدين ناظر الحرمين في القدس والخليل . وكذلك قل عن الشبايك الجبسية الملائى بالزجاج المائلون . تلك الشبايك الكائنة في صدر المسجد .

وعمر السور القبلي عند محراب داود . وفتح الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله . وتجد مكتوباً فوق شباك المسجد الاقصى غربي المنبر : « بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الشباك والرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاون الصالحى بالاشارة العالمة تنكيز^(١) الناصري كافل الممالك الشريفة الشامية . وذلك سنة ٧٣١ هـ « ١٣٣٠ م .

وكذلك فوق الشباك الكائن شرقي المحراب : « جدد هذا الشباك والرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاون عند نصره بالاشارة العالمة الشريفة تنكيز الناصري سنة ٧٣١ هـ « ١٣٣٠ م .

وفي واجهة المسجد الامامية فوق الاروقة اربعة الواح حجرية^(٢) واحد منها الى الغرب . وقد نقشت عليه الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الجامع المستجد والابواب المستجدة في أيام مولانا السلطان

(١) انه الامير سيف الدين تنكيز بن عبد الله المملكي المكنى بابي سعيد . كان نائب السلطنة بالشام . وتوفي بالاسكندرية سنة ٧٤١ هـ - ١٣٤٠ م . ونقل الى تربته بدمشق . له منشآت عديدة منها ما ذكرناه هنا ، والمدرسة التنكيزية ، وسوق القطانين

(٢) اثنتان منها وهما فوق الرواق الاوسط وضعا في زمن الملك المظفر عيسى والملك الاشرف قايتباي . وقد ذكرتهما في غير هذا المكان .

٢٥ - (سوق القطنين) الكائن غربي الحرم .
انه من منشآت المماليك في عهد الملك الناصر محمد
ابن قلاوون . ويسمونه (خان تنكيز) . قال
السيوطي : « باب القطنين ويقال انه مستجد
فتحاه السلطان الملك الناصر بن قلاوون . وكان قد
تلاشى حاله . ولما عمر المرحوم تنكيز الحسامي
الناصري نائب الشام رواق المسجد وسوق القطنين
عمر هذا الباب بالعمارة المتقنة التي عليها
الآل » .

طول هذه السوق مئة متراً وعرضها عشرة امتار .
وعلى جانبيها دكاكين كانت عند انشائها (٧٣٧هـ -
١٣٣٦م) معدة لببيع جميع انواع الموصلين والاقشة
القطنية والبضائع الحريرية التي كانت تحملها القوافل
التجارية من الهند الى القدس عن طريق البصرة
وبغداد والموصل . ولكن اهمية هذه السوق تضاءلت .
عند اكتشاف رأس الرجاء الصالح (١٤٩٧م) . فلم
يستعمل الا قليلاً . ولقد اهمل بالمرّة في اواخر
العهد التركي .

٢٦ - (قناة الماء) الواصلة الى مدينة القدس .
جاء في (الانس الجليل) : ان ابتداء عمارتها كان في
شوال سنة ٧٢٧هـ - ١٣٢٧م وانها وصلت الى وسط
المسجد الاقصى في اواخر ربيع الاول سنة ٧٢٨هـ -
١٣٢٨م . كانت في ما مضى تسمى : (قناة السبيل) .

(البركة) السكّنة بين الصخرة والأقصى ، والتي
تعرف في يومنا هذا بـ (الكاس) . وهي مصنوعة من
الرخام . قال مجير الدين انها انشئت في التاريخ
الذي وصل الماء فيه الى الحرم والذي ذكرناه في
الاسطر المتقدمة .

(الحمام) الكائن بباب القطنين والمعروف بالحمام

الجهات الاربع ، وفي أعلى كل درج قنطرة قائمة على
أعمدة من رخام ، ويسمون هذه القناطر (موازين)
لاعتقادهم أن الميزان سينصب هناك يوم الحساب !
إن هذه القناطر وإن كانت كثيرة الشبه بمدخل
المعابد الرومانية ، الا انه لا صحة للقول القائل^(١) :
بأنها من صنع هيرودس الملك . إنها كلها من
المنشآت الاسلامية .

اما (القنطرة الشمالية الى الشرق) وهي التي
تواجه باب حطة ومئذنة باب الاسباط ، فقد أنشئت
سنة ٧٢٦هـ - ١٣٢٥م وعليها ثلاث بلاطات
نقشت على احداها هذه الكلمات :

« بسم الله الرحمن الرحيم . إنما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر . تكل بلط الحرم
الشريف ، وأنشئت هذه القناطر في أيام مولانا
السلطان الملك الناصر العالم العادل محمد بن السلطان
الشهيد الملك المنصور قلاوون . وذلك في ثاني ربيع
الاول سنة ست وعشرين وسبع مائة هـ - ١٣٢٥م .
وعلى البلاطة الثانية : « وكان فراغ هذا البلاط
المبارك والقناطر المباركة » .

وعلى الثالثة : « بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى
أيدمر الشجاعى الملىكى الناصرى ناظر الحرمين
الشريفين عفا الله عنه » .

وأما (القنطرة الشمالية الغربية) فقد كتبت
عليها بالنسخ المملوكي الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أنشئت هذه القناطر
المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العادل
محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون رحمه
الله في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وسبع مائة
هـ - ١٣٢١م .

(١) (الرحلة الحجازية) لمحمد البتوني ص ١٦٦ . طبعت في مصر .

وانك لواجد على قاعدة من رخام في الحائط
القبلي الكلمات الاتية منقوشة بالخط النسخي
الملوكي الجميل :

« بسمه . . اشار بانشاء هذا المحراب وعمارة
المجمع المبارك الفقير عيسى بن احمد بن غانم ، عفى
الله عنه ورحم سلفه ، في ايام مولانا السلطان محمد
ابن قلاون عز نصره ، في شعبان سنة احد واربعين
وسبعمئة » .

(المقصود من كلمة المجمع الزاوية والمسجد
والمدسة معا . .) .

٢٩ - وفي عهده مات الشيخ جمال الدين محمد
ابن سليمان بن الحسن بن الحسين بن النقيب البلخي
الاصل المقدسي الفقيه الحنفي . ولد بالقدس في
نصف شعبان سنة احدى عشرة وستماية . وصار
احد الاعلام . وله كتاب تفسير القرآن في سبعين
مجدا . وقد قدم القاهرة ، واقام بها . ودرس
بالعاشورية ، وهي احد المدارس التي انشئت
بالقاهرة في اوائل العصر الايوبي . مات بالقدس
في محرم سنة ٦٩٨ هـ . ومات بالقدس ايضا في
نفس السنة ، الملك الاوحد نجم الدين يوسف بن
الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن العادل
ابن بكربن ايوب . مات في ١٤ ذي الحجة سنة ٦٩٨ هـ .

٣٠ - لم يخل عهد الملك الناصر على ما وصل اليه
من عز ، من فتن داخلية . فلقد حدثنا تغرى بردى في
كتابه (النجوم الزاهرة^(١)) ان الامراء ومنهم
سلارويبيرس الجاشنكير ، وشوا عنده (٧١٧ هـ -
١٣٠٧ م) بماليكه الذين يناوئونهم السلطة والنفوذ .
فطلبوا منه اخراج الشبان الذين يرمون الفتنة بين
السلطان والامراء . وان السلطان امتنع في بادئ

الجديد . انه ايضا من منشآت المماليك^(٢) على عهد
الملك الناصر محمد بن قلاون .

٢٧ - ومن المنشآت التي قامت في القدس على
عهد الملك الناصر محمد بن قلاون :

(السور القبلي) الذي عند محراب داود .
اساسه قديم ، ولكن عمارته جددت في زمن
المماليك البحرية . نقل فان برشام في كتابه^(٣) الكلمات
التالية التي رآها منقوشة على جانب من جوانب
السور المذكور بالنسخ الملوكي القديم وباحرف
كبيرة :

« بسمه . . عمر هذا السور المبارك في ايام مولانا
السلطان العالم العادل المجاهد المرباط المشاعر المؤيد
المظفر المنصور الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ابي
الفتح محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف
الدين قلاون الصالح اعز الله انصاره ، بنظر العبد
الفقير الى الله تعالى الامير علاء الدين كندغدى^(٣) في
الوفاء الناصري » .

وقد ذهب فان برشام الى ان ذلك جرى حوالي
سنة ٧٠٠ هـ - ١٣٠٠ م .

٢٨ - وكذلك قل عن (الحانقاه) . فانها من
منشآت الملك الناصر محمد بن قلاون .

(١) يقول مجير الدين في كتابه الانس الجليل ان المنشآت المتقدم
ذكرها (سوق القطانين وبابه وقناة الماء والبركة والحمام ،
وكذلك الرخام الذي في قبة المسجد عند المحراب والرواق
الغربي الذي في ساحة الحرم) الفضل فيها يعود الى نائب
الشام الامير سيف الدين تنكيز الناصري الذي تولى النيابة
سنة ٧١٢ هـ - ١٣١٢ م وتوفي سنة ٧٤١ هـ . وكان رجلا عظيما
مسموما بقلعة الاسكندرية ودفن بدمشق . وكان رجلا عظيما
ونه مآثر كثيرة في القدس . واملاك اوقفها على وجوه البر .

(٢) Materiau pur un Corpus
Inscriptionum Arabicarum.

(٣) (كون دودغدى) كلمة تركية معناها ولد اليوم او بدأ النهار

لزيارة القدس . فتوجه الى القدس وزار معالمها . ثم زار الكرك . وعاد الى الديار المصرية . فكانت غيبته اربعين يوماً .

٣٤ - بعد وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون تسلطن ثمانية من اولاده (٧٤١ هـ - ٧٦٢ هـ) (١٣٤١م - ١٣٦١م) هم : الملك المنصور ابو بكر ، والملك الاشرف كجك ، والملك الناصر احمد ، والملك الصالح اسماعيل ، والملك الكامل شعبان ، والملك المظفر حاجي ، والملك الناصر حسن ، والملك الصالح صالح الدين .

فلم يأت واحد من هؤلاء باي عمل يذكر ؛ لا في القدس ، ولا في غيرها من البلدان . اذ ما كان الواحد منهم ليتولى الملك ، حتى يقوم اخوه عليه او احد اقاربه ؛ فيقتله او يقيه او ينفيه ، وينتزع السلطة من يده . والعمل الوحيد الذي قام به حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون انه جدد جناحاً^(١) من اجنحة الاقصى . ولكننا لا ندري اي جناح هو الذي عمره ؟ او ما الذي فعله في ذلك الجناح ؟

٣٥ - وكذلك قل عن الايام التي انقضت على عهد المماليك الذين تسلطوا من بعدهم . وهم الملك المنصور محمد بن حاجي (٧٦٢ هـ - ١٣٦٠ م) . والملك الاشرف شعبان بن حسن (٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م) . والملك الصالح حاجي بن شعبان (٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م) . وهو آخر من حكم من دولة المماليك الاولى المسماة بالبحرية او التركمانية .

٣٦ - فانه لم يحدث خلال تلك الفترة من الزمن تغيير له صلة بالقدس او يستحق الذكر ، سوى ان الرجل الذي كان يحكم القدس ، وقد كان قبلئذ يدعى

الامر ، ولكنه عاد فانصاع الى كلامهم . ونفى جماعة : منهم يلبغا التركاني ، وايدمر المرقبي ، وخاص ترك الى القدس . وساقهم من وقتهم مع البريد . ولكن السلطان بات ليلته في قلتي زائد وكرب عظيم لاجراج ممالكه الى القدس » .

٣١ - وفي عهده قوية شوكة التيارات ، واخذ قائدهم (غازان) يعيث في البلاد فساداً . وراح جنوده في القدس وفي الكرك ينهبون . كما راحوا في الاماكن المقدسة يشربون الخمر . ويفضون البكور ، ويهتكون السور .

٣٢ - ويظهر ان القدس كانت ، على الرغم من قدسيته ، تعتبر يومئذ منفى للذين يحل عليهم غضب السلطان . فقد حدثنا تغري بردي في كتابه المتقدم ذكره^(١) ان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون غضب على (كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله ابن السديد) ناظر الخواصي ووكيل السلطان ، وقد كان معدوداً من عظماء الدولة ، فنفاه الى القدس (٧٢٣ هـ - ١٣٢٣ م) . ثم استدعاه الى مصر . وارسله الى اسوان . وبعد قليل وجد مشنوقاً بعمامته .

٣٣ - زار الملك الناصر محمد بن قلاوون القدس الشريف^(٢) : « بدأ زيارته في يوم الخميس رابع جمادي الاولى سنة ٧١٧ هـ - ١٣١٧ م . وسار ومعه خمسون اميراً وكريم الدين الكبير ناظر الخواصي ، وفخر الدين ناظر الجيش ، وعلاء الدين علي بن احمد بن سعيد ابن الاثير كاتب السر . بعد ما منع كل واحد فرساً ، مسرجاً وهجيناً ، وبعضهم ثلاثة هجن . وكتب الى الامير تنكيز نائب الشام ان يلقاه بالاقامات^(٣) »

(١) ج ٩ ص ٧٥

(٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٥

(٣) هو ما يزل فيها المسافر من الحيام ولوازمها وما يتبعها من امتعة السفر .

(١١) هناك كتابة منقوشة على لوح مثبت في واجهة المسجد من الشرق تقول انه جدد هذا النجاح ! . . .

والمقريزي^(١) ابن الذي انشأه هو الملك الظاهر برقوق .

٤٠ - وكذلك قل عن (قناة العروب) التي توصل الماء الى القدس . فقد قال جرجي زيدان^(٢) ان الملك الظاهر برقوق هو الذي عمرها . وراحت هذه بعدئذ تعرف بـ (قناة السبيل) .

٤١ - (دار الست) وكانت تسمى الدار الكبرى . بنتها الست (طنشق بنت عبدالله) المظفرية بين سنتي ٧٩٤ هـ - ٨٠٠ هـ - ١٣٩٢ م - ١٣٩٨ م) . وقد ذكرها مجير الدين في كتابه الانس الجليل ص ٤٠٤ و ص ٤١٣ . وفي شمال هذه الدار التربة التي بنتها الست طنشق نفسها . وهي مدفونة فيها . توفيت بالقدس في شهر ذي القعدة سنة ٨٠٠ هـ - ١٣٩٨ م . كانت هذه التربة تسمى فيما مضى (تربة الست) . ويسميناها اهل القدس الان (تربة خاصكي سلطان) . انها والدار الكبرى^(٣) المتقدم ذكرها كائنتان في العقبة المعروفة في يومنا هذا بعقبة التكية بين سوق خان الزيت وحارة الواد .

٤٢ - وفي زمن الملك الظاهر برقوق جددت دكة المؤذنين الكائنة بجانب باب المغارة والتي تراها أمامك اذا ما دخلت المسجد من بابيه القبلي . ويظهر ان هذه الدكة قديمة العهد ، وانه تم تجديدها في زمن الملك الظاهر برقوق على يد نائبه بالقدس محمد بن السيفي بهادر الظاهري (٧٨٩ هـ - ١٣٨٧ م) .

(١) السلوك . ج ٢ ص ٢٤

(٢) تاريخ مصر الحديث ص ٣٤٨ .

(٣) استعمل الاتراك هذه الدار مقراً للتصرف الذي كان مسؤولاً عن ادارة القدس ، وكانت فيها مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة . وكانت يومئذ تسمى (السرايا) . وبعد الاحتلال الانكليزي استرجعها المجلس الاسلامي الاعلى للوقف ، واتخذها داراً لايتم المسلمين .

الوالي اصبح بعد سنة ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥ م يدعى (النائب^(١)) اي نائب السلطان . وكان هذا يخابر السلطان رأساً .

٣٧ - ان مؤسس دولة المماليك الثانية (ويسمونه المماليك الابراج او الشراكسة^(٢)) هو الملك الظاهر برقوق^(٣) . بعد ان قضى هذا على دولة المماليك الاولى (البحرية) تولى هو الحكم ٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م . فاقره الخليفة المتوكل على الله . ودام في دست الحكم سبعة عشر عاماً . تمكن خلالها من ايقاف قائد التتر المشهور تيمورلنك عند حده . ٣٨ - وفي زمنه رد الامير شهاب الدين احمد اليعموري ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس والخليل الى القدس الشريف (٧٩٦ هـ - ١٣٩٣ م) . فابطل المكوس والمظالم والرسوم التي احدثها النواب من قبله ، ونقش بذلك رخامة الصقها على باب الصخرة من جهة الغرب .

٣٩ - ومن المنشآت التي قامت بالقدس على عهد الملك الظاهر برقوق :

(خان السلطان) الكائن على طريق باب السلسلة . فقد انشيء هذا الخان سنة ٧٨٨ هـ - ١٣٨٦ م . وكان يعرف بالوكالة . وقال مجير الدين^(٤)

(١) صبح الاعشى للقلقشندي . ج ٤ ص ١٩٩ و ج ٧ ص ١٧٠

(٢) كانت منازلهم في سبيل حول بحيرة (بايقال) ، فهجروها . واستوطنوا بلاد القفقاس اولاً وبلاد الشركس . ثم استقدمهم الملوك . واكثر من استخدامهم العباسيون وبنو ايوب والمماليك البحرية . فتقووا عليهم وقضوا على سلطانهم (البرغوثي وطوطح)

(٣) انه من موالي بني قلاوون . كان يكنى بابي سعيد . وكان يعنون مراسيمه بالوصاف التالية : «برقوق المالك الاميري الكبرى العسدي الاحدي الخيري النصيري المجاهدي المؤيدي الملائي مجد الاسلام بهاء الانام شرف الامراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين » .

(٤) الانس الجليل . ص ٢٤٠ و ٤٠٣ و ٤٤٠

فقد قرأت على واجهتها القبلية الكلمات الآتية
منقوشة بالذهب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . جددت هذه السدة
المباركة بالصخرة الشريفة في أيام مولانا السلطان
الملك الظاهر ابي سعيد برقوق خلد الله ملكه في
نيابة امقر الاشرف العلائي الطنبغا الجوباني كافل
الممالك بالشام المحروسة اعز الله انصاره بنظر العبد
الفقير الى الله تعالى امقر العسالي الخدمي
الناصر محمد ولد امقر المرحوم السيفي
بهادر الفخري الظاهري نائب السلطنة الشريفة
بالقدس الشريف وناظر الحرمين الشريفين اعز الله
انصاره بتاريخ مستهل شوال سنة تسع وثمانين
وسبعمائة » .

٤٣ - لم يحدث في القدس حوادث تستحق
الذكر في زمن المماليك الذين تسلطوا بعد الملك
الظاهر برقوق وهم : **الملك الناصر فرج بن برقوق**
(المعروف بابي السعادات زين الدين) ٨٠١ هـ -
١٣٩٨ م . **والملك المنصور عبد العزيز بن برقوق**
٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م . **والملك الناصر فرج بن برقوق**
(للمرة الثانية) ٨٠٩ هـ - ١٤٠٥ م . **والامام**
المستعين بالله ٨٠٥ هـ - ١٤١٢ م الذي لقب بالملك
العادل ، وجمع بين السلطين الروحية والسياسية .
والشيخ المحمدي ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م . وولده
الملك المنصور احمد ٨٢٤ هـ - ١٤٣١ م . **فالملك الظاهر**
ططر ٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م . **والملك الصالح محمد**
٨٢٥ هـ - ١٤٢٢ م .

(١) زار الملك الناصر فرج بن برقوق في هذه المرة القدس
(٨١٥ هـ - ١٤١٢ م) . ونزل بالمدرسة التنكيزية ، وفرق
مالا كثيراً على الناس . ومن جملة ما رسم به ، ان نائب القدس
لا يكون ناظر الحرمين الشريفين . ولا يتكلم على النظر
بالجملة الكافية . ونقش بذلك بلاطة والصقت بعائط باب الساحة
براهم الداخل الى الحرم من هذا الباب على عتبة (الانس الجليل)

٤٤ - **واما الملك الاشرف برسبائي** (١) الذي
بويع بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد
(٨٢٥ هـ - ١٤٢٢ م) فقد دام على سرير الملك ستة
عشر عاماً ، قام خلالها بإنشاءات عديدة في القدس .
نذكر منها :

(سبيل شعلان) (٢) . ويظهر ان هذا السبيل
والمصلى والمحراب الذين بجانبه ، قد جدداً تجديدأ .
فانك تجد عليه هذه الكلمات منقوشة بالنسخ المملوكي :
« جدد هذا السبيل والمصلى والمحراب . العبد الفقير
الى الله تعالى شاهين ، ناظر الحرمين الشريفين ، في أيام
مولانا السلطان الملك الاشرف برسبائي خلد الله ملكه ،
بتاريخ شهر رمضان المعظم سنة اثنين وثلاثين وثمان
مائة » . ٨٣٢ هـ - ١٤٢٩ م .

و (المدرسة الباسطية) (٣) (الكائنة شمالي الحرم
بالقرب من الباب العثم ٨٣٤ هـ - ١٤٣٠ م . و
(المدرسة القادرية) شمالي الحرم ايضاً بين باب حطة
ومئذنة اسرائيل ٨٣٦ هـ - ١٤٣٢ م . و (المدرسة
الحسنية) بباب الناظر فوق رباط علاء الدين البصري
٨٣٧ هـ - ١٤٣٣ م . و (المدرسة العثمانية) في
الزقاق المؤدى الى باب المطهرة وعلى بعد بضعة امتار
من الباب المذكور الى الغرب ٨٤٠ هـ - ١٤٣٦ م .
و (سبيل علاء الدين البصري) غربي الحرم
٨٣٩ هـ - ١٤٣٥ م

٤٥ - وفي زمن السلطان الملك الاشرف
برسبائي اشترى نائب السلطان بالقدس الامير

(١) انه من عتقاء الظاهر برقوق . وكان يلقب بابي النصر
برسبائي الدقاني الظاهري .

(٢) انظر الى ما كتبناه عن هذا السبيل في الفصل الذي
خصصناه لمياه القدس .

(٣) انظر الى ما كتبناه عن هذه المدرسة والمدارس التي تليها
في الفصل الذي خصصناه لمدارس القدس

١٤٣٧ م). واما على عهد خلفه **الملك الظاهر جقمق** (٨٤٢ هـ - ١٤٣٨ م) فقد وقع الحادث الآتي ذكره:

ارسل الى القدس، بطلب من الشيخ محمد المشعر احد جماعة الشيخ شهاب الدين بن آرسلان، خاصكيا اسمه (اينال باي) . وزوده بامر ملكي لاجل الكشف على الدبورة^(١). فهدم ما استجد بدير صهيون وغيره . وانتزع قبر داود من ايدي النصاري. ونبشت عظام الرهبان المدفونين بالقرب من النبي داود . وكان ذلك في يوم الاثنين الموافق ١٢ جمادي الآخرة سنة ٨٥٦ هـ - ١٤٥٠ م . وفي تلك السنة وقع البطش في النصاري ، واخرج المسجد من دير السريان ، وسلم للشيخ محمد المشعر ، وصار زاوية . وهدم البناء المستجد ببית لحم ، وقلع الدرايزين المستجد بالقمامة ، واخذ الى المسجد الاقصى بالتهديل والتكبير . وهدم كل ما استجد في اديرة النصاري .

تولى الملك ، بعد الملك الظاهر جقمق ، ابنه **الملك المنصور عثمان** (٨٥٧ هـ - ١٤٥٣ م) . ف**الملك الاشرف اينال** (٨٥٧ هـ - ١٤٥٣ م) وعلى عهده عمر المسجد الاقصى (٨٦٥ هـ - ١٤٦٠ م) وكان ذلك على يد ناظر الحرمين الامير عبد العزيز العراقي المشهور بابن المعلق .

٤٧ - ثم تولى **الملك المؤيد احمد بن اينال** (٨٦٥ هـ - ١٤٦٠ م) . ف**الملك الظاهر خوشقدم** (٨٦٥ هـ - ١٤٦٠ م) . وعلى عهد هذا الملك جرت الحوادث التالية :

بدأ بتعمير (قناة السبيل) التي تصل العروب

اركام الجلباني للوقف ضياعاً رصد جانباً منها لمصلحة الصخرة . ونقش بذلك رخامة الصقت بحائط الصخرة تجاه قبة المحراب (٨٣٦ هـ - ١٤٣٢ م) .

رأيت هذه الرخامة مثبتة على بعد بضعة امتار من باب الصخرة الشرقي إلى الجنوب ، وقد حككت ويا للأسف ، بعض كلماتها ؛ ويظهر ان الذي فعل ذلك أحد الذين لهم مصلحة شخصية في ضياع معالم هذا الوقف ! .

السطران الأول والثاني محيا بالمرّة ، وقد ظهرت من بعدهما الكلمات التالية :

« . . . الحرمين الشريفين اثنابه الله الجنة . وهو مشتراه مما ثمره من مال الوقف . . . من اجور المسققات في كل شهر الفا درهم خارجاً عن تكلفة حواصل المستحقين وما جددته وانشأه من الحمام الخراب بحارة . . . وقرية العوجا والنعيمة بالغور ومرتب الخواجات الواردين من (قمامة) . ووقف جميع المتحصل ذلك برسم عمارة المسجد الاقصى الشريف والصخرة الشريفة وواقفهما وما فيه يرصد حاصله بصندوق الصخرة الشريفة . أرصد ذلك جميعه برسم العمارة خالصاً ارصاداً صحيحاً شرعياً بمقتضى المرسوم الشريف المعين تاريخه أعلاه . ورسم أن ينقش ذلك على الرخامة حسنة جارية في صحائف مولانا السلطان الملك الاشرف برسباي خلد الله ملكه على الدوام ما تعاقبت الشهور والاعوام . فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه . . اللهم من فعل هذا الخير وكان السبب فيه جازه بالجنة والنعم ، ومن غيره أو نقصه جازده بالعذاب الأليم » .

٤٦ - لم يجر في القدس شيء يستحق الذكر على عهد **الملك العزيز يوسف بن برسباي** (٨٤١ هـ -

(١) هكذا وردت في الانس الجليل . وتجمع كلمة (دير) على اديرة وديارات وادبار .

الشمالية فوق الرواق الاوسط الى اليمين :

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الشريف .
واطراف . . اللطيف في ايام مولانا السلطان الملك
الاشرف ابو النصر قايتباي امدته الله بنصره العبد
الفقير الى الله تعالى محمد ناظر الحرم الشريف غفر
الله له في الخامس عشر من محرم شهر الله المعظم
سنة ٨٩٤ هـ - ١٤٨٨ م .

وقد يكون هذا هو الرصاص الذي جدد
الملك الاشرف قايتباي . اذ قال مجير الدين « جدد
عمل الرصاص على ظاهر المسجد الأقصى وفك
الرصاص القديم ثم ركب . ولم يكن كالأول في
حسن الصناعة والاتقان . وكان الصانع له من اهل
الروم » . ولكن التاريخ الذي تم فيه هذا العمل ،
حسب قول مجير الدين ، كان ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م .

قال مجير الدين في كتابه (الانس الجليل) ان
السلطان الملك الاشرف قايتباي عندما تسلم
امر بالاخراج عن الامراء المقيمين بالقدس من زمن
الملك الظاهر خورشيد ، وهم : بيبرس خال العزيز ،
وبيبرس الطويل ، وجاني بك المشد وغيرهم . ثم
عاد فاعتقلهم . ثم امر بالاخراج عن عدد آخر من الامراء
من مصر ، واحضارهم الى القدس ، ومنهم : الامير
يشبك الفقيه الدوادر الكبير ، وجاني بك كوهيه
الدوادر الثاني ، والمغلباني المحتسب ، وغيرهم .

وكان بالقدس يومئذ ناظر الحرمين الامير حسن
ابن ططر الظاهري ، ونائب السلطنة الامير حسن
ابن ايوب ، وشيخ الصلاحية وقاضي القضاة
الشافعية شيخ الاسلام نجم الدين ابو البقاء محمد بن
جماعة ، وقاضي القضاة الحنفية جمال الدين ابو العزم
عبدالله بن الديري ، وقاضي القضاة المالكية شمس
الدين ابو عبدالله محمد المعزاوي ، وقاضي القضاة

بالقدس (٨٦٧ هـ - ١٤٦٢ م) . ولكنه مات قبل
ان يتم تعميمها .

وبنى المدرسة الكائنة بجوار باب السلسلة . وقد تم
ذلك على يد الامير حسن الظاهري الذي تولى
نظارة الحرمين بعد الامير ناصر الدين .

وامر بابطال المظالم من القدس ، ونقش بذلك
رخامتين الصقتا على حائط المسجد الأقصى من
جهة الغرب .

٤٨ - وتولى الملك من بعده الملك الظاهريلباي
(٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م) . فاراد هذا ان يتم مشروع
عين العروب الذي بدأ به الملك الظاهر خورشيد ،
لكنه لم ينجح . وكذلك فعل الملك الظاهر قوتوبا
(٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م) .

٤٩ - واما في عهد السلطان الملك الاشرف
قايتباي^(١) الذي تولى الملك عام ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م
ودام فيه قرابة ثلاثين عاما ، فقد قامت في القدس
منشآت ، وجرت فيها حوادث تستحق الذكر .
وانا لذاكرون منها ما يلي :

انه هو الذي وضع (٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م)
الابواب النحاسية التي في مدخل الصخرة من الغرب .
وقام ببعض التعمير في الأقصى . وان كنا لا نعلم عن
هذا التعمير ، سوى ما قرأناه على واجهة المسجد

(١) انه من ممالك الملك الاشرف برسباي ثم انتقل الى الملك
الظاهر جقمق فاعتقه . وقد بويغ له بالسلطنة بحضرة امير
المؤمنين المستجد بالله ابي المظفر يوسف بن محمد العباسي
(٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م) واقب بملك الاشرف سيف الدين
ابو النصر قايتباي بن عبد الله الظاهري . وكان باقب بخادم
الحرمين الشريفين المسجد الأقصى ومسجد الخليل . كان يجب
القدس . وله فيها اصدقاء . ذلك لانه قضى فيها قبل ان يتولى
السلطنة ، زهاء خمسة اعوام . قضاهامنفياً ، مضروباً عليه من
السلطان . وكان رفيقه في النفي الامير يشبك الفقيه .
وقد حظر عليهما يومئذ ركوب الخيل . والاخوة لاط بالهليلين .

عن قبة الصخرة ويحدده كما فعل بالمسجد الأقصى، إلا أن الشيخ جمال الدين بن غانم شيخ الحرم في ذلك الحين منعه . وان ذلك كان توفيقاً من الله . إذ أن الرصاص القديم الذي كان على الصخرة ، أحسن من المسجد الذي عمل بالأقصى .

٥٣ - وفي سنة ٨٧٥ هـ - ١٤٧٠ م حدثت فتنة أخرى ملخصها ان القاضي غرس الدين خليل الكناني شيخ الصلاحية وقاضي القضاة الشافعية ، اختصم مع الشيخ شهاب الدين العميري الواعظ من أجل مسألة . فما كاد الخبر يذيع بين الناس ، حتى انشطروا ، كالعادة ، الى شطرين . وهاجم العوام منزل القاضي في المدرسة الصلاحية . فسبّوه ، ونهبوا بعض امتعته . وكان بين الناقمين على القاضي شيخ الاسلام الككالي بن ابي شريف ، والشيخ ابو الوفا بن أبي الوفا ، والشيخ شهاب الدين بن عتبة ، والشيخ كمال الدين ، وغيرهم كثيرون .

تشاكى القوم الى السلطان . فطلبهم اليه . ولما دخلوا عليه في مصر ، انتهر السلطان الشيخ شهاب الدين العميري قائلاً له : « لقد اخرجت القدس ، وجئت تحرب مصر . . . » ولكن النتيجة بالرغم من ذلك لم تكن في جانب القاضي . إذ انه كان بين الشهود الذين طلبوا الى مصر جماعة من العوام ، مثل عمر الزبال وزريق العتال وكحيلة الطبال ؛ فاغتم خصومه هذه الفرصة ، وراحوا يهزؤون به قائلين : غرماؤه عمر الزبال وزريق العتال وكحيلة الطبال ! . « فخجل . واختفى عن الانظار . ولم يكذب ينقضي على هذا الحادث بضعة أيام ، حتى أقاله السلطان .

٥٤ - وفي سنة ٨٧٧ هـ - ١٤٧٢ م هطلت أمطار غزيرة ، وهدمت على أثرها أماكن كثيرة . ويقال انه هُدم في القدس يومئذ ٣٦٠ مكاناً . منها

الحنبلية شمس الدين ابو عبدالله محمد العلمي . فأكرمهم ، وأقرهم في مراكزهم .

٥٥ - وفي سنة ٨٧٣ هـ - ١٤٦٨ م بدا خلاف بين برديك التاجي ناظر الحرمين ، ودمرداش العثماني نائب السلطان بالقدس . وسرى الخلاف الى السكان . فانشطروا الى شطرين : شطر يؤيد هذا ، وآخر يعضد ذاك . ولم ينحصر الخلاف عند حد الكلام . بل تعداه الى الضرب . وقيل ان النائب سلط على الناظر اعوانه . فضربوه بينما كان موجوداً عند بركة السلطان يناظر الاعمال القائمة لتعمير قناة السيل . فسمع السلطان بالخبر . وارسل خاصكياً لاجل البحث والتدقيق . وتحيز الناس لهذا الفريق او ذاك . ونشأ عن اختلاف رجال الحكم ، وزعماء البلاد ان اختل الأمن . وكثرت السرقات . وانتشر قطاع الطرق في جميع الانحاء .

٥٦ - وقد زاد في الطين بلة ، نقشي الوباء^(١) واحتباس المطر في تلك السنة (٨٧٣ هـ - ١٤٦٨ م) . فصاب الناس ضرر عظيم من جراء قلة الماء وغلاء الاسعار . فبيع القمح كل مد بدينار ، والشعير كل مد بعشرين درهم . وكذلك قل عن الارز والزيت والبصل والخضار . فضج الناس .

٥٧ - وفي السنة التي تلتها ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م) هبط القدس بأمر من السلطان احمد خازنیه الامير ناصر الدين محمد النشاشيبي ، لاصلاح ما اختل من نظام اوقاف الحرمين في عهد الامير برديك التاجي . فنظر في مصالح الأوقاف . وعمر المسجد الأقصى . ويقول مجير الدين الذي ذكر الامير ناصر الدين في كتابه^(٢) انه اراد ان يفك الرصاص

(١) قيل ان الوباء دام اربعين يوماً . وان الاموات كانوا يفسلون ليلاً ويحملون الى صحن الصخرة صباحاً .

(٢) الانس الجليل ص ٦٢١ .

زاوية الشيخ محمد القرشي بخط سرزبان (حارة الواد الآن) .

٥٥ - ومن الحوادث التي جرت في القدس على عهد السلطان قايتباي ان المسلمين واليهود اختلفوا (٨٧٨ هـ - ١٤٧٣ م) على دار واقعة بين كنيس اليهود ومسجد المسلمين في حارة اليهود . ادعى المسلمون ان هذه الدار من حقوق المسجد . وعارضهم اليهود في هذا الادعاء . فتشاكى الفريقان امام القضاة . وعقد على اثر ذلك بالمدرسة التنكزية مجلس ترأسه ناظر الحرمين الامير ناصر الدين بن النشاشيبي . وحضره القاضي شهاب الدين بن عتبة (الشافعي) والقاضي خير الدين بن عمران (الحنفي) وشيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة (شيخ الصلاحية) والشيخ برهان الدين الانصاري والشيخ شهاب الدين العميري وجمع من الفقهاء . فاصدر هؤلاء حكمهم في صالح اليهود . وحكموا ان الدار من جملة اوقافهم . فلم يرض المسلمون بهذا الحكم . ورفعوا امرهم الى السلطان بمصر . فنقض السلطان حكم القضاة . واصدر امراً جاء فيه : ان كنيس اليهود محدث ، وان الدار المختلف عليها حق من حقوق المسجد . وانه لا حق لليهود فيها . فرفض اليهود ، في هذه المرة ، الحكم . وابى كبيرهم يعقوب ان ينصاع اليه . فثار ثائر المسلمين . وكادوا يبطشون باليهود . وكان بإمكانهم ان يفعلوا بهم ما يشاءون . لانهم كانوا كثرة ، وكان اليهود قلة . ولكن القاضي نهاهم قائلاً : « هؤلاء من اهل الذمة . ذمة الله وذمة رسوله وذمة امير المؤمنين . . » .

رفع اليهود امرهم الى السلطان . . . فنظر في شكواهم ، هذه المرة ، قاضي القضاة بالديار المصرية وجمع من النواب والفقهاء . وصدر على اثر ذلك مرسوم من السلطان (٨٧٩ هـ - ١٤٧٤ م) معنون الى ناظر

الحرمين الامير ناصر الدين المتقدم ذكره ، يقضي بتمكين اليهود من كنيسهم وعدم معارضتهم في دارهم .

وداعت في القدس يومئذ شائعات تقول ان اليهود ما كانوا ليحصلوا على ذلك المرسوم ، لولا ما بذلوه من اموال وفيرة للخزائن الشريفة . واشتد الجدل على اثر ذلك بين الناس ، وكثر القيل والقال . وكان اكثر الجدل منحصرأ بين قضاة بيت المقدس ومثلي السلطان . حتى قال مجير الدين الذي نقلنا عنه نبأ هذا الحادث ان الجدل اشتد بين شيخ الاسلام كال الدين بن ابي شريف وبين الشيخ برهان الدين الانصاري ، الى درجة انه كادت تقوم على اثرها فتنة في المدينة . فلما كاد النهار ينبلج ، حتى رأى اليهود كنيسهم قد انهار .

ولما وصل الخبر الى السلطان قايتباي ، غضب غضباً لا مزيد عليه . واعتبر عمل المقادسة خروجاً على ارادته . وبناء على امره أرسل الى مصر كل من القاضي الشافعي شهاب الدين بن عتبة والشيخ برهان الدين الانصاري وولدها وشمس الدين ناصر والدين الدمشقي الحوراني . أرسلوا مصفدين بالاغلال . وهناك ضربوا ضرباً مبرحاً بحضور السلطان . ثم سجنوا .

واما الشيخ ابو العزم فانه هرب الى مكة . وتوفي بها . انه هو الذي حث المقادسة على هدم الكنيس . وكان يقول : « هذا غبار الجنة . . . تشاؤون على هدمه في الجنة . . » .

واما الامير يشبك الدوادار الكبير فقد كان ، على قول مجير الدين ، من اكبر المساعدين لليهود . وان هؤلاء بذلوا له المال الوفير . فنالوا ما يبتغون . وبعد مدة وجيزة هدأت الحال . وافرج عن المسجونين .

٥٦ - زار السلطان قايتباي القدس في يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ٨٨٠ هـ - ١٤٧٥ م . فشكا اليه اهل القدس ما يلاقون من ظلم وجور من نائبه

احداهما بين نائب القدس الامير ناصر الدين محمد ابن ايوب عمر بن غانم البصري ومن معه من العربان النازلين في غور اريحا . فقتل على اثرها عدد من الجانبين .

والثانية بين الامير ناصر الدين هذا وبني زيد . ذلك لان الامير قبض على جماعة من بني زيد وقتلهم . فثار ثائر اعوانهم الذين اعتزموا الانتقام . فجاء الى القدس عدد كبير منهم (في يوم الاثنين ١٢ شوال) وراحوا الى المسجد يقصدون قتله . الا انه نجا منهم باعجوبة . وقيل انه تمكن من الفرار عن طريق باب الاسباط راكباً فرسه . ولما لم يتمكنوا من الانتقام منه ، راحوا الى السجن ؛ فكسروا بابه ، واخرجوا المسجونين منه . ثم راحوا يصولون في الشوارع والاسواق . فبادر التجار بتهريب ما في حوانيتهم . وقتل في ذلك اليوم ثلاثة اشخاص ، وجرح كثيرون . وراح العربان والفلاحون يقطعون الطرق ، ويؤذون الناس .

٦٣ - عاد الامن فاستتب . عندئذ امر الملك الاشرف قايتباي بتعمير المدرسة المعروفة باسمه : (الاشرفية) ٥٨٨٧ - ١٤٨٢ م . انها بالقرب من باب السلسلة . وكانت لها قبة جميلة . كانت هذه القبة ثالث القباب المهمة في الحرم بعد قبة الصخرة وقبة الاقصى . وانشأ في الوقت نفسه السبيل الكائن بين باب السلسلة وباب السكينة . وجدد عمارة السبيل الكبير في داخل الحرم فوق البئر المقابلة لدرج الصخرة من الغرب . وكذلك الفسقية القريبة منه على المسطبة المجاورة له . ويقول كلير مانغانو ان الملك الاشرف قايتباي استعمل في بناء هذا السبيل حجارة مأخوذة من قبور السلاطين .

في تلك البرهة من الزمن (١٤٨٤ م) زار القدس الاب فيليكس فابري Felix Fabri فوصفها قائلاً :

الامير جار قطلي الظاهري . فانصفهم . وامره بان يرد اليهم كل ما اخذه منهم ، سواء عن طريق الرشوة او غير ذلك . وشكوا اليه ايضا من القاضي غرس الدين خليل ، فنفاه من القدس .

٥٧ - وفي السنة نفسها سب رجل من نصارى القدس الامام علي بن ابي طالب وبنته فاطمة . فاتى به الى مجلس القضاء بدار النيابة ، وحوكم من لدن نائب السلطان الامير حارقطي وشيخ الاسلام الكمالى ابن ابي شريف والقاضي علاء الدين بن المزوار المالكي . فثبتت التهمة ضده . فحكوا بسفك دمه . وضربوا عنقه بدار النيابة .

٥٨ - وفي سنة ٥٨٨١ - ١٤٧٦ م امر السلطان بالقبض على الافرنج المقيمين بدير صهيون وبیت لحم وفي كنيسة للقيامة . فارسلوا الى مصر . وامروا بالاقامة الجبرية فيها . ذلك لان الافرنج اسروا اربعة من مسلمي الاسكندرية ، واخذوهم الى بلادهم .

٥٩ - وفي السنة نفسها اسس شمس الدين محمد ابن الزمان (الرباط الزماني^(١)) الكائن شمالي الطريق المؤدية الى باب المطهرة وغربي الباب المذكور مقابل العثمانية .

٦٠ - وفي السنة نفسها انتشر الوباء في القدس . واستمر تسعة شهور . ومات من جرائه خلق كثير .

٦١ - وفي سنة ٥٨٨٤ - ١٤٧٩ م توفي امير المؤمنين المستجد بالله ابو المظفر يوسف بن محمد العباسي . فترجع على كرسي الخلافة من بعده التوكل على الله ابو العز عبد العزيز بن يعقوب . ودعي له من على منبر المسجد الاقصى .

٦٢ - وفي السنة نفسها قامت فتنتان :

(١) الانس الجليل ص ٣٨٨ .

٦٧ - كان نائب القدس هذا (اي خضر بك) ظالماً . وكان سفاكاً للدماء . وقد صادر اموال الناس . فساءت سيرته ، وكثر شاكوه . فامر الامير (تغري ورمش) دوا دار المقر الاشرف السيفي بالتحقيق عن اعماله . وجرى التحقيق (٨٩٢ هـ - ١٤٨٦ م) عند المحراب في داخل المسجد الاقصى . ثم بالمدرسة الاشرفية ، والمدرسة العثمانية ، وعلى المسطبة الكائنة عند باب جامع المغاربة . وجاء سكان الحليل باعلامهم وطبوعهم ، ليرفعوا شكاويهم . ودام التحقيق عشرة ايام . فرفع الدوا دار تقريره الى السلطان . فاستحضره الى مصر وضربه . وامره ان يرد لكل انسان ما اخذه منه . ثم اقاله من عمله . وسجنه .

٦٨ - بعد ان اقبل خضر بك من نيابة السلطنة بالقدس ، تولاه الامير دقاق (٨٩٣ هـ - ١٤٨٧ م) . ويقول بحير الدين ان هذا الامير بذل من اجل الحصول على النيابة عشرة آلاف دينار لخزينة السلطان ! هذا عدا عما تكلفه من تعب ، وما بذله من مال لاركان الدولة ! وكان ذلك من اقبح الامور وابشعها .

ظل هذا متربعا فوق كرسي النيابة حتى سنة ٨٩٦ هـ - ١٤٩٠ م . لم يترك خلال نيابته موبقة الا واقترفها . فانه فضلا عن واجباته التي اهملها ، كان ظالماً عسوفاً . فكثرت السرقات في عهده . وكثرت حوادث القتل . واختل الامن^(١) . وازداد

« ان المسلمين ما كانوا يسمحون لاحد ان يشرب الخمر في حضرتهم ؛ لا ولا ان يمر بهم وهو حاملها بيده . وكان حجاج النصارى يقبلون الارض المقدسة عندما يهبطونها . وكانوا يعتقدون ان الله يغفر لهم خطاياهم فور هبوطهم الارض المقدسة .

ولقد استقبل الحجاج النصارى في مرفأ يافا استقبالا بارداً . فوضعوا في غرف قذرة وفي خاب مظلم . وجاء بعض المسلمين الفقراء فباعونا مقداراً من اغصان الشجر ، فرشناها تحتنا ونمنا عليها .

« وجاء عدد من تجار بيت المقدس حاملين ماء الورد ، والبلسم والصابون ، وبعض الحجارة الكريمة ، والحرير المعروف بالموصلين ، فاشترينا منهم ما اشترينا . وفيما كانوا يعرضون علينا بضاعتهم كانوا يحرقون البخور ليتخلصوا من رائحة الخائن الكريمة .»

٦٤ - وفي سنة ٨٩٦ هـ - ١٤٨٦ م حضر الى القدس الامير آقبردي الدوا دار الكبير . ففرش له نائب القدس الامير جانم الشقق الحرير ، ونثر على رأسه الفضة ، واوقد له المسجد الاقصى ، وقدم له عشرين فرساً وبعض البغال ، وعمل له سمطاً عظيماً .

٦٥ - وفي السنة نفسها احتبس المطر . وأجذب الزرع . وقيل القوات . واضطربت الافكار بسبب غلاء الاسعار . حتى قيل ان مد القمح بيع بثلاثين درهماً ، والشعير باثني عشر درهماً . وبسع رطل الخبز باربعة دراهم . وزاد في الطين بلة ظلم النائب .

٦٦ - وفي سنة ٨٩٢ هـ - ١٤٨٦ م هبط القدس الامير جان بلاط وفي رفقته ملك الامراء آقباي نائب غزوة . فاستقبله نائب القدس وفريق من اعيانها بالترحاب . وبعد ان جمع اموال الوقف ، واصلح الخلاف الذي كان سائداً بين نائب القدس السيفي خضر بك وبين شيخ جبل نابلس خليل بن اسماعيل ، رجع الى مقر عمله في مصر .

(١) قبل ان الاختل يؤخذ الى درجة ان امير عربان جرم (ابو العويس) قصد ان يغزو بيت المقدس (٨٩٤ - ١٤٨٨ م) والقوى المجاورة له . فقاومه اهل بيت المقدس مقاومة شديدة . وكان في طبيعتهم شيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة شيخ المدرسة الصلاحية وشيخ الاسلام الكلي . وظلوا يرقون حركاته من شبايك المسجد الاقصى . حتى غادر المدينة ، دون ان يتمكن من الحصول على مأربه .

النكير عليهم . وراح يضربهم . ومن غاب منهم عن منزله ، دخله هو بنفسه وضرب زوجته . او سجنها حتى تدفع ما على بعلمها . ومن كان منهم غير متزوج ، شدد النكير على ابيه او اخيه او اقرب الناس اليه . ومن لم يكن له قريب احضر جاره او جليسه . ودام هذا الظلم شهرا كاملا . حتى قيل ان اكثر الناس باعوا ما يملكون من ثياب ومتاع باجنس الاثمان . فبيع كل مثقال من الذهب الطيب ، بخمسين درهما او اقل . والزيت الذي اشتراه الناس بخمسة عشر دينارا من الذهب ، باعوه بمئتي وخمسين درهما . وقيل ان ثمن الزيت الذي جمعه الحكومة عن هذه الطريق من اهل القدس ، بلغ يومئذ نحو عشرين الف دينار . ولكن المقدسين الذين تعرضوا لهذه الحن ، لم يأسوا . بل ثابروا على رفع شكاوتهم ضد النائب الى المقامات العليا ، حتى نجحوا . واقليل النائب من منصبه .

٧٠ - تأخر المطر في سنة ١٨٩٥ هـ - ١٤٨٩ م حتى خشي الناس ان تعود اعوام الجذب . ولكنه عاد فحطل في نفس السنة . وفي سنة ١٨٩٧ هـ - ١٤٩١ م كانت الامطار غزيرة ، بدرجة ان كنيسة القيامة هدم جانب منها ، ومات تحت الردم اثنان من طائفة الحبش .

٧١ - وفي السنة نفسها انتشر الطاعون في القدس^(١) انتشاراً فظيماً . ومات من جرائه خلق كثير . بدأ الطاعون يفتك في المدينة في ١٠ جمادى الآخرة . واستمر حتى آخر رجب من تلك السنة (١٨٩٧ هـ - ١٤٩١ م) . وكان يموت في كل يوم ثلاثون او أربعون . وفي بعض الاحيان خمسون . واستفحل هذا الوباء في شعبان ، حتى بلغ عدد

عدد قطاع الطرق . واختل نظام المسجد الأقصى . وتجاسر النصارى ، فاحدثوا على عهده قبة في المكان المعروف بالنبي داود .

فرفع الناس شكاوتهم الى السلطان . وارسل هذا الى القدس خاصكيا اسمه (ازبك) بقصد التحقيق . وبعد التحقيق امر الخاصكي بكف يد النائب عن العمل . ورفع تقريراً بما جرى الى السلطان . ولكن التقرير ، على ما يحدثنا مجير الدين ، وقع في يد الدوا دار الكبير ، ولم يصل الى يد السلطان . ويظهر ان الدوا دار كان من انصار النائب . فلم يقر الخاصكي في عمله . لا ، بل لاهه من اجل تقيفه النائب عن عمله ، قبل ان يحصل على امر بذلك من السلطان . فعاد الامير دقماق الى عمله . وراح ينتقم من خصومه اشد الانتقام .

٦٩ - يظهر ان الحكومة كانت تحصل الضرائب المفروضة على جبل نابلس عيناً (زيتاً) . وكانت تفرض على سكان المدن الاخرى شراء الزيت المتجمع من ذلك الجبل بثمن معلوم ، وبكميات تفرضها فرضاً . وكانت الكمية التي فرض على اهل بيت المقدس شراؤها في سنة ١٨٩٦ هـ - ١٤٩٠ م كبيرة (١٥٠٠ قنطار) ، والسعر كان عالياً ، بدرجة ان الاهالي اعتراضوا عليها . فارسل الدوا دار الكبير آقبردى مندوباً من قبله يدعى (السيفي قانصو) . فامر هذا ان يكون سعر القنطار من الزيت خمسة عشر دينارا ذهباً . وقيل يومئذ انه كان للامير دقماق دخل كبير في تعيين هذه الاسعار الباهضة . وان الحل الكبير القي على سكان بيت المقدس بايعاز منه . ذلك لانه كان يكرههم كرها شديداً . ولم تجد اعتراضاتهم نفعاً . بل اصر على توزيع المقادير المفروضة بالاسعار المتقررة . وعندما رأى انهم مترددون ، شدد

(١) الانس الجليل ص ٦٩٠

الامر الذي أغضب الأمير جان بلاط . فراح هذا يثار لكاشف الرملة . ورغم ان عشرة من رجاله قتلوا في هذه المعركة ، الا انه ظل يقاثلهم حق ، سلم من شرهم . رفع الأمير جان بلاط شكواه الى السلطان ، متهماً نائب غزة بما جرى . فارسل السلطان السيفي قانسوه الخاصكي للتحقيق . ورغم انه ثبت للخاصكي ان الحق كان بجانب نائب القدس ، الا ان السلطان امر باقالة الاثنين^(١) .

٧٦ - لم يكن الوضع الدولي افضل من الوضع الداخلي في تلك الايام . فقد حدثنا التاريخ ان صلات المماليك بالحكومات المجاورة كانت ، عند مطلع القرن العاشر للهجرة ، سيئة للغاية . ولا سيما صلتهم مع الاتراك العثمانيين . فقد بدأ الخلاف بين الدولتين في سنة ٨٨٩ هـ - ١٤٨٤ م . فراحت كل واحدة منها تحشد جيشها على حدودها ، لقتال جارتها : هنا السلطان الملك الأشرف قايتباي ، وهناك السلطان بايزيد خان . وكانت المقدم على عسكر السلطان قايتباي ، امير السلاح الامير توراز . وقد انضم اليه الامير جانم .

لم تجراية مناوشة بين الفريقين ؛ لا في تلك السنة ، ولا في السنين الاربع التي تلتها . حتى اذا ما حلت سنة ٨٩٣ هـ - ١٤٨٧ م ، ورأى السلطان قايتباي ان الاحوال توترت ، اعتزم الدخول في حرب مع الاتراك فبعث الرسل ، وبذل الاموال الوفيرة^(٢) لاقتناع الناس . ولكن . اذ لم يتطوع من سكان البلاد سوى عدد ضئيل . حتى انه قرر ان يسترجع من الناس ما انفق في هذا السبيل . واستعمل من اجل ذلك منتهى الشدة والصرامة .

الموتى في اليوم الواحد المئة . وقيل انه وصل في احد الايام الى المئة والثلاثين . وكان بين ضحاياه نائب السلطان خضر بك السيفي وزوجته وابنته . ماتوا كلهم في تسعة ايام . وعندما اختفى الوباء بعد اربعة شهور وعشرة ايام ، كان عدد كبير من سكان القدس قد لاقوا حتفهم .

٧٢ - وفي سنة ٨٩٨ هـ - ١٤٩٢ م هطل الثلج بغزارة . وكذلك قل عن السنة التي تلتها ٨٩٩ هـ - ١٤٩٣ م فقد دام تهطل الثلج على ربي القدس عشرة ايام . وقال الكهول انهم لم يروا مثله منذ سبعين سنة .

٧٣ - في سنة ٨٩٩ هـ - ١٤٩٣ م نشب خلاف بين الأمير جان بلاط نائب القدس وملك الأمراء المقر السيفي آقباي كافل المملكة الغزية حول قرية القباب . اذ ادعى كل منهما انها من اعماله . ولما لم يصل الى اتفاق ما في صدها ؛ باغتها الأمير جان بلاط ، واخذ ما فيها من اموال الفلاحين .

٧٤ - وفي السنة نفسها نشب خلاف مثل هذا بين الأمير جان بلاط نفسه وبين الأمير قاني بك نائب غزة ، بسبب مقتل نائب القدس السابق جانم بك دوادار في قرية بيت لقياء . وقد اتهم بقتله جماعة من المنتسبين الى نائب غزة ، ولحقن نار الخلاف خبت مؤقتاً ، بفضل الأوامر التي اصدرها السلطان .

٧٥ - ولكن هذه النار عادت فاشتعلت في السنة التي تلتها (٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ م) بسبب اعتداء جماعة من العرب على كاشف الرملة الجمالي يوسف ، بينما كان هذا في ركاب الأمير جان بلاط ، وكانت الرملة من اعماله . وقد حصره المعتدون في قرية خلدا ، فاخذوا خيله ، وقتلوا بعض رجاله ؛

(١) الانس الجليل ص ٦٩٦

(٢) قيل ان ما انفق في تلك السنة في سبيل الدعاية وجمع المتطوعين من جبل القدس والخليل بلغ ٥٠٠٠ دينار .

في افتتاح مصر (١٤٢٢ هـ - ١٥١٦ م) . فسار اليها . وفي معركة برج دابق قرب حلب تغلب على المماليك . وقتل سلطانهم قنسوة الغوري .

٧٨ - عندما وصلت هذه الأنباء الى مصر بايع المماليك الامير طومان باي بالملك ، ولقبوه بالملك الاشرف . وحاول هذا ان ينقذ البلاد من الاتراك العثمانيين ، الا انه فشل . فاحتلها هؤلاء بقيادة السلطان سليم الاول (١٥١٧ - ١٥٢٣ م) .

٧٩ - شق السلطان سليم ، عند دخوله مصر ، طومان باي . وبموتيه ، انتهت دولة المماليك الشراكسة او البرجية . وجلت مكانها دولة الاتراك العثمانيين .

٨٠ - الآن ، وقد انتهينا من ذكر اخبار المماليك ووقائعهم ، نرى لزاما علينا ان نصف عهدهم باختصار . فنتول :

انه لعهد طافح بالمتناقضات : فيه عز ، وفيه ذل . فيه ارتفاع ، وفيه سقوط . فيه عظمة ومجد ، وفيه قلاقل وفتن ، يندى لها جبين الدهر . وكما انه ظهر بينهم ملوك عظام مثل الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون وابنه الملك الناصر محمد والملك الظاهر برقوق والملك الاشرف برسباي وقايتباي ؛ فقد ظهر بينهم ايضا ملوك صغار بعقولهم واعمارهم . فما كان يعتلي منصة الحكم ملك منهم ، الا ويقوم بجانبه امير من امرائه او رجس من اتباعه ؛ فيحيك المؤمرات لخلعه ، ويظل يحفر له حتى يوقعه في الشرك ، ويخلفه في الحكم . وكان اكثر هؤلاء الملوك والامراء يعيشون في قصورهم عيشة البذخ والترف . وهذا النوع من العيش يحتاج الى انفاق . والانفاق يخرج من ورائه الضرائب . اصف الى ذلك الحروب الكثيرة التي ثار عجاجها سواء بين المماليك انفسهم ، او بينهم وبين خصومهم من الاغيار .

وفي سنة ٨٩٥ هـ - ١٤٨٩ م . اشتدت الازمة بين البلدين ، حتى اضطر السلطان قايتباي ان يصدر امره لقادة جيشه ان يكونوا على اهبة الهجوم . ولكن الامور هدأت والمياه عادت الى مجاريها في سنة ٨٩٦ هـ - ١٤٩٠ م . واصطلح الفريقان .

٧٧ - عاش قايتباي بعد مصالحة الدولة العثمانية خمس سنوات . ولما توفي (٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م) سادت الفوضى . ودامت خمسة اعوام بالتام . فلا يكاد يعتلي العرش ملك ، حتى يثور ضده مماليكه واعوانه ، فيخلعوناه او يقتلوناه . هذا كان مصير الملك الناصر محمد بن قايتباي الذي لقب باي السعادة (٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م) والملك الاشرف قنسوة^(١) خمسة (٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م) . والملك الظاهر قنسوة الثاني الملقب بابي سعيد^(٢) (٩٠٤ هـ - ١٤٩٨ م) . والملك الاشرف قنسوة الثالث الملقب بجنبلط^(٣) (٩٠٥ هـ - ١٤٩٩ م) . والملك العادل سيف الدين طومان باي^(٤) (٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م) . والملك الاشرف قنسوة الغوري (قنسوة الرابع) الملقب بالغوري (٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م) . ان هذا الملك وان دامت سلطنته ١٥ عاما او يزيد ، الا انه اقترب خطأ بان رحب بـ (قورقود) اخي السلطان سليم بن بايزيد الذي اختلف مع اخيه من اجل الملك ، ففر منه والتجأ الى مصر . ولم يكتف قنسوة الغوري بالترحيب بـ (قورقود) ، بل جهزه بعشرين بارجة بحرية ، لافتتاح القسطنطينية . الامر الذي اغضب السلطان سليم ، وجعله يفكر

(١) سمي كذلك لانه اتبع بالاصل بخمسة دينار وذبحه المماليك (تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ص ٣٥٩) . وورد هذا الاسم في بعض الكتب هكذا : (قانسو) و (قانسوة) و (قنس)

(٢) اقبل من قبل المماليك .

(٣) خلع بعد سبعة شهور .

(٤) مات قتلا بيد المماليك .

٨١ - ولكن من الانصاف ايضاً ان نقول ان عهدهم ، وهو الذي يشمل العصور الثلاثة التي اعقبت عصر صلاح الدين (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) امتاز بالعمران وبحركة بناء واسعة النطاق . وان نصيب القدس من هذا العمران كان عظيماً . وتدل المدارس الكثيرة التي انشئت في القدس ، خلال العصور المتقدم ذكرها ، على ان القدس كانت ، على عهدهم ، مزدهرة وانها كانت مركزاً لثقافة اسلامية واسعة النطاق ، وان رواد العلم والحكمة كانوا يفسدون اليها من جميع الانحاء . لا من اجل التعبد في مساجدها وزياره اماكنها المقدسة فحسب ، بل ومن اجل انتجاع موارد العلم في مدارسها ودور التعليم فيها . فكم من اهل البر والاحسان وليس الملوك والوزراء ونواب السلطان وحدهم ، تبرعوا لمساجد القدس ومدارسها ورباطاتها ومعاهدها بالمبالغ الوفيرة من اموالهم ، وربطوا اراضيهم واملاكهم وفقاً ينفق من ريعه على ادارتها . واليهم يرجع الفضل في انقاذ هذا القسم في الشرق من موجة المغول . تلك الموجة التي قضت على الخلافة العباسية في بغداد .

٨٢ - ولا يضر المماليك البحريين كون بعض الابنية التي بنوها في القدس خلال المدة الواقعة بين ١٢٥٠ و ١٣٩٠ بنيت ، على رأي بعض مؤرخي الفرنجة من حجارة هي في الاصل من بقايا الاماكن والابنية التي انشئت في العهد الصليبي ، مثل القبر الكائن في مقبرة ماملا والمعروف بـ (القبة) والمسندة الكائنة في الزاوية الشمالية الغربية من ساحة الحرم ، وبعض المدارس الكائنة في شمال الحرم وغربه . اذ ان اكثر الامم التي اقامت المنشآت المختلفة فوق هذه الكرة الارضية استعانت بالحجارة الباقية من طلول الامم التي سبقتها . تلك

سنة الله في خلقه ، ولن تجسد لسنة الله تبديلاً .
٨٣ - كثرت ، على عهدهم ، حركة القوافل بين مصر والشام . واستعملوا الحمام الزاجل في مخابراتهم . وكانت للحمام ابراج كالحطاط تنقل الرسائل بين الواحدة والاخرى بواسطتها . من مصر الى غزة ، ومنها الى القدس والخليل ونابلس وهلم جرا . وانتعشت التجارة . وكانت المعاملة التجارية على عهدهم بالذهب والفضة^(١) ، كل درهم اربعة وستون فلساً ، وكل اربعة فلوس منها يعبر عنها بجملة . واما رطلها فستائة درهم . وأواقيها اثنتا عشرة اوقية ، كل اوقية خمسة وخمسون درهماً . واما كيلها فبالغرامة ، وهي اثنا عشر كيلاً ، كل كيل ستة امداد ، وكل غرامة ومد ونصف ثلاثة ارادب بالكيل المصري . وقياس قماشها فبذراع . وهو قراطان . وقياس ارضها فبذراع العمل .

٨٤ - هذا من حيث التجارة . واما من الناحية الثقافية فان القدس قطعت ، على عهدهم اشواطاً واسعة في سبيل العلم . وانشئت مدارس كثيرة^(٢) . وقال المعلمون والمتعلمون الخطوة الكبرى في قصور السلاطين . ولقد حارب المماليك اللغة اليونانية^(٣) حرباً لا هوادة فيها . واضطهدوا كل من يتكلم بها ان كان من ابناء البلاد ، او غيرها .

٨٥ - اما الامن فقد كان يختل تارة ويستتب اخرى . واختلال الامن واستتبابه كانا مرتبطين بمبلغ الحزم الذي يظهره السلطان ورجاله ، وبنار الفتنة الداخلية التي كانت تخبوت تارة وتشتعل اخرى .

(١) صبح الاعشى ج ٤ ص ١٠٩

(٢) انظر الى الفصل الذي خصصناه لمدارس القدس في الارون الوسطى .

(٣) (تاريخ كنيسة اورشليم) تأليف خريستوس ستومس ص ٤٤٦

المدينة ، بسبب تغير الطقس المستمر . اذ ان الرياح كلها على اختلاف انواعها ، تهب على هذه المدينة .
٨٧ - واود ان اجعل كلمة الختام في هذا الفصل (ادارة القدس) على عهد المماليك . فقد كان حكمهم في البلاد بوجه عام مبنياً على اساس نظام الاقطاع .

فكانت ممتلكاتهم الاسيوية مقسمة الى ممالك صغيرة ، منها : (المملكة الشامية) وكانت فلسطين تعتبر جزءاً من هذه المملكة . وكانت القدس عبارة عن ولاية صغيرة . وكان واليها يخبر الشام .

وكان الامير الذي يدير الشام باسم السلطان يلقب بـ (كافل المملكة الشريفة الشامية) . ويطلق عليه ايضاً لقب ملك الامراء . وكانت الاوامر والمراسيم التي ترد من الشام تعنون على النمط التالي :

« من الامير السيفي مولانا ملك الامراء كافل المملكة الشريفة السامية الى المقر الكريم العالي المولوي المسالكي المحذومي الزيني نائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف » .

وفي سنة ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥ م رفعها الملك الاشرف شعبان بن حسين الى (نيابة) فصار يديرها نائب عن السلطان . وكان هذا يلقب بـ (نائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف) .

ونياتها امرة طبلخانة اي ان نائبها كان مستقلاً في شؤنه . يعين بمرسوم سلطاني . وله الحق في مخابرة السلطان رأساً .

وكان نائب السلطان بالقدس يتولى ادارة الشؤون الدينية ، ويلقب بـ (ناظر الحرمين) حرم القدس وحرم الخليل . ثم فصلت هاتان المهمتان عن بعضها البعض على عهد الملك الناصر فرج بن برقوق

ولقد حدثنا التاريخ : « ان البدو^(١) كانوا في يوم من الايام خطراً على سلامة الحجاج ، وان المماليك قدروا على درء هذا الخطر ببنائهم القلاع والحصون على طول طريق الحج . ولما ضعفت دولة المماليك في اواخر حكمهم فلت البدو . فاغاروا على المدن ، ومنها القدس (بين عامي ١٥٠٢ و ١٥٠٥ م) .

٨٦ - ويظهر ان السائح المشهور فيلكس فابري هبط القدس بعد تلك الغارات بقليل . إذ قال عنها^(٢) : « ان بيوتها مبنية بالحجارة . هذا باستثناء مساكن الفقراء التي هي من الطين . وقد رأيت فيها بيوتاً جميلة وكبيرة . لكن جزءاً كبيراً من المدينة متهدم مهجور ، بحيث ان جثث الحيوانات التي تنفق تبقى داخل المدينة بدل ان تطرح خارج اسوارها ... وفي المدينة نحو خمسمية يهودي ، ونحو الف نصراني من كل مذهب وقطر . واقلهم من اتباع الكنيسة اللاتينية . ورغم انها تهدمت ، فانه لا يزال فيها اربع اسواق جميلة طويلة مما لم ار له من قبل شبيها . كلها مسقوفة بالقباب . وتحوي جميع انواع المتاجر . وهذه الاسواق الاربعة هي :

- (١) سوق التجار . (٢) سوق العطارين .
- (٣) سوق الخضار . (٤) سوق الاطعمة المطبوخة والخبز .

وكانت موجة من القحط تجتاح البلاد يوم هبطت القدس . فكانت حصة الشخص الواحد من الخبز لا تتجاوز بضعة دراهم للوجبة الواحدة » .

الى ان قال فابري : « . . . واني لاحمد الله لانه من علي بالصحة ، ولم يجعلني فريسة الامراض الكثيرة التي يصاب بها اكثر الاغراب الذين يفدون الى هذه

(١) (تاريخ شرق الاردن وقبائلها) لبيك باشا . ص ١٩٠

(٢) (رواد الشرق العربي) لنقولا زيادة ص ١٩٨

وكان في القدس ايضاً امير حاجب^(١) ترفع اليه الامور المتعلقة بآرباب الجرائم .

ويظهر ان المماليك كانوا يرسلون من وقت الى آخر مفتشين يبحثون عن اعمال النواب ، وينظرون في الشكاوى التي يرفعها الشعب الى السلطان . وكانوا يسمون الواحد من هؤلاء المفتشين (دوادر) كبير . وكبير المفتشين كان يسمى (الدوادر الكبير) وهو بمثابة أمين السر العام .

وكان لكل نائب في مقر عمله ايضاً (دوادر) وهو بمثابة أمين السر الخاص .

ولقد حدثنا بحير الدين في كتابه (الانس الجليل) انه عندما يرد امر السلطان ، او يحدث حادث في القدس ، كان ينعقد فيها مجلس^(٢) . وكان هذا المجلس في اغلب الاحيان يؤلف من نائب السلطان وناظر الحرمين وشيخ الصلاحية وقاضي القضاة والقضاة الاربعة الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي . وفي بعض الاحيان كان ينضم الى هؤلاء عدد من العلماء والفقهاء .

وكانت اكثر المجالس تعقد في الحرم على المساطب الكائنة في ساحة الحرم ، وتحت الاشجار او في دار النيابة وفي المدرسة التنكيزية . وكان يسمح للشعب ولمن شاء من الجماهير بحضور هذه الاجتماعات . حتى والاشترك في المناقشة .

٨٨ - واليك اسماء من عثرنا على اسمائهم من النواب والحكام الذين تولوا ادارة الشؤون في بيت المقدس على عهد المماليك . منقولة عن الانس الجليل ، والسلوك في معرفة دول الملوك ، والنجوم الزاهرة وغيرها من الكتب الاسلامية .

(٥٨١٥ - ١٤١٢م) . واصبحت السلطة الدينية منفصلة عن السلطة المدنية . اما السلطة الدينية فقد كانت كما يلي^(١) :

يعين السلطان شيخاً للصلاحية . وكان هذا يلقب ثارة قاض القضاة ، وطوراً شيخ الاسلام . وكما يعمل تحت امرته اربعة قضاة . واحد للشافعية ، وثان للحنفية ، وثالث للمالكية ورابع للحنبلية . وكثيراً ما كان يعهد الى قاضي الشافعية بتولي هذا المنصب الكبير . كما كان قاض القضاة يقوم بمهام النائب في اغلب الاحيان ، اي انه كان يقوم بادارة الشؤون المدنية بالاضافة الى الشؤون الدينية .

وكان لنائب السلطان مساعد يساعد في تمشية الامور . وكان هذا المساعد يسمى (متمسلاً^(٢)) .

وكان في القدس من الوظائف غير النيابة (ولاية قلعة^(٣) القدس) وواليها من الجند . وكان هذا مستقلاً عن النائب وعن المتسلم . اذ انهم كانوا يفضلون آرباب السيف على آرباب القلم .

وفيها ايضاً (ولاية المدينة) . وكانت توليتها اولاً من جهة نائب السلطنة بدمشق ، ثم صارت ولاية والي القلعة ووالي البلد الى نائب القدس . وكذلك ولاية بلد الخليل : وبها نائب عن محتسب دمشق . وكذلك جميع الوظائف بها نيابات عن آرباب الوظائف بدمشق . ظلت تولية النيابة والنظر تأتي من نواب الشام حتى حوالي سنة ٨٠٠ ثم صارت التولية تأتي من الديار المصرية . وظل الامر كذلك حتى مجيء الدولة العثمانية .

(١) الانس الجليل ص ٦٣١

(٢) هذا ما جاء في الانس الجليل . ويظهر ان هذا اللقب ظل يطلق على مساعد النائب حتى الحكم التركي . ثم استبدله الاتراك بلقب (متصرف) . وعهدوا اليه بالمهام الادارية . وابقوا المسائل الشرعية بيد النائب .

(٣) صبح الاعشى ج ٤ ص ١٩٩ .

(١) مثل قائد الشرطة او قومندان البوليس في يومنا هذا .

(٢) كمجلس الادارة في العهد التركي .

ملوك الممالك واسماء النواب والحكام

الذين تولوا ادارة الشؤون على عهدهم في بيت المقدس

العدد المتسلسل الملوك	أسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		أسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
١	شجرة الدر	١٤٨	١٢٥٠	سيف الدين كبك	٦٥٥	١٢٥٧	
٢	الملك المعز ايبك	٦٤٨	١٢٥٠				
٣	الملك المنصور علي بن ايبك	٦٥٥	١٢٥٧				
٤	الملك المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧	١٢٥٩	الأمير جمال الدين محمد بن بهادر	٦٦١	١٢٦٢	
٥	الملك الظاهر بيبرس	٦٥٨	١٢٦٠				
				الأمير علاء الدين آيدغدي الركبي	٦٦٦	١٢٦٧	
				موسى بن غانم الأنصاري	٦٦٩	١٢٧٠	
٦	الملك السعيد محمد ناصر الدين	٦٧٦	١٢٧٧	الأمير عماد الدين ابن أبي القاسم	٦٨١	١٢٨٢	
٧	الملك العادل بكر الدين سلامش	٦٧٨	١٢٧٩				
٨	الملك المنصور سيف الدين قلاون	٦٧٨	١٢٧٩	الأمير نجم الدين السونجي	٦٨٢	١٢٨٣	
				الأمير كراي المنصوري	٦٨٩	١٢٩٠	
٩	الملك الأشرف صلاح الدين خليل	٦٨٩	١٢٩٠	الأمير علاء الدين آيدغدي ابن عبد الله الصالح النجمي	٦٩٣	١٢٩٣	
١٠	الملك القاهر بيدرا	٦٩٣	١٢٩٣				
١١	الملك الناصر محمد بن قلاون (الأولى)	٦٩٣	١٢٩٣				

امر بتبليط فناء الصخرة .
ودفن عند باب الناظر .

العدد التسلسل الملك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
١٢	الملك العادل زين الدين كتبغا	٦٩٤	١٢٩٤	الملك الاوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر المعظم عيسى داود بن الملك	٦٩٤	٢٩٤	ولي نظارة الحرمين في القدس والخليل . توفي بالقدس ٦٩٨ هـ ودفن برباطه المعروف بالمدرسة الاوحدية بباب حطة .
١٣	الملك المتصور حسام الدين لاجين	٦٩٦	١٢٩٦	القاضي شرف الدين عبدالرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي	٦٩٧	١٢٩٧	
١٤	الملك الناصر محمد بن قلاون (ثانية)	٦٩٨	١٢٩٩				
١٥	الملك المظفر بيبرس الجاشنكير	٧٠٨	١٣٠٨				
١٦	الملك الناصر محمد بن قلاون (ثالثة)	٧٠٩	١٣٠٩	الامير ركن الدين منكورس الجاشنكير	٧١٧	١٣١٧	فتح شباكين بالحائط القبلي في المسجد الاقصى . دفن باملا .
				الامير ناصر الدين	٧٢٩	١٣٢٨	ولي نظر القدس والخليل وكان يلقب بـ (مشد الاوقاف) .
	اولاد الناصر :	٧٤١	١٣٤١				

العدد المتناسل الفاوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
١٧	الملك المنصور سيف الدين ابو بكر			الامير علم الدين سنجر ابن عبد الله الجاولي الملقب بابي سعيد	٧٤٥	١٣٤٤	ولي النيابة ونظارة الحرمين بالقدس والخليل . وانشأ في القدس المدرسة المعروفة بالجاولية .
١٨	الملك الاشرف علاء الدين كجك						
١٩	الملك الناصر شهاب الدين احمد						
٢٠	الملك الصالح عماد الدين اسماعيل						
٢١	الملك الكامل زين الدين شعبان						
٢٢	الملك المظفر زين الدين حاجي						
٢٣	الملك الناصر ناصر الدين حسن						
٢٤	الملك الصالح صلاح الدين صالح			الامير محمد ابو القاسم ابن عثمان بن ابي القاسم ابن محمد بن عثمان ابن محمد التميمي البطروي	٧٦٠	١٣٥٨	ولي نابلس ونظارة الحرمين بالقدس والخليل توفي بالقدس ٧٥٩ هـ ودفن باملا .

العدد التسلسل الملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
٢٥	الملك المنصور محمد بن حاجي	٧٦٢	١٣٦٠	الامير قطلوبغا	٧٦٩	١٣٦٧	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل وهو الذي بنى مشدنة باب الاسباط
٢٦	الملك الاشرف شعبان ابن حسن	٧٦٤	١٣٦٢		٧٧٧	١٣٧٥	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل
٢٧	الملك المنصور علي بن شعبان	٧٧٨	١٣٧٦	الامير بدر الدين حسن ابن عماد الدين العسكري	٧٨٢	١٣٨٠	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل
٢٨	الملك الصالح زين الدين حاجي بن شعبان	٧٨٣	١٣٨١	الامير ناصر الدين محمد بن بهادر الفخر ابن الظاهر	٧٨٩	١٣٨٧	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل
٢٩	الملك الظاهر برقوق	٧٨٤	١٣٨٢				

العدد المتسلسل الفلوك	أسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		أسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
٣٠	الملك الناصر فرج بن برقوق	٨٠١	١٣٩٨	الامير اصفهان بلاط	٨٠٤	١٤٠١	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل.
				الامير زين الدين عمر بن علم الدين سليمان	٨٠٦	١٤٠٣	ولي النيابة والنظر بالقدس والخليل . ومات قتيلا .
				الامير شهاب الدين احمد اليعموري	٧٩٦	١٣٩٣	كذا . هو الذي أبطل المكوس والمظالم والرسوم التي أحدثها النواب من قبله .
				الامير جان تيمور الركني الظاهري	٧٩٦	١٣٩٣	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل .
				الامير بلوى الظاهري	٧٩٥	١٣٩٢	كذا . هو الذي أنشأ المسطبة المقابلة للباب الشمالي الغربي بباب الحرم .
				الامير شرف الدين موسى بن بدر الدين حسن	٧٩٣	١٣٩٠	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل .
				القاضي شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الخطيب زين الدين ابو محمد بن عبد الرحمن التدمري	٧٨٩	١٣٨٧	كان نائب السلطنة بالقدس وقاضيا بالخليل .

العدد المتسلسل للسلاطين	اسماء السلاطين	تاريخ حكم السلاطين		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
٣١	الملك المنصور عبدالعزیز ابن برقوق	٨٠٨	١٤٠٥				
٣٢	الملك الناصر فرج بن برقوق (ثانية)	٨٠٩	١٤٠٦	الامير علاء الدين علي ابن ناصر الدين محمد الكركي	٨٠٩	١٤٠٦	ولي نيابة القدس . توفي بدمشق ثم نقل الي القدس بعد مدة . ودفن بمرسته بالصف الشمالى من المسجد .
٣٣	الملك المعادل الامام المستعين بالله	٨١٥	١٤١٢				
٣٤	الملك المؤيد الشيخ المحمودي	٨١٥	١٤١٢	الامير شاهين المؤيدي	٨١٦	١٤١٣	ولي النيابة والنظر في القدس والخليل .
٣٥	الملك المظفر شهاب الدين احمد بن المحمودي	٨٢٤	١٤٢١				
٣٦	الملك الظاهر سيف الدين ططر	٨٢٤	١٤٢١				
٣٧	الملك الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	٨٢٤	١٤٢١				
٣٨	الملك الاشرف برسباي	٨٢٥	١٤٢٢	الامير ناصر الدين محمد ابن العطار	٨٢٨	١٤٢٤	ناظر الحرمين الشريفين ونائبها . توفي بالقدس ودفن بماملأ .
				الامير شاهين الذبايح	٨٣٠	١٤٢٦	نائب الملك بالقدس . انه هو الذي اتخذ الجاولية داراً للنيابة . لقب بالذبايح لذبحه عدداً كبيراً من العربان بدار النيابة .

العدد المتسلسل للملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
				الامير سودون المغربي	٨٣١	١٤٢٧	
				الامير شاهين الشجاعبي	٨٣٢	١٤٢٨	
				الامير شرف الدين يحيى بن شلوه الغزي	٨٣٣	١٤٢٩	ناظر الحرمين ونائب السلطان بالقدس .
				الامير سيف الدين ار كاس ابن عبدالله الجلباني	٨٣٦	١٤٣٢	ناظر الحرمين ونائب السلطان . كان فظا غليظ القول . لم يشتهر بعلم ولا دين (المنهل الصافي ج ١ ص ١٦٥) . عزل وتوفي ودفن بماملأ (٨٣٨ هـ - ١٤٣٤ م) .
				الامير حسن قنجا	٨٣٨	١٤٣٤	خلف ار كاس . وكان ناظر الحرمين ونائب السلطان هو الذي بنى المدرسة الحسنية . بالقرب من باب الناظر . واولقها . توفي ودفن بماملأ (٨٤٣ هـ - ١٤٣٩ م)
				الامير حسام الدين (ابو محمد) الحسن بن ناصر الدين محمد بن جمال الدين عبدالله المشهور بالكشكلي	٨٣٩	١٤٣٥	ناظر الحرمين ونائب السلطان بالقدس والخليل وكاشف الرملة ونابلس ، ومتولي السلط وعجلون . خدم في زمن الملك الاشرف برسباي وفي من الملك الظاهر جقمق ، ثم عزل وتوفي بغزة .
				الامير طوغان العثماني	٨٤٠	١٤٣٦	

العدد المتسلسل للموك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
٣٩	الملك العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي	٨٤١	١٤٣٧				
٤٠	الملك الظاهر جقمق	٨٤٢	١٤٣٨	القاضي غرس الدين خليل بن احمد بن محمد ابن عبدالله السخاوي الامير خوشقدم	٨٤٣	١٤٤٠	كان قبلا مستشارا للملك جقمق . ثم ولاه نظارة الحرمين ونيابة القدس . نائب السلطنة بالقدس . ثار عليه المقدسيون لظلمه ودفن بباب الرحمة .
				الامير تراز المصارع	٨٥٠	١٤٤٦	نائب القدس .
				الامير مبارك شاه	٨٥٠	١٤٤٦	نائب القدس .
				القاضي شمس الدين محمد ابن الصلاح محمد الحموي	٨٥٢	١٤٤٨	تولى نظر القدس والخليل . توفي بالقدس ودفن بالمدرسة الاعظمية . وعلى عهده وهب الملك جقمق اوقاف الحرم ٢٥٠٠ دينارا و ١٢٠ قنطارا من الصفائح .
				القاضي شهاب الدين احمد بن محاسن	٨٥٣	١٤٤٩	يلقب بالنابلسي . اقبل واستوطن مكة . وتوفي بها .
				الأمير فارس العثماني	٨٥٦	١٤٥٢	نائب السلطنة بالقدس .
				الأمير استبغا الكلفكي	٨٥٧	١٤٥٣	ولي نظر الحرمين ونيابة السلطنة بالقدس والخليل اقبل بعد أربعين يوما .

العدد المتسلسل الملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
				الأمير حسن بن أيوب	٨٥٧	١٤٥٣	تولى نيابة القدس . واقيل مراراً . توفي بالقدس . ودفن فيها .
				الأمير عز الدين عبد العزیز بن العملاق العراقي	٨٥٧	١٤٥٣	
٤١	الملك المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق	٨٥٧	١٤٥٣				
٤٢	الملك الأشرف أبو النصر إينال	٨٥٧	١٤٥٣	الأمير قانصوه	٨٦٠	١٤٥٥	ولي نيابة القدس عوضاً عن الأمير حسن بن أيوب . ولكنه اقبل بسرعة . واعيد ابن أيوب .
				الأمير الياس البجاسي	٨٦٣	١٤٥٩	ولي نيابة القدس عوضاً عن الأمير حسن بن أيوب
				الأمير شاه بكر منصور ابن شهري	٨٦٣	١٤٥٩	ولي نيابة القدس . ثم اقيل . واعيد حسن بن أيوب
٤٣	الملك المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال	٨٦٥	١٤٦٠				
٤٤	الملك الظاهر سيف الدين نغوشقدم	٨٦٥	١٤٦٠	الأمير أبو بكر (میزه)	٨٦٧	١٤٦٢	ولي نيابة القدس . استمر في النيابة سنة ثم عزل
				الأمير تغري بردی (أبو القرون)	٨٦٨	١٤٦٣	ولي نيابة القدس سنة ثم عزل . وتولى مكانه الأمير حسن بن أيوب

العدد المتسلسل للسلاطين	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
٤٥	الملك الاشرف قايت باي	٨٧٢	١٤٦٧	الأمير ناصر الدين محمد ابن الهمام	٨٦٩	١٤٦٤	من أعيان بيت المقدس . تولى نظارة الحرمين . وفي سنة ٨٦٩ عزل . ثم توفي ودفن بمملا .
				الأمير حسن بن ططر الظاهري (دويسد ارتمر)	٨٦٩	١٤٦٤	خلف الامير ناصر الدين
				الامير دمر داش العثماني	٨٧٢	١٤٦٧	نائب السلطان بالقدس
				الامير يوسف الجمالي (المشهور بابن فطيس)	٨٧٤	١٤٧٠	خلف الامير دمر داش
				الامير يشبك الظاهري	٨٧٥	١٤٧٠	عهداليه بادارة المملكة الشامية من العريش الى الفرات ودون رحلته في مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٩٢
				الامير دقمان الاينالي	٨٧٧	١٤٧٢	خلف الامير يشبك . استمر في النيابة ١٠٤ ايام . ثم توفي ودفن بالقلندرية بمملا .
				الامير جقمق	٨٧٧	١٤٧٢	كان نائباً في دمياط ، فنقل الى القدس
				الامير جارقطي الظاهري	٨٧٩	١٤٧٤	خلف الامير جقمق
				الامير ناصر الدين محمد ابن ايوب	٨٨٢	١٤٧٧	

العدد المتسلسل للسلاطين	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
				الامير سنطباي النحاسي	٨٨٤	١٤٧٩	اقل بعدئذ، واعيد محمد ابن ايوب .
				الامير شهاب الدين احمد ابن مبارك	٨٨٥	١٤٨٠	
				الامير جانم الاشرفي	٨٨٨	١٤٨٣	
				الامير خضر بك السيفي	٨٩١	١٤٨٦	
				الامير جمال الدين بن ربيع	٨٩٢	١٤٨٦	توفي بالقدس ، ودفن باملا . فاعيد خضر بك ثانية .
				الامير دقماق	٨٩٣	١٤٨٧	ثم عزل . فاستقر الامير خضر بك في النيابة للمرة الثالثة .
				الامير جان بلاط	٨٩٧	١٤٩١	نائب السلطنة بالقدس والرملة . وناظر الحرمين . تولى النيابة بعد اخيه الامير خضر بك الذي توفي ودفن باملا .
٤٦	الملك الناصر محمد بن قايت باي	٩٠١	١٤٩٥				
٤٧	الملك الاشرف قنسو خسمة	٩٠١	١٤٩٥				
٤٨	الملك الناصر محمد بن قايت باي	٩٠٢	١٤٩٦				

العدد التسلسل للملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
٤٩	الملك الظاهر قنسو ابي سعيد	٩٠٤	١٤٩٨				
٥٠	الملك الاشرف قنسو جانبلاط	٩٠٥	١٤٩٩				
٥١	الملك العادل سيف الدين طومان باي	٩٠٦	١٥٠٠				
٥٢	الملك الاشرف قنسو الغوري	٩٠٦	١٥٠٠				
٥٣	الملك الاشرف طومان باي (الثاني)	٩٢٢	١٥١٦				

٩٨ - واليك اسماء القضاة الذين تولوا القضاء في بيت المقدس على عهد المماليك^(١) :

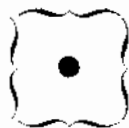
السنة	القاضي		ملاحظة
	هجري	مذهبه	
٦٥٠	١٢٥٢	نجم الدين بن قاضي القضاة شمس الدين ابو الفنايم	قاضي القضاة .
٦٦٥	١٢٦٦	احمد بن احمد جعفر النابلسي	شافعي
٦٦٦	١٢٦٧	علي بن القاضي سديد الدين	شافعي
٦٧٠	١٢٧١	صفي الدين بن محمد بن عبد الله القيسي	شافعي
٦٧٨	١٢٧٩	موسى بن جبريل	شافعي
٦٨١	١٢٨٢	تاج الدين ابو محمد بن ابي حامد الجعبري	شافعي
٦٨٣	١٢٨٤	احمد بن عبد المحسن	شافعي
٦٨٧	١٢٨٨	بدر الدين بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعه	شافعي
		ولد بحجة ٦٣٩ هـ وكان اماماً .	

(١) نقلت اسماء هؤلاء القضاة عن مخطوط لقيم المكتبة الاثرية في متحف القدس ، السيد اسطفان حنا اسطفان . ونقلها هو عن الشذرات ، والانس الجليل ، والضوء اللامع ، ووفيات الاعيان ، وفوات الوفيات ، والشقائق النعمانية ، والرحلة القدسية والحصى والمرادي ، وبعض المستندات والتراجم لبعض الاسر المقدسية . وقد يكون هناك قضاة آخرون لم نذكرهم . لاننا لم نشر على اسمائهم .

ملاحظة	القاضي		السنة	
	مذهبه	اسمه	ميلادية	هجريه
	شافعي	عبد المنعم الخزازي الانصاري	١٢٩١	٦٩٠
	شافعي	محمد بن محمد النابلسي	١٢٩٤	٦٩٤
	شافعي	منيف بن سليمان بن كامل السلمي	١٢٩٨	٦٩٨
	شافعي	شمس الدين بن القاضي جلال الدين	١٣١٤	٧١٤
	شافعي	احمد الانصاري	١٣٢٥	٧٢٦
	شافعي	محمد بن ابراهيم الكنتاني الحموي	١٣٣٢	٧٣٣
	شافعي	عمر عماد الدين القرشي الجوهري	١٣٣٣	٧٣٤
	شافعي	علاء الدين بن الوحيد	١٣٤٠	٧٤١
		عبدالله بن امير بس	١٣٤٢	٧٤٣
		علي بن احمد المعيد الاموي	١٣٦٧	٧٦٩
		علي بن كمال الدين الاموي	١٣٧٦	٧٧٨
		برهان الدين ابراهيم بن الحكري	١٣٧٨	٧٨٠
		عبد الرحمن بن القاضي محمد الزرعي	١٣٨٠	٧٨٢
		شمس الدين محمد الحكري	١٣٨٠	٧٨٢
		أمين الدين محمد بن الشعاع	١٣٨١	٧٨٣
تولى عن السبكي الكبير نيابة	حنفي	احمد شاه كام	١٣٨٤	٧٨٦
		محمد التدمري	١٣٨٥	٧٨٧
	شافعي	عبد الاطيف ابريش	١٣٩١	٧٩٤
		أحمد السليمان	١٣٩٣	٧٩٦
	شافعي	أحمد بن محمد السلاوي	١٣٩٨	٨٠١
	حنفي	عيسى بن الرصاصي	١٣٩٩	٨٠٢
		احمد بن تقي الدين علي	١٤٠٠	٨٠٣
نائب		علي بن الحواري الخليلي	١٤٠٠	٨٠٣
	حنبلي	علي بن العز عبد العزيز البغدادي	١٤٠١	٨٠٤
		شهاب الدين احمد الحلبي	١٤٠٢	٨٠٥
	شافعي	علي التميمي	١٤٠٢	٨٠٥
		محمد بن قرموز الزرعي	١٤٠٣	٨٠٦
ولي القضاة مرة ثانية	شافعي	عبد الله . . . بن جماعة	١٤٠٩	٨١٢
	شافعي	عبد الله العراقي	١٤٠٩	٨١٢
		احمد الحريري السلاوي	١٤١٠	٨١٣

ملاحظة	القاضي		السنة	
	منه	اسمه	ميلادية	هجرية
تناوب القضاء مع ابن مكي ولي القضاء مرة ثانية في ٨٣٤ هـ . قد يكون هو الذي تولى القضاء سنة ٨٥٠ هـ . ناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل . مات ودفن في القدس (٨٥٣ - ١٤٤٩ م) قبره تجاه باب العتم على طريق ستنا مريم اقبل مراراً . وآخر مرة تولى القضاء فيها سنة ٨٧٣ هـ .	شافعي	فخر الدين عثمان بن سراج الدين عمر	١٤١٢	٨١٥
		سليمان ابن علم الدين	١٤١٥	٨١٨
		احمد بن الحكم	١٤١٧	٨٢٠
		احمد الحساني	١٤٢٠	٨٢٤
		علي بن ابراهيم الرهاوي	١٤٢٤	٨٢٨
	مالكي	احمد الحسيني	١٤٢٧	٨٣١
		محمد التفويعي الصوفي	١٤٢٧	٨٣١
	مالكي	ابن الشحادة	١٤٣٤	٨٣٨
	شافعي	احمد العمري بن عوجان	١٤٣٤	٨٣٨
		احمد بن عبدالله بن السائح	١٤٣٦	٨٤٠
		محمد بن عبد الرحمن العلمي	١٤٣٧	٨٤١
		علاء الدين علي بن الشيخ خليل الطرابلسي	١٤٤٠	٨٤٤
		عبدالله الهلالي الانصاري بن الشحادة المالكي	١٤٤٦	٨٥٠
		القاضي شمس الدين المحوي	١٤٤٨	٨٥٢
		احمد بن محمد الصلطي	١٤٤٨	٨٥٢
		احمد بن عثمان السعدي	١٤٥٠	٨٥٤
		محمد بن سعيد المغراوي	١٤٥٠	٨٥٤
	حنفسي	عمر بن خليل العميري	١٤٥٥	٨٦٠
		احمد التميمي	١٤٥٧	٨٦٢
		يوسف بن محمد	١٤٥٩	٨٦٤

ملاحظة	القاضي		السنة	
	مذهبه	اسمه	ميلادية	هجريه
ولى قضاء القدس والرملة . وأول من ولى قضاء الخليل .		عبدالله الديري الخالدي	١٤٦٢	٨٦٧
		احمد بن زين الدين العمري	١٤٦٧	٨٧٢
		شمس الدين محمد العلمي	١٤٦٧	٨٧٢
		عمر بن علي الحواري	١٤٦٩	٨٧٤
		نور الدين علي البدرش	١٤٧٣	٨٧٨
		محمد بن شمس الدين الديري	١٤٧٤	٨٧٩
		شمس الدين محمد بن يونس النابلسي	١٤٧٤	٨٧٩
		محمد بن داود بن الاسيل	١٤٧٦	٨٨١
		جمال الدين يوسف بن ربيع	١٤٨٦	٨٩٢
		احمد بن شيخ الاسلام الانصاري	١٤٩٥	٩٠١
		نجم الدين بن جماعة	١٤٩٥	٩٠١
		شهاب الدين الانصاري	١٤٩٥	٩٠١
		احمد شهاب الدين العباسي	١٤٩٦	٩٠٢
		شهاب الدين بن عبية	١٤٩٩	٩٠٥
اضيف اليه قضاء الخليل	حنبلي			
	شافعي			
	مالكي			
قاضي القضاة	حنفي			
	شافعي			
امير الحكم بالقدس	شافعي			
المهامي المقدسي . تولى الحكم في حياة والده .	شافعي			
	شافعي			
المهامي المقدسي . تولى الحكم في حياة والده	شافعي			
	شافعي			



مدارس القدس القديمة

« بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله .
هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا الملك الناصر صلاح
الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو المظفر
يوسف بن ايوب بن شاذي محي دولة امير المؤمنين
اعز الله نصاره وجمع له من خير الدنيا والآخرة
على الفقهاء من اصحاب الامام ابي عبدالله محمد بن
ادريس الشافعي رضي الله عنه سنة ثمان وثمانين
وخمس مئة » .

اما ابو الفداء فانه يعتقد ان هذا المكان كان في
الاسلام دار علم قبل ان يملك الفرنج القدس . وفي
ذلك يقول :

« رحل السلطان (يقصد صلاح الدين) الى
القدس في ٤ رمضان ، وتفقده احواله ، وامر بتشديد
اسواره ، وزاد في وقف المدرسة التي عملها . وهذه
المدرسة كانت تعرف قبل الاسلام بصند حنه .
يذكرون ان فيها قبر حنة ام مريم . ثم صارت في
الاسلام دار علم قبل ان يملك الفرنج القدس . ولما
ملك الفرنج سنة ٤٩٢ هـ اعادوها كنيسة كما كانت
قبل الاسلام . فلما فتح السلطان القدس اعادها مدرسة
وفوض تدريسها ووقفها الى القاضي بهاء الدين بن
شداد . »

لبثت هذه بحوزة المسلمين بعد الفتح الصلاحي
وسميت بالصلاحية . مع ذلك فقد سمح للمسيحيين
بزيارة المغارة التي تحتها في اوقات معلومة . على ان
يدفعوا تلقاء ذلك ضريبة للقائمين عليها .

١ - المدرسة اخنسية بجوار المسجد الاقصى من
القبلة خلف المنبر . وقفها الملك صلاح الدين في ١٨ ربيع
الاول ٥٨٧ هـ - ١١٩١ م على رجل من اهل الصلاح
والتقوى يسمى (جلال الدين محمد بن احمد بن محمد
جلال الدين الشاشي) المجاور في بيت المقدس ، وعلى
من يحذو حذوه من الصالحين من بعده . وقد وليها
جماعة من الاعيان . بناؤها قديم من زمن الروم .
واما بناء الدار التي بداخل الزاوية فقد قال مجير
الدين^(١) عنه انه مسجد .

يقيم فيها الآن بعض خدام المسجد . بعض غرفها
تستعمل لحفظ القناديل وتنظيفها .

٢ - المدرسة الصلاحية على بعد بضعة امتار من
السور الشرقي عند باب الاسباط . كانت فيما مضى
كنيسة للروم بنيت في المكان الذي كان فيه بيت حنة
والدة مريم البتول عليها السلام وبعلمها يواكيم . ولما
احتل صلاح الدين القدس استشار علماء في بنساء
مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للمتصوفين الصالحين ؛
وبناء على مشورتهم اتخذها - وكانت يومئذ تعرف بصند
حنه^(٢) - مدرسة للشافعية . وقفها صلاح الدين لمصلحة
المسلمين ، واوقف عليها كثيراً من الاملاك . وكان ذلك
بتاريخ ١٣ رجب سنة ٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م . وكتبت
الوقفية التالية على حجر كبير وضع على باب الكنيسة
ولم يزل الى الآن :

(١) الانس الجليل ص ٣٨٦ .

(٢) اي القديسة حنة . اقرأ ما كتبناه عنها في كتابنا : (المسيحية

في القدس) ص ٦١ .

(٦) شيخ الاسلام شهاب الدين ابو العباسي احمد المصري المقدسي المشهور بابن الهائم . وقد كان ماهراً في علم الفرائض والحساب . توفي سنة ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م ودفن باملا .

(٧) شيخ الاسلام ابو عبدالله محمد الرازي من ذرية الفخر الرازي . تولى تدريس الصلاحية سنة ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م وولي نظر القدس والخليل . توفي بالقدس سنة ٨٢٩ هـ - ١٤٢٥ م ودفن بالبسطامية باملا .

(٨) شيخ الاسلام شمس الدين ابو عبدالله محمد عبد الدائم العسقلاني . توفي سنة ٨٣١ هـ - ١٤٢٧ م .

(٩) زين الدين ابو بكر القمني المصري الخرجي . ولي تدريس الصلاحية سنة ٧٩٧ هـ - ١٣٩٢ م وتوفي سنة ٨٣٣ هـ - ١٤٢٩ م .

(١٠) قاضي القضاة وشيخ الاسلام شهاب الدين ابو العباس احمد الاموي المصري المشهور بابن المجرمة . ولي تدريس الصلاحية سنة ٨١٧ هـ - ١٤١٤ م . وتوفي سنة ٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م ودفن باملا .

(١١) شيخ الاسلام الرحالة المشهور عز الدين ابن عبد السلام العجلوني السعدي المقدسي . ولي تدريس الصلاحية . وتوفي بالقدس سنة ٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ م .

(١٢) المحدث عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن برهان الدين القرقشندي . ولي

طارصيتها في الفتح الصلاحي وفي اليهود الاسلامية التي تبعتها . وقد كانت يومئذ من المدارس الاسلامية التي يشار اليها بالبنان . وكانت وظيفة مشيختها من الوظائف السنوية . حتى انهم ما كانوا يعهدون بشؤون التدريس فيها الا الى العلماء الاعلام .

ومن الذين تولوا التدريس فيها على عهد المماليك :

(١) العلامة عماد الدين ابو الفداء اسماعيل جماعة الكناني الشافعي . وكان هذا في الوقت نفسه خطيباً بالمسجد الاقصى . توفي سنة ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤ م .

(٢) شيخ الاسلام تقي الدين ابو الفداء اسماعيل القرقشندي المصري الشافعي . توفي سنة ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م ودفن باملا .

(٣) قاضي القضاة برهان الدين ابو اسحق ابراهيم بن جماعة الكناني المقدسي قاضي مصر والشام . كان خطيباً بالمسجد الاقصى . وتولى التدريس بالصلاحية . هو الذي عمر المنبر^(١) الرخام بالصخرة المشرفة الذي يخطب عليه للعهد . وكان قبل ذلك من خشب يحمل على عجل . توفي سنة ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م .

(٤) نجم الدين ابو عبدالله الكناني المقدسي . توفي سنة ٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م .

(٥) القاضي عماد الدين ابو عيسى احمد العامري الارزقي الكركي . ولاء الطاهر برقوق قضاء مصر . ثم تولى التدريس بالصلاحية . ومات في القدس سنة ٧٩٩ هـ - ١٣٩٦ م .

(١) (اهل العلم بين مصر وفلسطين) للاستاذ الخالدي . ص ١٣ .

(٥) السيد محمد بن علي جار الله المقدسي^(١).

تولى افتاء القدس ومنصب نقيب

الاشراف سنة ١١٨١ هـ - ١٢٦٧ م .

ولكن الاتراك تنازلوا عنها في القرن التاسع عشر للافرنسيين اعترافا لهم بالفضل لانهم وقفوا الى جانب الاتراك وخاصموا الروس في حرب القرم فاعطاها هؤلاء للآباء البيض . فجعلوها مدرسة اكليركية . وبقيت كذلك حتى الحرب الكونية الاولى (١٩١٤) فاحتلها الاتراك واتخذوها مدرسة لتعليم العلوم الدينية عرفت باسمها القديم (الصلاحية) . ولما سقطت القدس في يد الانكليز ارجعوها الى الآباء البيض فاعادوها مدرسة وفيها متحف وكنيسة .

٣ - **المدرسة الافضلية** بحارة المغاربة .

وكانت قديما تعرف بالقبة . وقفها الملك الافضل نور الدين ابو الحسن علي بن الملك صلاح الدين ، على فقهاء المالكية بالقدس . ووقف ايضا حارة المغاربة على طائفة المغاربة على اختلاف اجناسهم ذكورا واناثا . وقد تم ذلك كله على عهده يوم تسلمن على دمشق ، وكانت القدس من اعماله .

انها الآن دار يسكنها جماعة من فقهاء المغاربة . وفيها مدفون رجل يسمونه (الشيخ عيد) . ويقولون انه من الصالحين . وهناك مدرسة بهذا الاسم بحارة النصارى . كانت في القرون الوسطى مسجدا على علو سجن الشرطة . بناها الملك الافضل نور الدين ابو الحسن علي بن صلاح الدين . (٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م) . وهي السنة التي توفي ابو صلاح الدين فيها . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٧ من كتابه الانس الجليل . وقال عنها انها مدرسة . واما منارتها فان تاريخها يرجع الى ٨٧٠ هـ - ١٤٦٥ م .

التدريس بالصلاحية توفي سنة ٨٦١ هـ -

١٤٥٦ م ودفن باملا .

(١٣) شيخ الاسلام جمال الدين ابو محمد بن جماعة

الكناني . ولد بالقدس سنة ٧٨٠ هـ -

١٣٧٨ م وتلقى العلم في مصر . ولي

قضاء الشافعية بالقدس . ودرس

بالصلاحية . توفي سنة ٨٦٥ هـ - ١٤٦٠ م .

(١٤) محمد الخليل الانصاري . توفي سنة

٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م .

(١٥) كمال الدين محمد بن ابي شريف المقدسي .

تولى التدريس بالصلاحية سنة ٨٨٠ هـ -

١٤٧٥ م .

ومن الذين تولوا التدريس فيها في العهد العثماني :

(١) شيخ الاسلام برهان الدين ابو اسحق ابن

الامير ناصر الدين بن ابي شريف المقدسي .

توفي سنة ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م .

(٢) كاتب العماير الشيخ محمود بن القاضي احمد

الديري^(١) . وكان يتقاضى عثمانيا واحدا

في كل يوم (٩٧١ هـ - ١٥٦٣ م) .

(٣) السيد علي بن محمد بن علي بن جار الله .

توفي سنة ١١٦٩ هـ - ١٧٥٥ م .

(٤) السيد جار الله اللطفي^(٢) وكان يتقاضى

اربعين عثمانيا وعشر قرية سلوان عن

التدريس واربع قطع مصرية مع عثماني

واحد في كل يوم عن التولية (١١٧٥ هـ -

١٧٦١ م) .

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٠ .

(٢) السجل ٢٤٤ الصفحة ١٢٢ .

(١) (اهل العالم بين مصر وفلسطين) للاستاذ الخالدي ص ٣٦ .

ومن الذين تولوا التدريس فيها خلال القرن السابع عشر للميلاد محمد بن حافظ السروري المقدسي من بني غانم . توفي سنة ١٠٨٩ هـ - ١٦٧٨ م .

وقد حدثني السيد ابراهيم طهوب انها كانت من اوقاف العسلي ، وان جانباً منها فاخورة ، والجانب الاخر مزبلة . وانها ظلت كذلك حتى اواخر القرن التاسع عشر . فاتخذها الاتراك مدرسة واسمها (قدس شريف مكتب اعداديسي) وقد تم تدشينها في ١٣٠٩ مالية ١٣١٠ هجرية ١٨٩٢ ميلادية . وسميت بالأمونية . وقد تعلم فيها كثيرون من ابناء بيت المقدس ومنهم مؤلف هذا الكتاب . وبعد الاحتلال الانكليزي جعلت مدرسة للبنات تابعة لمصلحة المعارف العامة .

٥ - **المدرسة الجراحية في الحي المعروف بحي** الشيخ جراح ، على بعد كيلومترين من سور المدينة الى الشمال ، وعلى الطريق المؤدية الى نابلس ، سميت كذلك نسبة لواقفها الامير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امراء الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب . وقد توفي في ظفر سنة ثمان وتسعين وخمسة (١٢٠١ م) ودفن في زاويته المذكورة . ذكرها الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته . فقال عنها ما تقدم ذكره نقلاً عن مجير الدين . وقال ايضاً ان لها وقفاً ووظائف مرتبة .

ولا صحة عندي للقول الشائع بين سكان بيت المقدس عن نبوة الشيخ جراح . لا ولا عن صحبته للنبي . انه لم يذكر في عداد الصحابة الذين دخلوا القدس في الفتح العمري . والحقيقة التي لا مرأ فيها انه من رجال صلاح الدين . وقيل انه كان طبيباً الخاص . وقد ابلى في معركة القدس بلاه حسناً .

٤ - **المدرسة الميمونية** عند باب الساهرة . على بعد مئتي متر من السور في داخل المدينة . كانت كنيسة للروم . وقيل انها كانت للسريان . وكان هؤلاء يسمونها (دير المجدلية) . وقد اتخذها اسقف السريان في اورشليم فورلس الثالث^(١) مقر له .

كانت كذلك عند الفتح الاسلامي (٦٣٦ م) ولا ندري كيف ومتى انتقلت الى يدي المسلمين . ولكننا نعلم العلم اليقين ان الامير فارس الدين ابا سعيد ميمون ابن عبدالله القصري خازن دار الملك صلاح الدين هو الذي وقفها وكان ذلك في جمادي الاولى سنة ٥٩٣ هـ . ١١٩٦ م .

كانت في بادي الامر زاوية . ثم اتخذت بعد ذلك مدرسة للشافعية . وانا لنستغرب كيف قيل انها كانت على عهد مجير الدين (٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ م) من المهمات وانه لم يبق لها نظام . اذ انا نقرأ بعد ذلك بقرنين او يزيد انه كان بها ناظر ووقف^(٢) وان^(٣) الحاكم الشرعي اقر كلا من حسن بك ومحمد آغا وقاسم آغا اولاد طوقان زاده في ثلث وظيفه التولية على المدرسة الميمونية بالقدس الشريف براتب قدره خمسة عثمانه^(٤) في كل يوم عوضاً عن السيد تاج الدين بن حسن افندي الجاعوني والسيد بدر الدين بن شمس الدين الجاعوني بحكم فراغها لهم وتعوض الفارغان نظير فراغها لهم عن ذلك ٢٦٠ زولطه مقبوضة » وكان ذلك بتاريخ ١١٧٥ هـ - ١٧٦١ م .

(١) هناك في دير السريان بالقدس وقفية رقمها ١٢٣ تاريخها ٧٥٠ هـ يشير الى ذلك .

(٢) السجل ٢٢٨ الصفحة ٢٥ السنة ١١٤٨ هـ - ١٧٣٥ م .

(٣) راجع السجل رقم ١٢٤٤ لصفحة ١٤٣ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس .

(٤) جم (عثنائي) وهو نوع من العملة كان رائجاً في ذلك العصر .

الملك المعظم عيسى (٦١٠ هـ - ١٢١٣ م) على فقهاء الشافعية . استشهد في الغور بالقرب من نابلس فنقل الى القدس ودفن فيها .

انها الان دار معدة للسكن . تسكنها عائلة علي نصره التوتونجي واخوته . انها كائنة في الحارة المعروفة بالواد . وقد كتب علي بابها الكلمات الآتية : « بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هذه المدرسة المباركة على اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه الموالي الملكة العلية المجاهدة بدرية » .

٩ - المدوسة المعظمية ومن اسمائها الخنقية . انها وقف الملك المعظم عيسى . مقابل باب شرف الانبياء المعروف بباب الدويدارية . وقفت على كتاب الوقف وفيه جهات كثيرة من القرى . وقد اخذ غالبيتها وصار بأيدي الناس اقطاعا وملكا . ذكرها مجير الدين في كتابه الانس الجليل ، ومحمد كرد علي في كتابه خطط الشام . ومما قاله هذا انها الان معمورة . وانه كان يدرس فيها الخالدية خصوصا الكافية والهداية .

دخلتها في اليوم العشرين من شهر شباط ١٩٤٧ م فرأيت الخراب ضخما على الجانب الاكبر منها . وقد احتكر جانبها منها رجل من الخليل يدعى محمد دعسان . وقرأت على بلاطه كانت لا تزال مثبتة في جدارها القبلي من الداخل الكلمات الآتية كتبت بالنسخ الايوبي الجليل .

« امر بعمله مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين ابو العزائم عيسى بن ابي بكر بن ايوب الواقف لهذه المدرسة على الفقهاء والمتفقه من اصحاب الامام الاعظم ابي خنيفة رضي الله عنه وارضاه » .

وذلك في شهور سنة اربع عشرة وستاية للهجرة

٦ - المدوسة النحوية على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة الى الغرب . ذكرها مجير الدين^(١) وذكرها الاستاذ محمد كرد علي في (خطط الشام) فقال ان الذي بناها هو الملك المعظم عيسى ، وكان ذلك سنة ٦٠٤ للهجرة - ١٢٠٧ م . كان يدرس فيها الكتاب علم النحو لسيبويه . ولذلك سميت المدرسة النحوية .

٧ - (المدوسة الناصرية^(٢)) كانت على برج باب الرحمة من ابراج السور الشرقي . عرفت بادبي ذي بدء بهذا الاسم نسبة الى منشئها الشيخ نصر المقدسي . ثم عرفت بالغزالية نسبة لحجة الاسلام الامام ابي حامد الغزالي^(٣) الذي اعتكف فيها مدة اتم خلالها تأليف كتابه (احياء العلوم) . ولقد جدد انشاءها الملك المعظم عيسى ، وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو . ووقف عليها كتبها . وكان ذلك بتاريخ ٦١٠ هـ - ١٢١٣ م ذكرها مجير الدين^(٤) وقال انها كانت على عهده دائره .

٨ - المدوسة البدرية بالقرب من اللؤلؤية ومن زاوية ولي الله الشيخ محمد القرمي الى الغرب . وقفها بدر الدين محمد بن ابي القاسم الهكاري^(٥) احد امراء

(١) الانس الجليل ص ٣٨٦

(٢) كذا وردت في الانس الجليل . ولكن الاستاذ محمد كرد علي نقلها في خطط الشام باسم (المدرسة النصوية) . وارى ان الحق معه . اذ ان مؤسسها على قول مجير الدين نفسه هو الشيخ نصري المقدسي .

(٣) انه محمد بن محمد بن احمد الغزالي . ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م ولم يكن لطائفة الشافعية في آخر عصره . مثله . تنقل من بلدة طوس الى نيسابور الى دمشق . ثم الى بيت المقدس . وتوفي بطوس سنة ٥٠٥ هـ - ١١١١ م .

(٤) الانس الجليل ص ٣٨٦ .

(٥) مجير الدين ص ٣٩٨ والمقريزي ج ١ ص ١٨٨ .

على الفقراء وزوار القدس الشريف مولانا السلطان الملك المنصور ابو الملك سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي ادام الله ايامه وتقبل منه . سنة احد وثمانين وستماية . « ١٢٨٢ م .

استعمل الاتراك بعدئذ هذا البناء سجناً . وكانوا يسمونه (حبس الرباط) .

١٢ - (رباط الكود) امام المدرسة الارغونية بباب الحديد . انشأه^(١) المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية سنة ٦٩٣ للهجرة - ١٢٩٣ م . وهو الآن عامر . يسكنه جماعة من آل الشهابي .

١٣ - (المدرسة الاباصيرية) تنسب للامير علاء الدين الاباصيري^(٢) . انها يجوار باب الناظر . وقد كانت رباطاً تجاه الرباط المنصوري^(٣) . واقفه الأمير علاء الدين آيدغدي . وقفه في سنة ست وستين وستائة (١٢٦١ م) في زمن الملك الظاهر بيبرس . ولم يظهر له كتاب وقف . فكتب محضر بوقفه وثبت لدى حاكم الشرع . وكان ذلك بتاريخ ١٨ ربيع الآخر ٧٤٢ هـ - ١٣٤١ م . وهو مدفون بالرباط المذكور .

اتخذ هذان الرباطان : الاباصيري والمنصوري في أوائل العهد التركي مسكناً للتكرانة^(٤) . انهم من عرق افريقي جاءوا من دارفور وملحقاتها . وكانت الحكومة التركية تستخدمهم في شؤون الشرطة . وعهدت اليهم بحراسة المدارس التي كانت تقوم في

النبوية تقبل الله منه وغفر له . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً . ٦١٤ هـ « ١٢١٧ م .

وعلى الوجه القبلي من حائط المنارة بلاطة من الرخام نقش عليها بالنسخ الايوبي او المملوكي القديم وبأحرف صغيرة هذه الكلمات :

« امر بعمارة هذه المأذنة المباركة الملك القاهر الناظر بهذه المدرسة غفر الله له وتعمد برحمته والده الواقف السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى قدس الله روحه في شهر سنة ثلاث وسبعين وستماية . « ٦٧٣ هـ - ١٢٧٤ م .

١٠ - (دار الحديث) يجوار التربة الجالقية من جهة الغرب برأس درج العين بباب السلسلة . وقفها الأمير شرف الدين عيسى بن بدر الدين ابي القاسم الهكاري . وكان ذلك بتاريخ ٢٥ رجب ٦٦٦ هـ - ١٢٦٧ م . فيها الآن جماعة من آل الخالدي .

١١ - (الرباط المنصوري) انشأه^(١) الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة (٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م) ووقفه على الفقراء من زوار القدس . ولذلك يسمونه رباط قلاوون .

واقع قبلي الطريق الموصلة الى الحرم من باب الناظر وعلى بعد بضعة امتار من الباب المذكور للغرب ، تجاه رباط البصير بالتام .

هناك بلاطة من رخام فوق بابه نقش عليها بالنسخ المملوكي القديم وبأحرف متوسطة هذه الكلمات :

« بسملة . . الحمد لله عم فضله كل شيء . وصلى الله على سيدنا محمد وآله . امر بعمارة هذا الرباط ووقفه

(١) (العهد المصري في بيت المقدس) للاستاذ احمد سامح الخالدي . ص ٨

(١) الانس الجليل ص ٣٨٩ .
(٢) توفي سنة ٦٩٣ هـ - ١٢٩٣ م وكان ناظراً للحرمين (الحرم القدسي وحرم الخليل) من أيام الظاهر بيبرس الى أيام المنصور قلاوون .
(٣) وقف السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي (٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م)
(٤) الانس الجليل ص ٣٩٤ .

المعروف بالباب العتم^(١) . كانت تعرف فيما مضى بدار الصالحين . بناها ووقفها الأمير علم الدين أبو موسى سنجر بن عبد الله الدوادار الصالحي النجمي في اليوم الأول من شهر محرم سنة ٦٩٥ هـ - ١٢٩٥ م. وكان ذلك في زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب .

يدلك على هذا الكتابة المنقوشة على بابها الخارجي من جهاته الثلاث . وهي بالنسخ المملوكي القديم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بإنشاء هذه الخانقاه المباركة المسماة بدار الصالحين العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عبد ربه بن عبد الباري سنجر الدواداري الصالحي ، ووقفها ابتغاء وجه الله تعالى على ثلاثين نفرا من الطائفة الصوفية والمتصوفة من العرب والعجم ، منهم عشرون نفرا عزايا وعشرة مزوجون مقيمون بها لا يظعنون عنها صيفا ولا شتاء ولا ربيعا ولا خريفا إلا لحاجة ، وعلى ضيافة من يرد إليها من الصوفية والمتصوفة مدة عشرة أيام . ووقف عليها قرية بيرنبالا من القدس الشريف وقرية حجلة من أريحا وفرن وطاحون علوها دار بالقدس ومصبنة وستة حوانيت ووراقة بنابلس وثلاثة بساتين وثلاثة حوانيت وأربع طواحين ببيسان . وقف ذلك على هذه الخانقاه وعلى تدريس مذهب الشافعي وعلى شيخ يسمي الحديث النبوي وقاري ، يقرأ عليه وعلى عشرة انفاريسمون الحديث وعشرة انفاريتلون كتاب الله كل يوم ختمه وعلى مادم ينشد مدح النبي . كل ذلك بالجامع الأقصى . وذلك في مستهل سنة خمس وتسعين وستماية . بتولية الفقير إلى الله سنجر القيصري عفا الله عنه . ومن جملة وقف هذه الخانقاه المباركة

الدور والمنازل والأروقة الكائنة حول الحرم من الغرب والشمال . ولقد قاموا بواجباتهم حق القيام . وكانوا دوماً من المخلصين للدولة . انهم سود اللون ، طوال القامة ، أقوياء البنية . وعهد اليهم بحراسة أبواب الحرم . إذ كانت محرماً على النصاري والاجانب دخول الحرم . والويل لمن كانت تحدته نفسه بمخالفة هذا الأمر والاقتراب من أحد الابواب . حتى الامراء وملوك الدول الأجنبية ، فقد كانت محظوراً عليهم دخول الحرم إلا بأذن من التكارنة . وما كان هؤلاء ليأذنوا لاحد خلاف المسلمين . وأنا لرى هذه القاعدة على أشدها في أواسط القرن التاسع عشر (١٨٥٥) . يوم اضطر متصرف القدس ان يسجن التكارنة ليتمكن احد الملوكة من زيارة الحرم .

ولقد اتخذ هذان الرباطان في اواخر العهد التركي سجناً . فكان في أحدهما وهو القبلي الموقوفون الذين ينتظرون محاكمتهم . وفي الثاني المحكومون . وكان هذا يدعى (سجن الدم) . وظل كذلك حتى الاحتلال البريطاني ، يوم نقل الانكليز السجن إلى المكان المعروف في يومنا هذا بالمسكوبية .

وأما الآن فليس فيهما سوى الفقراء من التكارنة يعيشون عيشة التسوّل والاستجداء .

والمعتقد ان الدار التي يقطنها جماعة من آل الخالدي غربي الحرم إلى الشمال ، كانت فيما مضى جزءاً من المدرسة الاباصيرية التي نحن في صدها .

١٤ - (المدرسة الدوادارية) ويسمونها

ايضاً الدويدارية . انها من المدارس التي أنشئت على عهد المماليك البحريين . واقعة شمالي الحرم وإلى الشرق من الطريق المؤدية إليه عند الباب

(١) ومن اسمائه باب الدويدارية وباب شرف الانبياء وباب الملك فيصل .

عند ملتقى طريق باب السلسلة بطريق الواد . تجاه المدرسة الطازية . انشأها ركن الدين بديرس الجالقي الصالحي بتاريخ ١٠ جمادي الاولى سنة ٧٠٧ هـ - ١٣٠٧ م . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٦ من كتابه الانس الجليل . انها اليوم في حوزة آل الخالدي . باعوا جانباً منها إلى جماعة من اهل الخليل . واحتفظوا بالجانب الآخر .

١٩ - (المدرسة الجاولية) قريبة من درج الغوانة عند زاوية الحرم الشمالية الى الغرب . وقفها الامير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزه والقدس (٦٨٣ - ٧٤٥ هـ) وجعلها مدرسة ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م فسميت باسمه . واتخذت فيها بعد داراً للنبابة . واول من اتخذها داراً للنبابة هو شاهين الذباح . وكان ذلك حوالي سنة ٨٠٠ هـ - ١٤٠٠ م . وعلى مدخلها بلاطة نقشت عليها هذه الكلمات : « رسم بتجديدها المقر الشجاعى شاهين » .

وعلى عهد مجير الدين^(١) كانت سكناً لنواب القدس . وفيها دفن الشيخ درباس الهكاري وكان من الصالحين .

يعتقد علماء الآثار ان هذا البناء شيد على عهد المكابيين . شيده جون هركانوس (١٣٤ ق . م) وجعله قلعة يحمي بها الهيكل . وقد اسمها يومئذ (بارس) . ثم جاء هيرودس الملك ووسمها وازاد اليها برجاً اسماء (برج انطونيا) . وقد حصنها تحصيناً متيناً . واتخذها الرومان مقراً لولايتهم . وفيها أقام الوالي الروماني بيلاطس الذي حاكم السيد المسيح . وفي عهد المماليك صارت مدرسة . ثم صارت داراً للنبابة كما قدمنا . وقد اتخذها الاتراك قسلاً وداراً للحكم . وكان ذلك حوالي

ووظائفها المذكورة قرية طبرس من قاقون وحمام الملكة من نابلس المحروسة . عمل المعلم علي بن سلامة المهندس » .

ذكرها مجير الدين في الصفحتين ٣٩٠ و ٤٩٥ من كتابه (الانس الجليل) . وذكرها فان برشام الهولندي . انها في يومنا هذا (١٩٤٦) عامرة . وقد اتخذتها مصلحة الوقف مدرسة لتعليم البنات المسلمات .

١٥ - (المدرسة السلامية) بباب شرف الانبياء تجاه المعظمة . انها يحوار المدرسة الدويدارية من جهة الشمال . واقفها الخواجا مجد الدين ابو الفدا اسماعيل السلامي . والظاهر انها اوقفت بعد السبعماية . وهناك من يقول انها اوقفت حوالي سنة ٧٠٠ هـ - ١٣٠٠ م . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٣ من كتابه الانس الجليل . ونقلها عنه مؤلف خطط الشام ، فقال انها دار القرآن . انها الآن دار معدة للسكن . يسكنها جماعة من آل جبار الله .

١٦ - (المدرسة الوجيبية) بخط درج المولى . بالقرب من المدرسة الحديثة عند باب الغوانة . وقفها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن اسعد بن النجا (النجا ؟ .) الحنبلي المتوفي سنة ٥٧٠١ - ١٣٠١ م . وهي الآن دار سكن .

١٧ - (المدرسة الموصلية) بباب شرف الانبياء يحوار المسجد الأقصى . نسبت للخواجا فخر الدين الموصل . جاء في سجلات المحكمة الشرعية^(٢) ان مدرستها ومتولي اوقافها في سنة ١١٧٥ هـ - ١٧٦١ م كان السيد جبار الله اللطفي ، وان هذا كان يتقاضى راتباً قدره عشر عثمانيات .

١٨ - (المدرسة الجالقية) في الزاوية الشمالية الغربية

(١) الانس الجليل . ص ٣٩٠ .

(٢) السجل ٢٤٤ ص ١٢٢ .

التدريس وأربعة عن التولية . ثم تحلى عن وظيفة المشيخة الى السادة محمد وأحمد وعبد الله اولاد السيد علي أفندي جبار الله زادة ولآخرين .

انها الآن بيد فريق من آل جبار الله .

٢١ - (المدرسة التنكزية) ويسمونها خطأ التنكزية . أنشأها الامير تنكر الناصري^(١) سنة ٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م . انها عند باب الحرم المعروف بباب السلسلة . لها بابان : باب شرقي وهو مطل على الحرم ، وآخر شمالي وهو مطل على الطريق المعروفة بطريق باب السلسلة .

كتب على واجهتها الخارجية فوق الباب انشائي الكلمات التالية بالخط المعروف بالنسخ المملوكي الجميل وباحرف كبيرة : (بسم الله الرحمن الرحيم . انشأ هذا المكان المبارك راجياً ثواب الله وعفوه المقر الكريم السيفي تنكرز الملكي الناصري عفا الله عنه واثابه . وذلك في شهر سنة تسع وعشرين وسبعماية) . وهي موقوفة باسمه^(٢) .

قبل ان يكون هذا المكان مدرسة^(٣) كان خانقاه للصوفيين . وكان ايضاً داراً للأيتام ، وداراً للحديث . ثم صار في عهد المماليك مدرسة . ولما ذكرها مجير الدين^(٤) قال عنها : « انها مدرسة عظيمة ليس في المدارس اتقن من بنائها . ولها مجمع راكب على الأروقة الغربية في المسجد » .

وقد سكنها السلطان فرج أثناء إقامته بالقدس .

(١) انه الامير سيف الدين تنكرز بن عبدالله الملكي المقنبياني سعيد . كان نائب السلطنة المصرية بالشام . وقد توفي بالاسكندرية مسموماً سنة ٧٤١ هـ - ١٣٤٠ م . ونقل الى قبره بدمشق .

(٢) السجل ٩٢ الصفحة ٤٧٦ التاريخ ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م .

(٣) فان برشام .

(٤) الانس الجليل ص ٣٨٧ .

نهاية القرن السادس عشر . وكانت على عهدهم تدعى (السرايا القديمة) . وظلت كذلك حتى بداية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) .

وبعد الاحتلال البريطاني وضع المجلس الاسلامي الاعلى يده عليها (١٩٢٢) . لانها من املاك الوقف واقام فيها (كلية روضة المعارف) الوطنية . وفي اثناء الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ - ١٩٣٨) اتخذها الانكليز داراً للشرطة وهي الان مدرسة .

٢٠ - (المدرسة الكويية) بباب حطة ، ملاصقة للباب من الشرق . ذكرها العمري في كتابه (مسالك الابصار) . وذكرها مجير الدين^(١) فقال : ان الذي وقفها هو صاحب كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن مكانس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية . وكان ذلك بتاريخ ٨ ذي الحجة ٧١٨ هـ - ١٣١٩ م .

ذكرها ابن بطوطه في رحلته سنة ٧٢٥ هـ - ١٣٢٤ م . واجتمع بشيخها . وقد عدها خانقاه اي رباطاً . وقال عن واقفها كريم الدين انه كان قبضياً فاسم^(٢) .

وفي سنة ٩٩٠ هـ - ١٥٨٢ م كان الشيخ جبار الله ابن المرحوم شيخ الاسلام ابو بكر الشهير نسيه بابن أبي اللطف ناظراً على وقفها .

وكان السيد جبار الله بن وفا أفندي اللطفي سنة ١١٧٤ هـ - ١٧٦٠ م شيخ هذه المدرسة ومدرسها ومتولى اوقافها^(٣) . وكان يتقاضى لقاء ذلك اجراً قدره عثمانيان عن المشيخة وستة عن

(١) الانس الجليل ص ٣٩١ .

(٢) (المعاهد المصرية في بيت المقدس) للاستاذ احمد سامح بك الخالدي ، الصفحة ٩ .

(٣) السجل ٢٤٤ ص ٧٥ و ١٢٢ .

اتخذت داراً لسكن رئيس المجلس الاسلامي الأعلى
الحاج أمين افندي الحسيني .

ان نصف الحمام المعروف بـ (حمام العين)
والكائن بسوق باب القطانين ، وقف على المدرسة
التنكزية^(١) ، والنصف الاخر وقف على الصخرة .

ذكر الاستاذ كليمان غانو في كتابه (التنقيب

عن الآثار في فلسطين) Archeological
Researches In Palestine by Cler-
mont - Ganneau انه عندما تولى المسؤولون

تعمير دار المحكمة (التنكزية) وحفروا الاساس ،
بقصد اصلاح بالوعها وكان ذلك حوالي عام ١٨٧٤ للميلاد ،
عثروا على حجرين صغيرين وقديمين ، اشتراهما من
العمال . أحدهما نحت بشكل يمثل رأس آدمي ،
وان كان من الصعب تمييز العصر الذي ينتمي اليه .
والثاني نحت بشكل امرأة عارية الصدر ، مستورة
العورة ، منحنية الذراعين حول الرأس .

ويكاد المرء ، على حد قوله ، يعتقد انه تمثال
صغير لفينوس إلهة الجمال . ولما كان قد ورد في
التاريخ ذكر لمعبد بهذا الاسم (فينوس) في الموضع
الذي تقوم عليه كنيسة القيامة ، فقد راح الاستاذ
يتساءل عما إذا كان هذا هو غودج لفينوس ذي
الصلة بالقدس القديمة التي كانت تعرف بـ :
Aelia Capitolina.

٢٢ - (المدرسة الامينية) شمالي الحرم ، بالقرب
من باب شرف الانبياء الى الغرب . انشأها الصاحب
امين الدين عبد الله سنة ٥٧٣٠ - ١٣٢٩ م . ذكرها
مجير الدين في الصفحة ٣٩٠ من كتابه الانس الجليل .
وهي الآن دار عامرة ، يسكنها جماعة من آل الامام .
وفي الطابق الارضي تحتها مدفون عدد غير

وفي عهد قايتباي اتخذت مركزاً للحكام والقضاة
والنواب المسؤولين عن ادارة القدس . ولطالما
اتخذها هؤلاء داراً لسكنائهم أيضاً .

ذكرها السائح المشهور فابري فقال : « انها
كانت ديواناً للقضاء ، وداراً لسكن القضاة » .

وكان في داخلها مسجد ايضاً . فانك تقرأ
السطور التالية منقوشة على حائط يهوها القبلي
الكبير :

« البيت الحرام أول مسجد وضع على وجه
الأرض واختار لعبادته مواطن لاقامة السنن
والفرض . وجعل هذا المسجد جوار المسجد الأقصى
ونعم الجار الطاهر ، واجرى لبانيه جزيل الثناء
والثواب الوافر ، لقوله تعالى : انما يعمر مساجد الله
من آمن بالله واليوم الآخر . اختار لعمارة بيوته من
رضي فعله وقوله واطال بالسعد والبذل طوله . . »

وعندما كانت مدرسة كان يدرس فيها أساتذة
قديرون . منهم الشيخ احمد الشهابي بن الشيخ محمد
تنكز^(٢) والشيخ المحدث ابو محمود احمد بن محمد بن
هلال وهو من مفاخر بيت المقدس . الف كتابه
المشهور (مثير الغرام بفضايا القدس والشام) .
وقد رحل الى مصر وتوفي فيها ٥٧٦٥ - ١٣٦٣ م .

ومنهم الشيخ محمود بن القاضي احمد الديري .
وكان يتقاضى أجراً يومياً قدره نصف عثماني^(٣) .

ومنهم محمد بن حافظ السروري المقدسي بن غانم
توفي سنة ١٠٨٩ هـ - ١٦٧٨ م .

وفي عهد الاتراك صارت محكمة شرعية .
وكذلك بقيت في اوائل الاحتلال الانكليزي . ثم

(١) السجل ٦٠ الصفحة ٤٣ التاريخ ١٥٨٢ - ١٥٩٠ م .

(٢) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٠ التاريخ ١٥٧١ - ١٥٦٣ م .

(١) السجل ٦٠ الصفحة ٤٣ التاريخ ١٥٩٠ - ١٥٨٢ م .

انها اليوم عامرة . يسكنها فريق من آل أبي السعود . وجانب منها زاوية وجامع (هو غير جامع المغاربة) .

٢٤ - (المدرسة الملكية) ومن اسمائها (مدرسة الجوكندار) . واقعة شمالي الحرم ، بين المدرسة الفارسية من الشرق والمدرسة الاسعدية من الغرب . تراها على يمينك بعد المدرسة الامينية اذا ما دخلت الحرم من الباب المعروف بباب شرف الانبياء . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٠ من كتابه الانس الجليل فقال : عمرها الحاج ملك الجوكندار في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في مستهل محرم سنة ٧٤١هـ - ١٣٤٠م . يدل ذلك على ذلك الكتابة التالية كتبت بالنسخ المملوكي الجميل ونقشت في حجر من رخام تم تثبيته على حائطها القبلي المطل على ساحة الحرم :

(« بسم الله الرحمن الرحيم . تقرب بعمارة هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى الحاج ملك الجوكندار الملكي الناصري ، غفر الله له حيا وميتاً ولمن دعا له بالرحمة والمغفرة . وكان الفراغ منه في شهر الله المحرم غرة عام احد واربعين وسبع مائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتسليم . »

واما الوقف عليها فانه من زوجته ملك بنت السيفي قتلقتهم الناصري سنة ٧٤٥هـ - ١٣٤٤م . انها في يومنا هذا ليست مدرسة ، وان كانت عامرة . يسكنها آل الخطيب . وفي جانبها من الغرب دار الكتب الاسلامية . تلك الدار التي أسسها المجلس الاسلامي الاعلى على عهد رئيسه الحاج امين افندي الحسيني . ويصعد الى الدارين ، دار الخطيب ودار الكتب ، في درج واحد .

قليل من آل الامام وعلمائهم المغاربة : مثل الشيخ اسعد الامام والشيخ يوسف والشيخ محمد صالح والشيخ ابراهيم وغيرهم كثيرون . وكذلك الشيخ يحيى بن شرف الدين بن قاضي الصلت . ولسنا ندري حقيقة القول القائل بان النبي يوشع ايضاً مدفون هناك . وله ضريح .

واما آل الامام المدفون فيها فهم : الجسد الأكبر ضياء الدين محمد ابو عيسى الهكاري . الشيخ عبد الرحيم الامام وزير صلاح الدين الشيخ عبد الرحمن الامام . الشيخ محمد شمس الدين الامام . الشيخ محمد صالح الامام . الشيخ اسعد الامام .

٢٣ - (الخانقاه الفخرية) مجاورة لجامع المغاربة على بعد مئتي متر تقريباً من المسجد الأقصى الى الغرب . بابها من داخل المسجد عند الباب الذي يخرج منه الى حارة المغاربة . وقفها القاضي فخر الدين^(١) ابو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الاسلامية الذي توفي سنة ٧٣٢هـ - ١٣٣١م .

كانت في القرن العاشر الهجري مدرسة . وكان ناظرها وشيخها^(٢) في سنة ٩٣٧هـ - ١٥٣٠م بهاء الدين بن حامد . وكان هذا يتقاضى اوج اقجعة (ثلاث بارات) في كل يوم . وكان تعيينه بأمر من السلطان وما دام في قيد الحياة .

وقد عين القاضي حسام الدين الحنفي سنة ٩٧١هـ - ١٥٦٣م الشيخ محمود الديري قارئاً في مدرسة الخانقاه هذه باجرومي قدره عثماني واحد^(٣) .

(١) اصله قبضي ، فاسلم . (الانس الجليل ص ٣٨٦) .

(٢) السجل ١ الصفحة ٢٥٢ .

(٣) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٠ .

٧٥٨ هـ - ١٣٥٧ م. واكملها الامير ركن الدين بيبرس سنة ٧٥٩ هـ - ١٣٥٨ م. يدلك على هذا بلاطة كتب عليها بالخط النسخي المملوكي الجميل :

« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هذه القبة والمدرسة المباركة المقر الاشرف السيفي ارغون الكامي نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، توفي الى رحمة الله تعالى ثامن عشر شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمئة . وتولى شداها وتكليفها ركن الدين بيبرس السيفي واكملت في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبعم مائة » . ولقد كانت هذه المدرسة قائمة في العهد التركي (٩٧٥ هـ - ١٥٦٧ م) ولا ندرى متى أغلقت ؟ .

عرف هذا الباب فيما مضى بباب ارغون ، بالنسبة الى مجده الامير ارغون . و (ارغون) كلمة تركية معناها الحديد . ولذلك استبدل اسم الباب مع الايام فاصبح يعرف بـ (باب الحديد) . والمدرسة وان كانت الغيت ، الا ان بناءها ما برح قائماً ، يسكنه جماعة من آل العفيفي . وقد دفن بجانب منه المغفور له الملك حسين بن علي موقد نار الثورة العربية ضد الاتراك سنة ١٩١٥ للميلاد - ١٣٣٤ هـ .

على شباك ضريحه المظل على الحرم بلاطة كتب عليها : « بسملة . وبشرم ربهم برحمة منه . ضريح ملك العرب العظيم وزعيم النهضة العربية الشريف الهاشمي الملك حسين بن علي رحمه الله توفي بعمان في ١٨ محرم ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م » .

= ونقل الى القدس في اواخر سنة ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤ م حيث عاشت بلا عمل . ومكث فيها الى ان مات ودفن في مدرسته . وقد ذهب بعضهم خطأ الى ان الذي بناها هو ارغون بن عبدالله الشينغاوي الظاهري الذي ذكره المنهل الصافي في ج ١ فقال : انه من ممالك الملك الظاهر برفوق مات بالقدس يوم الجمعة ثاثة ذي القعدة سنة ٨١٣ هـ - ١٤١٠ م والحقيقة ما ذكرنا .

٢٥ - (المدرسة الفارسية) بين الامينية من الشرق والملكية من الغرب . ذكرها مجير الدين^(١) من المدارس الواقعة في شمال الحرم . وقال ان واقفها الامير فارس البكي بن الامير قطلو ملك بن عبد الله نائب السلطنة بالاعمال الساحلية والجبلية ونائب غزه . وهو المنسوب اليه الفارسية بداخل المسجد الاقصى^(٢) عند المكان الذي تجلس فيه النساء بالقرب من بئر الورقة والحاكورة التي بلسق المسجد عند الباب الشرقي والتي تعرف بحاكورة الفارسية .

ان السجلات التي عثرت عليها في المتحف الفلسطيني بالقدس ، ذكرت ان الامير فارس هذا قد انشأ في شمال الحرم بالقرب من باب العتم والى الشرق من المدرسة المالكية ، مدرسة اسمها : (المدرسة الفارسية) .

وقال مجير الدين انه (اي الامير فارس) وقف عليها جانباً من قرية طولكرم^(٣) ، وان كتاب الوقف مؤرخ في ٣ شعبان ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤ م . انها اليوم دار سكن . يقطنها الشيخ ابراهيم العموري .

٢٦ - (المدرسة الارغونية) من المدارس التي انشئت في عهد المماليك . واقعة تجاه المدرسة الجوهريه قبلي الطريق المؤدية الى (باب الحديد) من ابواب الحرم من الناحية الغربية . وهي متصلة بالمدرسة الخاقونية .

شرع في انشائها الامير ارغون الكامي^(٤) سنة

(١) الانس الجليل ٣٩٠ .

(٢) الانس الجليل ٣٨٥ .

(٣) هي اليوم مدينة كبيرة .

(٤) كان من رجال الملك كامل شعبان . ولاء الامارة . وترقي في الجيش وفي الادارة الى ان اصبح الحاكم المطلق في الشام وحلب . ولقد اوقف في القاهرة وسجن في الاسكندرية =

٢٧ - (المدرسة التثموية) باب الناظر
بالقرب من الحسنية . واقفها الأمير تشمير السيفي
من امراء الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون .
تاريخ وقفها ١٢ ذي القعدة سنة ٧٥٩ هـ -
١٣٥٧ م .

انها غير المدرسة الطشميرية التي بناها الأمير
طشمير العلاني بتاريخ ٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م . تلك
واقعة في طريق باب السلسلة وهذه باب الناظر .
وتاريخ وقف كل واحدة منها يختلف عن الآخر .

٢٨ - (المدرسة الخفية) انظر ما كتبناه عن
(المدرسة المعظمية) . واعتقد ان المدرستين
واحدة . لا نعلم عنها سوى ان السيد جارا الله
اللطفي^(١) كان مدرسا فيها ، وكان متوليا اوقافها
لقاء اجر قدره اربع عثمانيات . وذلك في سنة
١١٧٥ هـ - ١٧٦١ م . وله شركاء اخرون في
التدريس . وجاء ذكرها في سجلات المحكمة
الشرعية بالقدس قبل ذلك بعشر سنين
(١١٦٥ هـ - ١٧٥١ م)

٢٩ - (المدرسة الحكمة) لا نعلم عنها سوى
ان القاضي حسام الدين الحنفي^(٢) عين في صفر ٩٧١ هـ
- ١٥٦٣ م الشيخ زين الدين محمود بن الديري
الحنفي قارئاً فيها باجر يومي قدره عثماني واحد .

٣٠ - (المدرسة الاسعدية) بنيت حوالي
سنة ٧٦٠ هـ - ١٣٥٨ م . واقفها الخواجه محمد الدين
الفني بن سيف الدين ابي بكر بن يوسف
الاسعدي في ٢٠ ربيع الاول ٧٧٠ هـ - ١٣٦٨ م .

(١) راجع السجل ٢٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس
الصفحة ١٢٢ .

(٢) راجع السجل ٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس .
الصفحة ٥٠٠ .

ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٠ من كتابه الانس
الجليل . كانت في الازمنة الاخيرة عامرة . ولقد
رسمها المجلس الاسلامي اخيراً ، ونقل اليها دار
الكتب المسماة باسم المسجد الأقصى . واقعة
بالقرب من المدرسة الجاولية شمالي الحرم .

سكن في جانب منها قاضي القدس الشيخ
نسيب البيطار (١٩٤٦) . ثم سكن هناك
الشيخ ابراهيم العوري .

٣١ - (دار السلام القرائية) تجاه دار الحديث
في طريق باب السلسلة . واقفها سراج الدين عمر بن
ابي بكر ابي القاسم السلامي بتاريخ ٢٠ ربيع
الآخر سنة ٧٦١ هـ - ١٣٥٩ م . لم تبرج معروفة .

٣٢ - (المدرسة النجكية) ويسمونها غلطاً
النجيكية . انشأها الأمير سيف الدين منجك سنة
٧٦٢ هـ - ١٣٦٠ م وسميت باسمه . انها في طرف
الحرم من الناحية الغربية ، والى الشمال من باب
الناظر . ذكرها مجير الدين في كتابه (الانس
الجليل) ص ٣٨٩ وقال : « ان واقفها الأمير
منجك نائب الشام . وكان رسم له بالاقامة بالقدس
الشريف طرخان . فدخل اليها في شهر صفر سنة
احدى واربعين وسبعمائة . وفي بعض التواريخ انه
وصل الى القدس ليبنى المدرسة للسلطان الملك الناصر
حسن . فلما قتل السلطان ، بناها لنفسه ونسبت اليه »

ذكرها فان برشام فقال : « كان لها بهو كبير .
وللهو قوسان مفتوحان ومطلان على الحرم .
وواجهة القوسين من حجارة حمراء وبياض . وفوق
القوسين قبة » .

كانت لها اماكن موقوفة . وكان هناك ناظرأ

وكان فيها بنات من آل هداية (علمية) . ولما تأسس المجلس الاسلامي الاعلى خلال الربع الاول من القرن العشرين ضبطها واتخذها مقراً له ، وقد ضم اليها الدار المجاور لها والتي كانت تعرف فيما مضى بالمدرسة الحسنية .

٣٣ - (المدرسة المهدنية) بالقرب من الوجيبة عند باب الفواغة . واقفها عز الدين ابو محمد عبد العزيز العجمي الاردبيلي في ٣ محرم سنة ١٢٦٢ هـ - ١٣٦٠ م . وهي اليوم قسم من كلية روضة المعارف الوطنية .

انها الآن بيد الوقف . قسم منها الحق بكلية روضة المعاصف الوطنية ، والقسم الآخر مؤجر ، يقطنه جماعة من آل الشهابي .

٣٤ - (المدرسة الحسنية) على باب الاسباط . وهي آخر المدارس هناك . ويقال انها وقف شاهين الحسني الطواشي . انه من دولة الملك الناصر حسن المتوفي سنة ٧٦٢ هـ - ١٣٦٠ م . لم يكن لها حكم المدارس في النظام والشعائر . وانما صارت منزلاً للسكن .

كان لها عند باب الاسباط باب قد سد . ويظهر ان هذا الوقف قد درس مع الزمن . فانتقلت الدار ، ولا ندرى كيف تم ذلك ، الى جماعة من النصاري .

٣٥ - (المدرسة الطازجية) في طريق باب السلسلة من الشمال . تجاه تربة بركة خان بالتام ، والى الغرب من المدرسة الجالقية . يسميها البعض غلطاً التنزية . والحقيقة انها الطازجية نسبة الى مؤسسها الامير طاز^(١) .

(١) انه من ممالك السلطان محمد . عينه حاكماً على حلب (٨٧٥٥ - ١٣٥٤ م) بدلا من الامير ارغون الكامل . ثم نودي الى القاهرة (٧٥٩ هـ - ١٣٥٨ م) وفي الطريق اعتقل وسبق الى الكرك حيث سجن . ثم ذهب الى الاسكندرية ومنها الى القدس ، حيث عاش بطلا . ثم انتقل الى الشام حيث مات (٧٦٣ - ١٣٦٢ م) .

يديرها ، وجاب يحيى أوقافها ، وقراء يقرأون القرآن فيها ويعلمونه باجر معلوم . وكثيراً ما كان قاضي القدس يتولى التدريس فيها بنفسه . ولا غرابة فانه (اي قاضي القدس) كان المرجع الذي كان يرجع اليه في جميع شؤون هذه المدرسة .

ومن الذين تولوا التدريس في المنجكية قاضي القضاة شيخ الاسلام شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جمال الدين الديري الخالدي العيسى الحنفي . ولد سنة ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م . واستوطن القدس . وتولى التدريس في المدرستين المنجكية والمعظمية . توفي بالقدس سنة ٨٢٧ هـ - ١٤٢٣ م .

ومنهم قاضي القضاة وشيخ الاسلام سعد الدين ابو السعادات الخالدي . ولد بالقدس سنة ٧٦٨ هـ - ١٣٦٦ م وولي مشيخة المدرسة المنجكية والمعظمية . توفي سنة ٨٦٧ هـ - ١٤٦٢ م .

ومنهم مولانا كمال الدين . فقد كان هذا في سنة ٩٢٨ هـ - ١٥٢١ م شيخاً وناظرها . وكانت يتقاضى لقاء ذلك بارتين في كل يوم . ولما توفي تولى المشيخة والنظارة ولده مولانا موسى . وذلك بناء على توصية قاضي القدس شرف الدين وببراعة من السلطان تاريخها ١ صفر ٩٢٨ هـ . وقد اشترط في البراءة نفسها « ان يقرأ في كل يوم الفاتحة لروح الواقف وللسلطان بدوام دولته . . . » .

وفي سنة ٩٧١ هـ - ١٥٦٣ م عين القاضي حسام الدين الحنفي الشيخ محمود قارئاً باجر يومي قدره عثماني واحد^(١) .

تلاشت احوال هذه المدرسة مع الزمن ، ثم عمّرت ، واستعملت في اوائل الاحتلال البريطاني (١٩١٧) مدرسة ابتدائية لصغار الاولاد ثم داراً للسكن .

وقد وقفها هذا في السنة التي توفي فيها (٧٦٣ هـ - ١٣٦٢ م) .

ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٦ من كتابه الانس الجليل . والعالم الهولندي فان برشام . فقال انها كانت مدرسة وتربة . وقد اطلعنا في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على وثائق يستدل منها على انه كان ينتدب للتدريس فيها فطاحل العلماء بالقدس . نذكر منهم شمس الدين ابو العباس اقدمي . وكان هذا في الوقت نفسه متولياً قضاء القدس . توفي سنة ٧٨٢ هـ - ١٣٨٠ م . والشيخ محمود بن محمد الديري . فقد عينه القاضي حسام الدين الحنفي^(١) قارئاً ومدرساً باجر يومي قدره عثماني واحد (٩٧١ هـ - ١٥٦٣ م) .

انها في يومنا هذا (١٩٤٦) دار معدة للسكن . يسكنها جماعة من دار هداية . وقد كتب على بلاطة ثبتت فوق نافذتها الكلمات الآتية بالنسخ المملوكي الجميل وباحرف كبيرة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذه تربة العبد الفقير الى الله تعالى المقر الاشرف السيفي طاز توفي رحمه الله سنة ثلث وستين وسبع مئة » .

٣٦ - (المدرسة البارودية) بباب الناظر بالقرب من التشميرية . وقفها الست الحاجة سفري خاتون بنت شرف الدين ابي بكر بن محمود المعروف بالبارودي . ركان ذلك بتاريخ الاحد ٥ رجب ٧٦٨ هـ - ١٣٦٦ م انها اليوم دار سكن .

٣٧ - (المدرسة الخنبية) بباب الحديد . واقفها الامير بيد مر نائب الشام . وكان بناؤها في جمادي الاخرة سنة ٧٨١ هـ - ١٣٧٩ م . انها اليوم دار سكن . يقطنها جماعة من آل القطب .

٣٨ - (المدرسة اللؤلؤية) بخط مرزبان بجوار

حمام علاء الدين البصير من جهة الشمال . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٨ من كتابه الانس الجليل فقال ان واقفها الامير لؤلؤ غازي عتيق الملك الاشرف شعبان بن حسن . وكانت المدرسة موجودة سنة ٧٨١ هـ - ١٣٧٩ م . وهي الان عامرة .

٣٩ - (المدرسة اخاثونية) بباب الحديد غربي الحرم والى الشمال من باب القطنين . انها واقعة قبلي المدرسة الارغونية . واقفها اغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية . وكان ذلك في ٥ ربيع الثاني ٧٥٥ هـ - ٢٩ ابريل ١٣٥٤ م . ووقفت عليها مزرعة ظهر الجمل^(٢) . ثم اكملت عمارتها ووقفت عليها اصفهان شاه بنت الامير قازان شاه سنة ٧٨٢ هـ - ١٣٨٠ م .

ومن الذين تولوا التدريس فيها الشيخ زين الدين محمود بن الشيخ شهاب الدين احمد الديري . فقد عينه^(٢) القاضي حسام الدين الحنفي سنة ٩٧١ هـ - ١٥٦٣ م قارئاً ومدرساً فيها . وفي المدرسة اللؤلؤية معاً لقاء اجر قدره عثماني واحد في كل يوم . انها اليوم دار سكن . يسكنها جماعة من آل الخطيب . ودفن في جانب منها الامير محمد علي من امراء الهند المسلمين ومن رجالها العاملين .

يرى الزائر فوق الشباك المطل على الحرم من الناحية الغربية بلاطة كتبت عليها السطور التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم . ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم . . . هذا ضريح المجاهد العظيم مولانا محمد علي الهندي تغمد الله برحمته . توفي بلندن في النصف من شعبان ودفن بالقدس يوم الجمعة في الخامس من رمضان سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م » .

(١) الانس الجليل ص ٣٨٨ .

(٢) السجل ٤٤ : الصفحة ٥٠٠ .

(١) السجل ٤ : الصفحة ٥٠٠ .

تربة بركة خان الى الغرب . واجهتها الشمالية مطلة على طريق باب السلسلة . وفوق هذه الواجهة حجر من المرمر مكتوب عليه بالنسخ المملوكي وبأحرف كبيرة الكلمات التالية :

« أمر بإنشاء هذا المكان المبارك المقر الأشرف السيفي طشتمر^(١) العلاني بتاريخ سنة أربع وثمانين وسبعماية » - (١٣٨٢) م . ويجانب هذه المدرسة تربة دفن فيها الأمير طشتمر نفسه . كما دفن فيها ولده ابراهيم . وقد كتب على قبر هذه الكلمات :

« هذا قبر العبد الفقير الى الله تعالى المرحوم ابراهيم ولد المرحوم طشتمر العلاني . توفي الى رحمة الله تعالى في يوم الجمعة ثاني شعبان سنة خمس وتسعين وسبعماية » .

لقد اندثرت المدرسة مع الزمن . واصبحت دارا للسكن . والان يسكنها جماعة من عائلة الامام .

٤٢ - (المدرسة الجهاركسية) يحوار الزاوية اليونسية من الشمال . انها واليونسية بقايا كنيسة من بناء الروم قسمت نصفين : الاول جعل للمدرسة الجهاركسية ، والثاني للزاوية اليونسية . والجهاركسية سميت كذلك نسبة لواقفها الأمير جهاركس الخليلي أمير آخور الملك الظاهر برقوق . توفي قتيلا بدمشق في ربيع الآخر سنة ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م . ولا تزال معمورة .

٤٣ - (المدرسة الطولونية) بداخل المسجد فوق الروق الشمالي ، يصعد اليه في نفس الدرج الذي يصعد منه الى منارة باب الاسباط . انشأها شهاب الدين أحمد بن الناصري محمد الطولوني

(١) كان الأمير طشتمر ذا مكانة مرموقة في عهد المماليك البحرين . واشغل مناصب عالية في مصر والشام . نفي الى القدس في سنة ٧٨٤ هـ . وعاش بهام غير عمل ، الى ان مات ودفن فيها (٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م) . الانس الجليل من ٣٩٦ .

وفي نفس المكان ، وعلى جانب من ضريح محمد علي ، دفن الزعيم الفلسطيني المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية الذي توفي عام ١٩٣٣ . وهناك ايضاً قبر نجله عبد القادر الحسيني الذي اشتهر في معركة القسطل في ٩ نيسان ١٩١٨ م .

٤٠ - (المدرسة البلدية) الى الشمال من باب السكينة^(١) . هناك باب صغير يدخل منه الى غرفة فيها محراب . وفوق هذا الباب بلاطة من الحجر الكلسي نقش عليها الكلمات الآتية .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذه تربة المرحوم السيفي منكلي بغا الاحمدي كافل المملكة الحلبية تغمد الله تعالى برحمته ، توفي ودفن بها في جمادى الآخر سنة اثنين وثمانين وسبع مائة » . سبتمبر ١٣٨٠ م

ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٨٧ من كتابه الأنس الجليل . كانت فيما مضى تدعى (مدرسة منكلي بغا) نسبة لواقفها الأمير سيف الدين منكلي بغا الاحمدي . ويظهر انها اتخذت بمسند أيضاً مدرسة لآباء البلد ، فسميت (المدرسة البلدية) .

وقد ذكرها الاستاذ أحمد سامح بك الخالدي في الصفحة ٣٥ من كتابه : (اهل العلم بين مصر وفلسطين) فقال انه مدفون فيها مفتي السادات الشافعية الشيخ محمد الخليلي الذي توفي سنة ١١٤٩ هـ - ١٧٣٦ م . وقد ترك خزانة كتب .

كانت لحسن بك الترجان ، ثم باعها للوقف .

٤١ - (المدرسة الطشتمرية) واقعة قبلي الطريق المؤدية الى باب السلسلة عند ملتقى الطريق المذكورة بطريق حارة الشرف ، وعلى بعد ثلاثين متراً من

(١) انه الباب الملاصق لباب السلسلة من ابواب الحرم الغربية . ويسمونه (باب السلام) ايضاً .

بن ناصر الدين نائب وقف نصيبين ، بني في شمال الحرم مدرسة اسمها : (النصيبية) .

٤٦ - (المدرسة الفنوية) مقابل الطولونية من جهة الشرق . يصعد اليها من السلم الموصل الى منارة باب الاسباط . وهي من انشاء شهاب الدين الطولوني . عمرها مع مدرسته المتقدم ذكرها . وجعلها للملك الظاهر برقوق . فلما توفي برقوق وآل الامر لولده الملك الناصر فرج رتب لها قرى واقام نظامها وجعل لها معالم تصرف . ولما توفيت اخته خوند ساره ابنة الملك الظاهر برقوق وزوجة توروز نائب الشام دفنت بها (٨١٥ هـ) . ولما توفي الناصر فرج لم يكن لها كتاب وقف . فاشتراها بعد وفاته رجل من الروم يقال له محمد شاه بن الفكري الرومي . فوقفها ونسبت اليه وسميت الفنوية . ويقول مجير الدين ان الذي باعها ولد منشئها ابن الطولوني . وكانت هذه المدرسة قائمة في اوائل الفتح العثماني (٩٣٦ هـ - ١٥٢٩ م) . ولكنها درست مع الزمن . واصبحت مساكن .

٤٧ - (المدرسة الكاملية) بخط باب حطة بجوار المدرسة الكريمة من جهة الشمال . واقفها الحاج كامل من اهل طرابلس . ليس لها كتاب وقف . ولكن هناك محضراً كتب بوقفها بتاريخ ٨١٦ للهجرة - ١٤١٣ م .

كان متوليها في سنة ١١٧٥ هـ - ١٧٦١ م السيد جابر الله اللطفي ، وكان هذا يتقاضى (١) اجراً قدره ستة عثمانياً في كل يوم .

يشغل وقفها ، في يومنا هذا ، فريق من آل جابر الله .

الظاهري ، في زمن الملك الظاهر برقوق ، وعلى يد مملوكه آقبنغا سنة ٨٠٠ هـ - ١٣٩٧ م .

تولى التدريس فيها الامام العلامة شهاب الدين ابو البقاء احمد الزبيري المصري . قدم القدس سنة ٨٣٠ هـ - ١٤٢٦ م وتوفي فيها سنة ٨٥٤ هـ - ١٤٥٠ م وحضر جنازته نائب السلطنة مبارك شاه . لم اعثر لها على اثر في يومنا هذا .

٤٤ - (المدرسة النصيبية) في الجهة الشمالية من الحرم . واقعة غربي المدرسة الاسعدية ، بينها وبين المدرسة الجاولية . واقفها الامير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب قلعة نصيبين . ولي نيابة القدس وعمر بها مدرسة . وتوفي بدمشق سنة ٨٠٩ هـ - ١٤٠٦ م . ونقل الى هذه المدرسة . واما احباسها فقد اكلت . وهي اليوم عامرة . تقوم في جانب منها كلية روضة المعارف الوطنية .

هذا ما ورد عنها في (خطط الشام) لمؤلفها الاستاذ محمد كرد علي . واما مجير الدين فانه عندما اشار الى هذه المدرسة في الصفحة ٣٩٠ من كتابه (الانس الجليل) اسمها : (المدرسة الصيبية) وقال ان الذي وقفها هو الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب القلعة الصيبية . وكان ذلك في سنة ٨٠٩ - ١٤٠٦ م .

٤٥ - (المدرسة الصيبية) واقفها الامير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب القلعة الصيبية ولي نيابة القدس ، وعمر بها المدرسة ، وتوفي بالشام في سنة ٨٠٩ هـ ثم نقل الى القدس بعد مدة ودفن بمدرسته . ان مجير الدين (١) الذي نقل الينا خبر هذه المدرسة لم يذكر ويا للأسف ان هي واقعة . ولم نعثر لها على خبر الا في كتاب (خطط الشام) لمؤلفه الاستاذ محمد كرد علي . فقد قال ان الامير علاء الدين علي

واما الكلمات الباقية فقد محيت . وهي ليست بشكل يمكن قراءته . غير ان المنقبين الذين بحثوا الامر من قبلنا ، قالوا ان اصل هذه الكتابة كان كما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أنشأت هذه المدرسة المباركة الدر المصونة مصر خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن القادر في أيام مولانا السلطان الملك الاشرف خلد الله ملكه . وذلك بتاريخ شهر ربيع الاخر من شهر سنة ست وثلاثين وثمانماية » .

وهناك من يقول ان اسم الزوجة خديجة خاتون . وان زوجها هو الامير محمد بن القادر . وانها أسست هذه المدرسة اثناء ذهابها الى مصر او بعد عودتها منها . اذ ان بعلمها كانت ارسلها الى الملك الاشرف برسباي لتبرهن له عن خضوعه ولتطلب منه الافراج عن ولده الذي كان سجيناً في القاهرة .

كان لها في سنة ٩٧١ هـ - ١٥٦٣ م امام وبواب وفراش . وقصد اجر احمد حلي كاتب وقف القادرية في تلك السنة جميع الحان الكائن بباب القطنين مع الدكاكين الستة التابعة له الى الحاج سليمان بن يبرام شاه لمدة سنة باجار سنوي قدره ١٦ سكة . واما اليوم فانها خاربة تحفظ فيها نعوش الاموات .

٥٠ - (المدرسة الحسينية) بباب الناظر غربي الحرم فوق رباط علاء الدين البصير . واقفها^(١) الامير حسن الكشكيل ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس الشريف . وكانت بناؤها في سنة ٨٣٧ هـ - ١٤٣٣ م . ومقابلها تربة بها ضريح يقال انه قبر السيدة فاطمة بنت معاوية . وهي الان

٤٨ - (المدرسة الباسطية) شمالي الحرم ، قريبة من الباب العتم . مطلة على المدرسة الدويدارية . اول من اختطها وقصد عمارتها هو شيخ الاسلام شمس الدين محمد الهروي شيخ المدرسة الصلاحية وناظر الحرمين . ولكن المنية ادركته قبل اتمام عمارتها . فعمرها القاضي زين الدين عبد الباسط ابن خليل الدمشقي ناظر الجيوش المنصورة وعزيز المملكة . وقد وقف من اجلها بعض الاراضي والاملاك . وكان ذلك في سنة ٨٣٤ هـ - ١٤٣٠ م . ومن الذين تولوا التدريس فيها العالم المحدث شمس الدين أبو عبد الله محمد الشهير بابن المصري . توفي سنة ٨٤١ هـ - ١٤٣٧ م .

انها ما برحت عامرة . يسكنها جماعة من آل جابر الله . وهي تؤلف مع المدرسة الدويدارية جانباً من مدرسة البنات الاسلامية الحالية .

٤٩ - (المدرسة القادرية) ذكرها مجير الدين^(١) فقال : « انها بداخل المسجد . وقفها الامير ناصر الدين محمد بن القادر ، بعد ان عمرتها زوجته ، مصر خاتون . ولم يوجد لها كتاب وقف . فكتب محضراً من ماله بوقفها . وثبت في عصرنا في سنة ٨٩٧ هـ - ١٤٩١ م . وبناؤها في سلطنة الملك برسباي في شهر ربيع الاخر سنة ٨٣٦ هـ - ١٤٣٢ م » . واقعة شمالي ساحة الحرم بين باب حطة من الغرب ومثدنة اسرائيل من الشرق . وقد كتب على واجهتها بالخط النسخي المملوكي وباحرف كبيرة كلمات لم نستطع ان نتبين منها سوى الكلمات التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم الملك الاشرف خلد الله ملكه . وذلك بتاريخ شهر ربيع الاخر من شهر » .

(١) الانس الجليل ص ٣٩٤ .

(١) الانس الجليل ص ٣٩١ .

دار سكن يقطنها جماعة من آل البديري .

٥١ - (المدرسة العثمانية) بباب المتوضأ الى الغرب من ساحة الحرم . تجاه سبيل قايتباي . وقفتها امرأة من اكابر الروم اسمها : (اصفهان^(١)) شاه خاتون بنت محمود العثمانية (وتلقب بـ (خانم) . وكان ذلك في سنة ٨٤٠ هـ - ١٤٣٧ م . وعليها اوقاف ببلاد الروم .

هناك الكتابة التالية منقوشة^(٢) فوق مدخلها كتبت بالنسخ المملوكي وباحرف متوسطة .

« بسم الله الرحمن الرحيم . امرت بعمارة^(٣) هذه المدرسة المباركة الست الجليلة المحجبة اسفهان شاه خاتون ابنة المرحوم الامير محمود العثمانية الشهيرة بخانم لطف الله بها ووفق عليها الانتقال سنة اربعين وثمان مائة . وكان الفراغ من عمارتها في سلخ سنت^(٤) المذكورة . وذلك بهمة جميع الخواجا ولد صاطبي الرومي . . . »

ويظن ان الجملة الاخيرة كانت هكذا : « جميع الخواجات اولاد صاطبي^(٥) الرومي . »

من مدرسيها^(٦) « شيخ الاسلام والمسلمين ورأس العلماء المحققين الشيخ سراج الدين عمر بن ابي اللطيف المقي بالنديار القدسية . وقد تفرغ هذا بحسن اختياره ورضاه عما هو بيده ومستقرا باسمه بالبراءة الشريفة السلطانية عن نصف وظيفته المشيخة بالمدرسة العثمانية بالقدس الشريف المحمية بما لها من المعلوم وقدره في كل سنة خمسة سلطانية لمولانا

فخر المدرسين وزبدة الفضلاء المحققين الشيخ اسحق زيد فضله . وتنازل عن النصف الثاني لمولانا فخر المدرسين وامام المسلمين الشيخ طه بن المرحوم مولانا العلامة الشيخ شهاب الدين احمد بن جماعة . ومن مدرسيها^(٧) جابر الله بن ابي اللطف المقدسي . كان مفتي الحنفية بالقدس . وتوفي سنة ١٠٢٨ هـ - ١٦١٨ م .

ومنهم محمد بن عبد الحق ابو اللطف (جابر الله) . توفي سنة ١٠٣٣ هـ - ١٦٢٣ م .

ومنهم محمد بن حافظ الدين المقدسي . ولي افتاء الحنفية بالقدس وتدرّس المدرسة^(٨) العثمانية ١٠٥٧ هـ - ١٦٤٧ م . ومنهم محمد افندي المفتي . وقد كان هذا متولياً لاوقافها ومنها قرية كفرقرع (١١٣٠ هـ - ١٧١٧ م) . انها الان عامرة . ولكنها ليست بمدرسة . انها دار يسكنها فريق من آل الفتياي . وقد دفنت واقفتها في التربة المجاورة لسور المسجد الاقصى .

عمرها المجلس الاسلامي برياسة الحاج امين . ٥٢ - (المدرسة الجوهريّة) بباب الحديد تجاه المدرسة الارغونية وعلى بعد بضعة امتار من الباب المذكور الى الغرب . وقفها على رباط كرد الصفدي جوهر زمام الادارة^(٩) الشريفة في سنة ٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م .

كانت من المدارس المهمة . ومن الذين تولوا التدريس فيها كمال الدين محمد بن ابي شرف المقدسي^(١٠) .

(١) (اهل العلم بين مصر وفلسطين) للاستاذ احمد سامح بك الخالدي ص ٣٠ .
(٢) هذا التعبير ورد في (الانس الجليل) ص ٣٨٩ . ولسانديري ما هو المقصود منه .
(٣) السجل ٢١٣ الصفحة ٤٣ السنة ١١٣٠ هـ - ١٧١٧ م .
(٤) انه استاذ مجير الدين الحنبلي مؤلف (الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل) .
(٥) الانس الجليل ٣٨٨ .
(٦) فان برشام .
(٧) كذا في الاصل .
(٨) كذا في الاصل .
(٩) صاطبي اوساتي اسم مغولي .
(١٠) السجل ٦٠ ص ٧ التاريخ ٩٩٠ هـ - ١٥٨٢ م .

مكتوب على بابها : « بسم الله الرحمن الرحيم .
انشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى
الخودجكي الشمسي محمد بن الزمرد خان بتاريخ
٨٨٦ هـ - ١٤٨١ م .

انها الان دار يسكنها فريق من آل العفيفي .
وتشرف عليها مصلحة الوقف .

٥٥ - (المدرسة القرقشندية) ذكرها النابلسي
في رحلته فقال : انها قبالة بركة بني اسرائيل الواقعة
شمالي المسجد ، وهي لصيقة باب المسجد ، وفيها
قبر الشيخ القرقشندي .

هذا كل ما نعلمه عنها ، ولم يذكرها مجير الدين
في كتابه .

٥٦ - (المدرسة الاشرفية) ومن اسمائها السلطانية .
ويسمونها ايضاً المدرسة السلطانية والمدرسة الاشرفية .
ذكرها مجير الدين^(١) فقال انها داخل المسجد الأقصى
بالقرب من باب السلسلة . وزارها السائح الألماني
F. Fabri حوالي عام ١٤٨٠ فوصفها في كتابه^(٢)
وصفاً يطابق وصف مجير الدين .

بناها في الاصل الامير حسن الظاهري باسم
الملك الظاهر خوشقدم (٨٧٥ هـ - ١٤٧٠ م) وكانت
يومئذ تدعى السلطانية . ولما توفي الملك الظاهر ولم
يكن بناؤها قد تم ، رجا (اي الامير حسن) الملك
الاشرف قايتباي ان يتقبلها . فقبلها منه . ونسبت
اليه فسموها : الاشرفية . ورتب لها مشايخ وفقهاء

وقد تولى في نفس الوقت مشيخة الصلاحية . توفي
سنة ٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م . وله قصيدة مطلعها :

احيي بقاع القدس ما هبت الصبا
فتلك ربوع الأنس في زمن الصبا

ومن مدرسيها الشيخ محمود الديري . فقد
عينه^(٣) القاضي حسام الدين الحنفي سنة ٩٧١ هـ -
١٥٦٣ م قارئاً ومدرساً بأجر قدره عثماني واحد في
كل يوم .

يسكنها الان جماعة من آل الخطيب .

٥٣ - (المدرسة المزهرية) بباب الحديد تجاه
المدرسة الجوهريية . واقفها^(٤) المقر الزيني ابو بكر
ابن مزهر^(٥) الانصاري صاحب ديوان الانشاء
بالديار المصرية . بعضها راكب على ظهر المدرسة
الارغونية . ولها مجمع على أروقة المسجد . وكان
الفراغ من بنائها في سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م .

جانب منها اليوم خراب . والجانب الاخر
عامر ، يسكنه فريق من آل الشعباني . وهي
تحت اشراف مصلحة الوقف .

٥٤ - (المدرسة الزينية) من المدارس الكائنة
غربي الحرم ، فوق الايوان الذي بباب القطينين .
بابها من داخل الحرم ، أنشأها الخودجكي الشمسي
محمد بن الزمرد خان في سنة ٨٨٦ هـ - ١٤٨١ م .

(١) السجل ٤ : الصفحة ٥٠ .

(٢) الانس الجليل ص ٣٨٩ .

(٣) ورد هذا الاسم في بعض الكتب بهذا الشكل : زين الدين
ابو بكر بن مظهر الانصاري ، ومدرسته المظهرية . والاصل
ما ذكره مجير الدين : مزهر والمزهرية .

(١) الانس الجليل ص ٣٨٧ .

الناصرى سيدى محمد الحازندار ناظر الحرمين الشريفين عظم الله شأنه .

وعلى جانب آخر من نفس الجدار نقشت الكلمات التالية :

« امر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الامام الاعظم والملك المكرم السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي عز نصره فكان الفراغ من ذلك في شهر رجب سنة ٨٨٧ هـ - ١٤٨٢ م .

اليك وصفها كما كانت في زمن مجير الدين^(١) :
انها واقعة بجوار باب السلسلة . واكثر احجارها من الرخام . وهي ذات طابقين : سفلي وعلوي . فالسفلي منها هو المجمع الملاصق لرواق المسجد من جهة الشرق المقابل لثلاث قناطر من الرواق ولهذا المجمع بابان : الاول من الشمال ويجواره شباك مطل على الرواق الذي تحت المدرسة العثمانية . والباب الثاني من الشرق والى جانبه شباك كان . ويصدر المجمع محراب مما يلي الغرب ، وشباك مطل الى القبلة مما يلي الشرق . ويلصق هذا المجمع من القبلة دركاه بحكمة البناء يصدرها من جهة الغرب الباب المؤدي الى المدرسة العلوية . ويدخل من هذا الباب الى دركاه ثانية مفروشة بالرخام ، بها عن يمين الداخل خلوة صغيرة . وبصدر الدركاه مسطبة مرخة . وعن يسرة الداخل باب يصعد منه الى سلم متسع البناء يتوصل منه الى المدرسة العلوية والى منارة باب السلام . وعند انتهاء السلم باب يدخل منه الى ساحة سماوية مفروشة بالبلاط الابيض . وفي صدر هذه الساحة من الشمال باب مربع يدخل الى دركاه لطيفة بها عن يمين الداخل دهليز يتوصل منه الى المدرسة الراكبة على ظهر المجمع السفلي .

ومدرسين يدرسون التعاليم الصوفية . ولما زار قايتباي القدس في سنة ٨٨٠ هـ - ١٤٧٥ م ورأى المدرسة لم تعجبه . فامر بهدمها . وارسل (٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م) خاصكيا فهدمها . واعاد بناءها . مضيفا اليه بعض العماير . فبوشر بالبناء في ١٤ شعبان ٨٨٥ هـ - ١٩ اكتوبر ١٤٨٠ م وانتهى في ٨٨٧ هـ (سبتمبر ١٤٨٢ م) . وقد استخدم في بنائها مهندسا نصرانيا من مهندسي القاهرة . وقولى عمارتها القاضي فخر الدين بن نسيبة الحزرجي . فجاءت آية في الابداع . حتى ان مجير الدين الذي وصفها ووصف قبعتها قال : « انها الجوهرة الثالثة في منطقة الحرم بعد قبة الصخرة وقبة الاقصى » .

انها الى الغرب من ساحة الحرم ، والى الشمال من باب السلسلة . تمتد من باب السكينة او باب السلام من القبلة حتى المدرسة العثمانية من الشمال . كانت مؤلفة من طابقتين : واحدة علوية واخرى سفلية . ولعلها آخر المدارس الاسلامية الفخمة التي انشئت من هذا الطراز في بيت المقدس . هدم القسم الاكبر منها مع تقادم العهد^(١) . ولم يبق منها الا بعض الجدران ، ومدخلها الجميل الذي يدخل منه المؤذن ليؤذن من على المئذنة الواقعة في زاويتها القبليّة الشرقية .

وانك لتقرأ على الجدار الباقي من جدرانها الكلمات الاتية منقوشة بالنسخ المملوكي الجميل وباحرف كبيرة :

« امر بإنشاء هذه المدرسة الشريفة مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي عز نصره بتاريخ مستهل شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثمان مئة . وذلك في ايام مولانا المعز الاشرف

(١) ان الزلزلة التي حدثت سنة ٩٠٢ هـ - ١٤٩٦ م انت على القسم الاكبر منها . وانهدم رأس المئذنة القائمة بجانبها .

وهذه المدرسة العلوية تشتمل على أربعة اواوين متقابلة القبلي منها وهو الاكبر بصدوره محراب . ويحاذي المحراب من الشرق شباك مطلان على المسجد ، ومن الغرب شباك مطلان على السلم المتوصل منه الى المدرسة . وبالاويان المذكور من الشرق ثلاثة شبابيك مطلة على المسجد الى جهة صحن الصخرة . ويقابلها ثلاثة شبابيك على صحن المدرسة . والاويان الشمالي به شباك مطلان على المسجد من الشمال ، وشباك من الشرق . والاويان الشرقي وهو الكائنة به ثلاث قناطر على عمودين من الرخام ، وعلوها قربان من الزجاج الفرنجي في غاية البهجة والاتقان . ويقابلها الاويان الغربي وبه شباك مطل على صحن المدرسة ، مفروش ارض جميع ذلك بالرخام الملون . وحيطانه مستديرة عليها الرخام وهناك شباك مطلان على الاويان الشمالي . وعلى ظاهر هذا البيت طبقة لطيفة ، بها شباك مطل على داخل المدرسة وشباك مطل على الساحة الساهوية . وبالساحة المذكورة الساهوية باب يدخل منه الى ساحة اخرى ، بها الخلاوي المعقودة والمتوضأ والمنافع مركب جميع ذلك على الاويان القبلي والشرقي وغيرهما من المدرسة البلدية . وعلى ظاهرها الرصاص المحكم كظاهر المسجد الأقصى . كان الناس قديماً يقولون : في مسجد بيت المقدس جوهرة ثان : قبة الجامع الأقصى وقبة الصخرة الشريفة . قلت (مجير الدين) وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة .

ويظهر ان المدرسة السلطانية كانت قائمة عندما زار بيت المقدس السائح الاسلامي المشهور عبدالغني النابلسي (١٦٨٩ م) اذ انه وصفها في رحلته بالسطور التالية :

رأينا باباً عظيماً مصنوعاً من الاحجار المنحوتة

الملونة المحفورة ، وعليه رواق المدرسة مبني بالأعمدة الرخام والاحجار العظام والعقد المقيى العالي . وصعدنا نحو خمسين درجة . على درج ملفوف مشترك مع درج المنارة . وفي الدرج شبابيك كبار من النحاس مطلات على الحرم . وصعدنا من ذلك الدرج الى عمارة (وذلك على مقدار النصف من درج المنارة) فعبثنا الى مكان واسع الفضا مزخرف الجوانب يطل عليه اربعة من شبابيك المدرسة . ثم عبرنا من باب آخر مصنوع بالاحجار المنحوتة والزخارف والكتابات . فوجدنا مشى صغيراً مبليطاً بالرخام والدقيق الملون من الاحجار العظام . وهناك جهتان مشتملتان على بابين : احدهما الى اليمين والآخر الى الشمال . فالشمال يتوصل منه الى المنافع . والايمان ذو مصراعين . فدخلنا منه الى ميدان مفروش جميعه بالسماقي الملون والرخام الأبيض ومسقوف بالسقوف العجمية المدهونة ، فاذا هي قاعة متقنة البناء محكمة الاركان واسعة مشرقة تشتمل على اربعة ايوانات ، وهي بالسقوف العجمية المدهونة وجميع جدرانها من داخلها معمولة بالرخام والحجر السماقي في الرخام وانواع الفصوص والاحجار . وارضية الايوان الاربع مفروشة ايضاً بالسماقي والرخام وانواع الاحجار والفصوص الملونة . ايوانات كبيران متقابلان : القبلي منها فيه المحراب وايوانات صغيران متقابلان . وارتفاع سقوف الايوان والمدرسة يسامت تلك المنارة . وفي احد الايوانين الصغيرين شباك مطلان على الساحة العلوية . وفي الايوان القبلي من الشرق ثلاثة شبابيك مطلات على الحرم . وفي الجهة القبلي اربعة شبابيك كبار احدها مطل على الحرم من جهة القبلة . وفي الايوان الشمالي شباك كبيران من الجهة الشرقية مطلان على الحرم وسطح الصخرة .

وهي من بناء السلطان الملك الاشرف قايتباي
الشركسي .

(المدرسة الاشرفية) الآن وقف . فيها منزل
مدرسة الايتام الاسلامية . وعند مدخلها مدفن فيه
قبر « الشيخ محمد الياني » . ويجانبه من الشمال غرفة
كبيرة كانت جامعاً وكانت تدعى (السلطانية) .
وهي الآن مخزن للشمع والزيت والحصار وادوات
المسجد الاخرى .

هذه مدارس القدس . وقد اقيم معظمها - كما
رأيت - من قبل الملوك والامراء . ولم تقم من لدن
الشعوب والحكومات . ولذلك لم يكتب لها البقاء
كما كتب للمدارس الاجنبية التي انشأتها بعثات التبشير
والارساليات الاجنبية في القدس .

وهناك مدارس سمعنا بوجودها ، وقرأنا عنها
بعض الشيء في السجلات القديمة ؛ غير أننا لم نهند لمعرفة
منشئها . ومنها : (المدرسة المهارية ^(١)) و (المدرسة
القادرية ^(٢)) و (المدرسة الحنفية ^(٣)) و (المدرسة
الصامطية ^(٤)) و (المدرسة الحمراء ^(٥)) . وقد حدثني

(١) كل ما نعرفه عن هذه المدرسة انها كانت بباب حطة
(السجل ٢١٣ سنة ٥١١٣٠هـ) وانها كانت بتصرف الشيخ
زين بن المرحوم علاء الدين امام قبة البرك .

(٢) كل ما نعرفه عن هذه المدرسة انها كانت بداخل المسجد
الاقصى ، وان فخر المدرسين الكرام حسن افندي
المربعلي (المرعشي؟) حصل على اذن من القاضي
بتمجيرها ، فعمرها بمبلغ قدره تسعة عشر قرشاً وستة
وعشرين قطعة مصرية السجل ٢١٣ سنة ٥١١٣٠هـ .
(٣) قرأت في السجل ٢٢٨ الصفحة ١٠ ان لها مدرسا ووقفا
ومتوليا (٥١١٤٨ - ١٧٣٥) .

(٤) جاء في السجل ٢٤١ الصفحة ٥٣ انها واقعة بواد الطواحين
بالقدس الشريف (٥١١٧٠ - ١٧٥٦) .

(٥) جاء في السجل ٢٤١ الصفحة ٦١ انه كان لها امام
(٥١١٧٠ - ١٧٥٦) .

وفي الابواب الشمالي شباك من الجهة الشمالية
مطلان على الحرم .

وقصارى القول انها مدرسة عظيمة لم يبن في
الدنيا (؟) مثلها كما يشهد به الجبل بعد الجبل .

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في مدحها
قصيدة نقبس منها الايات التالية :

سلطانية في القدس كنسا
تقابل فوقها طورا بطور

بنيت برفرف عال شريف
ونصبح في ذرى اعلى القصور

وتلك اجل مدرسة تسامت
بانواع المحاسن في الظهور

بها الحرم المقدسي قد تجلى
لساكنها بانواع الحضور

وقبة صخرة لله منها
تلوح رفيعة شبه البدور

وتبدو قبة الاقصى وباقي
قباب ثم قد حفت نسور

واسفل ذاك حوض الماء يجري
وسبع الصدر ضحاك الثغور

وجانبه انايب تحاكي
مراشف ثغر ربات الخندور

سكنا مدة فيها كأنا
يحنات النعم وبالنهور

وما رأت العيون لها نظيراً
وليس نرى على مدى الدهور

ثم قال :

مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي (١٩٥٦ م)
ان هذه المدرسة كانت في حارة النصارى ، في
نفس الموقع الذي كانت تقوم عليه مدرسة في العهد
التركي ، وقد تلقى فيها علومهم الاولى كثيرون
من ابناء القدس ، وهي واقعة فوق المسجد
العمرى المطل على ساحة كنيسة القيامة من القبلة .
وقد اتخذت مع الزمن مسكناً يسكنه جماعة من آل

العلمي . اعرف منهم في يومنا هذا (١٩٥٦) الحاج
عبد القادر العلمي ومصطفى زهدي العلمي وعبد
المطلب العلمي والشيخ عبد المعطي العلمي . وقد
رأيت آثار محراب قديم في الغرفة التي يقيم فيها الحاج
عبد القادر ، وهي مطلة على الطريق العام المعروفة
بـ طريق حارة النصارى تجاه الدرج المؤدي الى خان
الاقباط .





الباب الخامس
القدس في عهد
الأتراك العثمانيين

★ القدس .. كيف ومتى فتحها السلطان سليم ؟

★ القدس .. في الفترة الواقعة بين حكم السلطان

سليم الاول والسلطان سليم الثالث

★ القدس .. ونابليون

★ القدس .. في الفترة الواقعة بين حكم السلطان

مصطفى الرابع والسلطان محمود الثاني

★ القدس .. وابراهيم باشا

★ القدس .. في اواخر الحكم التركي

★ القدس .. ومعالم الحكم التركي فيها

كيف ومتى فتح السلطان سليم الاول القدس

وحاه ، ثم الى دمشق . ففتحت هذه المدن كلها ابوابها له .

٢ - قال ابن اياس : « كان مع الجيش التركي يومئذ عجلة من خشب تجرها ابقار ، وفيها رماة بالبندق الرصاص . وكانوا نحو ثلاثين عجلة او فوق ذلك . وعرض جمالا فوقها مكاحل ورماة يرمون بالبنادق الرصاص من المكاحل . وعرض طوارق خشب بسبب الرماة بالنشاب » .

« وذكر الجنود المغلوبون يومئذ ان مع عسكر ابن عثمان رماحا بكلايب ، يخطفون بها الفارس عن فرسه ويلقونه على الارض . وقيل عنهم انهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم ، وان معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها ابقار وجواميس في اول العسكر . واشيع ايضا ان عسكرا بن عثمان يقتلون الناس من غير شفقة ولا رحمة ، وانهم يتجاهرون بالمعاصي والفسوق ، وانهم لا يصومون شهر رمضان ، ويشربون فيه الخمر والبوزة ، ويستعملون فيه الحشيش ، ويفعلون الفاحشة في الصبيان المرد في شهر رمضان ، وان ابن عثمان لا يصلي صلاة الجمعة الا نادرا » .

٣ - بعد ان احتل السلطان سليم الشام ، سار الى فلسطين ، والتقى بكتائب اخرى من جيش طومان باي قرب اللجون . فاحترب الفريقان : المماليك والأتراك . فكان النصر هنا ايضا حليف الأتراك . وكان يقود جيشهم سنان باشا ، ومعه ضباط ماهرون نذكر منهم : يونس باشا ، واسكندر باشا ، وداود باشا . واما جيش المماليك فكان

قلنا في آخر فصل المماليك : ان السلطان قانصوه الغوري لم يكتف بالترحيب به (قورقود) الذي اختلف مع اخيه السلطان سليم العثماني والتجأ الى مصر ، بل جهزه بعشرين بارجة بحرية لافتتاح القسطنطينية ؛ الامر الذي اثار غضب السلطان سليم ، وجعله يفكر في افتتاح الشام ومصر ، والقضاء على سلطة المماليك فيها .

فخرج السلطان قانصوه الغوري للقائه ، واناب عنه في مصر ابا النصر طومان (١) باي . وسار هو بجيشه ، حتى التقى بالسلطان سليم . فقامت بين الفريقين معركة عند (مرج دابق) كان النصر فيها حليف العثمانيين . وقتل فيها من الجانبين خلق كبير (٥٩٢٢ - ١٥١٦ م) .

كانت قوة الأتراك في تلك المعركة مؤلفة من ثمانين الف مقاتل (٢) . واما عساكر الغوري فقد كانوا خمسين الفا . ويقول المؤرخ التركي احمد راسم انه كان في الثمانين من عمره . ولما هرب من الميدان اصابته (نزلة) . فمات من جرائها . فدخل السلطان سليم حلب من غير حرب . ومنها سار الى حمص

(١) اصله من مماليك قايتباي . ثم اشتراه الملك الاشرف قانصوه الغوري . وظل يترقى في مناصب الدولة حتى ناب عن السلطان يوم خروجه لمحاربة ابن عثمان كما تقدم . وساس الناس ، فرضوا عنه ، واطاعه الجند . ولما مات السلطان الغوري ، وقع اختيار الامراء عليه ، فسلطوه . ٥٩٢٣ .

(٢) هذا ما اتفق عليه اكثر المؤرخين . الا المؤرخ التركي احمد راسم فقد قال في الصفحة ١٩٧ من كتابه (عثمانلي تاريخي) طبعه في استانبول ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م ان الجيش التركي كان يومئذ مؤلفا من اربعين الف مقاتل .

ضعيف - انه سمه . وقد قاتل اخويه قورقود واحد وقتلها . وبفضل انتصار العساكر المعروفين بال : (يكيجرية) الذين احبوه لشجاعته ، تمكن من خلع ابيه^(١) والاستيلاء على كرسي السلطنة . وقد تم ذلك في الثامن من شهر صفر سنة ٩١٨ هـ - ١٥١٢ م .

ومن قائل انه (اي السلطان سليم) نابغة بني عثمان . . . وانه كان رجلاً نافعاً وقديراً . . . وانه كان ينوي ان يجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية بدلا من التركية يوم افتتح مصر والشام وخطب له في الحرمين الشريفين . ولكن الروايات التاريخية التي وصلتنا تشير بمعظمها الى القوة والبطش وما الى ذلك من الصفات التي كان يتصف بها هذا السلطان اكثر من غيرها .

٤ - عندما دخل السلطان سليم القدس زار قبور الانبياء^(٢) ، ورأى الاماكن المقدسة والاثار القديمة . ولكنه لم يمكث فيها سوى بضعة ايام . فغادرها الى مصر ، قاصداً فتحها . وقبل ان يغادرها وفد عليه شيوخ البلاد الجبلية من نابلس وصفد والخليل . فقدم اليه كل واحد منهم مفتاح قلعته . وسلمه رايته .

وقد اولم له سكان القدس قبل سفره وليمة اقاموها في الفناء الواسع حول الصخرة . واتوا له ولجنده بالطعام في اوان كانوا يسمونها في ذلك الحين : (الهنايب) . وهي اوان خشبية مقعرة مثل الطناجر النحاسية . فتساءل السلطان عن السبب فقال له الاهلون : (نحن فقراء) . ثم بحثوا له عن

(١) وفي قول انه سمه . ولكن احمد راسم الذي اشار الى شائبة (السم) هذه ، قال انها رواية ضيقة لم يستطع ان يتأكد من صحتها .

(٢) سر كيس ١٩٠ .

يقوده (خيره باي) و (جان بردى الغزالي^(١)) . وقد انكسروا في موقعة اللجون ، وعادوا القهقري . فلم يبق امام السلطان سليم ما يعيقه عن احتلال القدس . فاحتلها دون قتال . وكان ذلك بتاريخ (٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م^(٢)) .

انه هو التاسع من آل عثمان . ويكنى (بياووز) اي الجبار . وقد اختلف المؤرخون في وصفه . فمنهم من قال : انه كان قوي البطش ، كثير السفك ، عظيم التجسس . ما جلس على سرير الملك جلوساً عاماً ، ولا رآه احد ، ولا انصف ظالماً من مظلوم . وانه كان شغوفاً بلذته وسكره ، واقامته بين الصبيان المرد . وما كان له امان اذا اعطاه لاحد من الناس ، وخلق اخوته وكثيرين من اهل بيته . وقد اخذ الخلافة غصباً من الخليفة المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله يعقوب آخر خلفاء بني العباس بمصر ، واخذه معه الى الاسطانة ؛ وبعد ان اعطاه الامان ، خانه ، فنفاه الى مكان بعيد .

كان على خلاف شديد مع اخويه قورقود واحد من اجل (ولاية العهد) . وقد اشار الى هذا الخلاف المؤرخ التركي احمد راسم في كتابه (عثمانلي تاريخي^(٣)) فقال : انه (اي سليم) قبل ان يصبح سلطاناً حارب اياه . وفي قول آخر - وهو قول

(١) جاء في كتاب (عثمانلي تاريخي) ل احمد راسم ، ص ١٩٨ ، ان (خيره باي) نجح من القتل بالنجاح الى الاتراك . واما جان بروس فقد ولاء السلطان سليم مصر . ثم ولاء امور الشام .

(٢) اتفق اكثر المؤرخين على ان هذا هو التاريخ الذي فتح فيه السلطان سليم القدس . وان كان بعضهم قد اشار الى غير ذلك . ومن هؤلاء مدير الآثار بحكومة فلسطين المستر ريشموند . فقد جاء في الصفحتين ٣٧ و ٣٨ من كتابه (Dome of the Rock) ان الاتراك فتحوا القدس عام ١٥١٢ م .

(٣) ج ١ ص ١٧٣ .

٦ - ولما توفي السلطان سليم الاول تبوأ العرش ولده السلطان سليمان الاول الملقب بالقانوني (١٥٢٠ م) . وعلى عهده قامت بالقدس المنشآت الآتي ذكرها :



« السلطان سليمان القانوني »

انه هو الذي جدد عمارة سور القدس ، وقد دامت عمارته خمسة اعوام (٩٤٣ - ٩٤٧ هـ) (١٥٣٦ - ١٥٤٠ م) . ورقم القلعة (٩٣٨ هـ - ١٥٣١ م) . وعمر بركة السلطان الكائنة على طريق المحطة الى الجنوب من باب الخليل . والسبيل الواقع قبال البركة المذكورة . والسبل الكائنة في طريق الواد ، وفي ساحة الحرم الى الشمال من باب شرف الانبياء ، وعند ملتقى الطريق المؤدية الى طلعة التكية وباب الناظر من ابواب الحرم ، وبالقرب من باب الاسباط^(١) (٩٤٣ هـ - ١٥٣٦ م) ،

(١) طُمت معالم هذا السبيل في اواسط القرن العشرين ، عندما حُيت الكتابة التي كانت منقوشة عليه ، بفعل احد الملاكين المجاورين !

تسلط العربان وسكان القرى المجاورة . فقررت تعمير السور .

هذا هو احد الاسباب التي ذكرت لتعمير السور . ولكنني اشك فيه . واعتقد ان الاسباب التي حدثت بمن سبقه من الملوك والحكام حدثت به هو ايضا لتعمير السور ، وهي خشية اعتداء الجيوش القوية التي لم تنقطع في عصر من العصور من عبور فلسطين ، سواء من الشمال او من الجنوب .

٥ - بعد ان فتح السلطان سليم مصر ، وقام بها عشرة اسابيع دبر خلالها شؤونها ، ووضع لها نظام جعلها بموجبها ولاية من ولايات السلطنة العثمانية^(١) ؛ رجع الى سورية (٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م) مستصحباً معه آخر الخلفاء من بني العباس ، محمد المتوكل على الله^(٢) ، الذي تخلى له عن الخلافة الدينية ، وسلمه مفاتيح الحرمين . فاصبحت القسطنطينية مقر الخلافة الاسلامية . وراح السلطان يلقب بخادم الحرمين . واصبح الامر النهائي في تركيا ومصر والشام .

وبعد ان اقام على الشام جان بردي الغزالي نائباً للسلطنة ، وازاد اليها القدس وغزه وصفد والكرك ، ودبر شؤون الشام ؛ رجع الى عاصمة ملكه . فاته سفير من ملك اسبانيا يسأله ان يبيع للنصارى الحج الى اورشليم ، كما كانت الحال في ايام المماليك ؛ فاجابه السلطان الى ذلك شريطة ان يدفعوا المبلغ الذي كانوا يدفعونه قبلا الى المماليك .

(١) (تاريخ سورية) للطران يوسف الدبس ج ٤ ص ١٤ .

(٢) بعد سقوط بغداد بيد التتر (٩٥٦ هـ - ١٢٥٧ م) انتقل الخلفاء العباسيون الى مصر . وكان بها منهم خمسة عشر خليفة آخرهم هو هذا : المتوكل على الله .

وهو الذي عهد بحراسه طريق القدس - يافا الى آل أبي غوش ، وأجاز لهم ان يحصلوا من السياح الذين يسلكون تلك الطريق بعض العوائد المقررة (٩٢٦ هـ - ١٥٢٠ م) .

وقصارى القول كان عهد السلطان سليمان من أكثر العهود التي مرت بالقدس وهي مليئة بالحوادث الجسام . وهو ، في الوقت نفسه ، من أكثر العهود التركية خصباً من حيث الحوادث والمنشآت .

٧ - ولقد تولى السلطنة بعده ابنه السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ م) . فالسلطان مراد الثالث ابن سليم الثاني (١٥٧٤ م) . فالسلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث (١٥٩٤ م) . فالسلطان أحمد الاول بن محمد الثالث (١٦٠٣ م) . فالسلطان مصطفى الاول بن محمد الثالث (١٦١٧ م) . فالسلطان عثمان الثاني بن أحمد الاول (١٦١٧ م) . فالسلطان مصطفى الاول بن محمد الثالث للمرة الثانية (١٦٢١ م) . ولم يرد ذكر كثير للقدس في أيام هؤلاء السلاطين . سوى ان (التبغ) عُرف لأول مرة في هذه البلاد على عهد السلطان أحمد الاول (١٦٠٣ م) . وفي زمنه أيضاً حُرِّم بيع الخمر .

٧ - وأما في زمن السلطان مراد الرابع (١٦٢٢ م) فقد حدثت بالقدس حوادث تستحق الذكر : منها انه حظر على الناس شرب القهوة وتدخين التبغ (١٦٢٣ م) .

وقد اختل الأمن بدرجة ان الاشقياء وقطاع الطرق كانوا يوقفون السابلة ، وينهبون ما لديهم من امتعة ونقد . والانكى من ذلك انهم كانوا يخرجون ينابيع المياه . وكان اهل القدس يقاسون الامر الذي حدا بالسلطان مراد الى اقامة قلعة سميت باسمه :

وعند باب السلسلة امام المدرسة التنكزية^(١) . وهو الذي عمر قبة الصخرة (١٥٤٢ م) واعاد تبليطها ، وعمر جدران الحرم وابوابه ، وسد الباب المعروف بالباب الذهبي في الحرم ، وفتح الباب المعروف بباب ستنا مريم ، وعمر الباب الغربي لقبة الصخرة ، وجدد القاشاني الذي نراه في قبة السلسلة من الداخل (١٥٦٦ - ١٥٦٩ م) .

وانشأ مسجداً فوق جبل الزيتون (الطور) ١٥١٧ م . انشأه في الموضع الذي كانت تقوم عليه كنيسة الصعود .

وعلى عهده انشئت التكية المعروفة بتكية خاصكي سلطان في عقبة المفتي . انشأتها زوجته الروسية روكسيلانة (١٥٥٢ م) . والمدرسة الرصاصية^(٢) (١٥٤٨ - ١٥٤٠ م) . والذي انشأها هو الامير بايرام جاويش الذي كان مناظراً لعمارة السور .

وعلى عهده سكت فلوس جديدة سميت باسمه : (القطع السلطانية) او (الفضة السلطانية) . وفرض على الحجاج المسيحيين رسوماً يدفعونها لدى ولوجهم كنيسة القيامة .

(١) يقول مخبر الدين في الصفحة ٦٦١ من كتابه (الانس الجليل) ان هذا السبيل من بنا السلطان الملك الاشرف قايتباي ، وانه بناه عندما عمر المدرسة الاشرفية القريبة من باب السلسلة (٨٨٧ هـ - ١٤٨٢ م) . ولما كتبت قراءات اسم السلطان سليمان منقوشاً عليه فاني عند حد الاعتقاد ان يكون الملك قايتباي هو الذي انشأه ، والسلطان سليمان هو الذي عمره بعد خرابه .

(٢) كانت هذه المدرسة في حارة الواد داخل السور . وكانت هي الوحيدة التي اعد لها الاتراك لتعليم ابناء القدس تعليمهم الابتدائي . وفيها تلقى الكثيرون ، ومنهم المؤلف ، تعليمهم الابتدائي . واما التعليم الثانوي فكان في (المدرسة الممونية) على مقربة من باب الساهرة داخل السور ايضا .

نسخة فوتوغرافية لهذا المخطوط ، واخرى باللغة الانكليزية ، ترجمها وضبط حواشيها امين المكتبة المذكورة الاستاذ اسطفان حنا اسطفان ؛ وها انا ذا مدون فيما يلي ، بوجه الايجاز ، ما قاله عنها :

« القدس بلد عظيمة ، كائنة على هضبة مرتفعة . هواؤها عليل ، وماؤها عذب ، وسكانها نضار الوجوه . انها مهوى افئدة الكثيرين من الناس ، لا من حيث قدسيتها فحسب ، بل من حيث اقتصادياتها ووفرة حاصلاتها ايضاً » .

ثم مدح ما كولاتها ومشروباتها . فوصف خبزها ، وعنبها المتنوع الاشكال والطعم والالوان ، وصابونها المسك ، وعطرها ، وبخورها ، ومباخرها النحاسية . وذكر في نفس الوقت محاجرها الكثيرة ، وجبالها المليئة باشجار الزيتون ، وارضها المغطاة بالكروم والبساتين . الى ان قال : انه كان فيها يومئذ ثلاثة واربعون الف كرم . وانه رأى الفاً وخمسة مئطرة قائمة في وسط هذه الكروم . وان الاراضي الكائنة بين باب الخليل والبقعة خالية من الدور والمنازل ، ومليئة بالكروم والبساتين . وانه ما من احد من سكان القدس الا ويعيش في كرم من هذه الكروم شهرين او ثلاثة شهور في السنة . ووصف (البقعة) من هذه الناحية ، فاسماها لهذا السبب : (باغستان) . الى ان قال : « فيها عدد كبير من الاغنياء والعلماء والاشراف والفضلاء والرجال الذين ينتمون الى الطريقة المولوية ، ويتقاضى الواحد منهم خمسية (آقجة)^(١) . كما ان فيها عدداً كبيراً من التجار ، وارباب الحرف ، وهؤلاء يعملون بالقول المأثور : الكاسب حبيب الله » .

(قلعة مراد) . وذلك عند برك سليمان الكائنة على طريق الخليل . وأقام على حراستها دزداراً واربعين جندياً ، بمدافعهم واسلحتهم ومهماتهم الحربية . وقد انشأ في داخل هذه القلعة مسجداً ، وخمسين منزلاً صغيراً لسكنى الجنود .

٩ - وبعد وفاته تولى السلطنة ابراهيم بن احمد الاول (١٦٣٩ م) . ثم تولاه ابنه السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ م) . وعلى عهده بنيت المئذنة الكائنة بداخل القلعة (١٦٥٥ م) . وانشى المصلى الكائن بجانب سبيل شعلان (١٦٥١ م) .

ولقد عثرنا بين سجلات^(١) المحكمة الشرعية بالقدس على بلاغ اصدره رئيس وزراء هذا السلطان تاريخه رجب سنة ١٠٨٤ هـ - ١٦٧٣ م . ومنه يفهم ان الممالك العثمانية اتسعت يومئذ الى درجة انها اصبحت تضم بين دفتيها « ديار الروم وطمشوار والبوسنة وسكتوار وبلاد الاناضول وقرمان وجميع ديار العرب والكردي واطليم القرم وجزيرة كريد وروودس وقبرص وذو القدرية وشهر زود وديار بكر وحلب واورفه وقارص ووان وحلب وارض الشام ودار السلام ودار الخلافة بغداد واهم وكوفة وبصره والحسا وسواكن الحبش ومصر دار انصر ودار الجهاد والجزائر وتونس وحلق الواد وطرابلس الغرب وسائر الممالك والبلدان على الخصوص دار الامن والامان استانبول » .

١٠ - ان احسن وصف للقدس ، خلال ذلك العهد ، للسائح التركي المشهور اوليا جلي الذي زارها حوالي سنة ١٦٧٠ للميلاد ، وكتب عنها الشيء الكثير في مخطوط اسماء : (اوليا جلي سياحتنا مهسي) . وقد عثرت في مكتبة المتحف الفلسطيني بالقدس على

(١) انظر الى الصفحات التي خصصناها لبحث النقود والمسكوكات في آخر هذا الفصل .

(١) السجل ١٤٥ الصفحة ٤١٩ .

ذوق ، واهل طرق ، ودرأويش متصوفون .

« وفي القدس ايضا الفان وخمسة واربعون دكانا ، كلها مبنية بالحجارة والعقود المقنطرة . وفيها ستة خانات عظيمة . واسواق كثيرة منها : (سوق السلطان) وهو اشهرها . والمسؤول عن ادارة السوق هو (المحتسب) ويلقب بالآغا . ومن واجباته ان يحفظ سجلا يدون فيه اسماء التجار واصحاب الدكاكين . وللسوق خان تحفظ فيه جميع البضائع والامتنعة القيمة .

ومن اسواق القدس : (السوق الطويل) تباع فيه الصحنون والفناجين وآلات الطهي وادوات المنزل . و (سوق الحلاجين) يعمل فيه الحلاجون والندافون وتجار القطن . و (سوق الفلال) تعرض فيه جميع انواع الحبوب والغلة . و (سوق الحرير) . والسوق القريب من باب السلسلة . و (سوق البزازين) . ولهذا السوق باب من حديد . وفي القدس عدد غير قليل من الصياغ وتجار الحلي والمجوهرات . وليس على وجه البسيطة نوع من انواع الصياغة ، الا وفي القدس مثلها .

وجميع هذه الاسواق مسقوفة بالعقود المقنطرة ، ومرصوفة بالبلاط النقي . والطريق الكائنة بين سوق الفلال وكنيسة القيامة والمسجد العمري مرصوفة بالبلاط من الحجم الكبير .

ويظهر من الاسلوب الذي اتبعه هذا السائح في وصف القدس ، انه كان مرتاحا كل الارتياح لكل ما رآه فيها وسمعه عنها ، خلا مسألة (الامن) . فقد قال عنه : « انه كان مفقوداً بالمرة » حتى انه عندما ابدى رغبته في زيارة الخليل امام امير اللواء ، ارفقه هذا بعشرين خيالا كانوا في حراسته منذ

« عد جاويش زاده محمد باشا^(١) سكان المدينة ، فوجد انهم ٤٦,٠٠٠ نسمة ، ينتسبون الى مختلف الامم والطوائف . بيد ان اكثرهم عرب مسلمون . بينهم عدد من اهل الوظائف في الحرم ، لا يقلون عن الالف ، ويتناولون راتبهم من الذهب الذي يأتي به (امين الصرة) من الآستانة في كل سنة . اغنياؤهم يلبسون السمور ، والقنباز المصنوع من الجوخ الممتاز ، والثياب المنسوجة من الصوف المعروف بالجلالي . وفقراؤهم يلبسون العباءة من النوع المعروف بـ (الاجه عبا) ، والقنباز المصنوع من الجوخ العادي ، والثياب المصنوعة من الصوف الابيض . ونساؤهم متأدبات . يلبسن على رؤوسهن طاقيات مصنوعة من الذهب او الفضة . ويلتفنن بالملايات البيض . ويحتذين الاحذية المقفولة المعروفة بالجزم .

« في القدس ستة حمامات^(٢) هي : حمام ستنا مرآيم ، وحمام السلطان ، وحمام الشفا ، وحمام العين ، وحمام حمزة ، وحمام البطرك ؛ وهذا الاخير في الغالب للنصارى . . وفيها ثمانية عشر سيلا يشرب منها المار والعطشان . . يهطل الثلج على جبالها . وفيها صهاريج كثيرة . . وفيها كنيسة لالارمن ، وثلاث كنائس للروم ، وكنيسان لليهود . . ولها مئتان واربعون محراباً (مصلى) ، وسمع دور للحديث ، وعشر دور للقرآن ، واربعون مدرسة للبنين ، وتكاي لسبعين طريقة منها : الكيلانية والبدوية والسعدية وارتفاعية والمولوية . اكثرهم اهل

(١) انظر الى اسماء الحكام والمتصرفين في موضع آخر من هذا الفصل .

(٢) اذا رجعت الى الفصل الذي خصصناه لبحث المياه . اهدت الى مواضع هذه الحمامات ، الا (حمام حمزة) فاني لم اهد الى معرفة موضعه . وليس بين حمامات القدس في يومنا هذا ما يدعى بهذا الاسم .

مقدار نصف سامة من الزمن ، الى ان جاءهم الاذن من الباشا بدخول المدينة . اذ كان محرمًا على الفرنج ليس دخول المدينة فحسب ، بل والدنو من اسوارها قبل صدور الاذن من الحاكم ؛ وكان على الزائرين ان يترجلوا عند ولوجهم ابواب المدينة ، وان يسلموا اسلحتهم الى الجند المرابطين على الابواب ؛ الا اذا أجاز لهم الحاكم ان يدخلوها على غير هذا المنوال . وانهم عند وصولهم الى كنيسة القيامة ، رأوا على ابوابها عدداً من الجند المعروفين بالانكشاريين ، ومعهم عدد من الضباط اقيموا هناك ليراقبوا الزائرين ويجبوا منهم الضريبة المعروفة بـ (ضريبة الغفر) . كانت هذه يومئذ عبارة عن اربعة عشر دولاراً عن كل واحد من اللاتين ، ونصف هذا المبلغ عن كل واحد من الرؤساء الروحيين . وانهم بعد الانتهاء من زيارة الاماكن المقدسة في المدينة ، غادروها ميممين نهر الاردن في قافلة بلغ عدد افرادها الالفين من جميع الاجناس والطوائف . وان حاكم المدينة - عملاً بالاصول المتبعة في تلك الايام - رافقهم في هذه الرحلة ، وكان في ركابه عدد غير قليل من الجند ، وان الحكومة تقاضت لقاء هذه المهمة رسماً قدره اثني عشر دولاراً عن كل واحد من الزائرين ، ونصف هذا المبلغ من الرؤساء الروحيين . وانهم بعد رجوعهم الى القدس وقفوا فوق سطح الدار التي كانت على عهد الرومان قصرًا للولاة^(١) يسرحون الطرف ، عن بعد ، في جنبات الحرم ؛ اذ كانت محرمًا يومئذ على غير المسلمين دخولها ، ومن كانت

غادر القدس الى ان وصل الى الخليل ورجع منها . ذلك لان « قطاع الطريق والاشقياء كانوا يوقفون السابلة ويسلبونهم كل ما يجدونه معهم من استعة وتقود . كما انهم كانوا يخربون ينابيع المياه الواقعة على الطريق . وكثيراً ما قاسى اهل القدس الامرين من سبوا انقطاع الماء عنهم . الامر الذي حدا بفاتح بغداد السلطان مراد الى اقامة حرس قوي عند برك سليمان . وقد انشأ لهم هناك قلعة اسمها على اسمه : (قلعة مراد) . يقوم على حراستها دزدار واربعون جندياً ، مزودون بالمدافع والاسلحة والذخائر الحربية الكافية . وفي داخل هذه القلعة مسجد للصلاة وخمسون داراً معدة لسكنى الجنود . ولم يأت سلطان من بعده الا وقد اولاه جانباً من اهتمامه . وبهذه الطريقة تمكن الجميع من صوت الينابيع والطرق » .

١١ - بعد اوليا جلبي بربع قرن زارها (١٦٩٦ م) سائح افرنجي يدعى (هنري موندول) Henry Maundrell ووصفها في كتاب اسماء : (رحلة من حلب الى القدس^(١) A Journey From Aleppo to Jerusalem وصفاً لا يختلف عن الوصف المتقدم ذكره الا في بعض النقاط . نذكر منها :

ان القدس كانت تابعة الى طرابلس الشام ، وانه كان في طرابلس يومئذ وال يسمونه : (اوستان باشا^(٢)) ، وانه ورفاقه السياح الاخرين انتظروا عند باب المدينة الغربي المعروف بباب بيت لحم^(٣)

(١) اطلعت على نسخة هذا الكتاب المطبوع في لندن سنة ١٨٢٣ . انظر الى الصفحات ٢٤ و ٥٧ و ٦١ و ٨٩ .

(٢) اعلاه يريد ان يقول آرسلان باشا .

(٣) باب الخليل

(١) يقصد (برج انطونيا) الذي ذكرناه في غير هذا الموضع .

تحدثه نفسه بدخوله كان يعرض نفسه لخطر الموت.

١٢ - بعد ذلك التاريخ لم نسمع عن القدس الا
النزر اليسير . فقد تولى السلطنة بعد محمد الرابع
السلطان سليمان الثاني بن ابراهيم (١٦٨٧ م) .
فاخوه السلطان احمد الثاني (١٦٩٠ م) .
فالسلطان مصطفى الثاني بن محمد الرابع (١٦٩٤ م) .
فالسلطان احمد الثالث (١٧٠٣ م) . ثم جاء
السلطان محمود الاول بن مصطفى الثاني (١٧٣٠ م) .
وعلى عهده تجدد بناء حائط الخندق (١٧٣١ م) .
وعماره مسجد القلعة (١٧٣٨ م) . وبعد السلطان
محمود الاول تولى السلطنة اخوه السلطان عثمان
الثالث (١٧٥٤ م) . فالسلطان مصطفى الثالث
ابن احمد الثالث (١٧٥٧ م) . فاخوه السلطان
عبد الحميد الاول (١٧٧٣ م) . فالسلطان سليم
الثالث بن مصطفى الثالث (١٧٨٨ م) . وعلى عهد
هذا السلطان جرت الحوادث التالية :

عهدت الحكومة العثمانية الى احمد باشا الجزائر (١)
بولاية بيروت . فما كاد يتسلم زمام الامر فيها
(١٧٧٦ م) حتى اعلن العصيان ضد الدولة . الا
انه لم ينجح . فخرج من بيروت مدحورا .

وقد التحق بعدئذ بالاسطول العثماني الذي كان
معقود اللواء الى حسن باشا . ثم عاد فانقلب عليه .
ويظهر ان الدولة رأت من مصلحتها ، رغم اخلاقه
هذه ، ان تستميله الى جانبها . فجعلته وزيراً .
ووسعت سلطته حتى امتدت من الشام الى غزه
وعريش مصر . الامر الذي اتخذته نابليون ذريعة
لفتح هذه البلاد (١٧٩٩ م) .

(١) ولد سنة ١٧٢٠ في احدي قرى اللوسنة . وهرب من
بلادته الى لاسنانة . ثم بيع في مصر بيع العبيد . وصار
مملوكا في قصر (احمد بك اي الذهب) فتوسم هذا فيه الخير
والمقدرة على الفنت . فاستخدمه لاقامه اصدته والنيسل من
اعدائه . وكان فعلا عند ضته . ففتك بعدد كبير منهم . ولذلك
لقب بالجزار . وقد توفي سنة ١٨٠٤ م . ودفن في عكا .

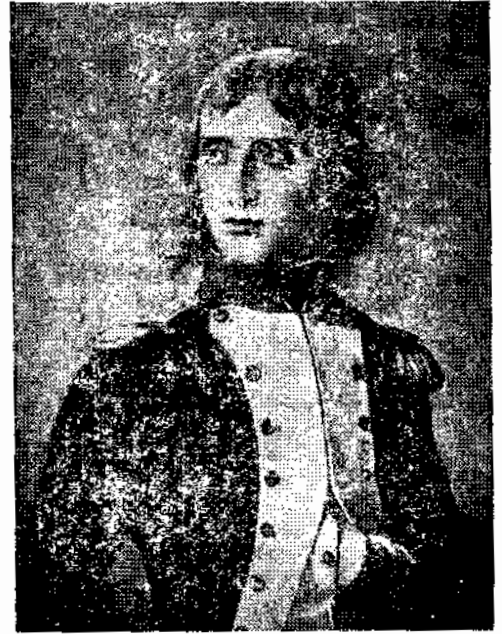


القدس ونابليون

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين .
« من طرف بونابرت امير الجيوش الفرنسية الى
كافة المفتين والعلماء وكافة اهالي ونواحي غزة والرملة
ويافا حفظهم الله . بعد السلام نعرفكم اننا حررنا لكم
هذه السطور ، لنعلمكم اننا حضرنا الى هذا الطرف ،
بقصد طرد المماليك وعسكر الجزائر عنكم . والى اي
سبب حضور عسكر الجزائر ، وتعديه على بلاد يافا
وغزة التي ما كانت في حكمه ؟ الى اي سبب ارسل
عسكره الى قلعة العريش ؟ بذلك هجم على ارض
مصر . فلا شك ان مراده اجراء الحروب معنا ،
ونحن حضرنا لنجاريه . »

وبعد ان امنهم على ارواحهم وعبائهم ، قال :
« وقصدنا ان القضية لا يتركون وظائفهم ، وان
دين الاسلام لا يزال معتزاً ومعتبراً ، والجوامع
عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين . والذي يتظاهر لنا
بالحب ، يفلح ؛ والذي يتظاهر لنا بالغدر ، يهلك . »
انه وان قال في البيان الذي اذاعه على السكان ،
انه ما جاء الى هذه البلاد الا ليقهر الحزار ، الا ان
الغاية التي كان يرمي اليها هي التحرش بالدولة
البريطانية ، والحيولة دون رجوع مصر الى احضان
تركيا ، وعقد محادثات دفاعية مع الطوائف والاقوام
المنتشرة في سوريا ضد الاتراك . وكان نابليون يعتقد
ايضا ان من يحتل مصر ، لا يكون آمناً عليها ، الا
اذا احتل بر الشام . اضيف الى ذلك ان الضعف كان
ظاهراً في ادارة البلاد العثمانية كلها ، من اولها الى
آخرها ؛ وكانت البلاد مفتحة الابواب ، خالية من
اسباب الدفاع .

عندما وطد نابليون اقدامه في مصر ، اخذ
يفكر في الاستيلاء على فلسطين وسورية . فغادر مصر
في ربيع (١٢١٣ هـ - ١٧٩٩ م) . واجتاز الصحراء .
ثم عبر التخوم الفلسطينية .



« نابليون بونابرت »

وقبل ان يشتبك بقتال مع الجند وسكان البلاد ،
اذاع منشوراً نقبَس منه الشذرات التالية (١) :

(١) راجع كتاب (اسلام نابليون) للاستاذ يعقوب العمودات الملقب
بالبدوي المسم . وكتاب (فتح مصر الحديث) لاحد حافظ عوض .
ويعتقد احمد حافظ عوض ان التركيب الركيك الذي يلاحظه
المرء في هذا المنشور من انشاء (فتور) المستشرق الذي
صحب نابليون في حملة سوريا وقد مات امام عكا بالطاعون . او
انه من بعض كتبة الدواوين الذين اخذهم معه .

فكان النصر في هذه المعركة حليف نابليون .

٤ - غادر نابليون غزة في ٢٨ شباط سنة ١٧٩٩ لافتتاح فلسطين . فاحتل الرملة . ثم يافا (٦ مارس ١٧٩٩) . وكان في يافا يومئذ قوة كبيرة من عسكر الجزائر والمماليك ، تقدر بنحو اثني عشر ألفاً . ولكنه سلب عليها مدافعه الكبيرة فاحتلها ، واستباح حماها . ويقول مشاقه انه : « قبل ان يغادر يافا الى عكا ، امر بقتل الاسرى الذين وقعوا في قبضته ثلاثاً : - في العريش وفي غزة وفي يافا ، وكان عددهم يربو على ثلاثة آلاف . حنق عليهم . وزعم انهم لا يراعون ذمة ، ولا يحترمون الشرف العسكري . فامر جنوده باطلاق النار عليهم . ولم يواروهم التراب . وبقيت اجسامهم طعاماً للطيور ، وظلت رفاتهم مكشوفة مدة » .

٥ - كان الناس يظنون ان بونابرت ، بعد فتح الرملة ويافا لا بد وان يولي وجهه شطر بيت المقدس ليفتحها . حتى ان الاتراك سجنوا في كنيسة القيامة يومئذ جميع الروم الارثوذكس . ولكنه لم يفعل . بل اجاب الذين سالوه عما اذا كان ينوى المرور منها قائلاً بحدة : « لا . فان بيت المقدس غير مذكورة في الخطة التي توخيت المسير عليها . ولا اروم التحرش بسكان الجبال والتوغل في مآزق يصعب الخروج منها . وفضلاً عن ذلك اخشى ان يهاجمني من الجهة الاخرى فرسان كثيرو العدد . واحاذر ان يصيبني ما اصاب كاسيوس . » والحقيقة ان نابليون ما كان يهتم الا بالواقع الحربية . وما كانت للقدس تلك الاهمية في زمنه .

ومن قائل انه كتب الى اهل القدس رسائل ، طلب اليهم فيها ان يخضعوا لاوامره ، فاجابوه بانهم تابعون لايالة عكا . فالذي يحتل عكا ، ويصدر

٢ - كانت حملة نابليون مؤلفة من ١٣٠٠٠ مقاتل . وكان هو على رأس الحملة . ومعه كل من الجنرال (مرات) Murat والجنرال (منو) Menou والجنرال (كليب) Kleber والجنرال (دوكوا) Dugua والجنرال (لان) Lannes .

٣ - عندما بلغ احمد باشا الجزائر قدوم الجيش الفرنسي من مصر ، شرع بتدبير ما يحتاج اليه في الحصار . وحصن يافا . ثم امتد الى مدينة غزة بعساكره وعشائره . ووصلت جيوشه العريش . ولكن الفرنسيين احتلوا العريش بعد حصار دام ثمانية ايام (١٦ فبراير ١٧٩٩) . ثم ساروا الى خان يونس . ومنها الى غزة . وعلى مقربة منها اصطدم الجيشان : جيش نابليون وجيش عبدالله الجزائر (الغز) . وكان ذلك في ٢٥ من فبراير سنة ١٧٩٩ .



« قصر آل رضوان الحصينة »

« قصر آل رضوان بنزة »
في منزل نابليون وفي ليلته

طراً على مركزه في فرنسا امر اضطره للرجوع الى بلاده . وكانت انكلترا هيبت ملكك الفرنج على فرنسا . فاضطر الفرنسيون ان يرجعوا عن عكا ، بعد ان فقدوا على اسوارها ٣٥٠٠ جنديا . ومات في الطاعون ، وعلى الطريق . ما ينوف على الالف .

٧ - لم يذكر التاريخ انسحابا مقرونا بالفشل والحسائر والمشاق ، مثل انسحاب نابليون من عكا (١٧٩٩م) ، وانسحابه بعد ثلاثة عشر عاما من موسكو (١٨١٢م) . فقد نابه وجنده في انسحابهم من عكا العطش ، والقيظ ، وشمس الصحراء المحرقة . ولما كانت وسائل النقل قليلة لديه^(١) لا تكفي لنقل جنوده كلهم^(٢) ، فقد اقترح على اطبائه ان يجرعوا المصابين منهم بالطاعون والامراض الاخرى السم . ولكن نابليون نفسه ينكر ذلك . ويقول في مذكراته التي كتبها في منفاه (سانت هيلانة) : « انه لم يأمر بسم المرضى ، ولكنه لو وجد نفسه مثل واحد من هؤلاء ، لفضل ان يتجرع السم » .

٨ - وقد رجع الى مصر في شهر مايس سنة ١٧٩٩ م .

٩ - كان نابليون نابغة القواد في عصره . ولكنه خسر من مقامه في الشام ، وهو شهران ، كثير من شهرته .

(١) يقال انه كان يمضي على قدميه في الصحراء ؛ فاقبدي به الضباط والحيلة ، تاركين للرعى الخيول والدواب .

(٢) قيل ان الجنود الذين اشتركوا مع نابليون في حروبه هذه كانوا ثلاثة عشر الفا ، وانه لم يرجع منهم سوى سبعة آلاف .

اوامره منها ، يخضعون لاوامره . واما هم فلا يريدون ان ينخرطوا في حرب او ضرب . لانهم يعيشون في بلد طافح بالاماكن المقدسة . وقد كتب الى حامية القدس رسالة بالمعنى المتقدم . فاجابوه الجواب نفسه . فانصرف لحصار عكا عاصمة فلسطين - اذ ذاك - وحصنها الحصين .

ويقول الاستاذ الخالدي^(١) ان السيد موسى الخالدي من سكان بيت المقدس ، الذي درس في الازهر ووصل الى مرتبة قاضي عسكر في الاناضول ، وكان يومئذ في الآستانة ؛ ارسل يومئذ منشورا لاهالي البلاد ، حثهم فيه على مقاتلة نابليون (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م) . وقد قاتله السكان المقيمون على سفوح الجبال وعلى الطريق التي تربط جنوب فلسطين بشمالها ، ولا سيما في جهات عزون وقاقون وتلك الانحاء من جبل نابلس وفي مرج بني عامر .

٦ - سار نابليون الى حيفا فاحتلها . وفي ١٩ مارس ١٧٩٩ وصل عكا ، فحاصرها . وكان الجزار قد تحصن فيها . وقد دام الحصار حولها ستين يوما . الا ان نابليون لم ينل منها شيئا ، فارتد على اعقابيه خاسرا . وما كان نابليون ليولي الادبار ، لولا ان ظهر الطاعون بين جنده ، وجنده هم الذين نقلوا الى بلاد الشام جراثيم الطاعون معهم . فمات منهم خلق كثير . وهلك بعض قواد الفرنسيين على اسوار عكا مع عدد كبير من جندهم . كما انه

(١) (اهل العلم بين مصر وفلسطين) ص ٣٧ .

القدس والاتراك العثمانيون

(في الفترة الواقعة بين مصطفى الرابع ومحمود الثاني)

٤ - وعلى عهد هذا السلطان وقعت في القدس وقائع تستحق الذكر ؛ منها انه ألغى نظام (المكيبرية)^(١) : وطارد رجالها مطاردة لا هوادة فيها . حتى انه منع الناس من ذكرهم . وقد امر المسيحيين الارثوذكسيين ان لا يعمروا اي قسم من كنيسة القيامة او اي معبد من معابدهم . اذ كان يكرههم كرهاً شديداً .

والسبب في كرهه لهم راجع الى اعتقاده بان رهبان دير الروم حرصوا ابناء جنسهم في المورة عندما ثار هؤلاء على السلطة التركية . حتى ان السلطان ارسل الى نائب القدس في ذلك الحين السيد محمد علي الخالدي^(٢) فرماناً يقضي بقتل الزهادين . ولكن النائب اخبر بتبليغ الفرمان ، ولم ينفذه ، وحذرهم . وما لبث السلطان ان ألغى امره . فقدر الرهبان صنيعه هذا . وراحوا يكرمون النائب واولاده حيثما وجدوهم . وفي دير الروم بالقدس صورة زيتية للسيد محمد علي الخالدي ، لا تزال معلقة في بهوه الكبير الى يومنا هذا .

واما اللاتين فكان السلطان محمود الثاني يحبهم .

(١) هذا هو اصل الكلمة في اللغة التركية . واما سكان هذه البلاد ، فكانوا يسمونهم : (الانكشارية) . وهم سنغ من الجند استخدمهم الاتراك العثمانيين ، وكانوا في بادئ الامر يعتمدون عليهم في حروبهم . ولما عاثوا في البلاد فساداً ، رأى السلطان محمود ان يتخلص منهم . فراح يطاردهم . وقد نجح في مطاردتهم .

(٢) من مقال للاستاذ احمد سامح الخالدي نشر في بيروت سنة ١٩٥٠ بعنوان (فلسطين في نصف قرن) .

قلنا ، في الفصل السابق ، ان نابليون ، بعد ان احتل غزة والرملة ويافا وحيفا ؛ حاصر عكا . وانه فشل امام اسوارها . فارتد عنها مدحوراً (١٧٩٩ م) . وان حملة نابليون هذه على فلسطين ، جرت في زمن السلطان سليم الثالث . وان الجيش العثماني الذي قاوم نابليون في عكا ، كان يقوده احمد باشا الجزائر . وهو الذي حصن عكا . وانتصر على نابليون .

٢ - ان هذا النصر الذي ناله الجزائر ، جعله يزداد ختلاً وكبرياء . فعاد يمثل مظالمه . ويحمل على الناس مغارمه ؛ لا فرق في ذلك بين مسلم او مسيحي او يهودي .

وكأنه لم يكف البلاد ما اصابها من ظلم الجزائر ، وما ألم بها من خراب أثناء زحف نابليون ؛ فقد قام (محمد باشا ابو المرق)^(١) يسومها الخسف والعسف ، ويجور على اهل بيت المقدس والخليل والرملة وغزة . حتى اضطر السادة الاشراف الابرياء لكثرة مظالمه ان يبيعوا اولادهم في السوق بيع العبيد .

٣ - بعد السلطان سليم الثالث تولى الملك السلطان مصطفى الرابع بن السلطان عبد الحميد الاول (١٨٠٧ م) . فأخوه السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ م) .

(١) (خطط الشام) محمد كرد علي .

وقد سمح لهم ببناء غرف جديدة في ديرهم ، كما سمح لهم بتعمير القسم الذي يخصهم من كنيسة القيامة . وقد امر المسلمين من سكان بيت المقدس ان يخلعوا من على رؤوسهم (القاووقية) التي كانوا يلبسونها منذ عهد الملك المعظم عيسى .

٥ - وقد لا يخلو من فائدة ان نثبت فيما يلي نص امر تلقاه اهالي القدس وكبار موظفيها في زمن السلطان محمود الثاني . ففيه ما يرشدنا الى نوع المشاكل التي كانت تشغل بال الحكام في ذلك الزمان ، وصنوف الموظفين الذين كانوا يديرون دفة الحكم في القدس ، والاسلوب الذي كان يستعمله اولئك الحكام في مخابراتهم الرسمية . فقد اطلعت في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على امر ارسله **عبدالله باشا** من (عكة ^(١)) . وقد خاطب فيه سكان المدينة واثمتها ووجوهها وكبار موظفيها . فقال :

« صدر الموالي العظام عمدة العلماء الكرام ونخبة الفضلاء الفخام اولي ولاية الموحدين معدن الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبياء والمرسلين قاضي محروسة القدس الشريف حالاً افندي زيدت فضائله وافتخار العلماء الكرام ونخبة الفضلاء الفخام المأذون بالافتاء افندي زيد علومه وفرع الشجرة الزكية وطرار العصابة الهاشمية قيم مقام نقيب الاشراف افندي زيد شرفه وافتخار المشايخ المكرمين متسلماً في سنجق القدس الشريف حالاً **الشيخ سعيد المصطفى زيد** مجده وقدة الاماجد والاعيان وكيل التكية العامرة في القدس الشريف حالاً علي افندي زاده آغا زيد مجده وقدة الاماجد والاعيان ميرالاي حالاً آغا زيد

(١) كانت عكا يومئذ ذات أهمية. وقد اغتزاها عبدالله باشا مركزاً لحكومته. وكان يوقع اوامره هكذا: والي صيدا وطرابلس ومتصرف لواء غزة والقدس ونابلس وجنين .

مجده وقدة الاماثل والاقران توفكجي باشي حالاً آغا زيد قدره ومفاخر (اقرانهم ^(١)) علماء وخطباء وأئمة ووجوه البلدة وارباب التكلم بوجه العموم . تحيطون علماً انه الآن ابقينا وقررنا متسلية سنجق القدس الشريف وتوايعها لعهدت الشيخ سعيد المصطفى الموصى اليه فيلزم كل منكم تعرفوا انه مبقى ومقرر على متسلية السنجق من طرفنا فليكون فيما بينكم مسموع الكلام مرفوع المقام ولا احد يخرج له من خلاف بما فيه الصالح والعمار وانفاذ اوامرنا . ونخبر متسلماً الموصى اليه انه يلزم منك اولاً (تكون) دائماً مطابق كافة امورك الى الشرع الشريف والقانون المنيف وتسعى براحت الرعايا خصوصاً رعايانا اهالي بيت المقدس تبذل غاية جهدك (للسعي) براحتهم ودوام رفاهتهم وكذلك تسعى بعمار القرايا ورفاه احوال البرايا واستجلاب دعواتهم الخيرية بدوام سرير سلطنة حضرت مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ظل الله المبسوط على العالمين مولى ملوك العرب والعجم ومسبب امن وراحت بني آدم سليمان الزمان واسكندر العصر والوان المحمود بكل آن واوان خلد الله سرير خلافته العظمى وايد تحت مملكته الكبرا الى انتهاء الزمان وانقضاء الدوران (وتشمر عن ساعد اهتمامك في امور) الضبط والربط والطولوع من حق كل معتدي ومتجاوز الحدود وتسمى غاية السعي بردع السفهاء وصيانة وراحت ذوي العرض ولا تعطى ذلك ادنى غفلة ولا مسامحة ودائماً تكون مساعي ومجتهد (لانفاذ) اوامرنا وكلما فيه رضانا بابرار الخدمة الصادقة المرضية التي تحولك دوام بياض الوجه لك . وجميعكم تكونوا مباشرين اشغالكم واعمالكم وتسعوا

(١) هذه وغيرها من الكلمات الواردة في هذه الوثيقة والموضوعة بين هلالين معقوفين لم تثبت من صحتها .

اسباب مكاسبكم وعمسار محلاتكم وتكثروا متاجركم وان شاء الله تعالى هذه السنة (تكون) 'برك السنين والاعوام على كافة العباد والبلاد والجميع من رعايانا ما يشاهد من طرفنا الا الحماية والصيانة وبسط جناح الراحة والرياحة و (الرفاء) من سائر الوجوه . فبناء على ذلك اصدرنا لكم بيورلدينا^(١) هذا من (ديواننا) في قلعة النصر داخل دار الجهاد محروسة عكا المحمية عن يد رافعه فبوصوله لكم واطلاعكم على مضمونه تتلوه علناً على رؤوس الاشهاد وتعملوا وتعلموا بموجبه وتتجاشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد ٩ م^(٢) سنة ١٢٤٧ .

٦ - ومن الاوامر التي تلقاها الشيخ سعيد المصطفى متسلم القدس في ذلك الحين (١٢٤٧ هـ - ١٨٣١ م) عدم السماح لاي شخص - كائناً من كان - بدخول القدس او المرور فيها ، دون ان يكون حاملاً معه (تذكرة مرور) . ويشمل هذا الامر

الذي وقعه عبدالله باشا جميع الرعايا سواء اكانوا تجاراً ام جنوداً . حتى (لو اراد احد من اهل البلدة ان يتوجه للقدس او لاية مدينة اخرى ..) ويعتقل الشخص الذي لا يكون حاملاً تلك (التذكرة) ويرسل (محفوظاً) الى (دار الجهاد محروسة عكا المحمية) . ويشدد الوالي في امره الذي ارسله الى متسلم القدس بضرورة الانتباه بشكل خاص الى (عساكرنا المنصورة المحمدية) واعتقال من يدخل القدس منهم (بدون تذكرة) وارساله الى عكا مخفوراً . وينذره (اي ينذر المتسلم) انه اذا بدا منه (تقصير) فانه يعرض نفسه الى القصاص (بدون مساحاة) ! . .

٧ - في تلك السنة (اي في سنة ١٨٣١ م) ارسل محمد علي باشا الذي كان الاتراك قد اقاموه على مصر ، ليديرها باسمهم ؛ ارسل ولده ابراهيم باشا الى فلسطين قاصداً - في الظاهر - تأديب عبدالله باشا الجزار والى عكا . واما في الحقيقة فانه كان ينبغي اخذ فلسطين من الاتراك ، وضمها الى مصر ، وعلان الاستقلال التام عن الدولة العثمانية . وهذا ما سنقصه عليك في الفصل القادم .

(١) كلمة يستعملها الاتراك بمعنى (الامر العالي) .

(٢) المقصود من حرف (م) هنا هو شهر محرم . والسنة الهجرية هذه توافق سنة ١٨٣١ الميلاد .

القدس و ابراهيم باشا

قام في يوم السبت الموافق ٢٦ ايار ١٨٣١ ، بحملة عنيفة كانت نتيجتها ان سقطت عكا بين يديه ، بعد حصار دام ستة شهور .

٤ - تقدمت جيوشه نحو الشمال ، وكانت يومئذ قد بلغت نحو مئتي الف . فاحتلت المدن السورية كلها . ثم عبرت الى الاناضول ، وراحت تحتل مدنه الواحدة بعد الاخرى الى ان وصلت الى كوتاهية



« ابراهيم باشا »

وبعد ان اسرقائد الجيش التركي رشيد باشا . أم الاستانة وكاد يدخلها ، لولا تدخل الدول الاجنبية .

كان مؤسس الاسرة العلوية المالكة في مصر ، **محمد علي باشا** ، والياتابعا لسلطان الاتراك في الاستانة . جاء الى مصر مع الحملة العثمانية (١٨٢١٣ - ١٧٩٩ م) لاجراج الافرنسيين منها . ولكنه اراد ان يستقل ، وان يجعل الحكم منحصر في سلالته . ولما رفض طلبه هدامن قبل السلطان العثماني محمود الثاني ، اخذ يرتقب الفرص ليشهر الحرب عليه . فحانت هذه سنة ١٨٣١ م .

٢ - في تشرين الاول ١٨٣١ ارسل الى فلسطين بقيادة ابنه **ابراهيم باشا** (١) جيشا قوامه اربعون الف رجل ؛ وفي قول آخر ثلاثون الفا ؛ ليحارب ، في الظاهر ، عبدالله باشا الجزار بحجة انه ابى ان يرجع اليه المصريين الذين فروا من جيشه . فاحتل غزة . ثم احتل الرملة ويافا وحيفا والقدس . احتل هذه المدن في غير حرب (٢) . ونصب في كل منها متسلما يتولى ادارة الاعمال فيها بالنيابة عنه .

٣ - وفي اليوم التاسع من كانون الاول ١٨٣١ وقعت الموقعة الاولى بين الجيش المصري ، يقوده ابراهيم باشا ؛ والجيش العثماني ، يقوده عبدالله باشا . فاضطر هذا الى الالتجاء لحصن عكا . فحاصره فيها . وكان مع ابراهيم باشا في اثناء الحصار ١٢٠٠٠ من الجند النظاميين . وظل يضيق الخناق عليه ، الى ان

(١) وُلِدَ في (قوله) سنة ١٧٨٩ وجاء الى مصر سنة ١٨٠٥ وتولى منصب (الدفتردار) وعمره ١٨ سنة . ثم صار حاكم الصعيد وقاد الجيش المصري في الحرب الوهابية ، والحرب التركية ، وحرب اليونان . وعاون اخاه اسماعيل في فتح السودان . وبقي واليا للعهد حتى سنة ١٨٤٧ حيث تولى العرش بدلا من ابيه الذي اقعده المرض .

(٢) حروب ابراهيم باشا في سوريا والاناضول .

رأى انه لا فائدة ترجى من المقاومة ، لان القوي تالبت عليه من البر والبحر ، والحرب اعلنت عليه بالفعل ، لا بالقول . فاضطر الى الانصياع .

٦ - تم الصلح بين مصر والدولة العثمانية (٢٥ نيسان ١٨٣١) على ان يكون من اطنه الى غزة تابعاً ولاية مصر . وبهذا دخلت فلسطين في حوزة البيت العلوي بمصر .

٧ - ولكن . لم يمض على ذلك بضعة شهور ، حتى قامت ثورة في البلاد ضد ابراهيم باشا . يهنسا ان نذكر اسبابها ، وما كان منها بفلسطين بوجه عام وبالقدس بوجه خاص . فنقول :

اختلف الباحثون في وصف الشعور الذي ساد السكان يومئذ ، من جراء احتلال الجيش المصري للبلاد . فمن قائل^(١) : « ان اهل سوريا وفلسطين كانوا ينظرون الى ابراهيم باشا نظرة تقدير واعجاب . وانه هو الذي انقذه من الظلم . »

ومن قائل^(٢) : « ان هناك دلائل كثيرة تدل على عكس ذلك . وان في المحفوظات الملكية ما يشهد بان سكان سوريا وفلسطين كانوا ينظرون الى الجيش المصري نظرة بغض وازدراء . حتى ان ابراهيم باشا نفسه قال في احدى رسائله الى محمد علي باشا (٩ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨هـ - ١٨٣٢) ان اهالي سوريا وفلسطين قبلوا حكمه مكرهين . ولم يكتسب عطفه وثقته منهم سوى المسيحيين ، وبعض الدروز في جبل لبنان . »

ويعمل الفريق الثاني هذا الكره بالاوامر التي

(١) راجع كتاب (الامبراطورية المصرية) لمؤلفه محمد صبري سنة ١٩٣٠ .

(٢) (المحفوظات الملكية) لاسد رستم The Royal Archives » by Assad Rustum

٥ - وقفت انكلترا الى جانب تركيا في نضالها مع محمد علي . لانها كانت تخشى من توسع سلطانه ، وامتداده الى العراق وسورية وبلاد العرب الاخرى . يدل ذلك على هذا ، البلاغ الذي تلقاه الكولونيل كامبل ، قنصل انكلترا في مصر ، من اللورد بالمستون في ٨ ديسمبر ١٨٣١ ؛ وقد جاء فيه^(١) : « اني اكلفك بان تبليغ باشا مصر ، بان حكومة جلالة الملك تلقت التقارير عن حركات الجنود المصرية في سورية وبلاد العرب . وهي تدل على انه ينوي ان يبسط سلطة مصر ، الى جهة الخليج الفارسي وولاية بغداد . فابلغ الباشا بكل صراحة ، ان الحكومة الانكليزية لا تستطيع ان تنظر دون اكتراث الى تنفيذ مثل هذه المشروعات . »

واما فرنسا فان مصلحتها كانت تقضي بالوقوف الى جانب محمد علي . يدل ذلك على هذا الكتاب الذي ارسله سفير فرنسا الى حكومته ، وقد جاء فيه^(٢) : « ان غرض الانكليز الآن هو ان يستولوا على مصر . وهذا لا يتفق مع مصلحة فرنسا . لانهم اذا احتلوا مصر ، استحال على فرنسا ان تظل في الجزائر . فمن مصلحة فرنسا حل مسألة مصر ، باعطائها لمحمد علي وسلالته من بعده . »

ولكن يظهر ان دفعة انكلترا هي التي رجحت يومئذ . فاستألت روسيا والنمسا الى جانبها . ثم انضمت اليها فرنسا . فطلب الجميع من ابراهيم باشا اخلاء سورية ، وفنيقيا ، وفلسطين ؛ وارجاعها الى السلطان .

حاول ابراهيم باشا ، باديء ذي بدء ، ان لا يكثر لهذا التهديد . ولكنه ، بعد انعام النظر ،

(١) (البطل الفاتح ابراهيم) لداود بركات ص ١٣٩ .

(٢) (البطل الفاتح ابراهيم) لداود بركات ص ١٤٠ .

٩ - وكان ايضا في حاجة الى الرجال . ففرض التجنيد الاجباري .

ورغم ان ولده ابراهيم باشا ما كان يقهره في مشروعه ، فقد اضطر للنزول عند ارادة ابيه . وراح يعمل على تنفيذ قراره . فحاصر الممدن والقرى . والتقط الشبان حيث وجدهم .



« محمد علي باشا »

اصدر امره الى سكان القدس بتاريخ ٢٥ / ٤ / ١٨٣٤ ، طالبا منهم واحداً من كل خمسة من الشبان . وعلى قول اخر ، واحداً من كل عشرة رجال . طلب مثني رجل من مدينة القدس ، وثلاثة الاف من كل من اقضية القدس و نابلس والخليل .

١٠ - ومن العوامل التي ادت الى الثورة ، انه امر بجمع السلاح من الاهلين . وعمل على ازالة نفوذ المشايخ والزعماء والرؤساء واصحاب الاقطاعات . مثل عائلة ابي غوش في جبل القدس ، والمواصي في اجزم ، وطوقان وقاسم وآل جرار في جبسل

اصدرها محمد علي باشا لابنه ، من اجل جمع السلاح من الاهلين ، وفرض بعض الرسوم والعوائد الجديدة ، وفرض التجنيد الاجباري في البلاد .

٨ - انه كان في حاجة الى المال^(١) . فاصدر امره بتحصيل المال من جميع البلاد التي افتتحها . ورغم ان ابنه ابراهيم باشا كان مخالفا لرأي ابيه في هذه التدابير ، الا انه اضطر للاذعان . فراح يفرض الضرائب والرسوم . ولجأ الولاة والحكام الى استعمال الشدة من اجل جمع الضرائب والرسوم . منها :

(أ) (ضريبة الفرد) . يدفعها كل رجل يتراوح سنه بين الخامسة عشر والستين . اقلها خمسة عشر قرشاً على الفقير ، واكثرها خمسون قرشاً على الغني . وقد جبيت على سنتين .

(ب) (ضريبة الشونة) . يقدمها الاهالي للجيش المرابط في منطقتهم . وهي مؤونته وجميع حاجاته .

(ج) (الدخولية) . تدفع عن البضائع التي ترسل من مدينة الى أخرى بنسبة تتراوح بين الستة ونصف والاثني عشر في المئة .

(د) (رسم التسريح) . يفرض على الحاصلات الزراعية المحلية عندما تنقل من مدينة الى أخرى .

(هـ) (رسم الطاحون) . يفرض على الحبوب عند طحنها .

(و) (ضريبة المواشي) . تفرض على الحيوانات كالضأن والماعز والجمال .

(١) (البطل الفاتح ابراهيم باشا) لداود بركات ص ١٢٤

نابلس ، وآل عمرو في جبل الخليل ، وغيرهم
كثيرون .

فالغى مثلاً العوائد التي تجبها آل ابي غوش من
السياح الذين يسلكون طريق القدس في سفرهم .
تلك العوائد التي سمح لهم بجبايتها السلطان سليمان
القانوني . فعصا امره الاخوان : جبر و ابراهيم ابو
غوش . وثابرا على جبايتها بالقوة . فنفاها : ابراهيم
الى عكا ، وجبر الى الشام . ونفى معها عدداً آخر
من الزعماء .

ان هذه التدبير اغضبت المسلمين . ولكن
النصارى واليهود ارتاحوا لها .

ويظهر ان هذا الموقف ، زاد في التنافر الواقع
بين المسلمين وغيرهم من الطوائف ؛ فراح هؤلاء
يتذمرون من معاملة المسلمين . فارسل لهم الباشا
كتاب التهديد التالي (١) :

« تعلمون ان في بيت المقدس كثيرا من الاديار
والكنائس والآثار الدينية التي تحج اليها في كل عام
الطوائف النصرانية واليهود . وقد شكنا لنا هؤلاء
ما يلاقونه منكم من العنت والقسوة والغلظة عليهم ،
والتحقير لدينهم ؛ فضلا عما انتم فارضوه عليهم من
التكاليف والمغارم الفادحة ، غير ناظرين الا الى
ارضاء انفسكم والعمل بهواكم . على ان هذه الغايات
الدينية والافعال المزرية ، لا ترضاه النفوس الالوية ،
ولا يصح السكوت عليها ؛ ولذلك انهاكم ، واحذركم
من عاقبة التعرض لاولئك القوم . واسألكم ان
تفسحوا لمجاعة القسيسين والرهبان والشمامسة واهل
البيت المقدس من جميع المذاهب ، قبطاً كانوا او
ارمناً ، في دينهم ودينامهم من اقامة شعائر دينهم ،

(١) تاريخ الاستعمار الانكليزي في بلاد العرب . ص ١١٢

ولا تأخذوا من يذهبون زائرين لبحر الشريعة
شيئاً من الكلف والمغارم ؛ ولا تضيقوا على زائري
كنيسة القيامة . ولا تازموا الصغار بدفع المال .
فان اطعمتم احسنتم لانفسكم ، وان خالفتم اسأتم لها .
والسلام عليكم ورحمة الله .

١١ - وما زاد النار لهيباً تحريض الاتراك
لثوار ، وظهور الانكليز بمظهر العداء لمصر .

قال الدكتور محمد صبري في كتابه (الامبراطورية
المصرية) : ان رشيد باشا الذي ارسله الباب العالي
الى سيواس لحشد الجيوش ، بحجة اخضاع القبائل
الكردية ، كان يقصد في الحقيقة مهاجمة الجيش
المصري . وفي الوقت نفسه كان يعمل على اثارة
القلقل والاضطرابات في البلاد . ولما شبت الثورة ،
اخذ يساعد الثوار علناً . وقد ارسل الاتراك في
الوقت نفسه اسطولهم لمهاجمة محمد علي من البحر .

١٢ - ان هذه العوامل كلها (التجنيد
الاجباري ، وفوضى الضرائب ، وجمع السلاح ،
وكسر شوكة الزعماء ، وتحريض الاتراك) هي
التي جعلت الجو يكفهر .

فاجتاح البلاد ، من اقصاها الى اقصاها ،
موجة من الاستياء ، انتهت بالاحتجاج الصاخب . ثم
حمل الناس السلاح ، واخذوا يستعدون للثورة .
وما هي الا عشية اوضحها ، حتى اشتعلت نيران
الثورة في الصلح ، ويافا ، ونابلس وفي كل مكان .
وقد جرت معارك دموية بين الجند والثوار في سدير
من اعمال جبل الخليل ، وسيريس وباب الواد ،
ولقتا ، وبيت جالا ، وبيت لحم ، ومرج بن عامر .
واما في القدس نفسها فقد انفق الامن ، وسادت
الفوضى ستة ايام ؛ اختفى النصارى خـلالها في
اديرتها ، واليهود في كنائسهم ، وذبح منهم خلق كثير .

الشوار يأسون . لولا ان تذكر بعض السلاوة^(١) انه كان في الناحية القبلية لسور المدينة ، عند الباب المعروف بباب المغاربة ، مجرى قديم^(٢) لتصرف الاقدار اغلق على مر السنين . فراحوا يبحثون عنه . الى ان عثروا عليه . فدخله ستة وثلاثون شاباً من شباب المقدسة الجريئين . وظلوا يسرون الى ان خرجوا منه عند طاحون في حارة اليهود بداخل المدينة . ثم رجعوا الى باب المغاربة ، ففتحوه على مصراعيه . ودخل منه الثوار . والتحق بهم السكان بأسلحتهم الكاملة .

عندئذ غادر الجند القلعة ، وراحوا يبحثون عن الثوار ، في شوارع المدينة . وقد كانوا مدججين بالسيوف والبنادق والخنجر والحراش . ولما التقوا بالثوار ، جرى صدام عنيف بين الفريقين . وسالت الدماء . وانجلى المعركة عن انتصار الجند . فهرب الثوار من باب العمود ، تاركين وراءهم ستة وستين قتيلاً : خمسون من الفلاحين ، وستة عشر من المقدسة . ولم يفقد الجند في تلك المعركة سوى خمسة قتلى . وراحوا بعد ذلك يهدمون الدكاكين ، وينهبون كل ما وقعت عليه ايديهم من امتعة واموال .

١٤ - وفي اليوم التالي ، ١٠ مايس ١٨٣٤ ، رجع الثوار الى اعمال العنف والمقاومة . فكان اول عمل قام به البكباشي^(٣) انه قبض على اعيان بيت المقدس ، ومنهم نقيب الاشراف عمر افندي والباشكاتب^(٤) . وسجنهم في القلعة . ولكن ما كاد

وكذلك المدينتان الواقعتان في اقصى الشمال (صفد) وفي اقصى الجنوب (غزه) . فقد ثارتا . واستولى البدو الضاربون خيامهم في منطقة غزة على الامور كلها ، فاصبحوا الآمرين النساكين ؛ وانتشر رجالهم في جميع انحاء المنطقة يفعلون ما يشاؤون . واما في صفد فقد اذاع الاهلون ، وفي مقدمتهم القاضي والمفتي ونقيب الاشراف ، بياناً ايدوا فيه مبادئ الثورة ، ونهبوا اليهود ، وقد قدرت خسارة هؤلاء بثلاثين الفا من الجنيهاً .

١٣ - واليك ما جرى في القدس خلال تلك الثورة ، وهو المقصود من هذا الفصل :

اغتم المقدسة سفر ابراهيم باشا الى يافا ، ليتفقد احوالها ؛ فمقدوا اجتماعاً حضره عدد كبير من مشايخ القرى المجاورة . وقرروا اعلان الثورة (٢٨ نيسان ١٨٣٤) . وفي ٨ مايس ١٨٣٤ حاصروا القدس . وكانت فيها الف جندي ، تركهم ابراهيم باشا خصيصاً لحراسة القلعة . وفي اليوم التالي ، ٩ مايس ١٨٣٤ ، اتتهم نجدة من نابلس والخليل ، عشرة آلاف نازك ، كلهم مسلحون . واول عمل قاموا به انهم اندزروا رؤساء الجند المرابطين في القلعة ، كي يغادروا المدينة . فكان جواب هؤلاء الرفض قائلين : انهم قرروا الثبات حتى الموت . فبدأ القتال . ودام تبادل النار بين الفريقين بضعة ايام . ان بعض افندية القدس الذين كانوا في داخل المدينة ، تظاهروا في بادىء الامر بانهم ضد الثوار . ووعدهم قائد الحامية بان لا يجند احداً من المقدسة اذا هم ظلوا مخلصين لابراهيم باشا . بيد ان هذه المجاملة لم تدم طويلاً . فظهر ان جميع السكان ، من افندية وفلاحين ، متحدون في الرأي ، معتمرون المقاومة . فاشتد القتال ، ودام الحصار . ولكن دون جدوى . ظل الجند مرابطين في اماكنهم . وكاد

(١) اهل سلوان . وهي القرية المجاورة لسور من الجنوب . تبعد عنها قيد بضعة امتار .

(٢) انه المجرى الروماني القديم الذي مجتأ عنه في موضع آخر من هذا الكتاب .

(٣) كلمة تركية معناها راس الالف . وهي لقب القائد الذي يقود الف جندي في الجيش العثماني .

(٤) كلمة تركية معناها رئيس الكتاب .

فبهت الباشا . ولم يكن يتوقع من اهل البلاد هذا الضرب من ضروب القتال . لا ، ولا هذه الجرأة . ولم يضع ثانية من وقته . بل راح يدفع هجمات الثائرين ، بنيران مدافعه الثلاثة الضخمة . وقد اعترف ، بعدئذ ، لاحد اصدقائه انه لم يقع في مأزق حرج كهذا المأزق قبل اليوم . اذ مات من جنده الف وخمسمئة قتيل . ومن لم يمت منهم بجحد السيف ، ذاق الامرين من قلة النوم والعطش والتعب . واضطر لقضاء يومين كاملين في قطع مسافة ، ما كان ليقتضي في قطعها ، في الظروف الاعتيادية ، اكثر من خمس ساعات .

١٧ - تمكن ابراهيم باشا ، رغم جميع الحوائل التي وضعت امامه ، من الوصول الى القدس . غير انه لم يدخل المدينة . ولم يسمح لجنده بدخولها . ولم ينصب خيمه في المكان الذي اعتاد الباشوات النزول فيه ، اي تحت الشجرة الكبيرة في داخل المدينة . بل ذهب رأساً الى جبل صهيون ، ونصب خيمه امام اسوار المدينة ، عند الباب المعروف بباب النبي داود . وكان يرمي من وراء هذا التريث ، على ما يظهر ، الى امرين : الاول الاستراحة من عناء السفر . والثاني جس نبض الاهلين واختبار مدى ميلهم الى الثورة . اما المسلمون الذين كانوا يعاضدون الثورة ، فقد اخذوا عائلاتهم ، وفروا من باب الاسباط . فريق منهم سلك الطريق الشرقية التي تؤدي الى العيزرية . وآخرون سلكوا الطريق الشمالية وذهبوا الى رام الله^(١) . واما اللاتين والارمن

(١) قرية مسيحية واقعة على بعد عشرة اميال من القدس الى الشمال . وكان فيها يومئذ مئة وخمسون عائلة مسيحية ، جهلهم ان لم نقل كلهم ، من الفلاحين العرب الارثوذكس . وقد استقبلوا الهاربين بالباشا والتحية كما يستقبل العربي ضيفه .

الخبر يصل الى نابلس ، حتى اتت منها نجدة مؤلفة من الفي رجل مسلح . ولما رأى البكباشي كثرة عدد الثوار ، انزوى هو وجنده في القلعة ؛ بعد ان امر باغلاق ابواب السور . لكن المقدسة الذين كانوا في داخل المدينة ، راحوا يفتحون الابواب للثوار . فدخل هؤلاء المدينة . وساروا نحو القلعة بقيادة زعيمهم ابراهيم ابو غوش . فوقع صدام عنيف بين الجند والاهلين . ودام القتال ثلاثة ايام . نهبت خلالها منازل الاتراك ودور اليهود ومخازن الحكومة ، وسادت الفوضى في المدينة . وازداد عدد الثوار فصاروا عشرين الفا . وراح هؤلاء يطردون الجند المرابطين في داخل القلعة بالنار . واقتربوا من القلعة بواسطة سراديب حفروها في داخل المنازل ، وكادوا يستولون على القلعة ، لولا نيران المدفعية . تلك النيران الحامية التي كانت تظورها عليهم حامية القلعة . اصف الى ذلك ان قلت المؤن في داخل المدينة ، وسادت الفوضى ، وساد معها الخوف والجزع ، وانتشرت الامراض ، وكثر عدد الضحايا : ضحايا الحرب والمرض والجوع .

١٥ - في هذه الاثناء كانت اخبار ثورة القدس قد وصلت الى ابراهيم باشا وهو في يافا . فطلب في الحال النجدة من بيروت وعكا وطرابلس الشام . فاتته نجدة مؤلفة من تسعة آلاف مقاتل . سار بهم فوراً الى القدس ، يبغي الانتقام (٢٤ مايس ١٨٣٤) .

١٦ - اتصل الخبر بالثوار . فراحوا يرسمون الخطط لمقاومة هذه الحملة الجديدة . فتحصن اهل القدس في المدينة ، وكن الفلاحون في الكهوف والجبال المطلة على الاودية التي سيمر منها ابراهيم باشا . ووضعوا في الطريق الحواجز ، ليحولوا دون مرور الخيل والفرسان . ولما مر هذا من هناك هو وجنده ، قابلوهم بالنار . والقوا عليهم الحجارة والصخور .

وتنادوا للقتال ؛ ثم راحوا يتحصنون في الجبال ، وبين الاشجار ، في المنطقة الواقعة بين القدس وبيت لحم وبيت جالا . وهناك اخذوا يستعدون للمقاومة . فساق عليهم ابراهيم باشا جيشه . ففر الثوار من امام الجيش ، متحاشين الاصطدام به . فافتقى الجند اثرهم . وفي بيت جالا اقتترفوا بعض الفطائع ، فقتلوا ٣٣ رجلا من سكانها ونهبوا منازلها . ولما دخل الباشا ، اصدر امره بمنع السلب ، ووقف القتال .

٢١ - وفي يوم الاثنين الموافق ٤ يونيو ١٨٣٤ ، تجمع الثوار مرة اخرى بالقرب من دير مار الياس على طريق بيت لحم . فساق عليهم ابراهيم باشا اربعة آلاف جندي ، زودهم بمدفع . وهناك التقى بهم ، وظل يطاردهم حتى ارجعهم الى بيت لحم . وهناك في الوديان والتلال الكائنة جنوبي بيت لحم ، تحصن الثوار في المنفر والجبال ، مستعملين الاشجار والصخور متاريس للمقاومة^(١) . وقد قاوموا الجند مقاومة عنيفة . واما في اطرأس فقد استراح الجند ، وشربوا ، ثم اسقوا خيولهم . وفيما كانت كوكبة من الجند ، مؤلفة من الف وخمسة مقاتل ، تسقي خيلها من العيون التحتا ؛ داهمها الثوار . فقتلوا ثمانية من رجالها ، وانهزم الآخرون . فرجع ابراهيم باشا الى القدس مدحوراً . وكانت بين المقتولين في هذه المعركة الضابط رشيد بك الذي دافع في المعارك السابقة عن القلعة دفاع الابطال .

٢٢ - امر الباشا بقطع اشجار الزيتون الكائنة حول المدينة (٤ - ٨ حزيران ١٨٣٤) بحجة انه في حاجة الى حطب الوقود من اجل جيشه . والحقيقة

(١) كان يقوم بأعمال التحصين هذه رجال ونساء . وكان النساء في امان . إذ ان الجنود المصريين كانوا لا يطلقون الرصاص عليهن .

واليهود وفريق من الارثوذكس فقد خفوا لاستقباله . ولم يقابله احد من المسلمين .

١٨ - وفي اليوم التالي (١٣ ابريل ١٨٣٤) عبر من باب النبي داود . ففرحت حامية القلعة بدخوله ، واطلقت من مدافعها ٣٣ طلقة لتحيته . وراح من فوره الى المسجد الأقصى ليصلي فيه صلاة الجمعة .

وبعد الصلاة اعلن العفو العام . وطلب الى الثوار ان يعودوا الى منازلهم . ونادى المناادي انه يترتب على الناس مسلمين كانوا من نصارى او يهود ان يفتحوا دكاكينهم وان يعودوا الى تعاظمي اشغالهم كالمعتاد . وقبل عودته الى جبل صهيون ، زار كنيسة القيامة ، وشاهد قبر المسيح . وبعد الظهر جاء المسيحيون للسلام عليه : اللاتين اولاً ثم الروم والارمن .

ولكن الثوار لم يلبوا النداء . ولم يتقدم احد من المسلمين للاجتماع بالباشا . لا ، بل راحوا يوزعون النشرات التي تدعو الى الثورة . وانتقدوا بضراحة اعمال الباشا . وتنادوا للاجتماع في مخماس ، تلك القرية الكائنة بين رام الله والقدس ، لبحثوا الطرق الواجب اتباعها لمواصلة القتال .

١٩ - علم الباشا بامرهم . فساق عليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل . وكان هو في المقدمة . والتقى الجمعان : الثوار والجيش المصري . وحدث بينهما معركة ، كان النصر فيها حليف الجيش . فانهزم الثوار ، تاركين وراءهم ثلاثة آلاف قتيلاً وخمسة اسير . ولما رجع الى القدس ، ساق الاسرى امامه . فدخلوها مكبلين بالحديد . واستقبل الباشا وجيشه من قبل اليهود والنصارى استقبال الظافرين .

٢٠ - ولكن الثوار لم يأسوا . فقد جمعوا اشتيتهم في اليوم التالي لمعركة مخماس (الخميس ٣١ مايس ١٨٣٤) .

٢٤ - عندما وصل جيش محمد علي الى يافا ، ورسى اسطوله في ثغرها (١٨ حزيران ١٨٣٤) انتعش ابنه ابراهيم باشا . وسافر من فوره الى يافا لاستقباله ، مصطحباً معه ألفاً وخمسة مقاتل . واصطحب معه عدداً من وجهاء القدس . ولما التقيا تمانقا ، وتحدثا عما جرى . ثم التفت الى الوجهاء وسأل ابنه عنهم قائلاً : من هؤلاء يا بني ؟ قال : هؤلاء هم وجوه القدس وزعمائهم . ثم راح يقدمهم اليه ، الواحد بعد الآخر : هذا عمر افندي نقيب سابق . . وهذا هو المفتي طاهر افندي . . وهذا هو محمد أبو السعود . . وهؤلاء هم الشيخ محمد علي أفندي الحسيني ، والشيخ عبد الله افندي البديري ، و ابراهيم أفندي طهوب^(١) . . و . . و . . فحملق محمد علي في وجوههم ، ونظر اليهم نظرة ازدراء ، كأنه لم يأبه لوجودهم ، وراح يحيل الطرف في كل واحد منهم من رأسه الى اخمص قدميه . ثم هز رأسه ، وسكت . وبعد التفكير في أمرهم ، أمر بارسالهم الى عكا . ومن هناك اقتيدوا الى مصر . وقد امروا بالاقامة الجبرية فيها .

٢٥ - بعد ان تشاور الاثنان ، الأب والابن ، في الطرق الواجب اتباعها لاختضاع الثوار ؛ رجع الاب الى مصر . وارسل الابن بعض قواده ، لتعقيب الثوار في جبل نابلس وجبل الخليل ، وفي يافا وعكا وفي كل مكان . وأما هو فقد دخل القدس (٢١ حزيران ١٨٣٤) . وكان معه يومئذ ثلاثون ألف جندياً ، ينتمون الى مختلف الاسلحة والاجناس : مصريون ، وهنأدي ، وعرب ، وأتراك .

(١) انتدب احد هو ابراهيم افندي طهوب بمؤيد ناظر الخاصة الملكية ، وهو الذي بنى قصر الزعفران . وقد نبغ ولده عثمان من بعده ، فصار يدعى (عثمان باشا) . وعين سرباوران للخبديوي توفيق باشا . ثم صار محافظاً لمصر على عهد الخديوي عباس حلمي باشا .

انه كان يرمي الى التخلص منها ، لان الثوار اتخذوها متاريس لمقاومة جنده ومهاجمتهم . ولولاها ما تمكنوا من التغلب عليهم . فازداد سخط الشعب . وبدأ الجند انفسهم يتبرمون ، لان مؤنهم^(٢) كانت قد قلت بدرجة تدعو الى القلق . اصف الى ذلك ان الباشا علم من التقارير التي تلقاها ان نار الثورة ازدادت اشتعالا في نابلس وصفد وعكا وطبريا ، وفي يافا واللد ، وفي الخليل والكرك . وان القوة التي كانت تحت تصرفه يومئذ (١١ حزيران ١٨٣٤) وهي لا تزيد على ستة الاف جندي ، لا تكفي لاطفاء تلك النار . ولهذا طلب النجدة من ابيه^(٣) . وقرر التحصن في القلعة الى أن تأتيه النجدة .

أدرك الثوار المقدسيون ان الباشا ما كان لينكمش في حصنه ، لولا تضائل قوته . فراحوا بضيقون الخناق عليه . وقد ضيقوه بدرجة انه اضطر ان يحتمي بمكان قريب من ضريح النبي داود ، وهناك اختبأ في منزل الشيخ درويش الدجاني شيخ السجادة الخلوتية وزوجته السيدة نفيسة بنت الحاج احمد طهوب .

٢٣ - أرسل محمد علي باشا ، عندما أتته اخبار ولده ابراهيم باشا ، نجدة مؤلفة من ثلاث كتائب من المشاة ، وكتيبتين من الفرسان ، والف من البدو . وعهد بقيادة هذه النجدة الى اثنين من انبغ قواده هما : أحمد منكلي بك ومحمد سالم باشا . وقد أبحر هو ايضاً من مرفأ الاسكندرية ، قاصداً فلسطين .

(١) قال الخوري في مذكراته التي ترجمت الى اللغة الانكليزية ان ابراهيم باشا استعار من اديرة الروم والارمن واللاتين كمية من الدقيق قامت باود الحامية أكثر من ستة ايام

(Annals)

(٢) قبل انه طلب من ابيه يومئذ خمسة عشر ألف جندي .

فقد اخفوا قسما منها^(١) ، ورموا القسم الاخر في ساحة الحرم .

٢٨ - قضى ابراهيم باشا المدة التي انقضت بعد ذلك التاريخ في الكرك جادا في اطفاء الثورة التي كانت مشتعلة هناك . وفي ١٠ سبتمبر ١٨٣٤ رجع الى القدس . واخذ يشدد النكير على الاهلين الذين لم يسلموا ما لديهم من سلاح . منذ اكل من يتخلف عن الانصياع لامره بالموت . وقد استخدم مئات العمال من المسيحيين لهدم منازل المسلمين الثائرين ، ولا سيما اولئك الذين رفضوا تسليم اسلحتهم ، والذين هربوا الى الانحاء الجنوبية من فلسطين . وقد هدم بالفعل عدد غير قليل من المنازل ، وقلع عدد لا يحصى من الاشجار في كروم العنب والتين والزيتون .

وقصارى القول لم يترك ابراهيم باشا وسيلة من وسائل التعذيب الا واستعملها ، ليكره اهل القدس وما جاورها من قرى على الخضوع . حتى انه في اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر ١٨٣٤ اتى باثنين من زعماء الثوار : الشيخ حسن وابن ابي زيد ؛ فقطع رأس الاول في باب العامرد ، والثاني في سوق الحبوب . وارسل بعض الزعماء ومنهم الباشكاكاتب محمداقندي ، ارسلهم الى عكا مكبلين بالحديد . ولكن هذه التدابير ما كانت لتقلع روح التمرد والعصيان والكره من افئدة الاهلين .

٢٩ - ولقد زاد في الطين بلة الهبضة (الكوليرا) التي انتشرت في القدس انتشارا فظيعا . فقد بدت هذه (في اوائل تشرين الاول ١٨٣٨) بين اليهود . ثم سرت منهم الى المسلمين . ودامت شهرا .

(١) عثر ابراهيم باشا على قسم من هذه الاسلحة في المقابر وقسم آخر في الدكاكين والمنازل . والكثير منها لم يعثر عليه . اذ ان الاهلين رصفوا سطح الارض من فوقها بالبلاط ليخفوها عن الانظار .

كما كان معه عشرة مدافع ، وخمسة من قاذفات القنابل . فكان دخوله الى القدس يوما مشهورا . اذ اطلقت مدافع القلعة اثنين وعشرين طلقة ، احتفاء بمقدمه . حتى الثوار من أبناء بيت المقدس ، فقد تظاهروا بالفرح ، وأبدوا ارتياحهم لحجيته . اما هو فقد نصب مخيمه على جبل صهيون بالقرب من مقام النبي داود . واما جنده فقد عسكروا حول السور وفي التلال الكائنة بالقرب من سلوان . ذلك ليكونوا قرييين من الماء . وقد عسكر فريق منهم عند برك سليمان على طريق بيت لحم ، من أجل الغاية نفسها .

٢٦ - خبت نار الثورة في القدس . وارسل اليه ثوار جبل الخليل وفداً يعرض عليه الطاعة . فاشتراط عليهم تسليم رؤسائهم احياء . ولما لم يلبوا طلبه ، قاد عليهم جيشا (٢٤ حزيران ١٨٣٤) احتل به مدينة الخليل . وجرت بينه وبين الثوار في شوارع المدينة واسواقها معركة دامت ثلاث ساعات . قاسى السكان خلالها الامرين . فسالت الدماء . وهدمت المنازل . ونهبت المتاجر . واعتدي على اعراض النساء^(١) . واسر ٦٣٠ شابا من شبان الخليل ارسلوا كلهم الى مصر ليخدموا في الجيش المصري .

٢٧ - ولما رجع الى القدس في ٢٩ حزيران ١٨٣٤ اصدر امره الى سكانها ، من غير تفريق بين جنس وجنس او مذهب ومذهب ، كي يسلموا كل ما لديهم من اسلحة . وكذلك فعل بالقرى المجاورة . والذي لا يكثر لهذا الامر ولا يسلم سلاحه يعاقب بالاعدام . فتظاهروا باستعدادهم لاطاعة الامر . ولكنهم في الواقع لم يسلموه من السلاح الا ما كان عديم النفع . واما الاسلحة التي كانوا نهبوا من مخازن الحكومة ؛

في الوقت نفسه ، جنودا نظاميين . فامر هؤلاء بان يرابطوا في القلعة ، وكان عددهم يومئذ (٢٢ ديسمبر ١٨٤٠) عشرين الفا . وبعد خمسة ايام (٢٧ ديسمبر ١٨٤٠) وصل اثنا عشر الفا آخرون . رابط قسم منهم (٤٠٠٠) في القدس . ورابط الآخرون على الطريق الكائنة بين القدس ويافا وبين القدس وغزة (٣١ ديسمبر ١٨٤٠) .

٣٢ - عندما اتصلت هذه الانباء بابراهيم باشا خشي عاقبة الامر . فعدل عن رأيه الاول ، وشطر جيشه الى ثلاثة اقسام^(١) : الشطر الاول ارسله الى مصر عن طريق معان والعقبة ونخل ، بقيادة سليمان باشا . والشطر الثاني ارسله الى غزة عن طريق المزيريب وحسبان والكرك ، بقيادة اسماعيل باشا . والشطر الثالث سار بقيادته هو ، وقد سار به نحو الصلت . وتظاهر انه كان ينوي الاغارة على القدس . فاضطر الاتراك ان يستدعوا حاميتهم الموجودة في غزة للدفاع عن القدس . وبهذه الوسيلة تمكن الشطر الثاني من جيشه من الاستيلاء على غزة . فاستولى عليها من غير حرب . وبهذه الوسيلة تمكن من الرجوع الى مصر .

٣٣ - رجع ابراهيم باشا الى مصر بعد ان اقام في هذه البلاد عشرة اعوام . رجع اليها تاركا وراءه عددا غير قليل من المصريين الذين رافقوه في حملته . وقد استوطن هؤلاء بعض المدن والقرى الفلسطينية فصاروا منها . وانك لتري حتى يومنا هذا كثيراً من العائلات الفلسطينية تعود في تاريخها الى اصل مصري .

وتتلخص ارباح ابراهيم باشا من حروبه بموافقة تركيا

ثم عادت فظهرت في منتصف شهر يناير ١٨٣٩ . فاغلقت ابواب المدينة بقصد منع اختلاط اهل القدس بسكان القرى المجاورة . ولجأ ابراهيم باشا وموظفوه الى استعمال الشدة والعنف في مكافحة هذا المرض الوبيل . ولكنه عاد فانتشر انتشاراً مريعاً ، عندما امر الباشا بفتح ابواب المدينة لحجاج النصارى الذين وفدوا لزيارة الأماكن المقدسة .

ومن القدس سرت الكولير الى السامرة والساحل وسائر انحاء فلسطين . وظلت تفتك في البلاد حتى اواخر شهر حزيران ١٨٣٩ . فمات من جرائها خلق كثير . كما مات منها عدد كبير من جنود ابراهيم

٣٠ - بعد ان اعاد ابراهيم باشا الامور الى نصابها في القدس وفي سائر انحاء فلسطين ، سافر الى دمشق . وهناك جرى له ما جرى مما لا يدخل في نطاق بحثنا . فاعتزم الانسحاب . وكان معه يومئذ ٦٢٤٩٩ جندياً .

٣١ - حاول الانسحاب في بادئ الامر ، عن طريق شرق الاردن ومعان . ولكنه عاد فغير رأيه ، بسبب العدد الكبير من جنده الذين راحوا ضحية العطش والجوع . فاعتزم الرجوع عن طريق القدس والخليل ، حيث تكثر المياه والمراعي والمؤن . الا ان السر عسكر^(١) امر المنسلا^(٢) ان يسلمح الفلاحين ، وان يحول دون رجوع الباشا عن هذه الطريق مهما كلفه الامر . فاعطاهم هذا كل ما كان لديه من اسلحة^(٣) . وارسل هو (اي السر عسكر) ،

(١) كلمة تركية معناها قائد الجيش . وهي مؤلفة من كلمتين : (سر) فارسية ، ومعناها الرأس . و(عسكر) عربية ، ومعناها الجند . وهذا القائد ارسل من استانبول ليخرج ابراهيم باشا وجنده من فلسطين .

(٢) (المنسلا) اللقب الذي كان يطلق على القاضي او النائب المشغول عن الادارة والحكم في القدس .

(٣) قيل انه اعطاهم يومئذ خمسة آلاف بندقية .

(١) (تاريخ شرقي الاردن وقبائلها) لبيك باشا . ص ١٨٠ .

وبعد شهر من ذلك التاريخ حذا حذوه الارمن . فانشأوا طاحوناً مثلها في حديقة ديرهم . ثم تبعهم آخرون .

(٤) من آثاره (الزاوية الابراهيمية) الكائنة الى الشمال من ضريح النبي داود على جبل صهيون . انها بنيت على عهده ، ومن اجله . وكان ينزل فيها كلما هبط القدس . ولذلك سميت باسمه .

(٥) عَمْرُ قلعة في وادي الجوز شمالي القدس . واخرى بين وادي الجوز والطور . ليس هذا فحسب . فقد أنشأ سلسلة من القلاع^(١) لحراسة الطريق بين القدس ويافا . لانها كانت الطريق الرئيسية التي تربط القدس عاصمة البلاد ، بالساحل . وقد عمر أيضاً القلعة الكبيرة الكائنة بالقرب من برك سليمان بين الكيلو ١٢ و ١٣ على طريق الخليل . عمرها بعد ان كانت مهملة . وكان يرمي من وراء تعميرها الى غرضين : صون الامن على الطريق ، وصون المياه التي يشرب منها السكان من عبث الزمان .

ومن الحوادث التي جرت في ذلك العهد مشاجرة وقعت (١٨٣١) في داخل الكنيسة بين الروم واللاتين من أجل مسألة بسيطة ، وهي ان اللاتين في أثناء ذهابهم الى الجلجلة مروا من أمام التبر المقدس بينما كان الروم محرمين الى الصلاة . فقال الروم انه كان على اللاتين ان يمروا في مثل هذه الحالة من وراء القبر ، لا من أمامه . فاختلف الفريقان ، وتشاجرا . وتراشقا بالحجارة . ثم

(١) بعض هذه القلاع هدم مع الزمن ، وبعضها لا يزال قائماً حتى الان .

وموافقة الدول الاوربية على ان تكون مصر لمحمد علي ولذريته من بعده .

٣٤ - ان الجيش العثماني الذي كان يومئذ في القدس ، وقد قدروا عدده بعد انسحاب ابراهيم باشا بعشرين الفا ؛ قضى فصل الشتاء في القدس . ولم يكن من السهل ابواء عدد كبير كهذا من الجند في المدينة . اصف الى ذلك انه سمح في تلك الايام لجميع الافراد الذين اشتركوا في حركة المقاومة ، ان يأثوا لزيارة القدس من جميع انحاء البلاد ؛ فزاروها وزاروا المسجد الاقصى والصخرة . كما قام فريق منهم بزيارة كنيسة القيامة ، وكنيسة المهد في بيت لحم ، والحرم الابراهمي في الخليل . وفي اواخر شهر شباط من السنة نفسها جاء السر عسكر الى القدس . فصلى في الحرم . وبعد ان زار الاماكن المقدسة كلها عاد الى عكا ، ومنها الى بيروت .

٣٥ - الآن وقد انتهينا من ذكر الحروب والثورات التي قامت في هذه البلاد على عهد ابراهيم باشا ، نود ان نأتي على ذكر المنشآت التي انشئت في القدس وفي ما حولها من ضياع خلال ذلك العهد ، فنقول :

(١) على عهده أنشيء (١٨٣٤ م) جانب من القسلاق الواقع بباب الخليل . بناه الى الجنوب من القلعة القديمة التي بناها هيرودس .

(٢) جدد عمارة السرايا القديمة الكائنة على طريق الجسمانية .

(٣) أنشئت (طاحون الهواء) الواقعة غربي المدينة . فاخذ المقادسة يطحنون فيها قحهم لأول مرة (١٦ اغسطس ١٨٣٩) على نفقة ابراهيم باشا وبإمره . وكانت الغاية من ذلك تزويد جيشه بالدقيق .

احتككا الى السلاح . لولا ان تداخلت السلطة وحجرت ما بينها .

وفي عام ١٨٣٣ اراد الأرمن ان يستبدلوا حجراً بحجر في مكان له قدسيته في نظرهم . فأراد الروم ان يمنعهم . واعتزموا قضاء ليلتهم كلها في داخل الكنيسة . فاصطدم الفريقان . واستعملا الحجارة في هذا الصدام . وجاء قاضي الشرع فأمر بأرجاع الحجر الى مكانه .

٣٦ - تطورت البلاد على عهده تطوراً نرى من مصلحة العلم والتاريخ ان نذكر شيئاً منه . فنقول^(١) :

أ - كان يعيش في القدس ، في ذلك العهد ، عشرون الف نسمة من السكان . الف منهم مسيحيون . وكان كبار البلاد يتباهون بالملابس الفاخرة والمظاهر الخلابه وكثرة الخدام والاتباع مقلدين في ذلك الولاة والحكام من بني عثمان . فآخذوا يقلدون ابراهيم باشا في ملابسهم وحركاتهم . وكان الباشا ميلاً بفطرته وبحكم حياته الجندي الى البساطة في المظهر والتخشن في المعيشة . وقد استبدل عدد غير قليل منهم العمام بالطربوش المغربي . اذان محمد علي و ابراهيم ورجاهما فعلوا ذلك ابان وجودهم في هذه البلاد .

ب - طرد جميع المسلمين والموظفين الذين ولاهم عبدالله باشا نيابة عن السلطة في استانبول . ثم امر بنفيهم من البلاد .

ج - ساوى بين المسلمين واليهود والنصارى . فاعفى النصارى واليهود من عادة النزول عن الدابة اذا ما صادفوا مسلماً في طريقهم . تلك العادة

(١) ننصح الى من شاء التوسع في هذا الباب ان يقرأ الكتاب القيم الذي ألفه داود بركات .

التي كانت متبعة من قبل^(١) . كما اتاح لهم لبس الحذاء الاحمر ، وكانوا قبل يكرهون على ارتداء الملابس السوداء والزرقاء . وامر بان لا يؤخذ من اليهود والنصارى اي مبلغ من المال باسم عوائد ومرتبات . لا ، ولا ضريبة من النوع المعروف بـ (الاغفار^(٢)) التي كانت مفروضة على الزوار . والشئ الوحيد الذي رضى به هو انه كلف النصارى ان يدفعوا الخراج مقابل تجنيد المسلمين بالجزية وهو ما كانوا يسمونه قبل بالجزية .

د - اتاح للتجار الاجانب البيع والشراء في داخل البلاد . وكان محظوراً عليهم ، قبل ذلك الاتجار الا في بعض الثغور والموانئ الساحلية . ولقد اساء التجار الاجانب استعمال هذه المنحة . فاتخذوها تكأة لهم ليكونوا لانفسهم دولة ؛ ولا سيما لانه سمح للتاجر الاجنبى ان تدفع ٣ بالمئة على البضائع التجارية اقل مما كانت تدفعه المتاجر الوطنية وهي ٢٠ بالمئة . وراح اكثر التجار يطلبون الدخول تحت حماية قناصل الدول الاجنبية . وكان الانكليز ، بوجه التخصيص ، يرمون الى انقاص دخل الحكومة المصرية لئلا تستطيع الانفاق على جيشها واسطولها .

(١) اقرا ما كتبناه عن هذا الموضوع في زمن الفاطميين .
(٢) «ذلك لان القدس مقر الرهبان والقسس وبها يتلون الانجيل الشريف . فينبغي حمايتهم» . هذا ما قاله ابراهيم باشا في امره الذي اصدره بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٢٤٧ هـ . وقد وقعه هكذا : الحاج ابراهيم باشا - والي جده وساري عسكر عكا حالاً وامر بعد قليل ان يتناول (اصحاب المرتبات) الذين كانوا يستفيدون من هذه الضريبة عوائدهم من خزينة الدولة . اقرا ماجاء الصفحة ٨٧ من الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا للدكتور اسد رستم .

وكانوا^(١) يتناولون اجورهم من اصحاب القضايا .
كان الباب العالي يعين المفتي ، والمفتي يعين القضاة .
وهؤلاء ينظرون في جميع القضايا ، ويحكمون
باحكام الشرع . فغير هذا الاصول . وانزل
قيمة الربا والفوائد المالية .

ي - كان كثير التجوال في المدن والقرى ، شديد
الرغبة في الاطلاع على ما في البلاد من عادات
ومراسم . حضر مرة العيد المعروف بـ (سبت
النور) في كنيسة القيامة (١٨٣٤) . ويظهر
ان النور قد تأخر فلم يظهر الا في ساعة متأخرة
من النهار . وكان الحريو ممتد شديداً . والكنيسة
مزدحمة بالالوف من الحلائق . وقام في وسط
هذا الازدحام صدام عنيف بين مختلف الطوائف
اضطر ابراهيم باشا للتدخل في الامر مع العدد
القليل من جنده . وقيل انه من شدة الزحام
وقع على الارض مغمياً عليه . فثار ناثر الجند .
ومات من الحاضرين خلق كثير . قدر بعضهم^(٢)
عدد المتوفين يومئذ بمئتي نفس .

٣٧ - كان في القدس يومئذ عدة اسواق ، منها :
سوق القطنين وهي من منشآت المماليك . وسوق
الطباخين وهي المعروفة اليوم بسوق خان الزيت .
وثلاث اسواق متوازية هي عبارة عن مسالك طويلة
وعقود مستورة هي : سوق العطارين ، وسوق
التجار والخواجات ، وسوق اللحامين ، وفي
الطرف الشمالي من السوق الاخيرة سوق الجلود
والنحاسين . وكانت ساحة القيامة تستعمل كسوق
لبيع الشمع والصدف والصلبان والمسابيح والكتب
الدينية للحجاج من المسيحيين الذين كانوا يفدون
الى القدس بقصد زيارة اماكنها المقدسة .

هـ - الغى الضريبة التي كان يجبيها حراس الكنيسة ،
آل نسبية وجوده ، منذ عهد صلاح الدين .
و - امر بالغاء الخمس من الحاصلات الزراعية^(١) .
وزرع البذار على الفلاحين . شجع الناس على
غرس الاشجار المثمرة كالعنب والتوت والتين
والزيتون . وزرع على المزارعين المحارث
الزراعية . ادخل الى البلاد انواعاً جديدة من
الزراعة ، واتى اليها بانواع من النبات والاشجار
من اوربا . اتى بعدد غير قليل من عرب
البادية ، واسكنهم القرى والسهول الخصبة ،
ليزرعوها ويستغلوها . وانشأ مصرفاً زراعياً
لمساعدة المزارعين .

ز - لاجل حماية صناعة الصابون زاد الضرائب
الجمركية على الصابون المستورد بنسبة ٣ بالمئة .
فراجت هذه رواجاً كبيراً . وكان في القدس
يومئذ مصابن كثيرة . وعلى ذكر الصابون
نقول : انه كان بالقدس في ذلك العهد وفي ما
حوطها من البلدان مساحات واسعة من
اشجار الزيتون . وكان الزيت مبدولاً فيها
بدرجة ان المقدسة في سنة من السنين كبوا
الزيت القديم ، ليجدوا اوعية كافية للزيت
الجديد . وكان سعر الرطل من الزيت
٤٨ بارة .

ح - اهتم بطرق المواصلات ، فانشأ مسافات غير
قليلة من الطرق .

ط - كافح الرشوة . ومنم تقديم الهدايا الى الحكام
في شهر رمضان . وضرب على ايدي (شهود
الزور) بيد من حديد . وعين الرواتب للموظفين ،

(١) داود بركات . ص ١٤٢ .

(٢) Eothen, P. 150

(١) داود بركات . ص ١٤٦ .

رب البيت ان يعيش هو وامرأته واطفاله بواحد او اثنين في المئة مما ينفقه في هذا السبيل في يومنا هذا .

فقد قرأت في السجلات القديمة ان دارا في حارة النصرى مؤلفة من ثلاث طبقات، بيعت حوالي تلك الحقبة من الزمن ، بست واربعين زلطة . والزلطة عبارة عن ثلاثين بارة . وكذلك قل عن دار في باب حطة مؤلفة من غرفتين وايران وصهريج ومنافع مختلفة ، فانها بيعت بخمسة وسبعين قرشاً .

وكسوة الزوجة كانت خلال القرن السابع عشر تكلف ثلاثة قروش في السنة . فما زادت بعد قرنين عن تسعة قروش فتأمل . ومدار المعاملات التجارية كلها كان (الشرف) . فلا سندات ولا عقود خطية ولا كميالات . وكثيراً ما سمعنا بصفقات تجارية كبيرة عقدت دون ان يخط الفريقان كلمة واحدة . ودون ان يقول الواحد منهما للآخر كلمة سوى : (الشرف) . وفي بعض الحالات رأينا ان المتعاقدين سجلا اتفاقهما في المحكمة الشرعية : الاخذ على نفسه ان يرد الشيء المأخوذ ، والا فانه يرضى بان تصبح امرأته طالقة . ومن ذا الذي يرضى بان تطلق امرأته من اجل عرض بسيط زائل . اللهم الا اذا كان يكرهها ، وكان يفتش عن حيلة للخلاص منها .

٤٠ - ولا يسعنا ، في ختام هذا الفصل ، وقد حدثناك فيه عن السنوات العشر التي قضاها ابراهيم باشا في هذا البلد : بقضها وقضيضها . بحسناتها وسيئاتها . . الا ان نأتي على ذكر حسنة من افضل حسنات ذلك العهد . ألا وهي : الحيلولة دون مطاعم الصهيونية ، والوقوف في وجهها . يدلنا على ذلك ما قرأناه في مذكرات السر موسى حايمنتيفوري ، احد كبار اليهود الانكليز الذي هبط

وكان امام جميع الدكاكين او امام الشطر الاكبر منها ، مساطب لجلوس اصحابها من جهة ، وجلوس الزبائن الذين يقدون بقصد الشراء . وانك لتري اليوم قسما من هذه المساطب في سوق التجار . وظلت الاسواق على تلك الحال حتى سنة ١٨٦٣ . اذ منعت السلطات المحلية انشاء مساطب جديدة . وامرت بهدم القديمة . ورصفت الطريق في داخل المدينة بالبلاط .

٣٨ - وعلى ذكر التجارة نقول : ان اكثر التجار ، ان لم نقل كلهم ، كانوا يومئذ اميين . لا يحسنون القراءة والكتابة . ولا يعرفون الطرق المألوفة الان في مسك الدفاتر التجارية . فكان التاجر ، مثلاً ، اذا باع شخصا عدساً ، وكان البيع بالدين اي ان المشتري لم يدفع له ثمنه ، يصور (عدسة) في دفتره ويضع تجاهها الارقام الدالة على الوزن والقيمة . واذا باع بالدين سمكة ، رسم السمكة . واذا باع فجلاً رسم الفجلة ، وهكذا دواليك .

واذا كان التاجر ارقى من ذلك ، وكان يحسن القراءة والكتابة ، فيكتب العدس والفجل والسمك وما الى ذلك من غير رجوع الى الصور والاشكال . لكنه كان يخجل ان يسأل المدين عن اسمه والخجل شائع عندنا نحن الشرقيين - فيكتب التاجر عندئذ في دفتره وتجاه الشيء الذي باعه بالدين علامة (البرنيطة) للدلالة على ان المدين هو الشخص الذي كان يلبس برنيطة . او علامة (العوينات) للدلالة على انه كان يضم على عينيه نظارات . او (شمسية) او (كوفية وعقال) وما الى ذلك . وقد يكتفي بالقول عن المدين : ابو العوينات ، او ابو البرنيطة ، او ابو المنخار الافطس ! . وهكذا دواليك .

٣٩ - وعلى ذكر التجارة ايضاً نقول : ان نفقات المعيشة كانت يومئذ قليلة بدرجة انه كان باستطاعة

حالا . انه بهذه الاثناء ورد لنا تحرير من جناب
محبتنا مير اللوى بحري بيك وفي طيه جرتال وارد
من مجلس القدس الشريف . والجرنال المرقوم من على
معروض متقدم للمجلس من وكيل طائفة السكناج
بالقدس الشريف بقصد الاستلام بانه هل يترخص
لهم بمشترى الاملاك والاراضي للزراعة وتعاطي
الحراث والزراع وتعاطي البيع والشراء وبيع
الاغنام والابقار وتعاطي مصابن ومعاصر بناء
يدفعوا المرتب للميري مثل الرعايا . هذا مضمون
استعلامنا . وفهمنا كيفية جواب المجلس بان هذه
ما سبق لها امثال . وبالوجه الشرعي ايضا غير
مساعدة للمستأمنين المذكورين في جميع ما يستدعونه .
حيث اراضي تلك الديار برية ووقفية . فالتاسم
بذلك لا يوافق حكم الشريعة ، ما عدا تعاطي البيع
والشراء بالتجارة الذي يجلبوها من بلادهم من انواع
التجارة . حكم امثالهم الذمين في السوق بان هذه
عمال يتعاطوها الان . فلا احد يمانعهم بها . هذه
ملخص المجاوبة المجلس المبسوط بصورة المذاكرة
المرقومة . وهذه المجاوبة من المجلس فهي بالحق
والطريقة ، والمجاوبة لهم بذلك فهي بحلها اذ ذاك ان
الذي ملتمسينه غير موافق من الوجه الشرعي .
واما تعاطيهم البيع والشراء بالسوق قياس امثالهم
الذمين فهذا ليس لهم معارضة به . فيلزم والحالة
هذه افادة مجلس القدس بذلك ، لكي يكون معلوما
عند حضرات ارباب المجلس ان جوابهم بذلك بمجمله .
من مصر في ٢٤ محرم سنة ١٢٥٣ هـ الموافق ١٨٣٧ م .

هذه البلاد في عام ١٨٣٦ م . ويبدو منها ان السر
مونتفوري حاول ان يقنع ابراهيم باشا واباه
محمد علي باشا ، بوصفه صاحب الامر في فلسطين ،
ان يؤجره ارضا مساحتها خمسون فدانا ومثني
قرية لحسين عاما ، بايجار معين يسدد على اقساط
سنوية . وكان ينوي كما جاء في مذكراته التي دونها
في صفد وفي ٢٤ ايار ١٨٣٧ ان يدعوا اخوانه اليهود
المقيمين في اوربا واميركا وجنوب افريقيا للاقامة
في تلك القرى واستغلال موارد الثروة في هذه
البلاد المليئة بالخيرات . ومتى تم ذلك « عاد آلاف
من اليهود الى ارض اسرائيل ووطدوا اقدامهم
فيها » .

ولكن محمد علي باشا ، الذي استشار ولده ابراهيم
في هذا المشروع رفضه رفضا باتا .

ولقد اطلعنا في (مجموعة الاصول العربية
لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا) لجامعها
الدكتور اسد رستم^(١) على الامر الحكمداري التالي
المرسل من مصر الى متسلم القدس ، ومنه يفهم ان
اليهود ارادوا يومئذ ان يسمح لهم بشراء الاراضي
الا ان الاهالي مانعوا في ذلك ، وايدهم في رغبتهم
مجلس الادارة ، والحكومة المركزية^(٢) :

« افتخار الاماجد الكرام ذوي الاحترام ولدنا
العزیز مصطفى اغا السعيد متسلم القدس الشريف

(١) استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية .

(٢) توجد نسخة من هذا الامر في سجلات المحكمة الشرعية
بالقدس وقد اطلعت عليها

القدس في اواخر الحكم التركي

الشاهانية باتفاق آراء الدول المتحابة بإزالة الاحكام المصرية عن هذه البلاد) .

٣ - ومن الحوادث التي جرت على عهد - ١٨٥٣ - ١٨٥٦ (حرب القرم) .

ان السبب الذي خلقته روسيا لحرب القرم كان في الظاهر ، حماية الارثوذكس من المسيحيين ، لاني البلاد المقدسة فحسب ، بل في جميع انحاء المملكة العثمانية . واما السبب الحقيقي فهو ضعف تركيا ، وطمع روسيا في الاستيلاء عليها . وقد وجدت هذه الفرصة سانحة في (بيت المقدس) ، فاهتبلتها (١٨٥٣ م) . واليك البيان :

كان السلطان سليمان (١٥٣٥) والسلطين الذين اتوا من بعده قد اقرروا المبدأ التالي :

« ان الرهبان الافرنسيين لا يتعرض لهم احد في اقامة شعائرهم الدينية في كنيسة القبر المقدس . واذا احتاج ذلك المكان الى ترميم ، فعلى الحكومة العثمانية ان تأذن بذلك بناء على طلب سفير فرنسا » . وقد نال الروم الارثوذكس مثل هذا الحق على عهد صلاح الدين والمماليك وفي فترات مختلفة من التاريخ . فراححت روسيا تدعي انها حامية الارثوذكس في الشرق . وراححت فرنسا تدعي انها حامية اللاتين .

ففي سنة ١٨٥٢ صدر الاذن للاتين ان يتسلموا مفاتيح البابين الشمالي والجنوبي لكنيسة مغارة بيت لحم . وان يضيفوا نجمة من الفضة عليها شعار فرنسا يضعونها في مزار تلك المغارة . فعدت روسيا ذلك خرقاً لحرمتها ، فطلبت تعويضاً ، وامرت جندها

بعد وفاة السلطان محمود الثاني ، الذي جرت في عهده حوادث جسام ، هي التي ذكرناها في الفصول المتقدمة - ومنها حوادث نابليون بونابارت و ابراهيم باشا - تولى السلطنة عبد المجيد بن السلطان محمود الثاني (١٨٣٩ م) . وقد وضع هذا السلطان اصول التجنيد الاجباري ، وجعلت مدة التجنيد من اربع الى خمس سنوات . ونظمت المحاكم . ومنع الاعدام إلا بعد ثبوت الجرم . ومنح الاهلون حرية التصرف . ومنعت مصادرة الاموال . وجرى التساوي بين رعايا الدولة ورعايا الدول الاجنبية . وحظر على الموظفين قبض الرشوة ، بعد ان عينت لهم رواتب كافية . وقد اقسام السلطان امام جمع من العلماء والوزراء انه سيبدل قصارى جهده من اجل تنفيذ (الفرمان) الذي اصدره بهذا المعنى لشعبه ، وكان مؤرخاً سنة ١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩ م .

كان عدد السكان في بيت المقدس يومئذ عشرين ألفاً . منهم الف من المسيحيين^(١) .

٢ - وكان اول عمل عمله السلطان عبد المجيد ، بعد ان وضع اساس الحكم والعمل في بلاده ، ان اقال ابراهيم باشا عن سورية في (فرمان) تاريخه سنة ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م . وقد عهد بإدارة هذا الجزء من البلاد الى احمد آغا الدردار . فقد رأيت الامر بنصب احمد آغا متسلماً على القدس ، موقفاً من محمد سليم باشا بوصفه : (فريق العساكر المظفرة) . وقد جاء في امر التعمين ان قد (صدرت الارادة

(١) هذا على قول المطران ميخائيل سولومون الكسندر الذي هبط القدس سنة ١٨٤٢ م .

وعشرين طلقة علامة الفرع . وراح الناس يتجولون في الشوارع . ودامت المهرجانات ثلاثة أيام وثلاث ليال .

واصدر السلطان عبد المجيد خطاً هامياً^(١) يقضي بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين في الحقوق والواجبات، من غير تفریق بين العناصر والمذاهب . وانتظم المسيحيون ، على اثر ذلك ، في الجندية ، مثلهم كمثل المسلمين .

٣ - راح قناصل الدول في القدس خلال حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦) يتنافسون . فكانت كل من انكلترا وفرنسا والنمسا واسبانيا وبروسيا تسعى لان تسبق الاخرى في اظهار نفوذها في الشرق ، ولاسيا في القدس عرق الشرق النابض في ذلك الحين . اذ كانوا يشبهون تركيا بالرجل المريض . فمن الذي يسبق الآخر لاقتسام تركه هذا المريض عندما يلقي حتفه الاخير ؟

ثم نزلت اميركا الى الميدان (١٨٥٧) . ثم تبعها روسيا واليونان (١٨٦٢) . فاصبح ممثلو الدول الاجنبية بالقدس ثمانية .

ولما خرجت تركيا من حرب القرم ظافرة ، ازداد قنصلا انكلترا وفرنسا نفوذاً في القدس . اذ ان دولتهما وقلتنا كما قدمنا يجانب تركيا في حربها ضد الروس . واليهما يرجع الفضل الاكبر في النتيجة التي وصلت اليها تلك الحرب . فرفع العلم البريطاني على دار القنصلية^(٢) للمرة الثانية (١٨٥٦) .

(١) اي قانونا او ارادة سلطانية .

(٢) جاء في بعض الروايات الانكليزية « ان العلم البريطاني رفع على دار القنصلية الانكليزية بالقدس لأول مرة » ، من قبل السير سدني . وكان ذلك عام ١٨٩٩ « . واما المستر J. Finn فانه يقول في الصفحة ٣٦٢ من رحلته : « ان القنصلية الانكليزية في القدس استست عام ١٨٣٩ »

بالزحف صوب الحدود . وبعثت سفيرها (منتشيكوف) الى الآستانة ، طالبة تأييد الحماية الروسية لارثوذكس الشرق . ولما رفض الباب العالي هذا الطلب ، اعلنت روسيا الحرب على تركيا (١٨٥٣ م) . قائلة : انها انما اضطرت الى ذلك بقصد الاحتفاظ بحقها في حماية المسيحيين .

انتصرت فرنسا وانكلترا للدولة العثمانية ، فاعلنتا الحرب (٢٧ آذار ١٨٥٤) . وامر نابليون الثالث اسطوله ان يرسو في سلاميس . ووعدت انكلترا بتقديم اسطولها في البحر المتوسط لنصرة العثمانيين . ووقفت بروسيا والنمسا على الحياد . ولم تنته الحرب إلا عند اسوار (سواستوبول) . انها انتهت بانتصار تركيا . فعقدت على اثر ذلك معاهدة باريس (٣٠ آذار ١٨٥٦) . وكان من اهم شروطها^(١) :

- [١] حياد البحر الاسود .
- [٢] قفل الدردنيل في وجه السفن الحربية .
- [٣] حرية الملاحة في الطونة .
- [٤] احترام املاك تركيا وسيادتها . (باستثناء افلاق والبغدان اللذان سلخا عن تركيا ومنحا استقلالاً داخلياً تحت سيادة السلطان) .

عندما وصلت الى القدس^(٢) انباء انتصار الترك على الروس في سواستوبول (١ أكتوبر ١٨٥٦) ساد الفرح جميع طبقات السكان . واقامت المهرجانات في جميع انحاء المدينة ، واقامت الرينات فاضيت جميع المنازل ودور القنصليات . كما اضيئت جميع المساجد والمآذن . واطلقت مدافع القلعة واحداً

(١) (تاريخ القرن التاسع عشر) تأليف محمد قاسم وحين حنبى . ص ٢١٥

(٢) J. Finn, P. 362, 364

ومن بعد ذلك جاءت اميركا^(١) وراحت اعلام الدول ترفرف على قنصلياتها في أيام الآحاد ، والاعیاد ، وميلاد السلطان ، والمولد النبوي . كما راح الاجانب يطلبون اطلاق المدافع في أعياد ملوكهم . فغضب المقدسة لهذا العمل غضباً لا مزيد عليه . ونقموا على المتصرف كامل باشا^(٢) ، لانه سمح برفع الاعلام الاجنبية على دور القنصليات ، بعد ان كان هذا الأمر ممنوعاً ، ولان مدافع القلعة ما كانت تطلق ، قبل ذلك اليوم ، الا في رمضان والاعیاد وفي ذكرى المولد النبوي . وفي الحقيقة انهم كانوا يعارضون فكرة اطلاق المدافع ، ليس في اعياد الملوك الاجانب فحسب ، بل في يوم ميلاد سلطانهم ايضاً ؛ لانهم كانوا يكرهون ان يسمعو ان السلطان رفع الى مرتبة الانبياء . والانبياء وحدهم هم الجديرون بهاته الدرجة من التعظيم والاجلال .

٤ - ومن الحوادث التي جرت في عهده (١٨٢٣) ان المتسلم سليمان افندي ، وكان هذا يهودياً فاهتدى ، ظلم الناس كثيراً . واعانه في ظلمه قائد الحامية موسى بك الغزي . وكانوا يلقبونه يومئذ (تفنكجي باشي) . فجمعوا من الناس ضرائب اكثر مما كان متقدراً . والذي لم يدفع ما عليه منها ضرب ، واهين ، واقتيد الى السجن . فاستغل اليهود هذه الفرصة . وتقدموا لادانة دافعي الضرائب ما احتاجوا اليه من مبالغ بفوائد فاحشة . وراح الناس بعد ذلك بكثير يتحدثون عن ظلم هذا الطاغية ، سليمان المهتدي ؛ حتى انهم لقبوه ، لظلمه ، ببلاطس القرن التاسع عشر .

وطلب القنصل الانكليزي من متصرف القدس كامل باشا ان يحتفي بكتويج الملكة فكتوريا . فأجابته لطلبه ، وامر باطلاق واحد وعشرين طلقة من مدافع القلعة .

ان هذا العمل جرأ القنصل الافرنسي . فراح هذا يطالب بنفس الحق . ورفع العلم الافرنسي على دار القنصلية الافرنسية^(٣) (١٨٥٦) .

واشترك الافرنسيون في مظاهرات الفرحة والسرور التي قامت في المدينة ، واقاموا حفلة دعوا اليها جميع الموظفين الرسميين . فجاء هؤلاء ببدلاتهم الرسمية . ولما ارتفع العلم الافرنسي على دار القنصلية ، حيث مدافع القلعة بواحد وعشرين طلقة^(٤) .

ولما منحت النمسا^(٥) متصرف القدس كامل باشا وساماً رفع علم النمسا ، واطلقت من اجله واحد وعشرون طلقة من مدافع القلعة . ثم جاء دور اسبانيا^(٦) وبروسيا ، فرفعت اعلامها ، وحيثما مدافع القلعة بواحد وعشرين طلقة (١٨٥٦ م) .

= وعلى عهد السلطان عبد المجيد ، يوم اشترى القنصل الانكليزي دار الديسي الكائنة شرقي القلعة بباب الخليل وبنى فيها كنيسة هي التي تعرف الان بكنيسة المسيح (Christ Church)

(١) حاول الافرنسيون ، قبل ذلك التاريخ ، ان يرفعوا العلم الافرنسي مثلث الألوان على دار القنصلية الافرنسية (١٨٤٣) . الا ان المقدسين لم يكتفوا من ذلك . بل ، ثاروا عندمسا بمزم الافرنسيين ثورة مضربة . وراحوا الى العلم فانزاه . ثم أخذوه ، ومزقوه ، وطرحوه على الارض . فلم يستطع الافرنسيون ان ينسوا يومئذ بينت شفة . لانهم كانوا ضغفاء . ولم يكن لهم حول ولا طول ؛ لا في مدينة القدس ، ولا في غيرها من المدن الفلسطينية .

J. Finn, P. 364 (٢)

J. Finn, p. 392 (٣)

(٤) تأسست القنصلية الاسبانية سنة ١٨٥٠ .

(١) تأسست القنصلية الاميركية سنة ١٨٥٧ .

(٢) شاب ضعيف الادارة . ذو تربية افرنسية . تولى الادارة في ١٥ فبراير ١٨٥٥ . استقبل باطلاق عدد من مدافع القلعة . سكن في الدار التي كانت تعرف قبلاً بمدرسة الجاولي . وهي المعروفة بـ (الروضة) في يومنا هذا .

والبرد قارصا . وقد هطلت امطار غزيرة . ثم تبعتها زوابع ورياح . وزاد في الطين بلة ان الحكومة صادرت ما كان عند الناس من حبوب باسم الحرب واطعام الجيش . وان دفعت في بعض الاحيان ثمنه فبالورق لا بالذهب . وبالسعر الذي تعينه هي ، لا بالسعر الذي كان رائجا في السوق . فظهرت في القدس مجاعة لا بسبب قلة الامطار وانما بسبب طمع الاستغلاليين من التجار . وقد عضت بناتها جميع الطبقات . واضطر الفلاحون للاستدانة بالربا الفاحش . وقيل انه مات في تلك السنة بسبب هذه المجاعة وسوء التغذية ما يقرب من ٨٠٠ طفل مسلم خلال ثلاثة اسابيع .

٨ - وفي سنة ١٨٥٥ كان المطر قليلا ، فاجذب الزرع ، وارتفعت اسعار الحبوب ، وتكررت المجاعة . لا بل صعدت اسعار القمح والارز الى ضعفي ما كانت عليه في السنة السابقة (١٨٥٤) . ولم تسقط الامطار في شهري اكتوبر ونوفمبر كالمعتاد . ولذلك لم يتمكن الفلاحون من زرع اراضيهم . ووصل البؤس الى درجة عمت جميع طبقات الشعب . دعا الباشا في نوفمبر جميع القناصل لدار الحكومة واستشارهم في الامر . فاشاروا عليه ببيع القمح المخزون في مخازن الحكومة باسعار معتدلة . وقد اشتدت حاجة الناس الى الماء . فصاموا ، وصلوا صلوات الاستسقاء . وفي ١٧ ديسمبر هطل المطر بشدة ، ودام بضع ساعات . فتنفس الناس الصعداء . وقد عاد المطر مرة اخرى في ٦ يناير . وفي اليوم التالي هطل الثلج . وفي هذا ما فيه من نفع للزرع ، فهبطت اسعار المياه المعدة للشرب .

٩ - وفي مطلع عام ١٨٥٦ هطلت امطار غزيرة . فسالت الوديان ، وظهر الماء بكثرة من عين ايوب . فانتعش الفلاحون ، واشتدت الامطار في نهاية آذار

٥ - وازداد هياج الناس بعد ذلك ضد النصارى ، ولاسيما الروم من اصل يوناني ، عندما وصلت بعض السفن اليونانية الى بيروت . واتهم هؤلاء بالتآمر على سلامة الدولة مع الاجانب . وحاول الاتراك ان يسجنوا الارثوذكس في كنيسة القيامة ، كما فعلوا في سنة ١٧٩٨ عندما جاء نابليون بونابارت . ولكنهم عدلوا عندما رأوا ان السفن اقلعت من مراسيها .

٦ - ومن الحوادث (١) التي جرت في القدس يومئذ ان البرد اشتد في سنة ١٨٥٣ ، وهطل ثلج كثيف . وكان الوقود قليلا . الامر الذي اضر بالناس ضررا بليغا . وارتفعت اسعار الطعام وجميع انواع الغذاء . فبيم رغيف الخبز في السوق بسعر لا يتحملة الفقير . هذا فضلا عن انه كان مصنوعا من القمح الرديء الذي لا يرغب في اكله انسان . وانتشر الجدري انتشارا فظيحا . فمات كثيرون من البرد والجوع والمرض .

كانت الحكومة ضعيفة بدرجة انها لم تستطع ان تفعل شيئا لتخفيف هذه الضائقة . والباشا كان ضعيفا بدرجة انه لم يستطع ان يضرب على ايدي التجار الاستغلاليين .

ثم اقبل الباشا لضعفه . واستبدل بباشا اقوى منه . فاحد هذا بطارد التجار ، وراح يصادر ما ادخروه في مخازنهم من غلال . وانزلت هذه الى السوق . فهبطت الاسعار وتنفس الفقراء الصعداء .

٧ - وفي سنة ١٨٥٤ ايضا كان الشتاء قاسيا ،

(١) اقتبسنا بعض هذه الحوادث من مذكرات المسترج . فن Mr. J. Finn الذي كان يومئذ قنصلا لبريطانيا في القدس . انظر الى الصفحات ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٣٦ و ٤٣٨ و ٤٤٧ من مذكراته .

ذكرنا اكثرها في الفصول المختصة بها ، والبعض الآخر ندرجه في السطور التالية :

جلس على كرسي السلطنة في ١١ شعبان ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م . وبثأثير من الصدر الاعظم^(١) مدحت باشا^(٢) منح الشعب حرية القول والعمل والاجتماع . وقد نشر القانون الاساسي (الدستور) . وامر بانتخاب (مجلس العموم^(٣)) . وكان ذلك بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٢٩٣ هـ . وكان على اعضاء (مجلس العموم) ان يقسموا بين الطاعة والولاء للدستور وللسلطان . اما اعضاء مجلس الاعيان فيعينهم السلطان من رجال الدولة الخبيرين ، على الا يكونوا فوق الاربعين من العمر ، والا يتجاوز عددهم ثلثي عدد الاعضاء في مجلس المبعوثين . ويبقى العضو في مجلس الاعيان ما دام في قيد الحياة . ويتناول من خزانة الدولة عشرة آلاف قرش .

واما اعضاء مجلس المبعوثين^(٤) فينتخبون من قبل الشعب انتخاباً على درجتين . والانتخاب سري . ولكل خمسين ألفاً من أبناء البلاد مبعوث . ويشترط في المبعوث ان يكون من رعايا الدولة العثمانية وان يعرف اللغة التركية ، وان يكون فوق الثلاثين من العمر ، وان لا يكون خادماً عند الغير او مفلساً او ساقطاً من الحقوق المدنية .

والانتخاب يتكرر مرة في كل اربع سنوات .

(١) هذا هو اللقب الذي كان الاتراك يطلقونه على رئيس وزرائهم .

(٢) انه بطل الحرية والدستور ، وكان يدعى (رئيس الاحرار العثمانيين)

(٣) (مجلس العموم) مؤلف من هيتين : - (مجلس الاعيان) و (مجلس المبعوثين)

(٤) جمع (مبعوث) وهو النائب . وكان الاتراك يطلقون على هذا المجلس : (مجلس مبعوثان) .

وفي اواسط ابريل فامتألت الآبار ، وترعرت الزروع . واعقب ذلك خصاب جاء من ورائه هبوط في الاسعار . فتحسنت حالة البلد الاقتصادية . وازدهرت القدس في ربيع تلك السنة ازدهاراً لم يسبق له مثيل . وكان فيها من السكان عشرون ألفاً وفي سنة ١٨٥٧ أسست اول قنصلية امركية في القدس . وفي ١٨٥٨ خرج المقدسيون من المدينة القديمة وراحوا يبنون العمارات خارج السور .

١٠ - بعد عبد المجيد تولى السلطنة اخوه السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني (١٨٦٠ م) . وعلى عهده انشئت الطريق التي تربط يافا بالقدس (١٨٦٧ م) . والطريق التي تربط القدس بنابلس (١٨٧٠ م) . وعلى عهده ايضاً (١٨٦١ م) عرف الاتراك وعرف معهم سكان بيت المقدس الطربوش ، ولبسوه ، وكانوا يومئذ يسمونه (سربوش^(١)) . وكان عدد سكان القدس يومئذ ثمانية وستين ألفاً .

١١ - ولما خلع عبد العزيز اقيم مكانه السلطان مراد الخامس بن عبد المجيد (١٨٧٦ م) . ولكن هذا لم يمكث على العرش اكثر من بضعة ايام بسبب ضعف عقله . وسادت الفوضى في تلك الفترة من الزمن فساءت حالة الفلاح ، وراح يدفع خمس محصولاته اعشاراً . وكان يطالب بضريبة عن كل شجرة يزرعها في ارضه . والبدو لم ينفكوا عن غزو المزارع .

١٢ - ولما خلع السلطان مراد اعتلى سده الملك السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد خان (١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م) . وعلى عهد هذا السلطان حدثت في البلاد حوادث جسام .

(١) انتقل الطربوش الى تركيا عن طريق اليونان . وهذه اخذته من مدينة (فان) من اعمال مراکش .

اثناء الحرب . ولا يجوز مصادرة اموال الناس واملاكهم من بين ايديهم ، الا ما لزم منها للمصالح العامة ، على ان تدفع اثمانها مقدماً . (الرشوة) غير جائزة . وكذلك قل عن جميع انواع الاذى والتعذيب .

السلطان هو الذي يعين الصدر الأعظم وشيخ الاسلام رأساً . وباقي الوزراء يعينون بإرادة سنية . والوزراء يحاكمون ضمن القانون . ولاعضاء البرلمان الحق في سؤال الوزراء عن حركاتهم وتصرفاتهم . ولقد حصر السلطان في يده حق تعيين الوكلاء وعزلهم ، وتوجيه المناصب والارسة . وصك النقود ، والخطبة ، واعلان الحرب ، والصلح ، وعقد المعاهدات مع الدول الاجنبية ، وقيادة القوى البرية والبحرية وسن الانظمة التي تتعلق بتنفيذ الاحكام الشرعية والقانونية ، وحق العفو عن المحكومين والمسيجون وتخفيف الجزاء .

كما حصر في يده حق دعوة المجلس العمومي وتعطيله . واجراء انتخابات جديدة عند الاقتضاء . ولكن البلاد العثمانية لم تنعم بهذه الحرية زمناً طويلاً . اذ لم يكند ينقضي على نشر الدستور سنتان حتى استرد السلطان عبد الحميد بيده اليسرى ما اعطاه باليمنى . فالغى الدستور . واغلق (مجلس المبعوثين) واخذي طارد المبعوثين انفسهم . وراح يدير البلاد وفق ارادته الشخصية ، غير حاسب للأمة حساباً (١٢٩٥ هـ - ١٢٨٧ م) . وكانت الحالة في فلسطين بوجه عام وفي القدس بوجه خاص تسير من سيء الى أسوأ من جميع الجهات الزراعية والاقتصادية والادارية .

١٣ - على عهد السلطان عبد الحميد قامت حرب بين روسيا وتركيا (١٢٩٤ هـ - ١٢٨٧ م) .

والمبعوث لا يعتبر ممثلاً للمنطقة التي انتخبته ، وانما يعتبر ممثلاً لجميع انحاء المملكة العثمانية .

وقد ناب عن القدس في هذا المجلس يوسف ضيا باشا الخالدي^(١) (١٢٩٤ هـ - ١٢٨٧ م) .

أكد السلطان لرعاياه في الدستور انه لن يفرق بين دين ودين ، ولا بين انسان وانسان . فالكل سواء تجاه القانون . (التركية) لسان لدولة . ودينها (الاسلام) . والخلافة في بني عثمان . انت السلطان مقدس وغير مسؤول . وان الانسان حر في تصرفاته ، شريطة ان لا يعتدي على حق الغير . (المساكن) حرة . و (المطبوعات) ايضاً حرة ضمن القانون . و (التدريس) مطلق . وللأمم المختلفة الحق في وضع مناهج التعليم لديني التي يرتأونها في مدارسهم ، على ان يكونوا خاضعين لنظام الدولة . والضرائب توزع حسب مقدرة المكلفين . (الانقارية^(٢)) ممنوعة ، الا ما لزم منها

(١) من آل الخالدي : وهم من العائلات الشهيرة في بيت المقدس . نزلوا القدس في اوائل الفتح الاسلامي . ورحلوا عنها في زمن السليمان الى حمص . واستوطنوا خربة ، وبرزت الى الان تعرف بـ (دير بجلة) على مقربة من برده . وكان يطلق عليهم يومئذ لقب (الديري) . وذلك لانه كان في الحارة التي نزلوا فيها دير . وقال آخرون ان لقب الميري هذا اتاهم من الحارة التي نزلوا فيها بيت المقدس . ويوسف باشا هذا هو ابن فاضل ارضروم محمد علي الخالدي . ضابط العلم في جوار المسجد الأقصى . ومكث مدة في كلية مانطة . ثم انتقل الى الاسكندرية فأنتم دراسته في جامعها . وتولى رئاسة بلدية القدس (انه الرئيس الرابع) . وناب عن القدس في مجلس المبعوثين . وعين استاذ اللغات السامية في جامعة عين شمس . انه مولع بالشعر والادب . فقد كان مفرماً بنبيد الشاعر . وقد طبع ديوانه في قينا وشرحه . وله كتاب موضوعه (انا) وفيه آراؤه في الاصلاح . ومن كتبه (التحفة الحميدية في اللغة الكردية) جمع فيه مفردات هذه اللغة وقواعدها (طبع في الاسكندرية سنة ١٣١٠ هـ)

(٢) الشغل بالجبر والاكراه .

وفي عام ١٨٨٨ نراها تعترف بوجود قنصل روسي يحمي المصالح الروسية في القدس .

وكان القنصل عندما يصل الى بيت المقدس يواجه المتصرف والنائب ، ويقدم اليها اوراق اعتماده ، ورسالة التوصية التي يحملها من ولاية الامور في الاستانة ، معنونة الى المتصرف والنائب معا . والرسالة تشتمل على اشياء كثيرة منها اسم القنصل الجديد واسم سلفه ، والمدة التي سيمكثها بالقدس ، وصلاحياته تجاه رعايا الدولة التي ينتمي اليها والدولة التي يعيش في كنفها ، والامتيازات التي يجوز له ان يتمتع بها ، مع الطلب بان تتخذ جميع التدابير اللازمة لاجل حمايته ودرء الشر عنه .

١٥ - كانت الكلمة العليا ، خلال العهد التركي ، للعرب سكان البلاد الاصليين ، وبالاخرى للمسلمين منهم ، رغم وجود هذا العدد من القناصل . حتى ان الاجني الذي ينتمي الى احدى هذه الدول الاجنبية ويعتبر نفسه من رعاياها ، ما كان يستطيع ان يملك في مدينة اي نوع من انواع الملك الا باذن من المتسلم او المتصرف . وكان يشترط ان يصادق على هذا الاذن (مجلس الادارة) المؤلف من عدد من الموظفين وآخرين من مشايخ البلاد .

حاول اليهود مراراً ان يقنعوا مشايخ البلاد ورؤساءها ، كي يعدلوا عن خطتهم ، وبوافقوا على ادخال ولو عدد محدود منهم الى فلسطين ، والسماح لهم بشراء الاراضي وملكها . إلا انهم لم يفلحوا . ورأى اليهود بعدئذ ان يولوا وجوههم شطر الآستانة ومقاماتها العليا . وفي مقدمتها الوزراء . وما كان في مقدور الوزراء ان يفعلوا شيئاً دون ارادة السلطان ورضاه . ولهذا راح هرتسل . . . واضع فكرة الدولة اليهودية . . يتردد على استانبول محاولاً اقناع السلطان عبد الحميد . وازداد تردده

وصدر قانون (١٨٨٢) يحرم هجرة اليهود الى فلسطين وشراهم الاراضي فيها . ثم عدل القانون فسمح لليهود بدخول فلسطين والبقاء فيها لمدة ثلاثة شهور بقصد العبادة . وصدر قانون يقضي بمنع تجارة الرقيق (١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م) . وانشئت السكة الحديدية بين القدس ويافا (١٨٩٢ م) وانشيء المستشفى البلدي الكائن غربي مدينة القدس (١٨٩١) . وانشيء السبيل الذي كان قائماً تجاه باب الخليل الى الغرب (١٩٠٧) . وجددت عمارة السبيل الكائن في الحرم بين باب القطنين والصخرة والمعروف بسبيل قايتباي . ومع (١٩٠٥) ادخال آلات التلغون الى القدس وسائر انحاء المملكة العثمانية ، واستعمل اللاسلكي .

وزار امبراطور الالماني غليوم القدس (١٨٩٧) واستقبل فيها استقبالاً فخماً . ان الحكومة فتحت له ثغرة في السور بالقرب من باب الخليل ، ليتمكن من دخول المدينة متمطياً ظهر جواده . وقد طم قسم من الخندق يومئذ ، وهو القسم الكائن بين البرج في الشمال الغربي وباب الخليل . وبهذه المناسبة هدم السور الذي كان يصل الابراج بعضها ببعض .

١٦ - وازداد تنافس الدول الاجنبية بالقدس في عهد السلطان عبد الحميد . وتأسست قنصليات جديدة غير تلك التي تأسست في زمن السلطان عبد الحميد .

ففي عام ١٨٨٥ لرى قنصل المانيا يقوم باعمال القنصلية بصفته مندوباً من لدن امبراطور المانيا وملك بروسيا .

وفي عام ١٨٨٦ نرى الحكومة التركية تعترف بوجود ملحق تجاري (شهنذر) في القدس لدولة المعجم .

(الاتحاد والترقي) سنت الحكومة قانوناً يميز الجمعيات ان تمتلك الاراضي في فلسطين . وسنت أيضاً قانوناً آخر أجازت بموجبه بيع المزارع السلطانية^(١) بالمزاد العلني . وعن طريق هذين القانونين تمكنت الجمعيات الصهيونية من شراء ما شترته من اراضي فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية (١٩١٤ م) .

١٧ . ومع ذلك كله عرف عهد السلطان عبد الحميد بعهد الظلم والاستبداد . اذ ما كان رجل ينطق بكلمة يشتم منها رائحة (الحرية) إلا ويصيبه ما يصيب الاحرار من نفي واضطهاد . و (المنفيان) المشهوران في ذلك الزمن هما : (سينوب) و (اليمع) . ولقد كثر عدد الجواسيس في البلاد ، وساءت الاحوال الى درجة ان اصبح المرء لا يثق باخيه ، والابن بابيه .

ظل الامر كذلك حتى سنة ١٩٠٨ للميلاد . وفي تلك السنة اعيد اعلان الحرية والدستور على يد رجال (جمعية الاتحاد والترقي) . اراد السلطان عبد الحميد ، في بادئ الامر ، ان يخاتل كما فعل في المرة الاولى . فاعلن الدستور . ولكنه بعد بضعة شهور راح يعمل على اثارة الفتن بين الناس ، فأخذ قسم من هؤلاء ينادون بوجوب الغاء الدستور ، والعمل باحكام الشريعة الاسلامية . وكادت تقوم الفتن في البلاد . لولا ان تدارك العقلاء الامر . فاسقطوا السلطان عبد الحميد عن عرشه ، واقاموا مقامه اخاه السلطان محمد رشاد اعظمي ١٤ نيسان ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٨ م .

١٨ - على عهد السلطان محمد رشاد الخامس اعلنت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٧)

(١) عرفت هذه المزارع بـ (الجفتلك) . وكانت مسجلة باسم السلطان عبد الحميد . وهي كثيرة .

على العاصمة بين عامي ١٨٩٧ و ١٩٠٢ . ولكن عبد الحميد ابي ان يصغي لتوسلاته . ورفض المشروع الذي عرضه عليه (١٩٠٢ م) من حيث السباح لليهود بشراء الاراضي بفلسطين ، لقاء مؤازرتهم له في السياسة الدولية وامدادهم اياه بالمال الوفير .

واليك ما قاله الدكتور هرتسل نفسه عن الجواب الذي تلقاه من السلطان يومئذ في يومياته^(١) . قال : « بعث السلطان اليّ وساماً عالي الدرجة . ومع الوسام جواب مفرغ في هذه العبارات : « بلغوا الدكتور هرتسل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة في هذا الامر . فاني لست مستعداً أن أتخلي عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملكي . بل هي ملك شعبي . وشعبي روي تربتها بدمائه . فليحفظ اليهود بلابينهم من الذهب ! »

١٦ - ولكن الوضع تبدل بعد الانقلاب العثماني (١٩٠٨ م) . ذلك الانقلاب الذي اطاح بعبد الحميد وعرشه . وجاء بجمعية (الاتحاد والترقي) الى دست الحكم . وراح رجال هذه الجمعية يسرون على سياسة قومية تركية . . ترمي الى تترك العنصر الاخرى غير التركية . . . واندس بينهم عدد من الاتراك المعروفين بـ (الدوئمة)^(٢) . وتغلغل هؤلاء في اداة الحكم ، حتى اصبحت كلمتهم هي العليا . فقد رأينا أربعة منهم^(٣) يحتلون في عام ١٩١٣ م ارفع المناصب . وعن طريقهم وغيرهم من رجال

(١) طبعت يوميات هرتسل هذه باللغة الالمانية وفي تل ابيب سنة ١٩٣٤ .

(٢) يهود ارتدوا عن دينهم اليهودي ، واعتنقوا الدين الاسلامي
(٣) جاويد بك وزير المالية وهو من سلاطيك بساريا افندي وزير النافمة وهو من رومانيا . نسيم مازلياك وزير التجارة والزراعة وكان هذا ممثلاً للجمعية الصهيونية . حسين جاهد (بالشتين) رئيس تحرير جريدة (طنين) التركية .

ورثه عن اجداده آل عثمان . الى ان مات . وعلى قول انه مات في ايطاليا ، ونقلت رفاته الى الشام ، ودفن فيها . وهو يعتبر آخر سلاطين بني عثمان .

٢٢ - ثار الاتراك على معاهدة الصلح التي عقدها الخليفة مع الانكليز وحلفائهم . وتمكنوا من تمزيقها . ثم اعلنوا الجمهورية . وانتخبوا رئيساً لها القائد الذي قاد جيش النصر في حربه مع اليونان ، الا وهو (مصطفى كمال) . واطلقوا عليه لقب (اتاتورك) اي ابو الترك . وجرى في تركيا ماجرى من الامور التي لا تدخل في نطاق بحثنا هذا . وكل ما يهمنا تدوينه هنا ، من الناحية التاريخية ، ان القدس وفلسطين لم تعد تابعة لتركيا . وقد دخلت تحت الانتداب البريطاني كما سنبين ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

٢٣ - وقبل ان نختتم عهد الاتراك في بيت المقدس نرى من الفائدة ان نذكر ان اول سيارة رأتها القدس كانت في ١٩٠٨ . وكانت هذه المانية الصنع . وقد استغرب المقدسيون امرها ، فراحوا يتحدثون عن (المركبة من غير خيل) . وكانت هذه واسطة النقل المعروفة في القدس . ومع ذلك فلم تستعمل القدس السيارات واسطة للنقل الا في اوائل الاحتلال البريطاني في ١٩١٩ .

وفي عام ١٩١٢ هبطت في القدس اول طائرة . وكانت هذه فرنسية . هبطت في البقعة الفوقا غربي جبل المكبر . ولم يكن في القدس يومئذ مطار ، ولا محطة للاذاعة ، ولا هم يحزنون ! . .

وخاض الاتراك العثمانيون غمارها في جانب حلفائهم الالمان . والغيت الامتيازات الاجنبية وكانت جيوش الاتراك تقاتل الانكليز وحلفاءهم الروس والافرنسيين في خمس جبهات : في القفقاس ، والدرديبل ، والعراق ، ورومانيا ، وفلسطين . ولكنهم خسروها . واحتل الانكليز القدس (١٩١٧) وفلسطين كما احتلوا عاصمة البلاد : القسطنطينية . واملوا على الاتراك ارادتهم . ١٩ - في تلك الاثناء كان السلطان محمد رشاد قد توفي . وتولى السلطنة من بعده السلطان محمد وحيد الدين . ولما انتصر الاتراك على اليونان في حربهم معهم (ايلول ١٩٢٢) ونادى (المجلس الوطني الكبير) الذي انعقد في انقرة بوجوب فصل السلطنة عن الخلافة ، هرب السلطان محمد وحيد الدين من الآستانة ، خوفاً من نقمة الكماليين الذين كانوا يعتقدون انه ميال للانكليز .

٢٠ - عندها بايع الاتراك الامير عبد المجيد بالخلافة (الجمعة ٢٤/١١/١٩٢٢) . اي ان عبد المجيد الثاني ابن السلطان عبد الحميد الثاني اعتبر خليفة فقط ، ولم يعتبر سلطاناً .

٢١ - ولكن الاتراك عادوا ، فالفوا الخلافة ايضاً . وارسل المجلس الوطني الكبير في انقرة الذي اقر هذا الالغاء الى الآستانة وفدأ مؤلفاً من والي الآستانة ومدير الامن السام فيها . فوصل هذا الوفد الى الآستانة حاملاً قرار المجلس . فبلغه الى الخليفة ، وسافر هذا من فوره الى سويسرا . ومكث هناك مدة لم ينقطع عن المطالبة بحقه في كرسي الملك الذي

القدس

ومعالم الحكم التركي فيها

- منشآت الاتراك في القدس
- كيف كانت القدس تدار في العهد التركي؟
- القضاة ونواب الشرع
- مجلس الشورى . مجلس العموم . المبعوثان
- السلاطين والولاة والمتسامون

- النظام المالي والحياة الاقتصادية
- النقود والمسكوكات
- مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة
- الامن : الثورات والفتن الداخلية
- الثورة العربية الكبرى وزوال الحكم التركي

منشآت الاتراك في القدس

١ - **السور** بشكله الحالي بناء الاتراك ، وبالأحرى جددوا عمارته ، وبنوا الجزء العلوي منه ، وكان ذلك في زمن السلطان سليمان القانوني . ولا يزال اسمه منقوشاً عليه . نقول انهم جددوا عمارته . ذلك لان اساساته وقسم كبيراً من جدرانه كانت قائمة ، والقسم الآخر كان متهدماً^(١) . وبعد ان تمت عمارته على عهد السلطان سليمان قيس فجاء طوله في نحو اربعة كيلو مترات . ودامت العمارة على ما يظهر ، قرابة خمسة أعوام . اذ انا نستدل من الكتابات المنقوشة على جدرانه ، انهم بدأوا في تعميره سنة (٩٤٣ هـ - ١٥٣٦ م) . هناك بلاطة فوق باب العمود ، نقش عليها التاريخ التالي : سنة ٩٤٤ هـ - ١٥٣٧ م . والبلاطة الكائنة فوق باب الاسباط ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨ م . وكذلك قل عن البلاطة الكائنة فوق باب الخليل . واما البلاطة الكائنة فوق باب النبي داود فقد نقش عليها ٩٤٧ هـ - ١٥٤٠ م .

ظلت مدينة القدس منحصرة ضمن الاسوار قرابة ثلاثة قرون . حتى اننا لم نعث ، بين حوادث

عام ١٨٥٩ للميلاد ، على ما يدل على انه كانت هناك يومئذ أية دار خارج السور معدة للسكن . كانت ابواب السور كلها تغلق عند الغروب . فاذا كان انسان خارج السور ، ورجع الى المدينة بعد الغروب ، لا يفتح له الباب . فيضطر لقضاء ليلته خارج السور . وبهذا يعرض نفسه الى خطر الوقوع فريسة بين أنياب الوحوش وكانت يربض وراء الابواب حراس من الجنود النظاميين لاجل الحراسة . وكان هؤلاء الحقراء يتناوبون العمل في كل ساعة . فالذي تنتهي (ساعته) يسلم العمل الى زميله الذي يأتي بعده . ولكي يتمكن هؤلاء من ضبط الوقت كان هناك قزازتان : احدهما مملوءة بالرمل والاخرى فارغة . وهما مرتبطتان بانبوب رفيع ينقل الرمل من الواحدة الى الاخرى . على ان تكون الاولى اعلى من الثانية . وعندما يفرغ الرمل من الواحدة ، يكون دور الحقير قد انتهى . فيوقظ زميله ، ويسلمه الحفارة . وهكذا دواليك .

وعندما تأسست (المسكوبية ١٨٥٨ م) في موقعها الحالي المعروف يومئذ (برأس الميدان) وكثر الاتصال بين السكان ، فتحوا في كل باب كبير ثغرة سموها : (الخوخة) . وكانوا يفتحونها للبضطرين . عندئذ (١٨٥٨ م) اخذنا نسمع بوجود الدور والمنازل خارج السور عند المسكوبية . وفي سنة ١٨٦٨ م رأينا عدداً آخر من المنازل المعدة للسكن تبني على الطريق المعروفه الآن بطريق ماملاً . وحوالي سنة ١٨٧٠ م نقرأ ان الارض الواقعة بين باب الخليل والقطمون كانت مسرحاً

(١) تذكر ما قلناه في غير هذا الموضع عن الامر الذي اصدره الملك العظيم عيسى في سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م بتخريب السور خوفاً من استيلاء الفرنج . فخرت يومئذ اسوار المدينة وابراجها . وعند ما عقد الملك الكامل بن الملك العادل (اخو صلاح الدين) الهدنة مع الامبراطور فريدريك (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) وكان من جملة شروطها تسليم القدس الى الفرنج ، اشترط عليهم الا يعمروا السور الذي خربه الملك العظيم . ولم يعمر بعد ذلك التاريخ الا قليلاً .

ومحطة القدس واقعة في حي البقعة . وقد كان هذا الحي ، قبل انشاء السكة ، مهجوراً . وكان الامن مفقوداً ، حتى ان ادارة السكة اضطرت ، في بادئ الامر ، ان تدفع (الحاوة) لمشايخ قرية المالحية . فحموا الخط ، وصانوا الامن ، طوال المدة التي سارت فيها اعمال الانشاء .

٣ - **الطرق والشوارع** اما الشوارع في داخل المدينة ، فقد كانت ضيقة للغاية . وكانت قذرة . ومرصوفة رصفاً رديئاً . وامام اكثر الدكاكين مساطب جلوس المشترين . وقد ظلت الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٨٦٣ م يوم منعت السلطة انشاء مساطب جديدة ، وأمرت بهدم المساطب القديمة . ورصفت الشوارع التي تمر من الاسواق بالبلاط .

وفي سنة ١٨٨٥ رفع البلاط القديم من شوارع القدس القديمة وأزقتها ، ووضع بدلا منه البلاط الذي نراه في يومنا هذا ، في معظم شوارع المدينة . ولقد رفع وسط الشوارع ارتفاعاً قليلاً ، وانشئت على جوانبها اقنية تجري مياه الامطار فيها .

هذا في داخل المدينة . واما في خارجها ، فلم يكن ثمة طرق تربط القدس بالقرى والمدن المجاورة لها . ولا كانت هناك وسائل للنقل ، سوى الحيل والجمال والحمار والبغال . وكان الاتراك يعتقدون ان الطرق المعبدة ووسائل النقل المنظمة تستهوي الاجانب ، فيأتون الى البلاد ويستولون على مرافقها بسهولة ! . .

فلاول مرة في تاريخ القدس انشئت الطريق التي تربط يافا بالقدس . وكان ذلك حوالي سنة ١٢٨٤ هـ - ١٨٦٧ م وعلى عهد السلطان عبدالعزیز . ويقال انها انشئت من لدن اول مدير انتدب لادارة القدس باسم (متصرف) . وكان الموظف الاكبر

للفزلان . ليس فيها ابنية ولا عمران . وفي سنة ١٨٨١ م كان عدد العمارات المنشأة خارج السور قليلة بدرجة تكاد تعتمد على الاصابع . وعندما انتشرت المنازل خارج السور ، اخذت السلطة تتساهل في مسألة اغلاق الابواب بعد الغروب . غير ان هذه الابواب ظلت تغلق كالمعتاد في منتصف النهار من يوم الجمعة ، لمدة ساعتين ، ليتمكن الجنود المرابطون في القلعة من الذهاب الى المسجد الأقصى وتأدية فريضة الجمعة^(١) . ولم نسمع بزوال هذه العادة القديمة التي بلغت اشدها خلال عام ١٨٥٥ للميلاد ، الا في اواخر القرن التاسع عشر .

وكان سكان المدينة ، اذا ما خرجوا خارج السور ، يسرون في حماية شيوخ القرى المجاورة كلفتا ، وابوديس ، والمالحة ، وما الى ذلك . وكان هؤلاء المشايخ يقومون بمهمتهم التي تتلخص في حماية التجار وطرق التجارة لقاء جعل معلوم . وكان الأمر على عكس ذلك ، اذا ما دخل القرويون الى المدينة . فقد كانوا يفدون الى الافندية والزعماء من شيوخ المدينة . وكان هؤلاء يقومون بدور الوساطة بين القرويين وطبقة الحكام من الموظفين . ولطالما اثرى هؤلاء على حساب الآخرين ! .

٢ - **السكة الحديدية** من المنشآت التي تمت على عهد الاتراك بالقدس السكة الحديدية التي تربطها بيافا . انشأتها (شركة الخطوط الحديدية العثمانية ليافا - القدس) وهي شركة افرنسية اسست في باريس سنة ١٨٨٩ . بوشر بانشاء هذا الخط في نيسان ١٨٨٩ . وانتهى العمل في ايلول ١٨٩٢ . طول السكة ٨٧ كيلومترا . وهي سكة ضيقة بجحنا عنها بالتفصيل في غير هذا المكان .

(١) اذا لا يجوز للجند ان يحملوا السلاح في اثناء الصلاة . وكانوا يحشون مهاجمة الاعداء اثناء الصلاة .

مستخدم ارباب السيف والقلم خادم الحرمين والبقعة
الاقديسية قدس الله ارواح آبائه المقدسة منح الامن
والايمان والاماني السلطان ابن عثمان سليمان الثاني^(١)
مد الله بقاءه مادامت القبة على الصخرة في سنة
حصل خير (٩٣٨ هـ - ١٥٣١ م) .

وعلى البرج القائم على عيني الداخل الى المدينة ،
بين باب الخليل والسور^(٢) بلاطة نقشت عليها
هذه الكلمات :

« رسم بانشاء هذا الرض من حمى ديرة الاسلام
بشوكته وطوله ومحي جائزة الاصنام بقوته وحوله
من خصه الله بارقاب الملوك في الافاق وتملك سرير
الخلافة بالاستحقاق السلطان ابن السلطان ابن
السلطان ابن السلطان سليمان » .

وفي داخل القلعة مثذنة بنيت على عهد السلطان
محمد الرابع (١٠٦٥ هـ - ١٦٥٥ م) . وعلى هذه
المثذنة بلاطة نقشت عليها هذه الكلمات بالخط
المعلق :

صاحب خير وحسنات وسخا
مظهر انعام ورضاي خدا
خوب حاصلات وعمل يسند
يعني سلحدار محمد باشا
حضرت داود مقامنده . . .
ايلدي برماذنة خوش بنسا
تاريخي منارة زيارت . . .
بايلدي سلحدار محمد باشا

(١) قد يكون المقصود ثاني سليمان من حيث الشهرة ، باعتبار
ان الاول هو سليمان بن داود . لان السلطان الذي
تمت على عهده هذه العمارة هو سليمان الاول الملقب بالقانوني .
(٢) فتح الانراك ، في هذه الناحية من السور ، ثغرة واسعة
ليتمكن امبراطور الالمانيون من دخول المدينة راكبا
(١٨٩٨ م) . وقد تم ذلك بامر من السلطان عبد الحميد الثاني .

المسئول عن ادارتها يدعى متسلما . والمعتقد انه
نظيف باشا . وكذلك قيل عن الطريق بين القدس
ونابلس . فقد انشئت عام ١٨٧٠ م .

٤ - - - **المستشفى البلدي** بني على عهد السلطان عبد
الحميد الثاني . وكان ذلك في ٢٤ نيسان ١٣٠٧ رومي
(١٨٩١ م) . بنوه في حي الشيخ بدر الكائن غربي
المدينة . وهذا الحي معروف في يومنا هذا
بـ (روميما) .

٥ - - - **برج الساعة** بناء مربع الشكل مرتفع ،
اقامه الاتراك على السور فوق باب الخليل . اقاموه
(سنة ١٩٠٩ م) احتفاء بمرور ثلاث وثلاثين سنة
على جلوس السلطان عبد الحميد الثاني . كان يعرف
بـ (الساعة) . اذ كان في كل ضلع من اضلاعه
الاربعة - عند القمة - ساعة كبيرة يراها السكان
الساكنون في اي حي كان . والذي عمل على اقامته
هو متصرف القدس على اكرم بك^(١) .

٦ - - - **القلعة** واقعة قبلي باب الخليل وبالقرب
منه . انها قديمة العهد . لم يكن الاتراك اول من
انشأها . ولكنهم رموها ، و اضافوا اليها منشآت
كثيرة .

يقرأ الداخل الى القلعة من مدخلها الامامي في
الناحية الشرقية الكلمات الاتية ، وهي منقوشة على
بلاطة وضعت فوق القوس :

« امر بترميم الحصنة^(٢) الشريفة السلطان
الاعظم والحاقان المعظم مالك رقاب الامم

(١) هدم الانكليز ، عند احتلالهم القدس ، هذا البناء ، وبنوا
بدلا منه (برجا لساعة) في الميدان الكائن امام مبنى
دار البلدية ، عند مفترق الطرق الموصلة الى باب الخليل
وطريق باب العامود وطريق المسكوبية . ثم عادوا ، فهدموا
هذا البرج ايضا . ولم يستبدلوه بغيره .

(٢) المقصود هو (الحصن) .

وفي زمن السلطان محمود الاول تجدد (١٧٣١م) بناء حائط الخندق . وكان هذا قد تهدم .

وتجددت عمارة المسجد الكائن في القلعة (١٧٣٨ م) . وانك لتقرأ على جدار البرج القائم على يسار الداخل الى القلعة من بابها الشرقي الكلمات الآتية ، وقد نقشت بالنسخ العثماني :

« جدد بناء حائط هذا الخندق بعد انهدامه في خلافة سلطان الاسلام والمسلمين قاسم الكفرة والمشركين السلطان محمود بن المرحوم السلطان مصطفى خان من آل عثمان ايد الله ملكه ، بعرض واعلام من حضرة الدستور المكرم عبد الله باشا محافظ الشام وامير الحاج الشريف ، حين زار القدس ، وجاء الفرمان خطاباً لتسليمه الحاج مصطفى آغا برواية زاده ، فباشرها بنفسه ، واتم عمارتها . جزاه الله خيراً في شهور سنة اربعة واربعين ومائة والف (١٧٣١ م) .

ولقد استعمل المسجد الكائن في داخل القلعة مستودعاً للذخائر والمهمات الحربية خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٧ م) .

٧ - المياه : السلطان سليمان القانوني هو الذي عمر (بركة السلطان) الكائنة على طريق المحطة الى الجنوب من باب الخليل . وهو الذي انشأ السبل التي ذكرناها في فصل الحرم وفي الفصل الذي خصصناه لبحث مياه القدس في التاريخ ، ومنها :

السبل الواقع قبلي بركة السلطان ، والسبل الكائنة بباب السلسلة امام المدرسة التنكزية ، وفي طريق الواد ، وفي ساحة الحرم الى الشمال من باب شرف الانبياء ، وفي طريق باب الناظر ، وبالقرب من باب الاسباط (١٥٩٣ - ١٥٣٦ م) . ولقد كتب على كل منها هذه الكلمات : « امر بانشاء هذا

السبل المبارك مولانا السلطان الملك الاعظم والخاصان المكرم مالك رقاب الامم سلطان الروم والعرب والعجم السلطان سليمان بن السلطان سليم خان خلد الله ملكه وسلطانه بتاريخ عاشر شهر محرم الحرام في سنة ثلاثة واربعين وتسعمائة » .

وما دمنا في بحث المياه على عهد الاتراك ، فلنذكر ان من اعمالهم في القدس (سبل شعلان^(١)) . ذلك السبل الذي جدد في زمن السلطان مراد الرابع (١٦٢٢ م) بعد ان ظل خراباً قرابة قرنين . وكذلك (القلعة) التي بناها هذا السلطان (١٦٧٠م) عند برك سليمان لاجل حماية البرك المذكورة وتأمين وصول الماء الى القدس .

وحوالي عام ١٩٠١ م وصلت مياه ارطاس الى القدس والحرم . واحتفل بوصولها عند بركة السلطان ، في حفل كبير حضره كبار رجال الحكومة وجمع غفير من وجوه المدينة ورجالها .

ومن منشئاتهم (السبل) الذي انشأه السلطان عبد الحميد الثاني في اواخر حكمه (١٩٠٧) والذي كان بباب الخليل ملاصقاً للسور ، وعلى بعد بضعة امتار من برج الساعة . ولقد اقيم هذا السبل في زمن المتصرف اكرم بك . وهدمه الانكليز عند احتلالهم المدينة ، بقرار من الجمعية التي تأسست باسم (جمعية محبي القدس) . ومن المبادئ التي اختطتها هذه الجمعية ازالة جميع الابنية الملاصقة للسور .

ولقد جدد السلطان عبد الحميد عمارة السبل الكبير الكائن في الحرم ، بين باب القطانين ودرج الصخرة من الغرب . ذلك السبل المعروف حتى الآن باسم : (قايتباي) .

(١) بناء الملك العظيم عيسى ٥٦١٣ - ١٢١٦ م . وجدده الملك الاشرف برساي ٨٣٢ - ١٤٢٨ م .

هدمها واقام في مكانها جامعا لا يزال الى يومنا هذا،
وان ذلك حدث سنة ١٥١٧^{١١} للميلاد .

١٠ - **تكية خاصكي سلطان** واقعة في عقبة
التكية شرقي دار الايتام الاسلامية . انشأها
خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان (١٥٥٢ م) .
تعتبر من خيرة الاماكن الخيرية التي انشأها الاتراك
العثمانيون بالقدس . اذ منذ تأسيسها الى الان يقدم
المشرفون عليها الغذاء لعدد كبير من الفقراء مجاناً وفي
كل يوم . نفقاتها تدفع من ريع الاملاك التي
وقفها السيدة المشار اليها . ويقال انها من اصل
روسي ، وان اسمها الاصلي (روكسيلانة) . ولها
منشآت خيرية كثيرة (مساجد وتكايا وحمامات)
في استانبول ومكة وادرنه وغيرها من الجهات .

١١ - **المدرسة الرصاصية** بنيت في زمن
السلطان سليمان الاول . والذي بناها هو (بايرام
جاويش بن مصطفى) . وكان ذلك بتاريخ ٢٠
ربيع الاول ٩٤٧ هـ - ٢٥ تموز ١٥٤٠ م . بناها
بعد ان اتم عمارة السور . اذ كان السلطان سليمان
قد اقامه ناظراً على اعمال البناء . فقام باعمال عمرانية
جمة . مات في القدس ودفن فيها . وهي كائنة عند
ملتقى طريق الواد بطريق باب الناظر وعقبة
التكية .

كانت في بادىء الامر رباطا . وكانوا يسمونه
(رباط بايرام) . ثم صارت مدرسة . وقد
اتخذها الاتراك طيلة وجودهم في القدس ، مدرسة

(١) اذا صحت هذه الرواية التي اقتبسناها عن مجلة بيت لحم ،
الجزء ٩ التاريخ ايار سنة ١٩٢١ وصح التاريخ الذي
ذكرته ، فلا مناص من القول ان ذلك جرى على عهد
السلطان سليم الاول والد السلطان سليمان القانوني . لان
السلطان سليمان لم يتبوأ كرسي السلطنة قبل سنة ١٥٢٠ م .

٨ - **الحرم** عمرت قبة الصخرة مرة اخرى على
عهد السلطان سليمان الاول (١٥٤٢ م) . ولقد اعيد
يومئذ تبليطها . وعمرت جدران الحرم ، وابوابه . انه هو
الذي سد الباب المعروف بالباب الذهبي شرقي الحرم ،
وفتح الباب المعروف بباب ستنا مريم . وهو الباب
الشامي لقبة الصخرة . وجدد القاشاني الذي نراه في
قبة السلسلة من الداخل (٩٦٩ هـ - ١٥٦١ م) .

وفي سنة ١٠٢٠ هـ - ١٦١١ م بني جامع
الحنايلة تحت المدرسة السلطانية غربي الحرم . وفي
عهده أنشيء المصلى الكائن بجانب سبيل شعلان .
فقد نقش على محرابه بالنسخ العثماني هذه الكلمات :
« باسمه تعالى لله محراب فضل عن كل نقص
محاسن ارحمت شاد بناء بامر يوسف باشا » .
والمظنون ان ذلك جرى سنة ١٠٦١ هـ - ١٦٥١ م ،
وعلى عهد السلطان محمد الرابع .

ولقد انفق على تعمير الحرم وزخرفته في زمن
السلطان عبد الحميد (١٨٣٩ - ١٨٦٠ م)
عشرون الف ليرة عثمانية . وفي عهد السلطان عبد
الحمد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٨ م) ثلاثون الفاً ،
خلا الطوائف المختلفة الالوان التي اتخذت فرشاً ،
وبلغت قيمتها عشرة آلاف ليرة تركية .

٩ - **مسجد الطور** أنشيء في زمن الاتراك على
جبل الزيتون سنة ١٥١٧ للميلاد . والمعتقد انه
انشيء في نفس المكان الذي كانت تقوم عليه
(كنيسة الصعود) . تلك الكنيسة التي بنتها
الملكة هيلانة ام الملك قسطنطين . وهناك من يدعي
ان الكنيسة كانت قائمة ، وان السلطان سليمان

(١) قيل ان رعاياه اعتبروا عمله هذا اسرافاً ، اذ انه استعمل
الذهب الخالص الذي كان في خزانة الدولة من عيار ٢٢
قيراطا . وكان هذا من جهة الاسباب التي ادت الى خله .

وهناك فوق مدخلها القبلي بلاطة من الرخام نقشت عليها كلمات تدل على بانيتها وتاريخ بنائها . الا انني لم استطع قراءتها .

١٣ - **المسجد العمري** من المساجد التي بناها وان شئت فقل رمها الاتراك في بيت المقدس^(١) . انه واقع قبلي كنيسة القيامة وعلى بعد بضعة امتار من ساحتها الكبرى . والايات الاربعة التالية المنقوشة على بلاطة موضوعة فوق الباب الخارجي تدل على ان ذلك جرى خلال سلطنة عبد المجيد بين سنتي ١٢٥٥ - ١٢٧٧ للهجرة (١٨٣٩ - ١٨٦٠ م) :

احيا زمان الفتح مسجد قدسنا
هذا امير المؤمنين بها عمر
واعاده بعد اندراس بنائه
حيا بتأسيس وشيد ما اندثر
سلطاننا عبد المجيد امده
بالنصر والتأييد مع نيل الظفر
وادام طالع نجمه متعاليا
في كل تاريخ له سعد يشهر

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذا المسجد في الفصل الذي خصصناه لبحث عن (القدس في يومنا هذا) . وفيه بعض التفصيل عن مساجد القدس وجوامعها بوجه عام وعن المسجد العمري هذا بوجه خاص .

لتعليم ابناء القدس . ولقد تعلم فيها مؤلف هذا الكتاب علومه الاولى .

هناك فوق مدخلها بلاطة نقشت عليها الكلمات الآتية بالنسخ العثماني وباحرف كبيرة :

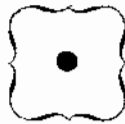
« هذا المكان المبارك رباط وقفه لسكن الفقير الامير بايرام جاويش بن مصطفى دام عزه بتاريخ عشرين ربيع الاول سنة سبع واربعين وتسع مائة » . وفيها ضريحه .

وفي مكان آخر من نفس العمارة بلاطة نقشت عليها هذه الكلمات :

« جدد عمارة هذا المكان المبارك بايرام جاويش وجعله مكتبا لقراءة الاولاد لله تعالى في سنة ١٢٤٧ هـ » . ويظهر ان بايرام جاويش ترك اوقافا . اذ انا نقرأ في سجلات^(١) المحكمة الشرعية ان القاضي عين ناظراً على تلك الاوقاف .

١٢ - **المدوسة الرشيدية** واقعة تجاه السور بباب الساهرة . قيل انها سميت كذلك نسبة الى اجد رشيد بك متصرف القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني (١٩٠٦ م) . وهذا هو الاقرب الى الصواب . وقيل انها بنيت في زمن السلطان محمد رشاد (١٩٠٨ م) . وبدا من تسميتها بالرشادية ، سميت الرشيدية . وهو قول ضعيف .

(١) السجل ٢٤ الصفحة ٥٣٨ السنة ١٢٧١ - ١٢٧٣ هـ .



كيف كانت القدس تدار من قبل الاتراك؟

المحرورة. فعمر بمباشرة ملك الامراء الكرام حضرة محمد باشا المحافظ بالقدس الشريف من ذي الحجة سنة ١٠٣٧ هـ - ١٦٢٨ م . وكان ذلك على عهد السلطان مراد الرابع .

٤ - لسنا نعلم حتى متى دام ارتباط القدس بمصر . ولكننا نقرأ أنه في زمن السلطان اسمعيل الثالث الذي تولى السلطنة سنة ١٧٠٣ م كانت القدس تابعة لولاية صيدا وعكا . وهناك وثائق خطية تدل على ان الوالي كان يومئذ رجب باشا وهو تركي الاصل . وكان هذا يمضي اوامره الرسمية بالشكل التالي : « رضيت بما قسم لي ربي . فوضت امري الى خالقي . عبده رجب » .

ويقال ان اول تحرير للاوقاف واول تطويب للاراضي في هذه البلاد ، قام على عهد هذا الباشا ١١٣٤ هـ - ١٧٢١ م .

وفي زمن السلطان محمود الاول (١٧٣٠ م) كانت القدس تابعة للشام . وكان محافظ الشام يومئذ (١٧٣١ م) عبدالله باشا . وكان هذا في الوقت نفسه اميراً للحج . وكذلك قل عن خلفه الحاج سليمان باشا (١٧٣٦ م) . وكان الوالي يثبت بامر من الآستانة في كل سنة . وهو بدوره يثبت المتسلم في منصبه .

وفي عام ١٨٠٨ للميلاد كانت القدس ايضاً تابعة للشام . وكان على رأس الادارة في الشام امير يدعى كنج حاجي يوسف باشا . وكان هذا يأتي الى القدس في كل سنة ، ويقيم خارج المدينة . ويمكث فيها الى

عندما احتل السلطان سليم هذه البلاد (٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م) ودخل القدس في كانون الاول من تلك السنة ، كانت القدس تخابر مصر رأساً . ولما رجع السلطان الى عاصمة ملكه (استانبول) قسم بلاد الشام الى ثماني ولايات هي : حلب ودمشق وحمص وحماة وطرابلس وصفد والقدس وغزة . واقام على الشام كله (جات بردي الغزالي^(١)) . فاخذ هذا يديره من ادناه الى اقصاه .

٢ - ولما حدثت هذا الوالي نفسه بأن يرفع لواء العصيان في وجه مولاه ، وعصاه بالفعل ؛ اقاله السلطان سليمان من منصبه ، وولي على الشام بدلاً منه كبير الانكشارية يومئذ (اياس باشا) ٩٢٦ هـ - ١٥٢٠ م . وقسمت بلاد الشام يومئذ الى ثلاث ولايات هي : حلب ودمشق والساحل . وجعلت القدس تابعة لدمشق .

وقبل وفاة السلطان سليمان نرى ان الاوامر كانت تصدر الى ولاية الامور بالقدس^(٢) من مصطفى باشا والي الشام . ولقبه كان يومئذ ٩٧٣ هـ - ١٥٦٥ م بكرك بك .

٣ - ولكن يظهر ان الاتراك عادوا بعدئذ فالحقوها بمصر . إذ أنا نقرأ على جدار (سبيل شعلان^(٣)) ان الذي امر بعمارته هو الوزير المكرم والمشير المعظم حضرة بيرام باشا المحافظ بمصر

(١) (عنهائي تاريخي) لاجد راسم . ص ٢٠٣ .

(٢) السجل ذو الرقم ٤٩ ص ٥٠ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس .

(٣) انظر الى ما كتبناه عن هذا السبل في غير هذا المكان .

ان يجمع الوادعات والمرتببات الاميرية كالمعتاد
١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م .

وفي عام ١٨٢١ نرى البلاد مقسمة الى ولايات ،
على رأس كل ولاية وال . والولاية مقسمة الى
الوية^(١) وسناجق^(٢) . وعلى رأس كل لواء او
سنجق متصرف . والقدس كانت لواء مستقلا على
رأسه متصرف من الدرجة الاولى . وكل لواء ينقسم
الى عدة ا قضية^(٣) . وعلى رأس كل قضاء قائمقام .
والقضاء ينقسم الى نواحي^(٤) عديدة . وعلى رأس كل
ناحية مدير . والناحية مؤلفة من عدة قرى .

٥ - ولما رأى الباب العالي^(٥) تقدم الجيش
الروسي عام ١٨٣١ م^(٦) وخشي ان يزحف هذا
نحو سورية ، قرر توحيد منطقتي القدس والشام .
ووضع عليها عبد الله باشا والي عكا . فصار ولاية
الامور بالقدس يخابرون عكا ، وهذه تعمل بوحي
الشام . ثم تولى أمر الشام امير الامراء محمد
شريف باشا . وكان هذا ياتمر بأوامر محمد علي
ويلقب (كتخداي خديوي) . وكانت الاوامر
يومئذ توجه الى « منلا افندي محروسة القدس
الشريف) والى (مفتي أفندي) والى (فرع
الشجرة الزكية والعقائد الهاشمية نقيب السادات
الاشراف) ثم الى (الماسم) و (التجار)
وباقى أهالي القدس وسنجقها »

كان الحكم يومئذ^(٧) بيد امراء الاقطاع . وكان على

كرسي السلطنة السلطان محمود الثاني . وكان
الاتراك يكتفون بتجنيد الجنود وجباية الضرائب
من السكان بواسطة باشا يطوف عليهم . ويسمونه
(باشا الدورة) . فيجي هذا من الامراء المتقدم
ذكرهم ما تعهدوا بدفعه للدولة .

٦ - بعد ان استرجعت الدولة العلية سورية
من الحكومة المصرية^(١) (١٨٤٠) كانت تارة
تجعل القدس تابعة لولاية صيدا ، وطوراً تجعلها
مرتبطة رأساً بالباب العالي . وكانت القضايا
تستأنف الى بيروت التي صارت مركزاً لولاية صيدا .

أجل . كانت القدس تابعة لصيدا ، وهذا
مفهوم من الوثائق التي عثر عليها الاستاذ أسد رستم
بين سجلات المحكمة الشرعية . منها وثيقة تاريخها
١١ رمضان سنة ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م ، ارسلت
الى نائب القدس منلا افندي ، والى وكيل المفتي ،
والى قائمقام نقيب الاشراف ، والى الوجوه والعلماء
والأئمة والخطباء والمشايخ والاعوات . وقد جاء
فيها ان الدول وافقت على زوال الاحكام المصرية
عن هذه البلاد ، وان احمد آغا الدردار قد عين
متسلماً للقدس بالوكالة . والوثيقة ممضية من والي
صيدا وفريق العساكر المظفرة (محمد سليم باشا) .
وهناك وثيقة اخرى وقع عليها قاضي القدس
(محمد حمدي) بصفته قائمقام والي صيدا .

٧ - وبعد سنة ١٨٦٠ م^(٢) أقام الباب العالي
والياً في دمشق . وصارت القدس متصرفية تابعة
لولاية سورية التي مركزها الشام . وفي قول آخر^(٣)
انها التحقت بولاية سورية عندما وضع نظام الولايات
الجديد سنة ١٨٦٤ م .

(١) (تاريخ القدس الشريف) لسركيس ص ١٩٢ .

(٢) مجلة المقتطف . المجلد ٥٢ صفحة ٣٢ عدد يناير
سنة ١٩١٨ .

(١) جمع لواء .

(٢) جمع سنجق .

(٣) جمع قضاء .

(٤) جمع ناحية .

(٥) الصدر الاعظم او رئيس الوزراء .

(٦) احتل الروس عامئذ ادرنة وقارس وارضروم .

(٧) البرغوثي وطوطع .

الحرب العامة (١٩١٤) . وفي اثناء تلك الحرب احتل الاتراك بناية الدومينكان الواقعة على طريق نابلس وعلى بعد نصف ميل من باب العمود الى الشمال . وجعلوها داراً للحكم . واتخذوا الدار التي بناها الالمان فوق جبل الطور والمعروفة بـ (المطلع) مقراً للقائد العام جمال باشا . وظلوا فيها حتى الاحتلال الانكليزي .

١٠ - واما الحكم الاتراك (المتصرفون) فقد كانوا في بادىء الامر يقطنون في جانب من الدار الكبيرة التي بنتها طشتق (خاصكي سلطان) . ثم تركوا هذه الدار ، وراحوا يسكنون في دور مبنية على الطراز الحديث خارج السور . فسكن المتصرف رشيد باشا في دار لدير الروم واقعة على طريق يافا (دار نابون) . وكذلك قل عن المتصرفين الذين جاءوا من بعده كبراهيم باشا ، وتوفيق بك ، وجواد بك . واما كاظم بك فقد سكن في دار الخشب^(١) ، ورشيد بك في عمارة الارمن امام المنشية . وكذلك فعل خلفه اكرم بك . وقد سكن صبحي بك في دار واقعة امام مستشفى روتشيلد . والذين اتوا من بعده مثل عزمي بك وجودت بك وماجد بك سكنوا في دار عويضة على طريق ماملا . الا مدحت بك فقد سكن في دار القنصلية الايطالية . وعزة بك الذي جرى الاحتلال الانكليزي في زمنه فانه سكن في دار مطران الانكليز .

وقصارى القول كان المتصرفون على عهد الاتراك يعيشون في القدس عيشة القرف والبذخ^(٢) اذ كان

- (١) شرفي المسكوية الى الشمال . اتخذها الانكليز محطة للاذاعة الفلسطينية .
(٢) كان الراتب الشهري الذي يتقاضاه المتصرف في بادىء الامر خسين ليرة تركية . ثم ارتفع في اواخر العهد التركي الى مئتين من الادارة ومئة من صندوق الاراضي السنبة بصفته مديراً لتلك المصلحة .

٨ - وفي سنة ١٨٧١ جعلت القدس متصرفية مستقلة تخابر الباب العالي رأساً . وكان يتبع سنجق القدس في اواخر العهد التركي اربعة اقسية هي : يافا وغزة وبيرو السبع وخليل الرحمن . وفيما يلي اسماء القرى والعشائر التابعة لها :

قبائل	قرى ومزارع	نواحي	قضاء	
٩	١٢١	٥ ^(١)	٠	سنجق القدس
٠	٩٢	٢ ^(٢)	١	قضاء يافا
٠ ^(٦)	٦٧	٣ ^(٣)	١	قضاء غزة
٥	١	٢ ^(٤)	١	قضاء بئر السبع
٠	٦٢	٢ ^(٥)	١	قضاء خليل الرحمن .
١٤	٣٤٣	١٤	٤	

٩ - كانت دار الحكومة ، في اواخر العهد التركي ، في السرايا القديمة^(٧) . وفي اواخره جعلت الدار الكبيرة^(٨) التي بنتها (طشتق) خاصكي سلطان داراً للحكم ، وظلت هناك حتى شبت نيران

- (١) هي بيت لحم ورام الله واريحا وعبوين وصفاء .
(٢) هما الرملة ونعيلين .
(٣) هي الجبل والغالوجة وخان يونس .
(٤) هما الخفير والمليحة .
(٥) هما بيت اعطاب وبيت جبرين .
(٦) هي النياها والترايين والمزازمة والحنجرة والجبارات .
(٧) هي التي كان يقيم فيها الولاة الرومانيون وحاكم فيها (بيلاطس البنطي) السيد المسيح . وقد اتخذت على عهد المالك مدرسة هي (المدرسة الجاولية) . وفي زمن الاتراك اتخذ جانب منها قسلاً والجانب الاخر (سرايا) للحكم . وقد اتخذها المجلس الاسلامي مدرسة واعطاها لكلية (روضة المعارف) الوطنية . وذلك في اوائل الاحتلال الانكليزي . وفي عام ١٩٤٥ م صارت مخفراً تربط فيه سوية من رجال البوليس الفلسطيني . ثم صارت مدرسة .
(٨) اتخذ المجلس الاسلامي الاعلى هذه الدار بعد الاحتلال الانكليزي داراً للاتيام المسلمين .

لها ولا حصر . والتي اصدرها القضاة خلال ذلك العهد . وإنا لمجتزئون فيما يلي صلاحياتهم ، فنقول :

- (١) قضايا الاحوال الشخصية (الزواج والطلاق والنفقات والمهور) سواء في ذلك قضايا المسلمين والمسيحيين واليهود . وكذلك قل عن القضايا المبحوث عنها في البنود التالية .
- (٢) قضايا الارث والوصايا وتسجيلها وحجز القاصرين والقاصرات .
- (٣) ادارة اموال الايتام ، وتعيين الاوصياء ، واقتلهم ، ومحاسبتهم .
- (٤) ادارة اموال الوقف ، وتسجيل املاكه ، والنظر في قضاياها . حتى القضايا ، من هذا النوع ، التي تتكون بين مختلف الاحزاب اليهودية^(١) .
- (٥) ادارة المساجد والتكايا . بما في ذلك تعيين

دير الروم قد خصص ! بنيته الكائنة في (القطمون) مصيفا لهم ، ودير الارمن خصص بنيته الكائنة امام المسكوبية دارا لسكنائهم في الشتاء . كما كان رئيس بلدية القدس يقوم بوظيفة (مأمور الانبار) . فيشتري لهم ما يحتاجون اليه من طعام وشراب . كانت بطريركية الروم تدفع الى المتسلم ١٧ غرشا ونصف الغرش ، والى المتصرف ٧٥ غرشا ، والى اتباع المتسلم ثلاثة غروش ، والى مساعد المتصرف (كتخدا) ستة غروش ونصف ، وعيدية المتصرف ثوب من الحرير الاطلس . ولكن هذه العادة ابطلت بامر صدر من السلطان وارسل الى الموظفين بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م .

قضاة القدس في العهد التركي :

كان قاضي القدس على عهد الاتراك العثمانيين ، الكل في الكل من حيث السيطرة والحكم . وكانوا يسمونه (النائب) او (الحاكم الشرعي) . انه المسؤول عن تمشية الامور ، وعن حل المشاكل التي تتكون بين الناس على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم . سواء اكانت هذه شرعية ، ام حقوقية ، ام جزائية . فلا بدع إذا اذا رأيناه يلقب بـ (مولانا ، وسيدنا ، اعلم العلماء المتبحرين ، افضل الفضلاء المتأخرين ، معدن العلم واليقين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين ، حجة الحق على الخلق اجمعين ، صدر الموالي المكرمين ، الحاكم العادل ، الفاضل ، الكامل ، الفاضل بين الحق والباطل الحاكم الشرعي فلان . .) .

نقول ذلك مستنديين الى القرارات^(٢) التي لاحد

(١) السجل ٢٠٣ ص ٣٩ .

(٢) ان هذه القرارات مدفونة في سجلات كانت محفوظة في المحكمة الشرعية بالقدس . وكانت هذه المحكمة طيلة الحكم التركي لهذه البلاد في الدار المعروفة بالمدرسة =

= التنكزية التي انشاها الامير تنكز الناصري (١٧٢٩ - ١٣٢٨ م) عند باب السلسلة . وذكر العالم الافرنسي كلرمان غانوفي كتاب (البحث عن الآثار في فلسطين) المجلد الاول الصفحة ٢٣٦ ان الشيخ ابا السمود (؟) حدثه . فقال ان فيها السجلات المتصلة بمجداث القرون الثلاثة الاخيرة . واما السجلات التي يرجع تاريخها الى ما قبل ذلك ، فقد نقلت الى القلعة ، وهي لا تزال هناك في يومنا هذا (١٨٧٣) . واما انا (عارف العارف) فلست ادري ماذا فعل الزمان بسجلات القلعة . ولا متى نقلت ؟ وانما رايت في دار المحكمة الجديدة (الزاوية القسطنطينية سابقا ودار الشيخ يعقوب البخاري حاليا) على مقربة من باب النواخلة سجلات يرجع عهدها الى اوائل الفتح التركي في القرن السادس عشر . ويظهر ان السجلات التي قال ابو السمود انها نقلت الى القلعة تمت بالاصل الى عهد المالك .

(١) قرأت في السجل ٢١٣ بتاريخ ١١٣٠ هـ ان القاضي نظر في شكوي قدمها برناس الطائفة اليهودية ابرور ولد ابرام على وكيل الوقف ميوجاس والد شمويل .

- (٢٠) تسجيل القروض والأمانات^(١) ، وتسجيل الشراء بطريق (السلم) .
- (٢١) قضايا الديون : تثبيتها وتأجيلها وتقسيطها والغاؤها .
- (٢٢) تعيين المحلات التي يجوز فيها البيع والشراء . وكذلك تعيين الاشخاص الذين يجوز لهم تعاطى التجارة .
- (٢٣) تعيين أسعار المؤن والحاجيات^(٢) . وتقدير الاستغلاليين الذين يبيعون سلعهم بأسعار فوق الاسعار المقررة^(٣) .
- (٢٤) مراقبة الموازين والمكاييل والمقاييس .
- (٢٥) محاكمة الاشخاص الذين يغشون الزيت والسمن وما الى ذلك من المواد القابلة للتلف .
- (٢٦) تعيين أجور النقل بين القدس والمدن المجاورة^(٤) .

- (١) لا فرق في ذلك بين قرض يشتمل على الاف من القطع الذهب او بضعة قروش ، وبين امانة بسيطة مؤلفة من (نخدة بيضاء ووجهها وفوطتين) السجل رقم ١ لسنة ١٩٣٦م
- (٢) عثرت في السجل رقم ١٢ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على امر اصدره نائب الشرع سنة ١٩٤٧هـ - ١٣٦٠م عين بموجبه الاسعار التي يجب ان تباع بها الخنطة والطعين والخبز وباقي انواع المؤن . ليس هذا فحسب ، بل انه عين المكان الذي يجوز عرض هذه الاشياء فيه بقصد البيع ، والاشخاص الذين يحق لهم ان يبيعوها .
- (٣) اذان قاضي القدس الشيخ علاء الدين رائف النجار سنة ١٩٤٧هـ - ١٣٦٠م ابن نائب القلعة لانه باع رطل الكمباج بنصف درهم زيادة على السعر المقرر ، وحكم بتأديبه . والسعر الذي كان مقرراً للكمباج يومئذ ستة دراهم ونصف لكل رطل (السجل ذات الرقم ١٢ ص ٤)
- (٤) عين القاضي اجرة الحبل المستعمل لتحميل الزاد والاسباب من القدس الى الخليل فمزه قصر المحروسة خمسة عشر غرشاً وكان ذلك سنة ١٠٢٨ للهجرة - ١٦١٨م السجل ١٠٢ ص ١٣ .

- الخطباء والمدرسين والوعاظ^(١) والبوابين^(٢) .
- (٦) انشاء المدارس وتعميرها وادارتها . بما في ذلك تعيين المعلمين واقالتهم وتنقلاتهم .
- (٧) مراقبة المقابر والمدافن .
- (٨) دعاوى القسمة والافراز .
- (٩) تسجيل بيوع الاراضي والامول غير المنقولة . وحل المنازعات التي تنشأ حولها .
- (١٠) تسجيل بيوع الاموال المنقولة على اختلاف انواعها . وحل المنازعات التي تنشأ حولها .
- (١١) قضايا الرهن ، وفك الرهن . سواء في ذلك رهن الاموال المنقولة وغير المنقولة .
- (١٢) قضايا وضع اليد ونزعها . سواء في ذلك الاموال المنقولة وغير المنقولة .
- (١٣) دعاوى الطرق ، وحق المرور .
- (١٤) الاعتداء على الزرع .
- (١٥) سرقة المواشي وبقر الحيوانات .
- (١٦) قضايا الخيل ومثانيتها .
- (١٧) تسجيل الوكالات .
- (١٨) تسجيل الشركات على اختلاف انواعها .
- (١٩) تسجيل الكفالات .

- (١) كان هذا التعيين في اواخر العهد التركي تابعاً للقانون سنة الحكومة باسم (قانون انتخاب المأمورين) ، ولمصلحة ان ينتخب للوظيفة الشاغرة احد الطالبين بالامتحان . وتتولى الامتحان لجنة مؤلفة من النائب الشرعي (رئيساً) ومن المفتي وبعض علماء المدينة (اعضاء) . واذا تساوى اثنان من حيث الكفاءة يقتصر بينهما .
- (٢) في السجلات المحفوظة في المحكمة الشرعية بالقدس ما يدل على ان بواب الصخرة المشرفة ما كان يستطيع ان ينسب عنه من يقوم بمهمته (وهي حراسة المسجد) الا اذا اذن القاضي بذلك .

(٣٢) قضايا انتهاك حرمة المحاكم^(١) .

(٣٣) الدعاوي الجزائية على اختلاف درجاتها : من الضرب ، والاعتداء البسيط ، الى السب والشتم ، الى القتل^(٢) ، والسرقات بجميع انواعها^(٣) .

(٣٤) حتى صبغ البيض وبيعه في الاسواق . فقد كان قاضي القدس يتدخل في هذا الامر التافه . ذ اعتبره بدعة سيئة ، فمنعه . والمنع موجه للمسلمين . لان تلك العادة (اي صبغ البيض وبيعه في الاسواق) مأخوذة عن النصارى . ولا يجوز تقليد النصارى في امورهم عملاً بالحديث القائل : من تشبه بقوم صار منهم^(٤) . وكذلك قل عن دق الطبول في اعيادهم .

(٣٥) اقالة رؤساء الطوائف المختلفة واستبدالهم بغيرهم^(٥) . ومراقبة ترميم اديرتهم وكنائسهم وكنسهم وتعميرها .

(١) قام سنة ٨٩٧٣ - ١٥٦٥ م تحقيق شديد اشترك فيه امير لواء القدس الياس بك ضد الرجل المدعو محمد بن حسونة ، لانه اساء الادب بداخل المحكمة ، واستخف بمجلس الشرع الشريف ، واحاط لسانه على قاضي "قدس عبد الكريم افندي ، فقال له : (افتح عينيك . واقعد في حالك) . فنال جزاءه . السجل ٤٩ الصفحة ٥٠ .

(٢) اتهم اهل الطور بقتل رجل من سكان القدس . ولمس عجز اهل المقول عن البرهان حكم القاضي على المتهمين باليعين . فحلف كل منهم بالله العظيم ونبيه الكريم انه ما قتل المنذور ولا يلزم له قاتلا . فتبرؤوا من التهمة . السجل ٤٤ الصفحة ٥٤٠ التاريخ ٨٩٧١ - ١٥٦٣ م .

(٣) نظر القاضي بنفسه في سرقة النبي داود يوم سرق مجهولون بعض الفضة الملبسة على الباب وسجادة وبعض القناديل (السجل ٢٢٧ السنة ٨١٦٤ - ١٧٥٠ م) . وظل يبحث الى ان انتهى الى السارق .

(٤) السجل ٢٣٧ الصفحة ٨٩ التاريخ ٨١٦٥ - ١٧٥١ م

(٥) في السجل ٢١٣ الصفحة ٢٥ التاريخ ٨١٣٠ نرى افراد الطائفة اليهودية يراجعون القاضي فينصب عليهم يرناسا (اي رئيسا) هو ابرور ولد ابرام ورفع ميوحاس من (البرنسة)

ملحوظة : (ان البنود الخمسة المتقدم ذكرها يعينها القاضي بعد استشارة المحتسب الذي كان يقوم بارادة الشؤون البلدية

(٢٧) احصاء النفوس^(١) وتسجيلها ، ومراقبة المواليد والوفيات ، وتحديد السن ، وبلوغ الرشد .

(٢٨) قضايا الرق ، وعتق الرقبة ، وتبادلها ، وما ينشأ عن ذلك من قضايا .

(٢٩) قضايا العرض ، ورجم المحصنين والمحصنات وجلدهم (او جلدهن) في حالة اقتراف الاثم . (يدخل في ذلك قبول توبة التائبين والتائبات^(٢)) .

(٣٠) مراقبة المشروبات الكحولية ، ومعاينة السكرارى^(٣) .

(٣١) الاذن بالبناء ، وتوقيف البناء ، وحل المشاكل المكونة بين الشركاء والجيران من جراء ذلك .

(١) احصى القاضي الترميمي عدد اليهود الذين يعيشون في القدس بتاريخ ١٩ جمادى الاولى ٨٩٨٠ - ١٥٧٢ م وحرر اسماءهم . فوجد اسم ١١٥ شخصا . يعيش ٥٥ منهم حول الحرم والاخرون في الاحياء الاخرى (السجل ٥٥ الصفحة ٢٠٧) .

(٢) اتت امرأة الى القاضي الحاج صفى الدين واعترفت امامه بمخطئها واشهدت على نفسها انها تابت الى الله تعالى عما ارتكبتها . ووعدت بحفظ فرجها من الرجال الاجانب ، والمواظبة على الصلوات الخمس في اوقاتها . فانها رجعت الى سيرتها الاولى فيكون دها هدرا وتماثل اشدها . توبة صحيحة شرعية سطرت في الثالث عشر من شهر ربيع الاخر سنة سبع واربعين وتسعمائة (١٥٤٠ م) السجل ١٢ الصفحة ١٥ .

(٣) اشتكى (صوباشى المدينة) للقاضي انه راى موسى بن حسن السقا بالسجد الاقصى وهو سكران . فادانه القاضي بعد ان ثبت ذلك بشهادة الشاكي والمؤذن (السجل ٤٣ السنة ٨٩٧٥ - ١٥٦٧ م) .

والافندية والرؤساء ومشايخ البلاد الذين كان نفوذهم واسعاً بالدرجة التي كان عليها نفوذ امراء الاقطاع في العصور الوسطى . حتى ان الاتراك عندما قبضوا على زمام الامور في اواسط القرن التاسع عشر ، لم يكن لهم بد من الرجوع الى هؤلاء الزعماء والرؤساء وطلب العون والمشورة منهم . ولقد عثرنا بين اوراق ذلك العهد على امر ماضي من محمد حدي بصفته قاضي القدس وقائم الى صيدا (السر عسكر) محمد عزة باشا . والامر موجه الى (مجلس شورى القدس) . وهو مؤلف (١٥ رمضان ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م) من السادة الاتية اسماؤهم :

[١] السيد محمد ابو السعود - رئيس المجلس
(نقيب الاشراف وعمدة المدرسين) .

[٢] السيد محمد علي الحسيني .

[٣] السيد خليل الخالدي

[٤] السيد عثمان ابو السعود

[٥] السيد محمد درويش علي زاده

[٦] السيد شاكر الموقت

[٧] السيد نجم الدين الجماعي

[٨] السيد ابراهيم المهدي

[٩] السيد محمد الرملي

[١٠] السيد جبار الله (كاتب المجلس)

[١١] السيد وفا (مساعد الكاتب)

[١٢] الخواجه رونه (وكيل طائفة اليهود)

[١٣] يوسف (وكيل طائفة الارمن)

[١٤] ياقوب جاسر (احد طائفة الارمن)

واشترط ان ترفع قرارات هذا المجلس الى قاضي القدس بصفته قائمقام والي صيدا لاجل التصديق .

(٣٦) تعيين المفتي (المفتين) واقالتهم . وتعيين الشخص الذي يجوز ان ينوب عن المفتي في الحكم .

(٣٧) قبول اهتداء كل من اراد ان يهتدي بدين الاسلام من اهل الكتاب . وتسجيل اهتدائهم .

(٣٨) جمع (الجزية) التي تفرضها الدولة على اهل الذمة . وتحصيل الضرائب المفروضة على اهل البلاد .

(٣٩) تعيين رؤساء الحرف والصناعات واقالتهم (كمقدم العتالين ، وشيخ طائفة السلاخين) .

ظل قاضي المسلمين بالقدس يتمتع بصلاحيته الواسعة التي ذكرناها في الاسطر المتقدمة الى ان تأسست في القدس مصالح حكومية مختلفة الالوان .

فانحصرت صلاحية القاضي بعدئذ بالمسائل الشرعية (الاحوال الشخصية وما الى ذلك) والقضايا

الحقوقية . وصار يطلق عليه لقب (نائب ورئيس محكمة الحقوق الابتدائية) . واما الشؤون الجزائية

فقد نزعته منه ، وعهد بها الى (رئيس محكمة الجزاء الابتدائية) (١٨٧٦ م . وكان يعمل مع الرئيس

(المدعي العام) وهو ما نسميه في يومنا هذا (النائب العام) . ومساعدته (معاون مدعي عام

محكمة الجزاء الابتدائية) . وبعد اعلان الدستور تأسست في القدس (محكمة الاستئناف) ومعها

(مدعي الاستئناف العام) . ومساعدته (معاون مدعي الاستئناف العام) . ولم يكن عدد موظفي هذه

المصلحة المعروفة بـ (الدولة) يتجاوز العشرين بين قضاة وكتاب وخدم ومباشرين . وظل الحال

على هذا المنوال حتى الاحتلال البريطاني (١٩١٧ م) .

مجلس الشورى :

رغم وجود الحكام والمتصرفين على رأس الادارة فان الامر كله كان في اغلب الاوقات بيد الزعماء

مجلس عمومي :

وقد اتسع هذا المجلس مع الزمن فاصبح (مجلساً
عمومياً) يمثل لواء القدس كله بما فيه اقصية يافا
والخليل وغزة وبئر السبع وكانوا يدعونه^(١) (مجلس
القدس الكبير) و (مجلس القدس الشريف) .
(مجلس لواء القدس الشريف) . وكان هذا المجلس
سنة (١٣٣٢ هـ - ١٩١١ م) مؤلفاً من السادة
الآتية اسماؤهم :

عن القدس :

- [١] محمد يوسف افندي العلمي
- [٢] جورجى افندي ابو زخريا
- [٣] عنتابى افندي (او داود يلين
افندي)

عن يافا :

- [٤] عبدالله افندي شفيق الدجاني
- [٥] عمر افندي البيطار
- [٦] توفيق بك الغصين

عن غزة وبئر السبع :

- [٧] احمد افندي عارف الحسيني
- [٨] خليل افندي بيسو
- [٩] حاج طه افندي زقوت
- [١٠] فرح افندي ترزي

عن الخليل :

- [١١] سليم افندي طهوب
- [١٢] امين افندي عمرو

مجلس مبعوثان (البرلمان العثماني) :

قلنا في غير هذا المكان ان الذي ناب عن سنجق
القدس في (مجلس المبعوثين) الاول (١٢٩٣ هـ -

١٨٧٦ م) هو يوسف ضيا باشا الخالدي . وكان هذا
يلقب بـ (مبعوث القدس الشريف) .

وعندما اجتمع (مجلس المبعوثين) في عاصمة البلاد
للمرة الثانية (١٩٠٨ م) كان يمثل سنجق القدس
فيه ثلاثة اعضاء : اثنان منهم من القدس وهما :
روحي بك الخالدي وسعيد بك الحسيني . والثالث
من يافا وهو حافظ بك السعيد . واما لواء نابلس
فقد كان يمثله الشيخ احمد افندي الحماش ، ولواء عكا
الشيخ اسعد افندي الشقيري .

واما في المرة الثالثة (١٩١٤) فقد كانت
فلسطين ممثلة في المجلس المذكور على النمط التالي :

- (أ) عن سنجق القدس : روجى بك الخالدي
(القدس) ، عثمان
افندي النشاشيبي
(القدس) ، احمد
عارف افندي
الحسيني (غزة) .
- (ب) عن سنجق نابلس : حيدر بك طوقان
(نابلس) .
- (ج) عن سنجق عكا : الشيخ اسعد افندي
الشقيري (عكا) .

ثم اعيد الانتخاب فحاز الاكثرية :

- (أ) عن القدس : راغب بك النشاشيبي ، سعيد
افندي الحسيني ، فيضي
افندي العلمي .
- (ب) عن نابلس : توفيق افندي حماد ، امين
بك عبد الهادي .
- (ج) عن عكا : عبد الفتاح افندي السعدي
وظل هذا المجلس يعمل حتى نهاية الحرب
الكبرى (١٩١٧) . وكانت للعرب فيه كلمة مسموعة .

سلاطين الاتراك العثمانيين واسماء الولاة والمسلمين

الذين تولوا ادارة القدس على عهدهم

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
١	السلطان سليم الاول ابن بايزيد الثاني	٩١٨	١٥١٧	جان بردى الغزالي	٩٢٣	١٥١٧	عينه السلطان سليم والياً على بر الشام كله .
				اياس باشا	٩٢٤	١٥١٨	كان كبير الانكشارية .
٢	السلطان سليمان القانوني ابن سليم الاول	٩٢٦	١٥٢٠	حسين باشا	٩٥٧	١٥٥٠	
				التبيل سنان	٩٦٣	١٥٥٥	
				حسن	٩٧٠	١٥٦٢	صوباش القدس ومتسلمها .
				ابراهيم	٩٧٣	١٥٦٥	صوباش القدس ومتسلمها .
				الياس بك	٩٧٣	١٥٦٥	ميرلواء القدس ومتسلمها .
٣	السلطان سليم الثاني ابن سليمان القانوني	٩٧٤	١٥٦٦				
٤	السلطان مراد الثالث ابن سليم الثاني	٩٨٢	١٥٧٤				
٥	السلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث	١٠٠٣	١٥٩٤				
٦	السلطان احمد الاول ابن محمد الثالث	١٠١٢	١٦٠٣				
٧	السلطان مصطفى الاول ابن محمد الثالث	١٠٢٦	١٦١٧				

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
٨	السلطان عثمان الثاني	١٠٢٧	١٦١٧				
٩	ابن احمد الأول السلطان مصطفى الأول	١٠٣١	١٦٢١				
١٠	ابن محمد الثالث السلطان مراد الرابع	١٠٣٢	١٦٢٢	محمد باشا	١٠٣٧	١٦٢٧	محافظ مدينة القدس . كان يخبر محافظ مصر (السجل ١١٣ ص ٢٣٨)
١١	ابن احمد الاول السلطان ابراهيم بن	١٠٤٩	١٦٣٩				
١٢	السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم	١٠٥٨	١٦٤٨	حسين باشا	١٠٦٩	١٦٥٨	أقاله الصدر الأعظم لانه أيد الأرمن ضد الروم .
				طياراوغلي	١٠٧١	١٦٦٠	
				جاويش زاده محمد باشا	١٠٨١	١٦٧٠	هو الذي أحصى سكان مدينة القدس
١٣	السلطان سليمان الثاني ابن ابراهيم	١٠٩٩	١٦٨٧				
١٤	السلطان احمد الثاني ابن ابراهيم	١١٠٢	١٦٩٠				
١٥	السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع	١١٠٦	١٦٩٤				
١٦	السلطان احمد الثالث ابن محمد الرابع	١١١٥	١٧٠٣	اشجن مصطفى	١١١٦	١٧٠٤	كان متصرف القدس ونابلس معاً . وكانوا يسمونه (قره قولاق حاجي مصطفى باشا)
				الحاج عمر آغا	١١١٧	١٧٠٥	نقل الى نابلس بسبب الثورة
				عزت باشا	١١٢١	١٧٠٩	والي القدس (تاريخ الكروسي الاورشليمي للاقباط الارثوذكس)

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				محمد آغا النمر	١١٢٤	١٧١٢	تأليف الشماس كامل نحلة الاسكندري . مخطوط ص ٢٤ . من آل النمر بنابلوس
١٧	السلطان محمود الاول ابن مصطفى الثاني	١١٤٣	١٧٣٠	الحاج مصطفى آغا براونه	١١٤٤	١٧٣١	اخذ تعهد على سكان قرى البيرة وبيت حنينا وبيت اكسا كي لا يعتدوا على المسافرين للقدس .
				الحاج حسين بك	١١٦٥	١٧٥١	متسلم القدس . تابع لوالي الشام الوزير الحاج اسعد باشا .
١٨	السلطان عثمان الثالث ابن مصطفى الثاني	١١٦٨	١٧٥٤				
١٩	السلطان مصطفى الثالث بن احمد الثالث			علي بك بن مصطفى بك			كان ميرالاي القدس . ويلقب بصو باشي .
				الحاج اسماعيل آغا	١١٧٤	١٧٦٠	متسلم القدس تابع لوالي الشام الحاج عثمان باشا .
				الحاج ابراهيم آغا الشورباجي	١١٨٥	١٧٧١	المعتقد انه من آل النمر من نابلوس .
٢٠	السلطان عبد الحميد الاول ابن احمد الثالث	١١٨٧	١٧٧٣				

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاية والمسلمين	تاريخ حكم الولاية		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
٢١	السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث	١٢٠٣	١٧٨٨	محمد باشا	١٢١٦	١٨٠١	كان يحمل رتبة (وزير) . وكان يوقع اوامره هكذا: السيد الحاج محمد باشا .
٢٢	السلطان مصطفى الرابع ابن عبد الحميد الاول	١٢٢٢	١٨٠٧	يحيى بك	١٢٢٢	١٨٠٧	
٢٣	السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الاول	١٢٢٣	١٨٠٨	اسماعيل آغا	١٢٢٣	١٨٠٨	جد آل المغربي . وكان يلقب بـ : (آغا القدس) .
				الحاج كنج احمد آغا	١٢٢٦	١٨١١	
				عبد الكريم آغا	١٢٢٩	١٨١٣	
				مصطفى آغا تيزيني	١٢٣٥	١٨١٩	ورد اسمه في (النسخة المقطوفة من التواريخ الموصوفة) هكذا : الطظيتي . وفي زمنه قامت في القدس ثورة اثارها عسكر الانكشارية .
				سليمان افندي	١٢٣٨	١٨٢٣	يهودي اعتنق الاسلام . كان في بر والي الشام درويش باشا عندما ظهرت خيائته .
				عبدالله باشا	١٢٤٧	١٨٣١	كان يوقع اوامره بوصفه (والي صيدا ومصر والعريش وغزة والقدس ونابلس وجنين) .

العدد التسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				الشيخ سعيد مصطفى	١٢٤٧	١٨٣١	ارسله عبدالله باشا بوصفه والي صيدا ومتصرف القدس . وكانت عكا مركز حكومته . وبعد مدة قصيرة من السنة نفسها عاد ، فاقاله : بسبب طمعه وتعديه على الاشراف واستماعه للمفسدين واختلاسه اموال الدولة . وامر الوالي ايضاً بمصادرة املاكه واملاك اقاربه .
				الحاج محمد شاهين آغا	١٢٤٧	١٨٣١	عينه عبدالله باشا خلفاً للشيخ سعيد المصطفى . وكان هذا (اي محمد شاهين) قبل ذلك متسلماً في لواء غزة . وفي هذه الاثناء جاء ابراهيم باشا وقامت الثورة في القدس وفي سائر أنحاء فلسطين . .
				يحيى بك	١٢٤٧	١٨٣١	يبدو ان انتداب هذا المتسلم لادارة القدس قد تم بناء على طلب اهالي القدس .

العدد المنسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				الحاج محمد سعيد آغا	١٢٤٧	١٨٣١	الامر بتعيين هذا المسلم وقعه ابراهيم باشا . وقد ارسله من ديوانه بعكا . وقد انتدبه لادارة القدس بعد ان اقال يحيى بك من منصبه نظراً لتباطؤه في خدمة المصلحة ! . .
				الشيخ قاسم الاحمد	١٢٤٨	١٨٣٢	عينه ابراهيم باشا بعد ان اقال سلفه الحاج محمد سعيد آغا لتباطؤه في خدمة الدولة ! . . وكان قبل ذلك قد انذره ! . .
				الشيخ محمد القاسم الاحمد	١٢٤٩	١٨٣٣	ابن الشيخ قاسم الاحمد
				الشيخ يوسف القاسم الاحمد	١٢٤٩	١٨٣٣	انه ابن الشيخ قاسم الاحمد واخو الشيخ محمد . والسبب ان اخاه الشيخ محمد سافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج .
				جبر أبو غوش	١٢٥٠	١٨٣٤	تسلم المسلمية من الحاج محمد آغا بامر من ابراهيم باشا . كان من حزب (اليمن) . استغل منصبه فشقق اثنين من اصدقاء خصومه آل سمحار .

العدد المتسلسل للسلاطين	اسماء السلاطين	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
							وهم من (قيس) . احدهما من آل النشاشيبي . كان مقر حكمه في (الباشورة) تجاه سوق العطارين . وعندما اقبل عينت له ماهية قدرها الف قرش .
				على محسن افندي	١٢١٥	١٨٣٥	تسلم المتسلمية بالوكالة على أثر عزل جبر أبي غوش
				حسن آغا	١٢٥١	١٨٣٥	كانت القدس على عهده تابعة الى عكا . وفي عكا وال اسمه امير الامراء محمد شريف باشا . وكان هذا يلقب : (كتحداي خديوي)
				حسين بك موسى باشا زاده	١٢٥١	١٨٣٥	مدفون بالقرب من دار الجلالة الاميركية . الامر بتعيينه ممضى من محمد شريف باشا
				حسن بك	١٢٥٢	١٨٣٦	قد يكون هذا هو (حسن آغا المأمور) الذي تقدم ذكره .
				مصطفى آغا السعيد	١٢٥٢	١٨٣٦	الأمر بتعيينه ممضى من محمد شريف باشا حاكم دار ايالات بر الشام .

العدد التسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمتمسكين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
٢٤	السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني	١٢٥٥	١٨٣٩	احمد آغا الدزدار	١٢٥٥	١٨٣٩	رأيت الامر بنصبه متسلماً . وهو موقع من محمد شريف باشا بوصفه (حاكم ايلات بر الشام) . وكان هذا تابعاً للتخديوي في مصر .
				حسين راشد آغا	١٢٥٦	١٨٤٠	متسلم بالوكالة
				احمد آغا الدزدار	١٢٥٦	١٨٤٠	رأيت الامر بنصبه متسلماً للقدس ، هذه المرّة ، ممضياً من محمد سليم باشا بوصفه (فريق العساكر المظفرة) . وقد جاء في أمر التعيين ان قد (صدرت الارادة الشاهانية باتفاق آراء الدول المتحابّة بازالة الاحكام المصرية عن هذه البلاد) .
				حسن آغا المجري	١٢٥٦	١٨٤٠	كان يلقب (تفنكجي باشى) . شهرته ثلاثية قرش . وكان في معيته ثلاثة انفار من التفنكجية لاجل ادارة المصالح . ولكل نفر قرشان يتناولهما من خزينه السلطان

معالم الحكم التركي

٣٢٥

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمتمسكين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				محمد رشيد باشا	١٢٥٩	١٨٤٣	
				علي باشا	١٢٦١	١٨٤٥	كان هذا متصرف القدس وغزه ونابلس
				محمد قبرصلي باشا	١٢٦٢	١٨٤٥	كان سر عسكر (قائد) لاردو (الجيش) الشام ثم نقل الى القدس متسلماً . وكان ماهراً في القضاء الفساد بين السكان والزعماء ورؤساء الطوائف .
				يعقوب باشا	١٢٧٠	١٨٥٣	طاعن في السن ، قليل النفوذ .
				رشيد باشا	١٢٧١	١٨٥٤	كان قبل ذلك متسلماً لعمكا . رتبته فريق . وكان الذين من قبله برتبة مشير .
				كامل باشا	١٢٧٢	١٨٥٥	تولى الادارة في ١٥ فبراير ١٨٥٥ . استقبل باطلاق عدد من مدافع القلمة . سكن في الدار التي كانت قبلاً تعرف بمدرسة الجاولي . شاب ضعيف . ذو تربية افرنسية .

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمتمسكين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				مصطفى ثريا باشا	١٢٧٥	١٨٥٨	وعلى قول اسماعيل ثريا باشا
٢٥	السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني	١٢٧٧	١٨٦٠	خورشيد باشا	١٢٧٩	١٨٦٢	عين خلفاً لثريا باشا. وقد اضيف اليه سنجقاً غزة ونابلس. وامر بأن يتبع والي صيدا الوزير قبولي باشا.
				نظيف باشا	١٢٨٤	١٨٦٧	في هذا التاريخ استبدل لقب (متمسلم) بلقب (متصرف) . وفي هذا التاريخ انشئت الطريق التي تربط القدس بيافا . والطريق التي تربطها بنابلس
				كامل باشا	١٢٨٩	١٨٧٢	
٢٦	السلطان مراد الخامس ابن عبد المجيد	١٢٩٣	١٨٧٦				
٢٧	السلطان عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد	١٢٩٣	١٨٧٦	احمد رشيد بك رؤوف باشا	١٢٩٣	١٨٧٦	كان عقيفاً ، وكان مستقيماً، وكان صارماً في تعقب آثار اليهود الذين دخلوا البلاد خلسة وخلافاً للقانون الذي يحرم هجرة اليهود الى فلسطين
					١٣٠٣	١٨٨٥	

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				نشأت باشا	١٣٠٤	١٨٨٦	جاء بعد رؤوف باشا
				رشاد باشا	١٣٠٧	١٨٨٩	قبل ابراهيم حقي باشا
				ابراهيم حقي باشا	١٣٠٨	١٨٩٠	جاء من طرابلس الشام سجل ص ٣٦
				قاسم بك	١٣١٦	١٨٩٨	
				توفيق بك	١٣١٧	١٨٩٩	نقل الى ولاية سلاطية ترفيعاً انه واكثر المتصرفين الذين جاؤوا من بعده ينتمون الى (المساكين) اي سراي السلطان
				جواد بك	١٣١٩	١٩٠١	نقل الى ولاية انقره ترفيعاً
				عثمان كاظم بك	١٣٢٢	١٩٠٤	
				احمد رشيد بك	١٣٢٤	١٩٠٦	نقل الى ولاية مناستر ترفيعاً
				علي اكرم بك	١٣٢٦	١٩٠٨	انه ابن (نامق كال بك) الشاعر التركي المشهور. وعلى عهده نشر الدستور بالقدس
٢٨	السلطان محمد رشاد الخامس بن عبد المجيد	١٣٢٧	١٩٠٨	صبحي بك	١٣٢٧	١٩٠٩	نقل من متصرفية القدس الى ولاية استانبول ترفيعاً . وقد تولى امانة العاصمة في نفس الوقت.

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				عزمي بك	١٣٢٨	١٩١٠	صار بعدئذ والياً على سورية. ثم وزيراً للحقانية
				جودت بك	١٣٢٩	١٩١١	
				مهدي بك	١٣٣٠	١٩١٢	الباني الاصل. تولى اخيراً نيابة الملك في البانيا وذلك على اثر مغادرة الملك زوغو لها
				احمد ماجد بك بن شوك	١٣٣١	١٩١٣	على عهده اعلنت الحرب الاولى ١٩١٤ - ١٩١٧ وفي زمانه ازداد نفوذ المتصرفين وطفى على القضاة. وصارت الاوامر تصدر من وزارة الداخلية بدلاً من المشيخة الاسلامية
				مدحت بك	١٣٣٤	١٩١٥	
				فخر الدين بك	١٣٣٥	١٩١٦	
				عزت بك	١٣٣٦	١٩١٧	انه آخر المتصرفين . وعلى عهده احتل الانكليز مدينة القدس .

تلك هي اسماء السلاطين ، واسماء الولاة والحكام^(١) الذين انتدبوا لادارة القدس وقطاعها ، في عهد الاتراك العثمانيين . وبودنا الان ان نضيف الى هذه الاسماء قولنا : ان متصرف القدس كان ، في السنوات الأخيرة ، ياتربأوامر وزير الداخلية في العاصمة : استانبول . وكان يتبعه اربعة أقضية هي : يافا والخليل وغزة وبئر السبع .

وكان على رأس كل قضاء من هذه الاقضية قائمقام مسؤول عن ادارته وتمشية اموره . وكان هذا القائمقام مسؤولا عن اعماله تجاه المتصرف الذي كان على رأس السنجق . وكان كل قضاء مقسوماً الى نواحي . وكان على رأس كل ناحية مدير مسؤول عن اعماله تجاه القائمقام . والناحية مؤلفة من عدة قرى . وفي كل قرية يختار يساعد عدد من وجوه القرية باسم (اختيارية) .

وكان سنجق القدس (١٣٢١ هـ - ١٩٠٥ م) مؤلفاً من القرى والنواحي والقبائل التالية :

قرية	ناحية	قضاء	قبيلة
١٣٦	٤ ^(٢)	٠	٠
١٣٦	٢ ^(٣)	١	٠
٠	٠	١	٥ ^(٦)
٧٥	٣ ^(٤)	١	٠
٥٢	٢ ^(٥)	١	٠
٣٧٩	١١	٤	٥

وظل هذا التقسيم الاداري نافذ المفعول في العهد التركي ، حتى الاحتلال البريطاني (١٩١٧) .

(١) لا نجزم ابداً ان المتصرفين الذين دونوا اسماءهم في الاسطر المتقدمة ، هم وحدهم الذين تولوا الحكم في بيت المقدس . وانما نقول انهم هم الذين عثروا على اسمائهم خلال تقيمتنا تاريخ ذلك العهد . وقد يكون ثمة اشخاص اخرون ، لكننا لم نطلع على اسمائهم .

(٢) هي بيت لحم ، وام الله ، صفا ، عبوين .

(٣) هما الرملة ، نملين .

(٤) هي خان بونس ، المجدل ، الفالوجة .

(٥) هما بيت عطاب ، بيت جبرين .

(٦) هي العرازمة ، التراين ، التياها ، الجياوات ، الحناجرة .

النظام المالي في العهد التركي

وكان ذلك قبيل اعلان الدستور (١٩٠٨ م) .
وبعد حرب البلقان (١٩١٢ م) اضيف ٥ ٪
عن الاراضي لاجل تغطية العجز الذي طرأ على
موازنة الدولة . ثم اضيف اليه ٢٥ ٪ عن المسقفات
باسم الاسطول .

وعلى ذكر (المسقفات) نقول انها ضريبة فرضها
الاتراك بموجب القانون المؤرخ ١٤ حزيران ١٣٢٦ هـ
١٩١٠ م وهي بدلا من الوركوكو على المباني .
وكانت تبنى على مجمل الدخل من الاملاك المبنية .

وكانت قيمة الانشاءات تقدر من قبل لجنة قوامها
مدير المال او مساعده الذي كان يطلق عليه (كاتب
الوركوكو) ، ومأمور التحصيلات ، وعضو من قوميون
التحصيلات ، وآخر من أعضاء المجلس البلدي ، وآخر
من السكان . وتطرح الضريبة على اساس هذه القيمة
المقدرة للابنية المتقدم ذكرها . فيجبها الجابي . وكانوا
يسمونه يومئذ (تحصيلدار الوركوكو ^(١)) . واما المساكن
الكائنة داخل السور ، فانها معافاة من الوركوكو .

واما (ضريبة العشر) فقد كان الاتراك يجبونها
من اصحاب الاراضي بنسبة ١٠ بالمائة من حبوبهم
وسائر حاصلاتهم الزراعية . حتى (الحنضل)
و (القلي ^(٢)) فان الحكومة التركية كانت تفرض

(١) هذه كلمة تركية مؤلفة من كلمتين : احدها (تحصيل)
عربية ، والاخرى (دار) فارسية . ومعناها المالك او
الفايض . واما كلمة (الوركوكو) فهي مشتقة من اوبرمك
التركية . ومعناها العطاء .

(٢) اشتمكى تجار اصابون في القدس ، سنة ١٩٧٣ هـ - ١٥٦٥ م ،
لان امير لواء القدس الياس بك ظلمهم . اذ تناول منهم حملا
عن كل عشرة احمال من القلي (السجل ٤٩ الصفحة ٢٢)

كان النظام المالي الحكومي السائد في فلسطين
في العهد العثماني ^(١) هو نفسه الذي كان متبعاً في
السلطنة العثمانية كلها قبل الحرب .

كانت مالية سنجق القدس المستقل (وهو يتألف
من اقصية القدس وبافا والخليل وغزة وبئر السبع)
تدار مباشرة من قبل وزارة المالية في الآستانة .
بينما كانت مالية سنجق عكا (وهو يتألف من اقصية
عكا وحيفا وصفد والناصرية وطبريا) وسنجق نابلس
(وهو يتألف من اقصية نابلس وجنين وطولكرم)
تدار من بيروت .

واليك بيان الضرائب التي كان يجبيها الاتراك
من الاهلين في ذلك الحين :

(أ) الوركوكو والمسقفات .

(ب) الاعشار .

(ج) الاغنام .

(د) التمتع .

(هـ) الكروسة (او العملة المكلفة) .

(و) المعارف .

اما (الوركوكو) فقد فرض بموجب القانون
العثماني المؤرخ في ٥ آب ١٨٨٦ م . وكان يجبي من
اصحاب الاملاك بنسبة اربعة في الالف عن الدور
المعدة للسكن اذا كانت قيمتها دون العشرين الف ،
وثمانية في الالف اذا كانت هذه فوق العشرين الف ،
وعشرة في الالف عن الدكاكين والدور المعدة للايجار .
ثم اضيف الى ذلك ٦ ٪ باسم (تجهيزات عسكرية)

(١) النظام الاقتصادي في فلسطين . ص ٦٧٥ .

السنة . ولا يحصل هذا الرسم عن الخيل او الحمير او الثيران . وانما هو يحصل عن الخنازير .

واما (**ضريبة التمتع**) فانها كضريبة الدخل التي تجبى في يومنا هذا . وقد كانت هذه على عهد الاتراك ضئيلة للغاية فقد كانوا يحصلونها من التجار وارباب الصناعات واصحاب المهن بنسبة ارباح كل واحد منهم . فالتاجر والنجار والحداد والبقال حتى والفواخيري ، كان يدفع ضريبة بنسبة ربحه وتمتعه . وكان معدل هذه الضريبة يتراوح بين اثنين وعشرة بالمائة من الدخل السنوي .

والذي كان يقدر قيمة الدخل للجنة نفسها التي قلنا في الاسطر المتقدمة انها كانت تقدر قيم الاملاك من اجل ضريبة (**الويركو**) .

واما (**ضريبة العمال المكافين** ^(١)) فقد كانت الاتراك يفرضونها على كل شخص يتراوح بين العشرين والستين من العمر . وكان على المكلف ان يدفع ستة عشر قرشاً في السنة ، او يشتغل في تعبيد الطرق ثلاثة ايام ؛ على ان لا تقل مدة العمل في اليوم الواحد عن ثمانى ساعات .

واما (**ضريبة المعارف**) فقد كانت تجبى بنسبة ٥ بالمائة من قيم المسقفات . وكانت تضاف الى ضريبة الويركو وتجبى معها . وكانت الحكومة تسلمها الى النافعة (مصلحة الاشغال العامة) لتنفقها في سبيل المدارس .

واما (**العسكرية**) فانها ضريبة كان الاتراك يحصلونها من الذميين الذين لم يعتنقوا الدين الاسلامي ، تلقاء اعفائهم من الجندية . وكانت تحصل بنسبة ٢٨ قرشاً عن كل شخص في السنة .

(١) كان الناس يسمون هذه الضريبة : (الكروسية) . لان الفصد منها كان تعبيد الطرق وقمهدا لسير العربات ذوات العجلات ، او ما يسمونه : (الكروسية) .

عليها ضريبة العشر ، ثم زيدت هذه النسبة ، فجعلت ١٢ ونصف بالمائة . وكانت الحكومة التركية تجبئها بواسطة (**الملتزمين**) . وكان اكثر هؤلاء من طبقة الافندية الذين اثروا عن هذه الطريق . فقد كانت الواحد منهم يتعهد بدفع مبلغ من المال لصندوق الحكومة عن مدينة القدس ، او عن قرية من قرراها . ثم يجبي من اهل المدينة ، او القرية اضعاف ذلك المبلغ . وكانت الحكومة في بعض الاحايين تضيف الى بدل الالتزام ٦ ٪ باسم (**التجهيزات العسكرية**) وكانت الحكومة التركية تخصص ١٢ بالمائة من هذا المبلغ للبنك الزراعي الذي عهدت اليه اقراض المزارعين ، ومدهم بالمال اللازم لتقويتهم وتحسين زراعتهم ؛ و ٤ بالمائة للطرق والاشغال العامة ، و ٥ بالمائة للمعارف ، والباقي وقدره ٧٩ بالمائة كان يدخل الخزانة لينفق في سبيل مصالح الدولة ومرافقها العامة .

واما (**ضريبة الاغنام**) فانها ضريبة قديمة العهد . فقد كانت الحكومة التركية تجبئها عن الاغنام والجمال المعدة للنقل بنسبة اربعة قروش ^(١) عن كل رأس من الغنم . ثم اضيف الى ذلك ٢٥ بارة باسم التجهيزات العسكرية (١٩٠٨ م) ، وعشر بارات باسم الاسطول (١٩١٢ م) الى ان اصبحت خمسة قروش و ٢٥ بارة عن كل رأس من الغنم .

واما عن الجمل المعد للنقل فقد كانت الحكومة تحصل عشرة قروش تركية . ثم اضيف الى هذا المبلغ قرشان باسم التجهيزات العسكرية ، وقرشان ونصف باسم الاسطول ؛ الى ان اصبحت ثلاثة عشر قرشاً و ٢٠ بارة عن كل جمل .

واما الجمال المعدة للحراث ، فقد كانت معفاة من الضرائب . وكذلك قل عن الاغنام المولودة في بحر

(١) كانت هذه في بداية الامر قرشاً ونصف ، فاصبحت قرشين ونصف ، ثم صعدت الى ثلاثة قروش ، فاربعة .

(ضريبة الغنم) كانت تجبى في اسكلة يافا . والذي كان يجبيها هو امين الكرك من الحجاج اليهود والنصارى الذين يفدون الى القدس يقصد الزيارة والحج . وكانت هذه سبعة قروش اسديه ونصف القرش . نصفها للدولة والنصف الاخر للعرب العوجية^(١) الذين يرافقون الحجاج في الطريق من يافا الى القدس بقصد الحراسة .

واما (رسم الوارثة) فيدفعه الوارث لخزانة الدولة بنسبة اربعة في الالف من قيمة الاملاك التي يرثها .

وكانت هنالك ضرائب غير مباشرة ، منها :

١ - (الرسوم الجمركية) وهذه تجبى عن البضائع المستوردة بمعدل ٨ ٪ مع رسم اضافي قدره ٣ ٪ كان مخصصاً لمصلحة الديون العمومية العثمانية . وكانت الحكومة تحتكر انتاج الملح وبيعه وتخصصه للديون العمومية ايضاً .

وكان يخصص ايضاً لمصلحة الديون رسم المكس على الخمر . وهذا تديره الوكالة المحلية لمجلس الديون . والوكالة المحلية هي التي تصدر الرخص وتراقب الانتاج وتجبى الرسم .

وكان مجلس الديون بكل الى الوكالة المحلية بيع التمتع (اي الطوايع) واصدار رخص صيد الاسماك والطيور وحمل السلاح . فيدفع التجار والاشخاص الذين يتعاطون تجارة هذه المواد ثلاثة في المئة من مبالغهم . الا المقيمين في القدس ، فانهم معافون .

وكان التبغ في الاصل محتكراً من قبل الحكومة ،

(الجزية) في اوائل العهد التركي كانت تحصل من اهل الذمة . وهي سنوية . تجبى من الصنوف الثلاثة (الاغنياء والمتوسطين والفقراء) بنسب مختلفة . فكانت السلطة (وهي الحاكم الشرعي) تجبى من كل واحد من الاغنياء احد عشر قرشاً ومن متوسطى الحال خمسة قروش ونصف القرش ومن الفقراء قرشين ونصف القرش . وبمجموع الذين فرضت عليهم الجزية في سنة ١١٧١ هـ - ١٧٥٧ م القات ومئة واربعون : مئتان منهم اغنياء ؛ و ٤٤٠ متوسطو الحال ؛ و ١٥٠٠ فقراء . وكان عددهم قبل ذلك بربع قرن الفين فقط .

والموظف المسؤول عن ترتيب هذه الجزية كان يسمى (جزية دار) . وكان هذا يعمل بارشاد الحاكم الشرعي . ويظهر ان الجزية كانت تنفق في سبيل الحج .

ويظهر ان السلطة المرزية في القسطنطينية كانت تفرض على الزعماء وارباب التيمارات بالقدس مبلغاً من المال يؤدونه الى الجيش . فقد قرأنا في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس^(٢) امراً موجهاً الى « المتسلم والقاضي والمفتي ونقيب الاشراف والميرآلاي و آغا البكجري كي يحصلوا من زعماء القدس وارباب التيمارات لديها مبلغاً قدره ١٣٠٠٠ غرشاً ويرسلوه الى الآستانة » . وهذا الامر من والي الشام وقد تلقاه من الآستانة . وفي الامر « عفو عن توجه الزعماء وارباب التيمارات عن السفر للآستانة » . ومنه يفهم ان الزعماء كانوا في السنين السابقة يؤمرون بالسفر اليها ودفع المبالغ فيها . ولكنهم في هذه المرة اعفوا من السفر على ان يدفعوه الى (تاتار آغاسي) المرسل من قبل الصدر الاعظم . ومن يتأخر عن الدفع يندم غاية الندم .

(١) السجل ٢٩٨ الصفحة ١٠ السنة ١١٢٢٩ هـ - ١٨١٣ م .

(١) قرأت شيئاً عن هذه الضريبة في السجل ٢٤٢ الصفحة ١٦٠ السنة ١١٢٢ هـ - ١٧٥٨ م . واما ان يكونوا قدسوا من كلمة (عوجية) العربان المقيمين حول نهر العوجا او الحبيرين بالصيد وضرب النار . وعندي ان هذا هو الاصول .

غرشان عن كل عريضة او استدعاء . بعد ان كان غرشاً واحداً .

واما (واودات المحكمة الشرعية) فقد كانت تدفع كلها الى صندوق الحكومة (بيت المال). وظلّت كذلك حتى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م فصار يرد منها الى بيت المال ٧٥٠ غرشاً . واما اذا زاد عن ذلك؛ فيدفع ثلثاه الى بيت المال، والثلث الاخر يوزع على كتبة المحكمة الشرعية وخادميها . ذلك كان بامر من شيخ الاسلام محمد جمال الدين افندي . ولكن هذا الترتيب الغي بعد عام واحد. فمما صدر شيخ الاسلام عامنذ محمد صاحب افندي امراً يقضي بتوريد جميع واردات المحكمة الشرعية الى الخزينة^(١).

ومع ان المدينة القديمة مستثناة من الضرائب فانه مما لا شك فيه ان هذا اللواء (اي سنجق القدس واقضية يافا وغزة وبئر السبع والخليل التابعة له) فقد تنفس الصعداء بعد اعلان الدستور (١٩٠٨ م) من ناحية الضرائب . فبعد ان بلغت وارداته سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٥ م ١٥٠,٠٠٠ ليرة عثمانية انخفضت هذه سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م الى ٣٠,٦٥١ ليرة عثمانية، كما ترى ذلك في الارقام التالية التي تمثل لك ميزانية اللواء في تلك السنة :

(١) السجل ٤ الصفحة ٣٣ السنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

وايراداته ايضاً مخصصة لمجلس الديون. ثم نقل هذا الاحتكار الى شركة فرنسية لثلاثين سنة، على ان يعطى مجلس الديون نسبة مئوية معينة من ارباح الشركة . وهكذا مع ان الضرائب كانت ثقيلة على البلاد، الا انه لم يصل من ايراداتها الى الحكومة الا القليل (١٨٩٨ م) .

وهناك رسوم المحاكم ورسوم جوازات السفر والرسوم التي تجبى عن مستندات الصرف وعن اللوائح والعرائض التي ترفع الى المحاكم ورؤساء الدوائر. فان هذه الرسوم فرضت في اواخر عهد الدولة العثمانية. ولقد زيدت بعد اعلان الدستور (١٩١٠ م) كما زيدت الضرائب الاخرى. وكانت الزيادة بالنسبة التالية^(١) :

٢٥ ٪ على ضريقتي الويركو والتمتع .

٢٥ ٪ على رسوم الحيوانات .

١٠٠ ٪ على رسوم المحاكم كلها .

١٠٠ ٪ على رسوم جوازات السفر .

غرشان عن كل مستند صرف . بعد ان كان غرشاً واحداً .

(١) السجل ١٠ الصفحة ٩ السنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

ميزانية سنجق القدس الشريف (سنة ١٣٣٠ رومي)

١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م

(أ) الواردات :

	غروش
القسم الاول	
الاعشار الاصلية	١,٠١٣,٢٨٣
الاعشار المنضمة من جديد	٥٢٠,٧١٤
	١,٥٣٣,٩٩٧
القسم الثاني	
بدلات الطرق	٩٩٠,٥٤٧
رسوم وعوائد	١٢٦,٥٦٠
حاصلات املاك الدولة ومؤسساتها	٣٣٤,٠٠٠
حصة التمتع	٨٠,٠٠٠
	١,٥٣١,١٠٧
القسم الثالث	
اعانات وتبرعات	٠
ما دفعته الخزينة لسد العجز	٠
مجموع الاقسام الثلاثة	٣,٠٦٥,١٠٤

(ب) المصروفات

القسم الاول	
مخصصات المجلس العمومي	٩٨,٠٠٠
رواتب المأمورين	١٢٠,٨٤٠
نفقات متنوعة	٢٤,٧١٠
	٢٤٣,٥٥٠
القسم الثاني	
رواتب المأمورين والمستخدمين الفنيين	٩٦,٦٠٠
نفقات الكشف والتعمير والانشاء	١,٠٠٠,٠٠٠
(الطرق والمعابر)	٢٧,٥٠٠
	١,١٢٤,١٠٠

	رواتب مفتش المعارف	١٨,٠٠٠
	تدريسات ابتدائية (قسم عالي)	.
	تدريسات تاليسية (» »)	٢٠,٥٢٠
القسم الثالث (المعارف)	تدريسات ابتدائية (قسم ابتدائي)	٥٨٧,٢٠٠
	دار المعلمين	١٠٩,٧٠٠
	مدارس وقفية وخصوصية (مسلم وغير مسلم)	٥,٠٠٠
	مدارس عمومية (انشاءات وتعميرات)	٢٧٠,٠٠٠
		١,٠١٠,٤٢٠
	المدرسة الزراعية (جفتلك)	١٥,٠٠٠
القسم الرابع (الأمور الزراعية والبيطرية والصناعية)	مخزن الآلات الزراعية	٩٣,١٥٠
	المطبعة	٥٩,٦٠٠
		١٦٧,٧٥٠
	المستشفى	.
القسم الخامس (الأمور الصحية والخيرية)	دار الايتام	.
	الأمور الصحية	.
	الحصة العشرية العائدة للمصرف الزراعي	٣٣٧,٧٦٠
القسم السادس (مصاريف مختلفة)	نفقات التحصيل	٢٧,٢٧٤
	نفقات المقارنات والاماكن العائدة للإدارة الخصوصية	١٢٩,٢٥٠
	مصاريف المحاكمة	٥,٠٠٠
	مصاريف غير مرئية	٢٠,٠٠٠
		٥١٩,٢٨٤
	مجموع الاقسام الستة معاً	٣,٠٦٥,١٠٤

النقود والمسكوكات في العهد التركي :

يظهر ان النقود التي كانت ، في بداية الحكم التركي ، رائجة بين سكان بيت المقدس هي التي سكنت على عهد المماليك . وان قيمة هذه المسكوكات قد هبطت الى الحضيض مع زوال حكم المماليك . الامر الذي حدا بالسلطان سليمان القانوني الى سك فلوس^(١) جديدة سميت باسمه . ويظهر ايضاً ان الناس في بادئ الامر اقبلوا على التعامل بالفلوس الجديدة واهملوا القديمة لهبوط قيمتها . الامر الذي احدث ارتباكاً في الاسواق فراحت جماعة من المسلمين الى نائب القدس تشكو امرها قائلة^(٢) . انها « تضررت من قلة الفلوس الجدد والتعنت على الفلوس العتيق لكثرتها . فتقرر ان تكون الفلوس العتيق المسكوكة كل اربعة برع . وذلك برضى جماعة السوق واحمد بن ابي بكر محتسب القدس الشريف » .

واليك بيان بعض النقود المسكوكات التي سمعنا بها في ذلك العهد : ان اول عملة ضربت في العهد التركي كانت تسمى : (اقچه) . انها كلمة مغولية الاصل . ومعناها : القطعة البيضاء . ضربها علاء الدين باشا اخو السلطان اورخان . وقد اتخذت يومئذ راتباً يومياً للواحد من الجنود . كانت في البدء تساوي ثلث درهم من الفضة . وفي قول انها عبارة عن اربعين بارة . وساحد ذلك عن (البارة) وقيمتها في السطور التالية .

- (١) (الفلوس) بالفتح قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها وهي من المسكوكات القديمة . جمها فلوس . والفلوس ايضاً ورقة الجزية كانت تحتم ولعلها الذمي في عنقه شهادة لاداء جزية واما (الفلوس) بالكسر فانه ضم لبني طوسي . (البستان) .
- (٢) السجل ٤٩ الصفحة ٣٧ التاريخ ٧ شوال سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٥) .

(الدرهم^(١)) كانت المعاملة ، في اوائل العهد التركي ، بالدرهم وهو من الفضة وكانوا يسمونه (٩٥٤ هـ - ١٥٤٧ م) الدرهم التركي . وجمعه دراهم . وكثيراً ما وردت هذه في الصكوك باسم (الدراهم الفضية العثمانية) وهي من القطع السلجانية .

وسترى فيما يلي من السطور^(٢) ان كل اربعة دراهم من الفضة كانت تساوي قرشاً واحداً .

(الدينار^(٣)) هو نوع من النقد يعادل السكة السلطانية المصنوعة من الذهب . والدينار عبارة عن اربعين قطعة من الفضة السلجانية .

والدينار الذهب كانوا يسمونه (البندقي^(٤)) وقيمته ٤٨ قطعة مصرية . والقرش الصحيح كان في الاصل عبارة عن ٣٢ قطعة مصرية . ولقد عثرنا على ذكر (للدنانير الناصرية) ويظهر انها سككت قبل عهد الاتراك .

(بارة) قطعة من النقد التركي ، صغيرة القيمة . لا ، بل انها اصغر من اي نقد آخر . اصل الكلمة

(١) الدرهم في اللغة جمع عدد من (الدنانير) . والدانق معرب دنانق اليونانية وهو سدس الدرهم ولما كان الدرهم الاسلامي ست عشرة حبة خرنوب ، فان الدانق الاسلامي حبتا خرنوب وثلاثا حبة . (البستان) .

(٢) السجل ٢٣٤ الصفحة ٤ السنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩) .

(٣) الدينار في اللغة قطعة من الذهب تعامل بها العرب قديماً بالوزن الى ان اخرجها الحاج في خلافة عبد الملك بن مروان . صله دثار ، وجمعه دنانير . (البستان) . ظن بعض المؤرخين ان (دينار) كلمة فارسية . ولكن المحققين اثبتوا انها يونانية او لاتينية عرفها الفرس في زمن السلفيون خلفاء الاسكندر المقدوني . فنقلوها الى لغتهم .

(٤) انه اول عملة ذهبية ضربها العثمانيون كان ذاك في زمن السلطان محمد الفاتح . السجل ٦٨ الصفحة ٥٥ السنة ٩١٠ هـ (١٦٠٤ م) .

انها تعادل ١٢٠٠ قطعة مصرية . ولما كان القرش الاسدي يعادل ثلاثين قطعة مصرية فيكون السلطاني معادلا لقرش وثلاث القرش من القروش الاسدية .

(السكة) او (السكة السلطانية) نوع من العملة ورد ذكرها في المعاملات المدونة في سجلات المحكمة الشرعية خلال القرن العاشر للهجرة (٩٧٣ هـ - ١٥٦٥ م) . ويعتقد انها من النقود التي سكنت في زمن السلطان سليمان القانوني .

منها ماسك من الذهب ويسمونه (الذهب السلطاني) او (الدينار^(١)) . ومنها ماسك من الفضة ويسمونها (الفضة السلطانية) او (القطع السلطانية) .

ويظهر ان الدينار او السكة السلطانية المصنوعة من الذهب كانت تعادل اربعين قطعة من الفضة السلطانية^(٢) او مئة بارة .

وقرأت في مكان آخر ان السكة كانت عبارة عن خمس بارات . وقد تكون هذه هي المصنوعة من معادن اخرى .

(القرش الاسدي) انه من النقود التي سكها السلاجقة في بر الاناضول ، وانتقلت معهم الى هذه البلاد عندما اكتسحوها . قيمته اربعون بارة . وقد سمي كذلك لان صورة الاسد كانت في البدء مطبوعة عليه . وعلى قول انه كانت عليه صورة الاسد والشمس معا . واستعمله الفرس على هذا الشكل كشعار خاص لمملكتهم . وظل يسمى القرش الاسدي ، رغم ان صورة الاسد رفعت عنه مع الزمن . استعمل فيما مضى اساسا للمعاملات التجارية

(بارة) وهي فارسية . ومعناها شقفة او قطعة او جزء . وجمعها : بارات . والبارة عبارة عن واحد من اربعين من القرش ، او ان القرش عبارة عن اربعين بارة .

والبارة كانت متداولة في البلاد العثمانية ولا سيما مصر . ولذلك يقال لها ايضا مصرية . ومن هنا جاء قولهم : (معك مصاري) اي دراهم للاتفاق .

(القطعة المصرية) تعدل قطعتين شاميتين او قطعتين عثمانيين ايضا . والقرش الاسدي عبارة عن ثلاثين قطعة مصرية^(٣) . ويظهر انه كان هناك قرش غير القرش الاسدي . وهذا القرش كانوا يسمونه بالقرش الصحيح . وقيمته^(٤) ٣٢ قطعة مصرية .

ولقد جاء في البستان انه لما كانت البارة متداولة في البلاد العثمانية ولا سيما في مصر ، فقد سميت ايضا مصرية . اذاً يجوز القول : ان المقصود من القطعة المصرية هو البارة .

(القطعة الشامية^(٥)) نصف القطعة المصرية . اي ان كل قطعة مصرية تعادل قطعتين شاميتين . ولما كان القرش الاسدي يعادل ثلاثين قطعة مصرية وبالتالي ستين قطعة شامية ، فتكون القطعة الشامية عبارة عن جزء من ستين من القرش الاسدي .

ويظهر ان القطعة الشامية والعثمانية واحدة . اذا انا عثرنا على نص في سجلات المحكمة جاء فيه ان كل عثمانيين تعادلان قطعة مصرية .

(السلطاني) من النقود السلطانية . الواحد منه يعادل ٤٠ قطعة مصرية . ولقد قدر القاضي قيمة شيء من الاشياء بثلاثين سلطانيا قال عنها في قراره

(١) كانوا يقولون كل ما ذكروا الدينار انه من الذهب السلطاني الجديد السلطاني الراجح في ذلك التاريخ .

(٢) كانوا يقولون : « اربعة سلطانية وعشر قطع سلطانية »

(١) السجل ١٢٩ الصفحة ١٤٧ السنة ١٠٥٣ هـ (١٦٤٣) .

(٢) السجل ٦٧ الصفحة ٥٥ السنة ١٠١٣ هـ (١٦٠٤ م) .

(٣) السجل ٧٩ الصفحة ٣٥ السنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧ م) .

كانت زنة القطعة الواحدة ستة دراهم فضية . وقد استعمل القرش منذ قرن ونصف تقريباً كوحدة للمعاملات المالية والنقدية بقيمة أربعين بارة .

ظلت النقود السلمانية المتقدمة ذكرها رائجة في اسواق بيت المقدس حتى زمن السلطان سليم الثالث بن مصطفى الثالث الذي تولى العرش سنة ١٢٠٣ للهجرة - ١٧٨٨ م . فقد « صدرت الارادة^(١) السنية ، على عهده ، بطلب الاواني الذهبية والفضية وجمعها ممن عندهم وارسلها الى الضربخانه^(٢) على ان يعوض صاحبها عن كل مثقال^(٣) من الذهب بستة قرش ونصف ، وعن كل اربعة من الفضة بقرش واحد . »

ومن النقود التي اشتهرت في ذلك العهد ولا سيما خلال القرن الثامن عشر للميلاد (الزلطة) وهي بولونية الأصل . فالصداق كان ٥٠٠ زلطة والدار الكائنة بباب حطة بيعت بسبع عشرة زلطة . ولقد حاولنا ان نفهم كم كانت قيمة الزلطة في ذلك العهد فلم نفلح غير ان فريقاً من الشيوخ الطاعنين في السن في عصرنا هذا قالوا لنا انها عبارة عن ثلاثين بارة فضية . اي انها ثلاثة ارباع القرش الاسدي ، او خمس ذهبة فندقية .

(١) السجل ٢٣٤ الصفحة ٤ التاريخ ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) .

(٢) (الضربخانه) هي الدار التي اعتمدا الحكومة العثمانية لضرب المسكوكات في القسطنطينية .

(٣) (المنقال) في اللغة ما يوزن به . ومنه الاية (وان كان مثقال حبة من خردل اثبتناها وكفى بنا حاسبين) . والمنقال ايضاً احد مثاقيل الذهب وهو عبارة عن اثنين وسبعين شعيرة . وفي الاختيار هو عشرون قيراطاً . وكذا في الهداية او البستان .

ولصرف النقود ، ثم انحصر استعماله في بيع الاشياء بالمزاد العلني فقط . وظل رائجا في هذه البلاد حتى اواخر القرن التاسع عشر . وهناك من يقول ان اول من استعمله هم الاتراك العثمانيون ، وان هؤلاء اخذوه عن العملة الاسدية الهولندية التي كانت آنئذ رائجة لديهم في الممالك العثمانية . وكانت تضرب بقيمته ثمانية دراهم ونصف . وبعد ان استعمله الاتراك العثمانيون صار يسمى (القرش التركي) ويقال له ايضاً (القرش العثماني) و (القرش السلطاني) .

والقرش الاسدي كان ، خلال القرن السابع عشر للميلاد ، يعادل^(١) ثلاثين قطعة مصرية^(٢) . وقد رأيناه في مواضع اخرى ، خلال ذلك العصر ، يساوي ثلاثة فرنكات . وفي قول ان القرش السلطاني يساوي ٤٠ قطعة فضية . والقرش الاسدي (وهو نصفه) يساوي ٢٠ قطعة فضية .

ومن هذا يفهم ان كلمة (القرش) سواء كانت من اختراع الاتراك السلجوقيين او الاتراك العثمانيين فانها كلمة تركية اصلها (غوش) . ومن اسمائها باللغة التركية ايضاً : (آقچه)^(٣) .

وعلى قول انها لاتينية الاصل^(٤) او المسانية : (جوروش) . ومهما كان اصلها فان العرب اخذوها عن الاتراك فعربوها وقالوا (قوشا) . والاتراك ضربوا هذا النوع من النقود في بلادهم لأول مرة على عهد السلطان سليمان الثاني ١٠٩٩ - ١١٠٢ هـ (١٦٨٧ - ١٦٩١ م) وهو جزء من المئة من الليرة التركية .

(١) السجل ١٠٢ الصفحة ٣ السنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) .

(٢) انظر الى تفسير القطعة المصرية في غير هذا المكان .

(٣) بقول المؤرخ التركي ابراهيم حلمي : برغوش = براقچه .

(٤) جاء في (البستان) ان العرش ضرب من المسكوكات مغرب . وجمعه غروش . والقرش كالقرش زنة ومعنى وجمعه قروش .

مغشوشة ^(١) وهي عبارة عن البشلك (قرشان ونصف) والوزري (خمسة قروش) والعشروية (متاليك) . والنوع الثاني (عملة ذهبية) وهي عبارة عن خيرية ، ومحمودية .

والحقيقة ان العملة المغشوشة فقط هي التي كانت رائجة في اسواق التجارة . وهي التي كانت الايدي تتداولها في كل مكان . واما العملة الذهبية فقد كانت تباع وتشترى بقصد الزينة فقط .

والارقام التالية تبين لنا قيم العملة التي كانت رائجة في اواخر القرن التاسع عشر (١٨٩٨ م) :

ولقد سكنت ، بعد ذلك التاريخ ، نقود ومسكوكات كثيرة اخرى . سميت كل واحدة منها باسم السلطان الذي سكنت على عهده . ومنها (**المحمودية**) التي ضربت على عهد السلطان محمود (١٨٠٨ م) . (**المجيدية**) التي ضربت على عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ م) . و (**العزيزية**) التي ضربت على عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦٠ م) . و (**المجيدية**) التي ضربت على عهد السلطان عبد الحميد (١٨٧٦) . (**الرشادية**) التي ضربت على عهد السلطان محمد شاد الخامس (١٩٠٨) .

اما (**العملة المحمودية**) فانها نوعان : (**عملة**

خالصة بارة قرش	مغشوشة بارة قرش	صاغ بارة قرش	شرك بارة قرش
١٠٠	١٠٢	١٠٧	١٢٤
١٩	—	٢٠	٢٣
—	٥	٥	٦
—	٢,٢٠	٢,٢٠	٣
١٠٩	١١١	١١٨	١٣٦
—	—	٥,٢٠	٦,٢٠
٨٦,٢٧	—	٩٤	١٠٨,٢٠
—	—	٤,٢٠	٥,١٠

اما القيمة (**الخالصة**) فانها قيمة الشيء عندما تدفعها نقداً (ذهباً كان او فضة) .

واما القيمة (**المغشوشة**) فهي القيمة التي تدفعها بالعملة النحاسية .

واما القيمة (**الصاغ**) فهي القيمة التي تحددها الحكومة . وما كان يعمل بها الا نادراً . وكلمة

(١) هذه العملة سكنت بعد ان غلب الاتراك على امرهم في احدى معاركهم مع روسيا . وسميت (مغشوشة) لانهم اضافوا الى نحاسها ١٠ بللثة فضة .

ومن «ذا نفهم انه ليست النقود والمسكوكات التركية او العثمانية فقط ، وانما النقود والمسكوكات الانكليزية والافرنسية ايضاً (حتى والروسية والايطالية والنمساوية والبلجيكية) — الفضة منها والذهب — كانت رائجة في بيت المقدس (١٨٩٨) . وكذلك قل عن الذهب المصري . كان لكل نوع من هذه النقود ، التركية منها والاجنبية ، اربع قيم مختلفة . وكان يطلق على هذه القيم : خالصة ، ومغشوشة ، وصاغ ، وشرك .

انه (اي البشلك) هو العملة المغشوشة . وقد سميت كذلك لانها صنعت من النحاس المخلوط بالفضة . ونسبة الفضة فيها ١٠ ٪ .

وفي زمن السلطان عبد الحميد ظلت الحمودية المغشوشة سائدة وهي : النحاسة والقبق والمتاليك والبشلك والوزري . غير انه اضيف اليها (المجيدي) وهو مصنوع من الفضة الرباص الصافي . والمجيدى كان عبارة عن تسعة عشر قرشاً ، ثم صار عشرين قرشاً . ونصف المجيدي تسعة قروش ونصف . وربعه خمسة قروش لإربع . والليرة العثمانية الذهب وهي عبارة عن مئة قرش .

وفي زمن السلطان عبد العزيز بقيت العملة الحمودية (اي البشلك والوزري والمتاليك والنحاسة والقبق) ، وكذلك العملة المجيدية (اي المجيدي والنصف مجيدي والربع مجيدي والليرة الذهب) من النقود الراجحة .

وكذلك في زمن السلطان عبد الحميد . فان العملة المتقدم ذكرها كلها ظلت سائدة . ولم يزد عليها سوى ان (المجيدي) طبع من جديد . وكذلك قل عن (الليرة ذهب) . وقد طبع عليها اسم السلطان عبد الحميد ، والتاريخ الذي ضربت فيه .

وفي زمن السلطان رشاد ظلت جميع انواع العملة المتقدم ذكرها سائدة . إلا انه اضيف اليها عملة من نوع (النكل) وهي عبارة عن :

قرش واحد = ٤٠ بارة
نصف قرش = ٢٠ بارة
ربع قرش = ١٠ بارات

احتفظ القرش بقيمته الاصلية وقدرته على الشراء مدة من الزمن . ولكنه أخذ يميل الى التدهور في اواخر العهد العثماني . فبعد ان كان القرش الواحد

(صاغ) تركية معناها : سليم وصحيح او غير فاسد . واما القيمة (الشرك) فهي القيمة التي تدفعها بالعملة الدارجة . اصلها (جوروك) وهي تركية . ومعناها فاسد .

ان القيم الثلاثة الاولى لا تتغير ولا تتبدل . واما القيمة الرابعة فالقيمة تتغير وتتبدل تبعاً للزمان والمكان .

وكان على عهد السلطان محمود (١٨٠٨ م) نوع من العملة يسمى : (القبق) وهو خمس نحاسات و (النحاسة) وهي بارة واحدة ، و (المتاليك) وهو عشر نحاسات ، و (القروش) وهو اربعة متاليك و (المجيدي) وهو تسعة عشر قرشاً .

اما (المتاليك) فقد كان يصنع من النحاس الاحمر ، ويطلق بنسبة ١٠ ٪ من الفضة . وهو اصغر من النحاسة . انه عبارة عن عشر بارات . واما (القبق) فانه عبارة عن نصف متاليك (اي خمس بارات) وكان يصنع من النحاس الاحمر ، ولكنه لا يطل بالفضة ، وهو اكبر من النحاسة . واما (النحاسة) فانها كانت تصنع من النحاس الاحمر ، وهي اصغر من القبق . وللقبق اجزاء هي : النصف ، والربع ، والثلث . ومن اجزائه المعروفة : (السحتوت) . واما (البشلك) و (الوزري) فانها كانا يصنعان من النحاس ويطلقان بماء الفضة . وهذا — على ما اعتقد — هو السبب في تسمية هذا النوع من العملة بـ (العملة المغشوشة) .

كان (البشلك) في البدء عبارة عن خمسة قروش . اي عشرين متليكا . ثم انخفضت قيمته الى النصف . اي قرشان ونصف القرش . وبعبارة اخرى : عشرة متاليك . والمتليك عبارة عن عشر بارات . وهناك نصف البشلك . وهو عبارة عن خمسة متاليك .

(١٨٣٧ م) . وصارت الليرة العثمانية تساوي ٢٥٥ قرشاً والفرنسوية ٢٢٢ قرشاً والانكليزية ٢٩٧ قرشاً . واما المجيدي فقد كانت قيمته ٤٧ قرشاً ونصف القرش .

في ٥ جمادي الاولى سنة ١٢٠٤ هـ - ١٧٨٩ م يعادل ثلاثة فرنكات او اربعة دراهم من الفضة ، والسته قروش ونصف القرش تعادل مثقالاً من الذهب ؛ اصبح القرش لا يعادل اكثر من ٢٥ سانتيماً من الفرنك

الناحية الاقتصادية في العهد التركي

والسكر النبات ، والسكر المحوي ، والعرق سوس ، والفولاذ ، والحديد ، والشمع ، والسيرج ، والطحين ، والخل ، والمشمش ، والنشا ، واللوز ، القطين ، والبرقوق ، والفقوس ، والخيار ، والباذنجان ، والليمون ، والخبز ، والكهاج ، حتى وملح الطعام . ونقرأ ايضاً في السجل نفسه^(١) وفي السنة التي تلتها « ان مولانا الافندي نور الله ، بعد استشارة المحتسب موسى بن داود ، قرر ان يكون سعر الكنافة المخروطة ٤ بارات والقطايف ٤ والكنافة الصينية ٥ والسמיד ٦ والدقاق ٦ والطحين ٥ وجرة الطحين من المعصرة ٣٤ بارة ومن السوق ٣٩ وقنطار العنب يوزن القدس الشريف مائة قطعة فضة سليمانية^(٢) »

وعندما توفي المدعو جريس بن موسى الراهب الشامي البيطار من سكان القدس في ١٦ صفر سنة ٩٧١ هـ - ١٥٦٣ م حصرت تركته بمعرفة القاضي ؛ واذا هي^(٣) :

اذا اردنا ان نلقي نظرة على الناحية الاقتصادية في العهد التركي (١٥١٧ - ١٩١٧ م) فان علينا ان نرجع الى السجلات القديمة المحفوظة في المحكمة الشرعية والتي تحدثنا ، بما فيها من قضايا وعقود واوامر ، عن اخبار ذلك العهد اصدق حديث . ومتى رجعنا الى تلك السجلات وجدنا ان نفقات المعيشة كانت رخيصة في ذلك العهد . ويتبين مبلغ رخصها اذا ما قيست بنفقات العيش في الاعوام التي تلتها . واليك البيان :

كان قاضي المسلمين بالقدس هو الذي يعين اسعار الحاجيات . وانا لنقرأ في احد السجلات^(١) ان القاضي حسام الدين بحضور المحتسبين^(٢) محمد بن داود وعلي بن محمد بن ابي جاموس قرر ان تكون اسعار الحاجيات التالية كما يلي : الزيت الطيب ٤٨ بارة ، السمن العناني ٦٥ الدبس البلدي ١٥ الجبن ٢٤ اللبن ٣ الصابون العادي ٤٠ الصابون المشمع ٣٠ الصابون الاصفر ٢٤ اللحم الضاني ١٥ لحم الماعز ١٣ اللحم البقري ٨ . وفي نفس الامر حديث عن اسعار الزيت ،

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٥٥٣ السنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣ م) .
(٢) انظر الى ما كتبه عن النقود والمسكوكات التركية في موضع اخر من هذا الفصل .
(٣) السجل ٤٤ الصفحة ٥١١ .

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٣٥٠ السنة ٩٧٠ هـ (١٥٦٢ م) .
(٢) اثنان من رجال (الحسبة) وهي التي نسميها في يومنا هذا (البلدية) .

شعبان ١٠٤٢ هـ - ١٦٣٢ م). ومد الخنطة^(١) بست قطع مصرية (شوال ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٥ م). وقنطار الزيت باربعين غرشا (ذي الحجة ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٥ م).

* * *

واما اثنان الغنم فقد كانت كما يأتي :

ثمن الرأس الواحد من الماعز او الضأن كان قرشا اسديا ونصف القرش . فقد ابتاع^(٢) رجل من رجل آخر ١٩٠ رأساً من الماعز والضأن بـ ٢٨٥ قرشاً اسدياً . وابتاع آخر ١٣٣٠ رأساً منها بالفي قرش اسدي .

* * *

وبيعت فرس حمراء عالية كبيشة بثمن جملته من (الذهب السلطاني) ثمانون سلطانيا ذهباً وقطعتان من الفضة السليمانية .

* * *

واما اثنان الاراضي والعقارات في ذلك العهد .

فقد حدثنا عنها السجلات المتقدم ذكرها، فقالت : « ان الخواجه شرف الدين بن المرحوم الخواجه محمد شرف الدين قد اشترى^(٣) من فخر المحضات صفية خاتون حصتها . وهي السدس (اي ستة قراريط من اربعة وعشرين قيراطا) في جميع غراس الزيتون والتين والسفرجل الاسلامي وعدة اصوله تسعة عشر اصلاً الكائن في ارض السمار بظاهر القدس بثمن قدره خمسون غرشاً من الغروش الفضية الرائجة في يومنا هذا » .

ولقد بيعت^(٤) نصف الدار الكائنة بالنبي داود

(١) السجل ١٢٨ الصفحة ٣٥٨ .

(٢) السجل ١٢٩ الصفحة ١٤٧ السنة ١٠٥٣ هـ (١٦٤٣) .

(٣) السجل ١٠٢ الصفحة ٢٤ التاريخ ربيع الثاني ١٠٢٨ هـ .

(٤) (١٦١٨ م) .

(٤) السجل ٤٩ الصفحة ٢٠ السنة ٩٩٧ هـ (١٥٦٥) .

قيمة الشيء	فضة سليمانية	نوعه
٥	بارة	فوطه ^(١) زرقاء
٨٠	»	جوخة صيني
٧	»	كفن
٥٠	»	كبر احمر عتيق
٨٠	»	كبر رازي جديد
١٠	»	عراقيتان جوخ
٥	»	منشفة
٤	»	منديل مطرز
١٥	»	صندوق خشب
٢٠	»	ملف ازرق قطن
٨٠	»	ملف ازرق حرير
٢٠	»	طاسة نحاس
١٥	»	دست نحاس
١٥	»	مقلي نحاس
٤	»	سكاكين صغار
٨٠	»	سلسلة من الفضة
٨٠	»	خواتم فضة عدد ٦
٥	»	عصا رمح خشب

وقد قدرت دار الميت الكائنة في حارة النصرى بـ ٢٠ سكة . ويظهر ان (السكة) كانت عبارة عن ١٠٠ بارة . وفي ٦ شوال ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) عين ثمن المد من الشعر بـ ٦ بارات . وانا اذا ما انتقلنا الى الجيل الذي تلا ذلك الجيل وجدنا ان قنطار العنب الجندي^(٢) حددت قيمته بثلاثة غروش (١٥ رجب ١٠٢٠ هـ - ١٢١١ م) . ومد الدر^(٣) بغرش واحد (١٢

(١) استعملت هذا التعبير نفسها كما وجدت في سجلات المحكمة .

(٢) السجل ٩٢ الصفحة ١٠٠ .

(٣) السجل ١٣٠ الصفحة ٢٩٧ .

الحصة الشائعة وقدرها نصف قيراط من اصل كامل في جميع الدار القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة النصارى المشتمة على علو وعلو علو^(١) وسفل . فالعلو (٠) منها يشتمل على ثلاثة بيوت وصهريجين معدين لمجيع ماء الشتاء ، وعلى معصرة غناب وشجرة رمان ومنافع ومرافق بثمن قدره ثلاثة وعشرون زلطة .

« واشترى الحاج محمد الحوراني من السيد عمر ابن صفى الحلبي جميع البيت الكبير الواقع بالدار القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة باب حطة بثمن قدره سبعة عشر زلطة مقبوضة » .

ولم تكن اجور العقارات مرتفعة في تلك الايام . فقد استأجر^(٢) رجل الحانوت الكائن بسوق الصاغة الواقع باسفل سوق التجار والتابع لوقف المسجد الاقصى بـ ٣٦ باره لمدة سنة كاملة .

« واستأجر^(٣) كل من مصطفى بن خضر وعلي ابن الحاج خالد الحلبي من ناظر الوقف حمزة جلبي حمام الشفا وهو وقف الصخرة بمبلغ قدره عشرون قطعة فضية سليمانية » .

« واجر^(٤) مولانا سيد السادات منبع العلم والسعادات قدوة المدققين شيخ الاسلام والمسلمين السيد عبد القادر الوفاقي ، لليهودية المدعوة عزيزة بنت اسحق ، جميع الدار العلوية والقاعة السفلية القائمة البناء بمحلة الشرف بالقدس الشريف سكناً واسكاناً لمدة خمس سنوات بأجرة قدرها ستون غرشاً اجرة كل سنة اثني عشر غرشاً » .

والمؤلفة من طبقتين مع منافعهما بثمن جملته تسع وعشرون سلطانيا .

وبيعت دار كائنة^(١) بحارة بني زيد بالقرب من رأس القصيلة وهي مشتملة على بيتين سفليين واوان ومطبخ ومرتفق وساحة سماوية بثمن جملته خمسة عشر سلطانيا ذهبا ؛ قبض البائع منها خمسة سلطانية ، والباقي مؤجلة الى سلخ سنة من تاريخه .

وبيع^(٢) نصف الدار الكائنة في حارة الواد المشتمة على بيتين سفليين واوان ودهلين وصهريج وبيت منهدم وشجرتي رمان ولوز بجميع حقوق ذلك وطرقه وجدره ومرافقه ومنافعه بثمن قدره عشرون غرشاً مقبوضة بيد البائع . وحكم القاضي بصحة البيع .

وبيع^(٣) ربيع الدار الكائنة بمحلة النصارى المشتمة على اربعة بيوت سفلية وساحة سماوية وصهريج بثمن قدره عشرون غرشاً اسديا .

وبيعت في نفس التاريخ دار ببساب العمود مؤلفة من طبقتين بثمن قدره ثلاثون غرشاً فضياً اسدياً .

وبيعت دار بباب حطه وهي تشتمل على غرفتين واوان وصهريج ومنافع مختلفة بخمسة وسبعين غرشاً . وكان ذلك بتاريخ جمادى الاولى سنة ١١٤٠ هـ (١٧٢٧ م) .

« واشترى^(٤) غطاس وحنه ولدا بشاره بن عظيم الرأي الرومي الحاضر معها بالمجلس الشرعي جميع

(١) السجل ٤٩ الصفحة ٤١ السنة ٨٩٧٣ (١٥٦٥ م) .

(٢) السجل ١٠٢ الصفحة ٤ التاريخ ٢٠ جمادى الاولى ١٠٢٨ هـ (١٦١٧) .

(٣) السجل ١٠٢ الصفحة ٦٤ التاريخ ٢٠ جمادى الثانية ١٠٢٨ هـ

(٤) السجل ٢٥٥ الصفحة ١٣٥ التاريخ غرة جمادى الثانية ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) .

(١) لاحظ انني ما زلت انقل الكلام كما وجدته في السجلات .

(٢) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٦ السنة ٨٩٧١ (١٥٦٣) .

(٣) السجل ٤٩ الصفحة ١٦ السنة ٨٩٧٣ (١٥٦٥) .

(٤) السجل ١٠٢ الصفحة ٧٣ السنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨) .

وكان مهر المرأة ايضاً رخيصاً بهذه النسبة . وكانوا يسمونه صداقا . وانا لنقرأ في السجلات المتقدم ذكرها^(١) « ان الصداق الشرعي سنة ٩٧٣ للهجرة (١٥٦٥ م) ما زاد عن (ثلاث سكات)^(٢) . منها سكة ونصف مقبوضة ممجلا ، وسكة ونصف مؤجلة لأقرب الأجلين » .

وفي السجل نفسه ان رجلا باع نصف قنطار من الطحين بثلاث سكات . اذاً صداق المرأة كان في ذلك اليوم يعادل نصف قنطار من الطحين .

ولقد « تزوج »^(٣) حسن بن ميرو الملكاني مخطوبته خديجة بنت يوسف واصدقها على بركة الله وعونه وحسن توفيقه وسنة نبيه صداقاً جملته تسعة غروش : الحالي من ذلك خمسة غروش . والباقي وقدره اربعة غروش مؤجلة لها عليه الى الفراق بموت او طلاق » .

وتزوج رجل بامرأة في نفس السنة « بعد ان حملته »^(٤) خمسة وعشرين غرشاً : الحالي من ذلك خمسة عشر غرشاً مقبوضة بيد أخيها . والباقي عشرة غروش مؤجلة الى الفراق بموت او طلاق » .

وهناك امثلة كثيرة اخرى^(٥) تدل على ان المهر كان يتراوح في ذلك العهد بين الثلاثة غروش والستين غرشاً كما ترى في الارقام التالية :

٣ غروش : منها غرشان مقبوضان وعرش مؤجل
٨ غروش : منها خمسة مقبوضة وثلاثة مؤجلة
١٠ غروش : منها خمسة مقبوضة وخمسة مؤجلة

٢٠ غرشاً : منها عشرة مقبوضة وعشرة مؤجلة
٣٠ غرشاً : منها ١٥ غرشاً مقبوضاً و ١٥ غرشاً مؤجلاً
٣٥ » » ٢٠ » » ١٥ » »
٦٠ » » ٤٠ » » مقبوضة و ٢٠ » »

وبقيت المهجور في ذلك المستوى طيلة قرن او يزيد . الى ان اخذ بالصعود . وانا لنقرأ في سجلات القرن الثاني عشر للهجرة « ان^(١) فخر الفضلاء والسادات الكرام السيد موسى افندي امام المسجد الاقصي تزوج فخر المخدرات الست خديجة خاتون ابنة الشيخ عبد الله افندي خادم صخرة الله البكر البالغ ، وانه اصدقها صداقاً جملته خمسمائة زلطة : ثلاثمائة منها مقبوضة ، والباقي مؤجلة الى اقرب الأجلين » .

واما كسوة الزوجة فقد كانت^(٢) ثلاثة غروش في السنة .

وقد « ادعى »^(٣) منصور بن حنفي الرومي علي بكر مصطفى انه كان باعه جارية بيضاء بتسعين غرشاً ، وانه تأخر له من ثمنها في ذمته خمسة وثلاثين غرشاً ونصف غرش » . فحكم القاضي له بذلك

وقد « حكم القاضي »^(٤) لفاطمة بنت اسكندر بنفقة يومية قدرها قطعة واحدة مصرية^(٥) يدفعها لها زوجها موسى بن الحاج علي البرادعي تلقاء طعامها وشرابها ودخولها الحمام وغسلها اثوابها » . والقطعة المصرية عبارة عن واحد من ثلاثين من القرش الاسدي . ومن الغرائب ان نرى للمرأة صلة بالديون التي

(١) السجل ٢٥٥ الصفحة ١٣٠ السنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤) .
(٢) السجل ١٠٢ الصفحة ٤٨٢ السنة ١٠٢٩ هـ (١٦١٩ م) .
(٣) السجل ١٠٢ الصفحة ٤٨٢ السنة ١٠٢٩ هـ (١٦١٩ م) .
(٤) السجل ١٠٢ الصفحة ٥ السنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) .
(٥) وفي قضية اخرى مشابهة لهذه القضية حكم القاضي بنفقة يومية قدرها قطعة قضية سديانية .

(١) السجل ٤٩ الصفحة ٤١ .
(٢) جمع (سكة) . وقد بحثنا عنها مع النقود والمسكوكات في العهد التركي .
(٣) السجل ١٠٢ الصفحة ١٠ السنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) .
(٤) السجل ١٠٢ الصفحة ١١ السنة ١٠١٨ هـ (١٦١٨ م) .
(٥) السجل ١٠٢ الصفحة ٧٢ السنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) .

كان يتقاضى راتباً شهرياً قدره ٣٠٠ غرشاً . وكان في معيته ثلاثة انفار من التفكجية : راتب كل واحد منهم غرشان ، يتناولهما من خزينة السلطان .

* * *

ويبدو انه ، رغم رخص الاسعار وانخفاض نفقات المعيشة التي وصفناها في الاسطر المتقدمة ، كان يعيش في القدس ، في ذلك العهد ، عدد غير قليل من الفقراء الذين لا يستطيعون كسب عيشهم بعرق جبينهم : اما بحكم اعمالهم الدينية او لقلة المكاسب والاشغال . ذلك لان القدس ، كما قدمنا ، كانت وما برحت بلد الاديان ؛ ولم تكن في زمن من الازمان بلداً زراعية ، ولا صناعية . وما كانت التجارة لتزدهر فيها الا بمقدار ما لها من صلة بالحج وبالشعائر الدينية المعروفة عند الطوائف المختلفة .

ولهذا كثيراً ما سمعنا وقرأنا عن الهبات والتبرعات المالية ، ترسل الى القدس من القسطنطينية عاصمة البلاد العثمانية . ومن ذلك ما قرأناه في الصفحة ٦١ من صفحات السجل ٢١٣ من سجلات المحكمة الشرعية يوم ارسل السلطان احمد خان اثنان من كبار رجال الدولة هما : امير لواء غزة هاشم محمد باشا وامين الصرة حسين آغا (سلحدار شهرياري) . فجاءا يحملان (الصرة) عن سنة ١١٣٠ هجرية - ١٧١٧ م . وفيها الفان واربعمئة وثمانون ذهباً شريفياً (؟) عنها بحساب الذهب الطرلي (؟) الفاً ومائة واربعة وعشرون ذهباً شريفياً (؟) ومائة وثمانون قطعة مصرية . وقام الاثنان بتوزيع هذا المبلغ على المستحقين ؛ فقبض كل واحد منهم ما هو معين له (بمقتضى الدفتر السلطاني) . ولقد تم ذلك بحضور العلماء الاعلام ومشايخ الحرم الكرام والخطباء والائمة والمصدرين وخدم المسجد الاقصى الشريف . . . فتزايد الدعاء من العلماء

تتكون بين التجار وبالطرق المتبعة في تسديد تلك الديون . فمن ذلك ما قرأناه عن « رجل تعهد ان يدفع لمدينه المبلغ الذي في ذمته غن قماش في مدة معينة . حتى اذا ما حان ميعاد الدفع ولم يف المدين بتعده كانت امرأته طالقة ! . . » .

وقد « اشترى »^(١) ابراهيم بن احمد خرج الليل من موسى بن ناصر الدين بن شقرق فرسه . فدفع له قسماً من ثمنها . وابقى الباقي مشروطاً على نفسه انه اذا غادر مدينة القدس الشريف قبل ان يوفي صاحب الفرس ثمن فرسه التي ابتاعها منه ، تكون زوجته التي في عصمته طالقة طلاقاً ثلاثاً . وكان هذا التعهد بحضور القاضي خير الدين ! .

ومن الامثلة على مبلغ الرواتب والاجور في ذلك العهد . « ان القاضي »^(٢) عين زين ابن امام قلعة البرك في وظيفة خدمة المرضى والمجانين بالمارستان الصلاحي عوضاً عن حجازي بن العجمية .

وقد امره بتقوى الله في عمله وبالاستنابة عند الحاجة . وحضر المتولي على الوقف عبدالله العلمي وبقية المتولين ، واحالوا الى زين نظير خدمته اجرة الحاصلين الكائنين بالدباغة المعروفين بالسجن الذي كان يتناول اجرتها حجازي المزبور الخادم السابق بما لهما من الاجرة في كل سنة وقدرها ستة غروش عددية . وقبل بذلك » .

واجرة المدرس في المدرسة الصلاحية كانت خمسة دنانير ناصرية عن كل شهر .

وحسن آغا المجري الذي كان يلقب (تفكجي باشي) اي قائد سرية المشاة بالقدس عام ١٨٤٠

(١) السجل ٤٩ الصفحة ٢٤ السنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) .

(٢) السجل ٢٢١ الصفحة ٢٦٣ التاريخ جمادي الاولى سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٦ م) .

ليجدوا اوعية كافية للزيت الجديد . وصناعة الصابون كانت من الصناعات التي تباهي بها . كان فيها عدد كبير من المصانين . وكان في تلك المصانين عدد كبير من العمال يعيشون منها . غير ان هذه الصناعة اخذت تتضعع بعد سنة ١٨٧٦ يوم اكتسحت البلاد اسراب كثيرة من الجراد ، واقت على قسم كبير من اشجار الزيتون^(١) . فلم يبق في القدس ، بعد تلك السنة ، سوى سبع مصانين : خمسة منها للمسلمين . ومصنبتان للمسيحيين . كانت كل مصبنة تنتج عشرين طبخة في السنة^(٢) . وكل طبخة الفسارطل . اي ان القدس كانت تنتج في كل عام ٢٨٠٠٠٠ رطل من الصابون .

* * *

التجارة في العهد التركي :

وكانت هذه الكمية كلها ، الا القليل منها ، تصدر الى الخارج . واكثرها الى مصر وآسيا الصغرى . وما كانت صناعة الصابون لتدفع اي نوع من انواع الضرائب ، الا عند التصدير .

هذا ما تمكنا من العثور عليه من المعلومات حول البضائع المصدرة . واما المستوردة ، فاليك ما عرفناه عنها :

كانت القدس تستورد اكثر بضائعها من اوربا^(٣) عن طريق مارسيليا وتريست . اما عن طريق مارسيليا فكانت تاتيها البضائع الصوفية ، والحريرية ، والخبور بما تقدر قيمته بـ ١٥٠.٠٠٠ ليرة تركية في السنة (١٨٧٦ م) . واما عن تريستا فالقزاز ، والخشب ، والاثاث وما الى ذلك بما قيمته ٢٥٠.٠٠٠ ليرة .

والسادات والمشايخ والصلحاء والضعفاء والفقراء وجميع سكان هذه الديار القدسية . . . لسلطان الاسلام والمسلمين قانع الكفرة والملحدين السلطان احمد خان . . .) .

ويظهر ان هذا العمل تكرر طيلة الحكم العثماني في هذه البلاد . وكانت (الصرة) توزع على المستحقين بعرفة الحاكم الشرعي للمدينة .

وكانت هذه في سنة ١١٧٠ هـ - ١٧٥٦ م خمسة آلاف وخمسة وثمانين غرشاً اسدياً .

وكانت الطوائف المسيحية تتلقى مثل هذه الهبات من الغرب : الارثوذكسيون من شرقي اوربا ، واللاتين من الممالك الكاثوليكية .

الصناعة في العهد التركي :

لا نعرف الا النذر اليسير عن تجارة القدس وصناعتها في اوائل العهد التركي . وانما نعرف الشيء الكثير عنها في اواخر العهد المذكور . فقد قيل لنا انها كانت القدس تصنع الصابون وتصدره الى مصر . وكانت تصنع كمياتكبيرة من الادوات المدرسية والبضائع الدينية ، والعلب المصنوعة من خشب الزيتون ، والصدف ، وعلب الزعوط ، والشموع المختلفة . وتبيعها الى الحجاج الذين كانوا يقدون اليها من كل حدب وصوب بقصد زيارة الاماكن المقدسة . وكانت تصدر القمح الى انكلترة وبعض البلاد الاوروبية . وكذلك قسل عن السمسم وزيت الزيتون .

كان في القدس وفيما حوله من بقاع مساحات واسعة من اشجار الزيتون . وكان الزيت فيها مبدولاً بدرجة ان المقدسة في سنة من السنين كبوا الزيت القديم

(١) warren, P. 500

(٢) سنة المصبنة ثمانية شهور فقط .

لترى اثر هذه المساطب في يومنا هذا في سوق التجار الكائن الى الشرق من سوق العطارين . وقد ظلت الاسواق على تلك الحال حتى سنة ١٨٦٣ اذ منعت السلطات المحلية انشاء مساطب جديدة ، وامرت بهدم المساطب القديمة . ورصفت الطرق التي تمر من هذه الاسواق بالبلاط .

وفي سنة ١٨٨٥ رفع البلاط القديم من شوارع القدس وارقتها ، ووضع بدلا منه البلاط الذي تراه في يومنا هذا . ولقد رفع وسط الشارع ارتفاعا قليلا وانشئت على جوانبها اقنية تجري مياه الامطار فيها . وقد حدثنا الكهون ان الحكومة استخدمت يومئذ عددا كبيرا من المساجين من اجل رصف الشوارع وتنظيفها .

ويظهر ان هذه الاسواق القديمة التي سمعنا بوجودها ايضا في الفتح الصليبي وعلى عهد صلاح الدين ، لم تكن وافية بالغرض . فقد قرأنا في السجلات التركية^(١) ان وفداً مختلطاً من تجار المدينة مؤلفاً من الشيخ عماد الدين بن مسلم والخوارج^(٢) علاء الدين بن شرف الدين الرومي وشهاب الدين احمد بن العلامة الشيخ زين العابدين ، وميخائيل بن الصبان ، وعبد المسيح بن جبارة ، ويوسف بن عبد الكريم اليهودي ، واخوه ابراهيم ، وموسى بن كتيبة ، وسلمون بن شداد ، واخوه ايليا ، ويهودا الارمني ، وحليف بن شحادة ، وشوعه بن منصور ، ورحمين بن يوسف ، وسلمون بن صوفان ، وسعيد بن النجار المغربي ، وعيسى بن حسار ، جاء الى المحكمة الشرعية . وبحضور مولانا القاضي جار الله أفندي ، تم الاتفاق بينهم وبين علي بن الشيخ

ومن انكلكره : البضائع القطنية والصوفية بما قيمته ٢٠,٠٠٠ ليره . وكذلك قل عن البلاط الاخرى . وكانوا يقدرون قيمة البضائع التي تستوردها القدس من الخارج بما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ ليره تركية في السنة .

والغريب ان هذه المعاملات كلها ، سواء فيها الوارد أم الصادر ، كانت تجري بطريق الاتفاق الشفوي : الشرف سداها والامانة لمتهمها . فلا عقود ، ولا كيبالات ، ولا سمرة ، ولا تسجيل .

كان في القدس عدة اسواق . منها سوق **القطانين** وهو من منشآت المالك . وسوق **الطباخين** وهو المعروف بسوق خان الزيت في يومنا هذا وهو وقف احمد باشا بالشام . وثلاثة اسواق متوازية هي عبارة عن مسالك طويلة وعقود مستورة . وبعبارة افصح اتفاق بنيت على الطراز القديم . اكثرها قديم العهد متداعي الاركان . وعلى جوانبها غرف صغيرة لا نوافذ فيها . وهذه الغرف هي الدكاكين . وكانت هناك ثلاثة أسواق : الغربي منها كان ينقسم الى قسمين : القبلي منها يدعى (**سوق اللحامين**) وفيه تباع اللحوم . والشامي (**سوق الجلود والنحاسين**) وفيه تنظف الجلود وتبيض الاواني النحاسية . والاوسط يسمونه (**سوق العطارين**) وتباع فيه جميع أدوات العطارة والنجارة وأواني الخيل والخرجة والخيطان والحبال وما الى ذلك . والثالث (**سوق التجار**) ويسمى ايضا (سوق الخوارج) . وفيه تباع الاقمشة كما ان فيه ايضا دكاكين الصاغة .

وكان امام جميع الدكاكين ، او امام الشطر الاكبر منها ، مساطب لجلوس اصحابها من جهة ، وجلوس الزائرين الذين يفدون بقصد الشراء . وانك

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٣٨٢ السنة ٨٩٧٠ - ١٥٦١ م .

(٢) جمع (خوارج) وهي لقب الرجل الذي كان يتعاطى التجارة في ذلك العهد .

دفعوه للمسجد الشريف على سبيل التبرع لا حق لهم فيه » .

وكانت الساحة الواقعة امام كنيسة القيامة تستعمل كسوق لبيع الشمع والصدف والكتب الدينية للحجاج من النصارى الذين يفدون الى القدس بقصد زيارة الاماكن المقدسة . كما كان يجتمع في تلك الساحة عدد كبير من التجار والصيارفة .

كان في القدس يومئذ (١٨٧٦ م) الف وثلاثمائة وعشرون دكاناً . يشغل فيها ١٩٢٠ رجلاً يجوز ادخالهم في مصاف ارباب الحرف والصنائع والمهن . واليك تصنيفهم^(١) حسب حرفهم واجناسهم واديانهم :

شمس الدين المصري الوكيل الشرعي عن ناظر الحرمين الشريفين مولانا حمزة جلي ، على ان يعمر لهم في سوق الخضر اربعين دكاناً ، وان يدفعوا له في نظير تلك العمارة اربعين سلطانياً^(١) ذهباً ، وذلك نظير اجرة سنة من السنين الآتية في اجرة الأربعين دكان بالسوق المزبور الجارِي في وقف المسجد الاقصى الشريف . وبعد تمام ذلك دفعوا للشيخ علي المذكور عشرة سلطانية ذهب لاجل ازالة القمامات التي بالسوق ولاجل عمارته . وانها اذا نفذت يعطوه بقية الاربعين لاجل بقية العمارة . واشترطوا على انفسهم ان السوق المزبور ، اذا تم ولم يستأجروا فيه الدكاكين المعنية ، يكون المبلغ الذي

المهنة	يهود	مسلمون	روم	لاتين	بروتستانت	ارمن	يكون
١ فرانة	١٠	٥٢	١٥	—	—	—	٧٧
٢ اصحاب بنوك	٤	—	—	—	٢	—	٦
٣ حلاقون	٩	١٢	٥	٢٢	—	٨	٥٦
٤ حمامية	—	٣٧	—	—	—	—	٣٧
٥ مجلدو كتب	٦	١	—	—	—	—	٧
٦ بائعو كتب	—	١٠	—	—	—	١	٢
٧ بائعو خبز	—	٢	١٠	١٢	—	—	٢٤
٨ قصايون	٧	٢٩	—	—	—	—	٣٦
٩ نجارون	١١	٢	١٢	٢٠	١	—	٤٦
١٠ بائعو فحم	٩	١	١	—	—	—	١١
١١ بائعو الدجاج	٦	٢	١	—	١	—	١٠
١٢ طاحنو قهوة	٥	٢٤	١	—	—	—	٣٠
١٣ صانعو النعوش	—	٦٦	٨	٩	—	٣	٨٦

١٤	طهارة	—	١	٤	—	—	٥
١٥	تجار حبوب	—	١٢	—	—	—	١٢
١٦	تجار قطن	—	٢	١	—	—	٣
١٧	صيادلة	٥	—	٣	—	—	٨
١٨	صباغون	١	٢٧	—	—	—	٢٨
١٩	طحانون	٣	١٨	—	—	—	٢١
٢٠	دكانجية	٦٩	٥٣	٨	٥	٧	١٤٣
٢١	بائعو قزاز	٢	١٦	١	—	—	١٩
٢٢	خضر جية	١٧	٦٧	٣	—	١	٨٨
٢٣	سمانة (بقالة)	٥١	٨٦	٢٨	١٣	٧	١٨٩
٢٤	خانجية	—	٥	—	—	—	٥
٢٥	بائعو الكلس	—	—	١	—	—	١
٢٦	كبابجية	—	٩	—	—	—	٩
٢٧	طراقون	١٧	—	—	٣	—	٢٢
٢٨	تجار اواعي عتق	٥	٢	—	—	—	٧
٢٩	باعة متجولون	٢	٥	٣	—	—	١٠
٣٠	مصورون	—	—	٣	—	١	٤
٣١	صانعو الغلايين	—	٣	—	—	—	٣
٣٢	بائعو فخار	—	١١	—	—	—	١١
٣٣		—	٨	—	—	—	٨
٣٤	كندرجية	٨٣	٥١	٤١	٢٢	٦	٢٣٠
٣٥	تجار حرير	١٩	—	—	—	—	٢٠
٣٦	معاصر للسيرج	—	٢٩	٣	—	—	٣٢
٣٧	تجار جلود	—	٢	—	—	—	٢
٣٨	حدادون	٧	—	٣	١٨	—	٢٨
٣٩	صاغة	١٥	—	٢٩	٩	—	٥٧
٤٠	تنكجيه	٣٤	—	٢	—	—	٣٦
٤١	تجار زعوط	٣	٣	١	—	—	٧
٤٢	اصحاب مصابن	—	٥٠	٢٤	—	٢	٧٦
٤٣	تجار صابون	—	١	٧	—	—	٨

٤٤	اصحاب اسطبلات —	١٣	٦	—	—	١	٢٠
٤٥	بائعو سكر ٩	—	١	—	—	—	١٠
٤٦	صانعو حلويات —	٢٩	٣	—	—	—	٣٢
٤٧	خياطون ٣٤	—	١٠	١٠	٢	٦	٦٢
٤٨	بائعو الدخان والتبغ ٥	١٤	١٦	—	١	١	٣٧
٤٩	ساعاتية ١٩	—	—	—	٢	٢	٢٣
٥٠	تجار خور ١١	—	٤٣	٢	—	٢	٥٨
٥١	تجار خشب ٣	—	٣	—	—	—	٦
٥٢	تجار صوف —	٨	—	—	—	—	٨
٥٣	كتاب عرضحالات —	٧	—	—	—	—	٧
٥٤	ارباب مهن متنوعة ٢٠	٤٧	٥٧	٨	٧	٦	١٤٥
٥٥	صانعوا اسلحة —	—	٣	—	—	—	٣
٥٠١	٨٠٧	٣٥٧	١٤٦	٤٠	٦٩	١٩٢٠	

ملاحظة : تشير كلمة الروم الى العرب الارثوذكس واليونان والروس .

تشير كلمة اللاتين الى العرب والطلبيان والافرنسيين .

تشير كلمة البروتستانت الى اليهود المنتصرين والعرب المنتعنين الى الطائفة الانجيلية العربية .



مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة

ومن الوظائف التي سمعنا بوجودها في القدس ، في أوائل العهد التركي : (كتخدا^(١)) و (كهيا^(٢)) والمفتي^(٣) ، و كاتب بيت المال^(٤) ، و ناظر الأوقاف العامة^(٥) ، و مأمور مياه الأوقاف^(٦) ، و مأمور الائتام^(٧) ، و متولي أوقاف الحرميين ، و المعيار المسؤول عن تعمير السور^(٨) ، و رئيس المعيارين^(٩) و كانوا يسمونه (معيار باشي) ، و المحتسب^(١٠) ، و شيخ السوق ، مقدم العتالين^(١١) .

ومن الوظائف التي كانت فيها ، في اواخر الحكم التركي ، المحاسب و مدير التحريات و المفتي و مدير المعارف و مدير الأوقاف و مدير النفوس و مدير الامور الاجنبية و مدير التحرير و الويركو و مدير الديون العمومية و مدير الاراضي السنية و مدير

كانت هناك مصلحة للبرق و البريد . و كانوا يسمونها : (بوسنة و تلغراف) . و كان يديرها موظف واحد يسمونه : (تلغراف و بوسنة مديري) . كذا رأيناها في ١٨٧٦ و ١٨٩٨ و ١٩٠٨ . ثم فصلت الى دائرتين . و جعل لكل منها مدير : مدير التلغراف (البرق) ، و مدير البوسنة (البريد) . لا ندري متى تم ذلك ؟ و لكننا رأيناها على هذا الشكل في عام ١٩١١ . و ظلتا كذلك حتى الحرب الكبرى (١٩١٤) . و ما كان عدد الموظفين في كل واحدة منها ليزيد على عدد اصابع اليد^(١) . و لم يكن ثمة خطوط للمخابرات التلفونية .

والى جانب مصلحة البرق و البريد التركية التي كانت تعمل في ٤٠ عبارة صغيرة بسويقة علون^(٢) كانت تقوم ، خلال القرن التاسع عشر ، مصلحة للبرق و البريد نمساوية^(٣) . ان هذه المصلحة التي كانت تعمل في حارة الارمن ، كانت تسيّر وفقاً ل أنظمة البرق و البريد التي تسنها حكومة النمسا من وقت لآخر . كان البريد يسير بين القدس و يافا في عربة تجرها الخيل ، و كانت هذه تغادر القدس في المساء و تعود من يافا في الصباح . و لما أنشئ الخط الحديدي بين المدينتين (١٨٩٢) استعمل القطار لنقل البريد التركي فقط . و اما البريد الاجنبي فقد ظل يستخدم العربات التي تجرها الخيل .

- (١) نائب المتصرف او وكيله .
- (٢) كاتب اسرار المتصرف .
- (٣) و كان يطلق عليه (شيخ الافاء و التدريس بمحروسة القدس الشريف) للسجل ٤٣ ص ١١ السنة ١٢٧٥ هـ - ١٢٦٧ م .
- (٤) السجل ٤٤ الصفحة ٥٥١ السنة ١٢٧١ هـ - ١٢٩٠ م .
- (٥) جاء ذكر (ناظر اوقاف القدس الشريف) في السجل ٢٣٧ السنة ١٢٦٦ هـ - ١٢٧٥ م . و بعد ذلك بقرن راحوا يبعثون عن (ناظر النظار) و هو المسؤول عن اوقاف القدس و غزة و الرملة و نابلس و المجدل و جنين (١٢٧٤ هـ) .
- (٦) السجل ٧ الصفحة ١٣ السنة ١٢٢٨ هـ - ١٢٩٠ م .
- (٧) كان هناك صندوق الائتام ، و كانت حساباته تدقق من لدن قاضي الشرع .
- (٨) السجل ١٢ الصفحة ١٦ السنة ١٢٤٧ هـ - ١٢٤٠ م .
- (٩) السجل ١٠٢ الصفحة ٤٠٨ السنة ١٢٧٩ هـ - ١٢٦٢ م . و السجل ٣٤٦ الصفحة ٢٠٦ السنة ١٢٨٩ هـ - ١٢٦٢ م .
- (١٠) رئيس البلدية انظر الى الفصل الذي خصصناه لبلدية القدس .
- (١١) السجل ٤٩ الصفحة ٥٦ السنة ١٢٧٣ هـ - ١٢٦٥ م .

- (١) قال وارن في الصفحة ٩٢ من كتابه انه كان في القدس عام ١٨٧٦ مأمور واحد للبريد ، و ثلاثة مأمورين للبرق ، و اننا نقول ان عدد موظفي البريد و التلفون في القدس في يومنا هذا (١٩٤٦) الف .
- (٢) سوق الحضار القريب من القلعة .
- (٣) السير السليم في تاريخ اورشليم . ص ٢١٤

حفظ الامن والحيلولة دون اي اعتداء يقع على المدينة من الخارج . واما الامن في داخل المدينة فالمسؤول عنه (صوباشي مدينة القدس^(١)) ١٥٦٥ م .

وفي القلعة حامية من المشاة قائدها يلعب بـ (دزدار قلعة القدس) . ومساعدته كتحدا قلعة القدس . ومنعها ضابط برتبة (بلوك باشي) . وحامية من المدفعية قائدها (طوبجي باشي^(٢)) القلعة المنصورة السلطانية (١٥ رمضان ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م . هناك امر ممضي^(٣) من قاضي القدس محمد حمدي افندي بصفته قائمقام والي صيدا محمد عزة باشا موجه الى احمد اغا مراد ينتدبه ليتولى هذا المنصب (اي قيادة المدفعية) بمهية^(٤) قدرها الف غرش ، وخمسة اقق^(٥) خبز في كل يوم ، وعليقتين شعير . ومعه ٥٤ نفر طويحيه وستة انفار اسطاوات^(٦) . لكل نفر ثمانين غرشاً في الشهر ، ونصف اوقية خبز في اليوم . ولكل اسطه مايتا غرش شهرياً ، وارقية ونصف خبز يومياً . ولدزدار القلعة بدل علف قدره ١ عشرون فضة) . وفي البلد فريق من الخيالة يطلق عليهم : (سباهي) و (سباهية) .

وهناك (ناظر الاخبار للعساكر السلطانية^(٧))

(١) السجل ٤٩ الصفحة ٤٧ السنة ٩٧٣ هـ ١٥٦٥ م . وكثيراً ما يذكر احواله هكذا : صوباشي .

(٢) « طوب » كلمة تركية معناها : المدفع . و« طوبجي » المدفعي (٣) الاصول الدرية لتاريخ سورية .

(٤) « ماه » كلمة فارسية معناها الشهرو « ماهية » الراتب الشهري

(٥) جمع « اقة » وهي ٩٠٠ درهم .

(٦) جمع اسطه . وهي كلمة تركية معناها الرجل الخبير .

(٧) عين ابراهيم اغا هاشم ناظر الاخبار السلطانية بالقدس في ٢١ رمضان ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م

الأوراق ومأمور البنك الزراعي ومأمور الزراعة الفني ومأمور الدفتر خاقاني والمفتش البيطري وسر مهندس النافعة ومفوض سكة يافا - القدس الحديدية ومأمورو المعية .

ولقد اتى على الاتراك حين من الزمن كانوا فيه يعتبرون (رئيس البلدية) موظفاً ، ويدخلونه في عداد مأموري الحكومة ، ويذكرونه في السجل الذي كانوا يصدرونه في كل سنة والذي يشتمل على اسماء موظفي الدولة كلهم : من السلطان الى الوزراء الى الولاة الى المتصرفين الى اصغر الكتاب في مختلف المصالح والدواوين . وباستطاعتنا ان نؤكد ، بعد ان طالعنا عدداً من هذه السجلات ، ان موظفي القدس ما كانوا ليزيدوا على المئة ، وان كلهم عرب مسلمون ؛ خلا بضعة اتراك لا يجاوزون عدد اصابع اليد .

الامن

كان الامن ، في بداية الامر ، موكولا لقائد كبير لقبه : (باير اقدار) . ويقال له ايضاً (امير اللواء) مثل كيوان بك امير لواء القدس في ٩٧٥ هـ - ١٥٦٧ م وسليمان بك ٩٧٦ هـ - ١٥٦٨ م (امير اللواء) . وكان الجند الذين يأتمرون بأمره فريقان : فريق الخيالة ويلقبون : (باشي بوزوق) وضابطهم برتبة آغا . وفريق المشاة ويدعون : (تفكجي^(١)) . وقائدهم (تفكجي باشي^(٢)) . هؤلاء مسؤولون عن

(١) اصلها (تفنك جي) اي حامل البندقية .

(٢) كان حسن اغا اعرجي تفكجي باشي القدس عام ١٨٤٠ وكان راتبه الشهري ٣٠٠ غرشاً . وكان في معيته ثلاثة انفار من التفكجية راتب كل منهم في اليوم غرشان يتناولها من خزانة السلطان .

في أوائل القرن العشرين ، محكمة استئناف فانضم اليها لواء نابلس ، وظل لواء عكا ملحقا ببيروت . ورغم ان الاتراك قبضوا على زمام الادارة احسن من قبل ، الا ان نفوذ امراء الاقطاع ومشايخ البلاد لم ينقطع . وان كان قد تضاءل بالنسبة الى الماضي .

كان الامن في داخل المدينة وخارجها ، على عهد الاتراك ، ثارة يستتب وطوراً يضطرب . وفي اغلب الاحايين يكون مفقوداً بالمرة . ففي عهد السلطان سليمان (٩٢٦ هـ - ١٥٢٠ م) نسمع ان السلطان عهد بحراسة طريق القدس - يافا الى آل أبي غوش . واجاز لهم ان يحصلوا من السياح الذين يسلكون تلك الطريق بعض العوائد المقررة .

وفي العهد الاخير ايضاً سمعنا ان الحكومة كانت تهتم بخفارة الطريق السكائنة بين القدس - يافا ، وانها في سنة ١٨٩٠ م اقامت على تلك الطريق خمسة عشر مخفراً لحراستها ، يربط في كل مخفر منها عدد من الجنود بقصد حماية المسافرين .

وفي القلعة المسماة (قلعة مراد ^(١)) بالقرب من برك سليمان وضعت حامية قوامها اربعون جندياً مزودين بالمدافع والبنادق والاسلحة المختلفة الالوان بقصد حراسة منابع الماء والقناة التي تسيل فيها مياه العروب الى القدس .

وكان الامن يفقد بالمرة عندما تشغل (الباشوية ^(٢)) فلا ينتدت اليها احد . كما جرى في سنة من السنين (١٨٥٣ م) خلال حرب القرم . فان هذا المنصب ظل شاغراً بعد موت يعقوب باشا . واخذ يدير القدس عدد من الافندية غير المتجانسين !

(١) قلنا في فصل المياه ان هذه القلعة بنيت على عهد السلطان مراد سنة ١٦٢٢ للميلاد .

(٢) منصب الباشا وهو لقب (المتصرف) المسؤول عن الاداره .

بالقدس . يعينه الوالي بصفته سر عكراً ^(١) . وماهية هذا الناظر ٣٠٠ غرش اسدي في الشهر ، و٣٠٠ خبز في كل يوم . وكثيراً ما جاء في السجلات التركية ذكر (يكيچري باشا ^(٢)) المحتشم في القدس الشريف . وهذا كان طبعاً قبل الغاء المنظمة المعروفة بـ (الانكشارية) في البلاد .

ولقد نظم الاتراك مصلحة الامن في زمن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨) وبعده . فقسموها الى قسمين : شرطة ودرك . او كما كانوا يقولون : (بوليس وجاندرمة) . وما كانت قوتهم في كلا هذين القسمين لتزيد عن ستين جندياً . يرأس الجاندرمة قائد يسمونه (جاندرمة قومنداني) . ومن قادة الدرك الذين اشتهروا بالقدس في اواخر العهد التركي : علي بك بن بدرخان باشا (١٨٩٨ م) . ويوسف آغا الدردار (١٩٠١ م) .

واسسوا دائرة للعدل . وكانت احكام محاكم فلسطين تستأنف الى الشام . ثم الى بيروت . ثم امتازت القدس ، فصارت متصرفية مستقلة تخبر الاستانة مباشرة في الامور الادارية . ولقد تأسست فيها ،

(١) (سر) كلمة فارسية معناها : الرأس . و (سر عسكر) رأس العساكر او قائد الجيش .

عثرنا في سجلات المحكمة الترعبة بالقدس (السجل ٢٤٤ الصفحة ٣ التاريخ ١١٧٤ هـ - ١٧٦٠ م) على محضر دونه القاضي وفيه فرض على مدينة القدس ان تزود دائرة جناب حضرة افندينا ولي الدعم) عندما تحط رحاله في منطقة القدس في أثناء الدورة التفقيسية بالمقادير الاتي ذكرها من (الذخيرة) في كل يوم : وهي (بالافاقية) : خبز ٣٠٠٠ لحم ١٥٠٠ ارز ١٥٠٠ سمن ٣٧٥ غسل ٣٠ دقيق ٤٠ حنظل ٢٠٠ ملح ٣٠ لبن ٣٠ حليب ٣٠ سكر ٨ (وبالعدد) غنم ١٥ بيض ٣٠٠ دجاج ٣٠ وبقدير كافية من الخضار والحبس والتبن . ولم نبتد الى معرفة ما اذا كانت الحكومة تدفع اثمان هذه الحاجيات ام لا ؟ .

(٢) السجل ٢٣٧ السنة ١١٦٥ هـ - ١٧٥١ م .

جاء الى القدس حديثاً من ايران وماروني وراهب يوناني ويهودي ! معنى ذلك ان حركة التطوع فشلت ، وان الناس لم ينظروا الى التطوع نظرة الرضا ، الامر الذي جعل الحكومة تعمدل عنه بالمرّة . فراحت تفرض التجنيد الاجباري . وكان ذلك على عهد السلطان عبد المجيد . ولقد عثرنا على فرمان^(١) اذاعه السلطان المشار اليه بتاريخ محرم الحرام سنة ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م اعترف فيه « بان المملكة العثمانية لا تزال منذ مئة وخمسين سنة في ثورات متعاقبة وقلقل مختلفة الاسباب . منها ضعف الحكومة وفقرها وعدم انتباه الناس للشرع والقانون » . ولقد وضع قوانين جديدة تضمن للناس الامان ، وتحفظ لهم اموالهم واعراضهم . ووضع نظاماً جديداً للضرائب . ومن التدابير الجديدة التي اتخذها فرض التجنيد الاجباري . وبموجب هذا النظام الجديد كان يدعى للانخراط في الجندية كل ذكر مسلم دخل في العشرين من عمره . وكانت مدة الخدمة في الجيش خمس سنوات . ثم خفضت الى اربع . والذي يدفع لخزينة الدولة خمسين جنيهاً يعفى من الخدمة . ثم رفع (البديل) الى ستين . يستثنى من الخدمة ومن دفع البديل ايضاً كل من كان وحيد ابويه ، او تزوج امرأة غريبة او عبدة . واما المسيحيون فكانوا يستثنون من العسكرية لقاء مجيديين يدفعها الواحد منهم في السنة .

ونود ان نعترف هنا ان عرب فلسطين المسلمين وان كانوا هم الذين حملوا وحدهم عبء الجندية في ذلك العهد ، الا ان هذا العبء الثقيل في ظاهره نفعهم كل النفع . فعودهم على الشدة والنظام والاغتراب وشظف العيش والمشي والاعتماد على

فاستغل القرويون هذه الفرصة وراح كل واحد منهم يسترد حقه ، والحق الذي يدعي به ، بيده . وكان نفوذ الحكومة يومئذ ضئيلاً لدرجة ان الانسان اذا ذهب الى قائد الشرطة يشتكي امره يقول له هذا : (الى بالفاعل ، وانا اكسر رأسه^(١)) .

كانت الحامية التركية ترابط في القلعة المعروفة ببرج داود والقائمة على مقربة من باب الخليل من الجهة الشرقية الجنوبية . وفيها كانت مدافع الاتراك وسائر معداتهم الحربية . واما السكنة الكائنة الى الجنوب الشرقي من هذه القلعة ، فقد كانت معدة لسكن العساكر الشاهانية^(٢) . وكانوا يسمونها : (القشلة الفوقانية) . وكانت في القدس قشلة اخرى يسمونها : (القشلة التحتانية) او السرايا القديمة ، وهي على طريق باب حطه والى الشمال من الحرم . وعلى كل باب من ابواب المدينة نفر من الجند بقصد الحفارة ، وكان هؤلاء يتناوبون الحفارة ليلاً ونهاراً .

ولقد كان في مدينة القدس ، عام ١٨٧٦ م اثنان وعشرون^(٣) شرطياً ، كلهم مسلمون .

حاول الاتراك في اوائل القرن التاسع عشر فرض التجنيد الاجباري في البلاد . ولكنهم عادوا فعدلوا عن قصدهم ، لاعتقادهم ان العرب يكرهون ذلك . او لم يثوروا ضد محمد علي باشا وولده ابراهيم من اجل ذلك ؟ اذا فليلجأوا للتطوع . راحوا ينادون الناس للتطوع ، ويحثونهم عليه . ولكن دون جدوى . اذ لم يتقدم من سكان القدس سوى عربي مسلم واحد (هو فلاح من العيزرية) وعربي مسيحي واحد (بروتستاني المذهب) وارمني

J. Finn, P. 144 (١)

(٢) جنود السلطان .

Warren, P. 492 (٣)

(١) ارادة السلطان . قال الاستاذ اسد رستم انه عثر على نسخة من هذا فرمان في سجلات المحكمة الشرعية بيافا .

لسنا ندرى ماذا كان مصير قائد الثورة السيد محمد النقيب. ولكننا نعلم ان قصره قد هدم، وعمرت بججارته قبة الشيخ المنسي. تلك القبة القريبة من مقام النبي داود. ومنع الاتراك انجالة من مغادرة المدينة^(١).

لقد حدثتنا سجلات المحكمة الشرعية بالقدس عن الحادث المذكور اصدق حديث. فاستمع اليها^(٢) ماذا تقول: « في ٢٥ جمادي الآخرة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) جاء (بيوردي^(٣)) من حضرة محمد باشا والي الشام ؛ وفيه ما يلي :

« صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى كل ناظر ومستمع لما فيه من المشايخ والسادات والاعيان والرعايا وسائر البرايا من اهالي القدس الشريف. هو انه صدرت اليها الاخبار الاكيدة من ذلك الطرف وهو ان نقيب الاشراف السيد محمد قد اتم الاصرار والعناد على العصيان والشقاوة. حتى انه الآن حاصر افتخار العلماء والافاضل حضرة الملا^(٤) في داخل القلعة وآلاي بيك.

« والحاصل كل من^(٥) التقى في طرف الشرع الشريف حاصره. واظهر الطغيان ومخالفة الشرع. . . . ولم يدر ونسى ما يظهر من وراء ذلك. . . . ومع النهى عن القتال والحاربة في تلك الاماكن المقدسة اذ هو عرش الله الادنى. فحيث اننا مأمورين بانتظام الاحوال في هذه الاماكن الشامية

(١) عرف الاتراك شعور العرب، فراحوا يعملون على استغلاله. فكانوا، اذا ما ثارت ثورة في البلاد، يعمون الرؤساء من مغادرة المدينة. ويحفظون بهم ك (وساقة) الى ان يلقي الثوار السلاح الذي في ايديهم

(٢) السجل ٢٠٣ الصفحة ٤٤.

(٣) امر من مقام سام.

(٤) لقب حاكم الشرع او القاضي.

(٥) يقصد ان يقول «كل من».

النفس واختبار احوال هذا الكون وحمل السلاح وما الى ذلك من الفضائل والمنافع التي يقتبسها المرء في الجيش والغربة. وبهذه المناسبة نقول ان السلاح الذي كان الناس يعولون عليه في الدفاع عن انفسهم عبارة عن (بندقية) طويلة من النحاس تعباً تعباً، و (خنجر) يضعونه على جنبهم. ومن آلات الضرب والقتال (النشاب) . وكان هذا كثير الاستعمال في اوائل الحكم التركي. وكثيراً ما تقرأ في سجلات المحكمة الشرعية « ان فلانا من الناس ضرب^(١) فلانا بنشاب اصابه في سلسلة ظهره » او في اي مكان آخر من جسمه، فتتأكد ان النشاب آلة من آلات الضرب والقتل في ذلك الحين.

وعلى ذكر السلاح نقول ان اقتنائه كان مباحاً في القدس وفي جميع انحاء المملكة العثمانية. وان هذه الاباحة ظلت سائدة حتى اواخر القرن التاسع عشر؛ فمنعت تجارته، ومنع اقتناؤه^(٢) ونقله بآية وسيلة كانت ولاي قصد كان.

ثورة نقيب الاشراف :

في سنة ١١١٧ هـ ١٧٠٥ م ثار نقيب اشراف القدس السيد محمد علي الحكومة. فالتف حوله عدد كبير من المقادسة ورجال القرى المجاورة. وحاصروا القلعة وحصروا القاضي وموظفيه فيها. فساق عليهم والي الشام محمد باشا عدداً كبيراً من الجنود لتأديبهم. إذ لم تكن قوة الاتراك المربطة في قلعة القدس كافية للقيام بهذه المهمة. وجاء والي نفسه على رأس تلك القوة. وتمكن من التغلب على الثائرين.

(١) السجل ٤٩ الصفحة ٢١ التاريخ ١١ شوال ٩٧٣٠ هـ (١٥٦٥ م).

(٢) السجل ٢ الصفحة ٣٦ التاريخ ١٥ ربيع الاول ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م).

تغلّبت الحكومة على الثورة كما قدمنا. ولاندرى اذا كانت تمكنت من القضاء القبض على النقيب ام تمكن من الهرب. ولكننا نعلم ان امير الامراء مصطفى باشا امر معمار باشي القدس الشريف^(١) ان ينقل الحجارة من قصر النقيب (ومن هذا نفهم انهم هدموه) وان يعمر بها قبة الشيخ المنسي بجانب مقام النبي داود. وسنحدثك عن هذا الشيخ ومقامه في موضع آخر من هذا الكتاب.

* * *

ثورة حمور :

يظهر ان الاتراك ما كادوا يطفئون ثورة نقيب اشرف القدس في رجب ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م؛ حتى رأوا انفسهم ، بعد شهر واحد لا اكثر ولا اقل ، تجاه ثورة ثانية . إذ أنا عثرنا^(٢) بين سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على تقرير دزدار القلعة جاء فيه : « ان حمور ابن كتخد القلعة شقاوته متزايدة وفساده تأكيد » .

هذا كل ما نعلمه عن هذه الثورة . ولم نتمكن من العثور على تفصيلات في هذا الموضوع .

* * *

ثورة الانكشارية :

قلنا في موضع آخر من هذا الكتاب انه عندما احترقت كنيسة القيامة بالقدس في ٣٠ أيلول ١٨٠٨ اتهم الارمن بحرقها . وان الروم حصلوا على امر من السلطات التركية بتعميرها . فثار الانكشارية لهذا الخبر . وعلى قول ان الارمن هم الذين حرضهم على

والديار المقدسة وغيرها من العربان والقرايا والبلاد والرعيا . حين بلغتنا هذه الاخبار مع اننا متوجهين الى تلك الديار . ووجب تحرير هذه الحروف الى سائر الواقفين عليه ممن هم من امة محمد ﷺ من اهالي القدس الشريف . وهو انكم تكونوا مقيمين عند افتخار العلماء والمحققين حاكم الشرع الشريف ، مؤتمرين بأمرنا ، تاركين لمن اظهر العناد النقيب المذكور . فانا ان شاء الله تعالى في غرة الشهر نكون في تلك الديار نازلين بعساكرنا . وعليكم ان تقبضوا على النقيب وتقيده الى حين حضورنا . يكون سببا لخلاصكم من الملام » .

وفي ٦ رجب جاء بيوردي ثان (من محمد باشا الى دزدار القلعة) . وقد جاء فيه : « ان احوال محاصرتكم بقلعتنا والى الان عملتم صيانة ومتانة لقلعة السلطان . فهذا المامول . ومثلكم من يكون قول السلطان . فيجب لكم علينا رأي الله وامانة وحسن النظر بما يلزم لكم فانكم اصدق الخدام . والمراد تطيبوا خواطركم وتعملوا متانة الى حين قدومنا . فانا بعد اربع ايام نكون عندهم ، ومعنا الات حرب كثيرة مثل مدافع وقنبرات . فلا يكون خاطركم الا طيب من سائر الوجوه . »

وفي نفس التاريخ (اي ٦ رجب ١١١٧ هـ) تلقى (مصطفى آغا مير آلاي القدس وسائر الزعماء وارباب التيار) من محمد باشا والي الشام (بيوردي) ثالث يخبرهم فيه « انني آت مع عساكري عن طريق اربد^(١) واني ساكون فيها في ٨ رجب . وبعد اربع ايام نكون عندهم . ومعنا عساكر كثيرة وآلات حرب مثل مدافع وقنبرات^(٢) وغيرها . اعملوا ذلك واياكم تسليم القلعة » .

(١) اختار طريق اربد لاجل تسكين ثورة كلب التي كانت مشتتة في جبل عجلون .

(٢) قتال

(١) السجل ٢٠٣ الصفحة ٤٨ .

(٢) السجل ٢٠٣ الصفحة ٥٠ التاريخ ٢٣ شعبان ١١١٧ هـ « ١٧٠٥ م » .

والثورة . وراحوا يحاصرون المتسلم مصطفى آغا تيزيني (١٢٣٥ هـ - ١٨١٩ م) في دار الحكومة . وطلبوا منه ان يتولوا حماية القلعة بدلا من الجنود الذين ارسلهم الوزير كنج يوسف باشا من الشام . وهددوه بالقتل ، اذا هو لم يذعن لمطالبهم . ومن مطالبهم ايقاف الروم ومنعهم من الاستمرار في عمارة الكنيسة .

اجتمع المتسلم الى رؤساء الثائرين . وابدى رغبته في تنفيذ ارادتهم . لكنه استمهلهم بضعة ايام ريثما يستشير جناب الوزير بالشام . فقبلوا نصيحته فيما يتعلق بامر الحامية . ولكنهم لم يقبلوها من حيث التعمير . بل خرجوا من عنده ، وذهبوا تواقا الى الكنيسة ، قاصدين قتل العمال والبنائين . فلم يجدوا سوى واحد منهم . اذ كان الآخرون قد هربوا . فهدموا جميع البناء الجديد . ومن هناك ذهبوا الى دير الروم ، فنهبوه . وسجنوا الرهبان في مخادعهم . وراحوا يبحثون عن الترجمان (افركيوس) ليقبسوه ، اذ كانوا يعدونه رأس البلاء فيما جرى . ولكن هذا كان قد اختفى^(١) .

بينما كان الانكشارية منهمكين في ثورتهم ، كان رسل المتسلم قد وصلوا الى الشام بعد يومين من مغادرتهم القدس واخبروا يوسف باشا بما جرى . فهبأ هذا على الفور قوة من الجند مؤلفة من عدد من الحياالة المغاربة بقيادة ضابط يدعى (ابو ذريعة) . وساقهم الى القدس عن طريق غير الطريق التي كان اهل القدس يتوقعون مجيء الجند منها . فوصلت القوة بعد خمسة ايام من مغادرتها الشام .

ويظهر ان خبر هذه الامدادات كان قد وصل الى القدس . فراح السكان يستعدون لمقابلتها .

(١) هرب من الدير خفية وذهب الى رام الله القريبة من القدس . وهي منها الى الشمال . ولاهها صيت بالرجلة .

ان هذا النوع من التهديد من ناحية ، ونفاذ المؤن والذخيرة من الدير من الناحية الاخرى جعل الثوار يستسلمون . فسلموا انفسهم . فاخذهم المتسلم الى القلعة ، ونكل بهم تنكيلا .

نقلت الرواية المتقدم ذكرها عن مخطوط باسم (تاريخ الحوري ميخائيل بريك الدمشقي) . ولقد عثرت على نسخة فوتوغرافية منه في مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بزحلة . راجع الصفحات ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ منه . ولقد ختم الحوري ميخائيل حديثه بالعبارة التالية :

وعلى رأسهم المتسلم سليمان أفندي^(١) وعساكر الانكشارية يقودهم تفنكجي باشي^(٢) موسى بك الغزاوي .

سادت الفوضى في القدس . وحل بالنصارى ، ولا سيما بالروم منهم ، عذاب شديد . وكان المتسلم ضعيفاً ، وان شئت فقل سيء النية . فلم يأت باي عمل مجد في سبيل تسكين الفوضى . لا بل راح يعمل على ايقاد النار . ورفع الضريبة المطلوبة من المسيحيين من ستين الف قرش الى مئة الف . فزادت الطين بلة . وذاع بين الناس نبأ بان لهم الحق في ان يشنقوا اي مسيحي يحدونه مسلحاً . لولا ان درويش باشتلافي الامر ، فاصدر من فوره امراً قائلاً : بانه لا يجوز شنق اي انسان قبل محاكمته والحصول على امر خطي يتضمن موافقة الوالي . وقرأ القاضي ايضاً بعد صلاة الجمعة في الحرم (يوم الجمعة ٨ يوليو ١٨٢١) امر السلطان وقد جاء فيه ما يأتي : « لم يعرف قبلاً عن مسيحي القدس انهم خونة . ولم يسيئوا للمسلمين في حياتهم : لا قولاً ولا فعلاً . وانهم فقراء ، ولا ضرر منهم . ومع ذلك فقد صادرنا منهم كل ما في ايديهم من اسلحة . ولئن تبقى في حوزتهم شيء ، فهو قليل بدرجة لا يؤبه لها . ولا تخيفنا . وهم في القدس قلائل ليسوا باكثر من واحد في المئة من المسلمين . فمن العار ان نخشاهم . ومن العار ان نتخذ هذا حجة لقتلهم . فارجموا الى منازلكم ، واستأنفوا اعمالكم ، واتركوا لنا حفظ السلام وتدير الامور ، ومن لا يطيع الامر ويعتدي عليهم ينال عقابنا . هذا فضلاً عن

« اخذ المتسلم رؤوس الفتنة الى القلعة . ومن آذان العشاء بدأ يخنق واحد وراء واحد ، الى ان خنق ٣٨ في ليلة واحدة . فهدأت الامور » .

وقد استنتج الراوي الذي كتب تاريخه باللغة الدارجة انه وقع شك في ذلك الحين بان الذين حركوا الفتنة هم الارمن لكي يعطلوا العارة . وان ذلك ظاهر من التجاء الثوار الى دير الارمن » .

فتنة عام ١٨٢١ و الثورة ضد الروم

عندما اعلن اليونان ثورتهم ضد الاتراك في ١٨٢١/٤/٦ كان على كرسي السلطنة العثمانية السلطان محمود الثاني ، وكانت القدس يومئذ تابعة لوالي الشام درويش باشا .

أخذ اليونان في بلادهم ينادون بالاستقلال عن تركيا ، وراح الروم في بيت المقدس يعضدونهم . فارسل السلطان محمود الى الاهالي فرماناً قرأه عليهم المتسلم بتاريخ ١٨١٢/٤/٢٥ وقد جاء فيه^(١) : « ان اليونان في حالة عصيان ، وان مصلحة الاهلين تقضي بان يكونوا يقظين وان يكونوا متسلحين ، وان يعرفوا كيف يحمون اماكنهم المقدسة . وفيه تحذير بالايصدقوا الاخبار والاشاعات التي يذيعها النصارى ولا سيما الروم » .

وفي الوقت نفسه ارسل درويش باشا من الشام سرية من الجند ، وامرها ان ترابط في القلعة استعداداً للطواريء . فصودرت اسلحة النصارى بوجه عام . وامروا بلبس السواد وبنقل المدافع من مكان الى مكان .

تسلح الماسمون شيباً وشباناً . وهاجموا البطريركية

(١) يقول Neophytos الذي نقلنا عنه هذه الحكاية ان سليمان أفندي هذا كان يهودياً ، ثم اعتنق الدين الاسلامي (Annals, P. 19)

(٢) رئيس البنادق ، وبعبارة اخرى قائم الحامية .

مع الاجانب والتآمر على سلامة الدولة . وساد الاعتقاد بان القصد من هذه الحركة احتلال القدس . فاشتعلت النار من جديد . وحاول الاتراك ان يسجنوا النصارى في كنيسة القيامة ، لولا ان جاءهم خبر آخر بان السفن قد اقلعت قبل ان تأتي باي عمل يدل على العدوان .

الثورة ضد مصطفى باشا

كانت القدس ، سنة ١٨٢٤ تابعة الى عكا . وفي عكا حاكم يدعى عبدالله باشا . وكانت صلات هذا الباشا بالحكومة المركزية في استانبول سيئة لدرجة انها حرضت عليه ثلاثة من الباشاوات المجاورين : درويش باشا والي دمشق ، وراغب باشا والي طرابلس الشام ، ومصطفى باشا والي حلب . فحاصره هؤلاء في عكا . ودام حصارهم لها تسعة شهور . ولكن السلطان محمود عاد ، بناء على توسط والي مصر محمد علي باشا ، ففعا عنه . واعاده الى منصبه .

بعد ان هدأت هذه الفتنة ، استبدلت الحكومة والي الشام درويش باشا بوالي حلب مصطفى باشا . وكان هذا (اي مصطفى باشا) ظالما . ففرض على الناس ضرائب ما كان لهم عهد بمثلها من قبل^(١) . ولقد انتج هذا الضغط انفجارا . فقامت في القدس اضطرابات اشترك فيها قسم كبير من الفلاحين .

اعتزم مصطفى باشا تسكين الفتنة وقمعها بالقوة . فارسل الى القدس مئة جندي ليرابطوا في القلعة . ولم يكن فيها يومئذ سوى ستين جنديا . وبعث الى المتسلم كتابا يأمره فيه بان يحصل العشر ضعفين

انه يكون قد عصا الله ولم يعمل باوامر نبيه . وكذلك فعل افندية القدس واعيانها المسلمون^(٢) . فقد ظلوا يخطبون الشعب الهائج ثلاث ساعات حاضين على السلم والسكينة وعدم الاعتداء على المسيحيين وعدم تصديق الاشاعات التي يذيعها المفرضون . وقد اذاعوا ايضا بياناً امضوه كلهم فيه الامان والاطمئنان . فاطمأن المسيحيون ، وهدأت الاحوال ، وعادت المياه الى مجاريها .

فتنة عام ١٨٢٣

انها لفتنة جاححة اشتعلت نارها في القدس عام ١٨٢٣ . والذي اشعلها هو المتسلم سليمان افندي نفسه بطل فتنة ١٨٢١ . وقد كان هذا - كما قدمنا - يهوديا فاسلم . ولما رأى ان الفتنة السابقة لم تنجح ، وان الامور قد هدأت ، اغتاپ ؛ فاخذ يقذح زناد قريحته وراح يفكر في طريقة ليشأ لنفسه من المسيحيين ، ومن المسلمين الذين حووا المسيحيين وحالوا دون القيام بمذبحة عامة . فظلم الفريقين ظلماً شديداً . وجمع منها ضرائب اكثر مما كان مقررا . والذي توانى في الدفع ضربه وأهانته ، او قيده بالسلاسل والقاه في غياهب السجن . وراح الناس يقترضون المال بفوائد فاحشة . واصبح سليمان افندي ، اليهودي الذي اسلم ، حديث المقادسة في مجالسهم وقد لقبوه : (بيلاطس القرن التاسع عشر) .

وفما كان سكان بيت المقدس يفكرون في طريقة للخلاص من هذا المأزق ، حدث حادث فجائي زاد في الطين بله ، وزاد الامور ارتباكاً . اذ جاء من بيروت نبأ يقول انه وصل الى شواطئها احدى عشرة سفينة من سفن الحرب اليونانية . فاتهم النصارى بالاتفاق

(١) يقال ان الاعشار التي حصها وكلاء الباشا في تلك السنة عشرة اضعاف الاعشار التي فرضت في السنة التي سبقتها .

فقط . معتقدا ان هذه التدابير قد تؤول الى تهدئة الاعصاب المتوترة .

ولكن الفلاحين ابوا اطاعة الامر ، ورفضوا ان يدفعوا للجباة الاموال المطلوبة منهم . لا ، بل طردوهم من قراهم . ولما وصل الخبر الى مصطفى باشا عن طريق المتسلم ، ارسل من فوره جيشاً قوامه خمسة آلاف رجل . وجاء هو من وراءهم . فهبط نابلس اولا . وقضى فيها عشرين يوماً . حصل خلالها جميع الاموال المتأخرة . ولما سمع اهالي جبل القدس بما جرى في نابلس ، هجروا قراهم . واتخذوا للمغر والكهوف في الجبال والوديان مأوى لهم .

وصل الباشا في اواخر شهر ١٨٢٥ فلم يخرج احد من الاهلين لاستقباله . ولم يتقدم احد لدفع ما عليه من المال . فاصدر امره للجند بتخريب منازل السكان ومصادرة اموالهم . ولكنهم لم يجدوا انساناً يكلمونه ، ولا وجدا شيئاً يصادرونه . اذ كانت المنازل كلها خاوية على عروشها . ولما كان بعض الاهالي قد احتموا بالاديرة فقد تعقبهم في الاديرة التي احتموا بها . وشدت الشكير على الرهبان ، واذاقهم مر العذاب . وقصارى القول لم ينج من شر الباشا وبطشه احد : لا من المسلمين ولا من النصارى ، لا من الافندية ولا من الفلاحين . كل من امتنع عن دفع الضريبة المفروضة ناله شيء من العذاب . فكان من جراء ذلك ان خيم البؤس والشقاء والذعر على مدينة القدس وعلى ما جاورها من القرى . ولم تقف المصائب عند حد ، الا عندما توسط (الكهيا) وبعض الوجوه . ودفع الاهلون الغرامة المفروضة وقدرها مئة الف غرش . هنا استغل اليهود الموقف كعادتهم ، واقرضوا الناس قروضا مختلفة ، بفوائد فاحشة ! وعندما غادر الباشا المدينة كانت هذه تمنى من بناها ! . .

اقام الباشا في القلعة ، قبل ان يغادر المدينة ، مئة جندي ليحرسوها . ولكنه ما كاد يغادرها حتى اعلنت الثورة مرة اخرى . وقد اشترك الافندية مع الفلاحين في هذه الثورة .

وجه المتسلم الشطر الاكبر من قوته الى بيت لحم ، لانها كانت في حالة من الاضطراب عظيمة ، وقد اشترك في ذلك الاضطراب جميع السكان من مسلمين ونصارى ومن مدنيين وقرويين حتى وعرب التعمارة . ولم يبق في قلعة القدس اكثر من احد عشر نفرا . فهاجمهم سكان المدينة (٥ يونيو ١٨٢٥) واسروهم . ثم جردوهم من السلاح . واحتلوا القلعة . وضعدوا الى اعلى البرج ينادون اخوانهم ليلتحقوا بالثائرين . فجاء هؤلاء ، وانضموا الى اخوانهم . وتسليح الجميع . واقاموا حراسا من بينهم لحراسة القلعة . ولصون الامن في داخل المدينة . ولقد رابط قسم من الثائرين على ابواب المدينة ، وراح آخرون يتجولون في الازقة والشوارع محرضين الناس على الثورة . واخذت اعلام الثائرين تتخفق فوق البروج والاسوار علامة الظفر والانتصار .

تحير المتسلم ، ولم يدر ماذا يفعل ؟ طلب من الثوار ان يسمحوا له بالدخول الى دار الحكومة ليأخذ ثيابه وامواله الشخصية . ولكنهم رفضوا . ثم عادوا فسمحوا له ، على ان يخرج من القدس بنفسه . فخرج . ومن هناك سار الى قرية ابي غوش مشيا على الاقدام . ومن تلك القرية سافر الى الرملة ، حيث التحق بعبده الله باشا وجنده الذين كانوا فيها مرابطين .

ولم يسمح الثوار لقائد الجيش موسى بك بدخول المدينة ، عند مراجع هذا من حملته التأديبية في بيت لحم وقراها . فحاول الدخول من باب النبي داود .

(الكهيا) ؛ وقد زودهم بسبعة مدافع ، احدهم من النوع الثقيل (الهاون) .

هبط الكهيا مدينة الرملة اولا . وبعد ان خابر مشايخ ابي غوش وامن صداقتهم^(١) سار قدماً في طريقه الى القدس . وحط رحاله تجاه القلعة بالقرب من كنيسة القديس جورج .

عندما سمع المقداسة المسلمون باقتراب الجند من مدينتهم ، راحوا يتأهبون لصددهم . وقد أمنوا صداقة الطوائف الاخرى من مسيحيين ويهود . وعهدوا اليهم بسد ابواب المدينة بالحجارة .

حاول الكهيا في بادئ الامر ، ان يقنع المسلمين كي يستسلموا . فارسل الى كل واحد من زعمائهم كتاباً ودياً يطلب اليه ان ينصح قومه وعشيرته بالتسليم . ولكنهم رفضوا قائلين : انهم اقسما الا يعدلوا عن ثورتهم ، والا يستسلموا للسلطان ما دام في مدينتهم اجني واحد . وقد اضافوا الى ذلك قولهم : انه لا فرق في نظرهم ، اذا ما بحث عن الاجنبي ، بين شرقي او غربي ، بين تركي او الباني ؛ وانهم لعل استعداد للموت في سبيل وطنهم . انهم يريدون الاستقلال ويؤثرونه على الخنوع والخضوع الى الاجنبي : مسلماً كان هذا ام غير مسلم .

نصحهم موسى بك ، فلم يقبلوا نصحه . ثم هددهم بالبطش والتنكيل . فلم يعبأوا بتهديده ووعيده . أمر جنده باطلاق النار عليهم . فاجابوا عليها بالمثل : نار بنار وشر بشر . والبادي اظلم . ولقد اطلقوا على الجند ، من اعلى القلعة ، نيران المدافع ؛ وكان بينهم رجال مدربون على استعمال الاسلحة بجميع انواعها . فلم يبالوا بنخصمهم .

ولكن الشوار اسمعوه من قوارص الكلم^(٢) ما جعله ييأس . وقد قفل راجعاً .

لم يكتف المقداسة بما فعلوا . بل جردوا من السلاح جميع الاتراك والالبانيين ، وبكلمة اخرى كل من لم يكن عربياً . وطردهم من المدينة . فاصبحوا مستقلين بكل ما في كلمة الاستقلال من معنى .

ولقد اجتمع على اثر ذلك كبارهم ، وقرروا ان ينتدبوا من بينهم اثنين من زعمائهم ليدبروا المدينة ، ويحولوا دون وقوعها في شرك الفوضى ، وهما :

١ - يوسف غرب الجيجاب (من البكتاشيين)

٢ - احمد آغا الدردار .

وكان اول عمل قام به هذان المندوبان ان سعيًا لتسكين اواصر المودة بين المسلمين والمسيحيين . وقد الغيا الاعشار والضرائب الاخرى التي كانت مفروضة على بيت لحم والمسيحيين وعلى سكان القرى المجاورة .

نجح المقداسة في ثورتهم . فتنفسوا الصعداء . ولكن اجل حريتهم هذه لم يطل . اذ ما كاد خبرها يتصل بالسلطان محمود ، حتى ارسل اليهم (اي الى سكان القدس) امراً يطلب فيه التسليم ، والخضوع الى والي الشام . ولما لم يخضعوا لامره ، راح يصب عليهم جام غضبه . فامر عبد الله باشا (اكتوبر ١٨٢٦) ان يذهب من فوره الى القدس ، وان يصطحب معه كل قواده ، وان يسترد ما فقدته الحكومة من هبة ونفوذ . لم يتمكن عبد الله باشا من تجنيد اكثر من الف جندي لهذه الغاية . ولم يصطحبهم ، بل ساقهم الى القدس مع مساعده

(١) فصلهم عن المقداسة ، وقد كانوا قسلاً متفقيين في السراء والضراء .

(٢) كان الياهوون يخاطبون الجند بقولهم : (ارجعوا الى حيث كنتم . لاردكم الله) .

متسلم جديد (١٨٢٧) . فطالبهم هذا بالضرائب المتأخرة عن سنتين : الحالية والمنصرمة .

بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن حوادث القدس في عهد محمد علي باشا والد ابراهيم باشا في موضع آخر من هذا الكتاب .

ثورة الخليل ونابلس :

ما كادت قلاقل القدس تنتهي حتى ظهرت قلاقل مثلها في الخليل (حزيران ١٨٥٥) . وكان بطل هذه القلاقل ، في هذه المرة ، عبد الرحمن عمرو^(١) من رجال الخليل النافذين . وكان هذا يعتمد على صديقه سر عسكر الشام محمد قهرصلي باشا الذي استولى على الخليل عنوة (١٨٤٦) يوم كان متصرفاً في القدس .

ولما كان متصرف القدس ضعيفاً لا يستطيع تسكين الثورة ، فقد دعا قناصل الدول ليستشيرهم في الامر . فاقترح بعضهم الابعاز الى مصر كي ترسل جيشها للصيانة الامن . واقترح آخرون ان يعترف بسلطة عبد الرحمن عمرو في جبل الخليل لقاء أتاوة يدفعها للسلطان في كل عام . وكانت المانيا اكثر الدول تخوفاً من نتيجة تلك الثورة ، خشية ان تتخذها فرنسا ذريعة لاحتلال فلسطين ، بحجة ان الامن مطلوب فيها ريثما تنتهي حرب القرم .

وفيما كانت الثورة مشتعلة في جبل الخليل ، قامت ثورة مثلها في جبل نابلس ؛ سببها ان الاتراك ارسلوا الى نابلس متسماً تركياً ليتسلم الادارة من متسلمها ابن طوقان . ولكن هذا عصاه وابى ان يمثل لامره . فاشتعلت الثورة . واحرقت الاخضر واليابس . وفي قول : ان الثورة التي نشبت في نابلس كانت من اجل

دام القتال ، ودامت الحال على هذا المنوال سبعة ايام وسبع ليال . وفي اليوم الثامن كان الجند الذين ارسلهم عبد الله باشا مدداً لحامية القدس ، قد وصلوا . واتوا معهم بمدافع اخرى بينها مدفع كبير زنة كل (قنبرة)^(١) من قنابره اربعون اوقية ، وزع الكهيا جنده ومدافعه على اطراف المدينة الاربعة . ووضع مدفعاً منها على جبل الزيتون . ومن هناك اخذ يضرب المدينة ضرباً متواصلاً . فاخذت القنابل تنساقط في وسط الاحياء والمنازل الآهلة بالسكان . وعلى قول ان المدافع كانت تصب نيرانها على منازل الوجوه والزعماء اكثر من اي منزل آخر .

هناك اختلف الناس : فمن راغب في الثبات ، ومن قائل انه لا بد من التسليم . ولقد تغلبت فكرة التسليم . لان المؤن كانت قليلة . والجوع كاد يقضي على الفقراء . والخوف كان قد استولى على النساء والاطفال .

ارسل سكان المدينة الى الكهيا وفدأ يعرض عليه التسليم . فقبل هذا شروط الوفد . ومنها الغاء الضرائب الجديدة ، والرجوع الى الضرائب القديمة . واعلان العفو العام . ومنع الجند عن التدخل في شؤون المدينة : سياسية كانت ام اجتماعية . وعلى هذه الشروط تم الاستسلام . وسلموه مفاتيح القلعة بعد ثلاثة ايام . فاحتلها . واقام فيها ثلاثين جندي .

بعد ان تمكن عبدالله باشا من اخضاع القدس سلمها الى والي الشام . وانسحب^(٢) هو عملاً باوامر السلطان . فارسل الوالي قوة كبيرة من الجند مع

(١) قنبلة او قذيفة .

(٢) رايته بعد مدة يمضي اوامره بصفته والي صيدا ومصر والعريش وغزه والقدس ونابلس وجنين (١٢ مايس

١٨٤٧ - ١٨٣١ م) .

المغلوب على امره يلجأ الى السلطة . فتتدخل هذه وتحسم الخلاف بالقوة : تارة لصالح هذا ، وطوراً لصالح ذاك ! .

ولئن نسينا فلن ننسى حوادث سنة ١٦٦٩ يوم اعتدى اللاتين على الروم في اثناء الصلاة ، وفي داخل كنيسة القيامة ، فضربوا الكاهن والشمامس وجروهما الى خارج الكنيسة . وفتكوا ببعض الرهبان .

وحوادث عام ١٦٧٤ يوم اتفق الارمن واللاتين وهجموا على الروم في حجرة القبر المقدس ، فجرحوا اثنين منهم ، وقتلوا راهباً .

وحوادث عام ١٧٣١ يوم اصطدم الفريقان : الارمن والروم من اجل فرمان صدر من السلطان قيل ان الارمن استبدلوا كلمة (الروم) التي وردت فيه بـ (الارمن) واسم (عبيد الله) بـ (سيركيس) .

وحوادث عام ١٧٥٦ يوم دخل اللاتين الى الكنيسة مسلحين في احد الشعانين ، وهجموا على الروم في اثناء الصلاة ، فضربوهم وكسروا كل ما وقعت عليه ايديهم من ايقونات وشعبدانات وادوات للصلاة .

وحوادث عام ١٨٠٨ يوم احرق الارمن كنيسة القيامة ، ومنعوا الروم واللاتين من دخول الكنيسة لاطفاء الحريق . ولما دخلوها متأخرين كان الوقت قد انقضى وكانت النيران قد التهمت جميع الاماكن ، وكان كل شيء قد تحول الى رماد .

وحوادث عام ١٨١٠ يوم ثار الارمن ، فهاجموا الروم ، ودخلوا الكنيسة مسلحين ، فقتلوا احد العمال وجرحوا اثنين ، وحطموا كل ما وقعت عليه ايديهم من اواني الصلاة والعبادة .

الانتقام من آل عبد الهادي الذين ناصروا الحكم المصري ايام ابراهيم باشا . وقد قتل عدد كبير من سكان جبل نابلس في ذلك العهد . ويقول المستر جين فين القنصل للبريطاني في القدس في ذلك الحين ان افندية القدس هم الذين كانوا يديرون ثورة نابلس . وكانت نابلس يومئذ قائمية تابعة لمصرفية القدس .

الاختلافات الدينية :

وما دمنا عند ذكر القلاقل والفتن التي حدثت على عهد الاتراك ، فلنذكر الاختلافات التي حدثت بين الطوائف المختلفة حول الاماكن المقدسة . تلك الاختلافات التي لانرى مناصم استعراض بعضها هنا بوجه الايجاز . ولا سيما تلك التي كان لها تأثير مباشر على الامن . لياخذ القارئ فكرة كاملة عن حالة الامن في ذلك العهد :

ففي اواسط القرن السادس عشر للميلاد (اوائل الحكم التركي) ذر قرن الخلاف في القدس بين المسيحيين الوطنيين وبين العنصر اليوناني الدخييل ، وذلك عندما وضع الاكليروس اليوناني يده على الوظائف الدينية كلها بعد استيلاء جرمانوس اليوناني على كرسي البطريركية الاورشليمية (١٥٤١ م) . فاستغل اللاتين فرصة هذا النزاع ، وقاموا يطالبون بحقوق قالوا انها لهم في الاماكن المقدسة . وهناك بدأ الخلاف الذي امتد حتى يومنا هذا بين المسيحيين الارثوذكس والاكليروس اليوناني من ناحية ، وبين الروم واللاتين من الناحية الاخرى . ثم جاء الارمن ، ثالثة الاثافي ، فزادوا في الطين بلة . فأخذ كل فريق يهاجم الآخر لاتفه الاسباب . وراحت الدول تتدخل من اجل مصلحة هذا الفريق تارة وذاك اخرى . الامر الذي جعل الامن يتضعف بين جدران الكنائس والاماكن المقدسة . وفي كل مرة كان الفريق

في داخل الكنيسة . وجرح من الآباء الفرنسيسيين ١٧ راهباً ، وقلعت عين قائد الدرك يوسف آغا الدردار الذي لولا تدخله وجنده لما عرف الا الله ماذا تكون النتيجة . والسبب في ذلك على قول الروم ان اللاتين كنسوا بعض الدرجات الكائنة في ساحة الكنيسة وما كان عليهم ان يكنسوها ! .

* * *

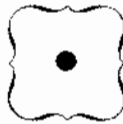
انا اذا ما اردنا ان نلخص هذا الفصل الذي خصصناه لبحث حوادث الامن ، قلنا ان الايام التي ذاقنا فيها طعم الراحة قليلة ، وان وجود الاماكن المقدسة فيها ، وبعبارة افصح ان قدسيتها كانت السبب في مساكنها من المصائب والآلام . وقد تدوم هذه المصائب والآلام ، ما دام في هذا الكون اديان مختلفة ! . وما دامت القدس محتفظة بقدسيتها التي رافقتها على مر الزمان ! . الا اذا حكم الناس عقولهم . وساروا على المبدأ القائل : الدين لله ، والوطن للجميع ! .

وحوادث عام ١٨٣١ يوم حدثت في داخل الكنيسة مشاجرة عنيفة بين الروم واللاتين من اجل نقطة بسيطة هي : هل كان على اللاتين ، في اثناء ذهابهم الى الجحالة ، ان يمشوا من امام القبر المقدس والروم محرمين الى الصلاة ، ام من ورائه ؟ وقد استعمل الفريقان السلاح في هذا الشجار ، وتراشقا بالحجارة والاشخاب .

وحوادث عام ١٨٣٣ يوم اراد الارمن ان يستبدلوا حجراً بحجر في مكان له قدسيته في نظرهم . ف اراد الروم ان يحولوا دون امنيتهم . واعتزموا قضاء ليلتهم في داخل الكنيسة . فاصطدم الفريقان ، واستعملوا الحجارة في هذا الصدام . وجاء القاضي فامر بارجاع الحجر الاصلي الى مكانه .

وحوادث عام ١٨٩٣ يوم قتل راهب وجرح ثلاثة من الرهبان اللاتين برصاص بندقية اطلقها القواس الذي كان يرافق الحجاج الروس بحجة انه يريد افساح الطريق الى الحجاج .

وحوادث عام ١٩٠١ يوم اقتتل الروم واللاتين



الثورة العربية الكبرى

يجباية هذه الواردات من القضاء المخصص لهم
بالنيابة عنهم !

قال المؤرخ التركي جودت في تاريخه : « ان
الدولة العلية لما انتقلت من دور البداوة الى دور
الحضارة لم يتخذ رجالها الاسباب اللازمة لهذا
الانتقال . فحصرها اوقاتهم في حفظ انفسهم
وشهواتهم . يقيمون في العاصمة القصور الفخمة ،
 ويفرشونها بانواع الاثاث والرياش مما لا يتناسب
مع رواتبهم . فاضطروا الى الارتشاء ، وبيع
المناصب بالمال ، وتلزم البلاد واقطاعها بالانماط
الفاحشة .

« والفساد الذي كان منتشرأ في البلاد العثمانية ،
كان ينبعث من العاصمة . اذ كان يقبض فيها على زمام
الاحكام غالباً جهلاء ظلام . وقد تولى الصدارة
ندماء سخفاء ، بل طبالون وطباخون وغيرهم من
المقربين لا الى الملوك فحسب بل الى نساء القصر
الملكي ؛ او الزوج والخصيان الذين كانوا يولون
ويعزلون كما يشاؤون وتشاء اهاوؤهم .

« وعندما تبدو علام الاستياء من جراء هذه
الحالة في ناحية من انحاء البلاد ، كان السلاطين
يعملون على القضاء الفساد والشغب بين الرؤساء
والزعماء . وذلك برتب يخترعونها لهم ، وجرايات
يدرونها عليهم . وكانت المناصب والرتب تباع في
الآستانة ببيع السلع بسوق المزاد . وعندما لا تجدى
هذه التدابير كانوا يفتكون بالابرياء . وكان من
السهل عليهم ان يستصدروا من المنافقين فتاوى
تبرر اعمالهم ! » .

كان العرب بوجه عام ، والفلسطينيون بوجه
خاص ، مخلصين في شعورهم نحو الدولة والسلطان .
وكانوا على اتم الاستعداد للحرب والكفاح دون
(دين الاسلام وسلطان المسلمين) . وكانوا مطيعين
لحكامهم ورؤسائهم : يحاربون متى شاء هؤلاء الحكام
والرؤساء ؛ دون ان يسألوا : لماذا ؟ وفي سبيل اية
غاية ؟ ومن اجل من ؟

هكذا كان وضعهم في اوائل الاحتلال التركي .
وما كانوا يلقبونه بالتركي . وانما كانوا يسمونه :
العثماني .

ولكن هؤلاء الرؤساء والحكام لم يقدرروا هذا
الشعور ، ولم يعرفوا كيف يستغلون هذا الاخلاص .
وزاد في الطين بلة (الفساد) الذي كان منتشرأ في
(استانبول) عاصمة البلاد .

ولهذا ، فان البلاد العثمانية لم تتقدم كثيراً في
مدرجات الحضارة والرفق على عهد هؤلاء . اذ كان
بعضهم منهمكا في فتوحاته ، والبعض الآخر في
تدبير المؤمرات لاغتتيال خصمه ، او في رد عادات
المتأمرين على ملكه . والذي يصفوله الجو منهم
يقضي وقته بين الكؤوس والغواني . وكما حدثنا
تاريخهم عن مات منهم ضحية المدام ، وعن راح
شهيد الجمال الفتان . حتى قيل انه جاء زمن على
الدولة العثمانية كانت الواردات التي تجبى من قضاء
من الاقضية او ايالة من الايالات تخصص لاحدى
نساء السلطان او لمحظية من المحظيات اللواتي يعشن
في قصره ! وان هاته النسوة كن ينتدبن من يقوم

هذا ما قاله جودت . وقد حدثناك في السطور السابقة عن بعض تلك الثورات . ولا سيما تلك التي لها صلة بالقدس . ولو اردنا ان نحدثك عن الثورات التي نشبت في انحاء اخرى من البلاد ، لما وسعها هذا الكتاب .

ومع ذلك فلم يفكر احد من سكان البلاد الانفصال في بادىء الامر عن الدولة . كل ما كانوا يطلبونه ولا سيما في اواخر الحكم العثماني - هو الاصلاح . وامل العرب خيراً من الانقلاب العثماني . ذلك الانقلاب الذي اطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني (١٩٠٨ م) . وراح ينادي بالحرية والمساواة والاخوة ، وينشر راية العدل والاصلاح في جميع انحاء البلاد . وظن العرب ان هذا الانقلاب سيصلح من شأنهم ، وينقذ داهم من الخراب الذي الم بها في السنين الفائتة .

ولكن سرعان ما انقلبت الاية ، وخاب الرجاء ؛ وشعر العرب بان رجال تركيا الفتاة ، وان كانوا يتظاهرون بالعمل لاتحاد العناصر وتأييد الوحدة العثمانية ، الا انهم في الواقع وحقيقة الامر كانوا يتآمرون على هذه العناصر ويسعون لاذلالها . وقد اخذ هؤلاء اي رجال تركيا الفتاة ، يبذلون قصارى جهدهم في تقوية العنصر التركي عملاً بوحى الفكرة القومية الطورانية ؛ ظناً منهم بان ذلك انفي للخطر وادعى الى تماسك اجزاء السلطنة واتحادها !

عندئذ بدرت بوادر الخلاف العنصري بين العرب والترك . ونما حب الاستقلال عند العرب . وقام هؤلاء يسعون الى ذلك ، ولكن بالسر ! اذ كانوا يخشون بطش الاتراك . وقد تألفت خلال تلك الفترة من الزمن جمعيات عربية عديدة في الآستانة وبإريس والقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد .

ففي الآستانة تأسست (جمعية الاخاء العربي) و (جمعية العهد) و (المنتدى الادبي)^(١) و (العلم الاخضر) . وفي باريس (الجمعية العربية) او (الفتاة) . وفي مصر والآستانة معاً (الجمعية القحطانية) . وفي القاهرة جمعية (الجامعة العربية) و (حزب اللامركزية العثماني) . وفي بيروت (الجمعية الاصلاحية) . وفي البصرة (الجمعية الاصلاحية) . وفي بغداد (النادي الوطني العلمي) وغيزها . وقد كان لبعض هذه الجمعيات فروع في القدس ، وكان في عداد اعضائها عدد من المقدسين . وكانت هذه النوادي والجمعيات راضية بادىء الامر بان يكون العرب والاتراك الذين يعيشون تحت ظلال الراية العثمانية متساوين في الحقوق والواجبات . حتى ان المؤتمر العربي الذي انعقد في باريس بتاريخ ١٧ حزيران ١٩١٣ والذي كان ممثلاً لجميع النوادي والجمعيات العربية المتقدم ذكرها اكتفى بان حصر مطالبه بالبند التالية :

- (أ) الاصلاح ضروري للمملكة العثمانية .
- (ب) يجب ان يتمتع العرب بحقوقهم السياسية وذلك باشتراكهم في الادارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً .
- (ج) يجب ان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة مركزية .
- (د) يجب توسيع سلطة المجالس العمومية ، وتعيين مستشارين أجنب .
- (هـ) يجب ان تعتبر اللغة العربية في مجلس

(١) انشئ هذا المنتدى في الآستانة عام ١٩٠٩ . وكان يقيم بين جدرانها الف عضو كلهم من الشبان المثقفين الذين امسوا الآستانة من جميع انحاء البلاد العربية بقصد التحصيل . وكان مؤلف هذا الكتاب وعدد كبير من شبان بيت المقدس من اعضائه العاملين .

ولقد اقلقت هذه الجمعيات بال الاتراك . فعقدوا في ٢٤ يناير سنة ١٩١٤^(١) اجتماعاً في وزارة الحربية بالاستانة حضره الصدر الاعظم سعيد حليم باشا ، ومحافظ الاستانة العسكري احمد جمال باشا ، ومدير الامن العام عزمي بك . فدرسوا التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية . وقاموا بعد ذلك باقصاء الضباط العرب المقيمين في الاستانة وعددهم يومئذ ٤٩٠ ضابطاً الى المناطق التركية . وعهدوا بقيادة الجيوش المربطة في البلاد العربية الى ضباط من الاتراك . وقرروا الغاء الاحزاب العربية كلها ، وتعزيز النفوذ التركي في البلاد العربية . وتنفيذاً لهذه السياسة ارسلوا الى سوريا احمد جمال باشا . وكان هذا يومئذ وزيراً للبحر وقطباً من اقطاب الاتحاديين . فعهدوا اليه بقيادة الجيش الرابع الذي كان مقره دمشق . بعد ان انتزعوا قيادة هذا الجيش من الفريق زكي باشا الحلبي العربي الذي انتدبوه مرافقاً لامبراطور الالمان غليوم . . . قام جمال باشا بتنفيذ الخطة التركية الجديدة بحذافيرها ، فمزق الكتائب العربية كل ممزق ، وشتت رجالها ؛ فبعث بهم الى البلاد التركية النائية . والف في (عاليه) من اعمال جبل لبنان ديواناً عسكرياً عرف فيما بعد : (بديوان عاليه) . فساق اليه جميع شباب العرب ورجالاتهم الذين اشتغلوا قليلاً او كثيراً للقضية العربية . فحوكم هؤلاء محاكمات مختلفة : بعضها حقيقي ، والبعض الآخر صوري . وكان اعضاء هذا الديوان (او المحكمة) يتلقون الوحي من الطاغية جمال الذي لقب عن جدارة واستحقاق بالسفاح . ولقد ادانوا عدداً كبيراً من رجال العرب الاحرار ، فقصوا عليهم بالاعدام . ونفذ فيهم الحكم شتقاً ، لا لذنب اقترفوه سوى حبهم لوطنهم . وقد شق بعض هؤلاء في

النواب العثماني ، وان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية .

(و) تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية ، الا في ظروف استثنائية . وقد كان لهذا المؤتمر بعض التأثير على الحكومة التركية . فقد صدر يوم ٣ اغسطس ١٩١٣ مرسوم سلطاني جاء فيه ما يلي :

(آ) يعهد بإدارة الأوقاف الى مجالس الجماعات في الولايات .

(ب) يؤدي الجنود خدمتهم العسكرية زمن السلم في بلادهم . وللدولة متى رأت لزوماً لذلك ان ترسلهم الى حيث تشاء من غير قيد ولا شرط .

(ج) يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتكلم اكثرية سكانها هذه اللغة ، مع جعل تعليم اللغة التركية اجبارياً .

(د) يعرف الموظفون في البلاد العربية اللغة العربية عدا اللغة التركية .

(هـ) تعين الحكومات المحلية الموظفين من الدرجة الثانية . واما الذين يعينون بأرادة سنية ، فينأط تعيينهم بالحكومة المركزية في الاستانة .

الا ان الحكومة المركزية اخذت تخاثل في تنفيذ هذه البنود ، كما اخذت فكرة الاستقلال تنمو وتنتشر بين العرب . فاخذت هذه النوادي والجمعيات تغير وجهتها . وتصبح بلء شديتها : « انها تبغي استقلال العرب ولا ترضى به بديلاً » .

(١) (الثورة العربية الكبرى) لامين سعيد .

مختلفة من بر الأناضول

وعلى الرغم من هذا كله ، فإن التدابير التي اتخذها جمال باشا ما كانت لتلين من قناتهم ؛ بل زادت كرههم للحكم التركي ، وميلاً لاستقلال بلادهم . إذ ما كاد الشريف حسين شريف مكة يضرم (١٩١٥ م) نار الثورة العربية في الحجاز ، ويعلن استقلال البلاد العربية ، حتى لبى دعوته عدد كبير من رجالهم ؛ ولأ سيما أولئك الذين كانوا يعملون في الجيش التركي . فقد أخذ هؤلاء يفرون من قطعاتهم زرافات ووحدانا ، ويلتحقون بالجيش العربي الذي كان يقوده الحسين وأولاده الأمراء : علي ، وفيصل ، وعبد الله ، وزيد .

الامر الذي كان له تأثير كبير على موقف الدولة التركية ؛ تلك الدولة التي تقلص ظلها في هذه البلاد ، الى ان زال عنها بالمرّة (١٩١٧ م) . وقام مقامه الإحتلال الانكليزي . وسنأتي على ذكر ذلك في الفصول التالية .

في بيروت ، وبعضهم في دمشق ، والبعض الآخر في القدس .

وكان بين الذين اعدموا فلسطينيون ، نذكر منهم :

١ - علي النشاشيبي (من القدس) اعدم في القدس في تشرين اول ١٩١٨ .

٢ - احمد عارف الحسيني (من غزة) اعدم في القدس في تشرين اول ١٩١٨ .

٣ - مصطفى احمد عارف الحسيني (من غزة) اعدم في القدس في تشرين اول ١٩١٨ .

٤ - سليم عبد الهادي (من نابلس) اعدم في بيروت في ٢٠/٨/١٩١٥ .

ولم يكتف جمال باشا بعدد الذين شنقهم او سجنهم من احرار السوريين واللبنانيين والفلسطينيين والعراقيين ؛ فقد امر بنفي عدد آخر منهم . ونفاهم بالفعل (١٩١٦ م) رجالا ونساء واطفالا الى النجاء



الباب السادس

الاحتلال البريطاني

- الحرب العالمية الاولى
- حملة الاتراك الاولى على قناة السويس
- الحملة الثانية
- الانكليز ينقلبون من طور الدفاع الى طور الهجوم
- انسحاب الاتراك من غزة
- الجنرال اللنبي يتولى القيادة بعد الجنرال موري
- موقف الجيش التركي
- الانكليز يزحفون صوب القدس
- احتلال القدس
- انسحاب الاتراك من القدس
- محاولات تركية فاشلة لاسترداد القدس
- بيان اللورد اللنبي لأهل القدس
- لماذا غلب الاتراك على امرهم؟
- الادارة العسكرية
- وعد بلفور
- وعود بريطانيا للملك حسين
- معاهدة سايكس — بيكو
- الادارة المدنية
- المندوب السامي الاول: السير هربرت صموئيل
- المجلس الاستشاري

- المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع
- المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس
- صك الانتداب
- المؤتمر العربي الفلسطيني السادس
- المندوب السامي الثاني : الفيلد مارشال بلومر
- حوادث البراق
- المندوب السامي الثالث : السر جون تشانسلور
- المؤتمر العربي الفلسطيني السابع
- تكرار النزاع حول البراق
- المؤتمر الاسلامي الاول
- شركة البوتاس
- ثورة عام ١٩٢٩
- الكتاب الابيض الاول
- ركود الهجرة
- نكوص البريطانيين و الغاء الكتاب الابيض
- العرب يوجهون كفاحهم ضد البريطانيين
- اللجنة الملكية
- كيف تلقى العرب واليهود توصي اللجنة الملكية
- المندوب السامي الرابع : السر آرثور
- غرنفيل و اكهوب
- المؤتمر الاسلامي الثاني
- المؤتمر العربي الارثوذكسي

- اللجنة التنفيذية العربية
- الاضراب العام
- استمرار الاضراب وبوادر العصيان المدني
- وقف الاضراب
- ميزان الربح والخسارة
- سوء الخاتمة لعهد السروا كهوب
- المندوب السامي الخامس : السر هارولد
مالك مايكل
- الثائرون من عرب فلسطين يستولون على معظم
مرافق البلاد
- لجنة وود هيد لتنفيذ التقسيم
- الحكومة البريطانية تراجع عن التقسيم
- نار الثورة تزداد ضراماً
- مؤتمر لندن الاول
- الكتاب الابيض الثاني
- كيف تلقى العرب واليهود الكتاب الابيض
- ثورة اليهود
- المندوب السامي السادس : الفيكونت غورت
- القضية الفلسطينية تنتقل الى الصعيد العربي العام
- تدخل الولايات المتحدة
- المندوب السامي السابع والاخير : السر الن
غوردن كانتنهام

- اللجنة الانكلو — اميركيه
 - مؤتمر ملوك العرب في زهراء انشاص
 - مؤتمر بلودان
 - توحيد الاحزاب الفلسطينية
 - ثورة اليهود
 - مؤتمر لندن الثاني
 - مؤتمر لندن الثالث
 - فشل مشروع بيفن
 - الحكومة المنتدبة تتخلى عن الانتداب
 - رحيل البريطانيين عن البلاد
-
-
-

القدس والاحتلال البريطاني

الثامن . وكان هذا الفيلق الذي وجهه الاتراك لمهاجمة قناة السويس ، مؤلفاً من فرق المشاة ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ وعدد من المتطوعين . وقد بلغ مجموع افراد هذا الفيلق ١٢٦٤٢^(١) جندياً . وكان مجهزاً بسرية من الهجاجة ، وعدد من المدافع الثقيلة . والمترايوزات والبنادق السريعة الطلقات . وكان معه ٩٦٨ حصاناً و ٣٢٨ ثوراً لسحب المدافع عبر الصحراء ، وسبعة آلاف جمل لنقل الاعتدة والمؤن . واما قائد هذه الحملة فهو جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع .

غير ان الطريق الى قناة السويس كانت محفوفة بالمخاطر . ذلك لانها تمر من باهية لا زرع فيها ولا ماء . حتى ان قيادة الجيش امرت الضباط والجنود ان يقتصدوا في استعمال الماء ، وان لا يشرب الواحد منهم اكثر من ابريق في اليوم الواحد .

٣ - اخذت كتائب الاتراك تتجمع في شهر كانون الاول لعام ١٩١٤ . وفي اليوم الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٥ شرعت هذه الكتائب في الزحف ميممة قناة السويس . فعبرت الحدود التركية المصرية ، واجتازت صحراء سيناء ، دون ان تلقي اية مقاومة من الانكليز . اذ كان هؤلاء قد اختاروا البقاء وراء الضفة الغربية لقناة السويس . وحاول الاتراك عبور قناة السويس . وقد عبرتها بالفعل قوة صغيرة مؤلفة من ستائة جندي في مكان

الحرب العالمية الاولى : قبل ان اذكر لك ،
ايها القارىء الكريم ، كيف ومتى احتل الانكليز القدس ، وكيف اداروها ؛ على ان اسرد بوجه الايجاز الحوادث التي سبقت ذلك الاحتلال . واني توصلاً لهذه الغاية درست ، بشيء كثير من انعام النظر ، الكتب التي فيها الفريقان المتحاربان : الاتراك والانكليز ؛ والتقارير الرسمية التي وضعها ، بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) اوزارها . تلك الحرب التي وقعت بين الانكليز وحلفائهم من ناحية ، والالمان وحلفائهم من الناحية الاخرى . وقد اختار الاتراك يومئذ جانب الالمان ، فحالفوهم ضد اعدائهم الانكليز .

٢ - حملة الاتراك الاولى على قناة السويس :
كانت الغاية من حملة الاتراك على مصر^(١) هي اشغال الانكليز وابعادهم عن الدردنيل . وكان الامل قوياً ان تثور مصر ومن ورائها السودان ، بمجرد اقتراب الجيش التركي من الحدود وعبوره قناة السويس . فاذا سيطر الاتراك على هذه القناة ، عرقلوا وسائل النقل بين انكلترا والهند . فيضطر الانكليز الى ان يجتازوا طريقاً للهند غير قناة السويس ، وهو رأس الرجاء الصالح . وفي هذا ما فيه من كلفة وعناء ووقت طويل .

هذا ما كان يرمي اليه الاتراك ، يعضدهم فيه حلفاؤهم الالمان . ولا سيما الميرالاي قمرس فون قرسنشتاين الذي عين رئيساً لاركان الحرب في الفيلق

(١) كان الاتراك يتنون انفسهم بانضمام عدد كبير من المتطوعين الى هذا الجيش ، وبوصول الكتائب المربطة في الحجاز ، حتى يبلغ عددهم (٢٥٠٠٠) . ولكن امنيته هذه لم تتحقق .

(١) راجع كتاب (فلسطين جبهه سي) . ذلك الكتاب الذي اصدرته وزارة الحرب التركية بعد الحرب .

جمال باشا



والضباط الاتراك الذين حاربوا معه في جبهة فلسطين

الآخرى^(١) حوادث اضطرتهم للتريث في الامر . فقد اضطروا لارسال الفرق الثامنة والعاشرة والخامسة والعشرين من فرق الجيش الرابع الى الدردنيل . كما ارسلا فرقة من فرق الفيلق الثاني عشر الى العراق ، واخرى الى القفقاس . ثم اخذوا من الجيش الرابع جميع المدافع السريعة الطلقات والمتراليوزات التي كانت لديه . فانخفضت قوة هذا الجيش انخفاضاً هائلاً . واصبح مجموع افراده اثني عشر طابوراً فقط .

اضف الى ذلك : الانباء التي وصلت عن نشوب ثورة في بلاد الارمن ، والاستياء الذي كان واضحاً للعيان في البلاد العربية من جراء انتشار فكرة الاستقلال بين العرب ، والمفاوضات التي كانت تدور حول هذا الموضوع بين الانكليز وبين الملك حسين ابن علي ملك العرب الذي ثار ضد الترك واعلن استقلال العرب (١٩١٥) .

فلم يتمكن الاتراك ، بسبب الحوادث المتقدم ذكرها ، من القيام بحملتهم الثانية على القتال ؛ قبل ان ياتيهم المدد من جهة ، وقبل ان يهدوا السبيل الى هذه الحملة ، وذلك بتعبيد الطرق وانشاء السكك الحديدية من جهة اخرى .

ولم يكن الانكليز بغافلين عما يفعله الاتراك في هذه الجبهة . فقد زار مصر في أواخر عام ١٩١٥ م وزير الحربية البريطانية اللورد كيتشنر ، واستحضر عدداً كبيراً من الفرق الانكليزية التي كانت في فرنسا وسلاينيك والدردنيل والهند . فاصبح لديهم في مصر ٣٠٠,٠٠٠ جندياً . وعهدوا بقيادة هذا الجيش والدفاع عن مصر الى الجنرال السير ارشيبالد موري

يدعى (طرسوم - سرايوم) بالقرب من البحيرة المرة امام الاسماعيلية . واستعمل هؤلاء المعديات^(١) التي أعدت لهذه الغاية . الا ان هذه المعديات لم تكن كافية . فما كاد هذا العدد الضئيل من الجند يعبرون القناة ، حتى تلقته المدفعية البريطانية بنيرانها الحامية . وكانت هذه تقذف حمماً من بعض قطع الاسطول الذي كان راسياً في البحيرة المرة ؛ فصدمتهم على اعقابهم ، بعد ان استشهد عدد كبير منهم ، وأسر آخرون . ولم ينجح الاتراك في حملتهم هذه الانجاحاً ضئيلاً ، هو ارغام الانكليز على ان يبقوا في الضفة الغربية ، وتخريب مدرعة انكليزية كانت راسية في القناة . فقرر الاتراك الانسحاب رغم انهم (قرص بك) الذي كان (يفضل الموت على الانسحاب) . وقد انسحبوا بالفعل تاركين وراءهم ١٣٠٠ شهيداً ، وعدداً كبيراً من الابل التي نفقت بسبب الحر والتعب .

٤ - **تأهب الاتراك للحملة الثانية :** عندما فشل الاتراك في حملتهم الاولى ، اخذوا يستكملون نقائص جيشهم ، ويتأهبون للقيام بحملة ثانية . فاصلحوا منازلهم على طول الطريق ، ومدوا السكك الحديدية ، واستخدموا عدداً كبيراً من الجنود كعمال لهذه الغاية . وعهدوا بهذه الاعمال كلها الى قيادة الصحراء التي وضعت تحت امرة القائد الالماني (الميرالاي فون قرص بك) .

وفيا كان الاتراك يتأهبون للقيام بحملتهم الثانية على قناة السويس ، حدث في ساحات القتال

(١) حل الاتراك هذه المعديات معهم عندما اجتازوا الصحراء . وقد كانت قطعاً متناثرة ، فركبوها عند وصولهم للقنال واستعملوها .

(١) كان الاتراك يجاربون خلال الحرب الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) في خمس جبهات : فلسطين ، العراق ، القفقاس ، رومانيا ، والدردنيل .

في نفس الوقت الذي قرر فيه حلفاؤهم الروس ان يقوموا بقيادة الغراندوق نيقولا بحملتهم على القفقاس على امل ان يسحقوا الجيش التركي .

٧ - عندما تلقى قائد القوات البريطانية السر ارشيبالد موري قرار حكومته ، كان الجيش الذي تحت امرته مؤلفاً من (٣٣٠,٠٠٠) جندياً . هذا هو تقدير الاتراك . واما الانكليز انفسهم فيقولون ان قوتهم لم تتجاوز السبعين ألفاً . . .

وضع السر ارشيبالد موري Sir Archibald Murray جميع الكتابات^(١) الانكليزية الموجودة شرقي قناة السويس تحت امرة اللفنتانت جنرال السر تشارلس دوبل Sir Charles Dobell . واما المياه فانها وان كانت متيسرة في المناطق الساحلية، الا انها لا تكفي للعدد الكبير من الجيوش التي كان عليها ان تعبر الصحراء . ولهذا كان لا بد من جر مياه النيل . وقد جرت بالفعل بواسطة أنابيب حديدية . وعهد الى الاسطول البريطاني المعقود لواءه للأميرال (وه ميس) بحماية هذه المناطق . وقد شرع الانكليز في نفس الوقت بمدون السكة الحديدية شمالاً، ليتمكنوا من نقل جنودهم وعتادهم.

(١) كانت هذه الكتابات مؤلفة من (أ) فيلق الصحراء ، وهو مؤلف من (١) فرقة المشاة الثالثة والخمسين و (٢) فرقة الانزاع الفرسان و (٣) فرقة الفرسان الامبراطورية . (ب) والفرقة الثانية والخمسين . (ج) والفرقة الرابعة والخمسين . (د) ولواء من الفيلق الامبراطوري للهجاة . واما فرقة الفرسان الامبراطورية فقد كانت مؤلفة من اللواء الثالث للخيالة، واللواءين الخامس والسادس للفرسان اليونانيين والبريطانيين ، واللواء الرابع للخيالة الاستراليين ، وكان مع كل من اللواء الثالث والرابع كتاب من المستشفيات والمؤسسات الصحية التي تعمل متنقلة بين الكتابات المختلفة . واما فرقة الانزاع الفرسان فقد كانت مؤلفة من اللواء الثاني للخيالة النيوزيلانديين والالاي الثاني والعشرين للفرسان البريطانيين .

واما قوة الاتراك التي كانت يومئذ ترابط في هذه البلاد - من مصر الى اطنه - فانها لم تتجاوز الاربعين ألفاً .

٥ - حملة الاتراك الثانية على قناة السويس : على الرغم من ان المدد الذي كان يتوقعه الاتراك لم يصلهم ، وان الوسائل التي كانت لديهم قليلة ؛ فانهم تحت ضغط الالمان الملح ، قرروا القيام بحملة جديدة على القناة (نيسان ١٩١٦) .

ثم زحفوا باتجاه القنال . وكانت قوتهم في هذا الزحف مؤلفة من ٢٠,٠٠٠ جندي ، نصفهم فقط محاربون . ولكنهم في هذه الحملة أيضاً فشلوا . وكانت خسائرهم في هذه المرة : الف قتيل ، وثلاثة آلاف اسير . واما خسائر الانكليز ، فانها - على قول الاتراك انفسهم - لم تتجاوز ١١٣٠ قتيلاً .

٦ - الانكليز ينقلبون من طور الدفاع الى طور الهجوم : تبدل الموقف في هذه الجبهة ، بعد فشل الحملة الثانية ، تبديلاً محسوساً . فبعد ان كان الاتراك مهاجمين ، والانكليز مدافعين ؛ انقلبت الآية : فاصبح الانكليز مهاجمين ، والاتراك مدافعين . وراح الانكليز يفكرون في الاستيلاء على فلسطين ، بعد ان كانوا قانعين بالدفاع عن مصر فقط^(١) . وكان ذلك بناء على قرار اصدارته وزارة الحرب البريطانية في بداية عام ١٩١٧ م^(٢) . ولقد صدر هذا القرار

(١) The Palestine Campaigns by, Colonel A. P. Wavell .

(٢) ذلك لان المستر لويدي جورج Mr. Lloyd George الذي تولى رئاسة الوزارة البريطانية بعد اسكويت (Mr. Asquith) في ٧ ديسمبر سنة ١٩١٦ كان يرى انه لا بد من اشغال الالمان في جبهة اخرى غير الجبهة الغربية في اوروبا ، وقد ابرق الى الجنرال ارشيبالد موري يقول : (لا بد من الحصول على نصر في الشرق) .

Sir Edmund Allenby : للحملات المصرية :
Commander in Chief of the Egyptian
Expeditionary Force .



« الجنرال اللورد اللنبي »

منح اللورد اللنبي صلاحيات واسعة ، واعطى كل ما طلبه من جند ومدافع وآلات ميكانيكية وذخائر واعتدة ؛ واخذ يرمي الخطط ، لا للاستيلاء على غزة فحسب ، بل وعلى فلسطين بأسرها . وشرع في تنسيق القيادة ، وقام بتمريعات عسكرية لاختبار حالة جيشه ، وضاعف الجهود التي سبقت لمد الانابيب وجري مياه النيل في الصحراء . وقد مدت هذه بالفعل على مسافة ١٣٥ ميلا ، كما مدت السكة الحديدية حتى وصلت الى دير البلح ، وانشأ لها بعض الفروع ، وقد اتخذ القنطرة مركزا لتموين جيشه بدلا من الاسكندرية . واعاد تنظيم القوى التي وضعت تحت امرته .

٨ - انسحاب الاتراك من غزة : عندما اتصل نبأ هذه الاستعدادات بالأتراك شعروا بالخطر .

وقد جاء القائد العام انور باشا من استانبول ، وعقد مجلساً حربياً ، حضره كل من جمال باشا وفون قرس بك للتشاور في الامر . فقرروا الدفاع حتى النفس الاخير .

٩ - معارك غزة : انسحب الاتراك من العريش في ٢٠ كانون اول عام ١٩١٦ ؛ ثم رجعوا الى غزة ، واخذوا يتأهبون للدفاع عنها دفاعا لا هوادة فيه . ولقد حصنوها تحصينا تاما . قامت في غزة معركتان : واحدة في ٢٧ آذار ١٩١٧ والثانية في ١٩ نيسان ١٩١٧ . وقد انتهت كلتاهما بفشل الانكليز ، وانتصار الاتراك . وخسر الانكليز في الاولى ٢٧٠٠ قتيل و ٢٩٣٢ جريحاً . وفي الثانية ٢٠٨٥ قتيل و ٤٣٥٩ جريحاً . واما خسائر الاتراك فقد كانت اقل من ذلك بكثير : ١٧٥٠ بين قتيل وجريح .

١٠ - الجنرال اللنبي يتولى القيادة بعد الجنرال

موري : اقال الانكليز على اثر فشلهم هذا الجنرال دوبل من قيادة القوى الشرقية . واستبدلوه بالجنرال (شت وود) . وجعلوا الماجور جنرال (شوفل Chauvel) قائداً لقوة الصحراء ، وتولى الماجور جنرال (شيتور E. W. C. Chaytor) قيادة فرقة الانزك الفرسان . واما القيادة العامة لجميع هذه القوى فقد انتزعت من يد السر ارشيبالد موري وسلمت ، في حزيران سنة ١٩١٧ ، ليد السر ادموند اللنبي بصفته القائد العام

(١) من اراد الاطلاع على تفاصيل المعارك التي حدثت بين الانكليز والأتراك في غزة ، فليرجع الى كتابنا : (تاريخ غزة) . طبع في مطبعة دار الايتام الاسلامية بالقدس . سنة ١٩٤٣ .

العامّة عادت فقررت^(١) ارسال الجيشين : السابع والثامن من (جيوش بيلديرم^(٢)) اي جيوش الصاعقة الى الجبهة الفلسطينية . ولما كان غازي باشا قائد الجيش السابع مخالفاً لهذا الرأي ، فقد استقال من القيادة بايعاز من انور باشا ، وعهد بقيادة هذا الجيش الى امير اللواء فوزي باشا .

وفيما كانت هذه التبدلات في القيادة تجري ، كانت احوال الجيش التركي تسير من سيء الى أسوأ . اذ كانت ارزاقه قليلة للغاية . ولم يحسن ضباط الجيش استعمال هذا القليل من الارزاق ، بدرجة ان الجوع كان يلزم الكثيرين من الجند في كثير من الاحيان . وقد جاء في التقارير الرسمية انهم لم يستطيعوا توزيع كمية من الخبز اكثر من ٧٥ طناً في أي يوم من أيام شهر أيلول ١٩١٧ ، مع ان احتياج الجيش اليومي للخبز كان ١٥٠ طناً على أقل تقدير . وقد فتكت الامراض بالجند فتكاً ذريعاً ، فاخذ عددهم يتناقص ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ في كل شهر ، دون ان يأتي من يقوم مقامهم ويشغل مراكزهم . وقد هلك عدد كبير من حيوانات الجيش ، بسبب الجوع وقلة العلف . واما حاجة الاهلين الى الارزاق والمؤن فقد كانت اعظم من ذلك بكثير .

(١) ولكن بعد حراب البصرة . وبعد تلكؤ دام اربعة شهور .

(٢) كانت جيوش بيلديرم هذه بايدي ذي بدء مؤلفة من القطعات التالية : الفيلق الثالث (الفرق ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٩) والفيلق الخامس عشر (الفرق ١٩ ، ٢٠) ثم اضيف اليها كل من الجيش السادس ، والجيش السابع ، والجيش الثامن .

وكانت الغاية من تاليفها القيام بمهمة جديدة في العراق واسترداد بغداد . وقد عهد بقيادتها الى القائد الالماني الجنرال فالكنهايم . وقد رجع مجموع عدد الجنود الذين وضعوا تحت امرته بخسين ألفاً .

و كان مجموع القوى الحاربة التي وضعت تحت امره . اللورد اللني ١٩٩ ، ١٠٠٠ رجلاً .

ان شخصية الجنرال اللني ومقدرته ونفوذه بصيرته ، بدت للجند بزياراته الكثيرة المتوالية للقطعات ، ولا سيما في المناطق الامامية . وهذه الصفات احدثت تطوراً عجيباً في معنوية الجيش الانكليزي . وبعد ان كان الاعتقاد سائداً بأن هذا الجيش الذي كان يحارب في الجبهة الفلسطينية كان منسياً ، تبدل هذا الاعتقاد ، وانقلب اليأس الى رجاء . ولا سيما عندما وصلت النجدة الجديدة ومعها طائرات حديثة الصنع .

١١ - موقف الجيش التركي : رأى الاتراك استعداد الانكليز هذا ، فحسبوا له حساباً ، وراحوا يعدون العدة من جديد . وعقدوا في حلب مجلساً حربيّاً (٢٧ من حزيران سنة ١٩١٧) حضره كل من :

القائد العام	أنور باشا
قائد جيش القفقاس	أحمد عزت باشا
قائد الجيش الثاني	مصطفى كال باشا
قائد الجيش الرابع	جمال باشا
قائد الجيش السادس	خليل باشا
مستشار وزارة الحرب التركية	محمود كامل باشا

وغيرهم من الرؤساء والقواد .

ان هذا المجلس وان لم ينته يومئذ الى قرار حاسم في صدد الخطة الواجب اتباعها^(١) ، الا ان القيادة

(١) كان بعض اعضاء هذا المجلس يرى وجوب الاهتمام بجبهة العراق ، واسترداد بغداد التي سقطت بيد الانكليز في ١١ اذار سنة ١٩١٧ ، والبعض الاخر كان يؤثر الجبهة الفلسطينية على غيرها . لاعتقادهم بان خسارة هذه الجبهة تعني خسارة فلسطين ، وخسارة فلسطين تعني خسارة القدس واماكنها المقدسة . وهذا ما لا يريدونه . لان للقدس اهميةً دينية في نظر الانبياء والشعوب كلها .

كان الاتراك يصادرون الحيوانات ، دون ان يتركوا منها ما يصلح للتوليد والتناسل ، حتى يضمنوا مواصلة انتاج تلك الثروة الحيوانية في البلاد . وكانوا يصادرون الحبوب ، حتى انه لم يبق منها ما يكفي للزراعة .

و كنت تجد عربات السكة الحديدية - على ضالة السكك الحديدية في تركيا - مشحونة بالجند والعنادر ، والحيوانات ، وهي تسير من جهة الى اخرى على غير وعي . . . ودون علم الى اين ومن أين؟

وهذه الفوضى زادت في أسباب المجاعة ، لا سيما في المدن حيث لا غنى للسكان عن محصولات الارياض . ولكن من أين لمحصولات الارياض ان تصل الى المدن وسط تلك الفوضى والاضطرابات ؟

١٢ - الجيش الانكليزي يزحف صوب القدس :

في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ كانت اللورد اللنبي قد اتم تعبئة جيشه . فامر بزحفه . وقد استولى اولاً على بير السبع (١٩١٧ / ١٠ / ٣١) . ثم على غزة (١٩١٧ / ١١ / ٧) . بعدئذ راح يزحف صوب القدس . واليك تفصيل ما جرى :

بعد سقوط غزة سار الانكليز في فتوحاتهم قدماً حتى احتلوا الرملة ويافا (١٩١٧ / ١١ / ١٦) . عندئذ اخذ اللورد اللنبي يفكر ماذا يصنع ؟ أيتعقب الجيش التركي الثامن المتراجع نحو الشمال عبر السهل ، ام يهاجم جيشهم السابع المرابط في الجبال باتجاه القدس . وبعد انعام النظر في الخطتين ، قرر الاتجاه نحو القدس ، في نفس الطريق التي سلكها من قبله الآشوريون والرومان والصليبيون . وانها لطريق وعرة المسالك . اضاف الى ذلك ان ذخائر الانكليز كانت قد قلت . وكذلك قل عن وسائلهم النقلية . وفصل الشتاء كان على الابواب . والجيش الانكليزي

كان قد تعب من الحروب المتواصلة . وليس ثمة خرائط دقيقة تبين دخائل المنطقة التي سيجتازها . ولكن اللورد اللنبي ، رغم هذه الحقائق كلها ورغم انذار وزارة الحرب له ، اراد ان لا يضيع الفرصة ، ويهاجم الاتراك قبل ان يستعدوا ويستعيدوا نشاطهم ، وقبل ان ينفشوا خطوطهم الدفاعية في الجبال . فلم يضيع من وقته سوى يوم واحد ، هو اليوم السابع عشر من نوفمبر . قضاه في راحة وتهيئة . راحة لجنده وتهيئة لوسائل النقل .

وفي اليوم الثامن عشر اتم تعبئة جيشه بالشكل التالي :

(أ) أمر فرقة الفرسان الاتراك والفرقة الرابعة والخمسين اللتين جاءتا من غزة ، بأن ترابطا في السهل لتقوموا بمهمة الدفاع .

(ب) وأمر القسم الباقي من الفيلق الواحد والعشرين ان يتقدم باتجاه الجبال : على ان تسير الفرقة ٧٥ باتجاه الطريق التي تربط يافا بالقدس ، والفرقة ٥٢ على يسارها . وعلى يسار الفرقة ٥٢ تسير فرقة الفرسان اليونانيين ، فتتبع طريق بيت عور باتجاه البيرة . ويسير آلاي من فرقة الفرسان الاوستراليين على يمين الفرقة ٧٥ باستقامة الوادي الذي يمر منه الخط الحديدي .

وفي اليوم التاسع عشر لنوفمبر ، شرع الجيش الانكليزي بالزحف نحو الجبال ، ميماً من ناحية شطر سريس وقرية العنب . ومن الاخرى بيت لقيا وبيت عور . وكان الجو يومئذ ماطرأ ، والضباب كثيفاً ، والطقس بارداً للغاية . وكان الاتراك قد خربوا الطريق التي تربط يافا بالقدس . خربوها في اكثر من موضع واحد من مواضعها .

وفي ٢٤ نوفمبر اصدر اللورد اللني اوامره بعدم القيام باي هجوم ، وبالثبات في الخط الذي ضبط ؛ الى ان تأتية الكتائب الجديدة والمدافع الجديدة التي طلبها . لان الاتراك كانوا من القوة في مواقعهم ، بحيث لا يمكن زحزحتهم عنها بالقوة التي لديه .

ان المحاولة الاولى للاستيلاء على القدس ، وان كانت قد فشلت ، الا انها كانت ذات فائدة للجيش المهاجم . لانه اختبر الطرق ، واختبر حالة البلاد ، واختبر قوة الدفاع التي يملكها الاتراك . وحال دون تمكين الاتراك من تحصين الجبال وتهيئة وسائل الدفاع . وفيما كان الانكليز يستعدون لتقوية الجيش المهاجم في الجبال ، كانت فرقة الفرسان الاتراك المراقبة في السهل ، تناوش الجيش الثامن الذي كان رابطاً امامها لتمنعه عن ارسال المسدد الى الجيش السابع المراقبة في الجبال .

انقضت فترة بين الحملة الاولى على القدس والثانية ، قام الجيش الانكليزي خلالها باستكمال نقائصه ، وتهيئة معداته ، وبانشاء الطرق وترتيب وسائل النقل . وقد جيء بالفيلق العشرين ليتولى الهجوم ، بدلا من الفيلق الواحد والعشرين الذي كان منهوك القوى . وارسل هذا ليتولى مهمة الدفاع في السهل امام يافا والرملة . تلك المهمة التي انيطت قبلا بفيلق خيالة الصحراء .

واستبدلت الفرقة الخامسة والسبعون والثانية والخمسون بالفرقة الستين التي جاءت من غزة . وانضمت اليها الفرقة العاشرة والفرقة ٧٤ لمهاجمة القدس . واحتفظ بالفرقة ٥٣ وبكتيبة من الخيالة وبطارية من المدافع الثقيلة على طريق الخليل شمالي بئر السبع لمجابهة الطواريء في تلك الجهة .

بدأت الحملة الثانية لاحتلال القدس في ٢٧ الشهر .

واما طريق بيت عور فلم تكن معبدة ، وما كان من السهل استعمالها : لا لسير السيارات ولا للجمال . فسار الجيش الانكليزي في الطريق اليمنى . وهي طريق صخرية ووعرة للغاية . سار فيها الى ان وصل الى سريس ، فاحتلها (٢٠ نوفمبر ١٩١٧) .

وفي ٢١ نوفمبر احتلت الفرقة ٧٥ قرية العنب ، وسارت شمالا الى الشرق باتجاه البيرة . ولكنها لاقت المشقات من جراء دفاع الاتراك المراقبة في النبي صمويل . والجبل الذي تقسع عليه قرية النبي صمويل مرتفع ومسيطر على جميع الاراضي المجاورة . ولكن الاي ٢٣٤ احتلها قبيل منتصف الليل . وباحتلاله هذا قبض على (مفتاح القدس) .

بينما كانت الفرقة ٧٥ تتقدم نحو النبي صمويل ، كانت فرقة الفرسان اليومانيين تتراجع امام الاتراك المراقبة في جبال بيتونيا . وقد رجعت فعلاً الى بيت عور الفوقا . ذلك لان بيتونيا كانت محصنة . وكان فيها ثلاثة آلاف جندي تركي مزودين بالمدافع وما كان مع الانكليز الذين هاجموا سوى اربعة مدافع جبلية عرفت ببطاريات هونغ كونغ وسنغافور .

بين ٢٢ و ٢٤ نوفمبر قامت الفرقتان ٧٥ و ٥٢ بهجوم على قرية الجيب الواقعة على مرتفع كائن بين النبي صمويل وبيتونيا ، الا انها فشلتا . ولم تستطعا اخذها . غير ان الفرقة ٥٢ تمكنت من شق طريق لها من بيت لقياء ، فنقلت مدافعها الى (بدو) .

في هذه الاثناء قام الاتراك بثلاث هجمات معاكسة لاسترداد النبي صمويل^(١) ، كي يتمكنوا من درء الخطر عن خطوطهم الدفاعية ، لا بل وعن القدس نفسها .

(١) يقال ان ريكاردس قلب الاسد اخفى وجهه في هذا المكان ، ورفض ان ينظر الى المدينة التي لم يتمكن من اخذها .

وعندما تقرر القيام بحملة جديدة للاستيلاء على القدس ، قرر الجنرال السرفيليب شتوود General Sir Philp Chetwode قائد الفيلق العشرين أحداث تبديل اساسي في خطة الهجوم . فامربان تحتل القطعات العسكرية الموجودة تحت قيادته المواضع المقررة لها :

(أ) فمدت الفرقة العاشرة جناحها الايمن بشكل يمكن الفرقة ٧٤ من الصمود في النبي صمويل وقد تقرر ان تكون هذه النقطة مداراً تدور حوله رحى الحرب .

(ب) واحتشدت الفرقة ٦٠ قبلي طريق العنب - القدس . فتولى جناحها الايسر ضرب هذه الطريق ، واتصل جناحها الايمن بالفرقة ٥٣ على طريق الخليل . وكان على هذه الفرقة ان تقترب من خطوط الدفاع في بيت لحم في السابع من ديسمبر .

(ج) وقامت بعض القطعات الاخرى بصلة الوصل بين الفرقتين ٦٠ و ٥٣

(د) ودعمت ثلاث بطاريات من المدافع الجبلية وثلاث بطاريات من مدافع الهوتزار ذات الست بوصات وبطارية ونصف من المدافع الخفيفة الهجوم بوجه عام .

ولكن الامطار الغزيرة التي هطلت في ٧ ديسمبر حالت دون تقدم الفرقة ٥٣ . لا ، بل انها سببت ازعاجاً عظيماً لجميع الفرق .

ومع ذلك فقد تمكن الالاي ١٧٩ من الفرقة ٦٠ من القيام بهجوم على وادي الصرار . وحوالي الساعة ٣٠٣٠ من صباح ٨ ديسمبر استولى على التلال المرتفعة الكائنة جنوبي عين كارم . عندئذ

إذ جرى يومئذ اصطدام شديد بين اليومايين وبين الجيش التركي في الناحية الغربية من بيتونيا . فقد تغلب الاتراك هنا لكثرة عددهم . وانسحب الانكليز لآمن بيتونيا فحسب ، بل ومن بيت عور الفوقا . وفتح الاتراك ثغرة بين اليومايين والفرقة ٥٤ . فارسل الانكليز من احتياطهم مدداً ، هو من آلاي الحيلة السابع وفرقة الفرسان الاوستراليين وآلاي من الفرقة ٥٢ . فتمكنوا من سد الثغرة التي فتحتها الاتراك وابعدهم الى الراء .

وفي نوفمبر ٣٠ اسر الانكليز ٣٠٠ جندياً تركيا عند بيت عور الفوقا .

وفي ١ ديسمبر قدام طابور تركي من فرقة الصاعقة التاسعة عشرة بهجوم سريع وموفق على فريق من الاستراليين كانوا مرابطين في البرج قبلي شلتا . فركض طابور من الفرقة ٥٢ لنجدتهم وانقذهم . وقتل من الاتراك مئة رجل ، واسر منهم ١٧٢ اكثرهم جرحى .

ان معركة شلتاهذه قد اثرت في معنوية الاتراك . ويقول الانكليز ان خسائرهم في هذه المعركة لم تتعد الستين .

وفي نفس اليوم رد الانكليز هجمات قدام بها الاتراك من جديد على النبي صمويل وبيت عور التحتا . وفي الثاني من ديسمبر استبدلت الفرقة ٥٢ بالفرقة العاشرة .

وفي ٣ ديسمبر استولى طابور من الفرقة ٧٤ على بيت عور الفوقا مرة اخرى . ولكنه عاد فاخلاها في نفس النهار ، لأنها محاطة بتلال مرتفعة . وخسر الانكليز في هذه المعركة ٣٠٠ قتيلاً .

وهكذا تكون الحملة الثانية للاستيلاء على القدس ايضاً قد فشلت .

بد ان تسقط عما قليل بأيديهم . ولقد اعتزمت مغادرة المدينة بعد نصف ساعة . واود ان القي بين ايديكم هذا الحمل الادبي العظيم ، الا وهو تسليم المدينة للفاتحين .

ثم ناول رئيس البلدية وثيقة التسليم التالية ليسلمها للانكليز :

« انكليز قوماندانلقنه :

هرملتجه مقدس اولان قدس شريفده ايكي كوندن بري بعض اماكنه او بوسلر دوشمكده در . حكومة عثمانيه جه صرف اماكن دينيه بي تحريبدن وقاية عسكر جكلمش . وقمامة ومسجد اقصى كهي اماكن دينيه نك محافظه سنه مأمورلر اقامه ايندلمشدر .

طرفكزدن ده بويولده معامله اينديله جي اميديله اشبورقة بي بلديه رئيس و كيلى حسيني زاده حسين بك ايله كوندن ريورم افندم .

قدس مستقل متصرفي

عزت ١٣٣٣/١٢/٨

واليك ترجتها بالحرف الواحد :

الى القيادة الانكليزية

« منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس المقدسة لدى كل ملة . فالحكومة العثمانية رغبة منها في المحافظة على الاماكن الدينية من الخراب ، قد سحبت القوة العسكرية من المدينة ، واقامت موظفين للمحافظة على الاماكن الدينية كالقيامه والمسجد الاقصى . وعلى امل ان تكون المعاملة من قبلكم على هذا الوجه ، قاني ابعت بهذه الورقة مع وكيل رئيس بلدية القدس حسين بك الحسيني .

متصرف القدس المستقل

عزت ١٣٣٣/١٢/٨

بدأ الهجوم الاساسي على القدس ، وكاث الوقت قريباً من الفجر ، وكان الضباب كثيفاً .

ان الجيش التركي السابع ، ويقدر عدد رجاله يومئذ بـ ١٥,٠٠٠ الى ١٦,٠٠٠ مقاتل ؛ كان مشغولاً بتحصين التلال الواقعة غربي القدس ، وتهيئة وسائل الدفاع عنها . وفي الحقيقة انه كان يعمل من اجل ذلك منذ عام او يزيد . ولكن قوته المعنوية كانت قد انكسرت . ولم يكن دفاع الاتراك شديداً . ذلك لانهم انهكوا قواهم من غير لزوم ، وذلك بقيامهم بهجمات تعرضية خلال الايام العشرة الاخيرة .

ولهذا تمكنت الفرقة ٧٤ المؤلفة من اليومانين من الاستيلاء على التلال الواقعة غربي القدس عند بيت اكسا ، والفرقة ٦٠ النندنية على ديريس وعلى مواضع اخرى واقعة شرقي وادي الصرار . وكانت الفرقة ٥٣ (المؤلفة من رجال البوليس) مرابطة في الجنوب .

١٣ - الجيش الانكليزي يحتل القدس : عندما

خسر الاتراك مواقعهم الحصينة في جنوب فلسطين ، ايقنوا ان القدس ستسقط في يد الانكليز لا محالة . وكان الجوع قد اشتد ، والغلاء قد عم ، والامراض قد انتشرت . عندئذ اخذوا يتراجعون في ليلة ٩/٨ من ديسمبر : قسم منهم يهدوء والقسم الآخر بانهمزام .

ولما ايقن المتصرف التركي ، عزت بك ، ان القدس لا محالة واقعة بيد الانكليز ، وانه لاخير يرجي من المقاومة اكثر مما جرى ، نادى اليه مفتي القدس كامل افندي الحسيني ورئيس البلدية حسين سليم افندي الحسيني . فاجتمعا اليه في داره الكائنة بالقرب من مدرسة المطران بالشيخ جراح . فقال لهما : « ها قد احاط الجنود الانكليز بالقدس ، ولا

١٤ - الحكومة التركية تنسحب من القدس :

بعد ان سَلَّم متصرف القدس وثيقة التسليم لرئيس البلدية غادر المدينة ، ميمما اريحا ؛ وكان الجيش قبل ذلك بقليل ، قد بدأ باخـلاصها . وراح يتحصن في جبل الزيتون .

وفي صباح اليوم التالي (الاحد ١٢/٩/١٩١٧) انسحب الاتراك من القدس بانمرة . وقد كانت السماء ماطرة . وكان يخيم على المدينة سحب قائمة من الرهبة والسكون . وفي نحو الساعة التاسعة ذهب رئيس البلدية يصحبه ابن اخيه توفيق صالح الحسيني ومفتشا الشرطة عبد القادر العلمي واحمد شريف والشرطيان حسين العسلي و ابراهيم الرعنون وفريق من الشبان نذكر منهم رشدي محمد المهتدي وجواد اسماعيل الحسيني وحنّا اسكندر اللحام . وكان هذا الاخير حاملا العلم الابيض علامة التسليم .

والتقى هؤلاء بفائد الفرقة الستين الجنرال شي Gen. Shea عند مستشفى ولخ على طريق الشيخ بدر للغرب من المدينة . فسلموه وثيقة الاستسلام المتقدم ذكرها . فدخل الجيش الانكليزي في الساعة العاشرة والنصف المدينة .

١٥ - محاولات تركية فاشلة لاسترداد المدينة :

وفي اليوم نفسه تقدم افراد الفرق ٥٣ و ٦٠ و ٧٤ الى المواضع المعينة لهم . فحاطوا بالمدينة من جميع جوانبها : الفرقة ٥٣ سارت في اتجاه الشرق نحو وادي الاردن . فقبولت من الاتراك بنيران حامية . وكذلك قل عن الفرقة ٦٠ التي كانت تسير على طريق نابلس . فانها قبولت بنيران شديدة من قبل مؤخرة الجيش التركي التي كانت مرابطة على جبل الزيتون . ولكن هذه المؤخرة صدت بعد معركة قامت بينها وبين الانكليز بالسلاح الابيض .

وكانت خسارة الاتراك في هذه المعركة سبعين قتيلًا . وقصارى القول : ان المحاولات التي قام بها الاتراك بين ٢٦ و ٣٠ ديسمبر لاجل استرداد القدس فشلت . وقد اضطروا لمغادرتها . فغادروها ، بعد ان قضوا فيها اربعمئة سنة على التمام (١٥١٧ - ١٩١٧) .

١٦ - اول بيان اذاعه اللورد النبي على الالهين :

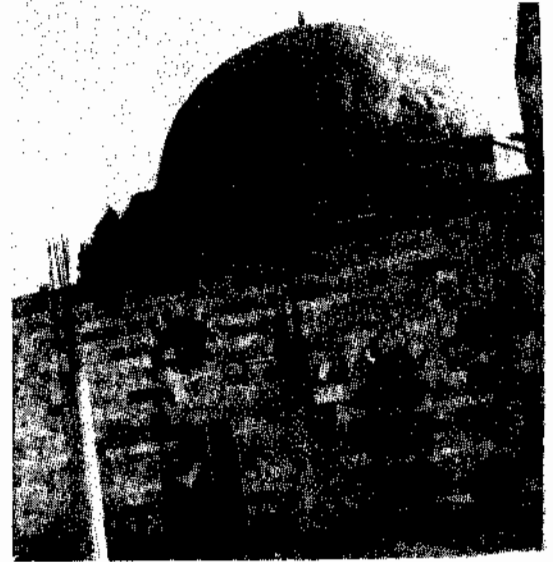
عندما دخل اللورد النبي القدس بعد يومين (اي في ١١/١٢/١٩١٨) دخلها ماشياً من باب الخليل . واذاع على سكان بيت المقدس ، من على درج القلعة الواقعة بباب الخليل البيان التالي :

« الى سكان بيت المقدس واهالي القرى المجاورة :
« ان انهزام الاتراك امام الجيوش التي تحت قيادتي ، ادى الى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي . وفي الوقت الذي اذيع عليكم فيه هذا النبأ ، اعلن الأحكام العرفية . وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية . ولئلا ينالكم الجرع ، كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا ، اريد ان اخبركم انني ارغب ان أرى كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون ، دون ان يخشى اي تدخل من قبل اي كان .

« وفضلاً عن ذلك بما ان مدينتكم محترمة في نظر اتباع الديانات الثلاثة الكبرى ، وتراها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من ابناء الطوائف الثلاثة المذكورة منذ اقرون واجيال ؛ اود ان احيطكم علماً بأن كل بناء مقدس ، ونصب ، ومكان مقدس ، او معبد ، او مقام ، او مزار ، او اي مكان مخصص للعبادة من اي شكل والى اية طائفة من الطوائف الثلاثة ؛ سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادات والعنعنات المرعية وبالنسبة الى تقاليد الطائفة التي تملكها . »



غزة



الجامع الكبير في غزة (من الخارج)

الجامع الكبير في غزة (من الداخل)

ألم به الخراب وهدمت مئذنته أثناء القتال (١٩ نيسان ١٩١٧)

هذا هو مظهر واحد من مظاهر الخراب الذي ألم بالبلاد في أثناء الحرب العالمية الاولى

(١٩١٧ - ١٩١٤)

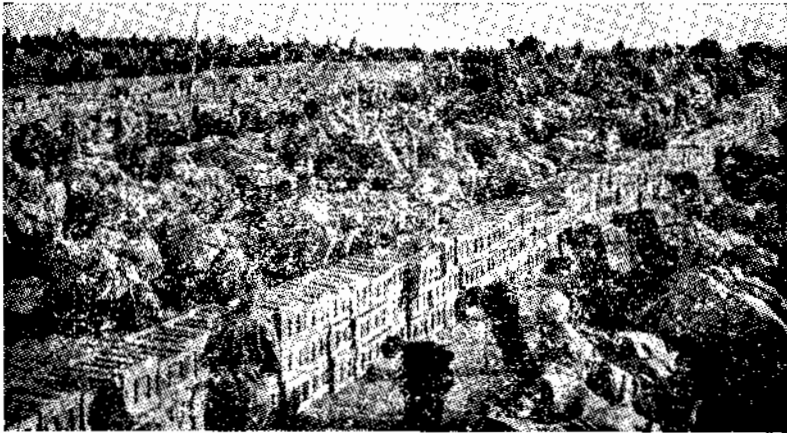


اللفتنانت جنرال تشارلس دوبل
القائد البريطاني في معارك غزة



الجنود الاتراك

يستعملون الرشاشات سريعة الطلقات



معدات القتال لفتح القدس ينقلها فيلق الجمالة التابع للجيش البريطاني



جنديان بريطانيان

كانا اول من دخل القدس . ويرى الى جانبها رئيس البلدية حين سليم الحسيني
وعد من ابناء المدينة



الميجور جنرال واطسون

اول من دخل القدس من الضباط البريطانيين وهو مساعد القائد العام
ويرى الى جانبه واقفاً رئيس البلدية حسين سليم الحسيني

٢٥٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح . وقد أسر منهم ١٢٠٠٠ رجلاً منهم ١٨٠٠ تركي أسروا في جبهة القدس .

ويقول الذين تتبعوا مجرى الحرب في ذلك العهد ، ان الاتراك ما كانوا ليندحروا في هذه الجبهة ، لو كانت قلوب العرب سكان البلاد معهم . اذ كان هؤلاء تواقين الى الاستقلال . وكانوا في اواخر الاحتلال التركي ، ينظرون الى الاتراك نظرة بغض وازدراء . وقد هرب قسم كبير من الضباط والجنود العرب الذين كانوا في الجيش التركي ، والتحقوا اما بجيش النبي رأساً او بالجيش العربي الذي كان يقوده الامير فيصل بن الحسين ، بعد ان اعلن ابوه الملك حسين بن علي الثورة ضد الاتراك في ٥ حزيران سنة ١٩١٦ . وكان الجيش العربي يؤلف الجناح الايمن لجيش النبي . حتى ان اللورد النبي نفسه قد اعترف بعد انتهاء معارك فلسطين بفضل العرب الاكبر في سقوط العقبة وبئر السبع وغزة والقدس ؛ كما اعترف بفضلهم على الحلفاء بوجه عام ، والانكليز بوجه خاص من حيث كسب الحرب .

هذا ولا بد لنا ، قبل ان نختم هذا الفصل ، من القول ان جمال باشا ، عندما ايقن ان العرب لا يؤيدون الاتراك في حملتهم ، قبض على عدد كبير من احرار بلاد الشام (سورية وفلسطين ولبنان) . فساقمهم الى عالية . وهناك حوكموا محاكمة صورية ، وحكم عليهم بالاعدام من قبل محكمة عسكرية ؛ لا لسبب ، سوى انهم تمسكوا بقوميتهم وانضموا الى الثورة العربية التي كانت تستهدف استقلال بلادهم . وكان بين الذين علقوا على اعواد المشاتي في بيروت ودمشق والقدس (١٩١٥) عدد غير قليل من الفلسطينيين . واما عدد الشهداء من سورية ولبنان فاثنتان وثلاثون . وكان هذا من

١٧ - لماذا غلب الاتراك على امهم : ان السبب في هذا الاندحار هو قلة استعداد الاتراك في هذه الجبهة ، وعدم انتباههم اليها في بادئ الحرب (١) ، وعدم تعاون رجال القيادة من اترك والممان ، وقلة وسائل النقل وقلة الذخائر والمؤن . اضيف الى ذلك ان الدولة العثمانية كانت مفككة الاجزاء ، لا تعرف النظام والتنظيم . وكانت عوامل الجهل والفوضى والاضطراب سائدة في كل مكان . واما الانكليز فقد كانوا اعلم من الاتراك ، وكانت وسائلهم اكثر وامتن . وكانت لهم سكة حديدية . وقد مدوا قساطل الماء على طول هذه السكة . وكان لديهم ٧٤٠٠٠ عاملاً مصرياً (٢) يشتغلون بالطرق والاستحكامات الحربية ، وكان لديهم ٢٨٠٠٠ جملاً . وكان لدى القيادة العامة فضلاً عن ذلك ٣٥٠٠٠ جملاً . اضيف الى ذلك وسائل النقل البحرية . وقصارى القول كانت قوة الانكليز اربعة اضعاف القوة التركية . وكانت هذه القوة مجهزة تجهيزاً تاماً ، وكانوا يسيطرون على البر والبحر والجو .

ومع ذلك فقد قاوم الاتراك مقاومة شديدة ، وابدوا بسالة ممتازة استحقوا الاعجاب من اجلها . فكانت خسارة الانكليز في معارك القدس من ١٥ نوفمبر الى ٩ ديسمبر ١٩١٧ (١٦٦٧) قتيلاً . واما مجموع خسائرهم بين بئر السبع والقدس ، فكانت ١٨٠٠٠ بين ضابط وجندي . وقد خسر الانكليز خلال الشهرين الاخيرين عشرة آلاف حيوان من خيل وجمال وحمر وبغال . واما الاتراك فكانت خسائرهم

(١) هذا ما يقوله الاتراك انفسهم . راجع كتاب (فلسطين جبهة سي) .

(٢) وقبل ان هذا العدد كان حوالي ٥٥٠٠٠ . ارجع الى كتاب (جيشنا في فلسطين) لفيوزباشي السيد فرج . الصفحة ٢٣ .

(١٩١٧) الى خمسة الوية هي : القدس ، ويافا ، وغزه ، وبئر السبع ، والخليل . ثم زيد عدد الالوية فجعل ثمانية (١٩١٨) . وعهد بإدارة البلاد الى حكام عسكريين . ووضع في كل من نابلس ، وجنين ، وطولكرم ، وحيفا ، والناصرة ، وعكا ، وطبرية ، وصفد ؛ حاكم عسكري .

وفي ١ يوليو ١٩٢٠ خفض عدد الالوية من ثمانية الى سبعة : Districts وذلك بجعل جنين تابعة لنابلس ، وطولكرم الى حيفا ، ويافا والخليل الى القدس .

واليك اسماء الالوية السبعة :

القدس ، يافا ، بئر السبع ، غزه ، فينيقيا (حيفا) ، الجليل (الناصرة) والسامرة (نابلس) . اتخذ اللورد اللثني ، في بادىء الامر ، مدينة (اللد) مقراً له . وماكاد الامر يستتب في (القدس) حتي جعلها هي المقر . واقام عليها حاكماً عسكرياً هو الجنرال بل بورتون General Bill Borton . وكان هذا يحمل لقب (باشا) . وكان قبل مجيئه الى فلسطين ، مديراً عاماً لمصلحة البرق والهريد في مصر . ولكنه لم يبق في منصة الادارة اكثر من اسبوعين . اذ استقال من منصبه بسبب سوء صحته . فخلفه في الادارة السرا الكسندر بيرد Sir Alexander Baird . ثم جاء السر رونالد ستورس Sir Ronald Stores . وكان هذا قبل مجيئه لفلسطين ، السكرتير الشرقي لدار المندوب السامي في القاهرة . ومكث طويلاً في القدس .

انه هو الذي اسس الجمعية التي عرفت فيما بعد باسم : (جمعية محبي القدس) . ومن اهدافها تحسين مدينة القدس من الناحية العمرانية والاثريه ، والاحتفاظ بقدسيتها . وقد استحضر من بلاد

جملة الاسباب التي جعلت نار الثورة تزداد اضطراباً ،



« السفايح جال باشا »

وادت في النهاية الى اندحار الاتراك وخروجهم من هذه البلاد .

١٨ - الادارة العسكرية : عندما احتل

اللورد اللثني فلسطين كلها ، ادارها ادارة عسكرية . وقد اطلق عليها يومئذ . Occupied Enemy Territory Administration (اي ادارة بلاد العدو المحتلة) . وراح يدير البلاد مدراء عسكريون ، باسم (المدير العام لبلاد العدو المحتلة) . واليك اسماء المديرين الذين عهد اليهم بإدارة فلسطين في ذلك الحين :

البريجادير جنرال كلايتون

١٩١٧/١٢/٩ - ١٩١٨/٢/٢٨

الميجور جنرال السرموني

١٩١٨/٣/١ - ١٩١٩/٧/٣٠

الميجور جنرال السرواطسن

١٩١٩/١٢/٣١ - ١٩١٩/٨/١

الميجور جنرال السربولز

١٩٢٠/١/١ - ١٩٢٠/٦/٣٠

وقسمت المناطق التي تم احتلالها في بادىء الامر

الى القدس . وكان في بادئ الامر على جبل الطور في البناء الالماني المعروف بالمطلع (اوغوستا فكتوريا) ثم انتقل الى الدار الجديدة التي بنتها حكومة فلسطين فوق جبل المكبر .



الورد الانبي

يزور الحرم برفقة المفتي كامل الحسيني

١٩ - وعد بلفور : وفيما كان سكان البلاد يتوقعون ان يُعهد اليهم بادارة بلادهم عملاً بوعد الحلفاء وتصريحاتهم المتكررة ؛ رأوا ، وبألهول ما رأوا ، ان البلاد راحت تدار بأيد انكليزية . وراح الانكليز يديرونها كما يشاؤون . لا ، كما يشاء الشعب نفسه وما تقضي به مصلحته . ليس هذا فحسب ، بل ان الادمغة التي تدير اداة الحكم ادمغة يهودية يحته : انها دماغ السر هربرت صموئيل المندوب السامي الأول ، والاضون نورمان بنتوئيش النائب العام والمستشار القضائي للمندوب ؛ ومن ورائها (الوكالة اليهودية) التي ورد ذكرها بعدئذ في صك الانتداب .

الانكليز مهندسا اخصائيا في شؤون التنظيم ، ليقوم بهذه المهمة . انه المستر آشي ، وقد ولاه امانة السر .

قلنا ان من اهداف هذه الجمعية تحسين المدينة وتنظيمها . ولكن امانة التاريخ تقتضينا ان نقول ان من اهدافها ايضا - وان شئت فقل : هدفها الاصلي - هو افهام العالم الخارجي ان سكان البلاد - على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم - راضون (؟) عن الحكم البريطاني ! . بذلك على هذا اعضاء الجمعية . وهم خليط من الانكليز والعرب واليهود ومن رؤساء الطوائف المختلفة . واليك اسماءهم :

رئيس البلدية موسى كاظم باشا (وقد خلفه في الرئاسة راغب بك النشاشيبي) . مدير الآثار . المفتي الاكبر كامل افندي الحسيني . حارس الاراضي المقدسة ورئيس الابهاء الفرنسيين . بطريرك الروم . بطريرك الارمن . رئيس الطائفة اليهودية . رئيس المجلس الصهيوني . الاب ابل الكبتن بارلوزي . بن يهودا . الكبتن كرزويل مفتش الآثار . الدكتور رايدر . البروفسور باتريك جلدس . هاراري لوك . ماكي مفتش الآثار . ميوحاس . لازاروس بول . ريشموند . سلامة . ناحوم سلوش . يعقوب سبافورد . الاب فنسان . جون وايتنغ (امين الصندوق) داود يلين آشي (سكرتير) .

كان حاكم القدس في بدء عهد الاحتلال يقيم في فندق قائم تجاه السور والى الغرب من باب الخليل . ثم انتقل الى البناء الالماني الواقع بباب العمود والمعروف بمنزل القديس بولس (مدرسة شيد الآن ١٩٦٠) ، ثم انتقل الى البناء الذي تملكه بطريركية الروم في داخل المدينة ، عند باب الخليل وعلى بعد مئتي متر من السور الى الشمال (دار البلدية الآن ١٩٦٠) . واما مقر الحاكم العام ، فقد نقل من الد

يتساءلون : اين هذا الوعد . . . وعد بلفور . . . من الوعد الذي سبقه بسنتين ، وقد قطعتة بريطانيا للملك حسين ، يوم طلب منها مكافأة لقيامه ضد الاتراك « ان تعترف باستقلال البلاد العربية من مرسين واذنة شمالا حتى البحر الهندي جنوبا ، ومن فارس وخليج البصرة شرقا حتى البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط غربا ^(١) » . بل اين هو من الثورة نفسها التي اعلنها الحسين بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩١٦ والتي انضم اليها زهرة شباب العرب من فلسطين والعراق ومن كل مكان ، والتي قال عنها اللورد اللنبي في تقريره الذي رفعه الى وزارة الحرب فور انتهاء القتال : « ان ثورة العرب ضد الترك قد ساعدت الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب » .

٢١ - معاهدة سايكس - بيكو : وسمع العرب ، في الوقت نفسه ، بالمعاهدة التي عقدتها ^(٢) بريطانيا مع فرنسا ، والتي اقتسمت هاتان الدولتان المستعمرتان بموجبها هذا الجزء من الشرق . وقد تعهدتا ببسط حمايتهما على سورية (فرنسا) والعراق (بريطانيا) . على ان تنشئ كل منهما في المنطقة المخصصة لها اي نوع من انواع الحكم (المباشر او المراقب) بعد الاتفاق مع الحكومة المحلية « ؟ » .

(١) رضي الملك حسين في المخابرات التي جرت بينه وبين السير هنري مكماهون المندوب البريطاني في مصر بين ٢٤ تموز ١٩١٥ ، ١٠ آذار ١٩١٦ ان يستني من الوعد عدن . ووافق على ارجاء البحث في مستقبل العراق على ان يبقى هذا تحت الادارة الانكليزية لمدة قصيرة . واصرا الانكليز على استثناء لبنان والاعتراف بما لحقهم فرنسا من مصالح في ذلك الجزء من البلاد . ولم يرد في تلك المخابرات ما يشير الى ان الانكليز استثنوا فلسطين من وعدم للعرب ، او انهم يتوون انشاء وطن قومي لليهود فيها .

(٢) عقدت في ١٩١٥ ، اي قبل صدور وعد بلفور .

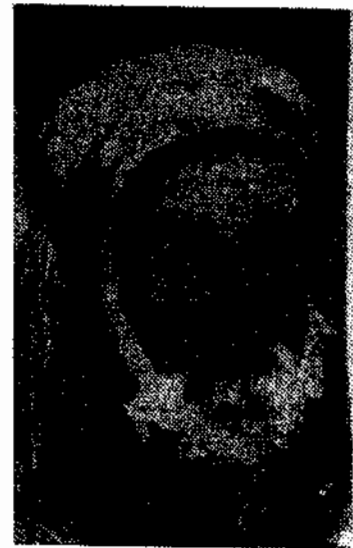
وما لبث الشعب العربي ان سمع بوعد بلفور . ذلك الوعد الذي منحه الانكليز على لسان وزير خارجيتهم اللورد آرثر بلفور الى اليهود عن طريق زعيمهم روتشيلد . اذ ارسل اليه في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ كتاباً قال فيه :

عزيزي اللورد روتشيلد

« يسرني جداً ان ابليكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بان حكومة جلالتة تنظر بعين الرضا الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتبذل الجهود في سبيل ذلك ؛ على ان لا يجري شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود في فلسطين ، او يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان الاخرى » .

والغريب في الامر ان هذا الوعد بقي في طي الخفاء . فلم يذع الا بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، ولم يعد الانكليز في حاجة لرضا (؟) العرب الذين كانوا - قبل الحرب - يحرصونهم على ترك الاتراك والانضمام اليهم ! . . .

٢٠ - وعد بريطانيا للملك حسين : فراح العرب



« الحسين بن علي »

وسن لها من الانظمة والقوانين ما جعلها - في



«السر هيربرت صموئيل»

«المنذوب السامي الاول»

النهاية -- صالحة : لا ، الى انشاء وطن قومي يهودي
فحسب ؛ بل والى تأسيس (دولة اسرائيل) (١) .

دخل السر هيربرت صموئيل مدينة القدس
بحراسة الجند، تدعهم المدافع والمصفحات والطائرات؛
خشية ان يغتاله العرب. بدأ العرب يومئذ يشعرون
ان الانكليز لا يريدون بهم خيراً ولكي يخفف من
حدة الغضب الذي استولى على الشعب العربي في
فلسطين؛ كان اول عمل عمله هذا المنذوب ان اعلن
العفو العام عن جميع المحكومين في الثورة التي
قامت قبل مجيئه ، في القدس وفي جميع أنحاء البلاد
احتجاجاً على (وعد بلفور) . الا اثنين من
المحكومين ، ألا وهما مؤلف هذا الكتاب ورفيقه

واما « فلسطين » فقد نصت المادة الثالثة من
تلك المعاهدة التي اسميت يومئذ : (معاهدة سايكس
- بيكو) على انشاء ادارة دولية فيها ، على ان يعين
شكل تلك الادارة بعد استشارة روسيا وبالاتفاق
مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة .

واعطت المادة الرابعة من هذه المعاهدة مينائي
حيفا وعكا لبريطانيا . وفي المادة الخامسة نص على
ان تكون حيفا ميناءاً حرّاً لتجارة فرنسا ومستعمراتها .
ويجوز لفرنسا ان تستعمل السكك الحديدية في
فلسطين .

وفي المادة الثانية عشرة والاخيرة نص ، تعهده
الفريقان ان يراقبا جلب السلاح « ؟ » الى اي بلد من
البلاد العربية .

هذا موجز لمعاهدة سايكس (١) - بيكو (٢) .
اقتبسنا منها هنا النقاط التي لها صلة بفلسطين .

٢٢ - الادارة المدنية والمنذوب السامي

الاول السر هيربرت صموئيل : في اليوم الاول من
شهر تموز (يوليو) ١٩٢٠ قلبت ادارة فلسطين من
عسكرية الى مدنية ، وجعلت تحت رقابة وزارة
الخارجية . غير انه لم يطل الوقت ، حتى انتقلت
من وزارة الخارجية الى وزارة المستعمرات .

وكان اول عمل عملته الحكومة البريطانية ان
عهدت بإدارة هذه البلاد الى مندوب سام هو :
السر هيربرت صموئيل Sir Herbert Samuel
P. C. ، G. B. E. انه يهودي ، وصهيوني صميم .
مكث في البلاد خمس سنين (١٩٢٠ - ١٩٢٥) .

(١) انه السر مارك سايكس Sir Mark Sykes
وهو من رجال وزارة الخارجية البريطانية .

(٢) انه الميو جورج بيكو M. Georges Picot

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا المنذوب وعن صديقه الاخون
نورمان بنتويش المستشار القضائي لحكومة فلسطين ، وعن
الخدمات التي اديها لبني قومها اليهود ، في كتابنا : (النكبة) .

واحد وعشرون قرية عربية من مجموع القرى التي كانت هناك وقدرها ٢٢ من سكانها العرب . وقد بلغ عددهم يومئذ ثمانية آلاف . باعها آل سرسق من مسيحي بيروت . والحكومة الفلسطينية التي كان يرأسها هربرت صموئيل هي التي سهلت معاملة البيع والشراء ؛ هذا بالإضافة الى انها لم تهتم بمصير المزارعين الذين كانوا يعيشون من نواتجها .

ونشرت الصحف العربية التي كانت يومئذ تصدر في فلسطين^{١١} هذه الأرقام الخيفة عن الهجرة وبيع الأراضي ؛ فصعق أبناء البلاد ، وراحوا يمتطرون الحكام برسائل الاحتجاج . وقامت مظاهرات صاخبة في طول البلاد وعرضها . وكانت قد اتهم اخبار تقول ان الحلفاء ينوون فرض الانتداب على فلسطين ، وان الحكومة البريطانية هي التي ستنتدب لإدارة البلاد . فقامت في طول البلاد وعرضها ، ولا سيما في مدينة القدس . . مركز الحكم . . مظاهرات صاخبة . اشترك فيها المسلمون والمسيحيون

(١) جريدة (الكرمل) في حيفا لصاحبها نجيب نصار . وجريدة (فلسطين) في يافا لصاحبها عيسى العيسى . وجريدة (سورية الجنوبية) لصاحبها حسن البديري ومؤلف هذا الكتاب . وكانت هذه أول جريدة صدرت في القدس بعد الاحتلال .

وقد اسميها ؛ (سورية الجنوبية) لاعتقادها بان وحدة فلسطين وسورية أمر لا بد منه ، اذا ما اريد انقاذها من شر الاستعمار والصهيونية . وهما من القائلين بوحدة عربية تشمل الجزيرة العربية كلها ؛ من ادناها الى اقصاها . ولهذا تعرضا لغضب الحكومة ، وكثيرا ما اغفلت جريدتها ، وعطلتها عن الصدور . وكذلك قل عن الجرائد الاخرى التي صدرت بعدها . ومنها : جريدة (مرآة الشرق) لصاحبها يوليس تتعاده . و (بيت المقدس) لصاحبها بنسلي الياس مشهور . و (القدس الشريف) لصاحبها حسن صفدي الدجاني . و (الاقصى) لصاحبها صالح عبد اللطيف الحسيني . و (لسان العرب) لصاحبها ابراهيم سليم النجار .

الحاج امين الحسيني ؛ فقد استثناهما من العفو ، الا اذا استسلما للسلطة الحاكمة . وكانت المحكمة العسكرية قد حكمت عليهما بالاعدام ، بسبب اشتراكهما في القتال الذي جرى في القدس بين العرب واليهود في ٤ نيسان ١٩٢٠ .

وكان الجنرال بولز قد خفض حكم الاعدام الى السجن عشر سنين . وقد ظلّا طليقيين الى ان صدر العفو عنها . فرجعا الى البلاد . وفي الوقت الذي كان هذا المندوب يبدي عطفه (؟) على العرب ويتقرب من زعمائهم ، كان يبحث بني قومه اليهود كي يغدوا السير ، فيسيروا الى الامام ، وينشئوا اكبر جزء ممكن من وطنهم القومي على عهده .

وفي عهده منح اليهود (امتيازات) للقيام بعدد من المشاريع العمرانية الضخمة . منها وأهمها : مشروع توليد الكهرباء من نهر الاردن وروافده ، واطاعة قسم كبير من فلسطين . ذلك المشروع الذي منحه الحكومة للمهندس المعروف روتنبرغ وهو يهودي من اصل روسي .

واتخذ اليهود هذه المشاريع حجة لجلب اكبر عدد ممكن من ابناء قومهم من خارج البلاد . وآزرتهم الحكومة البريطانية . فراحوا يفدون اليها من كل حذب وصوب . وبعد ان كان عدد اليهود في فلسطين يوم دخل البلاد ٥٣,٠٠٠ اصبحوا يوم خروجه منها ١٠٣,٠٠٠

وفي زمنه تضاعفت مساحات الأراضي التي تملكها اليهود . فاصبحت بنسبة ٦ الى ٧ في المئة من مجموع الأراضي الفلسطينية .

ولئن نسبنا ؛ فلا ، ولن ننسى ان مئتي الف دونم من اراضي مرج بن عامر العربية بيعت الى اليهود على عهده بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٥ . فأخليت

ومع ذلك فقد مضت السلطة في تدابيرها القاسية للحد من الشعور الوطني ولتوطيد دعائم الوطن القومي اليهودي، لا في يافا أو القدس وحدهما، وإنما في فلسطين كلها. من ذلك أنها في الوقت الذي راحت تزود المستعمرات اليهودية بالسلاح وتدريبهم على القتال؛ حظرت على الأهالي حمل السلاح واستعماله، وفرضت عليهم عقوبة السجن المؤبد والاعدام.

ولكي تحول دون اتحاد الشعب العربي في فلسطين فقد بذلت كل ما في استطاعتها لتضرب الاسر المعروفة بعضها ببعض الآخر. ولا سيما في القدس، عاصمة البلاد، ومستقر الزعماء. فأقالت موسى كاظم باشا الحسيني من رئاسة البلدية، ووضعت مكانه راغب بك النشاشيبي. ووضعت الحاج امين الحسيني على رأس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى. وراحت الاسرتان وهما من الاسر المعروفة بفلسطين، تتنافسان من اجل الزعامة والنفوذ. وسرى الانقسام الى سائر الاسر والاحزاب، فانقسم الفلسطينيون بوجه عام والمقدسيون بوجه خاص الى شطرين: شطر يؤيد هذا وآخر يعضد ذاك. واهتبل الانكليز هذه الفرصة - التي كانوا هم من اهم الاسباب التي ادت الى خلقها - فراحوا يقوون وسائل استعمارهم. كما اهتبلها اليهود، فراحوا يوطدون دعائم وطنهم القومي. وكانوا يهدفون الى امتلاك البلاد كلها، وليس القدس وحدها. الامر الذي جعل المخلصين من ابناء فلسطين يتنادون لعقد مؤتمر يضم شملهم.

٢٤ - المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع: وقد انعقد المؤتمر في القدس. وكان ذلك بتاريخ ٢٥

على حد سواء. واشترك فيها النساء الى جانب الرجال. ونادى المتظاهرون برفض الانتداب ورفض الوطن القومي اليهودي. وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية وبيع الارض لليهودي. ووقف الجيش في اوجه المتظاهرين. فوقع عدد غير قليل من القتلى والجرحى. وسجن كثيرون. واعلن الحكم العرفي في البلاد.

٢٣ - المجلس الاستشاري: يبدو ان الانكليز

اعتقدوا ان اشرار عدد من ابناء البلاد في الادارة يخفف من غضبهم. فاعلنوا انهم يعتزمون استشارة السكان في ادارة البلاد. وقد اسسوا بالفعل (اكتوبر ١٩٢٠) مجلساً استشارياً من عشرة اعضاء رسميين، هم من اعضاء حكومة فلسطين؛ ومن عشرة غير رسميين يمينهم المندوب السامي: ٤ من المسلمين و ٣ من المسيحيين و ٣ من اليهود. ولكنهم، عادوا فعملوا عن هذه الفكرة، عندما ايقنوا ان العرب لم يتحمسوا لها.

وحدثت، بعد ذلك، اضطرابات في يافا؛ ادت الى اقتتال العرب واليهود. فأقفلت المدينة وسادت القوضى. وامتد لهيب الاضطرابات الى المستعمرات اليهودية. فقتل من جراء ذلك ٩٥ قتيلاً (٤٨ من العرب و ٤٧ من اليهود) وجرح ٢١٩ شخصاً (٧٣ من العرب و ١٤٦ من اليهود). وتألفت، اثر ذلك، لجنة للتحقيق في أسباب هذه الاضطرابات؛ ترأسها قاضي القضاة السروتوماس هيكرافت. فقال هذا في تقريره ما ملخصه: «ان ما حدث في يافا هو نتيجة حتمية لشعور القلق والكراهة السائدة ضد اليهود. وهذا ناشى عن الخطة التي تسير عليها الحكومة في تأييد فكرة «الوطن القومي اليهودي».

للفكرة الصهيونية ؛ الا وهو : المستر ونستون تشرشل . وهو ، وان كان انكليزياً ، إلا انه صهيوني صميم ! . وزار هذا القدس .

وقال في الخطاب الذي وجهه للوفد الفلسطيني بتاريخ ١ آذار (مارس) ١٩٢٢ : « ان ما ذهب اليه الوفد العربي من اعتقاد بان حكومة صاحب الجلالة تعهدت في اثناء الحرب باقامة حكومة قومية مستقلة في فلسطين ، اعتقاد لا يطابق الواقع . وان الكتاب الذي استشهد به الوفد في حديثه - وهو الذي وجهه السر هنري مكماهون المندوب السامي في مصر الى شريف مكة وهو اليوم الملك حسين ملك الحجاز وكان ذلك بتاريخ ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٥ - وان اعترف باستقلال العرب وبتعصيد ذلك الاستقلال ، الا أنه قيد ذلك الاعتراف بتحفظ القصد منه استثناء تلك الاقسام من سوريا الواقعة غربي قضاء دمشق . وما زالت حكومة جلالتة ترى في هذا التحفظ تحفظاً يشمل ولاية بيروت وسنجد القدس المستقل . ففلسطين كلها غربي الاردن اخرجت عن فحوي عهد السر هنري مكماهون » .

وختم تشرشل خطابه بقوله : « ان حكومة صاحب الجلالة مقيدة بعهد سابق لعهد جامعة الامم . فما يسمعها بعد ان اضطلعت بالمسؤولية عن هذه البلاد لدى دول الحلفاء الرئيسية ، ان تسمح بانتشار حالة دستورية فيها ، قد تجعل القيام بتنفيذ تعهد جليل (؟) صدر عنها وعن اولئك الحلفاء في حيز عدم الامكان .

ففهم الوفد ان الحكومة البريطانية مصممة على المضي قدماً في تنفيذ (وعد بلفور) وتأييد اليهود الى ابعد الحدود .

حزيران ١٩٢١^(١) . وقرر المؤتمر انتداب وقد يسافر الى اوربا ، ليبسط القضية الفلسطينية امام الرأي العام الاوربي ، ولا سيما في بلاد الانجليز . وسافر الوفد وهو الاول من نوعه الى لندن عن طريق القاهرة وروما وباريز . وكان مؤلفاً من موسى كاظم باشا الحسيني (رئيساً) والحاج توفيق حماد ، وامين التميمي ، ومعين الماضي ، وابراهيم الشاس ، وشبلي الجمل (اعضاء) . ولم يترك الوفد



« الوفد العربي الفلسطيني الاول »

في اوربا وفي بلاد الانكليز باباً الا طرقه : في الصحف والبرلمان وفي كل مكان . وطلب الوفد استقلال فلسطين والاعتراف بحقوقها الطبيعية في اقامة حكم نيابي ، واتحادها مع باقي البلاد العربية . كما طلب الغاء وعد بلفور ، وجلاء الجنود الاجانب عن البلاد . وبذل جهده للحيلولة دون فكرة الانتداب . ولكن الوفد فشل في مهمته . اذ كان يقوم على رأس وزارة المستعمرات البريطانية يومئذ رجل من اشد رجال الانكليز انتصاراً

الامور .

ولهذا اعتزموا المضي في كفاحهم . وقرروا ارسال وفد - هو الثاني من نوعه - الى لوزان ولندن . وألف الوفد - المرة هذه - من موسى كاظم باشا . وامين بك التميمي . والحاج توفيق افندي حمادة . والسيد شبلي جميل .

٢٦ - **صك الانتداب** : وفيما كان عرب فلسطين يعملون جاهدين ، من اجل الوصول الى اهدافهم القومية ، كان اليهود يعملون بجهد اعظم لتنفيذ صك الانتداب . ذلك الصك الذي اقرته (عصبة الامم) في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ . وقد وضع موضع التنفيذ في فلسطين بتاريخ ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢ . واليكه كما اقرته عصبة الامم^(١) في جنيف :

« لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد اتفقت تنفيذاً لنصوص المادة ٢٢ من ميثاق جامعة الامم - على ان تعهد الى دولة منتدبة تختارها الدول المذكورة في ادارة فلسطين التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية ضمن الحدود التي تعينها الدول المذكورة . ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد وافقت ايضاً على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ وصادقت عليه الدول المذكورة بان ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي مع البيان الجلي بان لا يفعل شيء يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ، ولا

وعبثاً حاول الوفد اقناع الحكومة بخطل سياستها . وفي الجواب الذي ارسله الى الوزير بتاريخ ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٢٢ فتد اقاله . ومما قاله الوفد : « ان تأييد وعد بلفور مناف لما وعدت به الملك حسين . . . وان وعد بريطانيا للملك حسين صدر قبل وعدها لليهود . . . وان هذا الوعد (اي وعد بلفور) مناف للتصريح البريطاني - الافرنسي الذي أعلن في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ . كما انه مناقض للمادة ٢٢ من عهد عصبة الامم . وبصدور هذه المادة من عهد العصبة اصبح وعد بلفور لغواً . فان هذه المادة تمنح فلسطين انتداباً من نوع (آ) لا من نوع (ب) . اي انها تعترف باستقلال الامة الفلسطينية بشرط ان تقدم لها المعونة والارشاد الاداري دولة منتدبة » .

٢٥ - **المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس** : في ٢٢ آب (اغسطس) ١٩٢٢ تنادي عرب فلسطين ، ففقدوا مؤتمرهم في نابلس ؛ هو المؤتمر الخامس . وفيه استعرضوا من ناحية اقوال تشرشل وزير المستعمرات ، ومن الناحية الاخرى اقوال الوفد الذي عاد من لندن . وقد ايقنوا ان الحكومة البريطانية تماطلهم . وهي قنوي المضي قدماً في تهديد السبيل وجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود .

وقد عرضت عليهم الاشتراك في (مجلس شرعي) قررت تأسيسه عملاً بالدستور الذي نشر في تلك السنة (١٩٢٢) ؛ على ان يكون هذا المجلس مؤلفاً من احد عشر عضواً رسميين واثنى عشر عضواً غير رسميين ، ينتخبهم الشعب : ثمانية من المسلمين واثنان من المسيحيين واثنان من اليهود . ولكن العرب رفضوه ، لا اعتقادهم انه لا يحقق امانهم . ويحصر السلطة كلها بيد البريطانيين ، ويبد المندوب البريطاني الذي أعطى : القول الفصل في جميع

(١) قال الدكتور حازم وايزمان في مذكراته ان الذي وضع صك الانتداب في صيغته الحالية هو اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانية واثنان من مساعديه هما : E. F. Adam و Ben Cohen وهذا يهودي . وانه هو ايضا (اي وايزمان) قد استشير في صوغه .

الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى .

ولما كان ذلك اعترافاً بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين والبواعث التي تبعث على اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد .

ولما كانت دول الحلفاء قد اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين .

ولما كان الانتداب لفلسطين قد صيغ في النصوص التالية وعرض على مجلس جامعة الامم لموافقتها عليه .

ولما كانت الحكومة البريطانية قد قبلت الانتداب لفلسطين وتعهدت بتنفيذه بالنيابة عن جامعة الامم طبقاً للنصوص والشروط التالية .

ولما كانت المادة ٢٢ المتقدمة الذكر في (الفقرة ٨) تنص على ان درجة السلطة والسيطرة او الادارة التي تكون للدولة المنتدبة اذا لم يتم الاتفاق عليها بين اعضاء جامعة الامم ، فان مجلس جامعة الامم ينص على ذلك نصاً صريحاً . فالمجلس بعد تأييد الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يأتي :

١ - يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة ، الا حيث اقيمت لها حدود في نصوص صك الانتداب هذا .

٢ - تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي . كما جاء في ديباجة هذا الصك وترقية انظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الاجناس والاديان .

٣ - يجب على الدولة المنتدبة ان تنشط الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الاحوال .

٤ - يعترف بهيئة يهودية لائقة كهيئة عمومية لتشجيع وتعاون في ادارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائماً .

ويعترف بان الجمعية الصهيونية هي هذه الهيئة المنصوص عليها في ما تقدم ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان نظامها وتأليفها يجعلها صالحة لهذا الغرض . وعلى الجمعية الصهيونية ان تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يرغبون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي .

٥ - تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن شي من اراضي فلسطين او تأجيرها او وضعه تحت حكومة دولة اجنبية .

٦ - على حكومة فلسطين مع كفالة عدم الخاق الضرر بحقوق جميع الطوائف ، ان تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة ، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار اليها في المادة ٤ استقرار اليهود في الاراضي الزراعية وفي حملتها الاراضي المسدورة والاراضي البور (الموات) غير المطلوبة للاعمال العمومية .

اللازمة لصون مصالح الجمهور في ماله علاقة بترقية البلاد ، ويكون لها السلطة التامة لتدبير ما يلزم لوضع يد الحكومة او سيطرتها على مورد ما من موارد البلاد الطبيعية او الاعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة او التي ستوجد فيما بعد فيها بشرط مراعاة العهد الدولية التي قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها . وعليها ايضاً ان توجد نظاماً للاراضي يلائم حاجات البلاد مع مراعاة امور اخرى منها المنافع التي تنجم عن تشجيع اكثار المهاجرة واستغلال اعظم ما يستطيع من الارض .

ويجوز لادارة البلاد ان تتفق مع الهيئة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على ان تجري او تستثمر بشروط الانصاف والعدل الاعمال والمصالح والمنافع العمومية وترقي مرافق البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة هذه الامور مباشرة بنفسها . وانما يشترط في هذه الاتفاقات ان الارباح التي توزعها الهيئة القائمة بالعمل لا تتجاوز مباشرة او غير مباشرة فائدة معتدلة لرأس المال . وكل ما يزيد على هذه الفائدة يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه حكومتها .

١٢ - يعهد للدولة المنتدبة في السيطرة على علاقات فلسطين الخارجية ، وحقوق اصدار البراءات الى القناصل الذين تعينهم الدول الاجنبية . وللدولة المنتدبة الحق ايضاً

٧ - يتعين على حكومة فلسطين ان تسن قانوناً للجنسية يتضمن نصوصاً بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم على الرعوية الفلسطينية .

٨ - ان امتيازات الاجانب وفي جملتها المحاكم القنصلية وحماية القنصليات ورعاياها وهي التي كان الاجانب يتمتعون بها بحكم الامتيازات او العرف في السلطنة العثمانية لا تكون نافذة في فلسطين . ولكن متى انتهى اجل الانتداب فان هذه الامتيازات تعاد برمتها او مع التعديل الذي يكون قد تم عليه الاتفاق بين الدول صاحبة الشأن ؛ الا اذا كانت الدول التي ظل رعاياها يتمتعون بالامتيازات المذكورة في اول آب سنة ١٩١٤ قد سبقت فتنازلت عن حق تلك الامتيازات او وافقت على عدم تطبيقها لاجل مسمى .

٩ - الدول المنتدبة مسؤولة عن ان يكفل النظام القضائي الذي ينشأ في فلسطين الحقوق القضائية للاجانب والوطنيين ، ويتضمن تمام الضمان احترام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية لجميع الشعوب والطوائف ولا سيما ادارة الاوقاف طبقاً للشريعة الدينية وشروط الواقفين .

١٠ - تكون المعاهدة المبرمة بين الدول المنتدبة وسائر الدول الاجنبية عن تسليم الرعايا الاجانب المطلوبين من فلسطين مرعية الى ان تعقد اتفاقات خاصة بذلك على فلسطين .

١١ - تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير

المحافظة على النظام العام والآداب فقط .
ويجب ان لا يكون هناك تمييز من اي
نوع كان بين سكان فلسطين بسبب
الجنس والدين واللغة ، وان لا يحرم
شخص ما من دخول فلسطين بسبب
اعتقاده الديني فقط .

يجب ان لا تحرم اية طائفة كانت
من حق المحافظة على مدارسها لتعليم
ابنائها بلقتهم ، اذ كان ذلك مطابقاً
لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها
الحكومة .

١٦ - تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن
القيام بما تقتضيه المحافظة على النظام
العام والحكم المنتظم على الهيئات الدينية
والخيرية التي لجميع المذاهب في فلسطين .
فاذا روعي هذا الشرط لا يجوز ان
تتخذ تدابير في فلسطين لعاقة اعمال
مثل هذه الهيئات او التعرض لها او
الاجحاف باي ممثل لها او عضواً فيها
بسبب دينه وجنسيته .

١٧ - يجوز لحكومة فلسطين ان تنظم على
قاعدة اختيارية القوات اللازمة للمحافظة
على السلم والنظام والدفاع عن البلاد
ايضاً بشرط ان تكون تحت اشراف
الدولة المنتدبة . ولكن لا يجوز لادارة
فلسطين استخدام هذه القوات لاغراض
اخرى غير الاغراض المعينة فيما تقدم الا
بموافقة الدولة المنتدبة . وفيما عدا هذه
الاغراض لا يجوز لادارة فلسطين ان
تجمع قوات عسكرية او بحرية او جوية ،
ولا ان تبقيها عندها . وليس في هذه المادة

في ان تشمل رعايا فلسطين وهم في خارج
بلادهم بحماية سفرائها وقناصلها .

١٣ - تتقصد الدولة المنتدبة كل التبعة المختصة
بالاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية
في فلسطين . وهذا يشمل المحافظة على
الحقوق الموجودة وضمن الوصول الى
الاماكن المقدسة والمواقع الدينية وحرية
العبادة مع المحافظة على مقتضيات الامن
العام والآداب . وتكون الدولة المنتدبة
مسؤولة امام جمعية الأمم دون سواها
عن كل ما يتعلق بذلك ، بشرط ان لا
تحول نصوص هذه المادة دون اتصاف
الدولة المنتدبة مع حكومة البلاد على
ما تراه الدولة المنتدبة لازماً لتنفيذ
نصوص هذه المادة ، بشرط ان لا يفسر
شيء في هذا الانتداب تفسيراً يخول
الدولة المنتدبة سلطة التعرض للاملاك
الاسلامية او التدخل في ادارة المعاهد
الاسلامية المقدسة المحفوظة الامتيازات .

١٤ - تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس
وتعيين الحقوق والدعاوى المتعلقة
بالاماكن المقدسة والحقوق والدعاوى
التي تختص بالطوائف الدينية المختلفة في
فلسطين . ويعرض المشروع الذي يتبع
في تعيين هذه اللجنة وتأليفها ووظائفها
على مجلس جامعة الامم ليوافق عليها .
ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها من
غير موافقة المجلس .

١٥ - يجب على الدولة المنتدبة ان تتحقق ان
الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع
شعائر العبادة مكفولتان للجميع ، بشرط

ما يمنع ادارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون للدولة المنتدبة في فلسطين . ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت ان تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية وموانئها لحركات القوات ونقل الوقود والمهمات .

١٨ - يجب على الدولة المنتدبة ان تكفل عدم التحيز في فلسطين على رعايا اية دولة تكون عضوا في جامعة الامم (وفي جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدول) اذا قيسوا برعايا الدولة المنتدبة او اية دولة اجنبية كانت في الامور المتعلقة بالضرائب او التجارة او الملاحة او تعاطي البضائع او المهن او في معاملة السفن التجارية . او الطيارات الاهلية . وكذلك يجب ان لا يكون هناك تحيز في فلسطين ضد عروض يكون منشأها في بلاد من بلدان الدول المذكورة او تكون مرسله اليها . وتطلق حرية مرور المتاجر (الترانسيت) عبر البلاد المشمولة بالانتداب بشروط عادلة .

ومع مراعاة ما تقدم وسائر شروط صك هذا الانتداب ، يجوز لادارة فلسطين ان تفرض باشارة الدولة المنتدبة من الضرائب والرسوم الجمركية ما تراه ضرورياً . وتتخذ من التدابير ما تظنه صالحاً لزيادة ترقية الموارد الطبيعية في البلاد وصون مصالح السكان . ويجوز لها ان تعقد باشارة الدولة المنتدبة اتفاقاً جمركياً خاصاً مع اية دولة كانت املاكها كلها داخلة في تركيا الاسيوية او شبه

جزيرة العرب في سنة ١٩١٤ .

١٩ - تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن حكومة فلسطين على كل اتفاق من الاتفاقات الدولية العامة المعقودة حتى الآن والتي قد تعقد بموافقة جامعة الامم في مابعد ، من جهة الاتجار بالرقائق والاتجار بالسلح والذخيرة والاتجار بالمخدرات او يتعلق بالمساواة التجارية وحرية المرور (الترانسيت) والملاحة والطيران وبالمواصلات البريكية والبريكية واللاسلكية بالملكات الادبية والفنية والصناعية .

٢٠ - تعاون الحكومة المنتدبة بالنيابة عن ادارة فلسطين في تنفيذ كل سياسة مشتركة تقررها جامعة الامم لمنع انتشار الامراض وفي جعلتها امراض النباتات والحيوانات ومكافحتها بقدر ما تسمح به الأحوال الدينية والاجتماعية وسواها من الأحوال .

٢١ - تضم الدولة المنتدبة وتنفذ في السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالانار والعاديات ينطبق على الاحكام الآتية ، ويكون هذا القانون ضامناً لرعايا كل الدول الداخلة في جامعة الامم المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية .

٢٢ - تكون الانكليزية والعربية والعبرانية اللغات الرسمية في فلسطين . فكل عبارة او كتابة بالعربية على طوابع او عمله فلسطين تكرر بالعبرانية . وكل كتابة

على كل تعديل في شروط صك الانتداب هذا .

٢٨ - يتخذ مجلس جامعة الامم من التدابير ، في حالة انتهاء الانتداب المخول بموجب هذا الصك للدولة المنتدبة ، ما يراه ضروريا لصون استمرار الحقوق المكتسبة في المادتين ١٣ و ١٤ على الدوام بضمان الجامعة ويستخدّم نفوذه لان يكفل بضمان الجامعة احترام حكومة فلسطين الاحترام التام للمعهود المالية التي اخذتها ادارة فلسطين على عاتقها في عهد الانتداب . وفي جملة ذلك حقوق الموظفين في المعاش والمكافأة .

تودع الصورة الاصلية من هذا الصك في محفوظات جامعة الامم . وترسل صور مصدق عليها بواسطة السكرتير العام لجامعة الامم الى جميع اعضاء الجامعة .

انتهى صك الانتداب .

٢٧ - المؤتمر العربي الفلسطيني السادس: عندما عاد الوفد الثاني من رحلته الى لندن وجنيف ، عقد عرب فلسطين مؤتمرهم السادس . عقدوه في يافا . وكان ذلك في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٢٣ . وقد بحثوا قضية فلسطين على ضوء البيانات التي القاها اعضاء الوفد ، بنتيجة مساعيهم . وقد فشلت جميع تلك المساعي بصدد صك الانتداب لصالح اليهود ، وباصرار الحكومة البريطانية على تأييد اليهود . وايقن الوفد ان الهدف الذي ترمي اليه بريطانيا من توطيد القومي اليهودي في هذا الجزء من الشرق ، هو اتخاذها فيما بعد حجر عثرة في سبيل اتحاد العرب ، وتكثفه يقفز الغرب منها الى الاجزاء

او عبارة بالعبرانية تكرر بالعربية .

٢٣ - تعترف حكومة فلسطين بالأيام المقدسة (الأعياد) عند كل طائفة من طوائف فلسطين أيام راحة مشروعة لافراد تلك الطائفة .

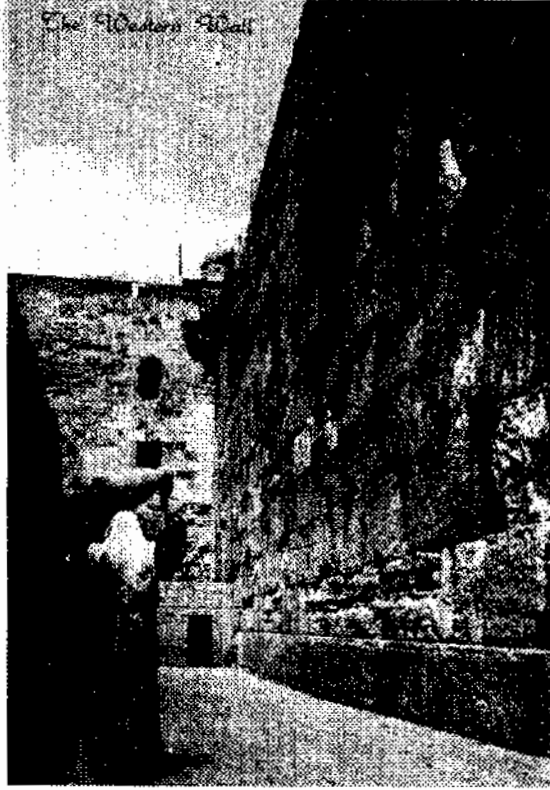
٢٤ - تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جامعة الامم تقريراً سنوياً يوضح اليه المجلس عن التدابير التي اتخذت في اثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ، وترسل نسخ من جميع الانظمة والقوانين التي تسن او تصدر في اثناء السنة مع التقارير .

٢٥ - يحق للدولة المنتدبة بسماع مجلس جامعة الامم ان تؤجل او توقف تطبيق ما تراه من هذه الشروط غير مطابق للاحوال المحلية الحاضرة في الاملاك الواقعة بين نهر الأردن والحد الشرقي لفلسطين كما سيعين في آخر الأمر وان تضع من التدابير لادارة هذه الاملاك ما تراه ملائماً لتلك الاحوال بشرط ان لا يعمل عمل يكون مخالفاً لشروط المواد ١٥ و ١٦ و ١٨ .

٢٦ - توافق الدولة المنتدبة على انه اذا وقع ما بينها (الدولة المنتدبة) وبين عضو آخر في جامعة الامم يتعلق بتفسير شروط صك الانتداب وتطبيقها بعرض هذا النزاع على المحكمة الدائمة للعدل الدولي المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من عهد جامعة الامم اذا لم يمكن حله بالمفاوضات .

٢٧ - يلزم موافقة مجلس جامعة الامم

والمقاعد والستائر معهم، واستعمال هذه الادوات اثناء تعبيدهم وبكائهم هناك .



« البراق الشريف »

وعارضهم المسلمون في هذا الادعاء ، قائلين : انه لا يحق لليهود ان يخلبوا معهم الكراسي والمقاعد والستائر او اية اداة اخرى من الادوات التي تجعل المرء يعتقد ان هذا المكان هو ملك لهم . وان كانوا (اي المسلمين) لا يمانعون في وصول اليهود الى ذلك المكان ، والبكاء عنده . وعليهم بعد ذلك ان يعودوا الى حيث كانوا . هكذا جرت العادة منذ القديم . ولا بد من العمل بموجبها . ذلك ان هذا الحائط الذي يسميه اليهود (المبكى) ليس الاجزاء من (الحرم

الاخرى من الشرق بقصد استعمارها واستغلال خيراتها .

وهذا ما حملهم (اي عرب فلسطين) على متابعة الجهد لاحباط تلك المؤامرة . فقرروا انتداب وفد ثالث ليزور عواصم الغرب ، ويشرح للعالم كله ظلامه عرب فلسطين . وقد تأسس الوفد يومئذ من موسى كاظم باشا وامين التميمي ووديع البستاني .

٢٨ - المندوب السامي الثاني : الفيلد مارشال

بلومر : بعد السر هربرت صموئيل صار مندوباً سامياً الفيلد مارشال بارون بلومر Field - Marshal Baron Plumer, G. C. B., G. E. M. G., G. C. V. O., G. B. E. وكان ذلك في عام ١٩٢٥ .

لم يختلط هذا بالشعب : لا في المدن ولا في القرى . وكان همه الوحيد توطيد الامن والنظام في البلاد . فأدارها ادارة عسكرية اكثر مما هي مدنية . ولقد اكثر من توظيف الانكليز في مختلف مصالح الحكومة ودواوينها . ولا سيما في دوائر البوليس . ووظف سيل الهجرة اليهودية على عهده ؛ لدخل البلاد من اليهود عدد كبير وصادق على مشروع استغلال البحر الميت .

ولقد اعيد النظر ، على عهده ، في تقسيم فلسطين من الناحية لادارية . فقسمت في ٢٢ يوليو ١٩٢٧ الى لوائين فقط .

٢٩ - حوادث البراق : من الحوادث التي حدثت

على عهد هذا المندوب : ان اشتد الخلاف بين المسلمين واليهود في شرايلول (سبتمبر) ١٩٢٥ حول (البراق) . اذ ادعى اليهود ان هذا الحائط الذي يسمونه (حائط المبكى) هو من بقايا هيكلهم القديم ، وانه من مقدساتهم ؛ وان لهم الحق في الوصول اليه والوقوف عنده ليذكروا مجدهم القديم وادعوا ان لهم الحق ايضاً في جلب الكراسي

وقرر المؤتمر - فيما قرروا - المطالبة بحكومة برلمانية. وبضرورة وقف سن القوانين الى ان تؤلف حكومة تمثل البلاد. واحتجوا - في الوقت نفسه - على أعمال الحكومة ؛ ومنها : الاكثار من الموظفين البريطانيين ، وترجيح العمال اليهود على العرب في اشغال الحكومة ، واستغلال املاح البحر الميت ومنح هذا الامتياز الى شركة اجنبية .

وارسل المؤتمر الى عصبة الامم في جنيف قراراتهم : رافضين (الحكم الاستعماري المطلق) . ومطالبين بالحكم الذاتي اسوة بالبلدان العربية المجاورة . واختار المؤتمر لجنة تنفيذية لمواصلة العمل من اجل تنفيذ قراراته برئاسة موسى كاظم باشا الحسيني .

٣٢ - **تكاثر النزاع حول البراق** : وعلى عهده تجدد النزاع بين العرب واليهود حول (البراق) . هذا الحائط الذي يعتبره المسلمون جزءاً من المسجد الأقصى وهو وقف اسلامي . ويعتبره اليهود من بقايا هيكلهم القديم . وقد ذكرناه وذكرنا الخلاف بين الفريقين من اجله في موضع آخر من هذا الكتاب .

ويبدو ان اليهود عندما رأوا ان عددهم في البلاد قد ازداد بسبب التسهيلات التي منحتهم اياها الحكومة للهجرة ، ازدادوا جرأة ايضاً . فراحوا يطالبون بالغاء القرار السابق الذي اصدرته الحكومة في شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٥ والذي ايدت فيه الوضع الراهن (الستاتيكو) . فحملوا معهم عندما زاروا حائط المبكى في (عيد الغفران) بعض الادوات التي منعوا في السابق من جلبها ، ومنها (ستار) وضعوه على الرصيف . وكان ذلك في ٩ آب سنة ١٩٢٨ . فاعتبر الموظف المسؤول عن الامن في تلك المنطقة عمل اليهود هذا تحدياً لأوامر الحكومة . ورفع الستار بالقوة . لأن وضعه هناك من المحدثات التي تثير ثائرة المسلمين .

القدس) الذي يملكه المسلمون منذ مئات السنين . انه ثالث الحرمين اللذين جاء ذكرهما في الحديث النبوي الشريف : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » .

وهو ، هو (المسجد الأقصى) الذي ورد ذكره في القرآن : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » .

ويعتقد المسلمون انه لما اسري بالنبي (عليه الصلاة والسلام) الى هذا المكان ربط عنده (اي عند هذا الحائط) براقه . ومن هنا جاء اسمه : (البراق) . وظل هذا الاسم معروفاً عند المسلمين منذ الفتح . وهو وقف اسلامي .

وكاد الخلاف يؤدي الى قتال ، لولا ان تدخلت الحكومة . فبحثت الخلاف من جميع وجوهه . واصدرت قرارها القائل بضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن ، محظرة على اليهود ان يجلبوا معهم اي شيء مما يدعون .

٣٠ - **المنسوب السامي الثالث : السير جون تشانسلور** : بعد الفيلد مارشال بلومر صار مندوباً سامياً للفتنانت كولونيل السير جون تشانسلور Lieut-Colonel Sir John Chancellor, G.C.M.G. , G.C.V.O. , D.S.O. وكان ذلك عام ١٩٢٨ .

٣١ - **المؤتمر العربي الفلسطيني السابع** : وفي زمن هذا المنسوب عقد الفلسطينيون مؤتمرهم السابع . عقده في القدس . وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر حزيران سنة ١٩٢٨ . ترأس المؤتمر موسى كاظم باشا الحسيني . وشهده زهاء مئتين وخمسين مندوباً من القدس ومن سائر المناطق

٣٣ - المؤتمر الاسلامي الاول : وتنادى

المسلمون . فعمدوا في القدس مؤتمراً اسلامياً . عقدوه في اليوم الاول من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨ . وقد استنكروا فيه اي عمل او محاولة ترمي الى احداث اي حق لليهود في مكان البراق . وهو مكان اسلامي . وحذروا الحكومة من اي تساهل او تفاوض تقوم به ازاء مطامع اليهود . وقد اندروها بصراحة انها اذا توانت ولم تعمل على وقف تحدي اليهود ، فسيطولون هم بانفسهم وقفه منها كلفهم الامر .

واغتم المؤتمر هذه الفرصة ، فكرر مطالبهم السابقة من حيث الحصول على الحق الذي طالما طالبوا به منذ بدء الانتداب ؛ ألا وهو : (حق تقرير المصير) . والى ان ينالوا هذا الحق ، ويحصلوا على الاستقلال المنشود ، طالبوا الحكومة باصرار ان تعمل على صد تيار الهجرة اليهودية ، ومنع بيع الاراضي العربية لليهود .

وقد استمعت الحكومة لشكاوى العرب . ولكنها لم تفعل شيئاً لوقف الهجرة وبيع الاراضي . واما الخلاف على البراق ، فقد ارسل وزير المستعمرات البريطانية الى القدس لجنة اسمها : (لجنة البراق) . وبعد تحقيق قامت به هذه اللجنة وقد استمر شهراً كاملاً ، رفعت تقريرها^(١) القائل بضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن .

٣٤ - شركة البوتاس : وفي عهد هذا

المنسوب ازداد عدد اليهود الذين جاؤا لفلسطين كهاجرين : فريق منهم جاء واسراً تحت طي الخفاء ، وآخرون جاءوا باذن من الحكومة

(١) الكتاب الابيض رقم ٢٢٩ تاريخ نوفمبر (تشرين الثاني)

البريطانية . ولكي يحددوا مبرراً لاصدار وثائق هجرة جديدة ، راحوا يرسمون الخطط لانشاء مشاريع جديدة . فبعد الامتياز الذي منحه الحكومة لسنحاس روتنبرغ لانشاء (شركة الكهرباء) التي ذكرناها في عهد المندوب الاول هربرت صمويل (١٩٢١) ، منحت في عهد المندوب الثالث هذا وهو تشانسيلور ، امتيازاً آخر لاستثمار البحر الميت واستغلال البوتاس وسائر الاملاح المعدنية فيه . منحه لاثنتين من رجال الاعمال اليهود هما : نوفومسكي وتولوخ ، كممثلين لشركة اسمياها : (شركة البوتاس الفلسطينية) . وعقد الاتفاق بين الشركة والحكومة في شهر حزيران (يونيو) ١٩٢٩ . وقد وقعه وكلاء التاج في لندن بالنيابة (؟) عن حكومة فلسطين وشرقي الاردن . وراح اليهود يطالبون بزيادة وثائق الهجرة بحجة وجود اعمال تستلزم استخدام العمال . ونشطوا في شراء الاراضي . ولم تتخذ الحكومة من التدابير ما يضمن حق العرب ، او يدل على انها جادة في الدفاع عن مصالحهم . والاستجابة لرغباتهم . فراحوا دماؤهم تغلي في عروقهم . وتوقعوا سوء المصير . فثاروا .

٣٥ - ثورة عام ١٩٢٩ : وقد اشتدت ثورة العرب في فلسطين في شهر آب ١٩٢٩ فشملت البلاد كلها : من ادناها الى اقصاها . ولا سيما في القدس ونابلس وفي حيفا وصفد وفي يافا والخليل . واشتبك الفريقان في قتال حثيثا القتيا . وقتل من اليهود ١٣٣ ومن العرب ٩١ (٨٧ مسالمون و ٤ مسيحيون) . وجرح من اليهود ٣٣٩ ومن العرب ١٨١ . وكانت اكثر اصابات العرب من الجنود البريطانيين . ولولا هؤلاء الجنود ، لقضى العرب على اليهود . وقد دمرت في تلك الثورة ست مستعمرات يهودية تدميراً تاماً .

واتى البريطانيون من معسكراتهم في مصر

من بلادهم . كما انها ستحرمهم يوماً ما من وسائل العيش الشريف .

٢- ان هذه المخاوف نفسها ستكون - بلاريب - مصدراً لثورات وقلقل اخرى لا بد ان تقع في المستقبل ان عاجلاً او آجلاً .

٣- ان الازمة التي وقعت في سني ١٩٢٧ و ١٩٢٨ نشأت في الواقع بسبب قدوم عدد من المهاجرين اكثر مما تستطيع ان تستوعبه البلاد . وهذا ما قاله السرجون كبل احد الخبراء في مسائل الاستعمار الذين انتدبتهم لجنة الابحاث العامة المشتركة . تلك اللجنة التي افتتها الجمعية الصهيونية بالاشتراك مع الزعماء اليهود غير الصهيونيين في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٧ .

٤- اذا أجيب اليهود الى طلبهم وسمح لهم بادخال ٢٥٠٠٠ مهاجر في السنة ، فانهم يصبحون اكثرية في سنة ١٩٤٨ .

٥- يتوق اليهود الى ايجاد (دولة يهودية) في فلسطين . سواء في ذلك المتطرفون منهم والمعتدلون ؛ وان اختلفوا من حيث الوسائل التي يجب ان يلجأوا اليها من اجل الوصول الى اهدافهم .

٦- يجب ان تكون الهجرة الى فلسطين متناسبة مع قدرة البلاد الاقتصادية ، بحيث لا يصبح المهاجرون عبئاً ثقيلاً على اهالي فلسطين . ويجب - في اي حال - ان يؤخذ رأي الهيئات غير اليهودية في مسائل الهجرة .

بندات من الجند . فسكنوا الثورة : والقوا القبض على عدد كبير من الثائرين . فالقوم في غياهب السجون . وساقوا بعضهم الى المحاكم ، مصفين بالاغلال . وادانت المحاكم ٧٩٢ عربياً . فحكمت على ٢٠ منهم بالاعدام . وخفض مجلس الملك الخاص حكم الاعدام فيما يتعلق بسبعة عشر عربياً . خفضه الى السجن المؤبد . واعدم ثلاثة هم : عطا بن احمد الزير ، ومحمد بن خليل جمجوم ، وفؤاد بن حسن حجازي . ولكي يثبت (؟) البريطانيون انهم عادلون حكموا على يهودي بالاعدام ، انه اليهودي الوحيد الذي أدين يومئذ . والتهمة التي وجهت اليه هي : قتل اسيرة عربية بكامل افرادها ! . وقد اتخذ مركزه الرسمي كموظف في مصلحة البوليس وسيلة لقتلها ! . فقضت المحكمة باعدامه . ولكن الحكم خفض (؟) بعد قليل الى السجن خمس عشرة سنة . ثم عفى عنه .

٣٥- لجنة شو : وارسلت الحكومة البريطانية . اثر هذه الاحداث ، لجنة للتحقيق برئاسة السر والتر شو Sir Walter Shaw وثلاثة من الاعضاء يمثلون الاحزاب البريطانية الثلاثة : المحافظين والعمال والاحرار . وهبطت اللجنة مدينة القدس . وبعد ان درست المشكلة الفلسطينية والاسباب التي ادت الى الثورة ، اصدرت قرارها^(١) في شهر آذار ١٩٣٠ . واليك ملخصه :

١- الفتنة نتيجة حتمية لمخاوف العرب . ومخاوفهم ناجمة عن اعتقادهم بان السياسة التي تتبعها الحكومة البريطانية المنتدبة بشأن الهجرة والاراضي ستؤدي حتماً الى اخضاع العرب التام ، واخراجهم

(١) الكتاب الابيض رقم ٣٥٣٠ تاريخ اذار ١٩٣٠ .

وبعد ان درس الوضع درساً دقيقاً رفع الى حكومته تقريره ، وقد جاء فيه :

١ - ان الاراضي التي بيد العرب لا تكفي لسد حاجتهم .

٢ - ان الاسرة العربية الواحدة في فلسطين تحتاج الى ١٣٠ دونماً من الارض لتتمكن من القيام بأودها . وهي لا تملك الآن سوى ٩٠ دونماً .

٣ - ان الاراضي التي بيد اليهود تزيد عن حاجتهم .

٤ - ان الارض التي يشتريها اليهود من العرب تبقى بأيديهم الى الابد . فقد حرمت الجمعيات اليهودية على أصحابها اليهود بيعها ولا تسمح لهم بتأجيرها الا الى يهود . وعندما تؤجر الى يهودي ، يشترط عليه ان لا يستخدم اي عربي فيها .

٥ - يدخل البلاد سنوياً ، بالإضافة الى المهاجرين الشرعيين ، عدد كبير من المهاجرين غير الشرعيين . يدخلونها بطريق التهريب . وهذا يزيد مشكلة الاراضي سوءاً .

٣٦- الكتاب الأبيض : وما كاد هذان التقريران يصلان الى لندن ، ويُدرسان من لدن المسؤولين من رجاها ؛ حتى اصدرت الحكومة البريطانية (٢١ تشرين الأول ١٩٣٠) بياناً أوضح فيه واجباتها كدولة منتدبة ، والخطة التي تنوي ان تلتجها في ادارة فلسطين وفقاً لصك الانتداب . وقد اسمته : (الكتاب الأبيض) . ونشرته في عدد ممتاز من الجريدة الرسمية بتاريخ ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٠ . وقد جاء فيه :

٧ - ان التدابير التي اتخذتها حكومة فلسطين لحماية حقوق المزارعين العرب ، ومنها قوانين انتقال الاراضي في ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ لم تأت بالغاية المتوخاه . فقد بقي عدد كبير من المزارعين ، بسبب انتقال مساحات واسعة من الاراضي العربية الى ايدي يهودية ، بلا ارض يعيشون منها . وفي هذا ما فيه من دليل على تقصير حكومة فلسطين .

٨ - منحت بريطانيا العراق والاردن الحكم الذاتي . وحرمت فلسطين من هذا الحق بسبب وعد بلفور . وهذا ما جعل العرب يعتقدون ان وجود اليهود بفلسطين حجر عثرة في سبيل تحقيق امانهم القومية . وهم يعتقدون ايضاً اعتقاداً جازماً ان الوعد الذي قطعه مكماهون بالاستقلال يشمل فلسطين ، وان بريطانيا خدعتهم حين وعدتهم بالاستقلال اذا ما ثاروا في وجه الاتراك . ولما ثاروا جازتهم جزاء سمار .

وقد ختمت لجنة شو تقريرها بقولها : ان الشعب العربي في فلسطين يطالب بحكومة نيابية مستقلة . وهو في طلبه هذا متحد اتحاد تاماً . وان شعور الاستياء الذي يسوده ناشئ عن حرمانه من هذا الحق . حق الحكم الذاتي وتقرير المصير . وان هذا الشعور ساعد على وقوع الاضطرابات الاخيرة . وعلى الحكومة المنتدبة ان تتخذ التدابير اللازمة لتجنب مثل هذه الاضطرابات في المستقبل .

وبناء على توصية هذه اللجنة (اي لجنة شو) هبط القدس بعد قليل (ايار ١٩٣٠) السرجون هوب سمبسون بوصفه خبيراً في مشاكل الاراضي .

المهاجرين الجدد . ومساحة الاراضي المحولة التي تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها .

٩ - ان السياسة التي تتبعها الوكالة اليهودية فيما يتعلق بشراء الأراضي واستغلالها وتاجيرها لا يتفق مع التصريح الذي أدلى به المؤتمر الصهيوني سنة ١٩٢١ بان الشعب اليهودي يرغب في ان يعيش مع الشعب العربي بسلام وصداقة متبادلين .

١٠ - دخل البلاد كثير من الاشخاص دون ان يحصلوا على التأشيرة (الفيزا) اللازمة لدخولهم . كما دخلها وبقي فيها كثيرون ممن سمح لهم بالاقامة المؤقتة فقط . ذلك لأن الحكومة لا تراقب الحدود ومرافق البلاد مراقبة فعالة .

١١ - يتحتم على الدولة المنتدبة إما ان تخفض الهجرة ، او ان تقفها في الحالات الضرورية . ذلك لأن الهجرة غير المحدودة تسبب حرمان السكان العرب من الحصول على الاشغال الضرورية لمعيشتهم .

١٢ - ليس ثمة أمل في تحسن العلاقات المتبادلة بين الشعبين ؛ لا ، ولا في تحقيق الوطن القومي اليهودي ، إلا اذا توطدت الطمأنينة والرفاهية ؛ وبذلك يسود السلام في فلسطين .

٣٧ - **ركود الهجرة** : ركبت الهجرة اليهودية ، اثر صدور الكتاب الابيض ، فهبط عدد اليهود الذين كانوا في كل شهر يفقدون الى فلسطين ، الى الحضيض . لا بل راح بعضهم ينزحون عن البلاد الى حيث كانوا . واضطربت المؤسسات الصهيونية .

١ - المقصود من (الوطن القومي اليهودي) في فلسطين زيادة رقي الطائفة اليهودية . وليس معناه فرض (الجنسية اليهودية) على فلسطين اجمالاً .

٢ - من العيب ان يلح زعماء اليهود على حكومة جلالاته كي تسير في سياستها فيما يتعلق بمسائل الهجرة والاراضي حسب اماني المتطرفين من الصهيين . فانها اذا ما فعلت ذلك ، تكون قد اخلت بواجبها ازاء غير اليهود من اهالي فلسطين .

٣ - لا يمكن السماح بهجرة يهودية تزيد على مقدرة البلاد الاقتصادية .

٤ - ان للوكالة اليهودية ، بموجب المادة ٤ من صك الانتداب ، حق النصح والمعونة . وليس لها حق الاشتراك في حكم البلاد .

٥ - يجب ، في الوقت نفسه ، ايجاد الوسائل التي تصون مصالح غير اليهود من السكان صوناً تاماً . وان تتاح لهؤلاء السكان الفرصة لتقديم المشورة لحكومة فلسطين فيما يتعلق بتلك المصالح .

٦ - ان الالتزامات المفروضة في صك الانتداب بشأن الفريقين متساوية .

٧ - ان حكومة جلالاته ترى ان الوقت قد حان للسير في مسألة منح فلسطين نوعاً من الحكم الذاتي . وبناء على ذلك فهي تنوي ان تشكل مجلساً تشريعياً يتمكن العرب فيه من وضع آرائهم الاجتماعية والاقتصادية امام الحكومة بوسائل دستورية .

٨ - ليس في فلسطين في الوقت الحاضر اية ارض ميسورة لاستقرار المزارعين من

هي التي مهدت السبيل الى الاجتماع الذي جرى بينها (وايزمان ومكدونالد) في جنيف . وتمّ ، بعد قليل ، اجتماع آخر بين الفريقين . حضره من الجانب اليهودي الدكتور وايزمان واللورد ريدنغ العضو في مجلس الاعيان واللورد ميلشت والاضون بنحاس روتنبرغ . ومن الجانب البريطاني رئيس الوزراء مكدونالد واللورد باسفيلد وعدد اخر من كبار رجال الحكومة . ورغم مقاومة اللورد باسفيلد لمطامع اليهود ، فقد نجح هؤلاء في اقناع اعضاء الوفد البريطاني الاخرين . اذا استرد مكدونالد وعده ، ولما ينقض على صدره سوى مئة يوم ! . انه لم ينشر بياناً رسمياً باسم الحكومة - كما فعلت الحكومة في بيانها السابق الذي اصدرته بتاريخ ٢١ تشرين الاول ١٩٣٠ - ولكنه اكتفى بخطاب القاه في جلسة عقدها مجلس العموم بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٣١ . وقد وجهه الى الدكتور حاييم وايزمان بوصفه رئيساً للوكالة اليهودية . وقد محافيه بحجة قلم ما جاء في الكتاب الابيض . . .

٣٩ - العرب يقرون توجيه كفاحهم ضد

البريطانيين : ان نكوص الحكومة البريطانية على عقبيها ، وعدولها عن السياسة التي عبرت عنها في كتابها الأبيض ؛ جعل العرب يعتقدون انه لا خير يرجى من البريطانيين . وان النضال يجب ان يوجه بعد اليوم ضدهم ، قبل اليهود . فراحوا يضاعفون جهدهم للمطالبة بحق تقرير المصير ، والغاء الانتداب ، ومقاومة الهجرة وببوع الارض ، وانشاء حكومة دستورية في البلاد .

واستقال المندوب السامي السرجون تشانسور من منصبه اثر هذه الاحداث . وكان ذلك في ٣١ آب ١٩٣١ .

واصاب زعماءها يأس شديد . الا واحداً من هؤلاء الزعماء ، وهو زعيمهم . انه الدكتور حاييم وايزمان . انه وان كان قد استقال من منصبه كرئيس للوكالة اليهودية ، احتجاجاً على الحكومة البريطانية ؛ الا أنه لم ييأس . وكذلك قل عن اثنين من الزعماء الآخرين ، وهما : اللورد ميلشت والاضون فليكس واربورغ . فقد استقال الأول من رئاسة مجلس الوكالة ، والثاني من عضوية اللجنة الادارية . وراح الجميع يعملون معاً من اجل اقناع الحكومة البريطانية للعدول عن سياستها الجديدة ، واثام المهمة التي اخذتها على عاتقها من اجل تأييد سياسة الوطن القومي اليهودي ، والعودة الى سبيلها القديم من حيث فتح الباب . . . باب فلسطين . . . لليهود الوافدين ، والسماح لهم بامتلاك الارض كما كانوا يفعلون منذ بدء الانتداب . ولم يكتفوا بالاقناع . بل ، راحوا يهاجونها ويهاجون وزارة المستعمرات بشكل خاص ، لأنها - على حد قول وايزمان في الصفحة ٤١٣ من مذكراته - رضخت لتهديدات المفتي الحاج امين ورفاقه اعضاء اللجنة العربية العليا ، ونزلت عند رغبات العرب ومطالبهم .

٣٨ - نكوص البريطانيين والغاء الكتاب

الابيض : حاول الدكتور وايزمان ، اثر صدور الكتاب الابيض ، ان يقابل رئيس الوزارة البريطانية المستر رمسي مكدونالد Mr. Ramsay Mac Donald وكان هذا رئيساً لحزب العمال . وبعد ان رفض مكدونالد مقابلة وايزمان ، عاد فقبله . والفضل في ذلك عائد - كما يقول وايزمان في مذكراته^(١) للسيدة استر Lady Astor وهي انكليزية تعطف على القضية الصهيونية . انها

(١) اقرأ مذكرات وايزمان في كتابه Trail and

اللجنة . واذاغت في ٦ تشرين الثاني ١٩٣٦ بياناً استنكرت فيه بيان وزير المستعمرات ، واعتبرته تحدياً لشعور العرب ، ودليلاً على فقدان النية الحسنة . ولكنها (اي اللجنة العربية عادت فالغت قرارها نزولاً عند رأي الامير عبدالله بن الحسين امير شرق الاردن ، ونصيحة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة السعودية والملك غازي ملك العراق ؛ الذين نصحوها بوجوب الاتصال باللجنة . فقررت الاتصال بها . وتقدمت اليها ببياناتها المدعومة بالوثائق والتواريخ والارقام ، وبشهودها وبياناتها . ولكن النتيجة كانت منافية لرغبات عرب فلسطين . فان تلك اللجنة - وهي التي عرفت فيما بعد بـ : (اللجنة الملكية) و (لجنة بيل) - قررت تقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية . وجعلت جميع الجليل ومرج بن عامر والسهل الساحلي من عكا وحيفا في الشمال حتى يافا واسدود في الجنوب في الدولة اليهودية . والقسم الواقع الى الجنوب والشرق من هذا الخط منطقة عربية تتحد مع شرق الاردن .

واما القدس وما حولها فقد اقترحت بقاءها تحت الانتداب ، على ألا يسير عليها تصريح بلفور . وكذلك قالت عن الناصرة وشواطئ بحيرة طبرية . فقد اقترحت ضمها الى منطقة القدس ؛ على ان يسير لها الاتصال بالبحر بواسطة ممر يتد من القدس الى يافا شاملاً مدينتي اللد والرملة . هذا وقد اعترفت اللجنة الملكية في تقريرها ان رغبة العرب في الاستقلال وكرهم للوطن القومي اليهودي من اهم الاسباب التي ادت الى ثورتهم . . . وان تلك الرغبة ، وهذا الكره ؛ قد تجاوزا حدود فلسطين الى البلاد العربية الاخرى . . . وهما اللذان سببا

٤٠ - اللجنة الملكية : انتدبت الحكومة البريطانية ، بعد وقف الاضراب ، لجنة ملكية مهمتها التثبت (؟) من اسباب الاضطرابات التي حدثت في فلسطين . مع انها كانت ولا شك ، تعرف الاسباب كلها حق المعرفة ، عن طريق ممثليها في فلسطين منذ سنين . وقد عهدت الى تلك اللجنة ان تحقق في الطريقة التي نفذ بها صك الانتداب ، وان ترفع اليها التوصية التي تراها مناسبة لازالة الخلافات ومنع تكرار الاضطرابات . واستغرب العرب انتداب مثل هذه اللجنة للتحقيق . ولو شاءت لوفرت على نفسها كل هذا العناء ، وهذا التحقيق . . . وارسال اللجان . . . وعملت من فورها على ازالة الظلم الذي لحق بالعرب ، وهي تعرف اسبابه . وكثيراً ما ذكرت تلك الاسباب في المذكرات التي رفعت اليها عن طريق الهيئات العربية العاملة بفلسطين ، وفي مقدماتها (اللجنة العربية العليا) . وهي الممثلة لجميع الاحزاب القائمة في البلاد .

جاءت اللجنة الملكية الى فلسطين في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٦ . وكانت مؤلفة من اللورد بيل (رئيساً) والمستر هوراس رامبولد (نائباً للرئيس) والمستر لوري هاموند ، وموريس كارتر ، وهارولد موريس ، وريجنالد كوبلاند (اعضاء) .

ولما كان وزير المستعمرات الذي ارسلها ، وهو المستر اورمسي غور ، قد انقضى في مجلس العموم - وقبيل مجيء اللجنة ببضعة ايام (٥ تشرين الثاني ١٩٣٦) - بياناً جاء فيه : « انه ليس ثمة اسباب اقتصادية او اسباب اخرى تبرر توقيف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ولو توقيفاً مؤقتاً ! . . . وأن حكومة جلالتها وافقت على توصية المندوب السامي بالسماح لألف وثمانئة يهودي في ستة شهور ! . . » فقد قررت (اللجنة العربية العليا) مقاطعة هذه

قالت انها توافق اللجنة فيما ذهبت اليه؛ لأن التجارب التي مرت بها خلال الاعوام المنصرمة ، برهنت على انه لا يمكن التوفيق بين اماني العرب واماني اليهود في فلسطين . وان تلك الاماني لا يمكن تحقيقها عن طريق الانتداب .

٤١- كيف تلقى اليهود تواصي اللجنة الملكية :

انشطروا اليهود ، اثر صدور هذا التقرير ، الى شطرين . شطر حنّده ، وراح ينادي بتنفيذه . وآخر استنكره ! لا ، لأنه لا يريد التقسيم ؛ بل لانه طامع في المزيد ! . .

٤٢ - ثورة العرب :

واما عرب فلسطين فقد رفضوا تواصي اللجنة الملكية رفضاً باتاً . ولم يكتفوا بالابراق والاحتجاج^(١) وتنظيم المظاهرات . بل اعلنوا الثورة . واضربوا عن العمل . وعادت اعمال العنف والذسف والتدمير الى ما كانت عليه قبل صدور قرار التقسيم . فدمرت مباني الحكومة ومخافرها . وفجرت انايب البترول . ونسفت الجسور . وتدهورت قطارات البضائع والركاب . وقطعت اسلاك البرق والهاتف . واصطدم الثوار والجند حيثما التقوا . ولم يبال العرب بالقوات الكثيرة من الجند التي استحضرتها السلطة من مصر وقبرص ومن انكلترا نفسها ، حتى نافقت هذه على خمسين الف جندي . فراحوا يتحدون الحكومة وجيشها . وقتلوا حاكم الجليل المستر اندروس Lewis Andrews والبوليس البريطاني حارسه .

(١) ارسلت (اللجنة العربية العليا) اثر صدوره مذكرات شديدة الالفة الى الحكومة البريطانية في لندن ، والى لجنة الانتداب الدائمة في جنيف ، فندت فيها قرار التقسيم ، وطالبت بالاعتراف بحق العرب في الاستقلال التام . وعقد معاهدة على غرار المعاهدات المفقودة مع العراق ومصر وسورية .

الاضطرابات التي حدثت في البلاد في ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٣

ونصحت اللجنة في تقريرها بالاستغناء عن خدمات الموظفين الذين يُرتاب في اخلاصهم^(١) ، والاستمرار على الاستعانة بموظفي المستعمرات من الانكليز . وانتقدت في تقريرها سياسة الحكومة من حيث انتقال الاراضي العربية الى اليهود ، بعد ان اعترفت ان الاراضي التي يمتلكها اليهود قد ارتفعت مساحتها في عشر سنين من ٨٤٤٠٠٠٠ دونم (١٩٢٥) الى ١٠٣٣٢٠٠٠ دونم (١٩٣٦) .

واما من حيث الهجرة ، فقد اقترحت اللجنة ان تحدد هذه باثني عشر الف مهاجر في السنة . وذلك للسنوات الخمس المقبلة . وكان عدد اليهود ، يوم جاءت الى فلسطين ، اربع مئة الف .

هذا هو ملخص التقرير الذي وضعته (اللجنة الملكية) . وهو اول تقرير تضمن فكرة التقسيم . وعندما نشرته الحكومة البريطانية في ٧ تموز ١٩٣٧

(١) تذكرت وانا اقرأ هذه الفقرة من تقرير (اللجنة الملكية) حديثاً جرى بيني وبين رئيسها اللورد بيل في بئر السبع ، يوم زار هو وصحبه اعضاء اللجنة ذلك القطاع من فلسطين بقصد البحث والتحقيق ، وقد كنت انا يومئذ قائماً مسؤولاً عن ادارة ذلك القطاع ؛ فسالني اللورد بيل عن رأيي في الموضوع وعمماً اذا كان عرب فلسطين يقبلون فكرة (التقسيم) . فاجبته من فوري: « كلا . لا ولن يقبلوا هذه الفكرة . فان تقسيم بلادهم ، يعني اغتصاب جزء منه ، واعطائه لليهود . واذا صدر قرار كهذا ، فانه سيؤدي حتماً الى الثورة والعودة الى سفك الدماء . » ولما طلب الافصاح عن شعيري ، قلت له : « انني لاشك قط في ان اي قرار ينس على التقسيم ، سوف يؤدي الى الثورة وسفك الدماء . وفي تلك الحالة لن اقررد انا ايضاً في ترك عملي الرسمي والانضمام الى الثائرين من بني قومي وبلادي . . . » هذا ما قلته للورد بيل . وعلمت ، بعد قليل ، ان مثل هذا القول قاله له كثيرون من الموظفين العرب في حكومة فلسطين .

الاسلاك والقلاع كتائب من الجنود ومضائد من الالغام . ولكن . لاهذه الاسلاك ، ولا تلك القلاع ، كانت لتلين من قناة عرب فلسطين ، الذين راحوا يهاجمون الانكليز واليهود في آن واحد .

٤٣ - المندوب السامي الرابع السر ارثور

غرنفيل واكبوب : بعد السر تشانسلور صار مندوباً سامياً للفتنات جنرال السر آرثور غرنفيل واكبوب Lieut - General Sir Arthur Grenfell Wauchope k. C. B., C. M. G., C. I. E., D. S. O. وكان ذلك في ١ أكتوبر ١٩٣١ .

جاء هذا (المندوب) على اثرتورات وقلاقل . فرأى امامه شعباً مثقلاً بالضرائب . فزار الفلاحين . واطهر اهتماماً زائداً بشؤونهم . فاقترضهم القروض الزراعية ، وخفض عنهم بعض الضرائب ، والغى البعض الآخر . وقصارى القول انه عمل على ترقية وسائل الزراعة ، وانهاض المزارعين ؛ حتى لقب بـ (صديق الفلاح) . ولكنه في الوقت نفسه سمح لعدد كبير من اليهود بدخول البلاد . حتى دخلها منهم ، خلال السنوات الخمسة التي قضاها في فلسطين ، خمسون الفا في كل سنة^(١) . ففي السنوات الثلاثة التي انقضت بين ١٩٣٣ - ١٩٣٥ دخل فلسطين ١٣٥٠٠٠ يهودياً . قالت الحكومة انها اضطرت (؟) الى منحهم وثائق هجرة بسبب اضطهاد هتلر والحكم النازي في المانيا . وما كادت سنة ١٩٣٧ تهل حتى كان عددهم قد وصل الى ٤٠٠٠٠٠ نسمة .

وقتلوا احكامجنين المستر موفات Walter Moffatt واشتدت السلطة في تدابيرها لقمع الثورة . فجعلت اللجنة العربية العليا واللجان القومية كلها . واقالت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى من منصبه . واعتقلت عدداً كبيراً من رجال فلسطين^(٢) . ونفت من نفث منهم الى جزيرة (سيشل) . فاضطربت البلاد مرة اخرى . واتسعت المعارك بشكل مخيف . ووضع (قانون الطوارئ) موضع التنفيذ من جديد . ففرضت احكام الموت على كل من حمل السلاح ، دغ'عك اطلاقه ! . حتى ولو كان هذا عبارة عن رصاصة فارغة ! . وحتى اذا كانت الرصاصة التي أطلقت ، لم تصب احداً ! . وبلغ عدد الذين أعدموا شتقاً في سجن عكا ١٤٨ شهيداً . واما الذين حكم عليهم بالسجن المؤبد ، فانهم اكثر من الفين : بينهم شيوخ ونساء ، ولم يكونوا كلهم من الشباب المسلحين . وتعمدت السلطات العسكرية هدم الدور والمنازل . فهدمت اكثر من خمسة آلاف بيت . . وجاوز عدد الشهداء من ابناء فلسطين ثلاثة آلاف . كما تجاوز عدد الحرحى سبعة آلاف . وانطلقت صيحات الاحتجاج من سوريا ومصر والعراق والاردن ولبنان . وراح ابناء هذه الاقطار العربية يتنادون للأخذ بيد اخوانهم عرب فلسطين . ولئلا يتمكن هؤلاء من التسرب لفلسطين ، اقام البريطانيون سوراً من الاسلاك الشائكة وسلسلة من القلاع المحصنة^(٣) على طول الحدود . ووراء هذه

(١) يؤكد الاستاذ اكرم زعير في كتابه (القضية الفلسطينية) ص ١٢١ ان عدد المعتقلين من ابناء فلسطين في مدغشقة بلغ نحواً من خمسين الفا ! . وكتابه هذا طبع في القاهرة سنة ١٩٥٥ . وقد تولت طبعه (دار المعارف) بصر . انه في نظري من احسن ما كتب في هذا الموضوع .

(٢) سميت هذه القلاع باسم الشخص الذي ابتدعها ، وهو السر تشارلس تيفارت . كان فيما مضى من كبار الموظفين في حكومة الهند . وهو خير في مكافحة الثورات .

(١) قال الدكتور حايه وايزمن في مذكراته Trial & Error ان السر واكبوب كان يعطف على الوطن القومي اليهودي ، وكان يعتقد ان نجاح الصهيونية في فلسطين متوقف على الهجرة ؛ ولهذا سمح لستين الفا من اليهود بالهجرة الى فلسطين في علم واحد ، هو عام ١٩٣٥ .

اضف الى ذلك انهم راحوا يستوردون مختلف انواع الاسلحة من اوربا .

ونشط اليهود على عهده لشراء الاراضي .

٤٤ - المؤتمر الاسلامي الثاني : ولم يفتر العرب بابتسامته ، وبالوصف الذي اضفاه عليه الآخرون بقولهم : انه صديق الفلاح ! . . . وكان قد اتاهم خبر الحفل الذي اقامه الصهيونيون في لندن تكريماً له ، وقد شرب فيه نخب الصهيونية ونجاحها ! عندئذ ايقن العرب انه منافق ذو وجهين . اخذ بيده اليسرى ، ما اعطاه بيد اليمنى . فعمدوا

بالقدس وفي جوار الحرم الشريف (كانون الاول ١٩٣١) مؤتمراً اسلامياً حضره عدد كبير من المسلمين (انظر الى الصورة التحتا) من فلسطين ، والاردن ، وسورية ، ولبنان ، واليمن ، والعراق ، ومصر ، والحجاز ؛ ومن تونس ، وبرقة ، والجزائر ، والمغرب الأقصى ؛ ومن تركيا ، وتركستان الصينية ؛ ومن الهند ، والقفقاس ؛ حتى ومن يوغوسلافيا ، ونيجيريا ، وجارا ، وسيلان . وترأس المؤتمر المفتي الحاج امين الحسيني . وحضره عدد كبير من علماء فلسطين وشيوخها وزعمائها واهل الرأي فيها .



المؤتمر الاسلامي

الذي انعقد في القدس في شهر كانون الاول ١٩٣١

وثلاثين . وجرح خمسة من رجال البوليس . وكذلك قل عن المظاهرة التي قامت في يافا وفي سائر مدن فلسطين . وكانت أشدها في يافا . حيث قتل الانكليز ثلاثين عربياً . وجرحوا زهاء مئتين .

٤٧ - الاضراب العام : وعاد الجو فتكهرب ،

في اواخر عام ١٩٣٥ ؛ بسبب سياسة الحكومة ، وتغلغل النفوذ اليهودي في اداة الحكم ؛ وبسبب تلكؤ الحكومة في اتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون انتقال الارض الى اليهود ، وتدفق سيل الهجرة الى البلاد . وقد دخلها في ذلك العام وحده خمسون الف يهودي . فقام عرب فلسطين قومة رجل واحد . وراحوا يطالبون الحكومة المنتدبة بوقف تيار الهجرة الذي طغى . كما راحوا يطالبون بالحكم الذاتي وتقرير المصير . ولما لم تلب الحكومة طلبهم اعلنوا (الاضراب العام) . وشمل الاضراب الذي بدأ في ٢٥ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٦ البلاد كلها : من ادناها الى اقصاها . فوقفت الاعمال في المتاجر ، والمصانع ، والمواني ، والمكاتب ، والمدارس ، وفي كل مكان . وشمل الاضراب وسائل النقل على اختلاف انواعها : في المدن والقرى . فلم يذهب العمال الى اعمالهم ، والتجار الى متاجرهم ، والمعلمون والطلاب الى مدارسهم . وامتنع المحامون عن ارتياد دور المحاكم ؛ الا اذا دعاهم الواجب لانقاذ عربي من مخالب السلطة . وسلم المحتاير اختتامهم الى السلطة ، وامتنعوا عن تلبية دعوتها او الاجابة عن اسئلتها . كما امتنع الفلاحون والمزارعون عن ارتياد الاسواق لبيعوا منتجاتهم وخضارهم . واضربت (البلديات) عن كل عمل ، خلا اعمال التنظيف والتنوير وتزويد البيوت والمنازل بالماء . حتى السجناء فقد اضرَبوا عن العمل في سجونهم . كما اضرَب رجال البوليس العرب ، فراحوا يطالبون بفصلهم عن زملائهم

وقرر المؤتمرون ، فيما قرروا ، ايجاد كتلة عربية اسلامية تقف سداً منيعاً حيال مطامع اليهود في الارض المقدسة ، ومقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية في جميع الاقطار الاسلامية ، وتنديه العالم الاسلامي الى الخطر الكامن وراء الصهيونية ، وصد تيار الهجرة اليهودية ، ومقاومة بيع الأراضي لليهود ، ودعوة العالم الاسلامي لشرائها ، واستنكار الاستعمار بجميع ألوانه في أي قطر من الاقطار الاسلامية ، واعتبار قضية العرب الأرثوذكس جزءاً من القضية العربية .

٥ - المؤتمر العربي الارثوذكسي : وكان مؤلداً (أي العرب الأرثوذكس) قد عقدوا في يافا وقبل ذلك ببضعة أيام (تشرين الثاني ١٩٣١) مؤتمراً أيدوا فيه المطالب العربية القومية في فلسطين ؛ كما طالبوا بحقوقهم في الشؤون الدينية ، تلك الشؤون التي حصرها اليونان من رجال الأكليروس الديني بأيديهم . وقرر العرب الأرثوذكسيون في مؤتمهم ان يكون البطريرك عربياً ، لا يونانياً اجنبياً كما هي الحال . وان لا يعترفوا بأي بطريرك لا يشترك الشعب في انتخابه .

٤٦ - اللجنة التنفيذية العربية تقدم المظاهرات :

وعقدت اللجنة التنفيذية العربية اجتماعاً (١٩٣٣) درست فيه الموقف . وقررت ان تقام في القدس وفي سائر انحاء فلسطين مظاهرات يعبر فيها الشعب عن سخطه واستنكاره للسياسة القائمة . وما كادت الحكومة تتلقى الخبر حتى أصدرت بلاغاً رسمياً حظرت فيه التظاهر . الا ان اللجنة التنفيذية ثبتت في قرارها . لا ، بل انها تقدمت المتظاهرين في صفوفهم . واشترك النساء مع الرجال في تلك المظاهرة . وجاء الانكليز بحراهم ودباباتهم ؛ ففرقوا المتظاهرين ، بعد ان جرحوا منهم خمسة

القدس والاحتلال البريطاني

امتهم في شعورها، ويؤيدونها في مطالبها، ويطالبون باعطائها حقها. واشتركت المرأة العربية الفلسطينية ايضاً في النضال الى جانب الرجل . وعبثاً حاولت الحكومة ان تقنع زعماء الاحزاب كي يعدلوا عن الاضراب ، وينصحوا الناس كي يعودوا الى أعمالهم .

٤٧ - اتحاد الاحزاب الفلسطينية : وما كانت البلاد في يوم من الايام متفقة من حيث القصد والهدف والمسعى والوسيلة ، مثل ما كانت في ذلك اليوم الذي اتحدت فيه جميع الأحزاب العربية الفلسطينية :

حزب الاستقلال العربي الذي تأسس في ٤ آب ١٩٣٢ وزعيمه المحامي عوني عبد الهادي . وحزب الدفاع الوطني الذي تأسس في ٢ كانون الأول

البريطانيين من حيث الامر والنهي ، لانهم يكرهون ان يكونوا اداة للضرب على يد اخوانهم . وراح رجال الدين من المسلمين ومسيحيين يعظون الناس في مساجدهم وكنائسهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم ونجاة بلادهم .

وقصارى القول : شمل الاضراب جميع مرافق البلاد . فلم يستثن منه سوى المطاحن والافران والمستشفيات والعيادات الطبية والصيدليات . واما الصحف الفلسطينية فقد اكتفت بالاضراب ثلاثة أيام ، علامة الانسجام مع الرأي العام . ثم عادت الى الظهور ، كي ترشد الامة الى خيرها، وتطلعها على ما يعترض سبيلها من عثرات . وكذلك قل عن الموظفين العرب ذوي الرتب العليا ، فقد كتبوا الى الحكومة مذكرة مشتركة قالوا فيها : انهم يشاطرون

اللجنة العربية العليا (١٩٣٦)

من البعين الى اليسار .

في الصف الامامي :

- (١) الفرد روك
- (٢) عبد اللطيف صلاح
- (٣) احمد حلمي عبد الباقي
- (٤) الحاج امين الحسيني
- (٥) راغب النشاشيبي

في الصف الخلفي :

- (١) فؤاد سابا
- (٢) يعقوب الفصين
- (٣) الدكتور حسين فخري الخالدي
- (٤) جمال الحسيني



وفي الجلسة الاولى التي عقدت بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٣٦ قرروا المضي في الاضراب حتى يجاب الشعب العربي في فلسطين الى مطالبه . ولخصت هذه المطالب بمنع الهجرة اليهودية منعاً تاماً ، ومنع انتقال الاراضي من العرب الى اليهود ، وانشاء حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي منتخب .

٤٨ - استمرار الاضراب وبوادو العصيان

المدني : دعت اللجنة العليا الشعب بمختلف طبقاته الى مؤتمر عام . وعقد المؤتمر في القدس بتاريخ ٧ ايار ١٩٣٦ . فايد المؤتمرون قرار الاضراب . وقد اضافوا اليه قراراً آخر هو : الامتناع عن دفع الضرائب . وقد امتنع الناس عن الدفع بالفعل اعتباراً من ١٥ ايار . واستمر الاضراب ستة شهور . وبعد ان كانت مقاومة العرب ، في غضون الشهر الاول من الاضراب ، منحصرة في الامتناع السلبي عن العمل ، وفي الكلام والخطب والاقوال التي تنشر في الصحف وتقال من على المنابر ؛ انقلبت في شهرها الثاني الى (ثورة علنية) شملت البلاد كلها : من ادناها الى اقصاها . وراح العرب والجنود البريطانيون يقتتلون حيثما يلتقون : في القدس وقراها ، وفي جبل نابلس وجبل الخليل ، وفي يافا وحيفا ، وفي اللد والرملة ، وعند باب الواد ، وفي صفد وعكا والناصرة ، وفي غزة وبئر السبع ، وفي السهل والوعر ، وفي الجبال والحراج والمغاور والكهوف والوديان ، وفي كل مكان .

وقطع الثوار العرب اسلاك البرق والهاتف . وهاجوا القطارات الحديدية ، فمنعوها عن السير . ونسفوا الجسور ، ودمروا انابيب البترول . كما دمروا المباني الحكومية . وقتلوا عدداً غير قليل من الجنود البريطانيين ومن اليهود . وسدوا الشوارع بالحجارة . ورشوا الطرق بالمسامير عرقلة لوسائل النقل .

١٩٣٤ وزعيمه راغب النشاشيبي . والحزب العربي الفلسطيني الذي تأسس في ٢٤ نيسان ١٩٣٥ وزعيمه جمال الحسيني . وحزب الاصلاح الذي تأسس في ١٨ حزيران ١٩٣٥ وزعيمه الدكتور حسين فخري الخالدي . وحزب الكتلة الوطنية الذي تأسس في ٤ تشرين الأول ١٩٣٥ وزعيمه المحامي عبداللطيف صلاح . الاحزاب الأربعة الأولى تأسست في القدس وجعلت مقرها الرئيسي فيها . واما حزب الكتلة فقد تأسس في نابلس ، واتخذها مقراً لأعماله . وقد جاء في برامج الاحزاب كلها انها تستهدف خير البلاد ، وتناوئ ، فكرة الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي . وتطالب بوضع حد للهجرة وبيع الارض ، وتنشد استقلال فلسطين ضمن وحدة عربية كبرى . ولكن كل واحد منها (أي من الأحزاب) كان قبل ذلك التاريخ يعمل لحدته ، وبوسائله التي يراها . وكثيراً ما تمينا وتنى معنا المخلصون لواجبهم وقضية بلادهم ان لو تتحد هذه الأحزاب ، ويتحد الزعماء ، فيعملون يداً واحدة لدرء الخطر . ما دام هدفهم واحداً . بيد ان أيادي الشر كانت تلعب من وراء ستار وفي طي الحفاء . فتمددت الأحزاب واختلفت الزعماء . ولما جدت الجد ، وأيقن الجميع ان الحكومة الانكليزية لا تريد بهم خيراً ، وان فلسطين ضائعة لا محالة اذا لم يتحدوا ، اتحدوا . وأعلنوا الاضراب . والفوا لجنة أسموها : (اللجنة العربية العليا) . الفوها من : الحاج أمين الحسيني ، راغب النشاشيبي ، احمد حلمي عبد الباقي ، الدكتور حسين فخري الخالدي ، يعقوب فراج ، الفرد روك ، عوني عبد الهادي ، عبداللطيف صلاح ، الحاج يعقوب الغصين ، جمال الحسيني . وانتخبت اللجنة لرياستها الحاج امين ، واميناً لملها احمد حلمي ، واميناً لسرهما عوني عبد الهادي .

دورهم ومنازلهم . وحطموا كل ما وقعت عليه ايديهم في تلك المنازل من الات وادوات ومن مواد غذائية . وقتلوا وجرحوا عددا كبيرا من الاهلين : لا فرق في نظرهم بين مسلم ومسيحي . . بين مدني وقروي . . بين رجل وامرأة . . بين شيخ مسالم او شاب ثائر . . الامر الذي حدا بالقرويين لهجر قراهم ، والمدنيين لهجر منازلهم .

وهؤلاء الذين هجروا قراهم ومنازلهم ، قد اعتصموا بالجبال . فزادوا النار لهيبا . وما كاد يمر على الاضراب مئة يوم ، حتى كانت هذه قد ازدادت ضراما . وكان عدد من الاخوان السوريين والعراقيين قد دخلوا البلاد ، وانضموا الى اخوانهم المجاهدين من ابناة فلسطين . نذكر منهم فوز الدين القاوقجي ، وسعيد العاص ، وهما من كبار المجاهدين . وقد ابلوا جميعا بلاءا يستحق التقدير^(١) .

واستحضر الانكليز نجيدات جديدة من معسكراتهم القائمة في مصر وقبرص . حتى ، ومن الوطن الأم . فبلغ عدد الجيش البريطاني المربط في فلسطين خمسة وعشرين الفا . واستبدلوا قادتهم ، فعهدوا بقيادة قطعاتهم العسكرية في فلسطين الى رجل من اقدر رجالهم العسكريين ، ألا وهو : اللفتنانت جنرال السرجون دل^(٢) Sir John Dill ولم يترك هذا القائد وسيلة من وسائل البطش والتشكيل ، الا استعملها ؛ لارغام الفلسطينيين على الرضوخ للاستعمار والعدول عن الاضراب .

(١) ذكرت اسماء قادة الثورة وشهداءها وما قاموا به من اعمال جليلة في سبيل الذود عن وطنهم في كتابي : (النكبة) ذكرتهم بالتفصيل . وقد جاء الكتاب في سبعة اجزاء . فليرجع اليه من شاء .

(٢) ترقى هذا ، بمدة قليل ، فراح يحمل اعلى الرتب : Field - Marshal

وهاجموا المستعمرات اليهودية حيثما استطاعوا . هاجموا في الليل والنهار . وقد أخلي بعضها من سكانها . وما كان اليهود ليستطيعوا السير والتنقل من مكان الى مكان ، الا في سيارات مصفحة بالفولاذ ، وتحت حراسة الجند .

٤٩ - الانكليز يبطشون بالعرب دون هوادة :

ولم يقف الانكليز حيال ثورة العرب وقفة المتفرج . بل راحوا يقاومونها باقصى ما لديهم من قوة .

انهم لم يتركوا وسيلة الا واستعملوها لمقاومة العرب ، واسكاتهم . فكان اول شيء عملوه انهم اعلنوا قانون الطوارئ . واعتقلوا عدداً من خيرة الشبان ورجالات البلاد . فزجوا بعضهم في السجون . واسلوا البعض الاخر الى المعتقلات . عدد من الزعماء حكم عليهم بالاقامة الجبرية في عوجا الحفير من اعمال بئر السبع في اقصى الجنوب من فلسطين والبعض الاخر في صرند على مقربة من الرملة . وحشد الانكليز قواتهم في المناطق العربية التي اعتبروها خطراً على الامن . وارتفع عدد جنودهم بفلسطين من عشرة الاف جندي الى عشرين الف جندي . تعززهم الطائرات والدبابات ومختلف انواع الاسلحة والمعدات . ومنعت السلطة الناس من مغادرة منازلهم ، الا في ساعات معدودة لقضاء حاجاتهم . ونسفت منازل العرب في عدد من المدن . ولا سيما في يافا . فقد نسفت منطقة واسعة مؤلفة من ٢٢٠ منزلاً بحجة تحميل المدينة ! . واعترف وزير المستعمرات بعدئذ انها نسفت لكونها مركزاً للعتريصين . وفرضت السلطة عقوبة الاعدام والسجن المؤبد على من يحمل السلاح .

ولم يكتف الجنود البريطانيون بتفتيش منازل العرب ومصادرة اسلحتهم ، بل راحوا ينسفون

فاصبحت (قضية فلسطين) قضية عربية عامة .
واما الخسائر في الاموال والارواح ، فكثيرة .
نذكر منها ماتلقيناه عن طريق الحكومة واحصا آتيا
الرسمية . فنقول :

عرب	يهود	انكليز	المجموع
٢٠٠	٨٠	٤٥	٣٢٥ = القتلى :
٨١٠	٣٠٠	٢٦٠	١٣٧٠ = الجرحى :

واما المصادر العربية ، فتقول :

عرب	يهود	انكليز	المجموع
٢٠٠	٣٠٠	٤٥	٥٤٥ = القتلى :
٨٠٣	٢٥٢	٢٦٠	١٣١٥ = الجرحى :

ان معظم القتلى والجرحى من العرب أصيبوا
برصاص الجند . وبلغ عدد الذين زجوا في المعتقلات
والسجون منهم (اي من العرب) ثلاثة آلاف بين
معتقل وسجين .

٥٢ - سوء الخاقعة لعهد السر واكمهوب :

هذا ما جرى في فلسطين خلال السنوات (ايلول
١٩٣٠ - شباط ١٩٣٨) التي قضاها السر واكمهوب
فيها . وقد غادرها غير مأسوف عليه . وفي عهده
قسمت فلسطين (١٩٣١) الى ثلاثة لوية . هي :

(أ) اللواء الشمالي : وهو مؤلف من الاقضية
التالية :

حيفا ، عكا ، الناصرة ، طبريا ،
صفد ، نابلس ، جنين ، طولكرم ،
بيسان .

(ب) اللواء الجنوبي : وهو مؤلف من الاقضية
التالية :

٥٠ - وقف الاضراب : من الوسائل التي
استخدمتها الحكومة البريطانية لوقف الاضراب
والثورة ، بالاضافة الى التدابير العسكرية القاسية ،
انها لجأت الى الأمير عبد الله أمير الاردن ، ونوري
باشا السعيد وزير خارجية العراق ، والى غيرهما
من الرجال ذوي النفوذ في هذا الجزء من الشرق ؛
لعلهم يقنعون الفلسطينيين في العدول عن الثورة .
وعبثاً حاول هؤلاء في بادئ الامر اقناع الفلسطينيين .
ولكنهم ، بعد قليل ، نجحوا في مسعاهم . ولا سيما
عندما انضم اليهم ملوك العرب ورؤساؤهم الآخرون
ومنهم : الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة
السعودية ، والملك غازي ملك العراق ، والامام
يحيى حميد الدين امام اليمن . واكد الملوك لزعماء
فلسطين انهم حصلوا على تعهدات (؟) من الحليفة
(؟) بريطانيا ان تنصف عرب فلسطين ؛ ووعدوهم
ايضاً (اي للملوك والامراء) أن يأخذوا
بيدهم ، فيدفعوا عنهم خطر الصهيونيين . وقبلت اللجنة
العربية العليا وساطتهم . فاعلنت انتهاء الاضراب
والثورة اعتباراً من يوم الاثنين الموافق ١٢ تشرين
الأول ١٩٣٦ . وهكذا يكون الاضراب قد دام
مئة وستة وسبعين يوماً .

٥١ - ميزان الربح والخسارة : كان ربح
العرب ، رغم الخسائر التي ألقت بهم في الأرواح وفي
ميادين الاقتصاد ، عظيماً . ذلك لانهم كانوا ، قبل
ذلك ، مختلفين . ولما جد الجد اتحدوا . وايقنت
الحكومة واليهود أيضاً ، أنه ليس من السهل
اخضاعهم . ومن الارباح ان العرب وجهوا عداءهم
المرّة هذه نحو الحكومة المنتدبة نفسها ، بعد ان
كانوا يستهدفون اليهود وحدهم . وقد اشترك مع
أبناء فلسطين عدد من اخوانهم ابناء الاقطار العربية
المجاورة . واشترك الملوك والامراء بالعمل ،

يافا، الرملة، غزة، بئر السبع،
عوجا - الحفير .

(ج) **لواء القدس** : وهو مؤلف من الاقضية التالية :

القدس، رام الله، بيت لحم، أريحا.

٥٣ - **المنسوب السامي الخامس : السير هارولد**

الفرد ماك مايكل : دخلت سنة ١٩٤٨ والثورة ما زالت مشتعلة . فرأت الحكومة ان تستبدل قادة الجيش وحكام البلاد بغيرهم ، لعلمهم يستطيعون ان يخمّدوا الثورة ، اويحدوا حلالاً للمشاكل القائمة . فاستبدلت الجنرال هاينغ بالجنرال ويفل قائداً عاماً . وجاء السير هارولد الفرد ماك مايكل Sir Harold Alfred MacMichael, K. C. M. G., D. S. O. ليحل محل السير آرثر غرينفل واكبوب .

وتسلم المنسوب الجديد عمله في اليوم الاول من شهر آذار ١٩٣٨ .

٥٤ - **الناثرون من عرب فلسطين يستولون**

على معظم انحاء البلاد : وجد هذا المنسوب امامه شعباً يغلي ، وبلداً تمزقه الثورات . واستمر الثوار العرب في حركاتهم بعد مجيئهم . فاحتلوا مدينة القدس (نيسان ١٩٣٨) كما احتلوا الخليل (اغسطس ١٩٣٨) . واحتلوا ايضا مدينة بير السبع (ايلول ١٩٣٨) . وفي بئر السبع شهدت اعمال الثوار بعيني ، وكان يقودهم يومئذ القائد الموهوب عبد الحليم الجيلاني . فقد قطعوا قبل كل شيء ، اسلاك البرق والهاتف . واقاموا في مداخل المدينة قوات كافية لمنع الدخول اليها والخروج منها . ثم راحوا ويتعقبون الجنود البريطانيين الذين كانوا في المدينة . وقد قتلوا واحداً منهم برتبة نقيب .

ثم راحوا يستولون على دور الحكومة . وحرقوا بعضها . وقد اطلقوا السجناء من سجونهم . واستولوا على مقادير كبيرة من الاسلحة والاعتدة العسكرية . وظل الثوار في تلك البقعة من جنوب فلسطين مسيطرين ، يغشونها متى يشاءون ، زهاء سبعين يوماً .

واحتل الثوار ايضا مدينة اريحا في الشرق ، ومدينة طبريا في الشمال ؛ فدمروا معظم المباني اليهودية والمنشآت الحكومية . وقتلوا من سكانها اليهود عدداً كبيراً .

٥٥ - **لجنة وودهيد تفشل في مهمتها تنفيذ**

التقسيم : جاءت الى فلسطين لجنة يرأسها السير جون وودهيد . نزلت هذه في مدينة القدس في ٢٧ نيسان «ابريل» سنة ١٩٣٨ . وقالت اللجنة عن نفسها انها (لجنة فنية) انتدبت لتدرس مشروع التقسيم المقترح من قبل اللجنة الملكية . وقد خولت الحرية في اقتراح التعديلات التي تراها مناسبة ، على ان تضع حدوداً فاصلة بين المنطقتين العربية واليهودية والمناطق التي يجب الاحتفاظ بها ، ان دائماً أو مؤقتاً ، تحت الانتداب البريطاني .

فاستقبلها العرب في فلسطين بالاضراب العام والمظاهرات . وقاطعوها . فلم يتقدم اليها خلال المدة التي قضتها في البلاد (من ٢٧ نيسان الى ٩ تشرين الثاني ١٩٣٨) عربي واحد ليؤدي شهادته . وقالت اللجنة في تقريرها «ان العرب لا يزالون يقفون من التقسيم موقفاً عاثياً» واعترفت اللجنة ايضاً انه من المتعذر تقسيم بلاد صغيرة كفلسطين بشكل يكون للحدود التي تفرض لتفرق بين مناطقها . اية قيمة عسكرية .

وبعد ان استعرضت لجنة وودهيد جميع المشاريع

ولكن ! كيف السبيل لاجتاد تفاهم بين العرب واليهود ، وتوطيد السلام والأمن في البلاد ؟

فالثورة ما برحت قائمة . والجو لا يزال مكهرباً بالارهاب والخوف . وخزانة الحكومة تكاد تفرغ من كثرة الانفاق على الجيش والشرطة ، وتعمير المباني الحكومية والمحطات والجسور التي هدمها الثوار . والأهم من هذا وذاك حماية اليهود الذين اقضت ثورة العرب مضاجعهم . وقد احدثت المقاطعة التي فرضها العرب اثرها في جميع اوساطهم التجارية والصناعية . فكسدت بضائعهم . وتوقفت مصانعهم . وكثر عدد العاطلين من عملهم . وبلغت الخسائر في الارواح والممتلكات نتيجة للثورة العربية ، حدّاً مخيفاً^(١) .

٥٧ - نار الثورة تزداد ضراماً : وقف وزير المستعمرات في مجلس العموم ، بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٣٨ ، فاخبر الاعضاء : « ان حملة الاغتيالات والعنف التي شنها العرب ، قد نمت ، واصبحت ثورة عربية منظمة واسعة النطاق ضد السلطة البريطانية » . وبعد ان أوضح للمجلس ما قامت به القوات العسكرية من تدابير لتوطيد الأمن . . . تلك التدابير التي أدت الى : « اخراج الثوار من القدس واسترداد سيطرة الحكومة على اريحا وغزة واحتلال بئر السبع من جديد » ؛ قال :

« ان باستطاعة جيشنا أن يعيد النظام الى نصابه في فلسطين ، ولكننا لا نستطيع ان نوطد أركان

التي اقترحت لتقسيم فلسطين ، ومن بينها مشروع اللجنة الملكية ، قالت انها لا توصي بقبوله . لان عدد العرب في الدولة اليهودية - فيما اذا نفذ مشروع اللجنة الملكية - سيكون مساوياً لعدد من فيها من اليهود ! . واما الاراضي فما يملكه اليهود في الدولة العربية ضئيل لا يجاوز التسعين ألفاً من الدونمات ، على حين ما يملكه العرب في الدولة اليهودية نحو ٣,٨٥٥,٠٠٠ دونماً . واليهود لا يملكون في دولتهم المقترحة اكثر من ١,١٤٠,٠٠٠ دونماً ! .

ومما جاء في تقرير لجنة وودهيد قولها : ان اي مشروع لتقسيم فلسطين يقضي بوضع عدد كبير من العرب تحت سيطرة اليهود في منطقة ليس لليهود فيها اكثرية . وليس ثمة ما يسوغ استعمال القوة لارغام هذا العدد الكبير الذي يقطن في منطقة عربية مجتة على قبول سيطرة اليهود . ولو فرضنا جدلاً انه كان بالامكان سحق المقاومة العربية بالقوة ، فان هذا (السحق) لن يستمر طويلاً . وستبقى البلاد عرضة للقلق والثورات .

وقد اختتم التقرير بجملة جاء فيها : « ان تقسيم فلسطين امر لا يجوز ان يجريه الاوصياء دون موافقة شعب فلسطين . وهذا الشعب ليس بالشعب الساذج المفتقر الى وصي ، ولا هو بالعاجز عن اتخاذ قرار يحدد مصيره » .

٥٦ - الحكومة البريطانية تتراجع عن التقسيم :

عندما تلقت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة الفنية (وودهيد) أصدرت بياناً رسمياً تاريخه ٩ نوفمبر ١٩٢٨ . وقد اعترفت فيه ان تقسيم فلسطين ، كما اقترحت لجنة بيل ، غير عملي . ولهذا فان « حكومة جلالتة ستواصل الاضطلاع بمسؤوليتها في حكم فلسطين باجمعها كدولة منتدبة » .

(١) جاء في تقرير (اللجنة الخاصة للامم المتحدة بشأن فلسطين) بتاريخ ٣١ آب ١٩٤٧ ان اللجنة الملكية التي يرأسها اللورد بيل والتي انتدبت لتحليل اسباب الاضطرابات في فلسطين ، قدرت الخسائر بالارواح نتيجة للثورة العربية ١٩٣٦ - ١٩٣٩ كانت حوالي ٤٠٠٠ شخص ، وان الاضرار التي لحقت بالاموال قدرت بحوالي مليون جنيه .

السلام فيها . فالقضية سياسية وليست عسكرية .
الى أن قال :

« ونحن حين وعدنا اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، لم نقطع على أنفسنا عهداً بأن نجعل فلسطين كلها موطناً لليهود العالم . وفلسطين لا تستطيع ان تحل مشكلة اللاجئين اليهود ، حتى ولو كانت خالية من اي شعب آخر . فكيف بها ، وهي مأهولة بالعرب . دخلوها منذ قرون ، وهم يعيشون فيها سادة . ولم يؤخذ رأيهم عندما أعطي وعد بلفور ، وعندما وضع صك الانتداب . وقد احتجاجوا ، وما برحوا يحتجون . وها هم يتساءلون : أما لهذا الليل من آخر ؟ أما لهذا الغزو من نهاية ؟ » .

وقال :

« إنا اذا لم نستطع ان نزيل مخاوف العرب في فلسطين من أن يصبحوا تحت سيطرة اليهود ، فستجابه عدااء العرب كلهم في الشرق الأدنى . وعلينا - في هذه الحالة - أن نضع قسماً كبيراً من الجيوش البريطانية بصورة دائمة في فلسطين . وفي هذا ما فيه من مصاعب واعباء ثقيلة » .

٥٨ - مؤتمر لندن : لبى العرب دعوة تلقوها من الحكومة البريطانية . فحضروا مؤتمراً عقدته في لندن . وكان ذلك في ٧ شباط ١٩٣٩ . وقد لبّاهم اليهود ايضاً . فحضروا المؤتمر نفسه . ولكن الفريقين (العرب واليهود) لم يجلسوا معاً . بل جلس العرب مع الانكليز في الصباح . وجلس اليهود معهم في المساء . وكان الاجتماع في قصر سان جيمس وقد استمر بضعة أسابيع . بسط العرب خلالها قضيتهم . وكذلك فعل اليهود . ولكن المؤتمر فشل في الوصول الى حل يرضي أيّاً منهم . ونشرت

الحكومة بعد انقراط عقد المؤتمر بيانها في شكل (كتاب أبيض) تاريخه ١٧ أيار ١٩٣٩ . وقد ذكرت فيه مطالب الفريقين والحجج التي يستند اليها كل منهما . وختمت بيانها قائلة : « انه ليس من سياستها ان تصبح فلسطين دولة يهودية ، ولا دولة عربية . وانما هي ترغب في ان ترى قيام دولة فلسطينية مستقلة يشترك فيها العرب واليهود والى ان يتم ذلك ، لا بد من مرور فترة انتقال تساعد على نشوء علاقات طيبة بين العرب واليهود . وفي خلال تلك الفترة تحتفظ الحكومة البريطانية بالمسؤولية النهائية بوصفها الدولة المنتدبة » .

وعلى ضوء هذا البيان أعلنت الحكومة البريطانية انها :

أولاً : ستمنح الفلسطينيين ، في خلال عشر سنين ، نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم . وستوليهم زمام الحكم بمساعدة مستشارين بريطانيين .

ثانياً : تكون الهجرة اليهودية ، خلال السنوات الخمس التالية ، بمقدار من شأنه ان يزيد عدد اليهود في فلسطين الى ما يقرب من ثلث مجموع البلاد . وعلى هذا الاساس ستسمح بادخال نحو ٧٥,٠٠٠ يهودي مهاجر خلال السنوات الخمس التالية ، اعتباراً من اول نيسان ١٩٤٠ . ولدى انقضاء السنوات الخمس لا يسمح بهجرة يهودية اخرى ، الا اذا كان عرب فلسطين على استعداد لقبولها .

ثالثاً : سيتمنح المندوب السامي سلطات عامة تخوله منع وتنظيم انتقال الأراضي العربية الى اليهود .

٥٩ - كيف تلقى العرب واليهود الكتاب الأبيض : هذا هو الكتاب الأبيض . اوجزناه في السطور المتقدمة . ومع انه حوى كثيراً من التعهدات من شأنها ان تزيل الكثير من مخاوف العرب ، وقد

والفتيان الذين تتراوح اعمارهم بين ١٧ و ١٨ سنة . فعلوا هذا تحت سجع الحكومة وبصرها ، دون ان تفعل بهم ما فعلته قبلاً بالعرب ؛ عندما كانت تحكم على العربي بالاعدام شنقاً اذا ما وجدته يحمل ولو رصاصة واحدة ! .

ليس هذا فحسب . بل رضي رئيس وزراء بريطانيا في تلك الفترة من الزمن ، وهو المسترونستون تشرشل ، ان ينشيء اليهود جيشاً يهودياً - بقواده وضباطه وجنوده حتى ورايته - بحجة ان هذا الجيش سيحارب الى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٤) . وزود هذا الجيش بالاسلحة : بعضها شروه من مخازن الجيش البريطاني علناً ، وبعضها زودتهم به الحكومة دون ثمن ، والبعض الآخر سرقوه من معسكرات الجيش في الداخل او هربوه خفية من الخارج .

ونشطت عصابات الأرغون وشترن في اعمالها الارهابية في مطلع عام ١٩٤٤ . تؤيدها المنظمة العسكرية اليهودية المعروفة بـ (هاغانا^(١)) . وان قالت هذه انها لا تقر (؟) اعمال الارهاب . وكذلك قل عن الوكالة اليهودية التي اعترفت بها بريطانيا كهيئة استشارية ورد ذكرها في المادة ٤ من صك الانتداب . فانها كانت تقول العصابات المتقدم ذكرها وتدفعها الى الامام .

حتى البريطانيين الذين مهدوا لهم السبيل وآزروهم في الوصول الى اهدافهم ، فانهم لم يسلموا من اذامهم . وفي اثناء ثورتهم ، قتلوا الكثيرين منهم . ومن الذين قتلهم ثمانية من رجال البوليس

(١) اقرأ ما كتبه عن هذه المنظمات اليهودية وعن اهدافها وتاريخ نشوئ كل واحدة منها ومؤسسيها واعمالها ، وعن الاحزاب اليهودية كلها ، في كتابي : (النكبة) . ولا سيما الصفحات ٨٦٦ - ٨٧٦ من الجزء الرابع .

اعتبره الكثيرون نصراً لهم ، لأنه دل على ان بريطانيا عدلت عن التقسيم ، وانها اعترفت بمبدأ الاستقلال ، وحسدت الهجرة وقيدت بيع الارض تحديداً لا بأس به ؛ الا ان العرب رفضوه . لأنه جعل تحقيق الاستقلال منوطاً باسهام اليهود ، واليهود لا ولن يقبلوا دولة ليست يهودية . اصف الى ذلك ان بريطانيا احتفظت لنفسها بالقرار النهائي : من حيث الموافقة على اعلان الاستقلال أو تأجيله بعد فترة الانتقال ! .

وكذلك قل عن اليهود . فانهم رفضوا الكتاب الابيض ، لأنه لم يحقق رغباتهم . وقد ابعدهم عن الهدف الذي طالما نشدوه ؛ ألا وهو : انشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين . ولهذا قرروا بذل كل جهد يملكونه من اجل الفائه . وقد اعلنوا الثورة . معتقدين ان العرب ما كانوا يستطيعوا حل الحكومة المنتدبة على انتهاج خطتها الجديدة الرامية الى استرضائهم لولا ثورتهم ، وان ما احدثته الثورة العربية يجب ان يزول بثورة يهودية .

٦٠ - ثورة اليهود : بدأ اليهود ثورتهم بمهاجمة محطة الاذاعة . فقطعوا خطوطها قاصدين ان لا يذاع نياً السياسة الجديدة التي اعترفت الحكومة المنتدبة تنفيذها . وكان ذلك في ١٧ ايار ١٩٣٩ . ثم احرقوا الدوائر الرئيسية للمهاجرة . ونهبوا دار الحكومة في تل ابيب . واستطاعوا ان يدربوا عدداً اوفراً من شبانهم على ايدي ضباط من اليهود تدرّبوا على الاعمال العسكرية في الجيش البريطاني ، وعلى يد ضباط من الانكليز انفسهم كانوا من المؤيدين لفكرة الصهيونية . ومن هنا نشأت القوة العسكرية المعروفة بـ (الهاغانا) . واقاموا دائرة لتجنيد المتطوعين من ابنائهم . ووضعوا تلك الدائرة تحت اشراف الوكالة اليهودية . وجعلوا مدة الخدمة سنة للفتيات

٦١ - المندوب السامي السادس : الفيكونت

غورت : Fild Marshal Viscount Gort
V. C. , G. C. B. , C. B. E. , D. S. O. ,
M. V. O. , M. C.

تسلم هذا الادارة في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ . وما كادت قدماه تخطى ارض فلسطين ، حتى وجدها مخضبة بالدماء واعمال العنف والتدمير . وقد حاول اليهود اقناعه ، بانهم على حق في ثورتهم ، وانهم لن يعدلوا عنها الا اذا اجابتهم حكومته لمطالبهم . ولما شعروا منه تلكؤاً ، راحوا يرسمون الخطط لارغامه . ومن الوسائل التي لجأوا اليها توصلاً الى اهدافهم انهم ، في العرض الذي اقامته الحكومة بمناسبة عيد ميلاد ملك انكلترا ، وضعوا بطارية من مدافعهم القوسية المعروفة (بالمورتر) في مكان ما من احيائهم ، وصوبوها نحو المنصة التي أعدت ليتلقى فيها المندوب تحية الجنود ، وليتلو عليهم خطابه . ولكن حيلتهم هذه ما برحت ان اكتشفت . وقد احبطها رجال الامن . ومع ذلك فان احداً ما ، لم يسألهم : لماذا اقدموا على عملهم ذاك ؟ .

بعد هذا الحادث زادت الحكومة عدد الرجال المنتسبين الى سلك البوليس . وباغوا في عام ١٩٤٥ خمسة عشر ألفاً . هذا - طبعاً - غير الجنود المنتظمين المنخرطين في الجيش البريطاني . وقد انفقت الحكومة من اجل صون الامن في تلك السنة ٤,٦٠٠,٠٠٠ جنيه . ورغم هذا كله فان الامن كان في كل يوم يزداد سوءاً .

٦٢ - القضية الفلسطينية تنتقل الى الصعيد العربي

العالم : انتقلت قضية فلسطين من صعيدها المحلي بفلسطين الى صعيدها القومي في دنيا العرب . وقد تبنتها (الجامعة العربية) ، يوم اجتمع ممثلو حكومات مصر وسورية ولبنان والعراق والاردن

البريطاني (٢٣ آذار ١٩٤٤) ووزير الدولة في الشرق الادنى اللورد موين (٦ تشرين الثاني ١٩٤٤) . ونصبوا كميناً للمندوب السامي السر هارولد ماكايكل (٨ آب ١٩٤٤) قاصدين اغتياله . نصبوه عند مدخل القدس من الغرب . ففجر حرائقه . واما هو فقد نجا .

وقد دمر اليهود دوائر المهاجرة بالقدس وحييفا وتل ابيب في يوم واحد (١٢ شباط سنة ١٩٤٤) . كما دمروا (٢٦ شباط) دوائر ضريبة الدخل في المدن الثلاث المتقدم ذكرها . هذا بالاضافة الى تفجير انابيب البترول ونسف الجسور ومراكز الامن .

ولم يتخذ البريطانيون ازاء الحوادث المتقدم ذكرها ، رغم خطورتها ، ربع ربع ما اتخذوه فيما مضى ضد العرب الذين اعتقلوهم بالمئات ، وزجروهم بالسجون ، ونفوه الى خارج البلاد . وحكموا على كثيرين منهم بالاعدام لحملهم السلاح^(١) . واما اليهود الذين ارتكبوا الجرائم المتقدم ذكرها ، فلم يصابوا باذى . اما الكمين الذي نصبوه للمندوب السامي وكانوا يعتزمون اغتياله ، فكانت عقوبته غرامة قدرها ٥٠٠ جنيه « ؟ » . وقد فرضت هذه على مستعمرة (جبعات شاؤول) الواقعة في مدخل المدينة . ومع ذلك فانهم لم يحصلوها ، بسبب (الضجة) التي اثارها عدد من انصار اليهود في مجلسي العموم واللوردات في لندن ! .

وكل ما فعلته الحكومة في هذا الصدد ، هو انها اصدرت بياناً رسمياً ناشدت فيه الارهابيين ان يتمتعوا عن هذه الاعمال التي تعرقل المجهود الحربي البريطاني وتساعد العدو .

(١) رايت بام عيني شخصاً عربياً بسوقه الجند الى السجن ، ولم يكن معه معاشد سوى رصاصة فارغة ! . .

البريطانية . وقد طلب اليه ان يفتح ابواب فلسطين لليهود ، وان يسمح لمئة الف منهم كي يدخلوها بأمان . هذا بالإضافة الى العدد الرسمي الذي كان قد تقرر في الكتاب الابيض .

فعل ترومان هذا دون ان يستشير العرب . مع ان سلفه الرئيس روزفلت ، كان قبل ذلك بخمسة شهور قد وعد الملك عبد العزيز آل السعود في كتاب أرسله اليه في ٥ نيسان ١٩٤٥ « ان لا يتخذ اي قرار فيما يتعلق بالوضع الاساسي في فلسطين من غير استشارة تامة مع كل من العرب واليهود » .

٦٤ - المندوب السامي السابع والاخير : **السير الن غوردن كاننغهام** General Sir Alan Gordon Cunningham انه من رجالات بريطانيا العسكريين . جاء الى القدس في ٣١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ يحمل اوسمة عديدة نذكر منها: وسام الخدمة الممتازة من رتبة رفيق (D.S.O.) ووسام الصليب العسكري (C. M. G.) . ومنها ايضاً : وسام الصليب الاكبر ووسام الحمام الرفيع من رتبة فارس .

وقد انتدبته حكومته على أمل ان يستطيع تهدئة الثورة . ولكنه فشل . ولم يستطع تهدئتها . لا ، بل انها في زمنه زادت اشتعالاً . ذلك لان حكومته كانت من الجبن بحيث لم تستطع ان تضع حداً لمطامع اليهود . وكان هؤلاء قد ازدادوا غلواً في مطالبهم . وبعد ان كانوا راضين بدخول اعداد معينة من مهاجرين الى فلسطين وبالتغفل في جهاز الحكم الى حد محدود ، راحوا يطالبون بفتح ابواب فلسطين كلها لهجرة يهودية لا تتناهى ، وبتأسيس دولة يهودية كاملة فيها .

وقد استمرت الهجرة في الواقع ؛ فارتفع عدد

والسعودية في الاسكندرية (٧ تشرين الاول ١٩٤٤) فاقروا ميثاقاً تضمن ، فيما تضمن من بنود ، بنداً يتعلق بفلسطين . وقد اعتبروها ركناً من اركان البلاد العربية . وتعهدوا بالدفاع عن حق العرب فيها .

ولما اجتمع ممثلو هذه الدول في القاهرة (١٢ آذار ١٩٤٥) ، ووضعوا دستور الجامعة ، وظهرت الجامعة الى الوجود ؛ نص دستورها على بند يختار (مجلس الجامعة) بموجبه مندوباً عربياً من فلسطين ليشترك في اعماله ، الى ان تتمتع (فلسطين) بممارسة استقلالها فعلاً . والاستقلال حق من حقوقها . وعلى هذا أصبحت قضية فلسطين شغل الجامعة الشاغل . وكان اول عمل عملته من اجل انجاح هذه القضية انها (اي الجامعة) قررت في ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٥ مقاطعة المنتجات والمصنوعات اليهودية ، ومنعها من دخول بلادها ، اعتباراً من اليوم الاول من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٤٦ .

وراحت دول الجامعة بعد ذلك تتبنى قضية فلسطين في المحالين ، العربي والدولي ، كلما سنحت الفرصة .

٦٣ - تدخل الولايات المتحدة : وتدخلت الولايات الأمريكية المتحدة ايضاً في القضية الفلسطينية . وكان ذلك بتأثير من اليهود المسيطرين هناك ، بما لهم من نفوذ واموال وصحف واصوات في الانتخابات ، على معظم معالم الحياة الاميركية ؛ ولا سيما في دوائر المال والاقتصاد . وراح اليهود يحرضون الرئيس الاميركي ترومان على التدخل ، وبذل الجهد من أجل نصرة قضيتهم ، والأخذ بيدهم . ولم يتردد هذا في النزول عند رغبتهم . فكتب ، اول ما كتب ، للمستر أتلي ؛ وكان هذا يومئذ (٣١ آب ١٩٤٥) رئيساً للوزارة

هذا ما قاله المستر جون مارتن ، المستشار البريطاني في هيئة الأمم ، الى احدى اللجان في تلك الهيئة .

٦٥ - اللجنة الانكلو - أميركية : ان الحادثين اللذين ذكرناهما في الاسطر السابقة (الفقرتان ٦٢، ٦٣) ؛ ألا وهما : تدخل الولايات المتحدة في قضية فلسطين لصالح اليهود من جهة ، ومجلس الجامعة العربية لصالح العرب من جهة أخرى ؛ قد حفزا بريطانيا الى سلوك مسلك جديد . فقررت دعوة حكومة الولايات الى التعاون معها في حل المشكلة . وبعد التشاور قررت الحكومتان تأليف لجنة مشتركة من اعضاء متساوين : انكليزي واميركيين . مهمتها فحص الوضع في فلسطين وتقديم التوصي الى الحكومتين ، البريطانية والاميركية ، حول احسن الحلول لمعالجة المشكلة . وتألفت اللجنة بالفعل من اثني عشر عضواً : نصفهم انكليزي ، والنصف الآخر اميركيون . وقد عرف معظمهم بكونهم من انصار الصهيونية .

والغريب في الامر ان مجلسي الشيوخ والنواب في الولايات المتحدة ، اتخذوا قبل ان تبدأ اللجنة عملها ؛ لا ، بل قبل أن يبرح اعضاؤها منازلهم (. . !) قراراً طالباً فيه الحكومة ان تتوسط لدى الدولة المنتدبة كي تفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية مطلقة ، وتقيم في فلسطين دولة يهودية ديمقراطية .

والأنكى من هذا وأمر ، ان المندوب السامي البريطاني ايضاً اصدر - قبل وصول اللجنة الى فلسطين - بياناً قال فيه : « انه ليس من العدل ان تقف الهجرة اليهودية انتظاراً لتوصيات لجنة التحقيق ، ولهذا قررت الحكومة البريطانية الان وجوب السماح باستمرارها بصفة مؤقتة وبالمعدل المقترح ؛ ألا وهو : الف وخمسة مهاجر في كل شهر » .

اليهود في فلسطين ، على عهده ، من ٤٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٣٧ الى ٦٢٥,٠٠٠ في سنة ١٩٤٦ . كما ازداد عدد المستعمرات التي اسسها اليهود في البلاد من ٣٠٢ مستعمرات زراعية تضم ٩٧,٠٠٠ نسمة من السكان الى ٣٠٠ مستعمرة تضم ١٤٠,٠٠٠ نسمة . هذا غير المستعمرات التي اسموها : (يشوف) . ومدينة (تل ابيب) التي بلغ عدد سكانها في سنة ١٩٤٦ مئة وثمانين ألفاً . واما مدينة القدس فقد جاء في (الوقائع الفلسطينية) وهي الجريدة الرسمية لحكومة فلسطين ، انه كان يعيش فيها يومئذ (١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦) مئة وواحد وخمسون ألفاً من السكان ؛ اليك تفصيلهم حسب اديانهم :

الدين	العدد
يهود	٩٢,٠٠٠
مسلمون (كلهم عرب)	٣٢,٠٠٠
مسيحيون (اغلبهم عرب)	٢٧,٠٠٠
	١٥١,٠٠٠

وقد ارتفع هذا العدد في سنة واحدة (١٩٤٧) الى ١٦٤,٥٠٠ واليك تفصيلهم حسب اجناسهم وتوزيعهم في المدينة :

عرب	يهود
٣٣,٦٠٠	٢,٤٠٠
في المدينة القديمة (داخل السور) .	
٣٠,٥٠٠	٩,٠٠٠
في الجزء العربي من المدينة الجديدة (خارج السور)	
١,٥٥٥	٨٨,٠٠٠
في الجزء اليهودي من المدينة الجديدة (خارج السور) .	

$$١٦٤,٥٠٠ = ٩٩,٤٠٠ + ٦٥,١٠٠$$

وأوصت اللجنة أيضاً إلغاء نظام الأراضي لسنة ١٩٤٠ . واستبداله بنظام يقوم على سياسة (حرية بيع الأراضي) واستغلالها . وعلى ادارة فلسطين مع ضمان عدم إلحاق الضرر (!) بحقوق ووضع جميع فئات الأهالي الأخرى ، ان تسهل هجرة اليهود في أحوال ملائمة ! . . .

٦٦ - مؤتمر ملوك العرب في زهاء انشاص :

تأزم الموقف بعد صدور التقرير الذي وضعته لجنة التحقيق الانكلو - اميركية . فاضرب عرب فلسطين مرة اخرى . وتضاعفت اصوات الاحتجاج والاستنكار من كل مكان : من فلسطين نفسها ومن البلاد العربية المجاورة لها . وعقد في زهاء انشاص بمصر مؤتمر (٢٨ أيار ١٩٤٦) . حضره ملوك العرب ورؤسائهم ، فتذاكروا في قضية فلسطين . ومن الذين حضروا هذا المؤتمر فاروق ملك مصر ، وعبد الله ملك الأردن ، وشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، وبشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية ، والأمير عبد الله الوصي على عرش العراق ، والأمير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية ، وسيف الاسلام ولي عهد اليمن . وقرر المؤتمر ، فيما قرروا ، تأييد عرب فلسطين في نضالهم ، وشد أزرهم بالمال وبجميع الوسائل الممكنة . ذلك لان فلسطين قطر عربي لا يمكن فصله عن الاقطار العربية الاخرى ، وان مصيره منوط بمصير دول الجامعة كافة ، وان الصهيونية خطر دائم ليس على فلسطين وحدها ، بل على البلاد العربية كلها ، حتى الشعوب الاسلامية . كما قرروا بذل كل جهد مستطاع لوقف الهجرة الصهيونية ، والعمل على تحقيق استقلال فلسطين . هذه هي القرارات التي اصدرها ملوك العرب ورؤسائهم . وقد احوالوها الى مجلس الجامعة العربية

ومعنى هذا ان (الكتاب الابيض) الذي وضعته الحكومة المنتدبة قبل بضعة شهور ، وقد شام المعتدلون من ابناء فلسطين من ورائه خيراً ! . . . حتى انهم نصحوا الفئات المتطرفة من بني قومهم ، ألا يرفضوه ! . . . قد نسف من أساسه ولما يحف المداد الذي كتب به ! . . . ولهذا لم يتوقع عرب فلسطين اي خير من مجيئها . وفيما كانوا يرسمون الخطط لدرء الخطر عن بلادهم ، أتتهم أخبار تقول : ان لجنة التحقيق الانكلو - الأميركية بدأت تحقيقها في واشنطن (٤ يناير ١٩٤٦) . وبعد ان زارت لندن والمانيما وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وايطاليا واليونان ، جاءت الى القاهرة (٢٨ فبراير) حيث استمعت الى بيانات عبد الرحمن عزام باشا الامين العام للجامعة العربية . وجاءت اللجنة بعدئذ الى فلسطين (٦ آذار) . وبعد ان استمعت في القدس الى شهادات العرب واليهود ، سافرت (٢٨ آذار) الى العواصم العربية . فريق من اعضائها زار عمان ، وآخر زار دمشق وبيروت ، وثالث زار بغداد والرياض . ثم عادت الى لوزان حيث وضعت تقريرها . وكان ذلك في ٢٠ نيسان ١٩٤٦ .

وقد أوصت في تقريرها اصدار مئة الف شهادة هجرة لليهود ، قالت عنهم انهم من ضحايا الاضطهاد النازي ! . . . ومما جاء في تقريرها ان اي نوع من الحكم في فلسطين يجب ان لا يستهدف السيطرة : لا سيطرة العرب على اليهود ، ولا سيطرة اليهود على العرب . فان فلسطين لن تكون دولة يهودية ، ولا دولة عربية . وريثاً لتلاشى الشحناء القائمة بين العرب واليهود . أوصت اللجنة ان تبقي فلسطين تحت الانتداب كما هي الان ، الى ان يتسنى عقد اتفاق توضع بموجبه تحت وصاية الامم المتحدة .

كي يتخذ الوسائل التي يراها مناسبة لتنفيذ تلك القرارات .

٦٧ - مؤتمرو بلودان : واجتمع مجلس الجامعة بعدئذ في بلودان من ٨ الى ١٢ حزيران ١٩٤٦ . فدرس القضية درساً شاملاً . ودرس معها الكتاب الابيض وتقرير لجنة التحقيق الانكلو - اميركية . وأصدر قرارات علنية والاخرى سرية .

اما المقررات العلنية فتتلخص في : استنكار ما جاء في تقرير لجنة التحقيق الانكلو - اميركية . . . ورفض أي شكل من اشكال التقسيم . . . وانشاء لجان للدفاع عن فلسطين في كل دولة عربية . . . واصدار طابع باسم فلسطين يرصد ريعه للقضية الفلسطينية . . . ومقاطعة اليهود مقاطعة تامة في كل دولة . . . وطلب المفاوضة مع بريطانيا للوصول الى حل مرض . . .

واما المقررات السرية التي عرفت فيما بعد فهي :

(١) حث الشعوب العربية على التطوع لنصرة عرب فلسطين بجميع الوسائل : بالمال والسلاح والمجاهدين .

(٢) ان تنفيذ توصي اللجنة الانكلو-اميركية يسيء للعلاقات بين انكلترا واميركا من جهة والبلاد العربية من جهة اخرى . ولهذا يجب رفضها . واذا قبلت بها الدولتان : البريطانية والاميركية ، فعلى الدول العربية ان تعيد النظر في علاقاتها مع تينك الدولتين . وعليها في هذه الحالة :

(٣) ان لا تسمح لها او لأي كان من رعاياها بأي امتياز اقتصادي جديد .

(٤) وان تنظر في الغاء ما لها من امتيازات في البلاد العربية .

(٥) وان تقاطعها مقاطعة ادية .

(٦) وان لا تؤيد مصالحها الخاصة في اية هيئة دولية .

ومن المقررات السرية التي اتخذت في مؤتمر بلودان رفع الشكوى ضد هاتين الدولتين الى مجلس الامن والى هيئة الامم المتحدة .

تلقى الشعب العربي في جميع انحاء العالم العربي ولا سيما في فلسطين ، هذه المقررات بالرضا والارتياح . وراحوا يتوقعون تنفيذها . ولكن شيئاً منها لم ينفذ . ولا سيما البند القائل بالغاء الامتيازات السابقة ؛ وهذا يعني ، اكثر ما يعني ، امتيازات النفط . ولونفذ هذا البند وحده لما وقع التقسيم ، ولما وقعت (النكبة) التي حلت بفلسطين . ولكن الدول العربية المنتجة للنفط - ولا سيما المملكة العربية السعودية - امتنعت عن تنفيذه . فظل النفط العربي يتدفق على الولايات المتحدة وبريطانيا وعلى جميع انحاء الغرب الذي كان يعمل جاهداً من اجل توطيد دعائم الاستعمار في هذا الجزء من الشرق .

٦٨ - توحيد الاحزاب : ومن الاعمال التي

عملها المؤتمرون في بلودان انهم عملوا على توحيد الاحزاب الفلسطينية . وقد لبي رؤساء هذه الاحزاب رغبتهم ، فامموا (بلودان) . اموها كلهم وفي مقدمتهم : احمد حلمي باشا وعوني عبد الهادي وراغب النشاشيبي ويعقوب الغصين وعبد اللطيف صلاح والدكتور حسين فخري الخالدي وجمال الحسيني . وقد اتفقوا جميعاً على ان المصلحة القومية تقضي بتوحيد الجهد . وقد تعهدوا بأن يقبلوا اي قرار يصدره المؤتمرون . واقترح المؤتمرون الغناء (اللجنة العربية العليا) و (الجبهة العربية العليا) . وتوحيدهما في لجنة واحدة اسموها : (الهيئة العربية

والخارجية والجمارك . رفضوه ، لانه أقر فكرة التقسيم . اصف الى ذلك ان القول الفصل في الحكومة المركزية حصر في يد المندوب السامي ، تعاونه هيئة تنفيذية معينة . .

٧١ - مؤتمر لندن الثالث : واستأنف مؤتمر

لندن انعقاده مرة أخرى في ٢٨ يناير ١٩٤٧ . واشتركت الهيئة العربية العليا فيه . كما اشتركت فيه وفود الدول العربية الأخرى . واما اليهود فقد رفضوا الاشتراك فيه وفي أي مؤتمر غيره لا يحقق لهم مطلبهم الوحيد ؛ ألا وهو : قيام دولة يهودية .

٧٢ - مشروع بيفن : وكان آخر اقتراح

عرضته الدولة المنتدبة ، هو الاقتراح الذي قدمه وزير خارجيتها المستر بيفن . انه وان كان لا يفرض التقسيم ، الا انه يقوم على اساس استعمار الانتداب خمس سنين أخرى . تنشأ خلالها حكومات ومجالس محلية عربية ويهودية تتمتع بالاستقلال الذاتي ، على الا يؤدي ذلك الى التقسيم ، وان تكون الهجرة مختصرة في المنطقة اليهودية حسب قاعدة (الاستيعاب الاقتصادي) . ثم يعاد درس الموقف بعد خمس سنين .

فرفض العرب هذا الاقتراح . كما رفضه اليهود . وتمسك الفريقان بمطالبهما السابقة : العرب يرفضون الهجرة مهما كان عددها ونوعها ، ويطلبون الاستقلال عملاً بمبدأ تقرير المصير . واليهود يصرون على فتح ابواب فلسطين لهجرة غير مقيّدة ، ويطلبون قيام دولة يهودية .

٧٣ - الحكومة البريطانية تتخلى عن

الانتداب : عندئذ اعلنت الحكومة البريطانية عزمها : التخلي عن الانتداب ، ورفع الامر الى الامم المتحدة ؛ لتقرر ما تراه مناسباً حول مستقبل

العليا) . فقبل رؤساء الاحزاب الفلسطينية هذا الاقتراح . وتألفت الهيئة فوراً : من الحاج امين الحسيني رئيساً ، وجمال الحسيني نائباً للرئيس ، والدكتور حسين الخالدي سكرتيراً ، واحمد حلمي باشا واميل الغوري اعضاء .

٦٩ - ثورة اليهود : ان التواصي التي وردت

في تقرير اللجنة الانكلو - اميركية ، وان كانت في معظمها - ولا سيما في مواضيع الهجرة والاراضي - لما يرضي اليهود ؛ الا انهم لم يكتفوا بها . لأنهم كانوا قد بلغوا من القوة بحيث اصبحوا لا يرضون بديلاً عن قيام دولة لهم في فلسطين . ولهذا قرروا المضي في اعمال العنف والارهاب . ومن الاعمال التي عملوها ، انهم راحوا يقتلون الانكليز حيثما وجدوهم . وخطفوا ستة من الضباط البريطانيين واعتقلوهم . ونسفوا جانباً من فندق الملك داود . ذلك الجانب الذي اتخذته الحكومة مقراً لأعمالها . كما نسفوا الجسور العشرة التي تربط فلسطين بسوريا ولبنان والاردن ومصر . وهاجموا القطارات والمحافير والمستودعات الحكومية .

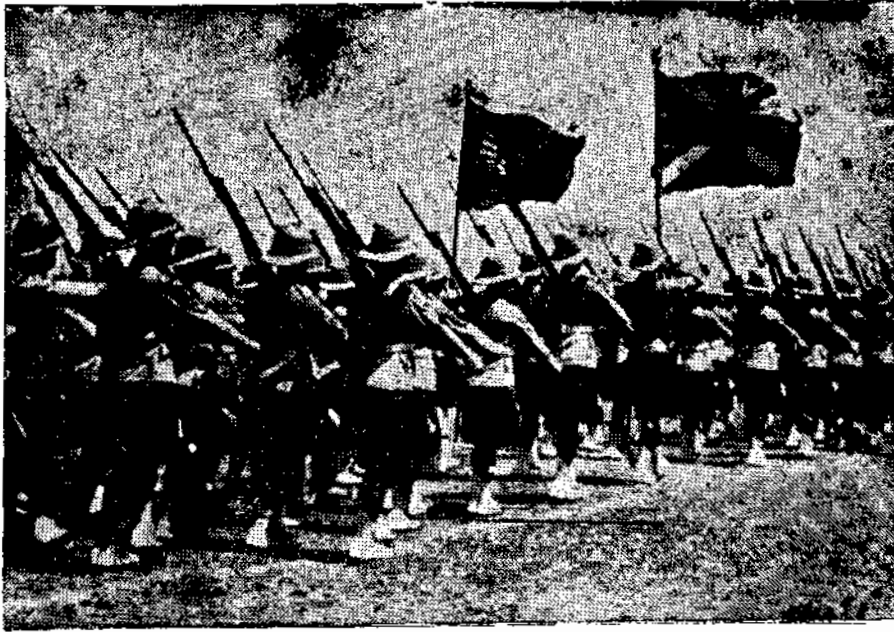
٧٠ - مؤتمر لندن الثاني : ورأت الحكومة ان

تعمل على وضع حل للمشكلة قبل ان يتفاقم الخطب . فدعت الفريقين لمؤتمر عقدته في لندن . وامتد المؤتمر من ١٠ ايلول الى ٢ تشرين الاول ١٩٤٦ . ولكنه لم يسفر عن أي حل . إذ رفض المندوبون العرب ان يجلسوا مع اليهود على مائدة واحدة . كما رفضوا جميع المشاريع التي عرضت عليهم من اجل تقسيم فلسطين . وكان بين تلك المشاريع ، مشروع وضعه المستر موريسون نائب رئيس الوزراء وهو من حزب العمال . ويقضي مشروعه هذا بتكوين دولتين : عربية ويهودية . وحكومة مركزية مختلطة تسيطر على المنطقتين . ولها السلطة في شؤون الدفاع

البلاد . وقد رفعته بالفعل في ٢ نيسان ١٩٤٧ . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ اصدرت هيئة الامم قرارها القائل بتقسيم فلسطين الى دولتين : دولة يهودية ، واخرى عربية . واما القدس ، فقد تقرر تدويلها ^(١)

٧٣ - رحيل المندوب السامي وخروج الجيش

البريطاني : رحل المندوب السامي عن القدس في ١٤ ايار ١٩٤٨ . وما كادت شمس الخامس عشر من الشهر تغيب ، حتى كان آخر جندي من جنود الجيش البريطاني قد رحل . وبرحيلهم ، انتهى العهد البريطاني . ذلك العهد الذي استمر في هذه البلاد ثلاثين عاما .



الجيش البريطاني :

يوم رحيله عن القدس (١٤ أيار ١٩٤٨)

(١) بعد هذا اقرأ ما كتبه عن الاحداث التي حدثت في القدس بوجه خاص ، وفي فلسطين بوجه عام ، في كتابي : (النكبة) . ذلك الكتاب الذي سجلت فيه جميع الاحداث التي حدثت في فلسطين بعد قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧) .

الباب السابع

القدس

كما رأيتها في مطلع عام ١٩٤٧

(١) مكانتها بين المدن

(٢) موقعها الجغرافي

(٣) مساحتها

(٤) سكانها

(٥) احيائها

(٦) سورها

(٧) طقسها

(٨) امطارها ومياهها

(٩) جبالها واوديتها

(١٠) ابنتها

(١١) طرقها

(١٢) حدائقها

(١٣) ملاهيها

(١٤) محطات الاذاعة

(١٥) مدارسها

(١٦) مكتباتها

(١٧) متاحفها

(١٨) جمعياتها ونواديها

(١٩) امراضها ومستشفياتها

(٢٠) مجاريها

(٢١) صناعاتها

(٢٢) تجارتها

(٢٣) اوزانها ومكاييلها

(٢٤) اسواقها ومخازنها

(٢٥) شركاتها التجارية

(٢٦) بنوكها ومصارفها

(٢٧) خدمات البرق والهيد

(٢٨) البلدية

(٢٩) الناحية الادارية

(٣٠) مستوى المعيشة فيها

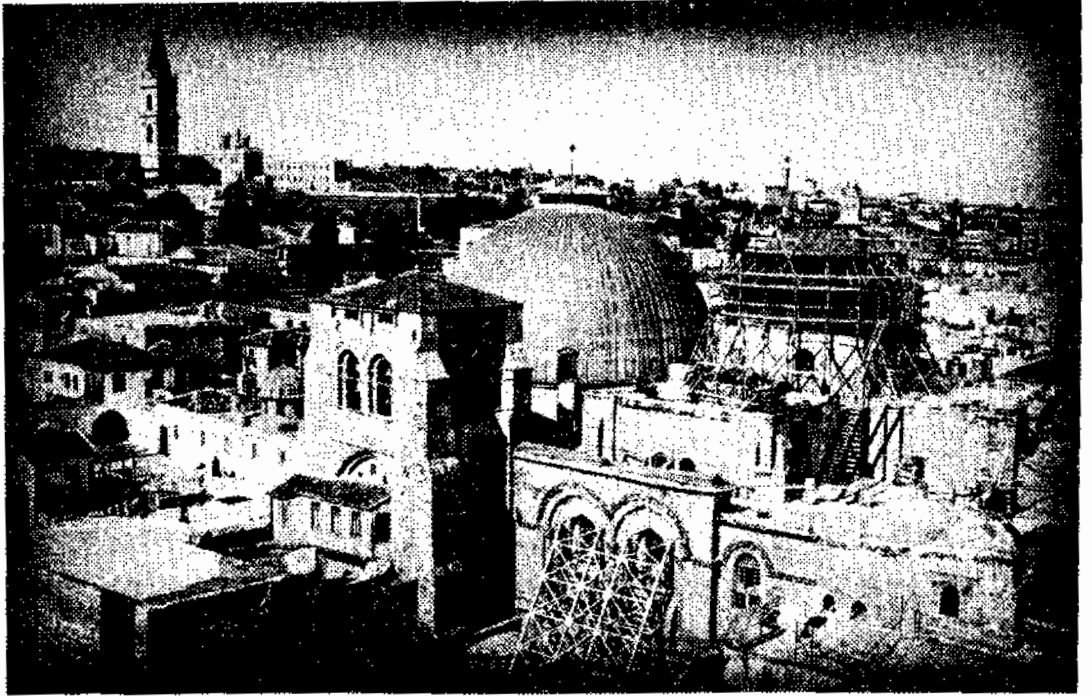
القدس كما رأيتها في مطلع عام ١٩٤٧^(١)

المدن ، في الشرق أو الغرب ، من جراء ظلم الطبيعة وظلم البشر . فقد كانت ، على مر الدهور ، مطمح انظار الغزاة والفاتحين . فحوصرت مراراً ، وهدمت تكررراً ، وهجرت واعيد بناءؤها عشرات المرات في التاريخ . ولكنها ، بالرغم من هذا كله ، ظلت قائمة في هذا الوجود . وظل اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان . انها ، في الحقيقة ، لا شيء وكل شيء . انها مدينة المتناقضات .. مدينة الاديان .. مدينة الآثار .. مدينة التصنع .. مدينة التعصب .. مدينة السحر والخيال ! .

مكانتها بين المدن : لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه البسيطة ، الدور الذي لعبته القدس في التاريخ ؛ على الرغم من انها مدينة لا زرع فيها ولا ضرع . وعمرها اكثر من سبها . ماؤها قليل . ليس فيها نهر ولا نبع غزير .

انها ليست من المدن التجارية الهامة ؛ رغم وقوعها بين البادية من الشرق ، والبحر من الغرب . ولا هي من المدن الصناعية او الزراعية التي تستطيع ان تكفي نفسها .

ومع ذلك فقد لاقت ، ما لم تلاقه غيرها من



(١) قد تجد ، ايها القارئ الكريم . في هذا الفصل ما يرضيك ؛ وقد تجد فيه ما لا يرضيك . وقد ينتابك احياناً شيء من السامة والمثل ، ولا سيما عندما ترى انني اسهب في وصف ناحية من نواحي الحياة القدسية ؛ فتصوب الى سهام لومك وتقريعتك . فرجائي اليك ألا تتسرع في الحكم ، قبل ان تأتي الى نهاية الفصل . خذ منه حينئذ ما صفا لك . واترك لغيرك ما لا يستيفه ذوقك . تذكر : ان ما لا يروق في نظرك ، قد يروق لغيرك . وكما ان ما نعتبره اليوم من المسائل الاجتماعية الهامة ، قد تسخره الاجيال القادمة ؛ فان ما لا نعبأ به اليوم ، قد يعبأ به ابناء السعد ؛ عندما يقبلون صفحات التاريخ ، ليفاضلوا بين يومهم وامسهم . . .

وارتفاعه يتراوح بين ٣٨ قدماً و ٤٠ . واما طوله فمن الشمال ٣٩٣٠ قدماً ، ومن الشرق ٢٧٥٤ قدماً ، ومن الجنوب ٣٢٤٥ قدماً . ومن الغرب ٢٠٨٦ قدماً .

٣ - مساحتها : ١٩٣٣١ دونماً^(١) . منها ٨٦٨ دونماً داخل السور و ١٨٤٦٣ دونماً خارجه . يملك العرب منها ١١٩١ و اليهود ٤٨٣٥ . واما الباقي وهو ٣٣٠٥ دونماً ، فانه عبارة عن طرق وميادين عامة . يدخل في هذه الارقام اراض كانت في الاصل من ممتلكات لفتا والمالحة وبيت صفافا وصورباهر وعين كارم وما الى ذلك من القرى المجاورة . وقد ضمت الى القدس في السنين الاخيرة ، فاصبحت جزءاً منها .

٤ - سكانها : كان عددهم في نهاية (عام ١٩٤٤) ١٥٥,٣١٤ شخصاً : منهم ١٢٨ و ٣٢٢ عرب مسلمون و ٢٨,١٤٩ عرب مسيحيون و ٩٤٢,٩٤٤ يهود و ٩٥ ينتمون الى اجناس وديانات اخرى .

وفي ٨ نوفمبر ١٩٤٧ كان عدد نفوس مدينة القدس ١٦٤,٥٠٠^(٢) موزعون كما يلي :

	عرب	يهود
في البلدة القديمة .	٣٣,٦٠٠	٢,٤٠٠
في الجزء العربي من البلدة الجديدة .	٣٠,٠٠٠	٩,٠٠٠
في الجزء اليهودي من البلدة الجديدة .	١,٥٠٠	٨٨,٠٠٠
	٦٥,١٠٠ + ٩٩,٤٠٠ =	١٦٤,٥٠٠

(١) الدونم الفلسطيني عبارة عن الف متر مربع . والارقام المذكورة في هذا الفصل ، اقتبسناها من سجلات مصلحة الاراضي والتسوية التابعة لحكومة فلسطين (١٩٤٧) .
(٢) اقتبسنا هذه الارقام من تقرير رفعه المستر جون مارتن ، المستشار البريطاني لندوبي بريطانيا في هيئة الامم المتحدة بليك سكس (١٩٤٧) .

انها مقدسة في نظر جميع الاديان . وقد لا نعتدي على الحق اذا قلنا ، ان قدسيته هذه كانت في اكثر الاوقات السبب في شقائها ، وفيما انتابها من رزايا ونحن .

انك اذا اضفت الى صفاتها المتقدم ذكرها (وهي اليبوسة والجذب وقلة المياه والاختلافات الدينية) ؛ اجل ، اذا اضفت الى هذا كله المصائب التي تحملها الجيوش المحتلة من هدم وتخريب ، وسفك دماء وتدمير ، ومن طرق في الحكم تفرض فرضاً ، ادركت السبب ، لا بل الاسباب التي تجعل ابن القدس اميل الى العبوس والتشاؤم في حياته منه الى الفرح وتوقع الخير !

ومن هنا جاء المثل العامي الذي اشتهر عن القدس .

« ميتها^(١) لم ، وعيشتها غم ، وصحبته اكثر من سنة ما بتم^(٢) . »

٢ - موقعها الجغرافي : انها مدينة جبلية واقعة بين البحر الميت من الشرق والبحر الابيض المتوسط من الغرب . تبعد عن الاول ١٨ ميلاً وعن الثاني ٣٢ ميلاً . وهي مرتفعة ٣٨٠٠ قدماً عن سطح البحر الميت و ٢٥٠٠ قدماً عن سطح البحر الابيض المتوسط . وهي واقعة عند تقاطع خط الطول ١٥ ر ٣٥ وخط العرض ٤٧ ر ٣١ .

وهي قسبان : القدس القديمة والقدس الجديدة . يفصل بينها سور^(٣) يحيطه ميلان ونصف ميل .

(١) ماؤها

(٢) لا تستمر

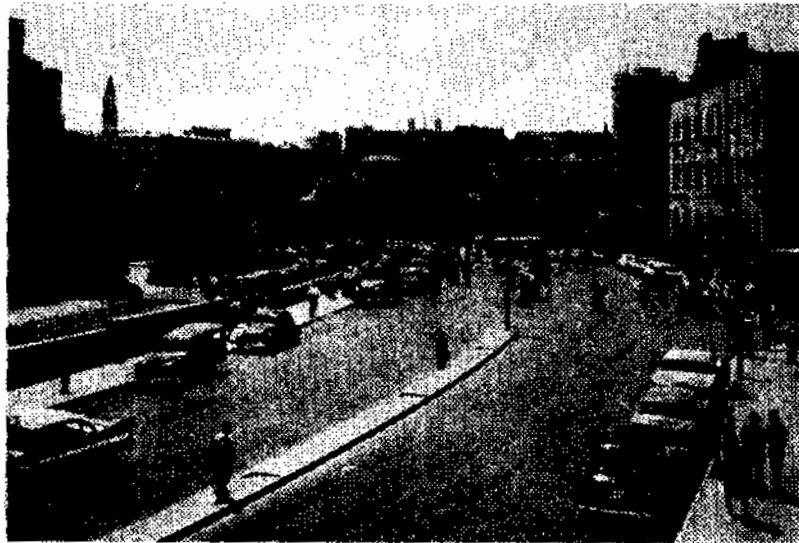
(٣) انه هو الذي جدد عمارة الاتراك على عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٤٣ - ١٥٦٦ م) . وقد ذكرنا بنائه الاولين وما الم به على مر السنين في موضع آخر من هذا الكتاب .

واما التي خارج السور فمنها : باب الساهرة ،
الشيخ جراح ، كولونية اليونان ، وادي الجوز ،
المصرارة ، النبي داود ، ماملا ، دير أبي ثور ،
وادي النباح ، البقعة الفوقا ، البقعة التحتا ،
الطالبيسة ، النمرية ، القطمون ، الشيخ بدر ،
الراتزيون هذه الاحياء كلها عربية . واما الاحياء
اليهودية فهي في داخل السور : حارة اليهود^(١) .
وفي خارجه : روميا ، رحافيا (١٩٢٢) ، نخلات
صادق ، تركرت موشه ، تل بيوت (١٩٢٢) ،
سناه داريا ، بني شعان ، رحاما ، آرقونا ، يمين
موشه (١٨٦٢) ويسمون منتفوري ، جبعات
شاؤل ، زكرون يوسف (١٩٢٥) ، بيت اسرائيل
(١٨٨٥) ، كرم ابراهيم ، نخلات صهيون ،
ميكور حاييم ، شخونات هابوعاليم ، بيت هاكريم
(١٩٢٢) ، بيت فيغان ، قريات شموئيل ، شعاري
حيسد ، ميشورم (١٨٧٥) ، البخاراليه (١٨٩٢) .

واما عدد السكان في فلسطين كلها ، فقد كان
في عام ١٩٤٦ كما يلي :

العدد	
١٥,٠٧٦,٧٨٣	مسلمون
٦٠٨,٢٢٥	يهود
١٤٥,٠٦٣	مسيحيون
١٥,٤٨١	آخرون
١٥,٨٤٥,٥٥٢	

٥ - القدس مؤلفة من أحياء^(١) عديدة . يسمى
المقدسيون كل حي منها : (حارة) . ويجمعونها
على (حارات) . ومن الحارات المعروفة في المدينة
القديمة : باب حطه ، باب السلسلة ، باب العمود ،
حارة الشرف ، حارة الواد ، حارة السعدية ، حارة
النصارى ، هذه الاحياء كلها بين الاسوار . وهي ،
باستثناء حارة النصارى ، أحياء اسلامية بحجة .



« حي باب الساهرة »

(١) يقول الهركارل رنر الألماني في الصفحة ١٩١ من كتابه
The Comparative Geographie of
Palestine المطبوع في نيويورك سنة ١٨٦٦ « ان
نسما كبيرا من مساكن اليهود الكاثنة في هذا الحي هو =

(١) مفردتها : (حي) . والحي - كما جاء في (البستان) -
الطن من بطون العرب يقع على بني اب واحد ، قلوبا ام
كثروا .

وفي الفصول التي اوردها في صفحات سبقت من هذا الكتاب ، ذكرنا كل ما اتى على اسوار هذه المدينة من أحداث : من اليوم الذي بناها فيه اليبوسيون الى يومنا هذا .

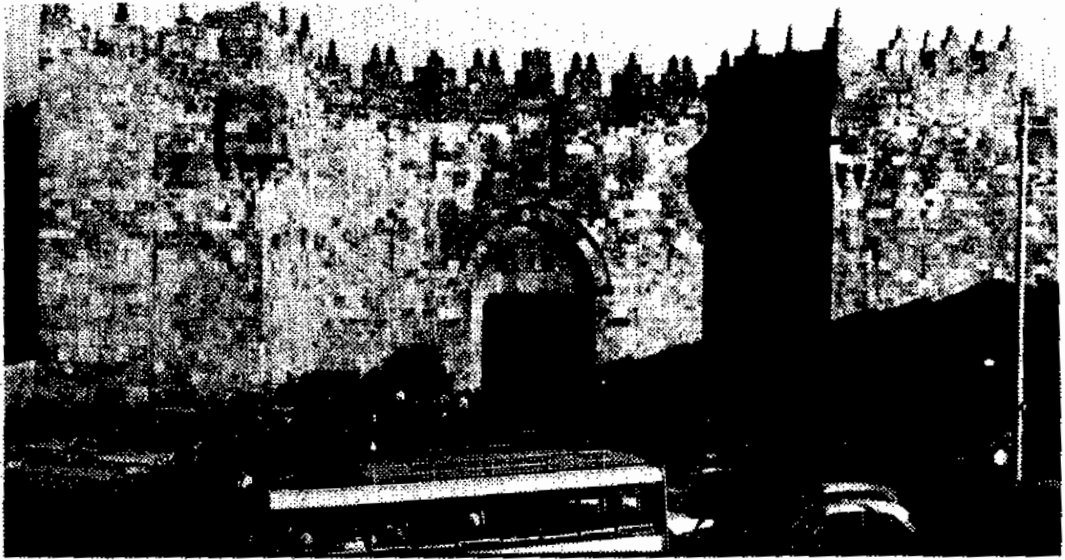
ونريد هنا ان نكتفي بالقول ان القسم العلوي من السور ، كما نراه في يومنا هذا ، هو من صنع الاتراك العثمانيين . وكان سورها في معظم اجزائه ، عندما دخلها هؤلاء ، متهدماً . فعمره السلطان سليمان . ودامت عمارته خمسة اعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠) . وبقي السور على حاله اثناء الاحتلال البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٧) . محيط السور ميلان ونصف الميل ، وارتفاعه يتراوح بين ٣٨ و ٤٠ قدماً . طوله من الشمال ٣٩٣٠ قدماً ومن الشرق ٢٧٥٤ ومن الجنوب ٣٢٤٥ ومن الغرب ٢٠٨٦ قدماً . وله اربعة وثلاثون برجاً . واحد عشر باباً : سبعة منها مفتوحة ، يرادها السكان حتى يشاءون . واربعة ابواب مسددة . اما الابواب المفتوحة ، فهي : باب الساهرة وباب العمود من الشمال ، وباب الاسباط من الشرق ، وباب المغاربة وباب الخليل من الغرب ، والباب الجديد من الشمال الغربي . وهذا هو احدث الابواب .

واما الابواب المسدودة ، فهي : باب الرحمة وباب التوبة . وهما بابان كبيران متلاصقان سدا اثناء الحرب الصليبية لاسباب تتعلق بالامن . انها في الحقيقة باب واحد ، في وسطه عمود ضخيم يرتكز عليه قوسان من صنع بيزنطي . ويسميه الفرنجة : The Golden Gate اي الباب الذهبي . والمعتقد ان السيد المسيح دخل من هذا الباب الى منطقة الهيكل في (احد الشعانين) . وان هرقل الملك ايضاً دخل المدينة من هذا الباب ، عندما استرد القدس من الفرس . ويسميه المقدسيون في يومنا هذا : باب توما توما .

٦ - سورها : اعتساد الناس ان يقولوا ان سور القدس الحالي بناه السلطان العثماني . . السلطان سليمان الثاني . . المعروف بالقانوني . والحقيقة انه (أي السور) من آثار الاقدمين : كاليوسيين والعبرانيين والرومان والبيزنطيين والصليبيين والايوبيين والمماليك . فلما منامة دخلت القدس واستقرت فيها ولو حيناً من الدهر ، الا وفكرت في تحصينها ، واقامة سور من حولها . وكان سورها حيناً يبقى على ما كان عليه من اتجاه ، ويعمر بشكل يجعله امن من قبل . واحياناً كان يتسع ، بحيث يشمل الاحياء الجديدة التي ظهرت مع الايام^(١) ، واتساع العمران ؛ وهكذا دواليك .

== وقف الحرم الاسلامي في القدس » . هذا ما قاله الهر رتر عن الحلي اليهودي . والذي اعرفه اثنان تسعين في المئة من منازل من الاوقاف الذرية التي يتصرف بربعها مسلمون من آل النعمري ، والجاعوني ، والخالدي ، والحسيني ، والنشاشيبي ، والعنزي ، والقطب ، والعسني ، والبديري ، والامام ، والدفاف ، وقطينة ، والشهابي ، والانصاري ونبيه ، والدواودي ، والموسوس ، والمديسي ، وابو السعود والطبيجي ، والرصاصي ، والنفوق ، والزحبيات ، وغنم ، وابو مـين ، والباشنة ، والجريري ، وغيرهم من الاسر المقدسية المعروفة من قديم الزمان . وكان المقدسيون فيما مضى يطلقون على هذا الحلي : (حارة الشرف) .

(١) خذ لك ، مثلاً ، حارة الناصري . ان الموضع الذي تقوم عليه الان ، كان فيما مضى ، وبعبارة افصح قبل صلب المسيح ، عبارة عن مقبرة واقعة خارج السور . وكان السور يومئذ في تلك الناحية الغربية من المدينة ، لا يتخطى البقعة المعروفة في يومنا هذا : (بسوق خان الزيت) . وانك لترى الان اثاراً من آثار ذلك السور هناك ، ولا سيما في (دكان زلطيبيو) وفي دبر المسكوبية المعروف بـ : (دير القديس الكسندر نيفسكي) الى الجنوب من باب خان الزيت . ويعتقد المسيحيون ان هذا هو السور القديم ، وهنا كان الباب الذي خرج منه المسيح ليصحب في الجحلة ولما اتسعت المدينة وكثر المسيحيون فيها ونشأ الحلي الذي نسميه الان : (حارة الناصري) ؛ اتسع السور ايضاً ، بحيث راح يشمل هذا الحلي .



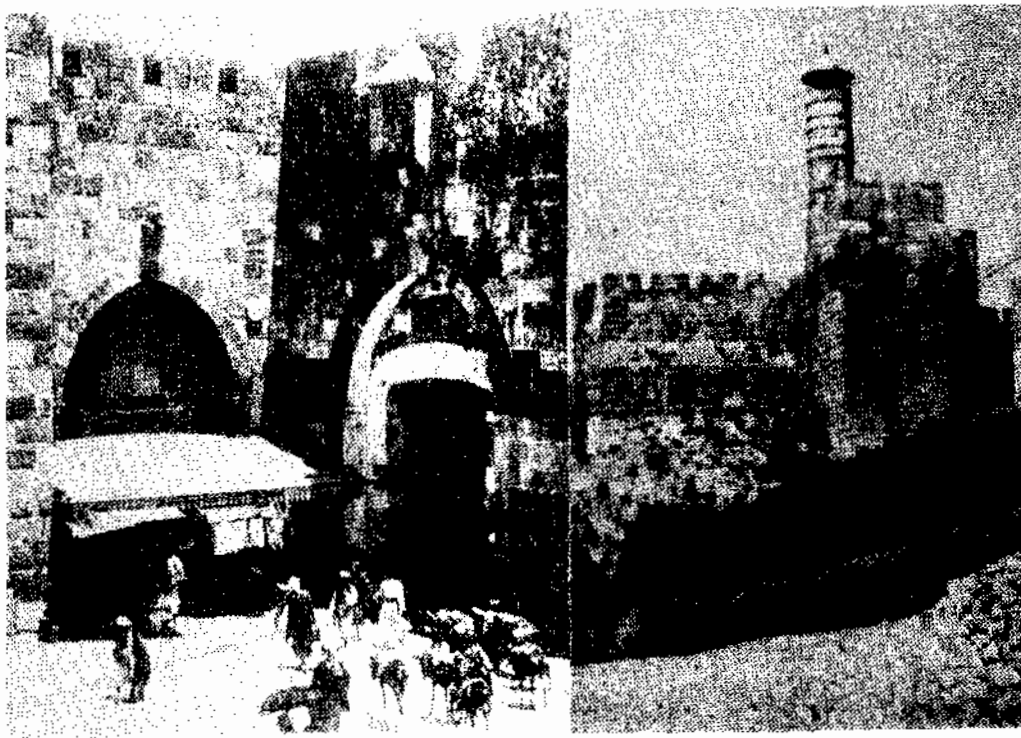
باب العمود

ويسمى أيضاً باب دمشق ، وهو المنفذ الرئيسي للمدينة ، يقع في الجهة الشمالية منها

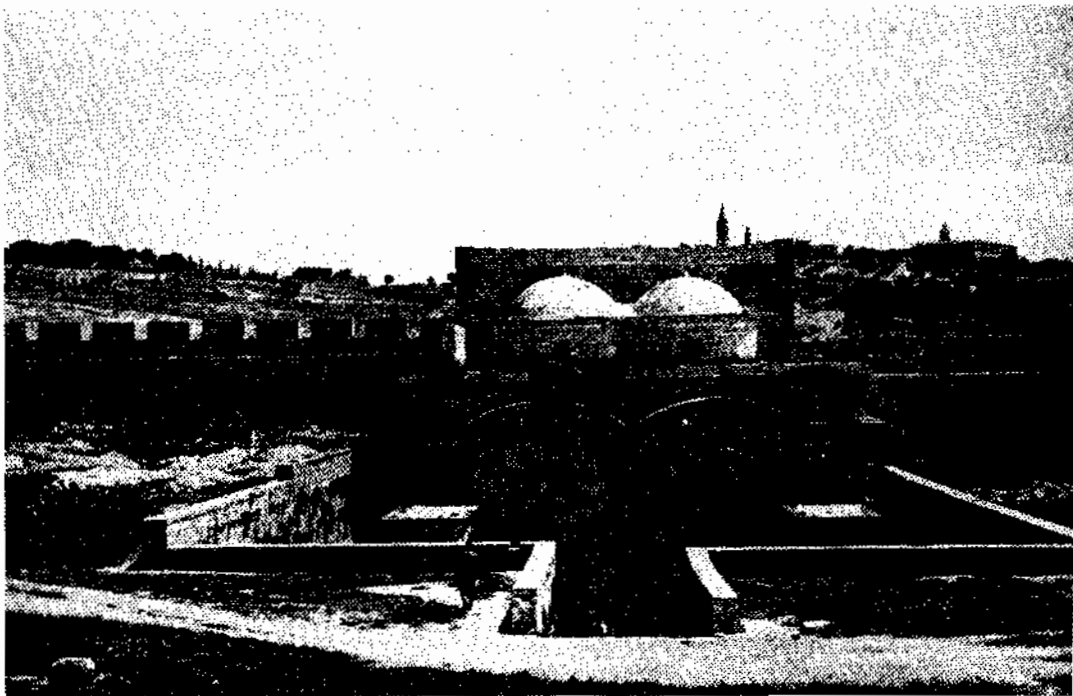


باب الاسباط

الباب الوحيد المفتوح من الشرق



باب الخليل والقلعة



الباب الذهبي من الداخل

كانت هناك ، حول السور ، ولا سيما عند (باب العمود) مبان ملاصقة للسور ؛ فهدمتها الحكومة (١٩١٩ - ١٩٢١) بإيعاز من (جمعية بحبي القدس) . وهي التي منعت البناء هناك وفي الاطراف الاخرى الملاصقة للسور .

٧ - طقسها : طقسها لطيف . وجوها صاف . وهوؤها عليل . انه من الهواء المعروف بـ : (هواء بحر الروم) . يهب عليها من البحر نسيم بلييل ، فيلطف حرها في اشهر الصيف ، ويبرد هواءها في الليل . ويكثر فيها الندى ، فيتبلبل به وجه الارض .

الريسم فيها والخريف معتدلان . تتراوح حرارة الصيف بين ٧٧ و ٨٦ ميزان فارنهايت . وقد ترتفع الى ١٠٠ ومتى ارتفعت صحبها هبوب ريح جافة من الشرق والجنوب . واما في فصل الشتاء فتتراوح درجة الحرارة بين ٤٥ و ٥٠ .

هواؤها ناشف ، الا عندما تهب الرياح القبلية ، وهي حارة ، فانه يكون خانقا .

لا تهب الرياح الشمالية فيها الا نادرا . والطف الرياح هي التي تهب من الشمال الغربي . واما الرياح الشرقية فانها ، وان لم تكن كثيرة الهبوب ، الا لنها بارده . واما الرياح الغربية فانها كثيرة الهبوب في فصل الشتاء . ويعقبها مطر في اكثر الاحيان . امطارها معتدلة ، ومتقطعة ؛ تظهر خلالها اشعة الشمس ، وتبدد السحب . وعلى هذه الامطار يعتمد المقدسيون في شربهم وزراعتهم .

فصل الشتاء يستمر - في اغلب السنين - من شهر ديسمبر (كانون الاول) الى شهر مارس (آذار) . ويهطل الثلج في بعض السنين . الا انه لا يدوم طويلا .

٨ - امطارها ومياهها : في الفصل الذي

ومن الابواب التي سدت للسبب نفسه : باب الجنائز . انه في القسم الشرقي من السور . وقد سمي كذلك ، لان الناس كانوا في العهود الغابرة يخرجون منه بموتاهم بعد ان يصلوا عليهم في المسجد الأقصى ، وهناك في المقبرة الملاصقة للسور يدفنونهم .

وهناك في القسم السفلي من جدار السور ومن الناحية القبلية بابان مسدودان . وكانا ، قبل بناء المسجد الأقصى ، مفتوحين .

هناك كلمات منقوشة بالنسخ العثماني على بلاطات تم تثبيتها فوق الابواب . وهي تشير الى السور الذي انشأه السلطان سليمان ، والابواب التي فتحتها . فالبلاطة التي رأيتها على باب العمود تحمل تاريخ ٩٤٤ هـ - ١٥٣٧ م وباب الاسباط ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨ م وباب الخليل ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨ م وباب النبي داود ٩٤٧ هـ - ١٥٤٠ م وباب المغاربة ٩٤٧ هـ - ١٥٤٠ م .

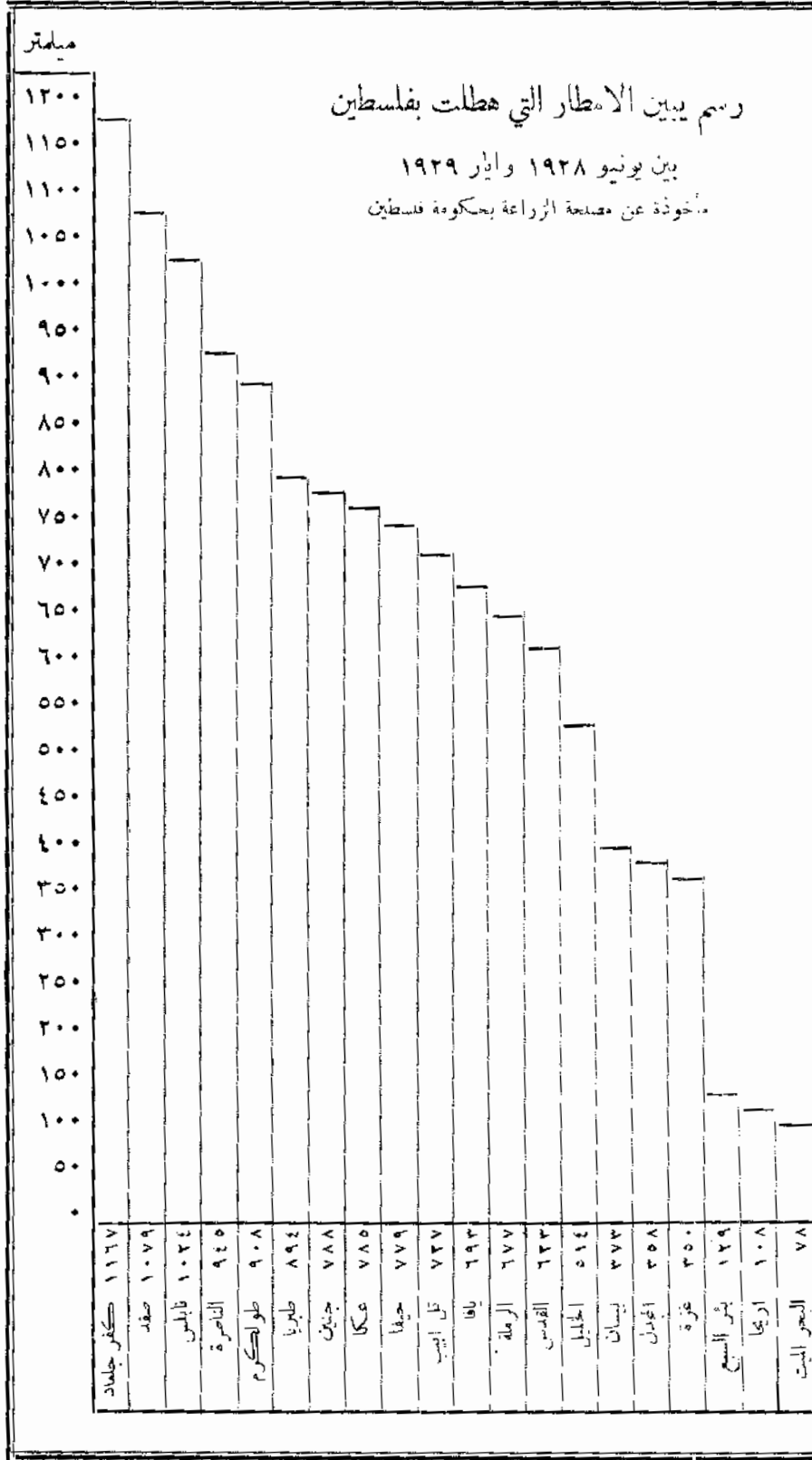
اما الخندق الذي تراه حول الناحية الشمالية الغربية من السور ، فالذي حفره صلاح الدين (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) . واما الحائط الذي يسند الخندق فانه من صنع السلطان محمود (١١٤٤ هـ - ١٧٣١ م) .

وهناك ، تحت السور ، وعلى مقربة من باب العمود - ومنه الى الشرق - مغارة كبيرة ؛ هي التي ذكرها مجير الدين ، فاسماها : (مغارة الكتان) .

واما الفرنجة فيسمونها : Cotton Grotto وقد اسماها قبلا يوسفوس : المقابر الملكية . وفي الاساطير انها تمتد (؟) حتى الصخرة التي بني عليها عبد الملك بن مروان قبته . والحقيقة انها مغارة طبيعية تحت الارض ، وكانت فيما مضى عبارة عن محجر يقطع منه السكان ما يحتاجون اليه من حجارة لمنازلهم .

اعددناه لـ (مياه القدس في التاريخ) احصينا كمية الامطار التي هطلت في القدس في غضون المئة سنة الاخيرة (١٨٤٥-١٩٤٥) ومنه يفهم ان اقل كمية من المطر (٣١١ ميلتر) هطلت عام ١٩٣٥ . واكثرها (١٠٩١ ميلتر) هطل عام ١٨٧٨ . وان المعدل الوسطي كان خلال الجيل المذكور ٦٢٠ ميلترا . ولنعطيك فكرة عن الامطار التي تهطل في القدس ونسبتها الى كمية الامطار التي تهطل في البلاد الفلسطينية الاخرى ، ثبت فيما يلي رسما بيانيا اقتبسناه من تقوير رسمي مأخوذ عن ارقام جمعيتها مصلحة الزراعة بفلسطين :
بعدهذا دعني احدثك :
من اين تشرب القدس ماءها في يومنا هذا (١٩٤٧) :

تشربه من عيون سلوان ؛ واني لذا كرمها :
عين ام الدرج تبعد ثلاثئة متراً عن الزاوية الجنوبية الشرقية لسور الحرم . وكانت هذه هي



الصحابة والمجاهدين المسلمين اثناء الفتح الاسلامي (٦٣٦ م) . وفيه عسكر صلاح الدين يوم جاء ليسترد بيت المقدس من الصليبيين (١١٨٧) .

بركة حزقيا واقعة بين سويقة علون وحارة النصارى . ويسمونها ايضاً (بركة حارة النصارى) .

بركة السلطان غربي سور المدينة وعلى بعد مئة متر من السور . تراها الى يمينك اذا ما توجهت صوب البقعة ومحطة السكة الحديدية .

وتشرب القدس الماء ، بالإضافة الى العيون والبرك المتقدم ذكرها ، من آبار الجمع المحفورة في المنازل والبيوت داخل السور . وفي هذه الابار تتجمع مياه الامطار . واكاد اقول : انه ليس ثمة بيت من البيوت القديمة داخل السور ، الا وفيه بئر . ويسمونه احياناً : صهريج . وجمعه صهاريج .

وتشرب القدس ايضاً من عيون وينابيع واقعة في (وادي العروب) و (وادي البيار) و (البالوع) و (ارطاس) . هذه الينابيع واقعة على مقربة من الطريق التي تربط القدس بمدينة الخليل .

اما **وادي العروب** فانه يبعد عن القدس زهاء ٢٢ كيلومتراً وعن الخليل ١٤ كيلومتراً . فيه ثلاث عيون هي : **فريدس** و **عد المزرعة** و **الفوار** . وماء هذه العيون تنصب في بركة يسمونها : **الشط** .

وهناك في وادي العروب اربع عيون اخرى ؛ هي : **عين البص** و **عين البرادة** و **عين قوزبا** و **عين الدلبة** . ان الماء الذي ينبع من هذه العيون وان كان لا ينصب في بركة الشط - بسبب انخفاضها - الا انه يلتقي بالماء الذي يسيل من تلك البركة ، وينساب كله في اتجاه واحد .

واما **وادي البيار** فانه من اراضي الخضر وعلى بعد ٨ كيلومترات من برك سليمان الى الجنوب .

المورد الوحيد الذي وردته قبلنا آباؤنا الاولون .

بركة سلوان قبلي عين ام الدرج وعلى بعد بضعة امتار منها . يعتقد انها هي البركة التي امر السيد المسيح الرجل الاعمى ان يغتسل فيها بعد ان طلى عينيه بالطين المصنوع من التفل ؛ فاغتسل ، وابصر .

البركة التحتانية الى الجنوب الشرقي من بركة سلوان وعلى بعد بضعة امتار منها . ويسمونها ايضاً : **البركة الحمراء** .

بئر ايوب وهي بئر كبيرة يتفجر اناء فيها في فصل المطر . تبعد عن البركة الحمراء زهاء الف قدم . ماؤها^(١) اعذب من ماء عين ام الدرج .

عين اللوزة عند اتصال وادي ياصول بوادي النار ، وعلى بعد ٥٣٤ متراً من بئر ايوب الى الجنوب . يجري فيها الماء الفائض من بئر ايوب . وهو ماء عذب .

وتشرب القدس الماء من برك تتجمع فيها مياه الامطار . واني لذاكر منها :

بركة ماملا وهي اكبر البرك حجماً واقدماً عهداً . ولقد سائر تاريخها تاريخ المدينة كلها . ففي هذا المكان عسكر الاشوريون عندما هاجموا القدس (٧١٠ ق.م) . وفيه القى الفرس بجثث المسيحيين الذين قتلهم (٦١٤ م) . وفيه دفن عدد كبير من

(١) قال الاب ماسترمان Masterman في كتابه Bible World انه رأي عندها ، في عام ١٩٠٢ للميلاد ، مئة وعشرين دابة تنشل الماء منها في قرب مصنوعة من الجلد ، وتنقله الى القدس . وان هذا العمل تكرر طوال ذلك النهار وفي الليل ايضاً . وقال الدكتور بونار Bonar انه اسم اسلامي ، وانه يرجع بالاصل الى زمن صلاح الدين الايوبي في اواخر القرن السادس عشر للميلاد ، وانه هو الذي عمرها واطلق هذا الاسم عليها .

البركة الفوقا اعلى من سطح البحر ٧٩٧ متراً ونصف متر .

البركة الوسطى اعلى منه ٧٨٣ متراً وعشرين سانتيمترا .

والبركة التحتا اعلى منه ٧٦٨ متراً .

واما **القناة** التي تسيل فيها الماء ، قبل وصوله الى القدس ، فانها قناة رومانية . وقد عمرت في اليهود الاسلامية الفاتنة مرارا . وكانوا يسمونها : **قناة السيل** . وكان الماء الذي يصل الى القدس عن طريق هذه القناة ، ينصب في آبار حفرت في ارض الحرم ، وفي سبل أنشئت فيه وفيما حوله من احياء .

حتى هذه البرك والعيون والآبار ، لم تكن كافية لتزويد القدس بحاجتها الى الماء . الامر الذي جعل المجلس البلدي يفكر في موارد اخرى . فسحب الماء من (عين فارة) .

كان ذلك في سنة ١٩٢٦ . وهي تبعد زهاء ١٤ كيلو مترا عن القدس ، ومنها الى الشمال الشرقي ،

هناك خمسة ينابيع غزيرة ، ينبع الماء فيها في الصيف والشتاء . ويسيل في قناة اسمها : **قناة وادي البيار** .

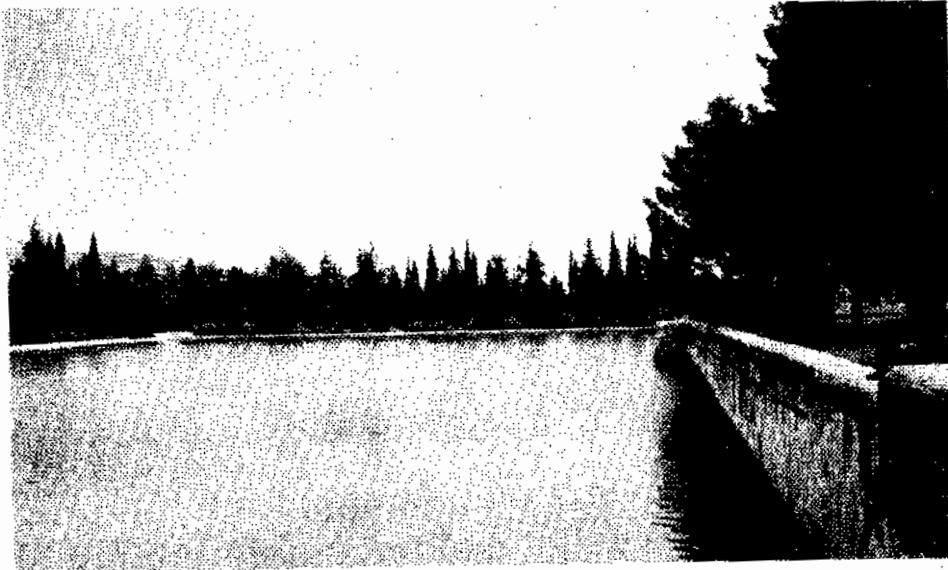
اما **الينابيع الخمسة** الكائنة في وادي البيار ، فهي : **وجم السيط وراس العد وعين فاغور وخربة القط وعين العصافير** .

واما **البالونج** ويسمونه ايضا : **عين الحضر** . فهو واقع شرقي الحضر عند الكيلومتر ١٣ على طريق القدس - الخليل .

هذه **الينابيع الكائنة** في وادي العروب ووادي البيار والبالوع ، تصب ماءها في **بوك سليمان** . ومن هذه البرك يخرج الماء ، ويلتقي بمياه عيون اراطاس ، وتسيل كلها في قناة واحدة ، الى ان تصل بيت لحم ، فالقدس .

اما **عيون اراطاس** فاربعة : **عين عطاف وعين الفروجة وعين صالح وعين البرك** .

واما **بوك سليمان** فانها ثلاثة ، ويسمونها : **بوك المورجيم** :



« برك سليمان »

انها قائمة على خمسة تلال هي موريا^(١) . اوكل^(٢) صهيون^(٣) . عكرة^(٤) . بيزيتا^(٥) . واما اليوم ، وقد اتسعت القدس من جميع النواحي ، فجبالها وتلالها اكثر مما كانت عليه في الماضي . ولئن ضربنا صفحا عن ذكرها كلها ، فانه لا بد لنا من الاشارة بوجه خاص الى : الطور ، وسقوبس ، والمكبر ، وجبل صهيون ، والقطمون ، ووعر الضبع .

واليك بعض المعلومات عن هذه الجبال والتلال :

جبل الطور : ومن اسمائه (طور زيتا) و (جبل الزيتون) . واقع شرقي القدس . وهو أعلى منها بـ ١٩٧ قدماً . تاريخه متصل كل الاتصال بتاريخ المدينة . انه ، من الناحية الاستراتيجية ، بمثابة الروح من الجسد .

فيه حطت جيوش الرومان رحلها يوم جاءت لفتح القدس بقيادة تيطس . وفيه عسكر المسلمون يوم جاءوا لفتحها . وكذلك فعلت جيوش الامم التي هبطت هذه المدينة من قبل ومن بعد .

عندما غادر داود اورشليم بسبب الثورة التي اشعل نارها ولده ابشالوم حوالي ١٠٤٩ قبل الميلاد أمّ جبل الزيتون . وفيما كان يصعد نحو القمة من سفحه الغربي التفت الى اورشليم والقى عليها نظراته الاخيرة . فراح يبكي .

وكذلك فعل عيسى من بعده (٣٠ ب. م) فانه كان يتردد الى هذا الجبل مع تلاميذه . وعندما

ليست القدس وحدها هي التي تتزود بالماء من هذه العين . فان مدن وقرى ومؤسسات اخرى ايضا تعيش من مائها . وانا لذاكرون منها : قرى الطور وعناتا وحزما والعيسوية وشعفاط والرام ونخماس وكفر عقب وقلنديه وبيت حنينا ومدينتي رام الله والبيرة وبعض القرى التابعة لها .

وفي عام ١٩٣١ راحت القدس تتزود بالماء من **عين الفوار** ايضا . وهي واقعة على بعد ٦ كيلو مترات من عين فارة الى الشرق . وكذلك قل عن **عين القلط** الواقعة في الوادي نفسه . فقد تزودت القدس بالماء من هذه العين في سنة ١٩٣٤ .

ولما تم مشروع **راس العين** في السنة التي تلتها (١٩٣٥) وراحت القدس تتزود بالماء منها . املت مياه عين الفوار وعين القلط . وراحت تعتمد على مياه راس العين . واحتفظت بعين فارة لحين الحاجة .

انها في السهل الواقع بين القدس واللد باتجاه البحر . تبعد عن القدس ٣٧ ميلا وهي منها الى الشمال الغربي . وقد سحب ماءها الى القدس في مطلع عام ١٩٣٥ .

ماؤها عذب وغزير ، ينبع منها في الساعة الواحدة ما يزيد على مئة الف غالون . ويجري منها الماء في انابيب قطرها ١٨ بوصة . وطولها ٦٠ كيلو مترا . وهي مصنوعة من الحديد والفولاذ . وهناك اربع محطات للضخ بين راس العين والقدس : راس العين واللطرون وباب الواد وسريس وفي كل محطة ثلاثة مضخات كبيرة ، قوة كل واحدة منها ٣٦٠ حصانا . وعند راس النبع مصفاة لتصفية الماء . فيصل القدس ماءاً قراحا .

٩ - **جبالها واوديتها :** كانوا فيما مضى يقولون

(١) الاكمة التي يقوم عليها الحرم القدسي .

(٢) السطح المغطى على قرية سلوان من ناحية الحرم .

(٣) التل المغطى على بركة السلطان من العرب وفريسة سلوان من الشرق . والذي يقوم عليه حي النبي داود في الوقت الحاضر .

(٤) حارة النصاري والسوق الجديد .

(٥) باب حطه وباب العمود وما حولها .

وهناك ، بين القدس وجبل الزيتون ، واد عميق
يسميه الفرنجة : (وادي قدرون) واليهود (وادي
يهوشافاط) والعرب المسيحيون (وادي ستنا مريم)
والعرب المسلمون (وادي جهنم) و (وادي النار)
و (وادي سلوان) و (الواد الاسود) .

انه واد طويل . طوله زهاء ثلاثة كيلو مترات .
يبدأ بالقرب من حي الشيخ جراح . وينتهي عند
(وادي الربابة ^(١)) قبلي بركة سلوان . والسبب في
نسبته الى جهنم ان الناس كانوا يعتقدون ان الصراط
في يوم القيامة سينصب فوقه : من جبل الطور في
الشرق الى سور الحرم في الغرب . ويعتقدون ايضاً
انه تكون عندما « زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت
الارض اثقالها ، وقال الانسان مالهيا ، بان ربك
اوحى لها . . » الى آخر ما جاء في الآية . وفي
هذا الوادي نفسه وعلى سفح جبل الزيتون من ناحية
الجنوب مقابر اليهود . والارض التي تقوم عليها هذه
المقابر هي وقف للمسلمين . وفيه ايضاً قبور المسلمين .

جبل سقوبس : جبل واقع في شمال المدينة
ومتصل بجبل الزيتون . لا ، بل انه معتبر كجزء
منه . يسميه المقدسيون : (المشهد) . وله اسماء اخرى
منها : الصوانة ، ورأس المشارف . عسكرت فيه
اكثر الجيوش التي جاءت لفتح المدينة . وفيه مقبرة
الجنود الانكليز الذين لاقوا حتفهم عند احتلالها في
الحرب الكونية الاولى (١٩١٧) . وعليه تقوم
الجامعة العبرية ومستشفى (هدا سا) اليهودي .

(١) يمتد هذا الوادي من مكان بالقرب من ماملا الى بركة
السلطان ، ومنها يتعذر باتجاه قبلي المدينة حيث يفصل بين
تل صهيون وجبل المكبر ، وفي نقطة وراء بركة سلوان
يلتقي بوادي سلوان . ومن اسمائه (وادي حنوم) . وكان
اليهود فيما مضى يذبحون اطفالهم فيه ، ويقدمونهم قرابين
للالهة . واصبح مع الزمان مزبلة المدينة . وفيه قبور منعونة
في الصخر .

شعر بان اليهود ينوون ان يغدروا به غادر المدينة
متجهاً نحوه . وفيما كان ينقل خطاه في سفحه
الغربي التفت الى اورشليم التي اقضته عنها . وخاطبها
قائلاً : « يا اورشليم ! يا اورشليم ! يا قاتلة الانبياء
وراجمة المرسلين ! كم مرة اردت ان اجمع اولادك ،
كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها .
ولم تريدوا . . . »

والاعتقاد سائد بين المسيحيين بان السيد المسيح
صعد من هناك الى السماء . وقد بنت الملكة هيلانة
فوقه الكنيسة المعروفة ب : (كنيسة الصعود) .
وللنصارى على هذا الجبل في يومنا هذا عدة كنائس
وأديار . اعني بذلك الارمن والروم والثلاثين
والروس والامان .

انه مقدس في نظر المسلمين . وهو احد الجبال
التي ورد ذكرها في القرآن . اذ قال الله سبحانه
وتعالى : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا
البلد الامين ^(١) » .

ومن الاسباب التي رفعت الى درجة التقديس ؛
ان الجيش الاسلامي كان معسكراً فيه عندما جاء
لاحتلال بيت المقدس . وفيه اقام الخليفة الثاني
عمر بن الخطاب . وفيه دفن جماعة من شهداء
المسلمين في الفتحين ، العمري والصلاحى ، منهم
الصحابي المشهور سلمان الفارسي . ولما قدمت صفية
زوج النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس صعدت
عليه وصلت به . وفيه دفنت (رابعة العدوية) المشهورة
بأم الخير .

وكانت اشجار الزيتون تغطيه في سالف الازمان .
الا أن الجراد وبني آدم قد أتوا على هذه الاشجار .

(١) روي عن ابي هريرة انه قال : (التين مسجد دمشق ،
والزيتون طور زينا عند بيت المقدس ، وطور سينين حيث
كلم الله موسى ، وهذا البلد الامين مكة) .

ابن جسال الدين ابو عبد الله بن عبد الجبار المعروف بالقرشي والمشهور بابي ثور . حضر فتح بيت المقدس مع الملك الناصر صلاح الدين . وكان يركب ثوراً . ويقاتل عليه . فسمي بابي ثور .

وقد وقف عليه الملك العزيز ، ابو الفتح عثمان ابن الملك صلاح الدين القرية التي بالقرب من باب الخليل . وهي قرية صغيرة من بناء الروم . كانت تعرف فيما مضى بدير مار بغوص . وتعرف الآن بدير ابي ثور . ووقف العزيز عليه ايضاً^(١) اراضي القصرة الشرقية والغربية وارض خربة بيت سمره المجاورة للقرية المذكورة .

بنى الروم على جبل المكبر كنيسة (١٨٧٤) باسم القديس برفوريوس .

وبنى الانكليز عليه ، في عهد الاحتلال ، داراً اتخذوها مقراً للمندوب السامي . كما بنوا عليه الكلية العربية .

جبل صهيون : كان الناس كلهم ، حتى اواسط القرن التاسع عشر ، يعتقدون ان صهيون اليوسية التي بنى داود بعدئذ مدينته على انقاضها ، كانت تقوم على التل الواقع قبلي القدس الحالية الى الغرب . ولكن كثيراً من العلماء راحوا ، بعد ذلك التاريخ ، يشكون فيما اذا كان هذا القول يطابق الواقع . وتأسست في الاعوام الاخيرة (١٨٩٢) نظرية تقول ان صهيون واقعة على جبل او فل قبلي منطقة الحرم . وهو الذي نسميه الآن بالظهرة ونعتبره جزءاً من سلوان .

وعندي انه ليس في أي من هذين القولين ما يناقض الآخر . وان هذا الاسم يشمل المرتفع الذي

بينه وبين المدينة من الناحية الشمالية الشرقية واد غير عميق يسمونه : (وادي الجوز) . وفي هذا الوادي ، وعلى سفوح هذا الجبل يقوم عدد كبير من منازل المسلمين .

جبل المكبر : جبل مرتفع كائن قبلي المدينة الى الشرق من محطة السكة الحديدية . يفصل بينه وبين جبل الطور وادي سلوان ، وبينه وبين جبل صهيون وادي الرابة .

كانوا فيما مضى يسمونه : (جبل المؤامرة) و (جبل المشورة الفاسدة) . ويعتقد البعض انه كانت تقوم عليه دار المجمع المعروف بـ (السنهدريم) . تلك الدار التي قابل فيها يهوذا الاسخريوطي رؤساء الكهنة وقواد الجند ، واتفق معهم على تسليم السيد المسيح . وقيل ايضاً ان قصر قيسافا رئيس الكهنة كان فوق هذا الجبل . وفيه اجتمع الكهنة ورؤساء الشعب اليهودي لأجل الصلب على صلب المسيح . ويحاذيه هضبة يقوم عليها ضريح المجاهد الاسلامي المعروف بـ : (ابي ثور) . ومن هنا جاء اسم الحي الذي يقوم على هذه الهضبة : حي ابي ثور . والاسم الآخر لهذا الجبل : جبل الثوري .

واما (ابو ثور) الذي ينسب اليه هذا الجبل والحي الذي يقوم عليه ، فانه من المجاهدين الذين اشتركوا في فتح بيت المقدس مع صلاح الدين .

ذكره مجير الدين^(١) والسيد علي المرتضي^(٢) والرحالة الاسلامي مصطفى اللقيمي^(٣) وعدد آخر من المؤرخين المسلمين . قالوا عنه ما خلاصته : ان الشيخ الامام الزاهد العابد المجاهد شهاب الدين ابو العباس احمد

(١) الانس الجليل ص ٤١٠ .

(٢) بحر الانساب في الديار القدسية ص ٧٠ و ٧١ .

(٣) سوانح الانس في رحاتي لوائي القدس . مخطوط من ١٧٦٠ .

(١) اقتبسنا هذه المعلومات من حكم صدر من المحكمة الشرعية بالقدس بتاريخ ١٢٢١ هـ - ١٨٠٦ م وبنو قيع القاضي السيد احمد نجيب .

يمتد من الظهيرة في الشرق حتى الاكمة المطلة على
بركة السلطان في الغرب .

وعلى هذا المرتفع يقوم الآن الحي الاسلامي
المعروف بحي النبي داود، ومدرسة صهيون الانكليزية
التي اسسها المطران (غوبات) . وكنيسة نياحة
العذراء (دورميتيون) للالمان - الكاثوليك . وكثير
من المقابر المسيحية .

القطمون : من التلال التي تقوم عليها منازل
الحي الجديد . وهو واقع غربي المدينة الى الجنوب .
وهناك بينه وبين محطة السكة الحديدية سهل فسيح
يسمى (البقعة) . كان هذا السهل فيما مضى خالياً
من البنيان في جانب من جوانبه الكروم والبساتين،
وفي الجانب الآخر مسارح الغزلان .

ذكره اللقي^(١) ، فقال : « ان الشيخ الخليلي كان
يسكنه يومئذ . وله فيه رياض . وكان بهذا الوادي
قصور وبساتين تحتها الايام ، فلم يبق منها سوى الاخبار :

قفا بي على الوادي المقدس برهة
لاندب اطلالا وهت وقصورا

ولا تعدلاني ان بكيت تأسفاً

فقد اورثتني قبل ذاك سرورا

سقى الله منها معبداً قد نزلته

فرأت به للعازفين سطورا

ظلت (البقعة) خالية من العمران والسكان
الى ان انشئ الخط الحديدي بين القدس ويافا
(١٨٩٢) . حتى ان الشركة التي تولت انشاء هذا
الخط كانت تدفع الى مشايخ الماخلة وباقي قرى بني
حسن المجاورة لها مبلغاً من المال يسمونه : (الخاوة) .
وبعد ان تم انشاء الخط بدأ العمران ، وكثرت

المنازل وانتشر السكان في ذلك المكان . وها هي
تلك البقعة الممتدة من المحطة في الشرق الى القطمون
في الغرب معتبرة من اجمل بقاع المدينة واعمرها .

وعر الضبع : هو احد المرتفعات التي تقوم عليها
مدينة القدس في يومنا هذا . وهو كائن الى الشمال
الغربي من المدينة . ويسميه البعض : (وعر اللقاوة) .
لانه مطبل على قرية لفتا ؛ لا ، بل انه جزء من
اراضيها . عليه تقوم مدرسة شنلر وكثير من الاحياء
الجديدة . بينه وبين قرية شعفاط وادعيتق يسمونه :
(وادي لفتا) . وهو الذي يحده المدينة من ناحيتها
الشمالية الغربية .

١٠ - ابنيتهما : جميلة للغاية . كلها من الحجر
الصلب . سقوفها في المدينة القديمة مقصورة
بالحجارة . واما في المدينة الحديثة فبالاسمنت المسلح .
وهناك ، حول القدس ، الحجر الكلسي الاعتيادي .
واستعماله شائع في صناعة البناء . وهو ذات اهمية
اقتصادية^(١) لا يستهان بها . والحجر الكلسي المتبلور
الذي يمكن صقله واستعماله في هذه الصناعة . وهو
مختلف الالوان . فنه الاصفر والاخضر والاحمر .
وهذا الاخير شائع وكثير الاستعمال في صناعة
البناء . وليس في مدن سوريا وفلسطين مدينة
كالقدس تستطيع ان تتباهي بمبانيها الجميلة المتقنة
التي تجمع بين الذوق الجميل والفن الهندسي العربي
القديم وبين مطالب العصر الحديث .

١١ - طوقها : في المدينة نفسها طرق عديدة ،
طولها ١٤٦ كيلومتراً . منها ٩٦ كيلومتراً معبداً
ومرصوفاً بالاسفلت . والباقي وقدره ٥٠ كيلومتراً
غير معبد ولا مرصوف .

وهناك طرق كثيرة تربط مدينة القدس بالمدن

(١) (النظام الاقتصادي في فلسطين) لنجيب حمادة ص ٨١ .

(١) (سوانح الانس) ص ١٧٦ .

(حديقة عامة) اسسها اليهود في حي الراتيزيون (١٩٤٥) .

١٣ - **ملاهيها** : ان القدس التي قامت وقعدت في زمن من الازمان من اجل (القهوة) والتي قضى علماءها اياماً طويلاً يتناقشون^(١) فيما اذا كان هذا المشروب الجديد حلالاً ام حراماً ، تعج في يومنا هذا لا بالمقاهي فحسب ، بل والحانات التي تباع فيها جميع انواع الكحول والمسكرات ، والتي يجري في جنباتها جميع ضروب اللهو والمنكرات ، من جميع الاجناس والشعوب والاديان .

وفي القدس ثنائي دور للصور المتحركة (**السينما**) هي : اديسون ، والشرق ، وصهيون ، وعدن ، وركس ، وريجننت ، وستوديو ، وتل اور ، هذا عدا الصالة الكبيرة التي تعرض فيها الصور المتحركة احياناً في بناية جمعية الشبان المسيحية .

١٤ - **محطات الاذاعة** : فيها محطتان للاذاعة : واحدة باسم محطة القدس للاذاعة الفلسطينية ، والثانية باسم (محطة الشرق الأدنى) . اما المحطة الاولى فقد انشأتها الحكومة في آذار ١٩٣٦ وكانت تابعة لمصلحة البرق والبريد العامة . الا انها فصلت عنها في عام ١٩٤٥ .

كانت في بادي الامر محطة صغيرة يديرها عدد قليل من الموظفين ، في غرفتين من غرف (فندق بالاس) من املاك الوقف في شارع ماملا . ثم اتسعت في اوائل الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩) . وانتقلت الى دار استأجرتها من الاحباش في الشارع

(١) عثر المرحوم الشيخ خليل افندي الخالدي ، بين اوراق المحكمة الشرعية ، على ورقة جاء فيها ذكر هذا النقاش الذي انتهى بانتصار رأي المفتي الذي افنى بعدم حرمانية القوة رغم التخدير البسيط الذي تحمته لانها زرعت في اليمن وشربت فيها وفي الحجاز .

المجاورة : منها طريق القدس - يافا^(١) وطريق القدس - نابلس^(٢) وطريق القدس - اريحا . وفيها محطة للسكة الحديدية^(٣) ، تربطها بمدينة يافا .

وبلغت نفقات الحكومة في صيانة الطرق والمباني والاشغال الحكومية في فلسطين كلها وفي آخر سنة من سنوات الانتداب (١٩٤٧/٤٨) ٨٠٠ ٩١٦ جنيفاً فلسطينياً . واما موظفو دائرة الاشغال هذه ، فقد بلغت رواتبهم في تلك السنة ٥٦٦ ٣٥٣ جنيفاً .

١٢ - **حدائقها** : في القدس اربع عشرة حديقة وميدان من الحدائق والميادين العامة . مجموع مساحتها معاً سبعة وسبعون دونماً . وكلها خارج السور . ومن هذه الحدائق : (حديقة المنشية) على طريق القدس - يافا وعلى بعد بضعة امتار من عمارة المسكوبية والى الجنوب منها . انها هي الحديقة الوحيدة التي كانت في القدس في العهد التركي . و (حديقة البلدية) على بعد كيلومتر واحد من مقام الشيخ جراح والى الغرب منه . و (حديقة الحيوانات) وهي ملاصقة لحديقة البلدية . وهناك

(١) انشئت لأول مرة سنة ١٢٨٤ للهجرة - ١٨٦٧ م .
(٢) بدأ الانراك في انشائها سنة ١٩٠٣ وانتهوا منها سنة ١٩٠٧ ولم يكن ثمة طريق معبدة قبل ذلك التاريخ .
(٣) كان اول تخطيط لهذه السكة في سنة ١٨٩٤ قدمه الدكتور زاميل الاديري الالمانى . ومنح امتياز هذا الخط الى يوسف تافون افندي في ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٨٨ لمدة ٧١ سنة . وقد باع صاحب هذا الامتياز امتيازهم من شركة الخطوط الحديدية الثمانية يافا - القدس وتقدمتها الافرنسية المؤسسة في باريس في شهر كانون الاول سنة ١٨٨٩ بمبلغ مليون فرنك . يوشر بانشاء الخط في نيسان ١٨٨٩ واستغرق العمل ست سنوات . وانتهى في ايلول سنة ١٨٩٢ . طوله ٨٧ كيلو متراً . وهو خط ضيق منفرد . وعرضه متر . يجتاز ١٧٦ جسراً ، سبعة منها حديدية .

دار الايتام الاسلامية^(١) . مدرسة البنات الاسلامية . كلية روضة المعارف الوطنية^(٢) . الكلية الابراهيمية^(٣) . المدرسة المحمدية . مدرسة الفلاح . مدرسة الحكمة .

وفيها احدى عشرة مدرسة حكومية عربية (اسلامية ومسيحية) ؛ هي :

(١) أسس هذه الدار المجلس الاسلامي الاعلى برئاسة المفتي الحاج امين الحسيني . وكان ذلك حوالي سنة ١٩٢١ . ويتعلم ايتام المسلمين فيها التجارة والطباعة والحداثة وتجديد الكتب وصنع الاحذية والحيطة والحفر والخرقة والاعمال الكهربائية والميكانيكية وصناعة القش والكراشي وصنع المكناس والحصر . هذا بالإضافة الى مبادئ القراءة والكتابة والحساب . ويتفق عليها المجلس الاسلامي من مال الوقف .

(٢) تأسست سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م . ومؤسسوها الشيخ محمد الصالح والشيخ حسن ابو السعود واسحق درويش وعبد اللطيف الحسيني . فيها قسم ابتدائي ، وآخر استعدادي وثالث علمي . ولها مكتبة ومجلة وجمعية للطلاب . وفيها فرق متعددة للكتشاف . وخرجوها يقبلون في الماماهد العلمية بسوريا ولبنان ومصر وتركيا . يؤازرها المجلس الاسلامي الاعلى . فيها قسم داخلي . وبعد ان كان عدد طلابها في القسم الخارجي ، عام ١٩١٨ ، ٧٢ وفي الداخلي ١٧ . اصبح هذا العدد ، عام ١٩٣٨ ، في الخارجي ٢٣٧ وفي الداخلي ٧٠ . وانخفض هذان العددان الى ١٤٥ و ٥٠ خلال الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩) . شعارها (العلم العربي) . ولغة التعليم فيها لغة الضاد . وتلميذاتها كلها بالتمه الروح الوطنية من ناحية قومية بحتة .

(٣) اسست هذه الكلية عام ١٩٣١ . كانت في حي المصراة وهي الان في حي باب الساهرة . ومؤسسوها الشيخ راشد القاسمي والشيخ عز الدين الشريف وابراهيم عبد المعطي بدر . ثم انسحب الشيخ عز الدين وحل مكانه نهاد ابو غربية . وهو اليوم صاحبها ومديرها المسؤول . وقد اضيف اليها ، عام ١٩٣٧ ، قسم داخلي . كانت ابتدائية ، واصبحت عام ١٩٤١ ، ثانوية . وطلابها يقبلون في الفحوص المعروفة بالشرك . وبين اساتذتها عدد غير قليل من خريجي الجامعات ومن دار العلوم . وبعد ان كان فيها ، عام ١٩٣١ ، خمسون طالبا اصبح فيها عام ١٩٤٤ ، خمسة مئتين ، منهم خمسة وستون داخليا .

المعروف بشارع (الملكة مليسندة) . وفيها الآن تسم غرف للاذاعة وخمس للاعمال الهندسية . وتذاع الاخبار والاحاديث عشر ساعات ونصف ساعة من كل يوم : اربع ساعات ونصف باللغة العربية ، وثلاث ساعات ونصف باللغة العبرية ، وساعتان ونصف باللغة الانكليزية . .

تنقل الاصوات من هذه المحطة الى رام الله . ومنها توزع في الفضاء بواسطة محطة اقيمت لهذه الغاية على بعد بضعة امتار من دار الحكومة الى الشمال ، وعلى الطريق المؤدية الى بئر زيت . واما مدير الاذاعة فهو انكليزي^(١) . وكذلك قل عن كبار موظفيها . الا المذيعين وبعض صغار الموظفين ، فانهم عرب ويهود .

وفي فلسطين كلها اليوم ٥٨٠٠٠ آلة راديو . وكان هذا العدد في سنة ١٩٣٦ عشرين الفا وخمسمائة تقاضت الحكومة عنها رسوماً بلغت مئة الف جنيه في السنة . ولقد كلفت محطة الاذاعة هذه الحكومة في آخر سنة من سنوات الانتداب (١٩٤٧/٤٨) ١٩٣٣ر ١٩٣٣ . منها ٥٤ر ٣٨ جنيناً رواتب للموظفين ، والباقي لشراء الآلات والادوات .

١٥ - مدارسها : في القدس ٢٠٥ مدارس لمختلف الاجنساس والعناصر والاديان . وفيما يلي اسمائها وأسماء الطوائف التي تمتلكها ؛ وقد اقتبست ذلك من سجلات مصلحة التربية والتعليم الحكومية بتاريخ ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ م .

فيها سبع مدارس اسلامية خصوصية ؛ هي :

(١) انه المستر ادوين صموئيل Edvin Samuel ابن المندوب السامي الاول ؛ وهو ايضاً ، كاهن ، يهودي وصهيوني صميم .

دوسيون . مدرسة فوتردام دوسيون . مدرسة
الارسلية الفرنسية . المدرسة الساليزية . كلية
شميت الالمانية للبنات . مدرسة سان جورج
الانكليزية . كلية البنات الانكليزية^(١) . مدرسة
صهيون^(٢) . مدرسة كنيسة يسوع للبنات .
المدرسة السويدية . مدرسة الأرمن البروتستنت .
بستان الروم للاطفال . المدرسة الارثوذكسية
الوطنية . مدرسة الارمن الكاثوليك . مدرسة
سيدة صهيون الانكليزية . مدرسة الجالية الانكليزية .
مدرسة الأمة . كلية النهضة . مدرسة الشفقة .
المدرسة الاسقفية . دار الايتام السورية (شنلر) .
الكلية الاكليريكية (الصلاحية) . كلية التجارة
والمحاسبة . المعهد الوطني لفن التجارة واللغات^(٣) .
المعهد العالي للإدارة والسياسة والاقتصاد^(٤) .

(١) است هذه عام ١٩٢٠ وفي زمن المطران ماكز
Bishop Rennie Mac Innes وقد عمل
على تأسيسها كل من جمعية التبشير المسيحية . C. M. S.
وجمعية يهود لندن L. J. S. والمجمع الكنائسي الوطني
بفلسطين P. N. C. C.

(٢) واقعة وراء الزاوية الغربية القبية من السور ، وعلى بعد
بضعة امتار منه الى الجنوب ، وهي مبنية على اساسات من
كانت تقوم عليها في ماضي الابراج ، نسبة التي بنيت على عهد
اليوسيين . اسس هذه المدرسة المطران صهيون غوبات الذي
كان مطرانا لانكليز بالقدس من عام ١٨٤٦ الى ١٨٧٩
ولذلك تدعى : مدرسة المطران غوبات
Bishop Gobai's School

(٣) أسسه يوسف نعواس (١٩٤٠) . وله ثلاثة فروع في
القدس ويافا وجيفا . يرتاده التجار والموظفون .

(٤) أسسه موسى ناصر من بشر زيت (١٩٤٦) . وغايته اعداد
اشخاص يصلحون لقيادة الشعب من النواحي الفكرية
والسياسية والتجارية والصناعية . ويحتوي منهاجها على قسم
كبير من دروس القانون . ويشتمل على ما يحتاج اليه الانسان
من صفات في الاعمال الحرة والوظائف الحكومية . مدة
الدراسة فيه اربع سنوات . وهو يرمي الى ايجاد طلابه
الى درجة يحصلون معها على شهادات علمية من درجة
(بكالوريوس علوم في الادارة العامة) .

الكلية العربية . دار المعلقات . المدرسة
البكرية . مدرسة المصارره . المدرسة العمرية .
الكلية الرشيدية^(١) . مدرسة الشيخ جراح .
المدرسة العلوية . مدرسة البقعة . المأمونية^(٢)
القديمة . المأمونية الجديدة .

وفيها اربعون مدرسة مسيحية خصوصية ؛ هي :
المدرسة الاستعدادية للروم الارثوذكس . المدرسة
الارثوذكسية للبنات . مدرسة السريان الارثوذكس .
مدرسة الأرمن الابتدائية . كلية اللاهوت الارمنية .
مدرسة ترسانطة للبنين . مدرسة ترسانطة للبنات .
ميتم ترسانطة للبنين . ميتم ترسانطة للبنات .
كلية ترسانطة^(٣) . مدرسة الفرير للبنين . كلية
الفرير^(٤) . مدرسة مار يوسف . ميتم فوتردام

(١) في هذه التسمية قولان : قول بانها سميت (الرشيدية) لانها
بنيت على يد متصرف القدس رشيد بك (١٩٠٦ م) في
زمن السلطان عبد الحميد ، وهذا هو الأرجح . وآخر يقول
انها بنيت في زمن السلطان محمد رشاد (١٩٠٨ م) . ولكنهم
حرفوها ، ونسبوها الى (هارون الرشيد) خطأ .

(٢) هكذا يسميها المقدسيون ، وينسبونها الى الخليفة العباسي
المأمون بن هارون الرشيد . وفي اعتقادي ان هذه التسمية
مغلطة . وان الاصل فيها (الميمونية) نسبة الى الامير
فارس الدين ابي سعيد ميمون بن عبد الله القصري خازن
الملك صلاح الدين . وهو الذي وقفها في جهادي الاولى سنة
٥٩٣ هـ - ١١٩٦ م . اقرأ ما كتبه عن هذه المدرسة في
الفصل الذي خصصته لـ (مدارس القدس القديمة) .

(٣) بناؤها شيد من قبل (جمعية القديس بولس) الميلانية عام
١٩٢٦ . وهو واقع بين الطالبة ورحافيا غربي المدينة .
والمدرسة افتتحت في عام ١٩٢٩ . فاحتلت البناية عامشذ
للفرنسيين . ووضعت المدرسة تحت رعاية جمعية (حراسة
الارض المقدسة) الفرنسية .

(٤) College des Freres است سنة ١٨٩٢ على
عهد بطريرك اللاتين (يوسف فايرغا) . فيها ٧٥٠ طالبا كاهن
مسيحيون ، خلا اربعين تلميذا فانهم مسلمون . تدرس فيها
اللغات الثلاثة : الافرنسية ، والعربية ، والانكليزية . وفيها
مكتبة قيمة .

وفي القدس ٢٧ مدرسة يهودية عمومية تشرف عليها الوكالة اليهودية ؛ وهي :

مدرسة عيروني الابتدائية . مدرسة .
تحكومي الابتدائية . المدرسة العبرية للبنات (وهي ذات ثلاث شعب) . مدرسة بيت هاكبرم الابتدائية . مدرسة تل بيوت الابتدائية . مدرسة رحافيا الابتدائية . مدرسة شقولي الابتدائية . مدرسة صوقولوف الابتدائية . كتاب الاولاد المزارحيين . كتاب الاولاد السفرادين . كتاب البنات المزارحيات (وهو ذو شعبتين) . مدرسة رحافيا للبنات . كتاب بيت مناحيم . كتاب ابناء اليمن . مدرسة دورش صهيون . مدرسة العمال . المدرسة البلدية الابتدائية . مدرسة بيت هاكبرم الثانوية . مدرسة (بغروت) الاستعدادية . مدرسة (معلى) الثانوية . دار التربية . دار التعليم العبرية . دار المعلمين المزارحيين . دار المعلمات المزارحيات . مدرسة (اليس سالزبرغ) . مدرسة رفقة صوماخ . مدرسة

بصايل الصناعية . وفيها تسعة بماتين اطفال لليهود في كل من : زكرون موشه . يمين موشه . مذكرت موشه . محنة يهودا . شمعون صادق . جيعات شاول . بيت هايبلد . كرن ابراهام .

وفيها عشر مدارس يهودية خصوصية ؛ هي : مدرسة افلينادي روتشيلد . مدرسة آلوما الثانوية . مدرسة هوريف . مدرسة الاتحاد الاسرائيلي . مدرسة الحقل الزراعي . المدرسة اليهودية . المدرسة التجارية . دار المعلمات . دار الفنون . المدرسة الزراعية للبنات .

هذا بالاضافة الى ١٩ مدرسة ابتدائية خصوصية تملكها مؤسسات يهودية مختلفة . وكذلك قبل عن ٥ مدارس ثانوية . ودارين لتمرين المعلمات . وست دور للايتام . و ٣٣ داراً لتعليم التلمود . و ٣٥ بستاناً للاطفال . جميعها خصوصية .

واليك فيما يلي مجموع عدد الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات في المدارس المتقدم ذكرها :

العدد	الطلاب	طالبة	معلم	معلمة
٧	١١٠١	٢٨٠	٤٦	١٤
١١	١٩٠٠	١٨٦١	٦٨	٥٧
٣٨	٤٣١١	٣٥٥٣	١٩٣	٢٦٩
٣٠	٤٠٤٣	٥١٨٨	٢٧٧	٢٠٣
٦٩	٦٦٣٠	٥٣٩٥	٣٦٢	٣٠٧
١٥٥	١٧٩٨٥	١٦٢٧٧	٩٤٦	٨٥٠

وبعبارة اخرى :

المسلمون	المسيحيون	اليهود	الطلاب	الطالبات	المعلمون	المعلمات
٣٥٠٢	٣٤١٦	١١٠٦٧	٢٣٠٧	١٠٧	٢٠٠	٥٣
١٧٩٨٥	١٦٢٧٧	٩٤٦	٨٥٠			

قدمه الى المؤتمر الدكتور اوسيشكن ، وعاضده في ذلك الدكتور حاييم وايزمان .

فابتاع اليهود ، في تلك السنة (١٩١٣) ، الارض التي يقوم عليها بناء الجامعة . وفي ٢٤ تموز سنة ١٩١٨ وضع الدكتور وايزمان الحجر الاساسي للبناء . وفي اول نيسان ١٩٢٥ تم تدشين الجامعة .

هذا ولا بد لنا من القول : ان الحكومة لا تسيطر على شؤون التعليم ، لا في هذه الجامعة ، ولا في المدارس اليهودية الاخرى ، سيطرتها على شؤون التعليم في المدارس العربية . ذلك لان المدارس اليهودية تسيطر عليها المنظمات اليهودية ، وفي مقدمتها الوكالة اليهودية . وقد نجحت هذه الوكالة في الحصول على (حصة اليهود) من المبالغ التي تخصصها الحكومة للتعليم في موازنتها السنوية . فراحت تدير مدارسها وترسم مناهج التعليم فيها كما تشاء . وهي (اي الوكالة اليهودية) حرة في تعيين المعلمين ونقلهم واقالتهم . على النقيض من المدارس العربية التي تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة . فهي التي تعين المعلمين والمعلمات ، وتنقلهم او تقيطهم متى شاءت . وهي التي تسيطر على سير التعليم وليس للعرب (حصة) خاصة ، كما هي الحال مع اليهود .

والاهم من هذا كله : مناهج الدراسة . فقد كانت هذه ترسم للمدارس العربية وفق هدف معين تسيطر عليه الحكومة المنتدبة . واما المدارس اليهودية ، فلا تتدخل الحكومة في برامجها .

ومصلحة التعليم الحكومية في القدس يقوم على رأسها (١٩٤٧) مدير انكليزي ، يساعد خمسة من رجال الانكليز . ويعمل تحت امرته في الادارة العامة اثنان وعشرون موظفاً فلسطينياً : اثني عشر منهم عرب مسلمون ، وستة عرب مسيحيون ، واربعة

وفي القدس جامعة لليهود هي : الجامعة العبرية () . انها واقعة على جبل الزيتون . وتعد من اعظم المؤسسات الثقافية اليهودية في الشرق . إن أول من فكر في تأسيسها هو الدكتور (هرمان شابير) Dr. Hermann Schapira . استاذ الرياضيات في جامعة هيدلبرغ بالمانيا . يوم نشر في الصحف ، بين عامي ١٨٨٢ و ١٨٨٤ ، سلسلة مقالات دعا اليهود فيها الى اقامة جامعة تحفظ تراثهم العلمي والادبي القديم ، وتسهم في نهضتهم العلمية الحديثة .

وأبدى الدكتور شابير رأيه هذا للمؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ ، ولكن آراءه بقيت عند حد القول .

وفي عام ١٩٠١ حاول الدكتور وايزمان ان يقنع المؤتمر الصهيوني الخامس ، كي يقوم بدراسة دقيقة ليقرر فيما اذا كان بالامكان تأسيس جامعة يهودية . ولكن الدكتور هرتسل لم يضع هذا الاقتراح للتصويت . بل اكتفى بان وعد ان يدرس المسألة في اجتماع المجلس الصهيوني العام .

وفي عام ١٩٠٢ استأنف الدكتور وايزمن مساعيه ، واسس في جنيف مكتبا غايته السعي لايحاد مؤسسة للدراسات العالية . ونشر بيانا بالاشتراك مع الدكتور مارتين بوبر والدكتور برثولد فايول . وفي شهر مايو من نفس السنة رفع الدكتور هرتسل عريضة للسلطان يطلب فيها السماح لليهود بتأسيس جامعة بالقدس .

ولكن السلطان رفض طلب الدكتور هرتسل بتأسيس جامعة في القدس . وفي عام ١٩١٣ اقر المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الخطة المرسومة لاجل تأسيس جامعة يهودية . وكان ذلك بناء على طلب

«ان تضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي . . .»

واني لاذكر الان ، وانا اخط هذه السطور ؛
اني قضيت ثلاث سنوات صحاح (١٩٤٤ - ١٩٤٦)
قبل ان اتمكن من اقناع (؟) المدير العام لمصلحة
المعارف ، وكان يتولاها يومئذ المستر فرل
Wilfrid Jerome Farrell ، كي يقرر
الاقتراح الذي تقدمت به اليه من اجل فتح (صف
اول ثانوي) في مدرسة البيرة الابتدائية . هذا مع
العلم ان سكان البيرة والقرى المجاورة لها تبرعوا
بالاموال اللازمة لبناء الغرف وتأثيثها ولدفع
رواتب المعلمين . وما كانوا في حاجة إلا الى كلمة
واحدة تخرج من فيه ، وهي : نعم ! . . ولكنه
ما قالها ، إلا بعد اخذ ورد استمر ثلاث سنين ! . .
وبعد ان قالها ، راح يرسم منهاج الدراسة في الصف
الجديد . وقد رسمه كما يريد ! . .

يهود . وهناك مفتشة انكليزية تدير شؤون مدارس
البنات . وفي الادارة العامة سبعة وعشرون كاتباً
وكاتبة : ثلاثة منهم انكليز ، وخمسة عرب مسلمون ،
وسبعة عشر عرب مسيحيون ، ويهوديان .

هذه الآلة الحكومية الموجودة بالقدس مسؤولة
لا عن ادارة مدارس القدس فحسب ، بل مدارس
فلسطين كلها . ولقد انفقت الحكومة على مدارس
فلسطين وشؤون التعليم في آخر سنة من سنوات الانتداب
(٤٨ / ١٩٤٧) ١٥٦١٥٢١ جنيفاً من مجموع
نفقاتها التي بلغت في تلك السنة ٢٤٦٣٥٠٠٠٠
جنيف . ونفقات المعارف هذه تؤلف البند الثالث
من بنود النفقات في الميزانية .

ولكن هذه الآلة الحكومية لا تسيطر - كما
سبق وقلت - على المدارس اليهودية ، سيطرتها على
المدارس العربية . وقد شعر العرب بهذا الغبن ، وكثيراً
ما حاولوا رفعه ، ولكنهم عبثاً كانوا يحاولون . ذلك
لان صك الانتداب^(١) يفرض على الدولة المنتدبة

(١) اقرأ المادة الثانية من هذا الصك .



١٦ - دور الكتب : نذكر لك فيما يلي دور الكتب الكائنة في مدينة القدس .

ذكرناها حسب قدمها ولم ندمج في عدادها المكاتب الخصوصية التي يملكها الافراد من اجل استعمالهم الخاص ،

اخذت معظم هذه المعلومات عن كراس نشره مدير الآثار بحكومة فلسطين لمصلحة الصفوف التوجيهية في القدس عام ١٩٤٥ . وقد اضفت اليها شيئاً كثيراً من معلوماتي الخاصة .

عدد متسلسل	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد الكتب فيها	اللغات
١	مكتبة القديس المخلص	١٥٥٨	٢٥٠٠٠	اللاتينية ، الافرنسية ، الايطالية ، العربية
٢	مكتبة الخليلي	١٧٢٥	٧٠٠٠	العربية .
٣	مكتبة البطريركية الارثوذكسية	١٨٦٥	٥٠٠٠	اليونانية ، العربية ، الانكليزية ، الفرنسية .
٤	المكتبة الانجيلية الأثرية الافرنسية	١٨٩٠	٢٥٠٠٠	الفرنسية ، الانكليزية ، الالمانية .
٥	مكتبة كنيسة القديس جورج	١٨٩٠	٥٠٠٠	الانكليزية ، وفيها كتب يونانية ، ولاتينية ، وعبرية ، وعربية .
٦	مكتبة الجامعة العبرية	١٨٩٢	٤٦٠٠٠	الانكليزية ، العبرية ، الافرنسية ، الالمانية ، العربية .
٧	مكتبة الجمعية الروسية الارثوذكسية			الروسية ، العربية .
٨	المكتبة الخالدية ^(١)	١٩٠٠	١٢٠٠٠	العربية ، الانكليزية ، الفرنسية ، الفارسية التركية .
٩	مكتبة المدرسة الاميركية للبحث عن الآثار الشرقية	١٩٠١	٧٠٠٠	الانكليزية . الالمانية ، العبرية .
١٠	مكتبة المعهد الألماني الانجيلي لدراسة البلاد المقدسة في العصور الوسطى	١٩٠٢	٤٠٠٠	الالمانية . الافرنسية . الانكليزية .
١١	مكتبة بصاليل الصناعية	١٩٠٦	١٤٠٠٠	الانكليزية ، العبرية ، الالمانية ، الافرنسية ، الروسية .
١٢	مكتبة الكلية العربية ^(٢)	١٩٢٠	٧٠٠٠	العربية ، الانكليزية .
١٣	مدرسة الآثار البريطانية	١٩٢٠	٢٥٠٠	الانكليزية ، الافرنسية ، الالمانية .

(١) انشأها الشيخ راغب الخالدي بمال تبرعت به امه السيدة خديجة بنت موسى الخالدي . وعمل على ترتيبها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري وكان يومئذ يعيش في القدس منفياً .

(٢) بعثرت هذه المكتبة عندما اشتد القتال بين العرب واليهود (١٩٤٧) ونهب اليهود بعض الكتب القيمة التي كانت فيها . اما معظم الكتب فقد نقلت الى الرشيدية في الجزء الغربي من المدينة بعد وقف القتال .

عدد متسلسل	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد الكتب فيها	اللغات
١٤	مكتبة مصلحة الزراعة	١٩٢٠	٣٦٠٠	الانكليزية ، العربية .
١٥	مكتبة مصلحة المعارف	١٩٢٠	٢٥٠٠	الانكليزية ، العربية .
١٦	مكتبة القوانين الحكومية المركزية لمحكمة العدل العليا	١٩٢٥	٣٠٠٠	الانكليزية ، العربية ، العبرية ، الافرنسية .
١٧	مكتبة المسجد الاقصى	١٩٢٧	١٨٠٠	العربية .
١٨	مكتبة المتحف الفلسطيني	١٩٢٨	١٧٠٠٠	الانكليزية ، الافرنسية ، العربية ، الالمانية
١٩	مكتبة الابرار اليسوعيين	١٩٢٨	٣٥٠٠	الانكليزية ، الافرنسية ، الالمانية ، الايطالية ، الاسبانية .
٢٠	مكتبة مدرسة نيومن للاراساليات	١٩٢٨	٣٠٠٠	الانكليزية ، العربية ، وفيها بعض الكتب الافرنسية والالمانية والايطالية .
٢١	مكتبة غولبنجيان طوريان . اسم البطريرك طوريان ماديناثاران	١٩٢٩	٢٧٠٠٠	الارمنية ، الانكليزية ، الافرنسية .
٢٢	مكتبة الدراسات الانجيلية الفرنسيسية	١٩٢٩	٥٠٠٠	اللاتينية ، الانكليزية ، الالمانية الافرنسية ، الايطالية .
٢٣	مكتبة اورشليم (بني بريث)	١٩٣٠	١٥٠٠٠	العربية ، الانكليزية ، الالمانية .
٢٤	مكتبة جمعية الشبان المسيحية	١٩٣٣	٢٢٠٠٠	الانكليزية ، العربية .
٢٥	مكتبة دار التمرين على الخدمات الاجتماعية	١٩٣٤	٦٠٠٠	الانكليزية ، الالمانية وفيها بعض الكتب الافرنسية والعبرية والتشكية والبولونية
٢٦	مكتبة شوقن	١٩٣٥	٤٠٠٠٠	العربية ، الالمانية ، الانكليزية .
٢٧	مكتبة مصلحة الاحصاءات	١٩٣٦	٨٢٠٠	الانكليزية .
٢٨	مكتبة معهد الأبحاث الاقتصادية التابع للوكالة اليهودية	١٩٣٦	٤٠٠٠	الانكليزية ، الافرنسية ، العبرية ، الالمانية .
٢٩	مكتبة مصلحة الاذاعة الفلسطينية	١٩٣٦	١٨٠٠	الانكليزية ، العربية . العبرية .
٣٠	مكتبة المركز الثقافي الافرنسي	١٩٣٧	٤٠٠٠	الافرنسية .
٣١	مكتبة يشورون	١٩٣٩	٤٠٠٠	العبرية ، الالمانية ، الانكليزية .
٣٢	مكتبة العمال	١٩٤٠	٥٥٠٠	العبرية ، الانكليزية .
٣٣	مكتبة المجلس البريطاني	١٩٤٤	٦٠٠٠	الانكليزية .
٣٤	مكتبة دائرة المطبوعات	١٩٤٤	٩٠٠	الانكليزية .

٣٩ - مكتبة آل الوقت : أسسها الشيخ احمد

ابن محمد يحيى الشهير بالحدث . وهو مغربي الاصل من مراكش . كان فيما مضى مفتي القدس . وفي وقفيته المؤرخة ١١٨١هـ - ١٧٦٧م قدرت اثمان الكتب التي تركها بتسع وخمسين الف زلطة . تبعثرت كتبها ، فنقل بعضها الى المكتبة الخالدية ، واخذ بعضها الآخر الشيخ طاهر الجزائري فنقله الى دار الكتب بدمشق .

٤٠ - مكتبة عبدالله مخلص : انها مكتبة

قيمة . فيها كتب علمية واخرى تاريخية . وفيها بعض المخطوطات . كانت في منزله بجي الشيخ جراح . وعندما اكفهرجوا السياسة بسبب التقسيم نقلت الى دير القربان على مقربة من الباب الجديد . ولما نسف ذلك الدير اثناء القتال ، بقيت الكتب تحت الانقاض . حاولت اقناع الجنرال رايلي كبير المراقبين الدوليين كي يسمح لاصحابها ، برفع الكتب من تحت الانقاض ولكنه رفض . بحجة ان اليهود لا يسمحون لعربي ان يدنو من ذلك المكان ! . .

٤١ - وفي القدس عدد من المكتبات التجارية ،

عربية وافرنجية . بعضها داخل السور ، والبعض الآخر خارجه . منها ما تعني ببيع الكتب فقط ؛ ومنها ما تعني ببيع الصحف والمجلات والقلم والقرطاس ، بالاضافة الى بيع جميع انواع الكتب ؛ وانا لذاكرون منها : مكتبة الاندلس التي تولت طبع هذا الكتاب ، ومكتبة بيت المقدس ، ودار الكتب ، ومكتبة فلسطين ، ومكتبة صندوقة ، ومكتبة المعارف ، ومكتبة النهضة ، ومكتبة لورنس ، ومكتبة الشناوي ، ومكتبة اليرموك ، ومكتبة المنار ، والمكتبة العالمية .

وهناك مكتبات اخرى ، لا اعرف متى تأسست ؟ واكثرها يخص بعض الاسر القديمة ، وقد اصابها البلاء . واني لذاكر منها :

٣٥ - المكتبة الفخرية : كانت قسما من الزاوية

الفخرية ملك آل ابي السعود . وهي عائلة معروفة النسب تقطن القدس منذ نيف وسبعة قرون . كانت هذه المكتبة غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية . وكان عدد الكتب فيها يقدر بنحو عشرة آلاف مصنف . غير ان افراد العائلة اقتسموا هذه المصنفات فيما بينهم . فبعثرت .

٣٦ - مكتبة الشيخ خليل الخالدي : أسسها

المرحوم الشيخ خليل الخالدي وهو رئيس سابق لمحكمة الاستئناف الشرعية . انه من الاثمة الاعلام . اصطفاه الله الى جواره سنة ١٩٤١ . وقد جمع فيها ما يقرب من خمسة آلاف مخطوط كلها من المخطوطات العربية القيمة . ولكنها - ويا للأسف - محفوظة في يومنا هذا في صناديق مقفلة .

٣٧ - مكتبة آل البديري : مكتبة نفيسة

فيها مخطوطات كثيرة قسمها الاكبر في عهدة احد ابناء هذه العائلة الشيخ محمد افندي البديري . والقسم الاخر في حوزة غيره من افراد عائلته التي قطنت القدس منذ اكثر من ستاية سنة . ومكتبة آل البديري في الحرم الشريف . وقد بعثرت كتبها .

٣٨ - مكتبة آل قطينه : فيها بعض

المخطوطات التاريخية . وفيها مصنفات عديدة في الرياضيات . واقعة بباب العمود . اصحابها آل قطينه من العائلات القديمة . ذكروا في مستندات القرن التاسع للهجرة . وقد بعثرت كتبها .

ولست اغالي ان قلت : انه قل ان يطبع في الشرق او في الغرب كتاب ، ويذيع صيته ، إلا وتجده في احدى هذه المكتبات ؛ ولا سيما اذا كتب او ترجم باحدى اللغات الحية .

١٧ - متاحفها : في القدس متحف حكومي للبحث عن الآثار وحفظها . انشيء بمال وهبته (١٩٢٧) الثري الاميركي الشهير روكفلر J. D. Rockefeller ورصد لهذا المشروع مليونين من الدولارات . صرف منها نصف مليون للبناء ونصف مليون للتأثيث وشراء الكتب . واحتفظ في بنوك انكلسترا بمليون ليصرف ريعها على ادارة المتحف . والذي تولى عمارة هو كـ



« المتحف الفلسطيني »

المهندسين الحكوميين المستر هاريسون A. St. B. Harrison, F. R. I. B. A. واقتتح المتحف للجمهور سنة ١٩٣٨ . وهو كائن تجاه الزاوية الشرقية الشمالية للسور ، وعلى بعد بضعة أمتار منه . بين الحلي المعروف بوادي الجوز وباب الساهرة . فيه مجموعة قيمة من النقوش والحجارة والآثار الفلسطينية وفيه ايضا مكتبة قيمة ذكرناها في موضع اخر وتقوم في احد اجنحته مصلحة الآثار الحكومية بديرها وموظفيها واكثرهم ان لم نقل كلهم من الخبيرين في علم التاريخ والآثار . وفي ٢٢ نيسان ١٩٤٨ (أي قبل ان يرحل الانكليز عن فلسطين) عين المندوب السامي مجلس

امناء على هذا المتحف من اثني عشر عضوا ، اثنان انتدبها هو (احدهما بريطاني والثاني أميركي) ترك امر تعيينها للجامعة العربية ، وواحد تلتخبه الجامعة العبرية ، والسبعة الآخرون من الطوائف المختلفة .

وهناك (المتحف الاسلامي) أسسه المجلس الاسلامي سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣) في مكان لائق من الابنية التابعة للمسجد الأقصى . يحتوي على مجموعة قيمة من الخزف القاشاني النفيس ، ومجموعة من النقوش العربية بالقلم الكوفي ومنها ما يرجع الى أوائل القرن الرابع الهجري ، ونموذجان من النوافذ القديمة المصنوعة من الجص والمرصعة بالزجاج الملون مما صنع برسم قبة الصخرة ، ومجموعة من المصاحف الشريفة بعضها يرجع الى اواخر القرن الاول للهجرة مكتوب على رق بالقلم الكوفي ، ومجموعة من النقود الاسلامية بعضها يرجع الى سنة ١٥٢ للهجرة . وعدد وافر من الدراهم الفضية والنحاسية ، والأوزان الزجاجية وما الى ذلك . ومجموعة من الطنافس والبسط والأواني الاسلامية القديمة .

١٨ - جمعياتها ونوادبها : بلغ عدد الجمعيات والنوادي التي تسجلت في القدس من بدء الاحتلال البريطاني حتى نهاية عام ١٩٤٥ الفين وثلاثة وعشرين . منها ما هو أدبي وثقافي ، ومنها ما هو رياضي ، ومنها ما هو خير ، ومنها ما تأسس لمصلحة طائفية بحتة سواء اكانت اسلامية او مسيحية او يهودية . ان ٨٥ بالمئة من هذه الجمعيات والنوادي فلسطينية و ١٥ بالمئة اجنبية . ومن الجمعيات والنوادي الفلسطينية ٣٠ بالمئة منها اسلامية و ٢٠ بالمئة مسيحية و ٣٥ بالمئة يهودية . وفيها سبعون جمعية تعاونية اكثرها لليهود . وهذه الجمعيات تعمل على تكتيل ارباب العمل والعمال واصحاب المتاجر والمشاغل والصناعات المختلفة وصيانة حقوقهم . كان يتولى تسجيلها في

هذا ثابت من القانون الاساسي الذي وضعه القدس ب . كنعان والد الدكتور توفيق كنعان بتاريخ ٨ يناير ١٨٧٨ .

بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٨٩٠ انتخب جورج ويليامس George Williams مؤسس اول جمعية للشبان المسيحيين في العالم (لندن ١٨٤٤) ، رئيساً لها . وقد تبرع هذا الجمعية القدس بمبالغ وفيرة . وكانت يومئذ ذات فرعين : فرع انكليزي - عربي وآخر انكليزي - يهودي . ثم انفصل فرع القدس العربي عن الجمعية المركزية (١٨٩٢) فوضع لنفسه دستوراً ، واصبح مستقلاً .

كانت الجمعية ، في بداية عهد تأسيسها ، تجتمع في دكان لبيع الكتب تابعة لجمعية التبشير بالقدس على طريق يافا . ثم انتقلت الى الطابق العلوي من العمارة الكائنة بباب الخليل والتابعة لدير الروم . ثم انتقلت الى دكان على طريق ماملا . ثم الى العمارة القائمة تجاه بنك باركس على طريق يافا . وفي سنة ١٩٠٩ انتقلت الجمعية الى العمارة الكائنة شمالي الطريق المؤدية الى ماملا . ثم (١٩٢٠) الى عمارة كائنة على طريق يافا .

في سنة ١٩٠٩ كان سكرتير الجمعية مستر ستوارت دوني ثورن Mr. Stuart Donnithorne وعلى عهده ازداد عدد اعضائها من ٤٠ الى ٢٠٠ .

ولما نشبت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤) اغلقت الجمعية ابوابها في مدينة القدس خشية ان تعرض نفسها لريبة الاتراك ، وراحت تعمل في صفوف الجيش البريطاني الذي اعتزم فتح فلسطين فاثبتت كيائها في المحطات التي احتلها الجيش المذكور في القنطرة والروماني وبئر العبد ، والمزار ، والعريش ورفع ، وخان يونس ، ودير البلح . وعندما احتل اللورد اللني القدس راحت تستأنف عملها في مقرها

باديء الامر ، مسجل الشركات الاعتيادية ، وفي سنة ١٩٣٣ عهد بهذا الامر الى (مسجل الجمعيات التعاونية) .

ومن الجمعيات التي يشار اليها بالبنان في بيت المقدس : جماعة الاخوان المسلمين وجمعية الشبان المسيحية .

جماعة الاخوان المسلمين فإنها منبثقة عن الجماعة التي اسست في الاسماعيلية بمصر حوالي سنة ١٩٣٠ . ومؤسسها (الشيخ حسن البنا) . كانت مدرساً بالمدارس الاميرية بالاسماعيلية . ويسمونه اليوم (المرشد العام) . والذي حدا به لتأسيسها فكرة خطرت في ذهنه ترمي الى توحيد جهود المسلمين وتوجيههم التوجيه الصحيح ، ليتمكنوا من درء الشر الذي يحيق بهم والمضي قدماً الى الامام في سبيل تحقيق مثلهم العليا .

فما لبثت هذه الفكرة ان انتشرت في جميع انحاء مصر . وصار لها اتباع كثيرون ومؤازرون يعدون بالملايين . وهاهي تسري الى البلاد الاسلامية المجاورة .

ولقد تأسست (جماعة الاخوان المسلمين) بالقدس سنة ١٩٤٥ ورأت من تشجيع سكان بيت المقدس والمدن المجاورة له ما شجعها على المضي بعملها . ففضت . وكبرت . واتسعت الى ان اصبح ينضوي تحت لوائها اليوم آلاف من المسلمين شبيهاً وشباناً . وتأسست جماعات مثلها في يافا وغزة والرملة واللد ونابلس وخان يونس وبئر السبع والناصرة وعكا وسلوان وغيرها من البلدان .

جمعية الشبان المسيحية : ويرمزون اليها عادة بالاحرف التالية : Y.M.C.A. جمعية تأسست في القدس حوالي عام ١٨٧٦ . انها تأسست على غرار جمعية الشبان المسيحيين بلندن حوالي عام ١٨٤٤ .

تولى السكرتيرية بالوكالة احد مساعديه المستر نيقولاى لاطوف Mr. Nicholas M. Lattof ثم تولاهما اصالة وفي نفس السنة المستر والدو هاينريخ Waldo H. Heinrichs .

ان دار الجمعية من اجل عمارات المدينة . انها تحتوي مئة غرفة . منها الطابقان العلويان وهما المخصصان لنزول الزائرين وفيها ٨٢ غرفة (٦٤ ذات سرير واحد و ١٨ ذات سريرين) . وفي كل منها غرفة استقبال وعدد كاف من المراحيض والحمامات .

وللبناية برج مرتفع يسمونه (برج المسيح) يشرف المرء منه على جميع انحاء المدينة . وفي البرج خمسة وثلاثون جرساً ، اكبرها يزن طناً ونصف طن . وقد نقشت عليه الكلمات التالية :

« المجد لله في العلى ، وعلى الارض السلام » .
وفيها بهو واسع وجميل ، ومعبد ، وغرف عديدة للقراءة والجلوس . وقاعة واسعة للمحاضرات فيها ستايتان وسبعين مقعداً . وغرف للالعاب الرياضية ومكتبة فيها اثنان وعشرون الف مجلد من الكتب القيمة . وحمام للسباحة طوله عشرون متراً ، وعمقه يتراوح بين اربعة اقدام وتسعة . ويتسع لخمس وخمسين الف من الجالونات .

البناء من الطراز البيزنطي القديم الذي بنيت على نسقه اكثر كنائس الشرق الادنى مع شيء من التعديل يتلاءم وطلبات العصر الحديث ، ولقد نقشت على واجهته الامامية الكتابات الثلاثة التالية ، تمثل الاديان الثلاثة المنشرة في القدس وهي .

لا اله الا الله (باللغة العربية)
لا اله الا الله (باللغة العبرية)
لا اله الا الله (باللغة الارامية)

الذي تركته عند نشوب الحرب . وكان من اهم اغراضها يومئذ ارشاد الاشخاص الذين كانوا يفدون الى القدس من جميع انحاء الامبراطورية الى الاماكن والابنية الاثرية الكاثنة في المدينة المقدسة .

في ١٩٢٠ تولى سكرتيرية الجمعية الدكتور هارت Dr. A. C. Harte سكرتير اللجنة الدولية لجمعيات الشبان المسيحية في اميركا الشمالية . وعلى عهده تبرع (١٩٢٤) صديق له يدعى مستر جيمس نيو بيكن جارفى James Newbegin Jarvie من مدينة مونتيلر من اعمال نيوجرزي باميركا بالمبلغ اللازم لاجل بناء دار للجمعية على الطراز الحديث وهي الدار التي تقيم فيها الجمعية في الوقت الحاضر (١٩٤٦) وتحمل اسمها على شارع جوليان في الناحية الغربية القبلية من المدينة وفي الحي المعروف بالنيكيفورية .

ان الارض التي تقوم عليها دار جمعية الشبان المسيحيين كانت في الاصل ملكاً لدير الروم الارثوذكسي . اشترتها اللجنة الدولية لجمعيات الشبان المسيحيين في اميركا الشمالية ثم وهبتها الى جمعية القدس . ولقد اشترك في هذه الهبة المجلس المسيحي البريطاني وفريق من يهود مانشستر .

في ٢٣ اغسطس ١٩٢٦ بدأت عمليات الحفر ، وفي ٢٣ تموز ١٩٢٨ وضع اللورد بلومر المندوب السامي الثاني لفلسطين الحجر الاساسي للبناء . والمهندس الذي تولى امر البناء هو المستر آرثر لوميس هارمون من نيويورك Arther Loomis Harmon ولقد ساعده في عمله هذا المكتب الهندسي السابع لجمعيات الشبان المسيحيين في الولايات المتحدة ، واعضاء مجلس الادارة والهيئة المحلية التي الفت في القدس لاجل الاشراف على اعمال البناء .

عندما اعتزل الدكتور هارت العمل في ١٩٣٠

والبحر الميت . ثم هبطتها البعثة الاميركية الفلسطينية التي يرأسها الدكتور روزويل د. هتشقوك Dr. Roswell D. Hitchcock رئيس كلية اللاهيات في الولايات المتحدة .

وفي عام ١٨٩٥ قام الاستاذ Thayer بحث اصدقاءه وزملاءه على تأسيس مدرسة اميركية لدراسة الاثار الشرقية بفلسطين . فلبى هؤلاء نداءه وما كاد ينقضي على هذا النداء خمسة اعوام حتى تأسست المدرسة (١٩٠٠ م) وكان يديرها الدكتور شارل كتلر قوري Dr. Charles Cutler Torrey من بيل ، برعاية مجلس من الامناء يمثلون الجمعيات الثلاثة الاتي ذكرها وهي التي امدتها بالعون والمال :

- (١) جمعية الاثار الاميركية
- (٢) الجمعية الشرقية الاميركية
- (٣) جمعية التوراة الادبية

ثم تولى ادارة هذه المدرسة الدكتور ويليام ف. آلبرايت من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٩ ومن سنة ١٩٣٣ الى ١٩٣٦ .

وفي سنة ١٩٠٩ تولاهما الاستاذ روبرت هاربر Robert F. Harper من جامعة شيكاغو . وفي عهده اشترت الارض التي بنيت عليها المدرسة . وفي سنة ١٩٢٥ انشيء بنسء المدرسة الحالي بفضل الدكتور جيمس ب. نيس Dr. James B. Nies وقرينته . وفي ١٩٣١ اضيف الى ذلك البناء جناح من الناحية القبليية . واتخذ هذا الجناح منزلا لسكن المدير .

انها قائمة على قطعة من الارض مساحتها اربعة دونمات . في اجمل بقعة من بقاع المدينة . وعلى بعد ربع ميل من باب الساهرة الى الشمال . تدار كما

وفي داخل العمارة آيات كثيرة من الانجيل وصور تمثل حياة السيد المسيح في اكثر نواحيها . وهناك جمعيات عديدة للبحث عن الاثار ، منها : مدرسة الاثار البريطانية ، وجمعية البحث عن الاثار الفلسطينية The Pal. Exploration Fund, The British Sch. of Archeology والمدرسة الافرنسية للبحث عن التوراة والاثار القديمة Ecole Biblique et Archeologique Francaise. The Oriental Institute of The Uneversity of Chicago والجامعة العبرية ، والجمعية اليهودية للبحث عن الاثار الفلسطينية ، والمعهد الشرقي الالماني ، والمعهد الانجيلي الالماني للبحث عن آثار القرون الوسطى في البلاد المقدسة Deutches Evangelishes Institute fur Alterthumwissenschaft des Heiligen Landes والمدرسة الاميركية للبحث عن الاثار الشرقية American School of Oriental Re-search واليك ما نعرفه عن هذه المدرسة :



« المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية »

في عام ١٨٣٨ م هبط القدس عالم اميركي يدعى الدكتور ادوارد روبنسون Dr. Edward Robinson اهتم بدراسة آثارها . وفي عام ١٨٤٨ هبطها الملازم لينش Wm. F. Lynch وكان على رأس بعثة اميركية جاءت لتدوس وادي الاردن

من كتابه (الانس الجليل) . اذ قال : « ان الوباء تفشى عامئذ في مدينة القدس ، فاصاب الناس ضرر عظيم » ! . . ولم يقل لنا مجير الدين اي نوع من الوباء هو الذي اصابهم ؟ وان قال انه (اي الوباء) استمر اربعين يوماً ، وان الاموات كانوا يغسلون ليلاً ويحملون الى صحن الصخرة ، ومن هناك ينقلون الى المقابر حيث يدفنون .

وعاد في صفحة اخرى من صفحات كتابه - عندما ذكر احداث سنة ٨٨١ هـ - ١٤٧٦ م -- فقال : « ان الوباء انتشر بالقدس في تلك السنة ، واستمر تسعة شهور . ومات من جرائه خلق كثير » .

وكثيراً ما كانت المرء يقضي نحبه بمرض من الامراض ، فيسأل الناس عن مرضه وعن الاسباب التي ادت الى موته ؛ فيقال لهم : اوجعه بطنه ! . فمات ! . . وقد يكون لوجع البطن هذا صلة بالمعدة او الامعاء او المرارة او الكبد او اي نوع آخر من الالتهابات الباطنية . او السل والسرطان . . وما الى ذلك من الامراض التي لم تكن معروفة في ذلك الزمان .

ولم يكن ثمة شيء يقال له : (احصاء) . وكانت اول مرة عرفت فيها مدينة القدس احصاء المواليد والوفيات بطرق علمية لا بأس بها ، في اوائل القرن العشرين . وانا لذاكرون فيايلي ارقاماً اقتبسناها من السجلات الرسمية لدائرة الصحة الحكومية عن المواليد والوفيات ، وعن الامراض المعروفة اكثر من غيرها في مدينة القدس ، وعن عدد الاشخاص الذين اصابوا بها وماتوا من جرائها ، في عدد من السنين :

تدار الجمعيات التعاونية . ويشترك في ادارتها ستون كلية وجامعة من الكليات الالهية والجامعات العلمية في الولايات المتحدة وفي كندا وتدفع كل واحدة منها مبلغاً معيناً من المال في كل سنة . وفي سنة ١٩٣٩ تبرعت مؤسسة رو كفلر بمئتين وخمسين الف دولار . وفي سنة ١٩٣٩ تبرعت المؤسسة نفسها بثلاثمائة وخمسين الف دولار .

في المدرسة مكتبة تحتوي على ثمانية الاف وخمسمئة مجلد . هذا خلا الكتب التي تخص مدرسة الاثار البريطانية والموجودة في البناء نفسه . وفيها نزل ينزل فيه العلماء وطلاب الجامعات المتقدم ذكرها الذين يهبطون الارض المقدسة بقصد دراسة آثارها القديمة .

١٩ - امراض القدس ومستشفياتها : لم نعثر في كتب التاريخ القديم على اخبار واضحة عن الامراض التي كانت معروفة في مدينة القدس وفيما جاورها من ديار ؛ خلا ما قرأناه هنا وهناك - وانه لنذريسيريكاد لا يبيل الغلة - عن انتشار (الطاعون) . وكان الاقدمون يصفونه بقولهم ، انه وباء ذوحمى شديدة الحرارة خبيثة تقصد به الامزجة والابدان . و (الكوليرا) وكانوا يسمونها الهیضة ؛ وهي انطلاق البطن . وكثيراً ما سمعنا عن (وباء) انتشر هنا وهناك ! . وقضى على السكان ! . دون ان يذكر المؤرخ نوع الوباء ! . وما اذا كان الوباء الذي حدث في سنة من السنين كالوباء الذي حدث قبل بضع سنين ! . . اصف الى ذلك اننا لم نعثر ، ولا مرة ، على ارقام تشير الى مبلغ الخطر الذي تعرض له السكان سوى قولهم : ان الوباء قضى على خلق كثير ! . .

من ذلك مثلاً ، ما قاله مجير الدين عندما ذكر احداث عام ٨٧٣ هـ - ١٤٦٨ م في الصفحة ٦٢١

المرض	١٩٣٨		١٩٣٠		١٩٣٣		١٩٣٥		١٩٣٧	
	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات
النزلة الصدرية	١٧٢	١٤٦	١١٨	٨٩	١٥٤	١٢٧	١٥٧	١٣٦	١٢٨	١٢٦
التدرن الرئوي	١٢٢	٦٣	٧٦	٥٢	٦٨	٥٧	١٥٢	٤٦	١٠٢	٤٧
التيفوئيد	٢٧٩	٣٢	١٦٤	٧	٢٤١	١١	٢٧٣	٢٧	٣٦٦	٢١
مرض الزهري	١٧٤	٣	١٥٨	٥	٢٠٧	٧	٩٧	٤	١٤٣	-
الحمى	٥٣	٦	٣٦	٦	٤٤	٩	٥٨	١٨	٢١	٣
الحصبة	٦٨	٤	٩١	٨	١١٢	٩	١٠٢	٤	٢٩	٥
الديزنتارية	٩٥	٦	٥٧	١	٣٦	٥	٣١	٢	٣٥	٤
داء الخانوق	٢٨	٢	١٧	٣	١٧	-	٤٦	١٠	٢٧	٩
السعال الديكي	١٤٠	١	١٥	-	٤٥	٣	٤	١	٥٠	١
الحمى النفاسية	١٤	٧	٤	١	٨	٣	٨	٦	٧	٣
الالتهاب السحائي	-	-	-	-	١	١	٤٤	١٩	٢	٢
الالتهاب الحاد في الاعصاب	٧	٢	٢	١	٣	٢	١	١	١	١
الكزاز	٣	١	٣	١	٢	١	٢	٢	٨	٥
الجذام	٣	١	٤	١	٧	-	٢	٢	٧	٦

١٣٣٧	٣٣٨٥	١٩٣١
١٤٨٥	٣٢٦٥	١٩٣٢
١٥٠٣	٣٤٠٢	١٩٣٣
١٦٠١	٣٤٨٩	١٩٣٤
١٨٠٨	٣٩٧٣	١٩٣٥
١١٦٠	٣٩٧٧	١٩٣٦
١٣١١	٣٤٤١	١٩٣٧
١٩١٦	٤٠٩٠	١٩٣٨

وتعرف القدس من الامراض ايضاً الانفلونزا ،
والحمى القرمزية ، والحمى المعروفة بالملاطية ، والحمرة
والملاريا والتيفوس .
وفيما يلي نذكر لك نسبة المواليد والوفيات
لجميع الاجناس والطوائف التي تعيش في بيت المقدس:

عام	المواليد	الوفيات
١٩٢٥	٢٣٣٧	١٤٣٥
١٩٢٦	٢٥٤٩	١١٦٤
١٩٢٧	٢٧٢٥	١٤٩٣
١٩٢٨	٢٩٧٠	١٤٥٤
١٩٢٩	٣٠٨٣	١٣٢٧
١٩٣٠	٣٢٠١	١٢٨١

وفيما يلي نسبة وفيات الاطفال لجميع الطوائف
التي تعيش في القدس :

كانت مغروسة هناك منذ العهد البزنطي . واما بناؤه الحالي على طريق المحطة فقد انشيء في عام ١٨٨٢ م . وقد ادى لمدينة القدس وما جاورها من ضياع خدمات جلي ، ولا سيما من حيث امراض العيون . عدد الذين عولجوا فيه في عام (١٩٤٦) مئة وخسين الفا بعد ان كانوا في بدء تأسيسه سبعة عشر الفا . وتديره الآن جمعية بريطانية . يسمونها :

The Order of The Hospital of St. John .

المستشفى الروسي واقع في المسكوبيه خارج السور . بناه الروس سنة ١٨٥٩ بنوه لانفسهم ولمن يقد الى القدس بقصد الحج من أبناء روسيا . وهو اول بناء يقوم خارج السور في اواخر العهد العثماني . وكانت القدس محصورة قبل ذلك ضمن الاسوار .

اتخذته حكومة فلسطين بعد سقوط القدس بيد البريطانيين (١٩١٧) مستشفى لموظفيها . ثم صار للناس أجمعين . وقد اطلق عليه بعد ذلك التاريخ : مستشفى الحكومة . . . واما المرضى من البريطانيين ، فقد اعدت لهم عمارة خاصة هي التي تراها الى يمينك وانت تجتاز باب المسكوبية من الشرق .

المستشفى المورافي ويسمونه مستشفى البرص مخصص لمداواة المجذومين . واقع بين حي الطالبية والكلونية الألمانية . يديره الدكتور توفيق كنعان من أطباء بيت المقدس باسم الجمعية المورافية بلندن البناء لبلدية القدس . وقد بنته في عام ١٨٦٧ . وتمده الحكومة بالمال .

(**المستشفى الافونسي**) ويسمونه ايضاً مستشفى القديس لويس . بنى عام ١٨٨٠ . واقع شمالي

عام	
١٩٢٥	١٥٧ في الالف
١٩٢٦	١١١ في الألف
١٩٢٧	١٢٠ في الالف
١٩٢٨	١٢٣ في الالف
١٩٢٩	١٠١ في الالف
١٩٣٠	٩٧ في الالف
١٩٣١	١٠٤ في الالف
١٩٣٢	١١٧ في الالف
١٩٣٣	١٠٧ في الالف
١٩٣٤	١٠٥ في الالف
١٩٣٥	٩٣ في الالف
١٩٣٦	٩٦ في الالف
١٩٣٧	٩٢ في الالف
١٩٣٨	٩١ في الألف

هذا عن الامراض . واما عن المستشفيات فقد ذكرنا في الفصول السابقة المستشفيات التي عرفت في القدس في تاريخها . ولا سيما في العهد الفاطمية والصليبية والصلاحيية . ونود الآن ان نذكر لك اسماء المستشفيات القائمة في القدس^(١) في يومنا هذا (١٩٤٧) :

مستشفى مار يوحنا : لامراض العيون . مطل على وادي حنوم من الشرق وبركة السلطان من الشمال . واقع في منتصف الطريق^(٢) التي تربط محطة السكة الحديدية بباب الخليل . وله فرع في سوق الحصر بالمدينة القديمة داخل السور . أسس في زمن الصليبيين . وفي قول ان نواته

(١) ذكرناها هنا حسب تاريخ تأسيسها .

(٢) الأرض التي بني عليها هذا المستشفى منعم اياها السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٨٢) .

السارية . انه واقع في مكان قريب من مفترق الطرق المؤدية الى بيت صفاقا وبيت لحم والقدس .
واليهود في القدس مستشفيات ، نذكر منها :
مستشفى المجانين : انه عبارة عن ملجأ للمجانين والمعتوهين . استه جمعية يهودية تدعى عزرات نشيم . لا يقبل اليهود فيه احداً من المرضى ، الا اذا كان هذا من ابناء جنسهم . وهو واقع غربي القدس في الحي المعروف برحافيا .

وللحكومة مستشفى للمجانين واقع في بيت لحم ، يقبل فيه المرضى من جميع الاجناس .

مستشفى روتشيلد : وقد سمي بعدئذ :
مستشفى الهداسا . كان قبل الاحتلال البريطاني يقوم في عمارة خارج السور ، بين المسكوبية وكنيسة الحبش . ولكنهم بعد الاحتلال نقلوه الى عمارة ضخمة بنوها على جبل الزيتون . وكان ذلك في اوائل الاحتلال البريطاني . انه الان اكبر المستشفيات القائمة في المدينة .

مستشفى تينخو : للعيون . استه جمعية يهودية تدعى (لمعان صهيون) . وكان ذلك في سنة ١٩٠٦ . ولما كان يديره طبيب للعيون يسمى تينخو ، فقد اطلقوا هذا الاسم على امستشفى ايضاً . انه واقع قبالة المستشفى الايطالي ، عند مفترق الطرق المؤدية الى مياشورم والشيخ جراح .

وهناك مستشفيات اخرى . نذكر منها :

مستشفى ولخ . **ومستشفى مزغاب لادخ** .
ومستشفى سادوفسكي . **ومستشفى بيكورخوليم** .
كلها واقعة غربي المدينة خارج السور . الا المستشفى الاخير وهو (بيكورخوليم) فان له فرعين : احدهما خارج السور ، قبالة المستشفى الالماني ؛ والآخر في الحي اليهودي داخل السور .

المدينة القديمة وعلى بعد بضع خطوات من السور عند الباب الجديد . تمده الحكومة الفرنسية بالمال .

مستشفى الارسالية الانكليزية ويسمونه ايضاً مستشفى جمعية يهود لندن . بناء مطران الانكليز جورج فرنسيس بويهام بلايث . وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٧ . والغاية من تأسيسه مساعدة اليهود ، ولا سيما اولئك الذين يراد تنصيرهم . انه واقع في حي النبي عكاشه وسط الاحياء اليهودية غربي المدينة .

المستشفى الالماني من اكبر المستشفيات في المدينة . عند مفترق الطرق المؤدية الى رحافيا وشنلر وباب العمود . بني عام ١٨٩٤ . ويسميه المقداسة : مستشفى المجيدي . ذلك لان كل مريض يدخله كان عليه ان يدفع ريالاً مجيدياً عثمانياً . أغلق في الحربين العالميتين : الاولى والثانية . ففي الاولى استعمله الانكليز مستشفى لجندودهم . وفي الثانية ثكنة عسكرية .

المستشفى الابطالي : على طريق القديس بولس . عند مفترق الطرق المؤدية الى باب العمود وباب الخليل وحي مياشورم بني حوالي عام ١٩١٠ م انه من اكبر المستشفيات القائمة في المدينة الجديدة خارج السور . وله برج يطل على جميع اطراف المدينة .

مستشفى الهوسبيس : واقع على درب الالام عند مفترق الطرق المؤدية الى باب العمود وحارة الواد . بناء في الاصل النمساويون تزللاً لامبراطورهم فرنسوا جوزيف . وقد نام فيه ليلة عندما زار القدس سنة ١٨٦٩ . ولكنه لم يستعمل كمستشفى الا في اواخر الاحتلال البريطاني .

مستشفى بيت صفاقا : بنته حكومة فلسطين في اراضي بيت صفاقا . وخصصته لمعالجة الامراض

حيث الضخامة بين بنود النفقات التي تكبدتها الحكومة في تلك السنة .

٢٠ - **مجاري القدس** : كل ما كنا نعرفه ، في اواخر القرن التاسع عشر ، عن طريق تصريف الإقذار في المدينة القديمة ان هناك مجرى قديم ، وان هذا المجرى الذي انشأه الرومان ينتهي عند سلوان . وظل وضع المجرى غامضاً الى ان شاء القدر ، فانخفض جانب من الطريق عند باب القطانين من الغرب بفعل السيول والامطار (١٩٣١) . ولما قامت البلدية تسعى لتعمير المكان المنخفض ، ظل عاملها يحفرون في الارض الى ان عثروا ، على عمق مترين وتسعين جزء من مئة من المتر من سطح الارض ، على قطعة من الارض مرصوفة بالبلاط المعروف بالمزي والمصقول صقلاً جيداً . طول البلاطة يتراوح بين المتر ونصف المتر وثخنها ثلاثون جزءاً من مئة المتر . فاعتقدوا^(١) انها جزء من شارع قديم ، عرفوا من حجارته ومن نوع الفخار الذي وجدوه هناك انه من صنع الرومان في القرن الرابع للميلاد . ثم راحوا يتعمقون بالحفر في المكان نفسه . وظلوا يحفرون الى ان عثروا على آثار شارع آخر . وهذا ايضاً مرصوف بالبلاط . ولكن بلاطه اقل صقلاً من الشارع الاعلى . وبين الشارعين ، الاعلى والاسفل ، متران وعشرة اجزاء من مئة من المتر .

ومما يجدر ذكره انهم وجدوا ، على جانب الشارع الاسفل من الناحية الغربية ، مجرى عرفوا من حجارته ومن نوع الفخار الذي عثروا عليه هناك ، انه من صنع الرومان في القرن الاول للميلاد . وفي سنة ١٩٤٢ حدث ، بالقرب من باب المغاربة

وفي القدس اليوم جمعية طبية يسمونها (الجمعية الطبية العربية . انها فرع من فروع الجمعية الطبية العربية الفلسطينية التي تأسست عام ١٩٤٤ . انها في الحقيقة وليدة الجمعيات الطبية التي كانت في القدس . فقد تأسست فيها ، في ابتداء الحقبة الرابعة من القرن الحالي ، جمعية طبية كانت تعرف آنذاك بالجمعية الطبية لخرجي جامعة بيروت الاميركية . وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) اصبحت تعرف بالجمعية الطبية العربية . وفي عام ١٩٤٤ تقرر تأليف جمعية تضم جميع اطباء العرب الفلسطينيين واسميت هذه (الجمعية الطبية العربية الفلسطينية) ولها فروع في القدس ، وحيفا ، ويافا ، ونابلس ، وغزة ، وبعض المدن الفلسطينية الاخرى .

رئيسها الدكتور توفيق كنعان ، وامين سرها الدكتور محمود طاهر الدجاني .

ولها مجلة تصدر مرة في كل شهرين . نصفها باللغة العربية والنصف الاخر بالانكليزية .

وقد ساهمت هذه الجمعية في جميع المؤتمرات الطبية السنوية التي عقدت في العواصم العربية .

واعترف بها دولياً فاشتركت مع كثير من الجمعيات الطبية في العالم من اجل خير البشر .

وفي القدس مصلحة حكومية تسمى بـ (الصحة العامة) . يديرها مدير انكليزي . واطباء بريطانيون يساعدون اطباء فلسطينيون : مسلمون ومسيحيون ويهود .

وبلغت نفقات هذه المصلحة في فلسطين كلها وفي آخر سنة من سنين الانتداب (١٩٤٧/٤٨) ١٦٤٤ر ١١٠ر ١٦٤٤ جنيه . وهذا البند هو الرابع من

(١) اي ان سطح الارض في يومنا هذا وفي ذلك المكان اعلى منه على عهد الرومان بما لا يقل عن خمسة امتار .

القديم يقطع المدينة من الشمال الى الجنوب ، فيبدأ عند باب العمود ، ثم يمر بحارة الواد وباب السلسلة وحارة المغاربة ، الى ان ينتهي عند القرية المعروفة بسلوان قبلي المدينة .

هذا هو المجرى الاساسي . وكانت له مجار فرعية . تصل ما بينه وبين احياء المدينة الاخرى . لكن هذه الفروع ليست من الحجم والضخامة بالدرجة التي وصفناها في الاسطر المتقدمة .

انتفعت المدينة من هذا المجرى قرابة خمسة عشر قرناً . ولقد ظهر من الحجارة المتنوعة التي استعملت في بنائه انه رمم ، بعد عهد الرومان ، مراراً وتكراراً . وهناك آثار تدل على ان يد التجديد والترميم عملت على صونه وابقائه بعد الفتح الاسلامي ، وفي العهد الصليبي ، وفي زمن الايوبيين ، والمماليك والأتراك ايضاً . ودلت تلك الآثار على ان المجرى الاساسي اصابه ، اثناء ترميمه ، شيء من التغيير والتبديل من حيث الاتجاه ونوع البناء .

ويظهر ان القسم الواقع شمالي السور من المدينة الجديدة والكائن بين باب العمود والمصرارة فالكرم المعروف بسعد وسعيد كان ، في اواخر العهد التركي ، مرتبطاً بالمجرى الروماني المتقدم ذكره .

ولقد بوشر ببناء مجار على الطراز الحديث حوالي سنة ١٩٢٠ . فانشيء عامئذ القسم الواقع بين باب الخليل وفندق النبي على بعد نصف ميل من الباب المذكور الى الغرب . وعند باب الخليل تم اتصاله بالمجرى القديم .

ثم شرع بانشاء المجاري العمومية على مقياس واسع في المنطقة الشمالية الغربية وهي المنطقة التي تشتمل على الاحياء الآتي ذكرها : ميشورم ، بيت اسرائيل ، شارع بينا ، سنلار ، كرم رصاص ، طريق الحبس

وبفعل السيول والامطار ، انخفاض آخر في الارض . ولما شرعت البلدية في تعمير المكان المنخفض عثر عمالها على جزء آخر من المجرى الروماني المتقدم ذكره . فحفر على اثر ذلك ثلاثة انفاق .

الاول بداخل السور ، في الساحة الكائنة الى الغرب من الحاتونية والى الجنوب من حارة المغاربة ، وعلى بعد مئة متر تقريباً من جدار الحرم الى الغرب . والثاني في الارض المحاذية للسور من الداخل ، والى الغرب من باب المغاربة . والثالث بين النفقين المتقدم ذكرهما ، وعلى بعد مئة متر من النفق الاول . والرابع خارج سور المدينة من الناحية القبليية . ولقد عثروا في النفقين الاول والرابع على آثار الشارع والمجرى اللذين اكتشفا عند باب القطانين سنة ١٩٣١ ، واللذين ذكرناهما في الاسطر المتقدمة .

اما الشارع فعرضه عشرة امتار وثلاثون جزءاً من مئة من المتر . وهو مرصوف ، كما قدمنا ، بالبلاط المعروف بالزري والمصقول صقلاً جيداً وعلى جانبيه مصرف مفتوح تسيل فيه مياه الامطار ، وهو عبارة عن تجويف بسيط عرضه ثلاثون جزءاً من مئة من المتر (١) .

واما المجرى فان الشطر الاكبر منه مبني بالحجارة الكلسية ، والاخر محفور بالصخر . عرضه متر ، وارتفاعه متر ونصف . ولا شك في انه كان لوضع المدينة وتكوينها الطبيعي دخل كبير في تخطيطه . اذ انه اتبع الاماكن المنخفضة في المدينة . وما كان هناك مكان اكثر انخفاضاً من الوادي الذي كانوا يسمونه يومئذ : (وادي الترويين) ونسميه في يومنا هذا (الواد) . وبعبارة اخرى ان المجرى الروماني

(١) يفهم من هذا ان شوارع المدينة القديمة كانت ، في تلك العهود اوسع وانظم منها في يومنا هذا .

وهناك مصارف ، غير هذه ، لتصريف مياه السيول والأمطار ؛ وهذه مصنوعة من الاسمنت المسلح . لا يزيد ثخنها عن المتر الواحد . وهي تختلف ، في داخل المدينة ، اختلافاً كلياً عن مجاري الاقدار . واما في خارج المدينة فقد اباحوا في بعض الحالات توحيد مصارف المياه ومجاري الاقدار .

٢١ - صناعاتها : ليست القدس من المدن الصناعية . والصناعات القليلة التي قد تجدها فيها اقل اتقاناً من غيرها في المدن الساحلية . غير انها تستهلك مصنوعات البلاد الاخرى بكثرة . انها تعج بالمعاهد الدينية والمؤسسات الثقافية والاجتماعية . وفي هذه المعاهد والمؤسسات ما لا يحصى من الموظفين المدنيين والعسكريين . ومن رجال الدين وافراد الطوائف المختلفة . وهذا يجعلها سوقاً تجارية هامة لاستهلاك البضائع والمصنوعات التي تستوردها من البلاد الاخرى . هذا ومن الانصاف للتاريخ ان نقول ان القدس كانت فيما مضى مركزاً هاماً من مراكز صناعة الصابون في الشرق . انها كانت تصنع الصابون وتصدره الى مصر . اذ كان فيها وفيما حولها من الاراضي والجبال مساحات واسعة من اشجار الزيتون . وكثيراً ما قرأنا عن (الصابون القدسي) في اوائل العهد العثماني ١٥٦٧ هـ - ١٩٧٥ م

وشجرة الزيتون شجرة مباركة جاء ذكرها في القرآن الكريم ، وفي اسفار العهد القديم . والذي يتبع هذه الاسفار يرى ان اول من اتقن زراعة الزيتون وصناعة الزيت هم الكنعانيون . وقد اخذ بنو اسرائيل عنهم هذه الزراعة . وكذلك فعل الفلسطينيون القدماء . فقد كانوا يعنون بشجرة الزيتون اعتناءً شديداً . وورث المقدسيون عن آباؤهم الاقدمين هذا الميل . فاعتنوا بزراعة الزيتون

شارع تشانسلور ، روحاما ، شارع ماملا ، القسم الواقع بين دار القنصلية الاميركية والمركز التجاري القسم الكائن بين مقبرة ماملا وفندق الملك داود ، القسم الكائن بين محنة يهودا وباب الخليل من شارع يافا ، قسم من وادي الجوز الكائن بين جبل الزيتون والمتحف الفلسطيني ، المنطقة الكائنة بين معسكر الجيش المعروف بكمب اللنبي على طريق بيت لحم وبركة السلطان .

وحفرت البلدية ، حوالي سنة ١٩٣٨ ، مجرى كبير لتصريف الاقدار ؛ يبدأ عند باب العمود من خارج السور ، فيمر بوادي الجوز بين المتحف الفلسطيني وجبل الزيتون ، ومن هناك يسير باتجاه الجسانية ، فوادي قدرون ، الى ان ينتهي عند وادي السواخرة قبلي قرية سلوان .

ولقد حدثني الخبراء ان طول المجاري الكائنة في مدينة القدس في يومنا هذا (١٩٤٧) ستة وخمسون كيلو متراً . ثمانية منها من النوع المعروف بالمجاري القديمة (ستة في داخل السور واثنان في خارجه) . وثمانية واربعون منها من النوع المعروف بالمجاري الحديثة . والمجاري الحديثة مرتبطة بالمجري الروماني القديم . وهي عبارة عن قساطل مصنوعة من الخرف المدهون ، ذات قطري تراوح بين الست بوصات والاربعة والعشرين بوصة . أتي بها من انكلترا والمانيا .

وينفق على انشاء المجاري العمومية من اموال البلدية . واما المجاري الفرعية (اي التي تربط المنازل بالمجاري العمومية) فيتولى الانفاق عليها اصحاب المنازل . ولا تتقاضى البلدية أجراً أو رسماً لتقاء ربط المجاري الفرعية بالمجاري العمومية . وانما هي تتقاضى من الساكن رسماً معيناً قدره ٢٪ من قيمة الاجار المخمنة لتقاء اعمال الصيانة .

للمسلمين واثنان للمسيحيين . وكانت هذه المصابن تنتج في ذلك الحين ٢٨٠,٠٠٠ رطلا من المصابون في كل سنة . والمصابن السبع التي ذكرناها في السطور المتقدمة لم تعش طويلا . اذ اتى الاتراك خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٧) ، على ما تبقى في القدس وفي ما حولها من البلدان من اشجار الزيتون^(١) . ليستعملوا حطبها للوقود بدلا من الفحم الحجري في تسير القطارات . ففقدوا بذلك على معظم اشجار الزيتون التي كانت تحيط بالمدينة من كل جانب .

وبعد ان كانت القدس من المدن الفلسطينية المعروفة بزيتها وزيتونها وصابونها ، اصبحت في المؤخرة من هذه الناحية وليس فيها اليوم مصبنة واحدة ، وقد دلت الاحصاءات التي قامت بها مصلحة الزراعة بفلسطين على ان القدس تأتي في الدرجة العاشرة بين المدن التي تزرع الزيتون في فلسطين ، كما ترى ذلك في الكشف التالي وهويبين المساحات المزروعة زيتونا في فلسطين عام ١٩٣١ م والتي بلغت نصف مليون دونم ، وعدد اشجار الزيتون المغروسة فيها ٤,٠٥٩,٩٥٠ وهذه توزع بين المدن الفلسطينية بالنسبة الآتية :

عدد	المدينة
٦٣٤١٨٥	نابلس
٦٢٤٨٨٥	عكا
٦٠٠٠٠٠	جنين
٥٠٧١٣٠	الرملة
٤٩٥٠٠٠	طولكرم
٣٥٧٥٠٠	رام الله
٢٢٥٠٠٠	صفد

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذا الحادث في فصل الاتراك .

عناية تامة . وكان عندهم عدد كبير من معاصر الزيتون وكانوا يخزنون الزيت في آبار يحفرونها تحت الارض لهذه الغاية . وكان هذا من الكثرة بدرجة ان المقدسين^(١) كبوا في سنة من السنين الزيت القديم المتجمع لديهم ، ليجدوا اوعية كافية لحزن الزيت الجديد . وكانوا يستعملون الزيت للاكل وللضوء وللعلج . فيدهنون به جروحهم واطراف بدنهم عملا بالحديث النبوي : « كلوا الزيت وادهنوا به » ثم راحوا يصدرونه الى الخارج . ولماراجت تجارة الزيت زاد اعتناؤهم بزراعة الزيتون . ثم راجت بينهم صناعة المصابون . وانتشعت هذه في زمن من الازمان الى درجة ان القدس راحت تباهي المدن الاخرى بصابونها . وكان فيها عدد كبير من المصابن . وكان صابونها رائجا في أنحاء فلسطين الاخرى وفي اسواق الشرق الادنى ولا سيما في مصر .

عندما جددت المقابر المختلف عليها بين المسلمين والمسيحيين فوق جبل صهيون سنة ١٠٢٣ هـ - ١٦١٤ م ؛ ذكر (التل المطل على بركة السلطان والذي يتجمع فيه صلصال^(٢) المصابن) كنقطة لآخر حدود القسم الذي حكم به قاضي المسلمين للمسيحيين من المقبرة .

غير ان هذه الصناعة تضعفت بعد سنة ١٨٧٦ يوم اكتسحت المدينة اسراب كثيرة من الجراد ، واتت على قسم كبير من اشجار الزيتون^(٣) ، فلم يبق في القدس بعد ذلك التاريخ سوى سبع مصابن : خمسة

(١) الوثيقة ٢٠ من مجموعة اسطفان .

(٢) الطين وهو ما يسميه ارباب هذه الصنعة بالطفال .

(٣) Warren, P. 500

عادت صناعة النسيج فانتعشت خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥). واستت في القدس عدة مصانع للغزل والنسيج. منها ما هو عربي، ومنها ما هو أفرنجي، أو يهودي. ولكن هذه الصناعة ما برحت في حاجة إلى التوسع والتحسين.

صناعة القاشاني: كانت في أوائل الاحتلال الانكليزي منحصرة في رجبيل أرمي اسمه: (أوهانسيان). وكان هذا يصنع القاشاني. وفي دار الائتام السورية المعروفة باسم: (شنلر الألمانية). فعملت جمعية محبي القدس، بمساعدة مصلحة المعارف، على إحياء هذه الصناعة وتشجيعها. إذ أنها من الصناعات التي كانت فيما مضى من الأزمان معروفة في القدس. وقد قام عدد من صناع الخزف والقاشاني المسلمين بصنع البلاط القاشاني الملون الذي احتاج إليه المجلس الإسلامي من أجل عمارة الصخرة (١٩٢٠ - ١٩٢٢).

صناعة الخزف والخزف: تأسس في القدس، وفي الطريق المعروفة بدرب الآلام، وبتشجيع من جمعية محبي القدس، عام ١٩٢١، أتون لصنع الخزف. استخدم فيه عدد من الحلياة الماهرين في هذه الصنعة. ولكن هذه الصناعة لم تنجح كثيراً. رغم أنها من الصناعات التي كانت معروفة بالقدس فيما مضى من الأزمان.

صناعة البلاط: من الصناعات التي عملت على إحيائها جمعية محبي القدس (١٩١٩ م). ومن

= وأكثر الخبراء من الأرمن. ورفض هؤلاء في بادئ الأمر تعليم أبناء العرب من العمال. الأمر الذي جعل جمعية محبي القدس تفكر في استحضار عدد من النساكين الماهرين من المجدل. وقد استحضرتهم بالفعل ولكن صناعة النسيج سوق القطنيين لم تعيش طويلاً.

حيفا	١٥٠٠٠٠
الناصره	١٤١٤٣٥
القدس	٩٠٠٠٠
طبريا	٧٧٨٦٥
الخليل	٦٨٤٠٠
بيت لحم	٤٥٠٠٠
يافا	٢٩٢٥٠
غزة	١٠٩٦٥
بيسان	٣٠٤٥
أريحا	٣٠٠

صناعة النسيج: كان في القدس، أثناء الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧)، بضع مئات من الأرمن اللاجئين. ولقد فكرت جمعية الصليب الأحمر الأميركية في تشغيل هؤلاء اللاجئين بقصد الاستفادة منهم، وتدريبهم على أعمال يرتجون بها رزقهم. وبدلاً من توزيع الهبات عليهم استست لهم أنوالاً فراح هؤلاء يغزلون وينسجون. وهكذا انتعشت صناعة الغزل والنسيج في مدينة القدس.

عندما غادرت هذه الجمعية القدس بسبب انتهاء الحرب، تولت أعمالها من هذه الناحية، جمعية محبي القدس. وراحت تعمل هذه الجمعية على جعل هذه الصناعة، صناعة الغزل والنسيج، صناعة دائمة ترتكز عليها مدينة القدس من الناحية الصناعية. وقررت أن تقوم هذه الصناعة في (سوق القطنيين). تلك السوق التي عمرتها^(١) سنة ١٩١٩.

(١) انفتحت الحكومة مائة ألف جنيد من أجل هذه السوق. وفقدت في حالة من الخراب يرثى لها. كانت مهمة بالمره، وكانت أكثر الدكاكين فيها، أن لم نقل كلها، مملقة لا، بل كانت مسدودة بالحجارة.

بعد أن تم تنظيف سوق القطنيين وتعميرها (١٩١٩) وضعت فيها الأنوال. واستخدمت لإدارة هذه الأنوال عمال الغزل والنسيج الذين استخدمتهم جمعية الصليب الأحمر الأميركية. وكان عددهم في السنة الأولى سبعين عاملاً. =

ماهرون اتقنوا ، مع الزمن ، هذه الصناعة ؛ ومنهم من يستطيع ان يحفر في الخشب مناظر تاريخية تلفت النظر باتقانها . ومن الخشب يصنعون ادوات مكتبية دقيقة الصنع ، ولعب للاطفال مختلفة الاشكال والالوان .

تطوير البيض : انها من الصناعات القديمة التي اشتهرت في القدس . فتراهم يثقبون البيضة بثقوب صغيرة بواسطة ابرة دقيقة لاجرا آصها (بياضها) وبحما (صفارها) . وبعد الانتهاء من تنظيفها يطرزونها عليها بالابرة العادية رسوم وتعاريج وزهور تبهج النظر . وهي توضع عادة في اقفاص جميلة مصنوعة من النخل المجدول .

جدل النخل : للمقدسين تقن خاص في جدل النخل . ويتجلى فنهم هذا في ايام الاعياد .

الصور النباتية : وهناك صناعة الصور النباتية . وهي قطع من الكرتون الصقيل اللامع ، تطبع عليها الرسوم . ثم يلصق حول هذه الرسوم بعض الزهور الجميلة الالوان التي تظهر عادة في سهول فلسطين وجبالها واوديتها بعد تجفيفها وكبسها .

٢٢ - **تجاوتها :** انها تستورد الحبوب التي تحتاج اليها من شرق الاردن وحوارن وجنوب فلسطين . والخضار من سلوان وعين كارم وبتير والمالحة وبيت صفافا والقرى الاخرى المجاورة لها . ومن المدن القريبة منها كاريحا والرملة ويافا . وفي بعض الاحيان تستوردها من مصر والشام . ولهذا تكاد الخضار لا تنقطع من اسواقها : لا في الصيف ولا في الشتاء . ويستطيع المرء ان يجد فيها مطلوبه من الملفوف والفنيسط والحس والشمندر والجزر والخيار والبندورة والكوسا والباذنجان والبصل والثوم والفجل والبازلا والفليفلة والهليون والارضي شوكة والغنم والبطيخ والتفاح والليمون والبرتقال

الغريب انه بينما كانت الاعانات والهبات المجموعة بقصد اعانة اللاجئين من الارمن هي التي استخدمت ، في بادىء الامر ، من اجل احياء صناعة النسيج ؛ وقد استفاد منها العمال المسلمون . فان الامر كان على عكس ذلك في صناعة البلاط . تلك الصناعة التي انتعشت بفضل الاموال التي انفقتها مصلحة الوقف الاسلامية ، واستخدمت فيها عمالا من الارمن . ولقد ساعدت الحاجة على انتعاش هذه الصناعة . اذ ان المجلس الاسلامي يرغب في الحصول على مقادير وافية من البلاط ، ليضعه مكان البلاط الذي سقط والذي اصبح على وشك السقوط في مسجد الصخرة . واستحضر عمالا ماهرين من كوتاهية ومن دمشق ، لاجل مناظرة العمل . وكان بينهم عدد من الارمن ايضا . وخلال البحث عن ذلك عثر على الاقران القديمة التي كانت يصنع فيها البلاط قديما في منطقة الحرم الشريف . وقد تم فيها صنع مقادير وافرة من البلاط المعروف بالصيني ، وكان ذلك بادارة مصلحة الوقف ونظارة خبير ارمني جاء من كوتاهية خصيصا لهذه الغاية ، الا وهو : (داود اوهازيان) . ان هذا البلاط كان قريبا ، نوعا ما ، من البلاط الجيد القديم ، ولكنه احسن بكثير من البلاط الاوروبي الذي استعمل في عمارة الصخرة خلال الحسين سنة الاخيرة .

صناعة الشمع : انها من الصناعات التي اشتهرت في القدس . والشمع المقدسي يصنع باحجام كبيرة . ومنها ما يحتوي على تعاريج وتجاعيد جميلة . والبعض يطبع عليه صور واوراق وزهور . ويباع الشمع بكثرة في الاعياد . ومن هنا نشأت تجارة الشمع . وهي تجارة رابحة .

صناعة خشب الزيتون : وبالاخرى صناعة النقش والحفر في خشب الزيتون . هنالك عمال

١٠	١	البندورة
٢٣	٣	الزيتون
٧٠	١٨	الجوز
٦٠	٢٥	الصنوبر
٤	٢	الفحم
٢٠	٦	الزبيب
١٨	٣	القطين
١٠	٣	الخبز
٢٢	٤	البرغل

٢٣ - اوزانها ومكاييلها : اليك الاوزان
القانونية المستعملة في الاسواق المتقدم ذكرها في
يومنا هذا (١٩٤٧) :

الدرهم^(١) = ٣,٢٠٥ غرام
الأوقية^(٢) = ٤٠٠ درهم = ١,٢٨٢ كيلو
القنطار^(٣) = ١٠٠ رطل = ٢٢٥ أوقية
= ٢٨٨,٤٥٠ كيلو غرام
الرطل^(٤) = ١٢ أوقية = ٢,٢٥٠ أوقية
= ٩٠٠ درهم = ٢,٨٨٤ كيلو غرام
الأوقية^(٥) = ٧٥ درهم = ٢٤٠,٦٣٧ غرام
واما المكاييل القانونية فهي كما يأتي :

الذراع^(٦) = ٢٤ قيراط
الذراع^(٧) = ٦٧,٧٥ سانتيمتر (للثياب)
الذراع^(٨) = ٧٥,٨٠ سانتيمتر للاراضي والابنية
الدونم^(٩) (التركي) = ١٦٠٠ ذراع مربع
= ٩١٩,٣ متر مربع
الدونم^(١٠) (المتري) = ١٠٠٠ متر مربع

(١ - ٢) و (٦ - ١٠) هذه الاوزان
والمكاييل مستعملة في جميع فلسطين، واما (٣ - ٥)
فانها مستعملة في القدس وفي جنوب فلسطين فقط .
واما في الخليل وفي شمال فلسطين فتختلف عنها
بعض الاختلاف .

وجميع انواع الفواكه والخضار والاسعار
تتقلب بطبيعة الحال قبعاً للحروب والاضطرابات .
وقد يكون من المفيد ان نلقي نظرة الى البيان
التالي، لنأخذ فكرة عن اسعار الحاجيات الضرورية
في اسواق القدس قبل نشوب الحرب العالمية الثانية
(١٩٣٨) وبعد انتهائها . والأرقام التي دوّناها هي
قروش فلسطينية تبين اسعار البيع بالفرق للرطل
الواحد . والقروش الفلسطينية عبارة عن عشرة
ملات^(١) والرطل عبارة عن تسعة درهم :

نوع الحاجة	عام ١٩٣٨ سعر الرطل قرش فلسطيني	عام ١٩٤٧ سعر الرطل قرش فلسطيني
الارز	٦	٢٤
السكر	٦	٣٠
الحنطة	٣	١٨
الشعير	٣	١٤
الذرة	٢	١٢
الصابون	١١	٤٤
السمن	٢٥	١٢٠
السيرج	١٢	٤٥
الزيت	١٠	٦٠
الزبدة	٢٥	٨٥
الحليب	٤	١٥
الجبن	١٤	٥٤
العدس	٤	١٤
الحص	٤	١٦
البن	١١	٥٠
الفاصوليا	٥	٢٢

(١) (المل) جزء من الف جزء للجنيه الفلسطيني . وكس
عشرة ملات تؤلف قرشا فلسطينيا واحداً . والجنيه مئة قرش .

سوق العطارين : سوق طويلة مقبوة ، في سقفها نوافذ تنفذ منها اشعة الشمس فتضيئها . انها واقعة بين سوق التجار من الشرق ، وسوق اللحامين والنحاسين من الغرب .

سوق الباشورة : تجاه سوق العطارين من الجنوب . كانت فيما مضى مقر الحكام المالك .

سوق التجار : كائنة الى الشرق من سوق العطارين ، وتسير على محاذاة نصفها القبلي ، ثم تتصل بها . وهذه السوق ايضاً مقبوة . وفي سقفها نوافذ تنفذ اشعة الشمس منها فتضيئها . ويسمى البعض (سوق الصياغ) .

سوق اليهود : مقابلة لسوق التجار والصياغ ، يفصل بينها بعض الدكاكين . وهي سوق طويلة تمتد من نقطة تلتقي عندها سوق التجار بالسوق الكبير في الشمال ، الى مكان قريب من النبي داود في الجنوب . كان معظم تجارها من اليهود . ولما ثار العرب على اليهود (١٩٣٦) بسبب وعد بلفور ، هجرها معظم اليهود . فحل مكانهم عدد كبير من تجار الخليل المسلمين . والعدد القليل من اليهود الذين بقوا فيها ذاقوا الامرين بسبب الجوع والحصار الذي فرضه عليهم العرب .

السوق الكبيرة : ويسمونها سوق الخضرة . تبدأ عند ملتقى سوق اليهود بسوق التجار غرباً ، وتمتد حتى باب السلسلة شرقاً . واذا ما سار المرء في اتجاه شرقي ، وجب عليه ان يهبط في درجات واسعة متتابعة . بعض اقسامها مقبوة ، ولها نوافذ في سطحها . وفي منتصفها الى الشمال خان رحب يعرف بخان السلطان . فيه بعض المطاحن والمعاصر .

سوق باب السلسلة : واقعة في الجانب الاخير لسوق التجار من الشرق ، متصلة بها وبسوق الدالين ،

٢٤ - اسواقها : اليك اسماء الاسواق المنتشرة في مدينة القدس : سواء اكانت في داخل السور او في خارجه .

في داخل المدينة القديمة اسواق ، وان كانت مرصوفة ، الا انها ضيقة ومعوجة يزدحم الناس فيها بكثرة . ويزداد هذا الازدحام في الاعياد والمواسم . ويرى المرء ، اذا ما مر من هذه الاسواق ، الفلاحات حوامل على رؤوسهن اسفاطاً واطباقاً وجوناً مملوءة فاكهة ولبناً او بقولاً وخضاراً . فتتنحى كل واحدة منهن جانباً من السوق ، فتجلس ، وتضع امامها سلها لتبييع ما فيه الى المارين . وان بعض هذه الاسواق ، ان لم نقل اكثرها وهي القديمة ، مقبوة مظلمة . واليك اسماء بعضها :

سويقة علون : تمتد من الموقف الكائن تجاه القلعة من الغرب حتى ملتقى طريق البازار وحارة النصلى من الشرق . يهبط المارة منها في درجات مرصوفة متتابعة .

سوق البازار : تمتد من سويقة علون غرباً حتى ملتقى سوق الحصر واللحامين شرقاً . انها مرصوفة رصفاً جيلاً .

سوق الحصر : سوق قديمة صغيرة . واقعة في آخر سوق البازار من الشرق تجاه سوق اللحامين من الجنوب .

سوق اللحامين : تبتدىء عند منتهى سوق البازار من الشرق وتسير في اتجاه شمالي حتى سوق النحاسين . وهي سوق مقبوة . في سقفها نوافذ مفتوحة يدخل منها النور والهواء .

سوق النحاسين : واقعة الى الشمال من سوق اللحامين ، والى الجنوب من باب خان الزيت .

بـ (الواد) . وهذه السوق قديمة العهد بعضها ، وهو القسم القبلي وجانب من القسم الشمالي ، مقبوء ؛ والبعض الآخر ، وهو الوسط ، مفتوح .

سوق باب حطه : كائنة في الحي المعروف بحي باب حطه شمالي الحرم . مستقلة عن جميع اسواق المدينة ومنفردة .

سوق الباب الجديدة : واقعة بين الباب الجديد الذي فتح على زمن السلطان عبد الحميد الثاني شمالي المدينة والكازانوف .

السوق الجديدة : بباب الخليل وعلى بعد سبعين ذراعاً منه الى الشرق تجاه القلعة . يراها الداخل الى المدينة القديمة من باب الخليل على يساره .

سوق اقيوس : من املاك البطريركية الارثوذكسية . اشترى ارضها البطريرك اثنايوس سنة ١٨٣٧ من آل العلي^(١) . وبني فوقها الارشمندريت اقيموس^(٢) سوقاً سميت فيما بعد على اسمه . وهي واقعة الى الغرب من كنيسة الدباغة وبالقرب من شارع البرنس فريديريك وليم . انها من احسن اسواق المدينة واجملها .

سوق حارة النصارى : سوق كبيرة وطويلة وقديمة . تمتد من سويقة علون في الجنوب الى الحانقاه الصلاحية في الشمال . وهي مرصوفة رصفاً جميلاً .

ومن هذه السوق تتفرع سوق اخرى باتجاه

كأنها كلها سوق واحدة . ومن هذه السوق يتفرع نحو الجنوب زقاق يهبط المار منه في درجات . وهذا الزقاق يؤدي الى السباق (حائط المبكى) الى الغرب من سور الحرم .

سوق باب القطانين : غربي الحرم وملاصقة له . تمتد من الشرق الى الغرب . فيها دكاكين يظهر من بنائها انها ليست قديمة العهد . ولكنها في يومنا هذا مغلقة . واما السوق نفسها فانها قديمة العهد . كانت على عهد المماليك من احسن اسواق المدينة واكثرها ازدحاماً واثقنها بنساء وارتفاعاً . وكانت تباع فيها اقمشة قطنية واخرى حريرية تأتي من الهند . واما اليوم فانها خاوية على عروشها . في وسطها حمام يعرف بحمام الشفا وهو خاص بالرجال ، وعند منتهائها الغربي حمام آخر يعرف بحمام العين . يرتاده الرجال والنساء في اوقات مختلفة . واماها من الناحية الغربية شارع موصل الى دار الايتام الاسلامية ، فحارة القرمي فسوق باب خانب الزيت .

سوق باب خان الزيت : شرقي كنيسة القيامة وعلى بعد ثلاثمائة ذراع منها . تبدأ من الناحية انقبليّة عند ملتقى سوق القطانين بالسوق الموصلة الى كنيسة القيامة ، وتنتهي من الناحية الشمالية عند ملتقى سوق باب العمود بدرب الآلام . اكثرها مقبوء ، في سقفها نوافذ ، الا انها قليلة ، لا تساعد على نفوذ اشعة الشمس منها الا قليلاً . في احد مخازنها القريبة من دير الاقباط رأيت جزءاً من بقايا السور القديم .

سوق باب العمود : كائنة بين باب خان الزيت في الجنوب وباب العمود في الشمال . وبين السوقين زقاق اذا ما سرت فيه صاعداً باتجاه الغرب جئت الى الحانقاه الصلاحية ، فحارة النصارى . واذا ما سرت فيه هابطاً نحو الشرق جئت الى الحارة المسماة

(١) تاريخ كنيسة اورشليم ص ١٩١

(٢) احد رهبان دير الروم . كان رئيساً لكنيسة القيامة ١٨٨٤ . جمع اموالاً طائلة وبني بها بنايات عديدة ؛ منها هذه السوق المعروفة باسمه . وكان ذلك في اوائل القرن العشرين . بدأ البناء في ١٩٠٢ .

مصطفة على جانبيها . وهناك عدد كبير من المباني الجميلة .

سوق الشاعة^(١) : قبلي طريق ماملا . وهي قسبان : قسم فيه الكاراجات والمجلات المعدة لتصليح السيارات ، وآخر فيه مخازن بيع الأقمشة .

سوق الجمعة : بجانب بركة السلطان وإلى شمالها . يراها المسافر إلى المحطة من باب الخليل على يمينه . وهي معدة لبيع الحيوانات . وعلى الجانب الشرقي من البركة المذكورة مستشفى حكومي للحيوانات .

سوق النامرة : نسبة إلى آل النمري . واقعه في حي البقعة التحتا ، قبلي كولونية الألمان .

سوق شارع جوليان : إلى الغرب من سوق الشاعة . تبدأ عند الزاوية القبلية الشرقية لمقبرة ماملا ، وتنتهي على مقربة من السكة الحديدية . وفيها دار جمعية الشبان المسيحيه ، وفندق الملك داود . وهما من أجل واضخم العمارات الكائنة خارج السور .

سوق شارع البرنس ماري : في القسم الشمالي من شارع جوليان وإلى الشرق من مقبرة ماملا .

(١) سميت كذلك نسبة إلى منشئها (يعقوب الشاع) من سكان القدس . فقد جاء هذا من جلب واستوطن القدس . وبعد قليل أصبح عضواً في بلديتها . وانشأ هذه السوق فوق أرض اشتراها من دير الروم . وكانت هذه تسمى (الكيفورية) . ولقد تم بناء السوق في عام ١٩٢٧ . وكانت الأرض في الأصل من أملاك قرية الماخة . ولكن هذا المشروع أي شراء الأرض وبناء السوق ساق الشاع إلى الألفاس . ولم يستطع تدبير ذبونه ، فالتجأ إلى نفسه إلى الشارع من طابق علوي في منزل من منازل القاتوه .

الكنيسة . وهذه السوق مقبوة . فيها دكاكين تباع فيها الشموع والمسابع والصلبان واللاواني المستعملة في الصلوات والطقوس الدينية .

وبعد أن تخرج من الباب الشرقي لساحة الكنيسة ، تأتي إلى سوق مفتوحة ومبلطة ؛ لكنها قصيرة ، لا يزيد طولها عن مئتي متر . وهي واقعة إلى الشمال من سوق افتييموس وكنيسة الدباغة .

إن جميع الأسواق التي ذكرتها في السطور المتقدمة ، واقعة في المدينة القديمة ، داخل السور . وأما الأسواق التي في خارج السور ، فانها أكثر اتساقاً وتنظيماً . وهي أيضاً كثيرة . نذكر منها :

سوق باب الخليل : إلى الجنوب من الباب المذكور . كان في القسم الجنوبي منها فيما مضى خندق ملاصق للسور . فطمته البلدية وجعلته سوقاً . ثم انقلب إلى موقف عام للسيارات والباصات . يقابله في الناحية الثانية عدد كبير من الحوانيت والمطاعم والدكاكين التي تباع فيها الخضار . وكذلك قل عن القسم الغربي عند مبدأ شارع يافا فإنه ذو صفين : الصف الأيمن منه إذا ما جئته من باب الخليل فيه المخازن المعدة لبيع الأقمشة والملبوسات والمقاهي والصيدليات ، والأيسر فيه بعض المطاعم والمطابع والبنوك .

سوق طريق ماملا : تتفرع عن سوق باب الخليل . وتسير باتجاه مقبرة ماملا . إنها من أوسع الأسواق الكائنة خارج المدينة وانظمتها ، وهي سوق عربية . فيها عدد كبير من المكاتب والوكالات والبنوك والمخازن والمصالح الحكومية وغير الحكومية . وإذا ما سرت فيها في أية ساعة من ساعات النهار والليل ، وجدت السيارات

المصرارة . وتباع فيها الفواكه والخضار بالجملة . وفيها أيضاً عدد من الصيدليات والمخازن المعدة لبيع الحبوب وادوات البناء . كما ان فيها عدداً من المقاهي والخياطين وعيادات الاطباء ومواقف الباصات والسيارات .

سوق المصرارة : فرع من سوق باب

العمود .

سوق مياشوروم : سوق طويلة ، يكثر

فيها بيع السمك والخضار والدواجن والالبان . والحاجيات المنزلية . وهذه السوق يهودية بحتة .

اما وقد انتهينا من ذكر الاسواق ، فانا نرى لزماً علينا ان نذكر عدد **المخازن والدكاكين** الكائنة في المدينة ، مصنفة بالنسبة الى انواع الحرف والصناعات وبنسبة الاديان التي ينتمي اليها محترفوها ، فنقول :

سوق طريق يافا : اطول الاسواق

الكائنة خارج السور . تمتد من نقطة قريبة من باب الخليل وتسير باتجاه يكاد يكون مواز لطريق ماملأ . وبعد ان تمر عن دار البلدية والمنشية والمسكوبية تسير باتجاه غربي حتى تصل الى المستشفى التركي القديم عند الحي المعروف بالشيخ بدر .

سوق رحافيا : يحوز اعتبارها فرعاً لسوق

طريق يافا . وهي منها الى الجنوب . انها سوق يهودية بحتة .

سوق روميا : كائنه في حي روميا . وهو

آخر الاحياء الكائنة غربي المدينة . انها ملاصقة للحي العربي المعروف بحي الشيخ بدر .

سوق باب العمود : شمالي السور . وعلى بعد

بضعة امتار من الباب المذكور . تسير في اتجاه حي

في القدس ٥١١٠ دكاكين : منها ١٣٥٨ للمسلمين و ٩٥٤ للمسيحيين و ٢٧٩٨ لليهود . واليكها بوجه التفصيل :

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصنعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
١	مطاحن القمح والحبوب	١	٢	٥	٨
٢	المخازن والأفران	٧	٦	٣١	٤٤
٣	الدكاكين المعدة لبيع الخبز	٤	٣	١٣	٢٠
٤	الدكاكين المعدة لبيع اللحوم	٤٣	٨	٧٨	١٢٩
٥	الدكاكين المعدة لبيع السمك	٢	—	٢٨	٣٠
٦	الدكاكين المعدة لبيع السقط (المصارين)	٣	—	٨	١١
٧	معامل النقانق واللحوم المقددة	—	—	١	١
٨	سماسرة الفواكه والخضار	٢٠	١	١٤	٣٥
٩	الدكاكين المعدة لبيع الفواكه والخضار	٦٣	٥	١٠٥	١٧٣
١٠	الدكاكين المعدة لبيع الالبان	٢	١	٢٦	٢٩
١١	الدكاكين المعدة لبيع الدواجن	٣	—	١٩	٢٢
١٢	الدكاكين المعدة لبيع البيض	٥	—	١٦	٢١
١٣	مخازن البقالة (بالجملة)	١٤	١٥	٤٥	٧٤

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصناعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
١٤	مخازن البقالة (بالفرق)	٢٩٣	٨٤	٤٥٠	٨٢٧
١٥	معامل الحلويات	١٥	٢	٧	٢٤
١٦	الدكاكين المعدة لبيع الحلويات	٢٩	٦	٣٠	٦٥
١٧	معامل المعكرونة	—	—	٢	٢
١٨	معامل الثلج	١	١	١	٣
١٩	مخازن الثلج	—	—	٢	٢
٢٠	الدكاكين المعدة لبيع الثلجات	١٧	١٧	١١	٤٥
٢١	مطاحن البن	٦	٣	١١	٢٠
٢٢	المصان	—	—	٢	٢
٢٣	معاصر الزيت	٩	٤	—	١٣
٢٤	معامل المياه المعدنية	١	—	٥	٦
٢٥	الفنادق والمنازل	١٧	١٨	٤٤	٧٩
٢٦	المقاهي والمطاعم	٧٩	٤٨	٩٩	٢٢٦
٢٧	دور السينما	—	٢	٥	٧
٢٨	معامل البيرة ومعاصر الخمر	—	—	٤	٤
٢٩	مستودعات المشروبات الروحية	—	٨	٨	١٦
٣٠	الخوانيت المعدة لبيع الخمر	—	١٥	٣٩	٥٤
٣١	مستودعات السجائر والتبغ والتبناك	—	—	٣	٣
٣٢	الدكاكين المعدة لبيع الدخان والتبناك (بالجملة)	١	٢	٤	٧
٣٣	الدكاكين المعدة لبيع الدخان والتبناك خلا دكاكين البقالة التي تباع فيها هذه الاشياء (بالفرق)	٢	٣	١٩	٢٤
٣٤	معامل الكبريت	—	—	١	١
٣٥	الدكاكين المعدة لبيع أدوات التجميل	١	٥	٦	١٢
٣٦	صالونات التجميل	١	١	٧	٩
٣٧	المزينون (الحلاقون)	٤٦	٣٠	٦٢	١٣٨
٣٨	الدكاكين المعدة لبيع الزهور	—	—	١٣	١٣
٣٩	معامل الروائح العطرية وأدوات الزينة	—	—	١	١
٤٠	المختبرات الباثولوجية والبكتريولوجية	—	—	٢	٢
٤١	معامل المواد الكيماوية والعقاقير والمستحضرات الطبية	—	—	٢	٢
٤٢	مستودعات العقاقير (بالجملة)	—	٨	٧	١٥

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصناعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
٤٣	الصيدليات	٨	٧	٣٤	٤٩
٤٤	البنوك	٢	١	١٤	١٧
٤٥	السيارات	٣	—	٧	١٠
٤٦	مكاتب الرهن والاسترمان	—	—	١	١
٤٧	الاسواق العمومية	١	—	٣	٤
٤٨	الاسطبلات العمومية	٢	—	—	٢
٤٩	وكالات السياحة والسفر	—	٥	٢	٧
٥٠	شركات التاكسي (للنقل)	٥	٥	٧	١٧
٥١	شركات الباصات (للنقل)	٤	١	٤	٩
٥٢	المحلات المعدة لبيع الزيوت والبنزين	١	١٥	—	١٦
٥٣	المحلات المعدة لتعمير السيارات	—	٧	—	٧
٥٤	المحلات المعدة لتعمير الدراجات	٤	١	١١	١٦
٥٥	المحلات المعدة لتعمير الاطارات	٢١	٣٧	١٧	٧٥
٥٦	المكاتب التي تباع فيها الكتب (بالجملة)	١	٣	١٠	١٤
٥٧	المكاتب التي تباع فيها الكتب (بالفرق)	٨	١٦	٥٥	٧٩
٥٨	المكاتب والغرف المعدة للمطالعة	٤	٤	٣	١١
٥٩	المكاتب المعدة للنسخ على الآلة الكاتبة	٢	٢	٢	٦
٦٠	الطابعون ومنضدو الحروف ومجلدو الكتب	٦	٨	٤٠	٥٤
٦١	معامل الورق	—	٢	١	٣
٦٢	معامل الاحذية	—	—	١	١
٦٣	صناع الاحذية	٦١	٧١	١١	١٤٣
٦٤	المحلات التي تصلح فيها الاحذية	٤١	٥٦	٩٤	١٩١
٦٥	المحلات التي تصنع فيها الاحذية	١٠	٢٠	٢٥	٥٥
٦٦	باعة الجلود	٧	١	١٣	٢١
٦٧	مخازن الملابس الجلدية	٨	١٣	٣٤	٥٥
٦٨	معامل النسيج والحياكة (حياكة الصوف والحرير)	٥٢	١٣	٦٧	١٣٢
٦٩	الدكاكين المعدة لصنع البرانيط	٣٥	١١	٦٧	١١٣
٧٠	مصانع الفرش	—	—	١٥	١٥
٧١	مصانع اللحف	٧	٢	٢	١١
٧٢	مصانع الازرار	١	١	٧	٩

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصنعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
٧٣	الخياطون	٢٤	٤٠	١٢٦	١٩٠
٧٤	تجار الاقمشة والاجواخ والالبسة الجاهزة	٩٢	٤٠	٨٦	٢١٨
٧٥	تجار الالبسة القديمة	٥٥	١٦	١١	٨٢
٧٦	الفراشون	—	١	١٣	١٤
٧٧	محلات الكوى والغسيل والصباغ والتنظيف	٢٣	١٥	٤٦	٨٤
٧٨	مخازن الخشب	١	١	٤	٦
٧٩	النجارون	٢٣	٢٣	٦٤	١٢٠
٨٠	الدهانون (وحوانيت الدهان)	٢	٢	٨	١٢
٨١	ماكنات النشر	٤	٥	٢	١١
٨٢	مصانع الاثاث والتنجيد	٣	١	١٩	٢٣
٨٣	المخازن المعدة لبيع الامتعة البيتية المستعملة	—	٥	٢٥	٣٠
٨٤	المخازن المعدة لبيع اثاث المكاتب	—	١	—	١
٨٥	معامل المقروشات المعدنية	—	—	١١	١١
٨٦	المخازن المعدة لبيع أدوات الرياضة البدنية	٢	٣	٣	٨
٨٧	معامل لعب الاطفال	—	—	٢٠	٢٠
٨٨	الدكاكين المعدة لبيع لعب الاطفال	١	١	٧	٩
٨٩	معامل صناديق الكرتون	١	٣	٢	٦
٩٠	الساعاتية	٤	٥	٣٣	٤٢
٩١	معامل الزجاج	—	—	٢	٢
٩٢	معامل المرايا	—	—	٥	٥
٩٣	المصورون وتجار الصور والمحلات المعدة لبيع لوازم التصوير	٤	٢٢	٢٠	٤٦
٩٤	ناحتو التماثيل الحجرية	—	—	٢	٢
٩٥	حفارو المعادن	١	٢	٤	٧
٩٦	الامكنة المعدة لبيع الاثاث والفنون الجميلة والسجاد	١	١٢	١٢	٢٥
٩٧	الحدادون	١٥	١١	٤٧	٧٣
٩٨	مصانع السكب والصب	—	—	٣	٣
٩٩	معامل الاسفلت والقار	—	١	—	١
١٠٠	مخازن الفحم الحجري والخطب	٤	—	٤	٨
١٠١	مصانع الاجر والبلاط والاسمنت والزجاج والفخار	١٥	٦	٤٠	٦١
١٠٢	لتون الكلس	١	—	—	١

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصنعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
١٠٣	النحاسون	٧	٨	١	١٦
١٠٤	السنكريون	٢٥	٢٦	٦٥	١١٦
١٠٥	صانعو العربات	٣	٣	٢	٨
١٠٦	المخازن المعدة لبيع مواد البناء	٤	٨	٣٠	٤٢
١٠٧	معامل الادوات الكهربائية	١	٣	٢٠	٢٤
١٠٨	المخازن المعدة لبيع الادوات الكهربائية	٧	٦	١٧	٣٠
١٠٩	المخازن المعدة لبيع الماكينات على جميع أشكالها	٢	١٤	٨	٢٤
١١٠	المخازن المعدة لبيع الراديو والالات الموسيقية	٣	٥	٩	١٧
١١١	مصانع الفسيفساء والرخام	—	—	٢	٢
١١٢	معامل التبييض والطلي بالمينا	—	—	١	١
١١٣	معامل الاواني الصينية والخزفية	—	١	٢	٣
١١٤	محلات صنع الفراشي والمكانس	١	—	١٨	١٩
١١٥	محلات تركيب الزجاج والبراويز	١	٥	٥	١١
١١٦	مخازن البضائع العمومية	٥١	٢٩	١٥٧	٢٣٧
١١٧	دكاكين بيع النظارات	—	٢	٨	١٠
١١٨	مستودعات وكالات النقل	٥	—	٨	١٣
١١٩	معامل صنع الشمع والشمع	—	٨	—	٨
١٢٠	مخازن ومزارع وحوانيت مختلفة	٨	٦	١٥	٢٩
	المجموع	١٣٥٨	٩٥٤	٢٧٩٨	٥١١٠

٢٥ - شركاتها التجارية : واليك عدد الشركات المتكونة في القدس . وقد اقتبسنا هذه الارقام من سجلات البلدية في ١ مايس ١٩٤٥ :

العدد	نوع الشركة	١	٢	٣	٤	٥	ملحوظات
١	شركات كيميائية	—	١٦	٢	١٨	—	منها شركات البوتاس والادوية والاملاح والراديوم .
٢	شركات السجائر	—	٣	١	٤	—	
٣	شركات الخردوات	—	٥	—	٥	—	منها شركات لعب الاطفال والتصديف والتلوين والزخرفة والنقش
٤	شركات شراء الاراضي	٢	٦٢	١	٦٥	—	معظمها شركات لتركيز اليهود في فلسطين وتليكهم الاراضي .
٥	شركات الاشغال العامة	١	٥٤	٨	٦٣	—	انها شركات تتعاطى الاشغال العامة كالمقاولات والبناء والهندسة والتجدير والتصلح .

العدد	نوع الشركة	١	٢	٣	٤	ملحوظات
٦	شركات لنشر العلم والتدريس	-	٦	٦	١٢	انها شركات لتعليم اللغات والطباعة وتقوية الدراسات العلمية .
٧	شركات الطباعة	-	٣٥	٢	٣٧	انها شركات لنشر الصحف والمجلات . ويتبعها مصانع الورق والكرتون .
٨	شركات زراعية	١	٥	١	٧	انها شركات مختصة بالآلات الزراعية والاسمدة وتعمير الاراضي .
٩	شركات ميكانيكية وكهربائية	٣	١٤	٥	٢٢	انها شركات لتزويد لوازم الكهرباء والسيارات وتنظيفها وتعميرها
١٠	شركات المشروبات الروحية	-	٤	-	٤	انها شركات لصنع الخمر وبيعها .
١١	شركات السمرة	١	١٠	-	١١	انها شركات اسست لتعاطي امور البيع ولا سيما بيع الاراضي وتسهيل المعاملات .
١٢	شركات الاقشة والنسيج	٦	٢٢	٣	٣١	انها شركات لصنع الملابس والمفروشات .
١٣	شركات التجارة العامة	١	٥٧	٨	٦٦	انها شركات للتجارة والتصدير والتوريد لجميع انواع البضائع والمؤن
١٤	شركات لمساعدة يهود فلسطين	-	٥	١١	١٦	انها شركات لمساعدة المستشفيات والكنائس والمستعمرات اليهودية
١٥	شركات المطاعم والمقاهي	١	٩	٢	١٢	انها شركات لادارة الفنادق والمطاعم .
١٦	شركات الافلام والسينما	-	٨	١	٩	انها شركات الافلام السينمائية والتصوير .
١٧	شركات شراء الاختراعات	-	٣	-	٣	انها شركات تعمل على تأسيس المختبرات وشراء الاختراعات وموارزها المخترعين .
١٨	شركات النقل والسفر	٨	٦	١٠	٢٤	انها شركات الباصات وسيارات الاجرة والنقل في الجو والبحر والبحر .
١٩	شركات الاخشاب والزيوت	١	٤	١٠	١٥	انها شركات البترول وزيت الزيتون والاشخاب .
٢٠	شركات التأمين	١	١٢	٣١	٤٤	انها شركات التأمين على الحياة وعلى المخازن والمنازل والآلات .
٢١	شركات الجلود والاحذية	-	٣	-	٣	
٢٢	شركات السكب الحديدية	١	٤	-	٥	انها شركات الحديد ولوازم البيوت الكهربائية والميكانيكية .
٢٣	شركات الكاوتشوك	-	٢	١	٣	
٢٤	شركات الساعات	١	-	-	١	انها شركة مصرية لصنع الساعات .
٢٥	شركات الحمضيات	-	-	١	١	
٢٦	شركات المياه	-	٣	-	٣	
٢٧	شركات التموين	٤	١٨	-	٢٢	ومنها شركات المطاحن والخبازين واللحوم واللبقاليين .
٢٨	شركات ليس لها غايات معينة	-	٧	١٠	١٧	
		٢	٤	٢	٥	

٢٦ - بنوكها : في القدس ستة عشر مصرفاً (بنكاً) ؛ إليك اسماءها، وتواريخ شروعاتها بالعمل في فلسطين، ورأس مال كل واحد منها بالجنيه الفلسطيني :

رقم	اسم البنك بالعربي	تاريخ شروعه بالعمل في فلسطين	رأس المال المصرح به	المركز الرئيسي	ملحوظات
١	بنك كويات عام	١٩١٨/١٢/٢٢	٢٥٠,٠٠٠	تل أبيب	
٢	البنك العثماني	١٩١٩/٣/٢٩	١٠,٠٠٠,٠٠٠	لندن	أسس سنة ١٨٦٣ . مراكزه الاساسية في استانبول ولندن وباريس . وله مراكز في جميع انحاء فلسطين .
٣	بنك انجلو - فلسطين	١٩١٩/١٠/٢٦	١٠,٠٠٠,٠٠٠	لندن	أسس عام ١٩٠٢ . مركزه الرئيسي في يافا . وله فروع في جميع انحاء فلسطين .
٤	بنك فلسطين للرهن والتسليف	١٩٢٢/٧/٤	٥٠,٠٠٠	تل أبيب	
٥	البنك المركزي للمؤسسات التعاونية بفلسطين	١٩٢٢/٧/٨	١٥٠,٢٠٠	القدس	
٦	المجلس الفلسطيني	١٩٢٢/٨/٣٠	٨٠٠,٠٠٠	القدس	
٧	بنك مزراحي	١٩٢٣/٦/٦	١٠٠,٠٠٠	القدس	
٨	بنك فلسطين التجاري	١٩٢٤/٩/١٦	١٠٢,٥٦٥	حيفا	
٩	بنك باركس	١٩٢٦/١/١١	١٠,٠٠٠,٠٠٠	لندن	أسس سنة ١٨٣٦ . مقره الرئيسي في لندن . وله فروع في جميع انحاء الامبراطورية البريطانية .
١٠	البنك البولوني الفلسطيني	١٩٢٩/١٠/٢١	١٠٠,٠٠٠	تل أبيب	
١١	البنك العربي	١٩٣٠/٥/٢١	٥٥٠,٠٠٠	القدس	أسسه عبد الحميد شومان . وله فروع في اكثر انحاء فلسطين وسوريا ولبنان ومصر .

رقم	اسم البنك بالعربي	تاريخ شروعه بالعمل في فلسطين	رأس المال المصرح به	المركز الرئيسي	ملحوظات
١٢	بنك يعقوب يافت وشركاه	١٩٣٣/٨/١٣	٦٢,٠٠٠	القدس	
١٣	بنك الامة العربية	١٩٣٣/١٠/٢٧	١,٠٠٠,٠٠٠	القدس	مؤسسه احمد حلمي باشا عبيد الباقي . وله فروع في اكثر انحاء فلسطين وفي مصر ولبنان وسوريا . كان يدعى عند تأسيسه بالبنك الزراعي العربي . وفي سنة ١٩٤٢ استبدل باسمه الحالي . كان رأسماله اربعين الف جنيه فاصبح الان ينوف عن المليون
١٤	بنك ايلارن	١٩٣٤/١/١٤	٧٥,٠٠٠	تل أبيب	
١٥	بنك فوينخت واغمر التجاري العمومي	١٩٣٤/٧/١٩	٧٥,٠٠٠	تل أبيب	
١٦	بنك الحشم الفلسطيني	١٩٣٥/٣/٢١	٥٠٠,٠٠٠	تل أبيب	

وكان في القدس ، قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) بنكان : بنك الماني يدعى (بنك درتبل كيزلشافت) . تأسس سنة ١٩٢٤ برأس مال قدره خمسون الف جنيه . وبنك ايطالي يدعى (بنكو دي روما) . تأسس سنة ١٨٨٠ برأس مال قدره ٢٠٤ ملايين ليرة ايطالية . ولكنها اغلقت بسبب الحرب المذكورة .

بعد ان لم يكن فيها في عام ١٩٢٠ سوى ١٦٣ . والقدس مرتبطة ، من حيث المخابرات ، مع البلاد العربية المجاورة ومع القارة الاوروبية والولايات المتحدة الاميركية بالبر والبحر والجو . كانت مخابراتها البرية ، حتى قبل الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩) ، تجري عن طريق سوريا وتركيا وبعض البلاد الواقعة شرقي اوربا . واما مخابراتها البحرية ، فقد كانت عن طريق

٢٧ - خدمات البرق والبريد والهاتف :

القدس مصلحة حكومية للبرق والبريد والهاتف . وقد قامت هذه بتجديد خطوط البرق التركية في سنة ١٩١٨ . وانشأت في تلك السنة ايضاً ولاول مرة في تاريخ القدس شبكة تلفونية . كانت هذه في بادئ الامر منحصرة في مصالح الحكومة ودواوينها الرسمية . الا انها توسعت مع الزمن . فصار في القدس (في عام ١٩٤٥) ٥٨٣٦ آلة للتلفون

قلنا في موضع آخر من هذا الكتاب ان اول بلدية منظمة للقدس تأسست في سنة ١٨٦٣ . وانها كانت عبارة عن هيئة محلية صغيرة ذات سلطة محدودة وواردات ضئيلة لم تكن تتجاوز الـ ٥٠٠ جنيه سنوياً . ولبثت الميزانية في تزايد حتى بلغت في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٧) احد عشر الف جنيه .

ولقد ذكرنا ايضاً في موضع آخر من هذا الكتاب اسماء الاشخاص الذين تولوا رئاسة المجلس البلدي بالقدس في عهد الاتراك . ونود ان نذكر هنا اسماء اولئك الذين تولوها بعد الاحتلال البريطاني . ولكن لا بد لنا من التمهيد لذلك بالكلمة التالية : سارت الحكومة الانكليزية في فلسطين في بادئ الامر ، على الخطئة التي سار عليها الاتراك قبل الاحتلال من حيث اعطاء الشعب حق الانتخاب . فكان دافع الضرائب ينتخبون ممثلهم في المجلس البلدي . وعدد الاعضاء ستة : اربعة من العرب ، واثنان من اليهود . وكانت الحكومة تختار من بين هؤلاء الاعضاء رئيساً من ذوي الاهلية والاقتدار . وظلت تسير على هذا المنوال حتى اوائل عام ١٩٢٧ .

وكان رئيساً للبلدية عند بدء الاحتلال ، حسين سليم افندي الحسيني ، فموسى كاظم باشا الحسيني ، فراغب بك النشاشيبي . ثم انتخب للرئاسة الدكتور حسين فخري الخالدي . وفي سنة ١٩٤٥ اعتقلته الحكومة ونفته الى سيشل ، فاقامت مكانه مصطفى بك الخالدي . ولما توفي هذا تسلمها بالوكالة الاضون دانيال اوستر . ولم يكن الاعضاء العرب راضين عن هذا الوضع . اذ لم يسبق ان تولي رئاسة بلدية القدس يهودي . ولذلك فقد استقالوا . عندئذ عينت الحكومة لجنة (١١ تموز ١٩٤٥) لادارة الشؤون البلدية ؛ رئيسها وجميع اعضائها من الانكليز . وعند كتابتي هذه

حيفا وثغرها . وعن طريق مصر وثغورها الى فرنسا والمملكة المتحدة بواسطة شركات البواخر البحرية المختلفة .

واما مخبراتها البرقية ، فانها تجري بواسطة اسلاك البرق الممتدة بينها وبين بلاد الشرق المجاورة لها . ومع اوروبا بواسطة الاسلاك الممتدة بينها وبين حيفا . ومن هناك بخط بحري (Cable) الى اوروبا . ومع الولايات المتحدة عن طريق لندن . وهناك اتصال لاسلكي بينها وبين اوروبا ، وبينها وبين الولايات المتحدة والنحاء العالم الاخرى . تقوم به شركة ماركوني الايطالية ، ومقرها في مصر .

واما اتصالاتها الجوية فانها تجري مع اوروبا وافريقيا واوستراليا بواسطة طائرات شركة الطيران الانكليزية - The British Overseas Corporation لما وراء البحار ، ومع الولايات المتحدة الاميركية بواسطة طائرات شركة الطيران الاميركية Pan-American Airways Service وهذه الشركة تنقل البريد من القدس الى اميركا عن طريق افريقيا الغربية وميامي .

وهناك مواصلات جوية بين القدس وسوريا ايضاً وبينها وبين العراق ومصر .

وقصارى القول بلغت نفقات الحكومة على مصلحة البرق والبريد في فلسطين كلها وفي آخر سنة من سنوات الاحتلال البريطاني (١٩٤٧ - ٤٨) ١,٣٧٥,٣٣٣ جنيتها . وهو اكبر بند في الميزانية بعد مصلحة الأمن .

٢٨ - البلدية : بعد ان ذكرنا اسواق المدينة وتجارتها وحرفها وصناعاتها وطرقها ومجاريها ، نرى لزماً علينا ان نقول كلمة في (البلدية) المسؤولة عن هذه الشؤون .

ومدير السكك الحديدية ، وحكام الالوية ، ومدير البرق والبريد ، ومدير مصلحة الاحصاء والمهاجرة ، ومدير تسجيل الاراضي ، والمستشار الاقتصادي ، ومدير مصلحة العمل (أعضاء) .
واما المجلس التنفيذي فهو لف من المندوب السامي (رئيساً) ، والسكرتير العام ، والنائب العام ، والسكرتير المالي ، وحاكم لواء القدس فقط (أعضاء) .

والقدس - كما قلنا - مركز اللواء الذي يحمل نفس الاسم : لواء القدس . وهو مؤلف من اربعة اقسية هي :

- (١) القدس (٢) بيت لحم - اريحا
(٣) خليل الرحمن (٤) رام الله

اما قضاء القدس فيتبعه ٦٦ قرية هي : أبوديس ، إم طوبا ، بتير ، بيت دقو ، بيت حنينا ، بيت اجزا ، بيت اكسا ، بيت عنان ، بيت جمال ، بيت محسير ، بيت نوبا ، بيت صفا ، بيت سوريك ، بيت ثول ، بيت ام الميس ، بدو ، بير نبالا ، البريج ، جبعة ، جرش ، الجيب ، الجديرة ، الجورة ، حزما ، خربة اسم الله ، خربة العمور ، خربة اللوز ، دير أبان ، دير الشيخ ، دير رافات ، دير ياسين ، دير عمرو ، رافات ، الرام ، ساريس ، سلوان ، شرفات ، شعفاط ، اشوع ، صا طاف ، صوبا ، صرعة ، صور باهر ، الطور ، عسلين ، العيزرية ، العيسوية ، عين كارم ، عين رافا ، عرطوف ، عكور ، لفنا ، عناقا ، العنب ، قالونيا ، قطنه ، قلنديه ، القسطل ، القبيبة ، كسلا ، كفر عقب ، المالحه ، مخماس ، النبي صموئيل ، نطاف ، الوجلة .
وهناك عشيرة واحدة هي : السواحرة ، يعيش قسم منها في دور حجرية . وثماني مستعمرات يهودية :

السطور كان المستر وبستر المدير العام لمصلحة البرق والبريد هو الرئيس . ووظيفة المجلس البلدي تنحصر في اعمال النظافة والتنوير وفتح الطرق ورصفها ومراقبة البناء والتنظيم وما الى ذلك من الشؤون التي تعود بالخير على سكان المدينة . وقد بلغت موازنتها في العام الفائت (١٩٤٦ / ٤٧) ٢٩٦ر٥٥٧ جنيهاً . واما في هذه السنة (١٩٤٧ / ٤٨) فانها ٧٥٠ر٠٠٠ جنيه .

٢٩ - القدس من الناحية الادارية والسياسية :

من اهم المدن الفلسطينية . انها ليست فقط مركز اللواء الاداري الاول المعروف باسم (لواء القدس^(١)) . بل هي عاصمة فلسطين كلها من أدناها الى أقصاها . وفلسطين الان (١٩٤٧) واقعة تحت الانتداب البريطاني . يديرها مندوب سام^(٢) انتدبه بريطانيا ، بصفتها دولة منتدبة من لدن عصبة الامم . ويساعده في ادارته مجلسان : مجلس استشاري ، وآخر تنفيذي . فالمجلس الاستشاري مؤلف من : المندوب السامي (رئيساً) والسكرتير العام ، والنائب العام ، والسكرتير المالي ، ومدير البوليس ، ومدير الصحة ، ومدير الاشغال ، ومدير المعارف ، ومدير الزراعة ومصايد الاسماك ، ومدير الجمارك والتجارة والمكوس

(١) اليك اسماء الالوية الستة التي تتكون منها فلسطين في الوقت الحاضر (١٩٤٧) : - (لواء القدس) ويتبعه اقسية القدس ، ورام الله ، والخليل ، وبيت لحم - اريحا . (لواء اللد) ويتبعه اقسية يافا ، الرملة ، والمد . (لواء حيفا) ويتبعه اقسية حيفا ، وعكا . (لواء الجليل) ويتبعه اقسية الناصرة ، وطبريا ، وصفد ، وبيسان . (لواء السامرة) ويتبعه اقسية نابلس ، وطولكرم ، وجنين . (لواء غزة) ويتبعه اقسية غزة ، وبير السبع .

(٢) ذكرنا اسماء جميع المندوبين الذين تولوا الحكم بفلسطين في آخر الفصل الذي خصصناه للاحتلال الانكليزي .

موتزا الفوقا. رامات راحيل. موتزا التحتا. معلى.
 قريات عنيم. نبي يعقوب. عطاروت. هارطوف.
 واما قضاء بيت لحم - أريحا؛ ففيه أربع مدن
 هي: بيت لحم. بيت ساحور. بيت جالا.
 أريحا. و ١٦ قرية هي: ارطاس. بيت فجار.
 بيت عطاب. البحر الميت. الحضر. حسان.
 رأس ابو عمار. دير الهوى. السفلى. علار.
 العوجا. القبو. المغطس. نحالين. النويعة.
 وادي فوكين. وهناك سبع عشائر هي: الرشايدة
 العبيدية. التعامرة. الديوك. العريقات. السعايدة.
 النصيرات. وأربع مستعمرات يهودية هي:
 كوتسات هاهوكيم. كفر عصيون. ماسوت. كاليا.
 واما قضاء الخليل فيتبعه ٣٥ قرية هي: ادناء
 بيت جبرين. بيت نثيف. بيت كاحل. بيت اولاء.
 بيت اوامر. برقوسيا. بني نعيم. تقوح. ترقوميا.
 تل الصافي. جبعة. حلحول. خاراس. دير الدبان.
 دير نخاس. الدوايمة. دورة. رعنا. الرحيمة.
 زكريا. زكرين. زيتا. سعيم. سنابرة. ام برج.
 السموع. الشيوخ. صورييف. الظاهرية. عجور.
 القبية. كدنا. مغلس. نوبا. يطا. وهناك ثلاث
 عشائر تابعة للخليل وهي: الجهالين (هما فخذان:
 الزويدون. والفرجات). والصراية.

واما قضاء رام الله: فيتألف من مدينتين وهما:
 رام الله. البيرة. ومن ٥٨ قرية هي: ابو شخيدم.
 ابو قش. ام صفا. برقا. بيتين. بيرزيت. برهام.
 بيت رما. بيتللو. بيت عور الفوقا. بيت عور
 التحتا. بيت سيرا. بيت لقيا. بيتونيا. ترمسما.
 جفنا. جمالا. الجانية. جلجلما. جببيا. خربة ابو
 فلاح. خربثا المصباح. دورا القرع. دير دوان.
 دير بزيع. دير جرير. دير عمار. دير ابو مشعل.
 دير نظام. دير السودان. دير غسانة. رأس كرك.
 رمون. سلواد. سنجل. سرده. صفا. الطيبة.
 الطيرة. عبوين. عين سينيا. عارورة. عجول.
 عين قينيا. عين عربك. عابود. عين يبرود.
 عطارة. قراوة. كفر نعمة. كفرمالك. كفرعين.
 كوبر. المزرعة القبلية. المزرعة الشرقية. مزارع
 النوباني. النبي صالح. يبرود.

وليس في قضاء رام الله عشائر بدوية ولا
 مستعمرات يهودية.

والكشف الآتي يبين لك عدد المدن والقرى
 والعشائر والمستعمرات في كل قضاء من الاقضية
 الاربعة التابعة للواء القدس (١٩٤٦)، وكذلك
 عدد السكان في كل قضاء:

اسم القضاء	عدد المدن	عدد القرى	عدد العشائر البدوية	عدد المستعمرات اليهودية	يكون	نفوس الجميع
القدس	١	٦٦	١	٨	٧٦	٢٢٨,٥٤٠
الخليل	١	٣٥	٣	—	٣٩	٨٩,٦٥٠
رام الله	٢	٥٨	—	—	٦٠	٤٧,٢٨٠
بيت لحم - أريحا	٤	١٦	٧	٤	٣١	١٩,٤١٠
	٨	١٧٥	١١	١٢	٢٠٦	٣٨٤,٨٨٠



فريق من رجال الشرطة العرب بالقدس في عهد الانتداب البريطاني
يتوسطهم قائدهم الضابط محمد السعدى.



الجهة الشرقية لمدينة القدس

ومن رسوم المحاكم (١٤٠,٠٠٠) وتسجيل الشركات (١٠٠,٠٠٠) وتسجيل الاراضي عن طريق الوراثة او البيع وما الى ذلك (٩٠٠,٠٠٠) ومن اجور البرق والبريد والهاتف (١,٨٨٥,٠٠٠) ومن املاك الدولة عن طريق التأجير (٦٤,٧٠٠) ومنها عن طريق البيع (١٨,٥٠٠) ومن المواني والسكك الحديدية (٥٧,٦٩١) . وهناك بنود مختلفة تدر على خزينة فلسطين من الوارد ما يجعلها في غير حاجة للاعانات من الخارج . هذا مع العلم بأنه كان هنالك دوائر عديدة لا لزوم لها ، وعدد كبير من الموظفين كانت البسلة في غنى عنهم . ولا سيما ذلك الجيش الجرار من الموظفين البريطانيين الذين كانوا في كل سنة يزدادون . ومهمتهم قبل كل شيء توطيد اركان الانتداب وبالحرى الحكم الأجنبي في البلاد . وما كان اكثرهم من النزاهة بحيث يمكن ابعادهم عن مجال الشبهات ! . .

وفي قطاع القدس قوة من البوليس لحفظ الامن . وكانت هذه القوة ، في اواخر عهد الانتداب ، تقوم على الترتيبات التالية :

(أ) في المدينة : ثمانية مراكز للبوليس فيها من الضباط وافراد الشرطة ما نثبته في البيان التالي :

لا نعلم بالضبط كم كانت ادارة القدس ولوائها تكلف الحكومة . ولكننا نعلم انها (اي الحكومة) انفقت في سبيل ادارة فلسطين كلها وفي آخر سنة من الانتداب (١٩٤٧ / ٤٨) ١,٠٧٥,٦٨٠ جنينياً (بما في ذلك رواتب المندوب السامي والحكام وموظفي الادارة والسكرتيرية) . هذا من مجموع النفقات التي بلغت في تلك السنة ٢٤,٦٣٥,٠٦٦ جنينياً . وكان في القدس عشرة آلاف موظف بين كبير وصغير ، ومن جميع الاجناس والاديان .

واما واردات الحكومة في تلك السنة فقد بلغت ٢٣,٥٥٩,٦٨١ جنينياً . معظمها جاء عن طريق الجمارك (١٠,٥٠٠,٠٠٠) وبعضها من ضريبة الدخل (٢,٥٠٠,٠٠٠) ومن ضريبة الاملاك في القرى (٥٧٥,٠٠٠) وضريبة الاملاك في المدن (٨٠٠,٠٠٠) ومن ضريبة الحيوانات (٢٠٠,٠٠٠) ومن رسوم التمتنا (٣٥٠,٠٠٠) ومن ارباح الشركات (٥٠٠,٠٠٠) ومن رسوم النقل على الطرق والسيارات (٣١٠,٠٠٠) ومن آلات الراديو (١٠٠,٠٠٠) ومن رسوم الدخان (١,٢٥٠,٠٠٠) والكحول (٧٠٠,٠٠٠) والملح (٣٥,٠٠٠) والكبريت (٦٧,٥٠٠) .

رقم المركز	اسم المركز	عدد افراد الشرطة			عدد الضباط		
		انكليز	عرب	يهود	انكليز	عرب	يهود
١	القشلة	٤٠	٨٠	—	١٢٠	—	٢
٢	حارة اليهود	—	—	٢٥	٢٥	—	١
٣	الحرم	—	٦	—	٦	—	١
٤	مياشورم	٧٠	١٢	٢٥	١٠٧	١	٢
٥	محنة يهودا	٨٠	٩٥	٦٠	٢٣٥	١	٢
٦	كولونية الالمان	٥٠	٣٣٠	١٣	٣٩٣	١	٢
٧	انجلو - فلسطين	٢٥٠	٢٥٥	٩٣	٥٩٨	١	٢
٨	المقر العام	—	—	—	—	—	٨
		٤٩٠	٧٧٨	٢١٦	١٤٨٤	٥	٢٠

اولان بنجمة واحدة : هما ايضاً انكليز . وبلغت نفقات قوة البوليس في المدينة في آخر سنة من سنوات الاحتلال (١٩٤٧) ٩٦,١٥٠ جنهما فلسطينياً .

وعلى رأس هذه القوة نائب لمدير البوليس يحمل تاجاً ، وهو انكليزي (مستر) . وخمسة مساعدون للنائب بثلاث نجوم ، وهؤلاء ايضاً انكليز ومفتشان

(ب) واما رجال البوليس المسؤولين عن القرى التابعة لقطاع القدس ؛ فمركزهم في القسلة التركية القديمة داخل السور . وهم موزعون في قرى القدس كما يلي :

١ ٢ ٣ ٤ ٥	اسم المركز	عدد افراد الشرطة				عدد الضباط			
		مجموع	١	٢	٣	مجموع	١	٢	٣
١	اريجا	٢٦	٤٩	-	٧٥	١	١	-	٢
	(آ) طلعة الدم	-	١٥	-	١٥				
	(ب) البحر الميت	-	٣٩	-	٢٩				
	(ج) جسر اللتبي	١٢	٢٠	-	٣٢				
٢	بيت لحم	٣٢	٥٥	-	٨٧	١	١	-	٢
٣	قرية العنب - ابو غوش	٢٥	٢٨	-	٥٣	١	١	-	٢
٤	عرطوف	١٦	١٨	-	٣٤	-	-	-	-
٥	المركز	٢٢	٦٢	-	٨٤	٢	٢	-	٤
		٤١٩	٤١٩	-	٤١٩	٥	٥	-	١٠

ضباط (ثلاثة انكليز وعربان) ومئة وخمسة انفار برتب مختلفة : خمسة عشر منهم انكليز ، وسبعون عرب ، وعشرون يهود . وفي بيت لحم سجن للنساء . فيه واحد واربعون سجيناً . اخدمهم ضابط ، وهو انكليزي ؛ والباقيون انفار : خمسة انكليز ، وخمسة وثلاثون عرب .

وعلى رأس هذه القوة نائب لمدير البوليس ، وقد كان هذا في آخر سني الانتداب عربياً (هو فايز بك الادريسي) .

(ج) وهناك سجن للرجال في القدس . يعمل فيه مئة وعشرة رجال من البوليس . خمسة منهم

(٥) في رام الله : مركز واحد هو في مدينة رام الله . واربعة مخافر هي في (١) محطة الاذاعة و (٢) قرية الطبية و (٣) النبي صالح و (٤) رأس اللبن . واليك بيان القوة الموجودة في المركز المخافر :

رقم المرکز	اسم المركز او النقطة	عدد افراد الشرطة				عدد الضباط			
		انكليز	عرب	يهود	مجموع	انكليز	عرب	يهود	مجموع
١	رام الله	٣٢	٣٢	-	٦٤	١	٢	-	٣
٢	محطة الإذاعة	١	٥١	-	٥٢				
٣	قرية الطبية	-	١٦	-	١٦				
٤	النبي صالح	١٤	٢٢	-	٣٦				
٥	رأس اللبن	-	٢٣	-	٢٣				
		٤٧	١٤٤	-	١٩١	١	٢	-	٣

(٥) في الخليل : قطاع الخليل ينقسم الى ثلاثة مراكز : هي (١) الخليل و (٢) الضاهرية و (٣) بيت جبرين . واليك بيان القوة الموجودة في هذه المراكز :

رقم المرکز	اسم المركز	عدد افراد الشرطة				عدد الضباط			
		انكليز	عرب	يهود	مجموع	انكليز	عرب	يهود	مجموع
١	الخليل	٣٠	٣٤	-	٦٤	١	١	-	٢
٢	الضاهرية	١٤	١٧	-	٣١	١	١	-	٢
٣	بيت جبرين	١٤	١٧	-	٣١	١	١	-	٢
٤	المركز (في الخليل)	-	-	-	-	١	١	-	٢
		٥٨	٦٨	-	١٢٦	٤	٤	-	٨

ولقد بلغت نفقات قوة البوليس في لواء القدس كله ، وفي آخر سنة من سنوات الاحتلال (١٩٤٧) ٤٩٨,٦٢٠ جنيهاً فلسطينياً^(١) . وكان على رأس هذه القوة مدير انكليزي هو مستر هيد نغهام .

من المصالح الحكومية الاخرى^(١) . وما كانت نفقات الامن لتصل الى هذا الحد ، لولا سياسة الحكومة . تلك السياسة التي فرضت على العرب فرضاً ؛ فحملت اليهم الوطن القومي اليهودي ، وحملت اليهم من ورائه الانتداب ! . .

٣٠ - مستوى المعيشة فيها : من الانصاف ان نذكر ان أبناء القدس ، على الرغم من جميع الاحداث التي مرت بهم والتي حدثناك عنها في السطور السابقة ، وعلى الرغم من الكرب الذي ألم بهم اثناء الانتداب بسبب السياسة الخرقاء التي اتبعتها الحكومة البريطانية لتوطيد دعائم الوطن القومي اليهودي ؛ يرتعون اليوم (١٩٤٧) في رغد من العيش ، ويقفون على مستوى ارفع بكثير مما كانوا عليه في العهد التركي . ولست اغالي ان قلت انهم ، من هذه الناحية ، سبقوا اخوانهم في الاقطار العربية المجاورة ؛ وان كانوا ، من حيث السياسة وهناء البéal ، تأخروا عنهم عشرات السنين ! . .

بلى وربك . انك إذا ما رنوت اليهم الفيتهم كأنهم في هواء دائم ونعيم مقيم ! . . . فالتجارة في بلدكم رائجة . والاعمال متيسرة . والارباح متوفرة . وحركة البناء والإعمار مستمرة . وليس في البلد عمال عاطلون عن العمل . والمال في ايدي الناس كثير . والاقبال على العلم منقطع النظير . ولست ترى ، اينما حللت ، سوى منازل عامرة ، ورياش فاخرة ، ووجوه نظرة . ولا تسمع ، حيثما سرت ، إلا اخباراً عن اجتماعات عائلية ، وحفلات ، وسهرات ، ومظاهر ان دلت على شيء فانما تدل - في مجموعها - على رغد العيش ، وعلى السعادة ، وعلى الرضا ، والهناء وراحة البéal ؛ وما هم - في الحقيقة -

وهنا ، في القدس ، مركز الرئاسة لقوة البوليس كلها في فلسطين . وكانت هذه تقوم في عمارة كبيرة من العمارات التابعة للمسكوبية . الرئاسة مؤلفة من : مفتش عام للبوليس والسجون بتاج وسيفين ، وهو انكليزي [Col. Grey] .

ونائب للمفتش بتاج ونجمتين ، وهو ايضاً انكليزي ، وثمانية مدراء بتاج ونجمة : ستة منهم انكليز ، وعربيان .

وعشرة نواب للمدير بتاج ؛ سبعة منهم انكليز وعربيان ، ويهودي واحد .

وعشرة مساعدون لنواب المدير بثلاث نجوم : ثمانية منهم انكليز ، وعربيان ، ويهودي واحد . وستة عشر مفتشاً اولاً بنجمتين : تسعة منهم انكليز ، وخمسة عرب ، ويهوديان .

وفي الرئاسة مئة وخمسون كاتباً من مختلف الرتب : خمسة عشر منهم انكليز ، وخمسون يهود ، وتسعون عرب .

ولقد بلغت نفقات الرئاسة في السنة الأخيرة (١٩٤٧) من سنوات الانتداب مئة الف جنيه فلسطيني .

واما نفقات رجال البوليس في فلسطين كلها فقد بلغت (١٩٤٧ / ٤٨) ٧٠٠١٠٥٠٨ و٧٠٠١٠٥٠٨ جنيهات . هذا من مجموع نفقاتها التي بلغت في تلك السنة ٢٤٦٣٥٠٦٦ جنيهات . والمبلغ الذي انفق في مصلحة الامن كان اكبر مبلغ أنفق على أية مصلحة

(١) ان ثلثي هذا المبلغ انفق رواتب لرجال الامن من افراد وضباط من مختلف الرتب ، وثلث الاخر نفقات مختلفة . والشرط الاكسبر من الرواتب (٣٠٥٩٥٠٨٠٨) كان يدفع للبريطانيين .

(١) البند الثالث في الميزانية من حيث الالهية ، وهو ١٠٥٦١٠٥٢١ جنيهات انفق على المدارس وشؤون التعليم .

وأما الرواتب التي يتقاضاها الموظفون ، سواء أكانوا من أبناء القدس أم ممن وفدوا إليها بقصد العمل في مختلف المصالح التجارية والدواوين الرسمية ، فإنها مورد غزير لا يستهان به . لا بل إنه قد يفوق الموارد الأخرى . أنه وإن لم تكن لدينا أرقام موثوقة عن الموظفين المستخدمين في مختلف المصالح التجارية ، إلا أننا نستطيع الجزم - استناداً الى ما لدينا من أرقام رسمية - أنه يعيش في القدس في يومنا هذا (١٩٤٧ م) عشرة آلاف موظف حكومي في رتب ودرجات مختلفة ، وأن الاموال التي ينفقها هؤلاء في المدينة من اجل اعاشتهم واعاشة عيالهم وملابسهم ومساكنهم من الضخامة بحيث تستحق التدوين .

وأما حركة البناء والعمران ، فحدث عنها ولا حرج . أنها تدر على القدس اموالا كثيرة . فارتداد الزيادة المستمر في عدد السكان جعل حركة البناء أيضاً في تقدم مستمر . وعادت هذه بالربح الوفير ، لا على العمال والبنائين فحسب ، بل على تجار الخشب والحديد والاسمنت وسائر مواد البناء ايضاً ، حتى وعلى اصحاب الاراضي ومقالع الحجارة . فارت القدس مليئة بهذا النوع من المقالع . ويخرج منها أنواع كثيرة من الحجارة ذات الالوان المختلفة . وحجر القدس من أحسن الحجارة وأجملها وأقواها . ولا سيما النوع المعروف بالحجر المزي الصلب . . . أبيض وأحمر . . . لونه يسر الناظرين . ويشغل في هذه المهاجر عدد كبير من اصحاب الاراضي والعمال الحبيرين في قلع الحجارة وقطعها وتهذيبها وبنائها ، وكلهم عرب . والعامل العربي في يسر . يتقاضى أجراً لا بأس به ، اذا ما قيس بالأجور التي يتقاضاها العمال في البلاد الاخرى . فقد بلغ أجر العامل في اليوم الواحد ٧٥٠ ملا . وأكثرهم عمال بناء .

بسعداء . لان هذا الثراء الذي تراه ، ليس الا نتيجة موقوتة لمشاريع الانشاء والتعمير ، رسمتها لهم ولبلدكم الا غيار ، ليجدوا مبرراً لادخال قافلة جديدة من المهاجرين ! . . والمهاجرون القادمون - ايأ كانوا ومهما كان السبب الذي ينتحل من أجل ادخالهم ! - يكونون عادة مصدر رزق لابناء البلد الذين يحلون فيه . بمقدار ما يكونون - من الناحية السياسية والمغزى الاجتماعي البعيد - مصدر شر ونقمة وبلاء . . .

انها كالسم في الدسم . ظاهرها فيه الرحمة ، وباطنها فيه العذاب .

اضف الى ذلك المبالغ الضخمة التي تنثرها الحكومة : رواتب الموظفين وللبحر الخضم من الضباط والجنود المرابطين في البلاد . والمبالغ التي تدفعها اجوراً للعمال ، وللمنازل التي تستأجرها من اصحابها وتتخذها مقراً لمختلف مصالح الحكومة ودواوينها .

وقد ازدهرت حركة السياحة في السنوات الاخيرة فراح يفد الى القدس عدد كبير من السياح والزائرين من مختلف انحاء المعمورة . . من الشرق والغرب . . فيزورون الاماكن المقدسة . . ويعودون الى بلادهم . . ولقد أحصت الحكومة عدد السياح الذين دخلوا فلسطين في السنوات العشر التي مرت بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٣٦ بما يقرب من خمسين الفا في السنة . فذا ما قدّرنا ان معظم هؤلاء السياح ، ان لم نقل كلهم ، يهبطون مدينة القدس - لان الغاية من مجيئهم هي زيارة الأماكن المقدسة ، والاماكن المقدسة موجودة فيها - وان ما ينفقه الواحد منهم اثناء وجوده في هذه المدينة لا يقل عن اربعين جنياً ؛ علمنا ان ما تجنيه القدس من هذا المورد وحده لا يقل عن مليونين من الجنيئات .

الخير ، والامتناع عن الخمر والميسر والمخدرات ،
والاعتدال في الحب والكراهة .

وقد قطعوا ، من حيث ادراكهم حقائق
الاشياء ، شوطاً بعيداً .

فما عادت الفتاة المقدسية ، مثلاً ، تلبس بالحجاب
كما كانت تفعل امها من قبل . وكثيراً ما نراها
تخرج من منزلها سافرة . وما عاد الفتى المقدسي
يتمسك بالمعتقدات والاساطير القديمة البالية .

انهم ، في الحقيقة ، من سعة الادراك والفهم على
جانب خليق بالتقدير . يقتبسون حوادث الكون ،
ولا سيما ما يتعلق منها بمصير وطنهم وامتهم ، باهتمام
يلفت النظر . ويقرأون من الكتب والصحف
والمجلات العلمية والادبية اكثر مما يقرؤه ابناء
الشرقين : الاوسط والادنى . والمتعلمون الذين
أرسلهم آباؤهم لاتمام دراساتهم الجامعية كثيرون .
وعدهم ما برح في ازدياد مستمر .

ولولا الحكم الاجنبي ، وما جره هذا على البلاد
من ويلات ، لما بقي فيها أمي واحد . ذلك لان
الميل لمعرفة الحقيقة وفعل الخير ، كامن في نفوس
اهل القدس . وقد صهرتهم حوادث الايام : من
زمن الصليبيين . . . الى زمن الاتراك العثمانيين . .
الى زمن البريطانيين . . . فقد كانوا دائماً وأبداً في
صراع دائم مسمع الدهر واحداثه . . . وفي قلق
مستمر . . . وتحفز لما قد يأتي به القدر من مآس
جديدة . . . وللأحداث اثرها في تكوين الطباع . .
ومن هنا جاءت صفات الخوف والشك والحذر . .
ومن هنا ايضاً جاء القول الذي الصقه بهم بعض
الزوار والسائحين الذين نزلوا هذه المدينة
وغادروها قبل ان يتمكنوا من دراسة طابع أهلها
دراسة كاملة . فاكثفوا بالقول : « ميتهمالم » ،

يتناول الواحد منهم جنيهاً واحداً في اليوم . وأقل
العمال اجوراً هم عمال الطرق . فان الواحد منهم
يتقاضى ٢٥٠ ملاً . وما كانت القدس تعرف
ساعات العمل . لا . ولا كان فيها قوانين للعمال .
واما اليوم فان ذلك كله مرتبط بنظام .

وفي القدس عدد كبير من التجار يملكون
ثروات طائلة .

ومع هذا فان نفقات العيش في القدس مرتفعة ،
بمقدار ما فيها من حركة ورجح . فان الاسرة الواحدة
من الاسر الوسطى المؤلفة من خمسة اشخاص (رب
البيت وامراته واولاده الثلاثة) لا يكفيها ، من
اجل عيشها عيشة شريفة راضية ، اقل من اربعين
جنيهاً في الشهر . ذلك لان اسعار الحاجيات في
ارتفاع مستمر ، ولان مستوى المعيشة قد ارتفع ،
في السنوات الاخيرة ، ارتفاعاً بلغت الانظار .
وحدث ، بعد الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ،
تغيير في ذوق ابناء المدينة من حيث اللباس والطعام
والاثاث المنزلي ووسائل النقل والوقاية والتدفئة
وغير ذلك من وسائل الحضارة الحديثة . كما حدث
تغيير في العقول والاذهان وفي تذوق مفاهيم الحياة .

وهذا ما يحدوني لذكر نبذ من اخلاق بنيهم
وطباعهم في السطور التالية :

٣١ - اخلاق وطباع : إذا جاز لي ان ابدى
رأيي في اخلاق بني قومي وبلدي وطباعهم ، قلت :
انني ، على الرغم من كل ما قيل عنهم ولهم ، ما
برحت عند حد الاعتقاد ان لهم من الصفات ما
يستطيعون ان يباهوا به اترابهم من الاقوام المجاورة
لهم . واني لذاكر من تلك الصفات : الزهد ،
والتقوى ، والحلم ، والعفة ، والمروءة ، والنجدة ،
والصدق في القول ، والابتعاد عن الاذى ، وحب

وصحبتها ما يتم ! . . » وقولهم ايضاً : « القدس طشت من ذهب ، مليء بالعقارب ! . . »

هذا ، وقد اتسعت صدورهم للنقد التزيه . فتراهم يرحبون بالتوجيه الصحيح ، ويسيرون على هداه ، سيما اذا كان هذا مصحوباً بالحجة الدامغة . وكثيراً ما يعملون بالقول المأثور - : وجادلهم بالتي هي احسن . .

وبعد ان كانوا يخبطون خبط عشواء في سيرهم وتفكيرهم ، وينتهجون سبل الارهاب والقسوة في بيوتهم ومنازلهم ؛ راحو يحكون العقل والمنطق في كل عمل من اعمالهم .

ومع هذا . فانهم لا يخلون من صفات تعتبر - بالنسبة لمفاهيم هذا العصر - نقائص . . والكمال لله وحده . . ومن صفاتهم التي يؤخذون عليها : انهم يميلون الى (المجاملة) اكثر من الزوم ! . . وانهم كثيراً ما يسترسلون في التمييز بين الاسر الكريمة (!) والاسر غير الكريمة (!) . . مع ان الزمن الذي كانت البغضاء متأصلة فيه بين قيس وعين وبين اتباعها ، قد ولى ! . . انهم لا يزالون متأثرين بعقلية الماضي . فتراهم - اذا ما ارادوا ان يفاضلوا بين زيد او عمرو من الناس - يبحثون عن اصله وفصله وعن العشيرة التي ينتمي اليها هذا وذاك ! . . وقل ان يقيموا وزناً لعلم هذا ، او خلق ذاك ! . . ومن هذه العادة ينبثق تفكيرهم بمجد الآباء والاجداد ! . . وقد استغل ولاة الامور في العهود السابقة هذا الميل ، وعملوا على تغذيته واتماؤه ! . . فكانوا يعهدون الى زيد من الناس بمنصب كبير ، اذا ما علموا انه ينتمي الى احدى الاسر المعروفة ! . . ثم لا يلبثون ان يقلبوه من ذلك المنصب ، ويولوا بدلاً منه شخصاً آخر من الاشخاص الذين ينتمون الى اسرة اخرى ! . . وهكذا دواليك ! . .

انها . . هي هي . . السياسة الفاشية نفسها . . التي اتبعها الاجنبي الدخيل . . والتي تستند على المبدأ القائل : فوق تصد . . وهكذا كانت الاسرة المقدسية تقتتل (!) من اجل الوصول الى كرسي الزعامة ! . . ولكن هذه العادة السقيمة آخذة في الزوال .

والمرأة العربية في هذا البلد وان كانت ، الى حد محدود ، اسعد حالاً مما كانت عليه في الازمنة السالفة ؛ الا انها ما برحت في حاجة لمن ياخذ بيدها . ذلك لان حرية الرأي عند الزواج ما برحت - الى حد يذكر - مكبوتة . وكثيراً ما سمعنا عن فتاة زفت - على الرغم منها - الى شاب لم تره ! . . وقد لا تكون راغبة في الزواج منه . . اصف الى ذلك غلاء المهور . الامر الذي كان له اسوأ الاثر في المجتمع . مع العلم ان حوادث الطلاق وتعدد الزوجات قد انخفضت الى حد كبير . وكذلك قل عن حوادث الزنا . . وما عاد الناس يرغمون نساءهم على البقاء بين الجدران . . وقد قطعت بيت المقدس شوطاً بعيداً في ميدان العلم والادب والتهديب . كما قطع ابن القدس شوطاً غير قصير في ميادين الطب والهندسة والاعمال الفنية الاخرى .

وانطلق الجسيم نحو هدف معين : هو التفكير في مصير وطنهم وامتهم . فانك تكاد لا تغشى مجلساً من مجالسهم ، الا وتسمعهم يتحدثون عما كان وما سيكون . ومن اصدق تقنياتهم ان يروا بلاد العرب كلها عزيزة حرة مستقلة في وحدة عربية تشمل الجزيرة العربية كلها : من ادناها الى اقصاها .

وانك لترى المسلمين والمسيحيين من ابناء هذا البلد المقدس ،يسيرون في هذا المضمار على نهج واحد . انهم متقاربون كل القرب من حيث

الدين لله ، والوطن للجميع

تلك هي اخلاق بني قومي . ذكرتها بشيء كثير
من الايجاز . وقد يكون من الانصاف ان اذكر
ايضاً ، ان التجارب علمتني ان كل صفة من الصفات
التي ذكرتها في الاسطر المتقدمة - الحسنة منها
والسيئة - لها استثناءات .. وان تلك الاستثناءات
قد تجدها عند كل طبقة من الناس ، وفي كل بيت
واسرة ...

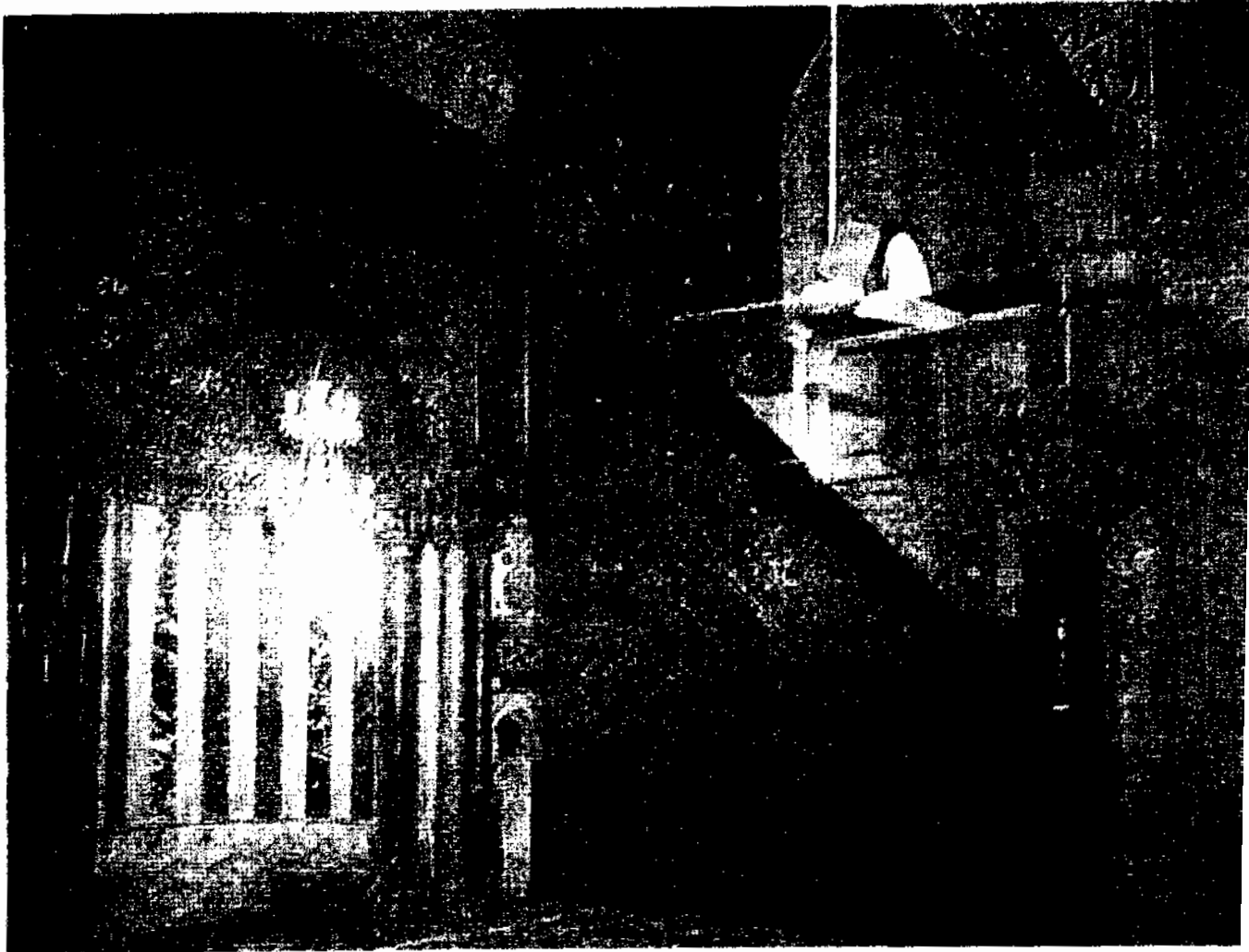
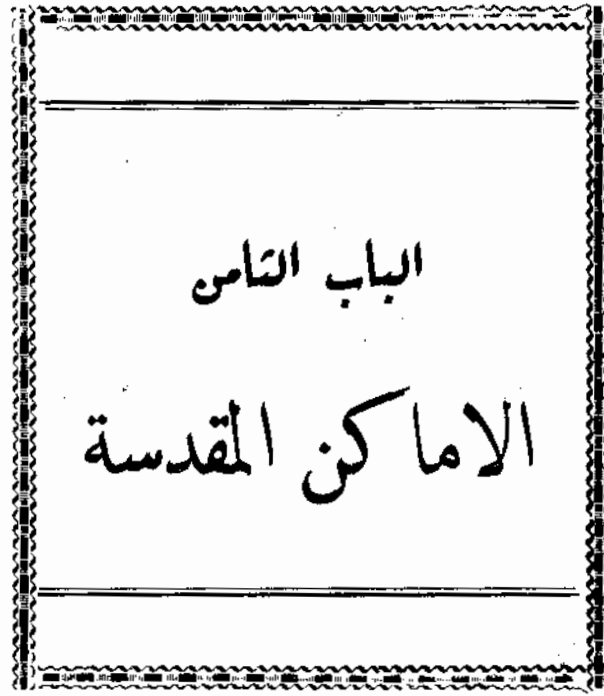
فالكمال لله وحده ..

والله في خلقه شؤون ..

الاخلاق والطباع ، ومن حيث المبادئ السياسية
والاجتماعية ايضاً . وقد ازدادت اوصر المحبة
والتآخي متانة بعد زوال الحكم التركي وفي غضون
الانتداب ، بسبب مطامع اليهود والنكبات التي المت
بالمسلمين والمسيحيين على حد سواء . عندئذ عقدوا
العزم على ان ينسوا الماضي ، يوم كان الأخ يقتل أخاه
من اجل عقيدته الدينية ! وراحوا يعملون على درء
الشر يدأ واحدة . وقد قاوموا الانتداب والوطن
القومي اليهودي ثلاثين عاماً . دون ان يتمكن
المستعمرون من تفريق صفوفهم . وكان شعارهم
الوحيد :



فئة من رجال الامن : انكليز وعرب في عهد الانتداب البريطاني



• الاماكن الاسلامية المقدسة •

• الاماكن المسيحية المقدسة •

• الاماكن اليهودية المقدسة •

الاماكن الاسلامية المقدسة

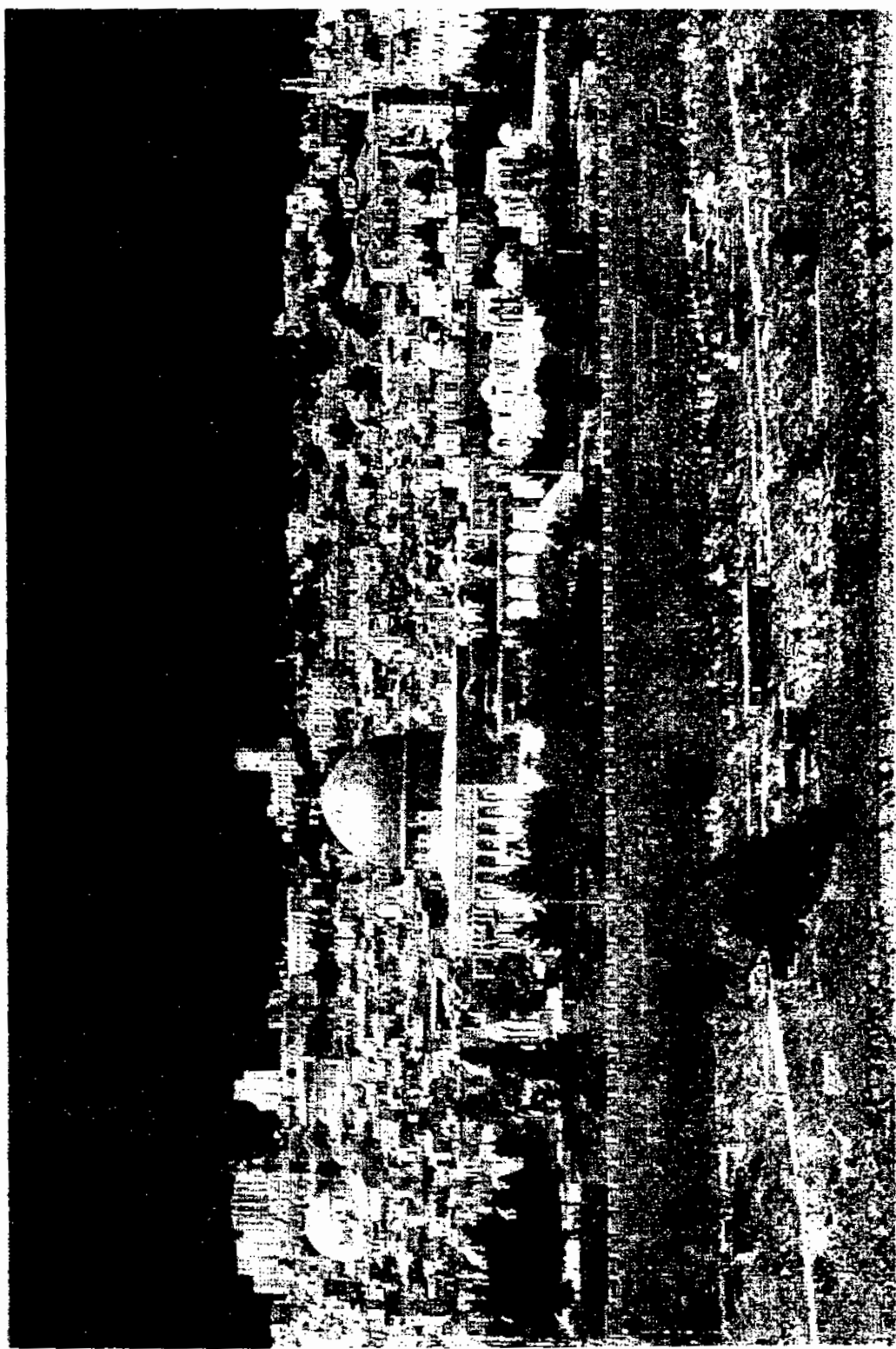
مساجد القدس وجوامعها :

في مدينة القدس اليوم (١٩٤٧) اربعة وثلاثون مسجداً . هذا بالاضافة الى المسجدين الكبيرين : مسجد الصخرة والمسجد الاقصى . سبعة وعشرون منها في المدينة القديمة داخل السور ، وسبعة في المدينة الجديدة خارج السور .

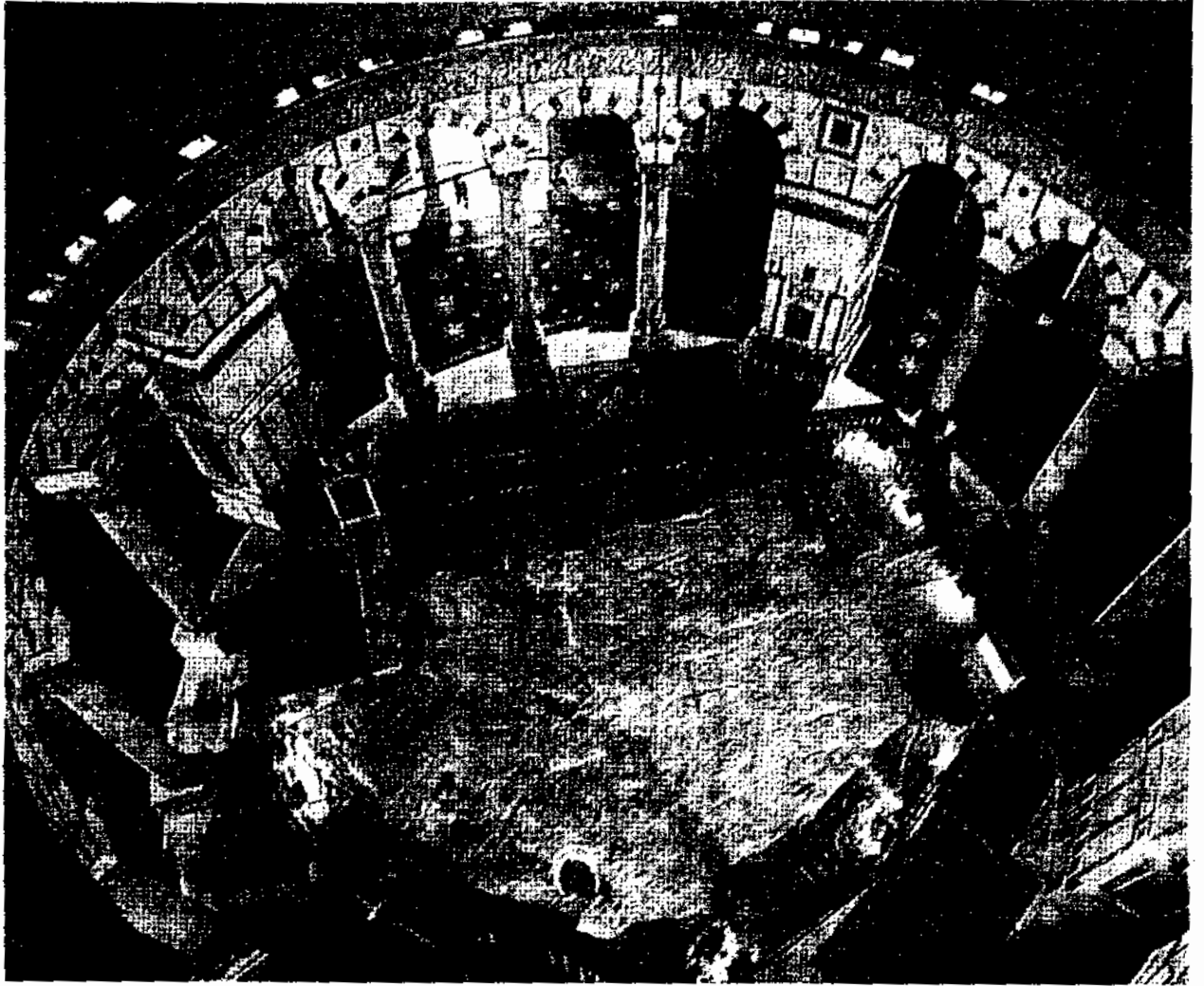
اما مسجد الصخرة والمسجد الاقصى فقد ذكرت تاريخ انشائها في العهد الاموي ، وفي العهود التي تلتها . ويجري الآن ، وانا ادفع بكتابي هذا الى المطبعة ، عمل من اضخم اعمال التعمير التي قامت في مسجد الصخرة منذ اليوم الذي بناه عبد الملك بن مروان (٥٧٢ - ٦٩١ م) . ان لم يكن اضخمها طراً .

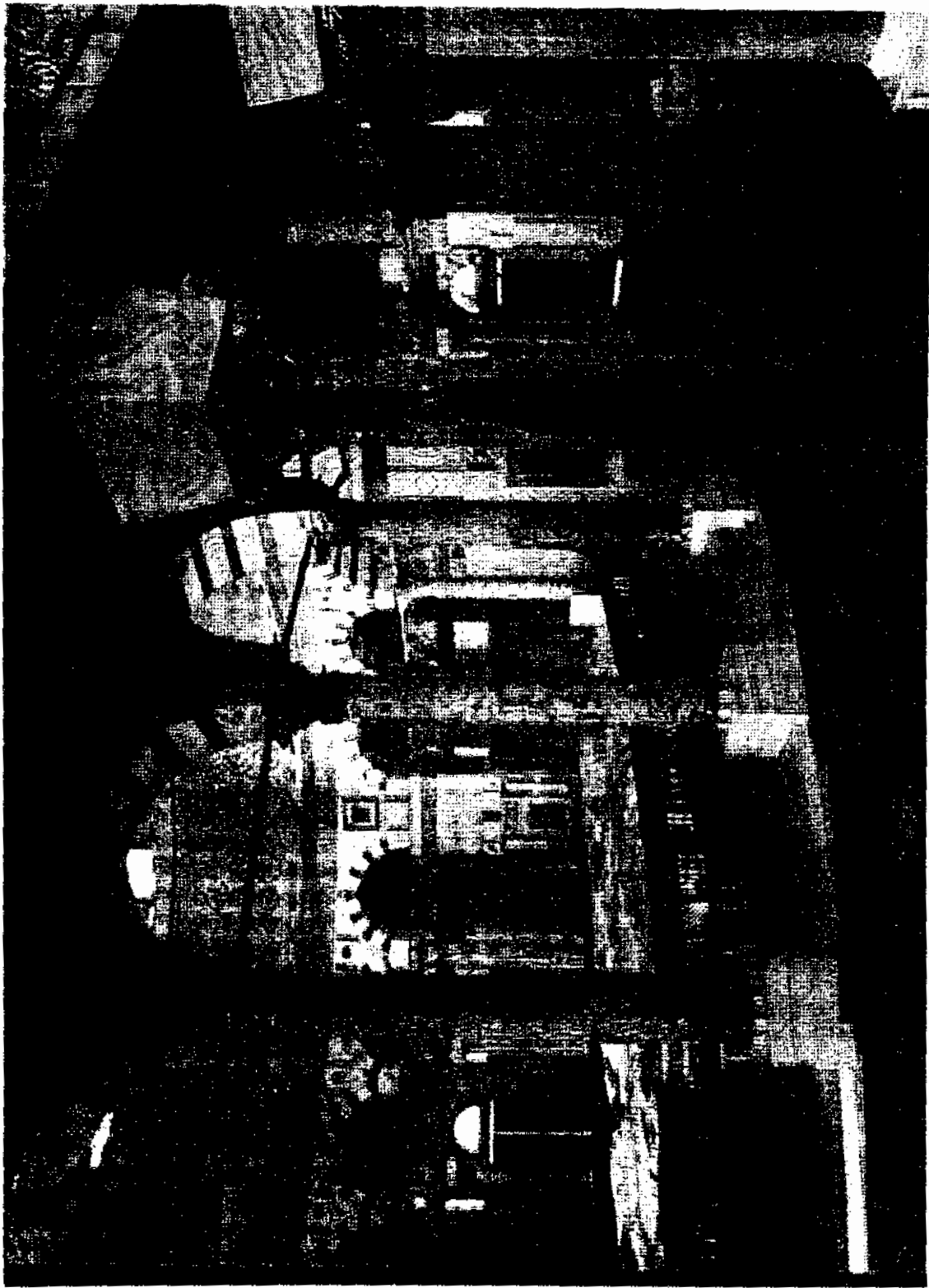
فقد تم تقوية القبة من الداخل . . فاستعيض عن خشبها القديم الذي تأكل بفعل السوس بخشب صالح وجديد . . ورفعت الواح الرصاص التي كانت تغطيها من الخارج ، فركبت - بدلاً منها - قبة جديدة مصنوعة من الالومنيوم المذهب . . ورفع الهلال القديم وكان مصنوعاً من النحاس ، فوضع مكانه هلال مصنوع من الالومنيوم المذهب ، تعلوه مانعة للصواعق مصنوعة من البلاتين . وتمت تقوية اساس الجدران من الخارج بالحرسانة المسلحة . وكذلك قل عن الدعامات والاعمدة من الداخل . . ورفعت ثلاثة اعمدة كانت قد وهت مع الزمن ، فوضع مكانها ثلاثة اعمدة جديدة : اثنان منها من الناحية الشرقية القبليّة للصخرة نفسها والثالث منها الى الشمال . وها هم المهندسون ، وانا اكتب هذه السطور ، يعملون على اصلاح الفسيفساء في القبة من الداخل ،

والرخام والقاشاني في جوانب اخرى من المسجد . وتجري عملية الاعمار هذه باشراف الملك الجريء الشاب . . الملك حسين بن طلال . . وقد انتدب الملك لجنة . أسماها : (لجنة اعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة) . وهي مؤلفة من الشيخ محمد الشنقيطي قاضي القضاة (رئيساً) ، والشيخ عبدالله غوشه رئيس الهيئة العلمية الاسلامية وحسن الكاتب محافظ القدس والاماكن المقدسة ، ومن مدير الاوقاف العام وأحد كبار التجار والملاكين أعضاء . واما الناحية الفنية . . فيشرف عليها عدد من كبار المهندسين المصريين هم : المهندس حسين شافعي والمهندس محمد عباس بدر والمهندس كامل صلاح الدين الكيلاني والمهندس المقيم صالح احمد الشواربي ومساعدته المهندس عبد المنعم عبد الوهاب . وعهد بالعمل الى رجل من كبار المقاولين السعوديين هو محمد بن لادن . وهو محسان كبير . وينفق على هذه التعميرات من مال الوقف ومن اموال تبرع بها عدد من ملوك العرب والمسلمين وامرائهم . ولا سيما الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية الذي تطوع لسد العجز فيما اذا لم تكف المبالغ الموجودة لتعمير هذا المسجد تعميراً يتناسب وجلال قدرة . فقد بدأ التعمير الجديد في شهر ايار (مايو) سنة ١٩٥٨ والامل وطيد بانتهائه في مثل هذا الشهر من سنة ١٩٦٢ . الامر الذي سجلته في كتابي : (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك) . فليرجع اليه من شاء . وبودي ان اكتفي هنا بتبليغ بعض الصور لهذين المسجدين . وهي التي تراها في الصفحات التالية :

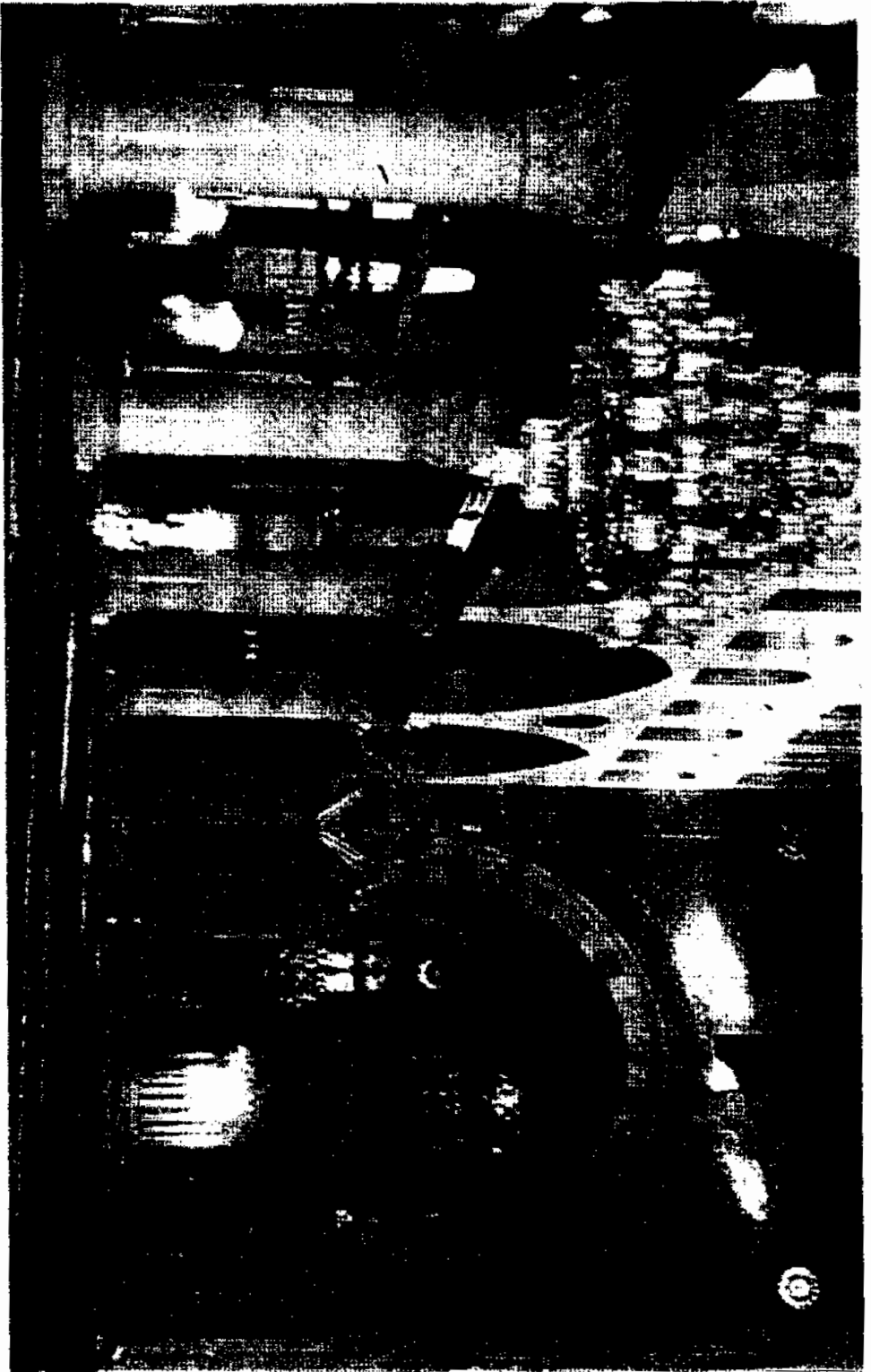


الحرم القدسي





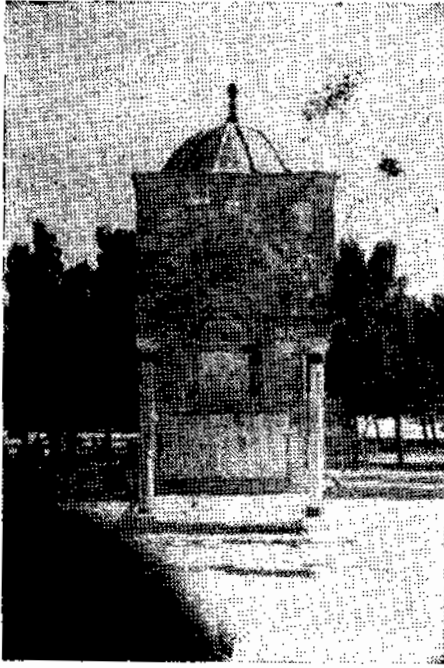
صخرة الله المشرفة (في وسط المسجد)



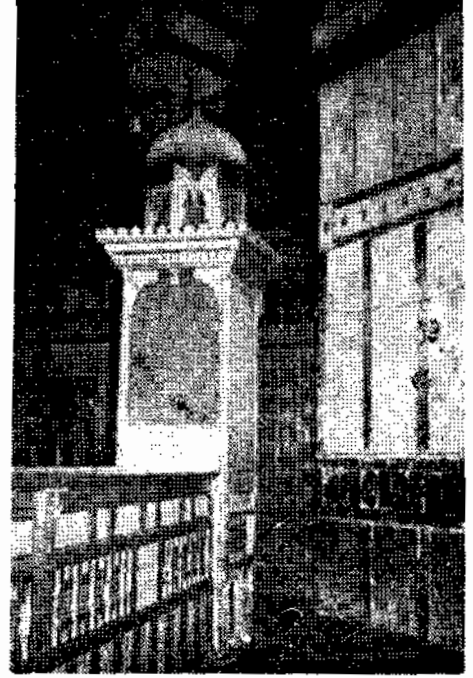
المسجد الأقصى (من الداخل)

واما مساجد القدس وجوامعها الاخرى ؛ فاليك اسماءها ومواضعها ، كما رأيتها بعيني في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ . وقد اقتبست بعض اخبارها من سجلات الوقف في القدس :

عدد الرقم	اسم المسجد او الجامع	الحي الذي يقوم فيه	ملحوظات
١	جامع قبة موسى	داخل الحرم امام باب السلسلة	تقام فيه الصلوات الخمس
٢	جامع باب حطة	داخل الحرم عند باب حطة	تقام فيه الصلوات الخمس
٣	جامع كرسي سليمان	داخل الحرم في الجهة الشرقية	تقام فيه الصلوات الخمس
٤	جامع المغاربة	داخل الحرم عند باب المغاربة	فيه الآن المتحف ودار الكتب الاسلامية
٥	جامع باب القوائمه	داخل الحرم عند باب القوائمه	مهجور
٦	جامع دار الامام	داخل الحرم عند باب المجاهدين	مهجور
٧	جامع خان الزيت	خارج الحرم داخل السور في سوق خان الزيت	تقام فيه الصلوات الخمس
٨	جامع حارة اليهود الكبير	خارج الحرم في الطرف القبلي لحارة اليهود	له مئذنه وهو اليوم مخفر للبوليس
٩	جامع حارة اليهود الصغير	خارج الحرم في الطرف الشمالي لحارة اليهود	يصلي فيه اهل السوق صلاة الظهر والعصر فقط . وهو من غير مئذنة .
١٠	جامع سويقة علون	خارج الحرم في سويقة علون	تقام فيه الصلوات الخمس
١١	جامع القلعة	داخل القلعة بباب الخليل	له مئذنة . ولكن لا تقام فيه الصلوات
١٢	جامع الخانقاه	خارج الحرم . داخل السور . الى الشمال الشرقي من كنيسة القيامة	له مئذنة . وتقام فيه الصلوات الخمس
١٣	جامع قبر	خارج الحرم . داخل السور . على يمين الداخل من الباب الجديد	له قبة . وليست له مئذنة . الذي بناه مدفون فيه .
١٤	الجامع العمري	خارج الحرم . داخل السور . قبلي كنيسة القيامة .	له مئذنة . يفشاه المسلمون في الصلوات الخمس .
١٥	الجامع اليعقوبي	خارج الحرم . داخل السور .	تجاه القلعة بباب الخليل . تقام فيه الصلوات .
١٦	جامع بني حسن	خارج الحرم . داخل السور .	تجاه القلعة بباب الخليل . مهجور .
	مع حارة الارمن	خارج الحرم . داخل السور .	بالقرب من دير الارمن . مهجور .
	مع طريق النبي داود	خارج الحرم . داخل السور .	على طريق النبي داود . مهجور .
	مع حارة الجوالدية	خارج الحرم . داخل السور .	امام دير الافرنج . جددت عمارته في ايام الملك المنصور قلاون . (٦٨٦ هـ - ١٢٨٧ م) . هو الان مهجور .



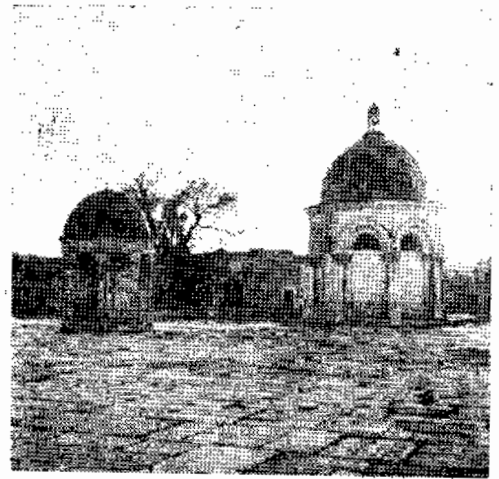
(قبلة يوسف)
بُنيت بأمر صلاح الدين الايوبي



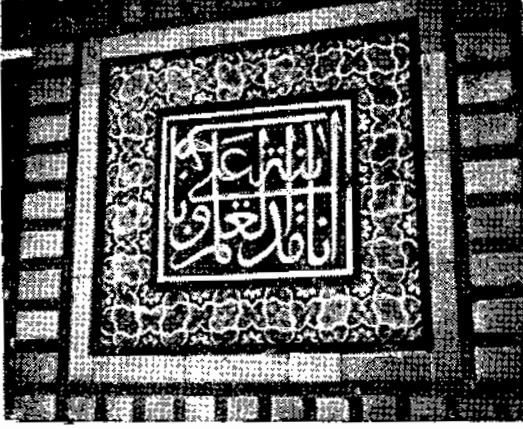
الحجرة التي تحفظ فيها شعرات النبي
في وسط مسجد الصخرة



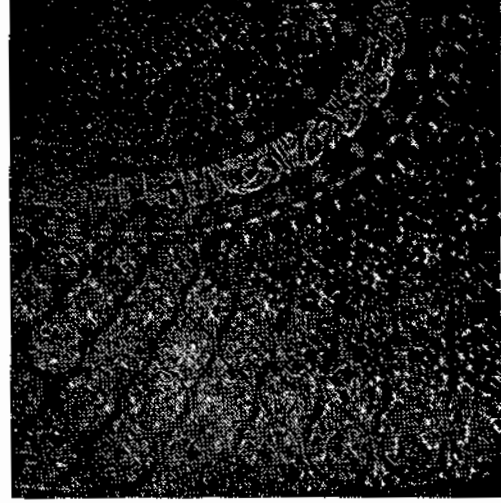
(قبلة الخضر)
في الزاوية الشمالية الغربية من الفناء
الذي يقوم في وسطه مسجد الصخرة



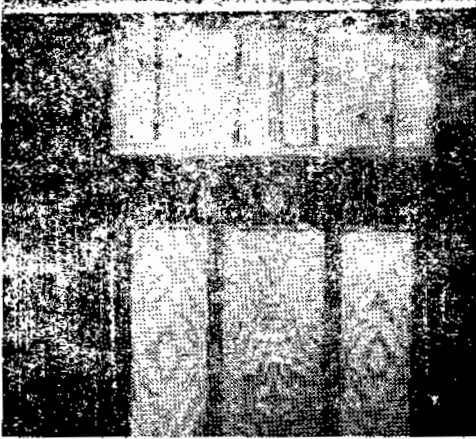
قبلة المعراج (من اليمين)
ومحراب النبي (من اليسار)
في فناء الصخرة من الغرب



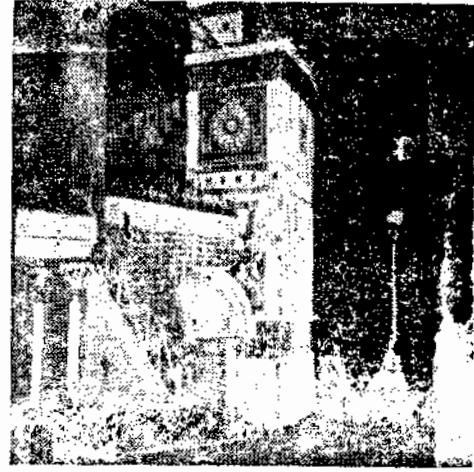
« أنا مدينة العلم ، وعلي بابها »
حديث نبوي مطبوع بالقاشاني على الجدار الخارجي
لقبة الصخرة



(آية الكرسي) منقوشة على قبة الصخرة
من الداخل



احدى الدعامات الاربع الكبرى
التي تقوم عليها قبة الصخرة



دعامة من دعامات قبة الصخرة
والى جانبها باب المغارة

عدد متسلسل	اسم المسجد او الجامع	الحي الذي يقوم فيه	ملحوظات
٢٠	جامع الشيخ لولو	خارج الحرم . داخل السور .	بباب العمود ، تقام فيه الصلوات .
٢١	الجامع الصغير	خارج الحرم . داخل السور .	بباب العمود ، خلف دكان هدمي .
٢٢	جامع البراق الشريف	خارج الحرم . داخل السور .	في محلة المغاربة ببلصق البراق ، تقام فيه الصلوات .
٢٣	جامع خان السلطان	خارج الحرم . داخل السور .	داخل خان السلطان في سوق باب السلسلة . تقام فيه الصلوات .
٢٤	جامع القرمي	خارج الحرم . داخل السور .	في حارة القرمي . مهجور
٢٥	جامع حارة النصاري	خارج الحرم . داخل السور .	على طريق باب خان الزيت . تقام فيه الصلوات .
٢٦	جامع البازار	خارج الحرم . داخل السور .	في سوق البازار . تقام فيه الصلوات .
٢٧	جامع الزاوية النقشبندية	خارج الحرم . داخل السور .	في داخل الزاوية . على طريق باب حطه . تقام فيه الصلوات .
٢٨	الجامع المسعودي	خارج السور .	في حي سعد وسعيد . له مئذنة وتقام فيه الصلوات .
٢٩	جامع الشيخ جراح	خارج السور	في حي الشيخ جراح . له مئذنة وتقام فيه الصلوات .
٣٠	جامع وادي الجوز	خارج السور	في حي وادي الجوز . له مئذنة وتقام فيه الصلوات .
٣١	جامع حجازي	خارج السور	في حي باب الساهرة . له مئذنة وتقام فيه الصلوات .
٣٢	جامع النبي داود	خارج السور	في حي النبي داود . له مئذنة ، وتقام فيه الصلوات .
٣٣	جامع عكاشه	خارج السور	في حي زخرون موشة اليهودي . له مئذنة ، وتقام فيه الصلوات .
٣٤	جامع المطحنة	خارج السور	بين النبي داود وحارة الشرف . بالقرب من المطحنة القديمة . وهو اليوم مهجور .

قال الرحالة روبنسن^(١) الذي زار القدس عام ١٨٣٨ م ما نصه : « مباح لليهود ان يشتروا حق الدنو من مركز هيكلهم وحق الصلاة والبكاء على خرابه وتبديد امتهم » .

وقال المسترفن^(٢) الانكليزي الذي تولى ادارة القنصلية البريطانية في القدس من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٦٣ ما معناه : « يدفع الحاخام باشي الى (الافندي^(٣)) الذي يجاور المبكى ثلاثمائة ليرة انكليزية كل سنة بدل الاذن له ولليهود معه ان يصلوا هناك » .

واطلعت على امر ارسله محمد شريف باشا^(٤) بتاريخ ٢٤ ربيع الاول سنة ١٢٥٦ للهجرة (١٨٤٠ م) الى متسلم القدس يومئذ احمد اغا دزدار بناء على الامر الذي تلقاه من السر عسكر . وفيه بحث عن الارادة الخديوية . وذلك بعد اطلاعه على محضر الجلسة التي عقدها مجلس الشورى بالقدس وقد جاء فيه « ان اليهود قدموا استدعاء لتبليط المحل الملاصق لحائط الحرم (البراق) . ولما كان هذا المحل داخلا في وقفية (أبي مدين^(٥)) (قدس الله سره) ، ولم يسبق لليهود ان يلبطوه ، فلا يجوز لهم

البراق : انه من الاماكن الاسلامية المقدسة . ويعتبره المسلمون جزءاً من اجزاء الحرم الشريف . انه الحائط الذي يحوط الحرم من الناحية الغربية . طوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً . وهو مبني من حجارة قديمة ضخمة يبلغ طول بعضها ١٦ قدماً .

يسميه المسلمون : **البراق** لاعتقادهم انه المكان الذي ربط عنده النبي براقه ليلة الاسراء : سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله .

ويسميه اليهود : **حائط المبكى** لاعتقادهم انه من بقايا هيكلهم القديم . ذلك الهيكل الذي عمره هيرودس (١٨ ق. م) ودكه تيطس (٧٠ م) . فراحوا ، منذ زمن قديم ، ينظرون اليه بعين التقديس . وراحوا يزورونه ، ولا سيما في يوم الصيام (تسعة آب) . وعنده يبيكون . ومن هنا جاء اسمه المعروف : (حائط المبكى) .

انه ملك يخص المسلمين . وكذلك قل عن الرصيف الكائن امام هذا الحائط والذي يقف عليه اليهود عندما يزورون الحائط بقصد البكاء ، ويبلغ عرضه احد عشر قدماً ومساحته ١٢٠ قدماً مربعاً ، فانه وقف اسلامي . انه من اوقاف ابي مدين **النفوت** انشيء - هو والاملاك المجاورة له - في زمن السلطان صلاح الدين لمنفعة جماعة من المغاربة المسلمين .

ولهذا منع المسلمون في الماضي ، ولا يزالون حتى يومنا هذا يمنعون ، اليهود من جلب المقاعد والكراسي والستائر او أية اداة من الأدوات : سواء تلك التي تستعمل للجلوس او العبادة . ولا يسمحون لهم الا بالوصول الى المسكان . وقامت في الماضي خلافات شديدة بين الفريقين (المسلمين واليهود) حول البراق من هذه الناحية . انتهت كلها بانتصار المسلمين .

(١) Biblical Researches in Palestine, by E. Robinson Vol. 1 . P. 237

(٢) Stiring times in Jerusalem, by James Finn, Vol. 1, P. 130

(٣) يقول احد الباحثين في كتاب اصداره بعنوان (وثيقة الدزدار وقضية البراق) ص ١١ « لعل المقصود من (الافندي) في هذه الوثيقة هو وكيل وقف ابي مدين » .

(٤) راجع الصفحة ٧٨ من المجلد الخامس لمجموعة (الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا) للدكتور اسد رستم استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية .

(٥) هو شبيب بن الحسين الاندلسي . ولد في اسبانيا . وتوفي سنة ٥٥٩٤ - ١١٩٧ م .

كان مخصصاً لهذه الزاوية في العهد التركي رطلان من الخبز ورطل من اللحم في كل يوم . ثم استبدلت هذه الجراية بمبلغ معين من المال ، يدفع للقيم من خزانة الوقف .

٢ - **زاوية الهند :** اسسها بابا فريد شكر كنج من مسلمي الهند . وقد هبط هذا بيت المقدس قبل اربعة قرون بقصد العبادة . وهي واقعة في شمال المدينة بداخل السور عند باب الساهرة . كان مخصصاً لها في العهد التركي رطل من الخبز وخمسة درهم من الزيت في كل يوم . ثم اصابها ما اصاب الزوايا الاخرى ، فاصبحت تتقاضى الفاً ومئة قرش وكسور في الشهر . فيها مسجد . ولها وقف بباب حطه . وشيخها الآن الشيخ ناظر حسن الانصاري . ذكرها مجير الدين في الجزء الثاني من كتابه (الانس الجليل) ص ٣٩٩ فقال : « انها بظاهر باب الاسباط . وهي قديمة وكانت للفقراء الرفاعية . ثم نزلت بها طائفة من الهند . فعرفت بهم » .

٣ - **الزاوية الادهمية :** واقعة خارج السور ، وعلى بعد مئتي متراً منه الى الشمال . بين باب العمود وباب الساهرة . يعتقد كثير من غانوا انها هي المغارة التي كان ارميا النبي يعبد ربه فيها . وقد اسمها :

Cave of Jeremiah

يقم فيها الان جماعة من آل البديري . ويطلق عليها خطأ : (الهيدمية) ! . . .

٤ - **زاوية الشيخ جراح :** في حي الشيخ جراح . فيها مسجد ، وله مئذنة . ذكرها مجير الدين في كتابه^(١) فقال : « انها بظاهر القدس من جهة الشمال . لها وقف ، وظائف مرتبة . واقفها الامير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امراء الملك صلاح الدين . توفي في صفر سنة

شريعاً تبليطه الان . وقد حذر اليهود من (رفع الاصوات واظهار المقالات) . فقط يعطى لهم الرخصة بزيارة المكان على الوجه القديم . . . »

وجدد اليهود ادعاءهم في زمن الانتداب ، فقامت خلافات شديدة^(٢) بينهم وبين المسلمين حول الموضوع نفسه ؛ وقد ادت تلك الخلافات الى قيام ثورة عارمة لا في القدس وحدها ، بل في جميع انحاء فلسطين . وقد انتهت كلها بتثبيت الوضع الراهن (الستاتيكو) . اي انه ليس لليهود سوى الدفن من المكان .

زوايا القدس : في القدس اليوم عدد من الزوايا يزود فيها المتدينون والغرباء من حجاج المسلمين والدراويش المنتمين الى طرائق مختلفة . نذكر منها :

١ - **الزاوية النقشبندية :** ويسمونها الاربكية . واقعة في حارة الواد بالقرب من زاوية الحرم الشمالية الغربية ، وعلى بعد بضعة امتار من باب الفوامة . بناها مؤسس الطريقة النقشبندية^(٣) الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند البخاري . بناها لايواء الغرباء واطعام الفقراء من مسلمي بخارا^(٤) وجاوا وتركستان . بناها فوق ارض اشترها في نفس المكان عثمان بك البخاري المعروف بالصوفي (١٠٢٥ هـ - ١٦١٦ م) . وقد اضيف اليها فيما بعد بعض الغرف يوم تولاه الشيخ حسن بن الشيخ محمد الصالح الأربكي (١١٤٤ هـ - ١٧٣١ م) . والمتولي الذي يقوم على ادارتها في الوقت الحاضر هو الشيخ يعقوب بن الشيخ رشيد البخاري .

(١) اقرأ ما كتبناه عن حوادث البراق في الصفحة ٤٠٠ من هذا الكتاب .

(٢) أسست هذه الطريقة خلال القرن الثامن للهجرة . ومن مبادئها العمل بقوله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » .

(٣) ان عدد افراد الجالية البخارية بالقدس في يومنا هذا نحو ١٠٠٠ . وهم يشتغلون بتجارة الحردوات وسن المدي .

(١) الانس الجليل ج ٢ . ص ٣٩٩ .

وهم مشهورون بالشجاعة والامانة والتمسك بأهداب الدين .

هناك على باب الزاوية بلاطة نقشت عليها الكلمات الاتية : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذه زاوية مولانا وسيدنا قطب المعارفين و سلطان الاولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز . سنة ١٠٤٣ هـ - ١٦٣٣ م » .

٩ - **الزاوية المولوية** : واقعه بجارة السعدية . يقيم فيها المريدون المنتسبون الى الطريقة المولوية . دخلت هذه الطريقة بيت المقدس في أوائل الحكم العثماني (٩٢٥ هـ - ١٥١٩ م) . وما كاد ينقضي على تأسيسها بضع سنوات حتى اتسعت . فانشأ مريدوها لها مكانا بالقدس اسموه : (الخانقاه المولوية) .

ويظهر ان الطابق الارضي كان في الاصل ديراً ، وكانت فيه كنيسة لللاتين . وبعد ان وضع المسلمون يدهم عليه حولوه الى مسجد . هذا جرى بعد الفتح الصلاحي . واما الطابق العلوي . والمئذنة التي بجانبه ، فانها من عمل الاتراك العثمانيين . وانك لو اجدت الكتابة التالية منقوشة على جدار احدى غرف الزاوية العلوية :

« امر بانشاء هذا المكان المسمى بخانقاه المولوية خداوندكاريك قومندان لواء القدس الشريف سنة ٩٩٥ هـ - ١٥٨٦ م .

كانت زاوية القدس في العهد التركي ، تابعة الى المقر العام في قونية ، حيث يقوم ضريح (جلبي افندي) شيخ الطريقة المولوية . وكانت فيما مضى ذات نفوذ واسع . وكان لها مريدون كثيرون . ذلك لانها كانت تتمتع بتأييد السلاطين من بني عثمان . وكان مخصصاً لها في العهد التركي رطل من

ثمان وتسعين وخمسة . ودفن بزاويته المذكورة . وبظاهر الزاوية من جهة القبلة قبور جماعة من المجاهدين يقال انهم من جماعة الجراحي والله اعلم » .

٥ - **الزاوية الرفاعية** : وتسمى ايضاً (زاوية ابي السعود) لان اكثر المنتمين اليها من العائلة المعروفة بآل ابي السعود . انها واقعة بداخل الحرم القدسي الى الشمال تحت مئذنة باب الغواصة . كانت مخصصة لها في العهد التركي كمية من الخبز والزيت في كل يوم . ثم صارت تتقاضى اربعمئة قرش وكسور في الشهر . متوليها الشيخ حسن ابو السعود مفتي الشوافعة بالقدس .

٦ - **الزاوية اللؤلؤية** : بباب العمود في داخل السور . انها وقف بدر الدين لؤلؤ غازي .

٧ - **الزاوية البسطامية** : بجارة المشارقة . واقفها الشيخ عبد الله البسطامي . كانت قائمة في الوجود قبل سنة ٧٧٠ هـ - ١٣٦٨ م .

٨ - **الزاوية القادرية** : ويسمونها زاوية الافغان ، لان اكثر المنتمين اليها منهم . انها في حارة الواد على بعد بضعة امتار من الزاوية النقشبندية الى الجنوب الغربي .

كان مخصصاً لها في العهد التركي تسع أواق من الخبز ومئتا درهم من الزيت في كل يوم . ثم أصابها ما أصاب الزوايا الاخرى . فأصبحت تتقاضى ستمئة قرش وكسور في الشهر .

في القدس اليوم عشرون أفغانياً بين ذكور واثاث . رئيسهم الحاج عبد الله الافغاني وهو الذي يتولى شؤون الزاوية . وفي فلسطين ما يقرب من مئتي أفغاني اكثرهم في يافا والآخرين في حيفا والرملة . يشتغلون بالتجارة ، وحراسة البيارات .

الخائفون كما يشاءون ، وهناك على سطح الكنيسة مجريان لتصريف مياه الأمطار في فصل الشتاء : أحدهما (وهو القريب من القبة ويحيط بها احاطة السوار بالمعصم) للنصارى ، والثاني (وهو البعيد عن القبة) للمسلمين . أما المجرى الاول فانه لا يبعد عن القبة اكثر من مترين ، وفيه تجري مياه الأمطار الى البشر المكننة في داخل الكنيسة . أما الثاني فانه يبعد عن الاول زهاء سبعة أمتار ، وفيه تجري المياه الى بشر يملكها المسلمون ، في أنابيب أنشأها النصارى لمصلحة المسلمين ، لقاء انتفاعهم (اي النصارى) بسطح الكنيسة وهو كما قلنا من حق المسلمين .

وفي داخل الخانقاه الصلاحية جامع ، قرأت الكلمات الآتية منقوشة على محرابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة . اشار بإنشاء هذا المحراب وعمارة المجمع المبارك الفقير عيسى بن احمد العلم عفا الله عنه ورحم سلفه في أيام مولانا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عز نصره في شعبان سنة « ٧٤١ للهجرة » - ١٣٤٠ م .

ولهذا الجامع مئذنة أنشئت في زمن المماليك (٨٢٠ هـ - ١٤١٧ م) على يد شيخ الخانقاه الشيخ برهان الدين بن غانم .

وهناك ، عند باب شرف الأنبياء الواقع شمال الحرم القدسي ، مكان آخر اسمه : (الخانقاه) ، وهو الان متخذ مدرسة للناث . وقد كتب على بابه : « بسم الله الرحمن الرحيم . امر بإنشاء هذه الخانقاه المباركة العبد الفقير الى الله تعالى عبد الله بن عبدربه بن عبد الباري سنجر . ووقف عليها قرية بير نبالا من القدس الشريف وقرية حجلة من اريحا وفرن

الخبز ورطلان من اللحم . ثم أصابها ما أصاب الزوايا الأخرى . واصبحت تتقاضى ١٤٧٠ قرشاً في الشهر لاطعام الفقراء من رجال الطريقة المولوية الذين يؤمون بيت المقدس . وكان لها املاك واسعة وأوقاف . وأما في يومنا هذا ؛ فقد تضاعف نفوذها وبيعت اكثر أملاكها ، واندثرت اكثر أوقافها . ولم يبق باسمها سوى دارين في حارة السعدية وحاكورة ومكان الزاوية نفسها . وليس للطريقة المولوية ، في يومنا هذا ، اتباع في بيت المقدس . وليس في الزاوية سوى شيخها الحالي الشيخ عادل ابن الشيخ احمد بن الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد المولوي . وهو من طرابلس الشام .

١٠ - زاوية الخانكي : واقعة في حارة النصارى ويسمونها : (الخانقاه الصلاحية) . اسسها صلاح الدين سنة ٥٨٥ هـ - ١١٨٩ م . وكانت قبل ذلك التاريخ منزلاً لبطاركة الروم الارثوذكس وداراً للقسس . وقد اخذها منهم الصليبيون . ولما استرد صلاح الدين القدس منهم ، ارجعها (اي ارجع الدار) الى اصحابها الاولين وهم : الروم . كما ارجع اليهم ممتلكاتهم الأخرى التي كان الصليبيون قد اخذوها منهم . ومنها دار البطريركية . ورضي الروم ان يقتطع صلاح الدين من منزل القسس والبطاركة جانباً . فنزل فيه مدة اقامته بالقدس . ثم جعله جامعاً ورباطاً للعلماء الصوفيين . وصارت في الاسلام داراً للمجاهدين .

انها الان عامرة . يسكنها القائم عليها وهو من آل العلوي . دخلتها فرأيت انها تحيط بكنيسة القيامة من الشمال والغرب ، والمسافة بين غرفتها العلوية وبين قبة الكنيسة من الشرق لا تزيد على خمسة أمتار . لا بل ان سطح الكنيسة وهواها (وليست قبتها) يتصرف به المسامون القائمون على اوقاف

كان مخصصاً لهذه الزوايا مقدار من الخبز واللحم والزيت في كل يوم . وهي الآن تتقاضى الفي وخمسة قرش في الشهر . متوليها الشيخ جمال الداودي . وانه ليجدر بك ان تقرأ ، بعد هذا ، ما سنقصه عليك في السطور الآتية عن مقام النبي داود وضريحه ، حيث تقوم الزوايا الاربع المتقدم ذكرها ،

١٢ - مقام النبي داود : من الامكنة الاسلامية التي يجلبها المسلمون في مدينة القدس : ضريح النبي داود ، والمسجدان الملاصقان له . وتؤلف هذه المجموعة من الضريح والمسجدين المكان الذي

وطابون وعلوها بالقدس ودار ومصبنة وستة حوانيت ، ووراقة بنابلس ، وثلاثة حوانيت واربع طواحين بسلواد . وقف ذلك على هذه الخانقاه . وهناك ايضاً ، في حارة السعدية ، خانقاه ثالثة ؛ هي : (الخانقاه المولوية) . وهي التي ذكرناها في السطور السابقة .

١١ - الزاوية المجيدية : انها واقعة في مقام النبي داود الى الشمال من الضريح نفسه . وهناك وبالأحرى اربع زوايا لازاوية واحدة هي : الزاوية المجيدية ، وزاوية عيال طه ، وزاوية عيال شاكر ، وزاوية عيال خليل .



زاوية النبي داود "الزاوية المجيدية"



حي النبي داود ومثذته والكنيسة

النابلسي في كتابه : (الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية) .

وقال آخرون : انه مدفون في بيت لحم . ومن هؤلاء يا قوت الحوي في كتابه : (معجم البلدان) . وابن خلدون في كتابه : (العبر في ديوان المبتدأ والخبر) . وابو بكر الهروي ، وقد قرأت ما قاله في Archives de L'orient Latin I. P. 593

وهناك من يقول : انه وان كان قد دفن بالقدس ، الا ان قبره موجود في الكنيسة المعروفة بالجثمانية عند وادي قدرون ، وليس في المكان المعروف بصهيون . ومن هؤلاء المسعودي في كتابه : (مروج الذهب) .

ومهما كان الامر ، فقد نواترت الانباء واجمهم معظم الناس منذ القديم ، على ان النبي داود مدفون في هذه البقعة من الارض . ولم يقم في الماضي أي خلاف ، على ما نعلم ، حول هذا المقام بين المسلمين واليهود ؛ رغم الاعتقاد بانهم (أي اليهود) من نسل داود . وان قامت خلافات بين المسلمين والمسيحيين حوله . ومن الخلافات التي وصلت

يعرف الان بمقام النبي داود . ويقع المقام على ربوة مرتفعة من الرابي التي تتألف منها مدينة القدس . ويسمونها : جبل صهيون . وتحيط به ابنية كثيرة ، يقيم فيها افراد عائلة السدنة ، وهي عائلة الدجاني .

انه بيد المسلمين . وهو في نظرهم من الامكنة الدينية التي يقيمون فيها صلواتهم الخمس يومياً ، ويحيون فيه شعائرهم الدينية بانتظام ومن غير انقطاع (١)

والمقام فضلاً عن قدسيته وحرمة المشهورتين ، يعد من الامكنة الاثرية العامة في فلسطين ؛ لا سيما المسجد العلوي منه ، وما يشتمل عليه من اقواس فخمة واعمدة ضخمة .

اختلف العلماء في تعيين المكان الذي دفن فيه النبي داود . فقال قائلون : انه مدفون في القدس وفي الحي المعروف بـ : (حي النبي داود) . ومن هؤلاء المقدسي في كتابه : (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) . وابو اسحق الثعلبي في كتابه : (قصص الانبياء) . ومجير الدين في كتابه : (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) . والشيخ عبد الغني

(١) هكذا كان الحال بهذا المكان المقدس عند صدور هذا الكتاب سنة ١٩٦١ ، ثم تبدل الامر بعد الاحتلال الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ ، حيث وضعت وزارة الاديان يدها على هذا المكان ومنعت المسلمين من اداء شعائرهم الدينية فيه . وأزيلت عن المقام الستائر التي كانت مطرزة بالآيات القرآنية . ووضع بدلا منها نجمة داود وكتابات أخرى بالعبرية .

الطابق العلوي ردهة واسعة تقع فوق المسجد الكبير. وهي ذات عقود مصلبة. رأيت على جدارها الشرقي بلاطة نقشت عليها الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بتطهير هذا المكان وتنظيفه من المشركين وعمله مسجداً يذكر فيه اسم الله تعالى سلطان الانام ناصر دين الاسلام خادم البيت الحرام منشيء العدل والامان السلطان ابن السلطان السلطان سليمان من آل عثمان ايد الله الاسلام في حياته على يد مولانا الشيخ احمد الدجاني والساعي الشيخ محمد الواعظي المعجمي اجرى الله على يديه وذويه الخير بتاريخ ٥ ربيع الاول ١٢٣٦هـ - ١٥٢٩م والحمد لله وحده »

وقرأت ايضاً على باب زاوية النبي داود الكلمات الآتية :

« جدد تعمير هذا المكان الشريف والبناء الساطع المنيف مع ترخيم الروضة بالرخام اللطيف مولانا السلطان الاعظم السلطان محمود خان خلد الله ملكه وسلطنته وزاد بالتوفيق ايامه واحكامه . وذلك على يد سعادة الدستور الوزير صاحب الحسنات والخيرات الحاج سليمان باشا بلفه الله ماشا والى صيدا بمباشرة مصطفى على افندي المأمور . وذلك في سنة ١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م .

هذا ما عرفناه عن مقام النبي داود . وهو ينار الآن بالكهرباء ، بعد ان كان (١٩٤٤) يضاء بالزيت يوضع في القناديل .

الينا اخبارها ، ما جرى في زمن المماليك وفي اواسط القرن الخامس عشر^(١) . يوم جرى تحقيق حوله . واستمر التحقيق سنين . وكان الالباء الفرنسيون يدعون ان لهم الحق في بناء كنيسة على مقربة من الضريح . فتمعوا في البداية . ثم سمح لهم ببنائها .

والاعتقاد سائد بين المسيحيين انه في هذه البقعة من بيت المقدس ، تناول السيد المسيح عشاءه السري الاخير قبل ان ينتقل الى الجثامة ويقبض عليه جند الرومان بدلالة يهوذا الاسخريوطي .

وهناك في الطرف الغربي الى الشمال من حي النبي داود وامام الباب المعروف بباب النبي داود من ابواب السور ، كنيسة يسمونها : كنيسة نياحة العذراء (دورميثيون) . وفي قول ابن السيدة مريم البتول التجأت ، بعد صلب السيد المسيح ، الى المكان الذي تقوم عليه الآن هذه الكنيسة . وهناك قضت نحبها .

والمقام الآن (اي مقام النبي داود) عبارة عن بناية حجرية قائمة في وسط الحي . وهي مؤلفة من طابقين : علوي وسفلي . وفي الطابق السفلي مسجدان : مسجد كبير ، وآخر صغير . وعلى جدرانها آيات من القرآن . منها : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكم بين النامس بالحق » وشهادة ان « لا اله الا الله . محمد رسول الله » . وفي

(١) اقرأ ما جاء عن هذا الخلاف في (الانس الجليل) لمخير الدين . ص ٦٧٦



مقابر المسلمين وتربهم في القدس

هدمها الفرس عام ٦١٤ للميلاد . والقوا في البركة التي كانت قائمة هناك والتي كانت تدعى (بركة ماملا) يبحث المسيحيين الذين قتلهم .

ومن قائل^(١) : انها مشتقة من (ماء ميلو) . وميلو هو اسم الحي الذي كان هناك في سابق الازمان .

وروي عن الحسن^(٢) ان اصلها : (مأمن الله) . وانها مدفن الخلاصة الابرار الوارد في فضلها الاخبار والآثار . الى ان قال : ان من دفن فيها كأنما دفن في السماء .

وقد ذكرها النابلسي في رحلته فقال : انها بظاهر القدس من جهة الغرب . اكبر مقابر البلد . وفيها خلق كثير من الاكابر والاعيان والشهداء والصالحين ، وفيها عدد كبير من الصحابة والتابعين . الى ان قال : وقيل ان اصلها (مأمن الله) وقيل (باب الله) . ويقال (زيتون الملة) . واسمها عند اليهود (بيت ملو) وعند النصارى (بابيلا) والمشهور على السنة الناس (ماملا) .

ومها كان مصدر اسمها ؛ فانها بلا مرء اقدم مقابر القدس عهداً ، واوسعها حجماً ، واكثرها شهرة . ولقد سائر تاريخها تاريخ المدينة . وذكر معه مراراً . ففي هذا المكان مسح سليمان ملكا ١٠١٥ ق. م . وفيه عسكر (سنحاريب) ملك الآشوريين عندما هبط القدس ٧١٠ ق. م . وفيه القى الفرس يبحث القتلى من سكان المدينة عندما احتلوها ٦١٤

للمسلمين في القدس مقابر كثيرة : منها ما كان مستعملاً فيما مضى ، واندثر مع الزمن . ومنها ما لا يزال مستعملاً حتى يومنا هذا . وسنأتي على ذكرها كلها مع وصف الحالة التي هي عليه في يومنا هذا :

١- مقبرة ماملا : وتسمى ايضاً مأمن الله . انها من اكبر المقابر الاسلامية في بيت المقدس . لا ، بل انها اكبرها طراً . مساحتها تقرب من مئتي الف متر مربع . واقعة غربي المدينة وعلى بعد كيلو مترين من باب الخليل . كانت فيما مضى بعيدة عن العمران . واما الآن فقد اصبحت في وسط البنين بسبب اتساع المدينة وازدياد عدد السكان . ولهذا اصدر المجلس الاسلامي الاعلى الذي يرأسه المفتي الحاج امين الحسيني امراً يحظر دفن الاموات فيها . وكان ذلك في عام ١٩٢٧ .

اختلف الباحثون في تسميتها . فمن قائل : انها (ماملا) . وهذه الكلمة مشتقة من (ماء ملا) . وملا اسم ذاك المكان في غابر الازمان . وفي ذلك قال الشاعر^(١) :

رعى الله وادينا المقدس انه

حوى روضة الفردوس اجداث ماملا

مآثر رضوان ومهبط رحمة

احيت من عالم الغيب ماء ملا

وقيل ان (ماملا) اسم لقديسة بنيت لاسمها في ذلك المكان كنيسة بيزنطية ، وان هذه الكنيسة

(١) (سوانح الانس برحلي لوادي القدس) للرحالة اللقيمي ص ١٦٣ . وهو مخطوط عثرت عليه في مكتبة الصديق المرحوم رشيد مكى في مجدل عسقلان .

(١) (السير السليم في يافا والرملة واورشليم) ص ٢٤٣ .

(٢) (سوانح الانس برحلي لوادي القدس) للرحالة اللقيمي ص ١٦٢ .

- (٦) المقر العالي عمر بن ابراهيم بن عثمان بن علم
الواسطي (٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م) .
- (٧) الامير صلاح الدين محمد ازدهر السلحدار
الناصرى (٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م) .
- (٨) ابراهيم بن محمد (٧٠٨ هـ - ١٣٠٨ م) .
- (٩) القاضي شرف الدين منيف الحاكم بالقدس
الشرىف (٧١٤ هـ - ١٣١٣ م) .
- (١٠) الشيخ شرف الدين عيسى امام الحرم
القدسى (٧١٩ هـ - ١٣١٩ م) .
- (١١) ايدمر الشيخاني ناظر الحرمين (٧٢١ هـ -
١٣٢١ م) .
- (١٢) الشيخ العابد الزاهد جلال الدين العقيلي
المعروف بابن القلانسي^(١) . بنى له الامراء
بمصر زاوية ، وترددوا عليه . ثم انتقل الى
القدس فتوفي بها سنة ٧٢٢ هـ - ١٣٢٢ م
ودفن باملا .
- (١٣) الشيخ الصالح ابو عبدالله محمد بن ابراهيم
المصرى . توفي سنة ٧٢٣ هـ - ١٣٢٣ م
ودفن باملا .
- (١٤) الحاج عليوان بن ابراهيم الرندى .
- (١٥) شهاب الدين بن جبارة المقدسى النحوى

ب. م . وفيه دفن عدد كبير من الصحابة والمجاهدين
اثناء الفتح الاسلامى ٦٣٦ ب. م . وفيه عسكر
صلاح الدين يوم جاء ليسترد القدس من الصليبيين
١١٨٧ ب. م . ولقد كانت ولا تزال في ايدي
المسلمين منذ قرون . يحلوها اجلا لا منقطع النظر .
ذلك لأنها تعج بالعدد الوفير من الصحابة والمجاهدين
والعلماء والاقطاب الصالحين . منهم :

- (١) الفقيه ضياء الدين ابو عيسى محمد الهكاري^(١) .
- (٢) الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد
القرشي الهاشمي^(٢) .
- (٣) قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة (٦٧٥ هـ -
١٢٧٦ م) .
- (٤) الكمال ابن ابي شريف .
- (٥) الامير علاء آيد وغدي بن عبدالله الكبكي^(٣) .

- (١) مستشار صلاح الدين . اقتداء الملك بستين الف دينار
عندما اسره الصليبيون . توفي بمنزله في الحروب قرب عكا
سنة ٥٨٥ هـ - ١٢٨٩ م . فحمل الى القدس . ودفن باملا .
- (٢) مغربي اصله من الجزيرة الخضراء بالاندلس . قدم الى
بيت المقدس واقام به الى ان توفي ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م
ودفن باملا . وكان من الصالحين . له ضريح جدد عمارته
الشيخ ابو بكر الصفدي سنة ٥٧٢٢ - ١٣٢٢ م .
- (٣) ورد ذكره في (المنهل الصافي) لابي الحسن يوسف بن
تفري بردي الانابكي . مخطوط اخذت صورة فوتوغرافية
له وهي محفوظه في مكتبة الجامعة الدرية بالقدس . حضر
الوقعة بابل المولى ابيك التركمانى والملائكة الناصر صاحب دمشق
(٥٩٤٧ هـ - ١٢٥٠ م) . ولقد كان به الاحوال حتى صار من
جنته امراء الديار المصرية . فتولى في زمن الظاهر بيبرس
قيادة صفه . ثم نيابة حلب . ثم حبس . ثم اطلق سراحه .
فوجه الى القدس وعاش بها الى ان مات (٦٨٨ هـ - ١٢٨٩)
ودفن باملا .

كان اميرا شجاعا . وكان فارسا ماهرا . قالوا انه اذا ركب
فرسه كان يضع تحت ارجله درهما في الركاب . فلا يقع .
وباعتقادي ان الدرهم الذي كان يضعه في ركاب فرسه كان =

= من النوع المعروف بـ (القبق) . وهو نوع من العملة التي
كانت فيما مضى مستعملة في هذه البلاد . ومن هنا جاء اسم
(القبقية) وهو اسم القبة التي مدون فيها باملا .

ذكرها مجير الدين في كتابه (الانس الجليل) ج ٢ ص ٤١٤
كما ذكرها المستشرق المولندي (ماكس فان برهام) .
وكذلك فعل المستشرق الافرنسي (كينومانت غانو) في كتابه

Archeological Researches in Palestine Vol. 1, 286.

(١) مؤلف مقبر اكتشف قبره مؤخرا (١٩٤٦) . وهو الى
الشمال من قبة القبية .



قبة الصخرة المشرفة وحولها آلاف المصلين

(٢٠) بهادر اخوالست طنشق^(١١) المظفرية

(٥٧٨٩ - ١٣٨٧ م) .

(٢١) الشيخ عبدالله البسطامي^(٢٢) (٥٧٩٤ - ١٣٩١ م)

(١) هي التي بنت الدار الكبرى التي فيها الان مدرسة الابطام الاسلامية . وقد دفنت في القبة الكائنة مقابل الدار المذكورة في عقبة التكية . وقد بنت قبل موتها فوق قبر اخيها بهادر الذي دفن باملا قبة . كان في الموقع الذي تقوم عليه هذه القبة كنيسة في العهد البيزنطي تعرف بـ (الدير الاحمر) . ثم حوت الى زاوية اسلامية عرفت فيما بعد بـ (القلندرية) نسبة الى بانيها الشيخ ابراهيم القلندري . ولم يبق من القلندرية شيء في يومنا هذا .

(٢) مدهون في الحوش المعروف (بالسطامية) باملا . وكان يدفن فيه فقراء هذه الطائفة . اندثرت آثاره فلم يبق منه سوى قبر الشيخ علي البساطمي المعروف بمروشد الككين . وهو في أقصى المقبرة من الشمال .

الحنبلي . له تصانيف كثيرة منها : شرح

الشاطبية ، والرائية ، والفية ابن معطي .

توفي سنة (٥٧٢٨ - ١٣٢٧ م) .

(١٦) الشيخ حسام الدين .

(١٧) قاضي القضاة عماد الدين القرشي^(١١) .

(٥٧٣٤ - ١٣٣٣ م) .

(١٨) الشيخ ابو عبدالله الهندي (٥٧٧٣ -

١٣٧١ م) .

(١٩) شيخ الاسلام تقي الدين ابو الفدا اسماعيل

القرقشندي (٥٧٧٨ - ١٣٧٦ م) .

(١) شارح صحيح مسلم .

(٣٢) الامام أبو عبد الله الذرعي^(١) (٨٤٨ هـ - ١٤٤٤ م) .

(٣٣) القاضي برهان الدين أبو اسحق الخزرجي المشهور بابن نسيبه (٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م) .

(٣٤) قاضي القضاة تقي الدين أبو بكر الرصاصي .

(٣٥) الامير ركن الدين منكورس الجاشنكير .

(٣٦) شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد المشهور بابن الهائم (شيخ العلوم الرياضية بالشرق) .

(٣٧) القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن شمس الدين الخالدي . ولي نظر الحرمين بالقدس والخليل . (٨٥٦ هـ - ١٤٥٢ م) .

(٣٨) المحدث عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن برهان الدين القرقيشدي (٨٦١ هـ - ١٤٥٦ م) .

(٣٩) الشيخ عثمان الخطاب المصري من اعيان الصالحين بمصر (٨٩٢ هـ - ١٤٨٦ م) .

(٤٠) قاضي القضاة خير الدين أبو الخير الامام المقرئ الغزي المقدسي . ولي قضاء القدس سنة (٨٧٦ هـ - ١٤٧١ م) . ودرس بالمعظمية . توفي بالقدس سنة (٨٩٤ هـ - ١٤٨٨ م) . ودفن بمأمل .

(٤١) الشيخ أحمد بن علي بن يس الدجاني^(٢) .

(٢٢) الشيخ الامام القدوة أبو بكر الشيباني^(١) (٧٩٧ هـ - ١٣٩٤ م) .

(٢٣) الشيخ محمد بن أبي جوز^(٢) .

(٢٤) شيخ الاسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد المصري المقدسي المشهور بابن الهائم . تولى التدريس في المدرسة الصلاحية . وتوفي سنة ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م . ودفن بمأمل .

(٢٥) قاضي القضاة شمس الدين الخالدي الديري (٨٤٧ هـ - ١٤٢٣ م) .

(٢٦) شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد الرازي من ذرية فخر الرازي . ولي نظر القدس والخليل . وكان يدرس بالصلاحية . توفي بالقدس سنة ٨٢٩ هـ - ١٤٢٥ م . ودفن بالبسطامية بمأمل .

(٢٧) قاضي القضاة وشيخ الاسلام شهاب الدين أبو العباس الأموي المصري المشهور بابن المعصرة . ولي تدريس الصلاحية . وتوفي سنة ٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م . ودفن بمأمل .

(٢٨) الشيخ محمد فولاد^(٣) (٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م) .

(٢٩) النجم بسن شهاب الدين (٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م) .

(٣٠) أبو الحسن البديري (٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م) .

(٣١) شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن أرسلان^(٤) (٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م) .

(١) من كبار مشايخ الصوفية .

(٢) يرجح الأستاذ أحمد سامح الخالدي أن محلة (وأذي الجوز) دعيت باسمه . وأنه توفي بعد قائمته . وقيل أن الدعاء عند قبره مستجاب .

(٣) ناقل مفاتيح الصخرة الى تيمور .

(٤) مؤلف (صفوة الزبد) . وشارح (سنن أبي داود) . وشارح (البخاري) و (منهاج البيضاوي) . ذكره مجير الدين في كتابه (الأنس الجليل) ص ٨٧ . فقال أنه مدفون الى جانب الشيخ أبي عبد الله القرشي .

(١) صديق القرمي والبسطامي .

(٢) جسد النائلة الدجانية . ذكره ابن العماد الخليلي في كتابه (شذرات الذهب) ج ٨ ص ٣٥٥ . فقال عنه أنه الامم العالم العامل العارف بالله أحد اصحاب سيدي علي بن ميمون وصاحب سيدي محمد بن عراق . كان يحفظ القرآن ومنهاج التووس . رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) في نومه وهو في خلوته بالافصى . فاشترى عنده بتعلم النحو . فتعلمه . دخل دمشق في سنة ٨٩٥ هـ بسبب قضاء حوائج للناس عند نائب الشام وكتب الولايات . وخطب في جامع دمشق خطاباً ارتاح اليه الناس . وزار الشيخ محي الدين بن عربي . وكان صالحاً قائماً عابداً خاشعاً .

هذه البقعة . (مقبرة المجاهدين) . والاعتقاد سائد بأنها ليست الا جزءاً من المقبرة الكبيرة التي يطلق عليها : (مقبرة باب الساهرة) .

٣ - مقبرة باب الرحمة : عند سور الحزم من الشرق . انها من المقابر الاسلامية المشهورة . كانت فيما مضى اوسع^(١) منها في يومنا هذا ؛ ولكن يد الزمن وطمع البشر اخنيا عليها ، فضاقت حتى اصبحت لا تتسع الا الى عدد محدود من القبور .

فيها قبور عدد من الصحابة والمجاهدين الذين اشتركوا في فتح بيت المقدس اثناء الفتحين : العمري والصلاحى . ومن المدفونين فيها عبادة بن الصامت الانصاري البصري الذي توفي سنة ٣٤ للهجرة - ٦٥٤ م وشداد بن اوس الانصاري الذي مات سنة ٥٨ للهجرة - ٦٧٧ م . وقد جاء ذكرهما في كتب التاريخ الاسلامية . كما ذكرهما اللقيمي في كتابه (سوانح الانس برحلتى لوادى القدس) ص ٧٢ فقال :

يتم مقام عبادة بن الصامت
والشهم شداد بباب الرحمة
فهما الامامان اللذان تقيتا
من صحبة المختار اينع دوحة

(١) عندما وسع المجلس البلدى الطريق التي تمر من امام كنيسة مريم والجنائنة ، عثر العمال على قبر مؤرخ القدس الشهير بجير الدين . . مؤلف كتاب (الانس الجليل) . . عثروا عليه في مكان لا يبعد عن كنيسة مريم سوى بضعة امتار . ورفعوا العظام من مكانها . ونقلوها الى مكان اخر قريب منه . وبنوا على قبره الجديدة صغيرة تركّز على اربعة اعمدة . وقد كتبوا على (الحجر الشاهد) هذه الكلمات : « هذا قبر الفقير الى الله تعالى القاضي عبد الرحمن بن محمد بن بجير الدين الدلمي الفخري الخبلي المقدسي مؤرخ القدس توفي سنة سبع وعشرين وتسعين » .

(٩٦٩ هـ - ١٥٦١ م) .

(٤٢) نجم الدين الخييري الرملي بن خير الدين الرملي^(١) .

٢ - مقبرة الساهرة : عند سور المدينة من الشمال ، وعلى بعد بضعة امتار من الباب المعروف بالساهرة . انها من المقابر الاسلامية الكبيرة . قديمة العهد . ذكرها التابلسي في رحلته فقال : انها تشتمل على قبور عدد كبير من الصالحين ، وانها واقعة فوق الزاوية الادمية . وذكرها ايضاً بجير الدين الخبلي في تاريخه . فقال عنها : « انها البقيع الذي الى جانب طور زيتا من جهة الغرب » . وعن ابراهيم بن ابي عبله انها هي التي اشير اليها في القرآن الكريم عند قوله تعالى : « فاذا هم بالساهرة » .

ومن اسمائها : (مقبرة المجاهدين) . ذلك لان المجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدس مع صلاح الدين وقضوا نجبتهم اثناء الفتح ، قد دفنوا فيها . ولا يزال المسلمون يدفنون موتاهم فيها الى يومنا هذا (١٩٤٧) .

كانت فيما مضى اكبر واوسع مما هي عليه الان . وقد عثر المتأخرون على قبور كثيرة في البقعة التي تقوم عليها الان دار جماعة الاخوان المسلمين ودور العلمي وغيرها من العمارات القائمة الى الشمال والغرب من المتحف الفلسطيني . وكان الناس فيما مضى يسمون

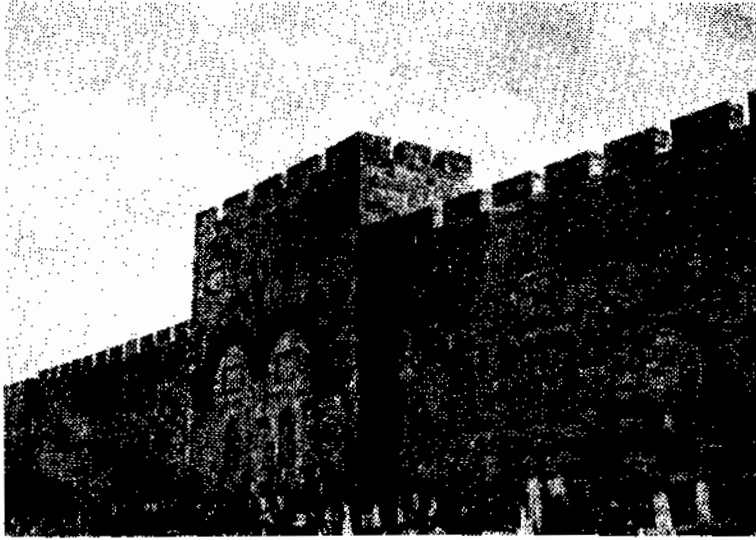
(١) كان مفتي الاحناف بالقدس .

(٢) جاء في كتاب (غريب القرآن) لابي بكر السجستاني (٥٧٤٠ - ١٤٣٦ م) ان الساهرة وجه الارض . وسميت ساهرة لان فيها سهرهم وقومهم . واصبحت مشهورة ، ومشهور فيها فصر في مفعوله الى فاعله .

وقيل ان الساهرة ارض القيامة .

« وفي حديث ابن عمر » ان ارض الحشر تسمى الساهرة ، وان اصل الساهرة الغلا ووجه الارض .

وقيل ان الساهرة هي الارض المريضة المنبسطة .



« مقبرة باب الرحمة »

هناك ثلاث مقابر ، لا مقبرة واحدة . كلها لآل الدجاني . احداها كبيرة وهي واقعة شرقي النبي داود . انها مخصصة لعائلة الشيخ سليمان الدجاني وحفدته . والثانية متوسطة وهي لعائلة الشيخ انيس الدجاني وحفدته . والثالثة صغيرة وهي مخصصة لدفن اطفال آل الدجاني . ويسمونها (تربة المنسي) نسبة للشيخ محمد المنسي . واما الذين لم نذكرهم من آل الدجاني فانهم يدفنون موتاهم في مقبرة باب الرحمة واليوسفية وفي ماملا .

وعلى ذكر الشيخ محمد المنسي نقول : انه صحابي وانه الجد الاول للعائلة الدجانية^(١) .

ذكره الحنبلي في تاريخه فقال : « انه اشترك في فتح بيت المقدس^(٢) . وتوفي فيها . ودفن في محلة بالقرب من خليفة الله سيدنا داود عليه السلام . كان امير الامراء موسى باشا اراد ان يعمل عليه

(١) واما الجد الاخير وهو الشيخ احمد الدجاني فانه مدفون في مقبرة ماملا كما قدمنا .

(٢) السجل ٢٠٣ الصفحة ٤٨ .

شهدا المشاهد والمواقف كلها
بشراهما فاذا بارفع رتبة
فاذا وصلت الى الحما فانزل به
متأدباً واجرى سواكب عبدة
والثم ثرى اعتابه بتذلل
واهدي مع الرضوان حسن تحية

ذكرها العالم الهولندي المشهور (ماكس فان برشام) . فقال : انها كانت مدفناً للاخشيديين . انها اليوم عامرة . ويدفن فيها اكثر عائلات بيت المقدس موتاهم .

٤ - (المقبرة اليوسفية) : عند باب الاسباط والى الشمال من مقبرة باب الرحمة . كل ما نعرفه عن ماضيها ان الذي عمرها هو الامير (قانصوه اليحياروي) كافل الملكة الشامية . وكان ذلك سنة ٨٧٢ للهجرة - ١٤٦٧ م . وهي اليوم عامرة . يدفن فيها المسلمون موتاهم .

٥ - مقبرة النبي داود : واقعة في حي النبي داود على جبل صهيون . وفي الحقيقة انه يوجد

٢ - التربة الواحدة : قريبة من باب حطة شمال الحرم . ذكرها مجير الدين^(١) فقال : ان منشئها هو الملك الاوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى . وكان ذلك في ٢٠ ربيع الثاني ٦٩٧ هـ - ١٣٩٨ م .

٣ - التربة الجالقية : في رأس درج العين بطريق باب السلسلة عند ملتقى هذه الطريق بطريق الواد . ذكرها مجير الدين^(٢) فقال : انها وقف ركن الدين بيبرس الصالح المعجمي المعروف بالجالق . وهو مدفون بها . توفي في ١٠ جمادى الاولى سنة ٧٠٧ هـ - ١٣٠٧ م . وكان من امراء الشام في دولة الملك المنصور قلاوون .

انها الان ملك آل الخالدي .

٤ - التربة السعدية : بباب السلسلة تجاه المدرسة التنكزية عند مدخل الحرم . واقفها الامير سعد الدين مسعود بن الامير الاسفيلار بدر الدين منتصر بن عبدالله الجاشنكر الرومي الحاجب بالشام في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون . تاريخ وقفها ٢٧ ربيع الاخر ٧١١ هـ (١٣١٣/٩/١٢) .

٥ - التربة الكيلانية : في جوار المدرسة الطازية من الغرب . انها منسوبة الى الحاج جمال الدين بهلولان بن الامير شمس الدين قراد شاه بن شمس الدين محمد الكيلاني اللاهجي المشهور بابن الصاحب كيلان .

عندما ذكرها مجير الدين^(٣) قال : ان المذكور جمال الدين اوصى ابنه الامير نظام الدين كهشروان

قبة ، وعين من حفر الحدود وجور الجور ورمى الحجارة . عندئذ قام النصارى ومنعوه . ولما جاء خلفه مصطفى باشا راح أهل القدس يرجونه (صدقة عنه وعن ولده) ان يجعل عليه قبة . فصدر امره الى معمار باشي القدس الشريف بان يعمر به قبة من حجارة قصر النقيب^(٤) .

رأيت مقبرة المنسي . وهي مقبرة صغيرة طولها ١٥ متراً وعرضها ١٥ واقعة جنوبي مقبرة الارمن والسرمان ومحاطة بسور . لكنني لم أرَ عليها قبة . وهناك ترب كثيرة اخرى في القدس ؛ نذكر منها^(٥) :

١ - تربة علاء الدين البصري : بباب الناظر من ابواب الحرم من الناحية الغربية الى الشمال . مدفون فيها آيدغدى بن عبدالله الركني الامير علاء الدين الاعمى الزاهد ناظر الاوقاف بالقدس الشريف . له آثار جميلة بالقدس والحليل والمدينة المنورة . عاش في القدس الى ان مات (سنة ٦٩٣ هـ - ١٢٩٣ م) . وقد ذكره ابو المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي في مخطوطه (المنهل الصافي^(٦)) « ولعل لقب البصري اطلق عليه لانه وان كان اعمى من حيث الجسم الا انه كان بصيراً من حيث الفعل والفكر » .

(١) يقصد نقيب الاشراف بالقدس السيد محمد الذي تار على الاتراك سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م فتقبلوا عليه وهدموا قصره .

(٢) جمع (تربة) . والتربة هي المقبرة اذا اريد التعميم . والقبر اذا اريد التخصيص . جاني الستان ان تربة الانسان ومسه ، وتربة الارض ظاهرها . وفي الامثال (عرف بطني بطن تربة) وهو يضرب لمن وصل ارضه بعد الحنين اليها .

ولقد اقتصرنا في هذا الفصل على ذكر التراب التي دفن فيها عدد محدود من الرجال الاعلام .

(٣) ج ٢ ص ٣٦ .

(١) الانس الجليل . ص ٣٩١ .

(٢) الانس الجليل . ص ٣٩٦ .

(٣) الانس الجليل . ص ٣٩٥ .

(٤) الانس الجليل . ص ٣٩٦ .

أحمد المثبت . ذكره النابلسي فقال : « انه كان نقيب الشيخ محمد القرمي » ، وان قبره تجاه قبره ، بينهما زقاق في مكان معمور » .

١٠ - تربة الملك حسام الدين بركه خان

مقابل المدرسة الطازية بخط داود بالقرب من باب السلسلة . عمرت هذه التربة سنة ٥٧٩٢ هـ . فيها الآن المكتبة الخالدية (١٣٨٩ م) .

١١ - التربة المهازية : ذكرها مجير الدين

فقال : ان واقفها هو الامير ناصر الدين المهازي . وكانت على عهده مسكناً . هذا كل ما نعلمه عن هذه التربة . ولنا ندري أين هي في يومنا هذا ؟ كما اننا لا ندري من هو ناصر الدين هذا ؟ أهو الامير ناصر الدين الذي ولي نظر القدس والخليل على عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون (٥٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م) وكان يطلق عليه لقب (مشد الاوقاف) ؟ أم هو الامير ناصر الدين محمد بن بهادر الفخر بن الظاهر الذي كان نائباً عن السلطان على عهد الملك الظاهر برقوق (٥٧٨٩ هـ - ١٣٨٧ م) ؟ أم هو الامير ناصر الدين محمد بن أيوب الذي تولى نيابة السلطنة على عهد السلطان الملك الاشرف قايتباي (٥٨٨٢ هـ - ١٤٨٨ م) .

١٢ - تربة الست : واقعة في عقبة التكية

الى الشمال من دار الايتام الإسلامية . ويسمونها ايضاً تربة خاصكي سلطان . ذلك لانه مدفون بها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان (٩٦٠ هـ - ١٥٥٢ م) . اسمها الاصلي روكسيلانة . وقيل انها روسية الاصل . ثم اسلمت .

١٣ - تربة الشيخ جواح : على طريق نابلس

وعلى بعد كيلومترين من سور المدينة الى الشمال . كانت هناك زاوية لها وقف وموظفون . وقفها

بان يصرف من ثلث ماله مئة الف درهم فضة ، ويدفع ذلك الى ابن اخي الموصي الامير علاء الدين علي بن بهاء الدين سالار بن شر ملك الكيلاني ، ليشتاغ بذلك مكاناً ويعمره تربة بالقدس الشريف ان تهاً نقله ودفنه هناك . تاريخ الوصية ١٠ شعبان ٧٥٣ هـ - ١٣٥٢ م . وقد عمرت هذه التربة وبها ضريحه . ونقل اليها كما اوصى به .

يقم فيها الآن جماعة من عائلة الدنف (الانصاري) .

٦ - تربة توركان خاتون : الى الشمال من

طريق باب السلسلة عند التقاء هذه الطريق بطريق الواد . مدفون بها توركان خاتون بنت طقتاي بن سلجوتاي الازبيكي . ماتت سنة ٥٧٥٣ هـ - ١٣٥٢ م .

٧ - التربة الطشتمورية : بالقرب من الكيلانية .

وقف الامير طشتمر العلاني . انشأها سنة ٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م . وتوفي ودفن بها بعد سنين .

٨ - تربة القرمي : هو الشيخ شمس الدين

أبو عبد الله محمد بن أحمد القرمي بكسر القاف وفتح الراء . مولده في سابع عشر ذي الحجة سنة عشرين وسبعماية . نشأ في دمشق . وسمع الحديث بها . ثم أقام ببيت المقدس . وبني بها زاويته المعروفة وتوفي بالقدس نهار الاحد التاسع من صفر سنة ثمان وثمانين وسبعماية (١٣٨٦ م) . ودفن بزاويته المشهورة . ودفن عنده ولده الشيخ زين الدين عبد القادر . وكان رجلاً صالحاً من أعيان بيت المقدس . توفي سنة ٨٤٣ هـ .

٩ - تربة المثبت : على بعد بضعة امتار من

تربة القرمي الى الشمال من الغرب . على الطريق بين باب خان الزيت والحرم . مدفون بها الشيخ

القيصري ووفاته في رابع عشر الحجة سنة احدى وستين وستائة (١٢٦٢ م) . والامير ناصر الدين ابن حسن القيصري . وفاته في عشرين صفر سنة خمس وستين وستاية (١٢٦٦ م) . وبالقبة المذكورة قبر الامير ناصر الدين محمد جابر بك احد امراء الطبليخانة بالشام وناظر الحرمين بالقدس الشريف والخليل . وفاته ليلة الاثنين حادي عشر المحرم سنة ست وسبعين وسبعائة (١٣٧٤ م) . وبظاهر القبة المذكورة تربة بها قبور جماعة من المجاهدين .

١٥ - ضريح عكاشة : واقع في حي معروف باسمه . ويسمونه : حي النبي عكاشة . الى الشمال الغربي من المدينة . انه قريب من القبة المعروفة بالقيصرية . وقد ذكرناها في السطور السابقة . بناء محكم ، في داخله ضريح الصحابي الجليل عكاشة . وفيه مسجد كان المسلمون المقيمون على مقربة منه يغشونه ويصلون فيه صلواتهم الحمس . ولكن اليهود الذين يكرهون الاسلام ويكرهون ان يروا الى

الامير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امراء الملك صلاح الدين . توفي في شهر صفر سنة ٥٩٨ هـ - ١٢٠١ م ودفن فيها . عندما ذكرها مجير الدين قال : « ان بظاهر هذه الزاوية من القبلة قبور جماعة من المجاهدين يقال انهم من جماعة الجراحي » .

١٤ - القيصرية : واقعة بالقرب من مزار سيدنا عكاشة في الحي الكائن غربي القدس . ذكرها مجير الدين فقال : قبة محكمة البناء بظاهر القدس الشريف من جهة الشمال مماليي الغرب . نسبتها لجماعة من الشهداء المجاهدين في سبيل الله قبورهم بها . وهم : الامير الشهيد حسام الدين ابو الحسن بن ابي الفوارس القيصري . وفاته في العشر الاوسط من ذي القعدة سنة ثمان واربعين وستاية (١٢٥٠ م) . والامير ضياء الدين موسى بن ابي الفوارس . وفاته في عاشر ذي القعدة سنة ثمان واربعين وستائة (١٢٥٠ م) . والامير حسام الدين بن حسن



القبة القيصرية

وبالقرب منها مئذنة جامع عكاشة

جانبهم اي اثر من آثار المسلمين ، نسفوه في ٢٧ آب سنة ١٩٢٩ فاضحى ، بعد ذلك ، طلالاً بالياً . وما كان في مقدور القائمين عليه ان يدفعوا عنه الاذى . لانه قائم في وسط الاحياء اليهودية .

المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى : لما كانت الجوامع والمساجد التي ذكرناها في الاسطر المتقدمة ، وكذلك المدارس والمقابر والزوايا والتكايا والمعاهد الاسلامية ، تدار من قبل (المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى) . فقد رأينا من الفائدة ان نبحت فيما يلي عن هذا المجلس وعن تاريخ تأسيسه فنقول :

كانت الاوقاف والمحاكم الشرعية الاسلامية في اوائل الاحتلال البريطاني ، تابعة لدوائر العبدل والقضاء بحكومة فلسطين . وكان يرأس هذه الدوائر مستشار قضائي هو المستر بنتويش ولم يكن هذا يهودياً فحسب ، بل كان من رجال الحركة الصهيونية الاقحاح . الامر الذي اغضب المسلمين وجعلهم يطالبون بايجاد ادارة اسلامية بجهة تتولى مراقبة المحاكم الشرعية الاسلامية وتدير اوقاف المسلمين . واجتمع ، على اثر ذلك ، في القدس مؤتمر اسلامي (٩ تشرين الثاني ١٩٢٠) ضم المفاتي والقضاة والعلماء . فقرروا تأسيس **مجلس شرعي اسلامي اعلى** يتولى جميع الشؤون الاسلامية بفلسطين . ووافقت حكومة فلسطين على هذه الفكرة . فصدر في ١٢ آذار ١٩٢١ نظام نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ ١٥ ايار ١٩٢١ .

كان المجلس الاسلامي ، عند تأسيسه ، مؤلفاً من رئيس العلماء واربعة اعضاء : اثنان عن لواء القدس وواحد عن كل من لوائي نابلس وعكا . اما رئيس العلماء فقد انتخب ، في المرة الاولى ٢٤ ١٩٢١ ، من قبل الهيئة العمومية المنتخبة من قبل المنتخبين الثانويين الذين انتخبوا من قبل الاهالي

في العهد العثماني الاخير . واشترط لانتخابه ، فيما بعد ، ان يتم بانتخاب عام يعين بقانون خاص يسنه المجلس الاسلامي نفسه . وكذلك قل عن الاعضاء . فقد انتخبوا ، في المرة الاولى ، من قبل منتخبي اللواء التابعين له . واشترط لانتخابهم ، فيما بعد ، ان يتم كذلك بواسطة المنتخبين الثانويين الذين ينتخبون من قبل الاهالي وفقاً لقانون انتخاب النواب العثماني .

وهكذا تألف **المجلس الاسلامي الشرعي الاول** ١١ جمادى الاولى ١٣٣٩ الموافق ٩ كانون الثاني ١٩٢٢ من المفتي الحاج أمين الحسيني رئيساً ومن الحاج سعيد الشوا (غزه) ، وعبد الله الدجاني (يافا) ، والشيخ محمد مراد (حيفا) ، وعبد اللطيف صلاح (نابلس) اعضاء .

وقد حددت صلاحياته في المادة الثامنة من النظام المتقدم ذكره . وهي تتلخص في ادارة الاوقاف الاسلامية ، واقرار ميزانياتها^(١) ، وترشيح^(٢) قضاة الشرع ورئيس واعضاء محكمة الاستئناف ومفتش المحاكم الشرعية ، وتعيين المفتين ومأموري الاوقاف وموظفي الشرع وعزهم^(٣) .

ولقد قام هذا المجلس بعدة اصلاحات في المعاهد الاسلامية اشرفنا اليها في مواضع اخرى من هذا الكتاب .

كان المجلس الاول ، مؤلفاً من الرئيس والاعضاء الاربعة الذين تقدم ذكرهم .

- (١) للحكومة الحق في الاطلاع على الميزانية فقط ، وليس التصديق .
- (٢) للحكومة الحق في التصديق او الرفض . وفي حالة الرفض عليها ان تذكر الاسباب خلال خمسة عشر يوماً .
- (٣) في حالة العزل يترتب على المجلس اخبار الحكومة مع بيان الاسباب .

المجلس الاسلامي .

وظل هؤلاء الاربعة في مراكزهم حتى
١٩٤٧/١/١ يوم استبدلت الحكومة الاثنين
الاخيرين بعلي حسنا (القدس) القاضي في المحكمة
المركزية وحسن ابي الوفا الدجاني (يافا) .

وهناك (لجنة ثلاثية) تسيطر على الاعمال
المالية . وكانت هذه في بداية الامر مؤلفة
من رئيس انكليزي وعضوين : احدهما مسلم
والثاني انكليزي . ثم استبقت الرئيس الانكليزي
وعينت العضوين من المسلمين . ثم جعلت الثلاثة
كلهم مسلمين . وهم الان (١٩٤٧) روجي عبد
الهادي (رئيساً) والشيخ توفيق الطيبي ووصفي
العنبتاوي (اعضاء) .

هذا ولا بد من القول ان نفقات المجلس الشرعي
الاسلامي بلغت (سنة ١٩٤٧ / ٤٨) بما في ذلك
قضاة الشرع وسائر الموظفين ٤٨ و ٢٩٤ جنيهاً .

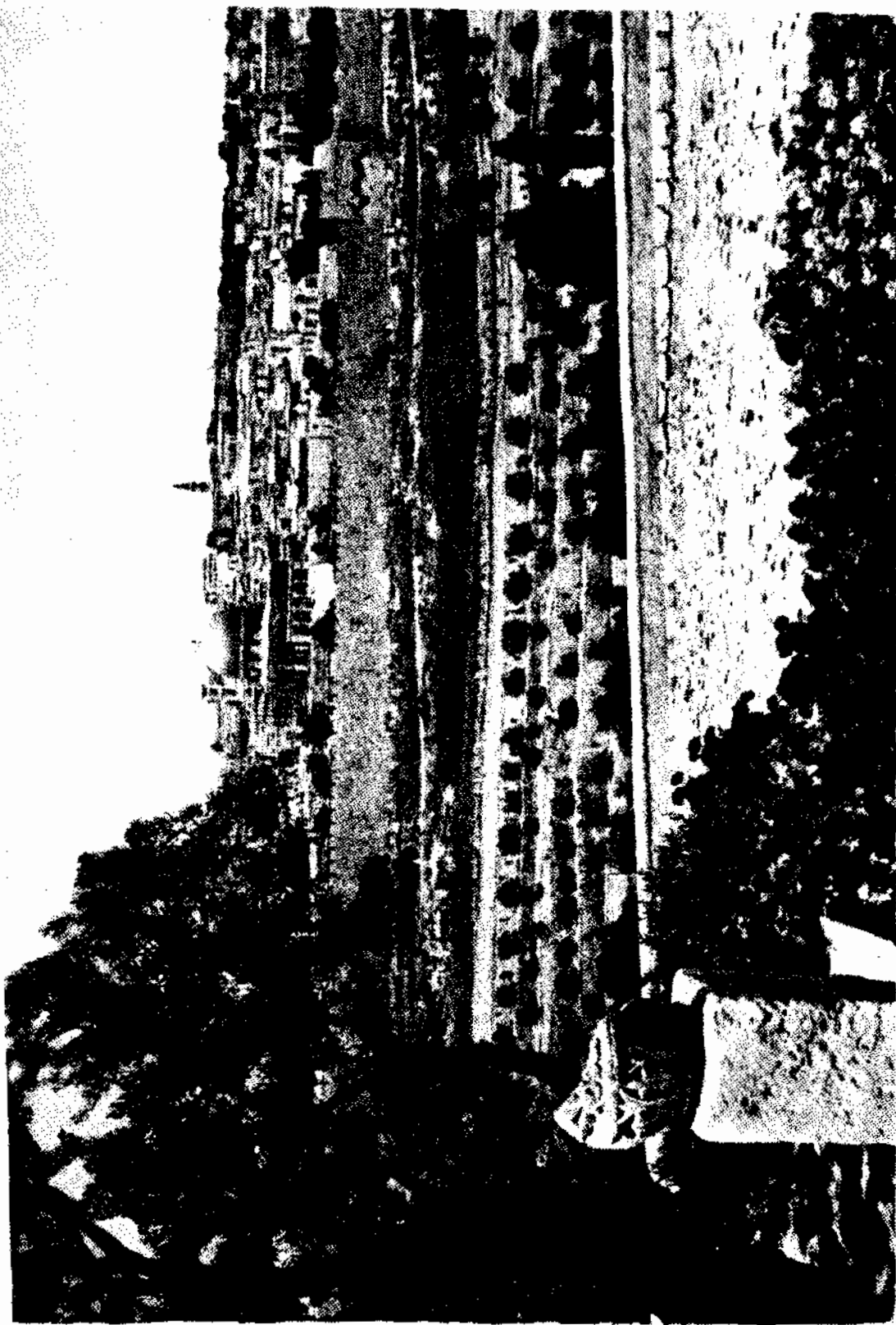
وقد استقال عبد اللطيف صلاح ، فاستبدل
بأمين التميمي (نابلس) . وعند وفاة الحاج سعيد
الشوا عينت الحكومة مكانه الشيخ محي الدين عبد
الشافي (غزة) . ولما توفي عبد الله الدجاني عين
مكانه عبد الرحمن التاجي (الرملة) . ولما توفي
الشيخ محمد مراد حل مكانه أمين عبد الهادي
(نابلس) . ولما اقبل امين التميمي من منصبه
انتدبت الحكومة بدلاً منه الشيخ كمال اسماعيل
(عنتابا) . كما انتدبت مكان عبد الرحمن التاجي
المستقبل ، الشيخ يوسف طهبوب (الخليل) .

وتشلت المجلس الاسلامي ابان الثورة العربية
الفلسطينية (١٩٣٦ - ١٩٣٨) . فغادر المفتي البلاد
وبقي بعيداً عنها الى يومنا هذا . كما نفي التميمي الى
سيشل حيث قضى نفيه . واعلنت الحكومة حالة
الطوارئ فعينت (١٩٣٧) أمين عبد الهادي ،
والشيخ كمال اسماعيل ، والشيخ محي الدين عبد
الشافي ، والشيخ يوسف طهبوب لادارة شؤون



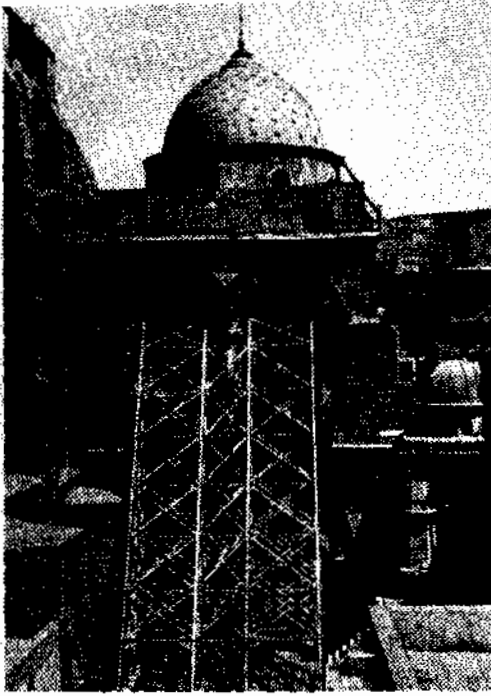
سماحة الحاج أمين الحسيني
المفتي الاكبر ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى

منظر عام لمدينة القدس
بريك معظم الأماكن المقدسة الرئيسية



الاماكن المسيحية المقدسة

قبتها في عهد الاخشيد سلطان مصر (٩٦٥ م) .
وجرت بعد ذلك محاولات كثيرة لبناء القبة من
جديد ، الا ان تلك المحاولات انتهت بالفشل .
ولكنهم عادوا فعمروها في زمن البطريك يوسف



« كنيسة القيامة »

الثاني (٩٨٠ م) . وأمر الخليفة الفاطمي الحاكم
بأمر الله بهدمها ، فهدمت (١٠٠٩ م) . وهدم معها
الأقرايون وكنيسة قسطنطين . ولكنه عاد فأجاز
للنصارى أن يعيدوا البناء من جديد . فشيّدوا
يومئذ كنيسة القبر المقدس فقط . شيّدوها على غير
شكلها الأصلي . وحال فقرهم دون اتمام الباقي .
وسمح الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (١٠٣٥ م)
للنصارى ببناء الكنيسة من جديد . فشرعوا في

لكل طائفة من الطوائف المسيحية في القدس
كنائس وأديار . وهناك ارساليات دينية جاءت
من الغرب . . . ونزلت القدس في تواريخ مختلفة .
ولهذه الارساليات ايضاً كنائس وأديار . ويودنا
ان نأتي في السطور التالية على ذكرها ، وما يخص
كل طائفة منها على حدة . على ان نبدأ أولاً
بالكنيسة التي تخص الجميع ، ويقدها الجميع ؛ ألا
وهي : كنيسة القيامة .

كنيسة القيامة :

بنتها الملكة هيلانة ام الملك قسطنطين (٣٣٥) .
بنتها في الموضع الذي اكتشف فيه الصليب الذي
صلب عليه المسيح . واحرقها الفرس (٦١٤) .
وأحرقوا معها جميع الكنائس والاديار التي كانت
يومئذ في القدس . فاعاد بناءها (٦٣٦) الراهب
مودستوس رئيس دير العبيديين في ذلك الحين .

ولما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس (٦٣٦ م)
أعطى النصارى أماناً لأنفسهم وكنائسهم ، ولم
يصبها بأذى ؛ حتى إنه أبى أن يصلي في كنيسة
القيامة ، وقد حان وقت الصلاة وهو فيها ، رغم أن
البطريك صفرونيوس أشار عليه بأن يصلي حيث
كان ، الا أنه اعتذر وصلى على مقربة منها . وخشي
ان هو صلى في الكنيسة أن يتخذ المسلمون ذلك
من بعده حجة وان يطالبوا بحق لم يكن لهم فيها .

ولقد رمم البناء الذي أقامه مودسطس ،
البطريك توما الأول (٨١٧ م) . وكان ذلك في عهد
الخليفة العباسي المأمون ، وأحرقت الكنيسة وسقطت

لنصارى الغرب حجة لغزو البلاد المقدسة ؛ فرفض اشارتهم ، بل آثر الاقتداء بعمربن الخطاب ، فأبقاها ، وأمر المسلمين ألا يصيبوها بسوء . غير أنه اقتطع جانباً من دارالقسوس المجاورة لها فاتخذها مسجداً ورباطاً (خانقاه) للصالحاء الصوفيين .

ولقد رمت كنيسة القيامة بعد ذلك التاريخ مراراً عديدة . كما رمم بناء القبر المقدس في وسطها . وكان أهم الحوادث ما جرى لها في ١٨٠٨ م ؛ يوم استعرت النار في معبد الارمن ، وامتد اللهب الى النحاء الكنيسة ، فسقطت القبة . ولم يسلم من الاذى الا جانب من الجلجلة وكنيسة القديسة هيلانة ومعبد اللاتين . .

وحصل الروم على اذن من السلطان محمود الثاني بترميم الكنيسة ، فرمموها (١٨١٠ م) . وشادوا فوق القبر المقدس البناء الذي تراه في يومنا هذا . وتصدعت الكنيسة اثر الزلزال الذي حدث في القدس على عهد ابراهيم باشا (١٨٣٤ م) . وآخر ترميم جرى لها في أواخر القرن التاسع عشر ، يوم اتفقت الدول الثلاث (فرنسا وروسيا وتركيا) على أن تقوم الدولتان (فرنسا وروسيا) بنفقات التعمير وان تتولى تركيا الاشراف على التعمير . وهذا ما جرى . ولقد بلغت النفقات التي صرفت لتعميرها يومئذ (١٨٦٩ م) أربعين الف ليرة ذهباً .

ولقد اصاب كنيسة القيامة ما اصاب غيرها من العمارات القديمة إثر الهزة الارضية التي ألمت بالقدس عام ١٩٢٧ م . فتداركت الحكومة البريطانية المتتدبة الامر بما تيسر من الوسائل التي تساعد قليلاً في درء خطر عاجل ، ولا تنفع كثيراً في ازالةخطر آجل . وشدت البناء في مواضع معينة بالخشب والاسمنت المسلح بالحديد (١٩٣٠ - ١٩٣٣ م) .

بنائها . وتم البناء الجديد على عهد قسطنطين منوماخس (١٠٤٨ م) .

ولما احتل الصليبيون القدس (١٠٩٩ م) وجهوا اهتمامهم الى تعميرها ، ولقد حافظوا على ما كان فيها من مبان . غير أنهم جمعوا المعابد في كنيسة واحدة ، فوحدوا كنيسة أنسطاسيا وكنيسة الشهداء والمعابد الاخرى . وبنوا شرقي القبر كنيسة هي التي عرفت بعدئذ بكنيسة (نصف الدنيا) . وشادوا برجاً للأجراس .

وعندما احتل صلاح الدين القدس (١١٨٧ م) أشار عليه بعض أصحابه أن يهدمها ، كي لا يبقى



« كنيسة القيامة »

مجموعة من الكنائس يطلق عليها: (كنيسة القيامة).

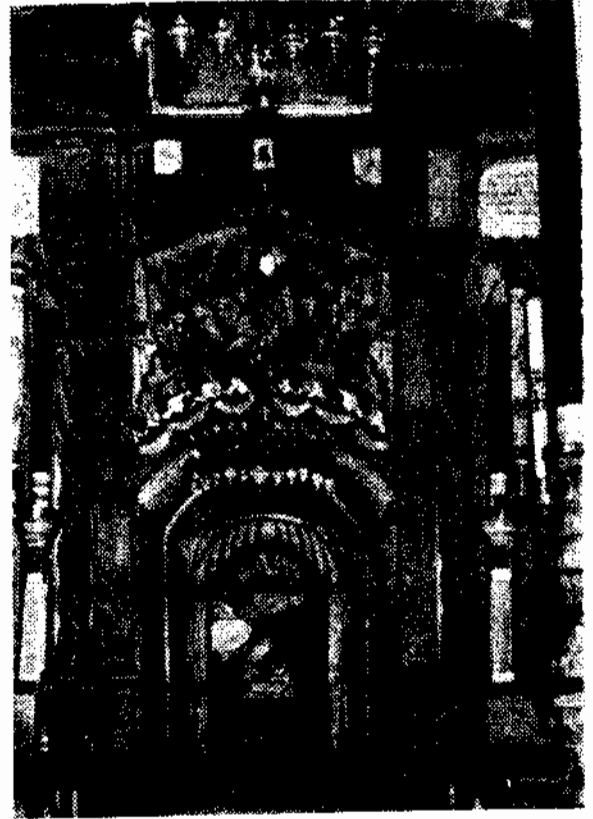


« القبر المقدس من الداخل »

وتقدر مساحة الارض القائمة عليها كنيسة القيامة بنحو ثمانين متراً في ستة وستين متراً .

وفي كنيسة القيامة ، عدا عن قبر المسيح ، سبعة قبور : اثنان منها ليوسف الرامي واسرته وهما في معبد كائن غربي القبر المقدس . واثنان في مدخل الغرفة التي تراها الى يمينك اذا ما دخلت الكنيسة من بابها القبلي الكبير ، وهما لغودفري وبولودين من ملوك الصليبيين . وواحد في حجرة للروم يسمونها : (حبس المسيح) ، ولا يدري احد لمن هو هذا القبر ؟ وهناك امام الكنيسة من الخارج قبر سادس لانكليزي من قادة الصليبيين ، هو فيليب دويتي . والسابع قبر (الاربعين شاهد) عند كنيسة مار يعقوب .

وكذلك قل عن الزلزال الذي تبعه . حتى ان

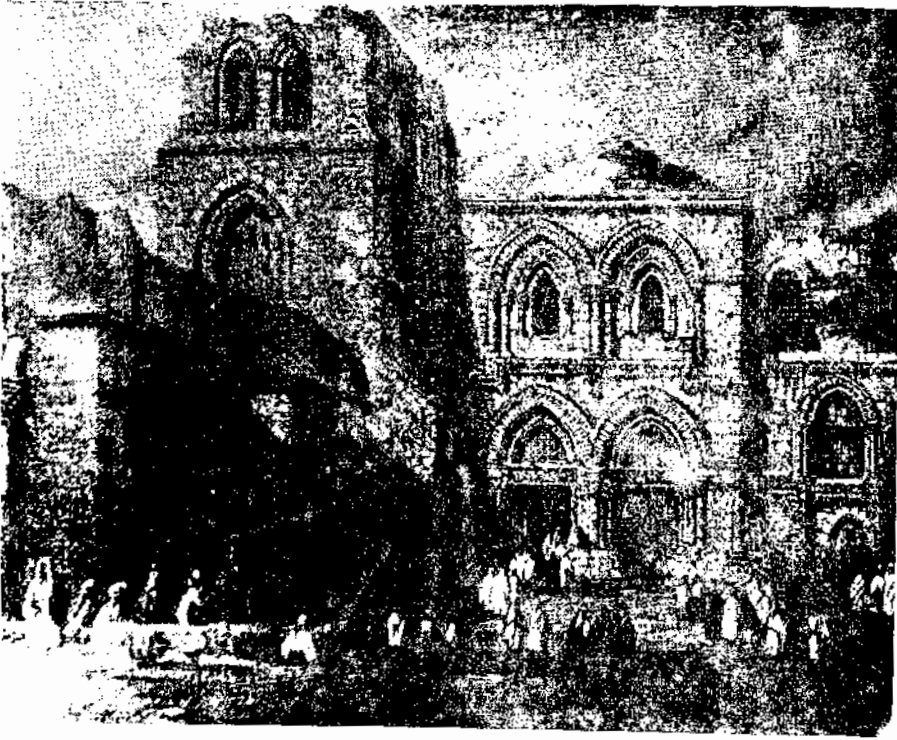


« القبر المقدس من الخارج »

الحكومة نصحت الناس الا يدخلوا الكنيسة قائلة انها لا تتحمل أية مسؤولية اذا هم اصرروا على الدخول . والوضع في يومنا هذا (١٩٤٧) لا يزال كما كان . ولم يجر تعمير اساسي بعد .

انك اذا ما نظرت الى كنيسة القيامة من الخارج ، رأيت قبتين كبيرتين الواحدة اكبر من الاخرى بقليل . فالكبرى ، وهي الى الغرب ، هي القائمة فوق القبر المقدس . والاخرى ، وهي الى الشرق ، هي قبة كنيسة نصف الدنيا . تلك الكنيسة القائمة تجاه القبر المقدس .

وتنضوي الى هاتين القبتين كنائس اخرى مختلفة في المساحة والشكل والقدم . وتتألف من هذا كله



الواجهة الامامية لكنيسة القيامة



قبة القبر المقدس وقبة كنيسة نصف الدنيا

- (١٢) عائلة علوشية نقولا عنصره
(١٣) « ابي زخريا ستاوري زخريا

وقبل ان نختتم كلامنا عن كنيسة القيامة، نرى من مصلحة التاريخ ان نذكر ، انه يقوم على حراسة ابوابها عائلتان اسلاميتان هما :

(أ) . آل جوده

(ب) . آل نسيبة .

وقد اختلف الباحثون في تحديد التاريخ الذي تولتا فيه هذه المهمة . وان اتفقوا في القول - وهذا هو الواقع - ان (آل جوده) هم الذين يحتفظون بالمفاتيح وان (آل نسيبة) هم الذين يفتحون الكنيسة في مواعيدها المقررة . ومتى فتح هؤلاء الباب، أعادوا المفاتيح الى أولئك. وهكذا دو اليك.

هناك قول يؤيده آل نسيبة ان هذه الوظيفة بأيديهم منذ زمن عمر بن الخطاب (٦٣٦م) ، وان اول من تسلمها منهم هو جدهم عبدالله، وان هذا هو ابن امرأة من الخزرج تدعى (نسيبة) . وكان لها ولدان: أحدهما (حامد) ظل في المدينة والثاني (عبدالله) اشترك في الفتح القدسي ، وكان من الصالحين. ولما تم للمسلمين فتح القدس ، ودخلها عمر بن الخطاب ، سلمه البطرك صفرونيوس مفاتيح القيامة^(١) ، فناولها عمر الى عبد الله بن نسيبة مؤتمناً اياها لزهده وتقواه. وتوارث آل نسيبة هذه المهمة منذ ذلك الحين .

وتقول فئة من مؤيدي هذا القول ، اذكر منهم الاستاذ عمر الصالح البرغوثي :

(١) فعل الفاتح الانكليزي اللورد اللتي مثل هذا الفعل عندما فتح القدس في ٩ كانون الاول ١٩١٧. فدخل المدينة في اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور ، وزار الكنيسة وتسلم مفاتيحها، ثم سلمها الى آل جوده وآل نسيبة، ليتولوا هم مهمة الفتح كما كانوا يفعلون منذ القدم .

هذه هي القبور التي يحدثك القوم عنها. وهناك، في اعتقادي، قبور كثيرة اخرى لانعلم عنها شيئاً . ذلك لأن هذه البقعة من الارض كانت، قبل موت السيد المسيح ، مقبرة اعداء القوم لدفن الموتى من سكان المدينة . ولقد عثر القائلون على كنيسة (مار يعقوب) الملاصقة لكنيسة القيامة من ناحيتها القبلية، اخيراً ، على خمسة قبور محفورة في جدار الكنيسة المذكورة من الداخل ، قالوا انها لا بد وان تكون لعدد من البطارقة الاقدمين .

وهناك في كنيسة القيامة ، ثلاث عشرة بئراً تتجمع فيها مياه الامطار .

وكان الناس فيما مضى يخلعون نعالهم قبل ان يدخلوا الكنيسة . ويظهر ان هذه العادة دامت حتى اوائل القرن التاسع عشر . ثم زالت .

وإننا لذاكرون فيمايلي اسماء الاشخاص من نصارى بيت المقدس الذين يحملون الاعلام في سبت النور :

الترتيب	اسم العائلة	اسم الشخص
(١)	عائلة سلمان	الياس او صليبا او عيسى سلمان
(٢)	عائلة الاجرب	جبران الاجرب
(٣)	« الحبش	نخلة متري الحبش
(٤)	« الحرامي والبغل	جرجي الحرامي
(٥)	« القرعة	زخريا جريس القرعة
(٦)	« كتوعة	سمعان او عيسى كتوعة
(٧)	« الشماع	موسى الشماع
(٨)	« كتن	حننا جريس كتن
(٩)	« المحشي	يعقوب المحشي
(١٠)	« ابي زخريا	داود ابو شله
(١١)	« منصور	ميخائيل منصور

فقد اطلعني الأب كريباكوس ، رئيس كنيسة القيامة ، على تقرير وضع في عهد الانتداب البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٧) ، ويظهر ان واضعه من كبار موظفي حكومة فلسطين ، وقد جاء فيه ان تلك العادة (اي عادة احتفاظ المسلمين بمفاتيح القيامة وفتحها) وضعها المماليك سنة ١٢٨٩ م .

وعندما قرأت هذا التقرير رجعت الى التاريخ فوجدت فيه انه كان على كرسي السلطنة يومئذ السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون . وقد عقد هذا السلطان مع الفرنج هدنة (١٢٨٣ م) جعلت جميع الديار المصرية والحجازية والشامية والاردن وفلسطين - بما فيها القدس - تابعة له . وبعد ذلك بستين (١٢٨٥ م) اصدر السلطان مرسوماً يقضي بالان يستخدم في وظائف الدولة احد من اهل الذمة - اليهود والنصارى - في وظائف الدولة . هذا ما ذكره المؤرخون . ولعل تسليم مفاتيح القيامة للمسلمين جاء في اعقاب ذلك المرسوم الذي أشار اليه الطبري في الصفحة ١١٨ من الجزء الرابع عشر من كتابه (تاريخ الدول والملوك) والدكتور محمد جمال الدين سرور في الصفحة ٢٣٣ من كتابه (دولة ابن قلاوون في مصر) .

وهناك من يقول ان السلطان سليمان القانوني (١٥٤٠ م) هو الذي عهد الى المسلمين بتلك المهمة . وان ابراهيم باشا عندما هبط القدس (١٨٤٠) أيدها . ولم اعثر الى الآن على أية وثيقة تاريخية تحدد بالضبط التاريخ الذي تسلم فيه المسلمون مفاتيح القيامة . وكل ما استطيع ان أقوله بعد ان درست الموضوع من جميع وجوهه واطلعت على البراءات والفرمانات السلطانية التي بيد الفريقين ، هو : ان آل جودة هم الامناء لمفاتيح الكنيسة ،

« ان آل نسيبة ظلوا امناء على ابواب الكنيسة من الفتح العمري حتى الفتح الصليبي . وانهم عند مجيء الصليبيين رحلوا عن القدس مع من رحل عنها من المسلمين ومن المسيحيين الشرقيين الارثوذكسيين . فنزلوا قرية بورين من أعمال نابلس وسكنوا فيها . ولم يعد آل نسيبة الى القدس بعد الفتح الصلاحي مباشرة » .

« فأمر السلطان صلاح الدين ان تسلم المفاتيح الى آل غضية وهم اجداد آل جودة . ولما عاد آل نسيبة من قرية بورين طالبوا بحقوقهم ، فعزّ على القاضي آنذاك ان ينقض حكماً مضى عليه ربح من الزمن ، وقضى بأن تبقى المفاتيح بيد آل غضية على أن يتولى آل نسيبة فتح الأبواب . ورضي بحكمه الطرفان . وهكذا رجعت العادة منذ ذلك الزمان » .

ويقول آخرون يؤيدهم آل جودة : « انهم امناء مفاتيح القيامة منذ عهد صلاح الدين (١١٨٧) وان آل نسيبة يقومون بمهمة الفتح منذ ذلك العهد أيضاً . وان السبب الذي حدا بصلاح الدين لعماله ذلك انه ، بعد ان سمح للصليبيين ان يغادروا المدينة بعد دفع الفدية المتفق عليها . خشي ان يعودوا فيتمسروا اليها بثياب الحجاج والرهبان ! وان يصبحوا ، مع الزمن ، من الكثرة بحيث يتكثرون ويؤلفون قوة تهدده وجنده في المدينة . وكان للكنيسة يومئذ مدخلان كبيران فأغلق السلطان احدهما وأبقى الثاني » .

وتوارث آل جودة ، وكانوا قبلاً يدعون (آل غضية) ، هذه الوظيفة عن آباءهم واجدادهم . وهناك قول ثالث : « ان هذه المهمة في يد المسلمين منذ عهد المماليك » .

واما المرحلة الثالثة فانها عند الزاوية القائمة على مفترق الطريقين : طريق الآلام والطريق التي تصل بين الواد وباب العمود . حيث يقوم دير الارمن الكاثوليك والبولونيين . هنا وقع السيد المسيح على الارض مغشياً عليه .

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي على بعد بضعة امتار من الثالثة . هنا التقى المسيح بأمه مريم البتول .

والمرحلة الخامسة تراها عند الزاوية الكائنة عند ملتقى طريق الواد باول المقبة المعروفة بـ (عقبة المقي) . هنا شعر السيد المسيح بثقل الصليب الذي



« عقبة المقي - جزء من درب الآلام »

كان يحمله ، وكاد يسقط على الارض . فجاء سمعان القيرواني وساعده في حمله .

وان آل نسيبة هم الذين يقومون بمهمة الفتح ، وان هذه المهمة تقوم بها هاتان العائلتان الاسلاميتان العريقتان منذ مدة لا تقل عن ثمانية قرون . وفوق كل ذي علم عليم .

درب الآلام :

وهناك **درب الآلام** وهي مقدسة في نظر المسيحيين لاعتقادهم بان السيد المسيح سلكها حاملاً صليبه يوم ساقه جنود الرومان للصلب ، بعد ان حكم عليه الوالي الروماني بالموت .

ان هذه الدرب التي نسميها اليوم **درب الآلام** ويسمىها الفرنجة **Via Dolorosa** عبارة عن اربع عشرة مرحلة : تسع منها خارج كنيسة القيامة وخمس في داخلها .

اما **المرحلة الاولى** فانها تبدأ في الموضع الذي اتخذته الوالي الروماني تيطس مقراً له ، يوم اصدر حكمه بموت السيد المسيح . ويعتقد معظم المؤرخين ان ذلك الوالي كان يقيم في مكان ما . في البقعة التي تقوم عليها الآن مدرسة (الروضة) ومدرسة راهبات صهيون وما بينها من بقاع . وانه هنا تم تنويع المسيح باكليل من الشوك .

وفي **المرحلة الثانية** وهي القريبة من المكان المتقدم ذكره ، طلب الجند من المسيح ان يحمل صليبه فحمله . هنا على مقربة من هذا المكان قوس يسمونه **Ecce Homo** . انه الآن جزء من العمارة التي تملكها راهبات صهيون . ويعتقد المسيحيون ان الوالي الروماني خاطب اليهود الذين كانوا مجتمعين في هذا المكان ليروا ماحل بالمسيح . خاطبهم مشيراً بيده الى المسيح ، قائلاً : **Ecce Homo** اي : هذا هو الرجل !



« قبر البستان »

اختلف المسيحيون في تعيين المكان الذي صلب فيه السيد المسيح : فمنهم من يقول ، ومعظم هؤلاء من الكاثوليك ومن اتباع الكنائس الشرقية ، انه صلب في الموضع الذي تقوم عليه كنيسة القيامة . وهو الموضع الذي اكتشفت فيه الملكة هيلانة خشبة الصليب . وهذا ما حدا بها لبناء كنيسة القيامة . وقولهم هذا اقدم عهداً واكثر انتشاراً من غيره .

ومنهم من يقول ، وهؤلاء فئة قليلة من الانكليز البروتستانت ، انه صلب في الموضع الذي يقوم عليه قبر البستان . ويقع هذا شمالي المدينة وعلى بعد بضعة مئات من الامتار من سورها تجاه الباب المعروف بباب العمود . وهذا رأي حديث العهد .

وهناك كثيرون لا يزالون يترددون في قبول هذا الرأي أو ذاك ، لاعتقادهم بأن الدليل القاطع لم يقدّم ليقتنعهم اي الرأيين أصح من الآخر .

ويقول هؤلاء انه لم يرد في الانجيل ما يشير بالضبط الى موضع الصلب ، وإن جاء فيه ما يدل على أنه « صلب في موضع يقال له (الجمجمة) او

واذا ما سرت غرباً مررت بالمرحلة السادسة حيث ترى الى يسارك معبداً للروم - الكاثوليك المعروفين بالملكين . هنا في هذا المكان يقوم منزل القديسة فيرونিকা Veronica وقبرها . انها هي التي مسحت عرق المسيح من على جبينه .

والمرحلة السابعة عند ملتقى درب الآلام بالطريق التي تربط باب خان الزيت بباب العمود . ويسمى الفرنجية Porta Judicaria . وفي قول ان السيد المسيح من هذا الموضع خرج من المدينة . وسقط على الارض مغشياً عليه للمرة الثانية .

واما المرحلة الثامنة فانها واقعة في عقبة الجحاشية عند الدير المعروف بدير خار الامبوس للروم الارثوذكس . وفي هذا الموضع خاطب السيد المسيح المرأة التي كانت تسير من خلفه باكية . وفي قول : الذنوة اللواتي كن يسرن من خلفه باكيات . فخطبهن قائلاً : لا تبكين علي ، بل ابكين على بلدكن التي ستؤول الى خراب ! . .

والمرحلة التاسعة عند دير الاقباط الى الشرق من كنيسة القيامة ؛ حيث رزح المسيح تحت الصليب من الحمل وشدة التعب .

واما المارحلة العاشرة فانها في داخل الكنيسة . . عند الجلجثة . . وكذلك قل عن المراحل الثلاثة : ١١ و ١٢ و ١٣ . واما المرحلة الرابع عشرة والاخيرة فانها عند القبر المقدس نفسه .

قبر البستان :

بعد أن حدثناك عن القيامة وعن درب الآلام - وهي الدرب التي سلكها السيد المسيح وهو ذاهب ليصلب - نرى من الفائدة ان نحدثك عن المكان المعروف بقبر البستان ويسميه الفرنجية : Garden Tomb



« قبر البستان »

الاعتقاد بان هذه الاوصاف مطابقة للاوصاف التي وردت في الانجيل عن المكان الذي صلب فيه المسيح ودفن .

٣- ولقد حذا نفر من اتباعه حذوه بعد حين . فراحوا يذيعون بين الملا ان المسيح صلب في هذا المكان ، وليس في المكان الذي بنيت فيه كنيسة القيامة متخذين الخريطة التي رسمها رسام الخرائط المعروف خريستيانوس ادرينخوم

Christianus Adrichom

لمدينة القدس عام ١٥٨٤ ، وفيها يرى الناظر موضع الجلجثة ومكان القبر المقدس خارج الباب الى الشمال من سور المدينة .

٤- ويمضي مؤيدو هذا الرأي في حججهم فيقولون ان مكان الكنيسة الحالي لم يكن يوم صلب السيد المسيح خارج السور . بل كان هذا (اي السور) يمتد الى ابعد من ذلك . بدليل ان بركة حزقيا الواقعة على بعد بضعة امتار من كنيسة القيامة من الجنوب الغربي والمعروفة في يومنا هذا بـ : (بركة حمام البطريرك) كانت في زمن الرومان داخل السور ، ولم تكن خارجه . وقد حفرها حزقيا خصيصاً لتشرب المدينة من مائها اثناء الحصار .

(الجلجثة) (١) ، وان ذلك الموضع كان قريباً من المدينة (٢) ، وانه كان في الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان ، قبر جديد لم يوضع فيه احد قط (٣) .

ولما كنا قد ذكرنا في الفصل السابق ما تيسر لنا جمعه عن الرأي الاول ، وهو القائل بأن السيد المسيح دفن في المكان الذي تقوم عليه كنيسة القيامة ، وذكرنا ما نعرفه عن تاريخ هذه الكنيسة ، وهي اقدس مكان في نظر المسيحيين ، فانا نرى ان نذكر في السطور التالية ما نعرفه عن الموضع الاخر : وهو (قبر البستان) .

٢- ان اول من قال بهذا الرأي ، وهو ان السيد المسيح صلب في هذا المكان وليس في المكان الذي تقوم عليه الان كنيسة القيامة ، هو الجنرال غوردن الذي قتله الدراويش في الخرطوم (١٨٣٤) . فقد كان هذا الجنرال - كلما زار القدس - يأتي الى هذا المكان ، ويصلي فيه . وكلما صلى واطال النظر فيما حوله كان يزداد اعتقاداً بان السيد المسيح لا بد وان يكون قد صلب ودفن في هذا المكان ، لوقوعه على مقربة من التل الذي كان اليهود يرمجون فيه المحكومين ويصلبونهم ويلقون بجثثهم في الوادي القريب منه . وكذلك كان يفعل الرومان .

فالقبر هنا محفور في الصخر . والصخر متصل بالسور . وهو (اي الصخر) محفور بشكل يشبه الجحمة او الجلجثة . وهذا ما حدا بغوردن الى

- (١) انجيل متى الاصحاح ٢٧ العدد ٣٣ . وانجيل يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ١٧ . وانجيل مرقس الاصحاح ١٥ العدد ٢٢ .
- (٢) انجيل يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٢٠ .
- (٣) انجيل يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٤١ .
- (٤) هناك اعتقاد بان التل هو الذي تقوم عليه الان المقبرة المعروفة بباب الساهرة وهي المملوكية .

الروم الارثوذكس

دياراتهم كثيرة نذكر منها :

١ - دير أبينا ابراهيم في ساحة كنيسة القيامة في الناحية الشرقية الى الجنوب . عمرته الملكة هيلانة حوالي سنة ٣٣٥ م . وخربه الفرس ٦١٤ م . وظل موضعه خراباً الى ان أخذه الروس من الاتراك (١٨٨٧ م) . فأعطوا قسماً منه للروم ، حيث بنوا ديرهم هذا . وبنواهم على القسم الآخر ديرهم القريب من باب خان الزيت والمعروف بـ (المسكوبية) . فيه اليوم كنيسة ابراهيم : احدهما صغيرة باسم (أبينا ابراهيم) . والاخرى كبيرة باسم (الرسل الاثني عشر) .

٢ - دير مار يوحنا المعمدان : بين سوقة علون والشارع المؤدي الى حارة النصارى . فيه كنيسة ابراهيم : واحدة تحت الارض . طرازها بيزنطي . بنيت سنة ٤٥٠ م . والاخرى فوقها بنيت عام ١٠٤٨ م . عندما احتل الصليبيون القدس اتخذوا الدير والكنيسة مستشفى ومقرّاً لفرسان مار يوحنا (١٠٩٩ م) . وعند ما استرد صلاح الدين القدس أعاد البناء مع ما أعاده من الابنية الاخرى الى الروم (١١٨٧ م) .

٣ - كنيسة ستنا مريم : في وادي قدرون عند ملتقى الطرق المؤدية الى باب الاسباط وسلوان وجبل الطور . بناها ماركيانوس امبراطور بيزنطية (٤٥٠ - ٤٥٧ م) . وفيها قبور يواكيم وحنة والدي مريم البتول ، وقبر مريم نفسها ويوسف النجار . انها للأرمن والروم . وفيها حجرة يصلي فيها الأقباط والسريان .

٤ - دير مار سابا : على مقربة من سلوان .

٥ - وجدير بالذكر ايضاً ان القائلين بنظرية قبر البستان ، ينكرون الاتجاه الحالي لدرب الآلام ؛ فيقولون انها تبدأ عند قصر بيلاطس (مكان الروضة) ثم تتجه نحو باب العمود ، وتنتهي عند الزاوية الادمية حيث مكان الجمجمة .

٦ - تأسست سنة ١٨٩٣ جمعية باسم (جمعية قبر البستان بالقدس) The Garden Tomb (Jerusalem) Association Church of England وهي خاضعة لكنيسة انكلترا وهي التي تقوم على حراسة هذا المكان الذي تم شراؤه سنة ١٨٧٢ .

٧ - انه اليوم عبارة عن غرفة منقورة في الصخره ، ارتفاعها ستة اقدام وسبع بوصات ، وعرضها احد عشر قدماً وبوصتان . والغرفة مقسومة الى قسمين : في القسم الشرقي منها ثلاث جوار ، تتسع كل واحدة منها لجثة انسان . واحدة منها تامة الصنع . والاخران لم تتما . احدهما تبدو كأنها أعدت لانسان بالغ ، والاخرى لطفل .

وهناك بستان جنوبي القبر . يحده من الشمال والشرق تل مرتفع ، عليه مقبرة هي المعروفة بمقبرة الساهرة ، وهي بيد المسلمين .

٨ - والغريب في الامر ان المستر ماي^(١) R. S. W. May الموظف المشرف على قبر البستان في يومنا هذا (١٩٤٧) من الذين يشكون في صحة الرأي القائل ان السيد المسيح صلب او دفن في هذا المكان ! حتى انه استقال من منصبه بسبب الشك الذي ساوره في هذا الصدد طوال السنين التي قضاها في هذا البلد .

(١) انه انكليزي الجنسية وبرونستاني المذهب .

٨ - دير المصلبة : في ظاهر القدس الى الغرب .
انه دير قديم انشأه^(١) الامير ماريام الكرجي
أيام الملك قسطنطين حوالي سنة ٣٣٠ للميلاد . وفي
قول آخر ان الذي بناه هو الامبراطور يوستينيانوس ،
وان ذلك جرى بين عامي ٥٢٧ و ٥٦٥ للميلاد .
فيه كنيسة .

٩ - دير البنات : مجاور لحان الاقباط من
ناحية الشمال . بناء البطريرك الياس (٥٩٤) . فيه
كنيستان : إحداهما ارضية باسم (القديسة ميلانيا) .
والاخرى فوقها باسم (مريم الكبيرة) او (العذراء
البكر) .

١٠ - دير مار الياس قبلي القدس ، على طريق
بيت لحم . انه دير قديم . أنشأه هرقل الملك خلال
القرن السابع للميلاد (٦١٠م) . فهدمه الفرس
(٦١٤م) . وأعيد بناؤه سنة ١١٦٥م من لدن عمانوئيل
قومنينوس . وتجدد في زمن البطريرك دوستيوس
سنة ١٦٧٨م . فيه كنيسة .

١١ - دير الجليل : فوق جبل الطور . فيه
كنيسة قديمة يسميها الروم (غاليليا) والمقدسيون
(إيليا) . يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح ظهر
لتلاميذه بعد قيامه لأول مرة في هذا المكان .
وقد بنوا في الموضع نفسه كنيسة أسموها :
(كنيسة العذراء) .

١٢ - دير القطمون : في الحي المعروف
بالقطمون غربي القدس . كان بيد الكرج ، ثم صار
الى الروم . فيه كنيسة . وفي داخل الكنيسة قبر
القديس سمعان . وكانوا يسمونه (دير سمعان) . انه

بناه^(١) القديس سابا حوالي ٤٨٤ م . فيه كنيسة
أنشئت عام ٥٠٣ م . وعمارات أضيفت اليه على
عهد الامبراطور جوستانيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) .
وفيه مكتبة فيها ثلاثة آلاف مجلد . ولا يجوز
دخول النساء لهذا الدير عملاً بوصية القديس سابا
الذي لم يسمح حتى لأمه بدخوله .

٥ - دير العذراء : ويسمونه دير ستنا مريم .
واقع الى الجنوب من كنيسة القيامة ، بينها وبين
المسجد العمري . انه دير بيزنطي قديم . بني في
عهد البطريرك الياس الاول (٤٩٤ م) .

٦ - الدير الكبير : ويعرف بدير قسطنطين .
ويسميه اليونان (كندر كسون مناستريوت) اي
الدير المركزي . واقع الى الجنوب من بطريركية
الروم في حارة النصارى . بناء البطريرك الياس
الاول (ايليا) الذي تولى شؤون البطريركية سنة
٤٩٤ ميلادية . ويعتبر اليوم قاعدة أديار الروم في
فلسطين . فيه ثلاث كنائس : (١) كنيسة القديسة
هيلانة (٢) كنيسة القديسة تقلا (٣) كنيسة
مار يعقوب . وفي هذه الكنيسة معبدان صغيران :
واحد باسم (الشهداء الاربعين) . والثاني باسم
(حاملات الطيب) .

٧ - دير القديس تيؤدوسيوس : انشيء في
نفس التاريخ الذي أنشيء فيه دير مار سابا (٤٨٤م) .
واقع بين بيت لحم ومار سابا . ويسميه العرب دير
ابن عبيد . لانه كائن في المنطقة التي تعيش فيها
عشيرة العبيدين . ذكره ابن البطريق فقال : انه دير
الدواكس . وكان به مودسطس الراهب الذي عمر
كنيسة القيامة بعد ان دمرها الفرس .

(١) هذا ما قاله المؤرخ اليوناني بنيامين بوانيدس في الصفحة ٢٦٤
من كتابه الذي طبعه في مطبعة دير الروم بالقدس
سنة ١٨٧٧ م .

(١) (كلام في وصف الارض المقدسة) للمؤلفه باسيلي نقولا ختروفو .
عربة عن الروسية حنا عيسى .

الميلاد في اليوم الخامس والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) .

ومن بطاركة الروم الذين اشتهروا في عهدهم الياس (إليا) ٤٩٤ م . وكان هذا عربي الاصل من نجد . وله آثار في القدس منها دير قسطنطين . ومنهم صفرونيوس الأول (٦٣٤ م) . وعلى عهده فتح المسلمون بيت المقدس . وصفرونيوس هذا عربي الاصل ، وان كان اسمه يونانياً (معناه العفيف أو ذو العقل السليم) . ذلك لأن البطاركة درجوا على عادة تسميتهم بالاسماء اليونانية .

وعندما احتل الصليبيون البلاد (١٠٩٩ م) ، ساد فيها حكم الكنيسة الغربية . وعندما انهزم الصليبيون على يد صلاح الدين تنفس الروم الصعداء . وكان جميع البطاركة الأورشليميين (من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٥٢٥) عرباً . أي أن الأساقفة العرب انفردوا في ادارة شؤون الكنيسة الاورشليمية مدة ٢٣٤ سنة .

على عهد البطريرك داميانوس الأول (١٨٩٧ م) اشتد الخلاف بين طائفة الروم من ابناء البلاد ورجال الاكليروس اليونانيين . وقد حاول ابناء البلاد ولا يزالون يحاولون التخلص من سيطرة رجال الدين الأجانب .

الروم الكاثوليك :

في القدس ابرشية للروم الكاثوليك ، انشأها البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٤٨ م . تقوم هذه الابرشية في يومنا هذا في حارة الموارنة . وفيها نائب بطريركي هو الارشمندريت جبرائيل ابوسعدى . يرجع في اموره الى بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق . وهو اليوم (١٩٤٧) مكسيموس الرابع

مقر الكرسي البطريركي في فصل الصيف . وكان الروم ينزلون فيه الحكام والمتصرفين .

١٣ - وهناك ديارات نذكر منها : (حبس المسيح) على طريق الآلام . و (دير مار خوالاموس) بعيد الخانقاه الصلاحية من الجهة الشرقية . و (دير السيدة) على مقربة من الخانقاه المتقدم ذكرها . و (ودير مار افتيموس) وهو ملاصق لدير السيدة من الشمال . و (دير العيس) ويسمونه دير مار نيكوديمس ، فوق حبس المسيح في حارة السعدية . و (دير صهيون) على جبل صهيون . و (دير مار جرجس) وهو ملاصق لدير اللاتين من الشرق . وهناك دير آخر بهذا الاسم الى الشرق من دير الارمن . و (دير مار ميخائيل) مجاور لبطريركية الروم من الشمال . و (ودير القديسة كاترين) في حارة الغصاري بين الخانقاه الصلاحية ودير اللاتين . و (دير مار سيريديون) في حارة الحدادين . و (دير مار ديتري) في حارة النصاري على طريق الكازانوف . و (ودير مار تقولا) غربي البطريركية . و (دير مار قادوس) بجانب الدار الجديدة المعروفة بالكازانوف . و (دير القديس انوفريوس) في الوادي الكائن بين جبل صهيون وجبل أبي ثور . و (ودير ابي ثور) على جبل المكبر . و (دير العازر) في العيزرية على مقربة من القدس الى الشرق . وفي كل واحد من هذه الاديرة معبد يعبدون الله فيه .

واللروم الإرتوذكس بطريرك هو اليوم (تيموثيوس) . وقد تولى البطريركية قبله خمسة وتسعون بطريركا . أولهم الاسقف (يوفيناليوس) وهو اول من سمي بطريركا لاورشليم . وقد تم ذلك سنة ٤٥١ ميلادية . وهو الذي اقر الاحتفاء بعيد

التركي جمال باشا الى كلية اسلامية اسمها : (كلية صلاح الدين) . واما الكنيسة فلم يمسه ضرر . ولما احتل الانكليز القدس (١٩١٧ م) أعادوا العمارة الى الآباء البيض . فأنشأ هؤلاء فيها مكتبة ومتحفاً .

٢ - وللروم الكاثوليك في القدس داريسمونها : (دار القديسة فيرونيكا) . واقعة في عقبة الملقى ، على درب الآلام . بنيت في المكان الذي مسحت فيه هذه القديسة وجه السيد المسيح وهو مار من هناك حاملاً صليبه . وكانت الارض ملكاً لمسلم من سكان القدس هو (عبد الرحمن حدوثة العلم) . فباعها بثلاثة آلاف ليرة فرنسية ذهباً . وحصل الروم الكاثوليك على فرمان من السلطان بتاريخ ١٨٩٤ م فأنشأوا فوقها كنيسة باسم القديسة فيرونيكا .

الارساليات الكاثوليكية وبطاركة اللاتين :

عندما أنشأ البابا بيوس التاسع عشر بطريركية اللاتين في اورشليم (١٨٤٧) نشأ خلاف بين البطريرك (يوسف فاليركا) الذي أقامه قداسة البابا وبين الآباء الفرنسيين . اذ اعتقد هؤلاء أنهم أحق من غيرهم في إدارة الاماكن اللاتينية . وانقسم اللاتين الى فئتين : فئة تؤيد البابا ومندوبه البطريرك . وأخرى تعضد الآباء الفرنسيين . وراح البطريرك يبحث الرهبان في القارة الاوربية على المهني الى فلسطين . ومما شجع هؤلاء على المهني الى هذه الديار الضغط الذي ألم بالجمعيات الدينية بفرنسا ، والتشريعات الجديدة التي سنت فيها لمطاردة الرهبان بايعاز من المحافل الماسونية ، وقال المطران مكسيموس مظلوم في الصفحة ٣٧١ من كتاب (تاريخ الحرب المقدسة في الشرق) . ذلك الكتاب الذي ترجمه عن الفرنسية لمؤلفه

صايغ بطريرك انطاكية وسائر المشرق والاسكندرية واورشليم .

والروم الكاثوليك في القدس كنائس وأديرة نذكر منها :

١ - كنيسة القديسة حنة : بين باب حطه وباب الاسباط ، الى الشمال من الحرم القدسي . يعتقد المسيحيون ، أنه هنا في هذا المكان كان فيا فرط من الأيام مسكن يواكيم وحنة والذي مريم البتول . وفي هذا المكان بركة حسدا حيث اتى السيد المسيح بإحدى معجزاته . وفيه بنى في القرن الرابع للميلاد معبد كما بنيت كنيسة باسم مريم البتول في سنة ٥٣٠ م . ويظهر ان هذه الكنيسة احترقت مع ما احترق من كنائس النصارى على يد الفرس عام ٦١٤ م . فاعاد الصليبيون بناءها عندما فتحوا القدس ١٠٩٩ م . وكانت تدعى كنيسة القديسة حنة . وجعل صلاح الدين هذه الكنيسة رابطاً للصالحين ومدرسة للفقهاء الشافعيين سنة ١١٨٨ م . وكانت هذه تعرف فيما مضى بـ (صند حنة) . وسميت بعد الفتح الصلاحي بالصلاحية . وحدث زلزال خلال المدة الواقعة بين ١٨٢١ و ١٨٤٢ م . هدمت على اثره جدران الدير . فنقلت الحكومة العثمانية حجارته وبنيت بها الثكنة العسكرية المجاورة له .

وعندما انتهت حرب القرم بانتصار تركيا (١٨٥٥ م) سلم السلطان عبد المجيد هذا المكان الى نابليون الثالث اعترافاً بفضله . ذلك لأن فرنسا عاضدت تركيا في حربها مع الروس . وسلمه المتصرف كامل باشا الى الفرنسيين (١٨٥٦ م) . فأنشئت فيه مدرسة (١٨٧٨ م) . وانقلبت هذه الى كلية إكليريكية (١٨٨٢ م) . وفي الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ م) احتلها الجيش التركي ، وحولها للقائد

ابتاعوه من الكرج سنة ١٥٥٩ م . فيه مكتبة قيمة وفيه مدرسة وكنيسة وميتم وصيدلية ومطبعة وفرن ومطحنة وعدة معامل .

٢ - الكازانوف : ويسمونها الدار الجديدة . واقعة بين الباب الجديد ودير الافرنج ومعدة لتزول الحجاج والزوار المسيحيين .

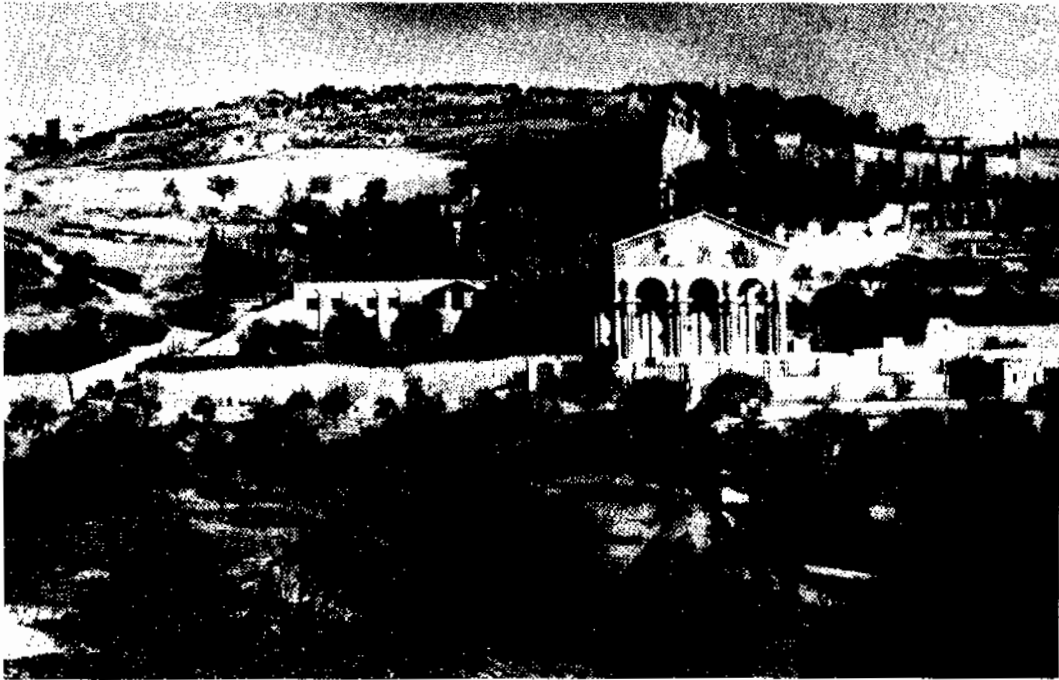
٣ - دار البطريركية : على مقربة من الكازانوف ودير المخلص . أنشأها البطريرك يوسف فاليركا سنة ١٨٦٣ م . فيها يقيم بطريرك اللاتين . وفيها مدرسة اكليركيه وكنيسة باسم يسوع .

٤ - الجسانية : كنيسة جميلة واقعة في وادي قدرون عند ملتقى الطرق بين القدس والطور وسلوان . بنيت سنة ١٩٢٤ . واشترك في بنائها جميع اللاتين في العالم . والمعتقد أن رئيس كهنة اليهود وجنده ألقوا القبض على السيد المسيح بدلالة يهوذا الاسخريوطي في هذا المكان .

(مكسيموس مونرند) ابن المسيحيين راحوا يزورون القدس في الجيل السادس عشر وما بعده بكثرة ؛ لا يقصد العبادة فحسب ، بل وحماية الاماكن المقدسة بالطرق السلمية ؛ إذ كان المسلمون يومئذ أقوياء ، وما كان من السهل اشهار حرب صليبية عليهم كالحرب التي قامت في القرن الحادي عشر . ومن الرهبانات التي تأسست في القدس :

الاباء الفرنسيسيون : ويلقبهم المقدسيون بد (رهبان أبي حبة) . عهد اليهم البابا غريغوريوس التاسع بخدمة كنيسة القيامة عام ١٢٣٦ م . وتزعموا حراسة الاماكن اللاتينية المقدسة من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٨٤٧ م . ويدهم فرمانات الممالك والأتراك . ومن أملاكهم في القدس :

١ - دير المخلص : ويعرف بدير اللاتين . واقع في الجهة الغربية الشمالية من حارة النصارى .



« كنيسة الجسانية »

على سفح جبل الزيتون من الغرب

مقربة من بطريركية الروم الكاثوليك . انشئ عام ١٨٥٠ . وتم تجديده في ١٩٣٠ م . فيه كنيسة وفيه مدرسة للبنات . ولراهبات مار يوسف مدرسة ثانوية للبنات خارج السور . وميتم على مقربة من المدرسة المذكورة .

١١ - **راهبات صهيون** : جئن الى القدس عام ١٨٥٦ م . لهن فيها دير على طريق الالام ، فيه مدرسة وكنيسة وميتم .

١٢ - **رهبان صهيون** : جاءوا الى القدس عام ١٨٧٣ . ولهم فيها مدرسة هي التي عرفت بالراتيون ، وتعرف ايضا بمدرسة القديس بطرس . وهي مدرسة صناعية واقعة على بعد بضعة امتار من مقبرة ماملا . وفيها كنيسة .

١٣ - **الترل النمساوي** : ويسمونه هوسبيس النمسا . واقع في حارة الواد على طريق الالام . بني عام ١٧٥٦ م . وبات فيه امبراطور النمسا فرنسوا جوزيف ليلة عندما زار القدس ١٨٦٩ وفيه كنيسة .

١٤ - **راهبات الكرمل** : جئن الى القدس عام ١٨٧٣ . وشيدن على جبل الزيتون ديرا يعرف باسمهن . انهن لا يظهرن على احد من الناس طيلة حياتهن .

١٥ - **الفرير** : ويسمونهم **اخوة المدارس المسيحية** . جاءوا الى هذه البلاد عام ١٨٧٦ م . ولهم في حارة الجوالدة من حارات القدس دير وكنيسة ومدرسة كبيرة .

١٦ - **الاياء البيض** : جاءوا الى القدس عام ١٨٧٨ م . واسسوا فيها كنيسة القديسة حنة المعروفة في يومنا هذا بالصلاحية . ذكرنا عنهم الشيء الكثير في الفصل الذي خصصناه للروم الكاثوليك .

١٧ - **الراهبات الوردية** : ينتمين الى رهبنة

٥ - **كنيسة مار فرنسيس** : واقعة الى الشمال من مقام النبي داود . بنيت فوق أرض كانت في الأصل ملكاً لجماعة من آل الدجاني . وقد ابتاعها الابهاء الفرنسييون حوالي عام ١٩٣٠ .

٦ - **حبس المسيح** : واقع الى الشمال من القسلة القديمة ، أمام الروضة ، وعلى مقربة من الطريق المؤدية الى باب الاسباط . يعتقد اللاتين ان السيد المسيح جلد وأهين في هذا المكان من قبل جند الرومان .

٧ - **الابهاء الدومينيكون** : ومن اسمائهم (**رهبان مار عبد الاحد**) . جاءوا الى القدس عام ١٨٨١ م . ولهم فيها دير وكتدرائية تدعى (سانت اتيان) او (كنيسة القديس اسطفان) . بنيت في عهد البطريرك جوفينال (٤٢٨ - ٤٥٨) انها واقعة على بعد نصف كيلومتر من باب العمود الى الشمال . خربها الفرس عام ٦١٤ م . وبني على انقاضها البطريرك صفرونيوس (٦٣٨ م) معبدا صغيرا باسم القديس اسطفان . خربه الصليبيون خشية ان يلجأ اليه المسلمون الذين جاءوا يومئذ (١١٨٧) لحصار بيت المقدس . والكنيسة الحالية بنيت عام ١٨٩٨ م . وسميت الكنيسة الملوكية الصغرى .

٨ - **الابهاء الكرمليون** : هبطوا البلاد عام ١٦٣٦ م . لهم في حيفا وعلى جبل الكرمل كنائس واديار . واما في القدس فليس لهم سوى دير صغير في الطالبية ، ومعبد صغير باسم (القديسة تريزا) .

٩ - **راهبات مار يوسف** : هبطن القدس عام ١٨٤٨ م . ولهن فيها (مستشفى القديس لويس) تجاه السور من الشمال وعلى بعد خطوات من الباب الجديد . بنى عام ١٨٨٠ م .

١٠ - **دير مار يوسف** : في حارة الموارنة على

هو المعروف بـ (نوتردام دو فرانس) . انه عبارة عن عمارة ضخمة ، لا تبعد الا بضعة امتار عن الباب الجديد ، من ابواب السور الشمالية . بنى عام ١٨٩٩ م ، بقصد ايواء الحجاج الفرنسيين ونشر الدعاية لفرنسا . فيه كنيسة : واحدة كبيرة والاخرى صغيرة . وفيه متحف ومكتبة ومدرسة اكليزية . وهو مشرف على المدينة اشراقا تاما .

٢٤ - راهبات السجود : ويسمونهم راهبات القربان . جئن الى القدس عام ١٨٨٨ م . وأسسن فيها ديرا هو الذي نراه امام المستشفى الفرنسي على طريق سليمان . وفي الدير معبد باسم القربان المقدس ترى امامه ، في أي وقت دخلته راهبتين ساجدتين . ويتبادل الراهبات السجود مرة في كل ساعة .

٢٥ - الابهاء العازريون : هبطوا هذه البلاد عام ١٨٩٠ م . لهم في القدس العمارة الكائنة بباب العمود ، التي اتخذت في أوائل الاحتلال البريطاني مقرا لحاكم القدس . ولهم فيها أيضا دير الى الجنوب من مقبرة مامللا . وفي كلا الديرين معبد .

٢٦ - الابهاء الترايون : جاءوا حوالي عام ١٨٩١ م . وأسسوا ديرهم الشهير في اللطرون . عددهم اربعون يعيشون في صمت تام . وهم ماهرون بزراعة الكرمة وصناعة الالبان والخمور .

٢٧ - راهبات مريم الفرنسيات المرسلات : جئن الى القدس عام ١٩١٨ م . ويسمين الراهبات البيض . لهن دير بباب العمود تجسده نزل القديس بولس للألمان الكاثوليك . بنى هذا الدير عام ١٩٣٣ وفيه كنيسة ومصنع للتصوير والخياطة وميتم .

٢٨ - الابهاء الكبوشيون : جاءوا سنة ١٩٣٥ ولهم في الطالبة دير ومدرسة وكنيسة .

٢٩ - الجزوبت : ويقال لهم الابهاء اليسوعيون .

اسسها الاب يوسف طنوس الناصري عام ١٧٧٩ م . لهن في القدس مدرسة للبنات انشئت عام ١٨٨٣ م . ومستوصف وديران : واحد يجوار بطركية اللاتين والاخر الى الجنوب من مقبرة مامللا . وفي كلا الديرين كنيسة .

١٨ - رهبان مار يوسف : جاءوا الى القدس عام ١٨٧٩ م . فأسسوا مستشفاهم الكائن في الطنطور بين القدس وبيت لحم . وفي داخل المستشفى كنيسة .

١٩ - آباء القلب المقدس : جاءوا عام ١٨٧٩ وانشأوا ديرهم القريب من بيت لحم . كانت لهم مدرسة اكليزية . الا انهم في هذه السنة (١٩٤٧) نقلوها الى فرنسا . ولهم في داخل ديرهم كنيسة .

٢٠ - راهبات مار فرنسيس : ويعرفن بالفرنسيات الثالثيات . جئن الى القدس عام ١٨٨٤ م . وأنشأن ديرهن الكائن في حارة النصارى الى الشمال الشرقي من دير اللاتين . فيه كنيسة ، وفيه مدرسة داخلية تعرف ببيت اليتامى .

٢١ - راهبات مار كلارا جئن الى هذه البلاد عام ١٨٨٤ م . وأسسن ديرا على جبل المكبر في الطريق المؤدية الى الكلية العربية . لا يختلطن بأحد من الناس ، وفي ديرهن كنيسة .

٢٢ - راهبات المحبة : ويعرفن براهبات مار منصور . جئن الى القدس عام ١٨٨٦ م ، لهن معهد واقع على طريق مامللا . فيه عدد كبير من الأطفال والايتام والمعجزة والمعتمدين والعميان . وهناك كنيسة في داخل المعهد .

٢٣ - الابهاء الانتقاليون : ويسمونهم الرهبان الاضطوئين وهناك من يسميهم غلطا بالصعوديين . جاءوا الى القدس عام ١٧٨٧ م . واسسوا فيها نزلا

بناؤها في أواسط القرن الثاني عشر . وقال بعض المؤرخين^(١) إن هذا الدير كان في الأصل للكرج ، ثم صار للروم ، وكان يدعى فيما مضى دير القديس يعقوب الزبدي . ثم أخذ الأرمن من الروم بالأجرة . فصار لهم .

٢ - **دير الزيتونة** : ويسمونه دير مار أركانجل . واقع خلف دير مار يعقوب من الشرق . فيه مدرسة للبنات وكنيسة .

٣ - **حبس المسيح** : دير للأرمن واقع في حي النبي داود على جبل صهيون . فيه كنيسة صغيرة . وفي ساحته عدد من قبور بطاركة الأرمن واسافقتهم المتأخرين .

٤ - وللأرمن في كنيسة القيامة كنائس منها : **الجلجلة الثانية** وهي أمام القبر المقدس . و **كنيسة مار كريكور لوسا موريتش** ويسمونها كنيسة القديسة هيلانة . و **كنيسة المريمات** أمام قبر المسيح . و **كنيسة مار يوحنا في ساحة القيامة** .

٥ - ولهم جانب من **كنيسة ستنا مريم** عند مفترق الطرق المؤدية الى القدس وسلون وجبل الزيتون .

وللأرمن في القدس بطريركية يقوم عليها في يومنا هذا كوريخ الثاني واسمه إسرائيليان نور شوغايتسى وهو الرابع والتسعون بين البطاركة الذين تولوا رعاية الكنيسة والطائفة الأرمنية .

٦ - والأرمن أيضاً ، من حيث العقيدة ، فئتان : أرمن أرثوذكس . وأرمن كاثوليك . وللأرمن بطريركية أنشأها النائب البطريركي (أنطون يواكيم

(١) عن مخطوط عثر عليه في برلين ص ٤٤ مؤلفه الحوري ميخائيل بريك الدمشقي . وقد اطلعت عليه في مكتبة الاستاذ عيسى إسكندر المفلوف برحلة .

لهم في القدس (المعهد البابوي الاثري) في حي النيقوفورية . أسس عام ١٩٢٧ م . ومهمته دراسة الآثار القيمة بفلسطين .

٣٠ - وهناك **الرهبان السالزيون والراهبات السالزيات** في حي المصراة . و **الرهبان البندكتيون والراهبات البندكتيات** على جبل صهيون و **راهبات الجلجلة والاباء المعزون** وغيرهم كثيرون .

تلك هي الارساليات الكاثوليكية في القدس . وهي خاضعة للبابا في روما . وفي القدس بطريرك ينتدبه البابا ، لإدارة شؤون الطائفة اللاتينية . وفيها يلي أسماء البطاركة الذين تسلموا كرسي البطريركية : يوسف فاليركا ١٨٤٧ ، فنسان براكسو ١٨٧٣ ، لودفيكو بيافي ١٨٨٩ ، فيلبس كمساتي ١٩٠٦ ، لويجي برلاسينا ١٩٢٠ ، منصور جلاد (وكيل بطريرك) ١٩٤٨ ، ألبرتو غوري ١٩٥٠ .

الأرمن :

في القدس اليوم (١٩٤٧) خمسة الاف أرمني . وهم فئتان : فئة قديمة في **دير مار أركانجل** شرقي مار يعقوب . واخرى حديثة العهد هبطت القدس يوم غضب الاتراك على الأرمن في بلادهم فذبحوهم (١٩١٤ م) . وتعيش هذه الفئة في **دير مار يعقوب** .

وللأرمن في القدس ممتلكات - نذكر منها :

١ - **دير مار يعقوب** : ويسمونه **دير القديس جيمس الكبير** . واقع بين قشلاق البوليس وباب النبي داود . فيه دار البطريركية ، ومدرسة للاهوت ، ومطبعة ، ومكتبة فيها اربعة آلاف مخطوط وثلاثون الف كتاب مطبوع . كان في هذا الدير كنيسة قديمة هدمها الفرس عام ٦١٤ م . ثم أعيد

٤ - **خان القبط** : في حارة النصارى بين باب الخليل وكنيسة القيامة . بناء المطران الأنبا إبراهيم عام ١٨٣٩ م .

٥ - وللأقباط كنيسة السيدة في الجسمانية ، وهيكل على جبل الزيتون ، وكنيسة مار يوحنا خارج القيامة ، ومقبرة على جبل صهيون ، يدفن موتاهم فيها أيضاً السريان والأرمن والاحباش . وللأقباط في كنيسة القيامة أيضاً كنيسة صغيرة ملاصقة للقبر المقدس من الغرب .

الاحباش :

تنصروا خلال القرن الرابع ، وهبطوا القدس بعد ذلك التاريخ . وكان لهم فيها كنائس وأديار^(١) . إلا أنهم أضاعوا أكثرها مع الزمن . فلم يبق بأيديهم منها سوى :

١ - **دير الحبش** : ملاصق لكنيسة القيامة فوق مغارة الصليب . وقيل إنه جزء من دير السلطان للأقباط ، ذلك الدير الذي لم ينقطع الخلاف حوله بين الأقباط والاحباش منذ سنين .

٢ - **كنيسة الحبش** . في ظاهر المدينة خارج السور ، وإلى الشمال الغربي من المسكوبية . تم بناؤها حوالي عام ١٨٩٠ م . وإلى جانب هذه الكنيسة يقوم دير يسميه الاحباش : **دير الجنة** .

٣ - وللاحباش عمارات كبيرة شيدها الأب جرجس سيايت باسم الملكة (تايتو^(٢)) وينفق ريعها على الرهبان . هذا بالإضافة إلى المبلغ الذي تبرع به

(١) Enrico Cerulli كتاب وضعه باللاتينية Ethopi In Palesine. وضع في روما سنة ١٩٤٣ .

(٢) (المرسلات اللاتينية) لألفونس والونفوج ٢ من ١٠٧ .

تومايان) وكان ذلك سنة ١٨٨٦ م . ولهم دير بني في الموضع الذي التقت فيه مريم العذراء بالسيد المسيح وهو ذاهب للصلب . وكنيسة اسموها : **أوجاع العذراء** .

الاقباط :

هبطت أول قافلة قبطية مدينة القدس بقصد الاشتراك في تدشين القيامة . وكان ذلك في أواسط القرن الرابع للميلاد . وجاءت بعد ذلك قافلة أكبر من الأولى ، وكان ذلك على عهد صلاح الدين ، وكان الأقباط له مخلصين . فاراد أن يكافئهم على إخلاصهم ، فرد إليهم املاكهم التي اغتصبها منهم الصليبيون .

إن أول مطران قبطي رسم على القدس هو الأنبا باسيليوس (١٢٣٦ م) . وجاء من بعده سبعة عشر مطراناً . آخرهم المطران الحالي الأنبا ياكوبس (١٩٤٦ م) .

في القدس اليوم زهاء خمسمئة قبطي . وللقبط فيها املاك تذكر منها :

١ - **دير السلطان** : وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الشرقية . وفيه كنيسة : **كنيسة الملاك وكنيسة الطوائف الأربعة** . اغتصبه الصليبيون من الأقباط ، وردده اليهم صلاح الدين . ولهذا اسموه **دير السلطان** .

٢ - **دير مساو انطونيوس** : يعرف بالدير الكبير . وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الشمالية الشرقية وفيه كنيسة : **كنيسة القديس انطونيوس وكنيسة الملكة هيلانه** . وفيه أيضاً دار الأسقفية .

٣ - **دير مار جرجس** : في حارة الموارنة على مقربة من باب الخليل .

حارة الارمن واليهود . وفي الدير كنيسة بيزنطية باسم العذراء ، ودار للأسقفية . ولقد خربت الكنيسة البيزنطية على عهد الحاكم بامر الله الفاطمي (١٠٠٩ م) . وهجر الدير في غضون الحكم التركي . ولكن السريان عادوا اليه وعمره سنة ١٨٥٥ م . ثم وسعوه سنة ١٨٨٠ م .

٢ - دير العدى : شمال القوس المعروف بـ (أيكوهومو) على درب الآلام . عمره بتواريخ ١٥٧١ م .

٣ - دير مارثوما : في الشارع المؤدي الى حي النبي داود .

٤ - معبد صغير : في كنيسة القيامة باسم يوسف ونقوديموس .

٥ - معبد بالكنيسة المعروفة بستنا مريم على مقربة من الجسمانية .

٦ - معبد على جبل الزيتون .

وللسريان الأرثوذكس في القدس جمعيتان :

(١) جمعية مار مرقص . ولها مدرسة في شارع الانبياء ومطبعة ومكتبة .

(٢) جمعية الشبان السريان .

٧ - وأما السريان الكاثوليك فلهم دير سليمان بين باب العمود والنوتردام على بعد خمسين متراً من السور الشمالي . بني هذا الدار حوالي سنة ١٠٩١ م . وفيه كنيسة صغيرة .

٨ - ولهم دير يدعى دير مار مبارك أنشيء سنة ١٩٠٣ م . وهو واقع في باطن الهواء الى الشرق من سلوان . فيه كنيسة ، ومدرسة يديرها الآباء البندكتيون .

امبراطور الحبشة منليك سنة ١٩٠٥ م . وقدره مثنا الف تاليرا^(١) .

وكان لهم فيما مضى حق التقدم على الطوائف المسيحية الأخرى^(٢) . ولكنهم ضعفوا مع تقادم العهد وراحت الطوائف الأخرى تنازعهم في هذا الحق . وساءت حالتهم في اوائل القرن التاسع عشر ، وتناقص عددهم ، فلم يبق في القدس منهم في يومنا هذا أكثر من سبعين نسمة . كلهم ينتمون الى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية . يعيشون في ديرهم عيشة الفقر والمسكنة .

السريان :

هبطت أول قافلة منهم في القرن الأول للميلاد ، وكانت قليلة العدد ، إلا أن معظمهم جاءوا الى القدس مع الصليبيين . ولما احتل القدس صلاح الدين ، ورحل هؤلاء ، رحلوا معهم فلم يبق منهم في القدس سوى عدد قليل .

واليوم هم فئتان : أرثوذكس وكاثوليك . أما الأرثوذكس فان عددهم في القدس اليوم (١٩٤٧) الفان . وأما السريان الكاثوليك فانهم أربعمئة . جاء اكثرهم من شمال العراق والبلاد الواقعة شرقي ماردين .

وللأرثوذكس في فلسطين أبرشية مركزها القدس . وعليها الآن نائب بطريركي يرجع في أموره الى البطريرك الانطاكي . ولهم في القدس اليوم ممتلكات نذكر منها :

١ - دير مار مرقس : في حارة الجواعنة بين

(١) عملة ألمانية تساوي ٧٠ و ٣ فرنك بالوجه التقويبي .

(٢) سجل المحكمة الشرعية بالقدس ذو التاريخ ١٩ من ذي

الحجة ١٥٤٩ - ١٥٤٢ م .

الموارنة :

لأنعرف متى هبطوا القدس . وإن كنسا نعرف
انهم ينتمون الى مار مارون الذي عاش في لبنان
حوالي القرن الرابع للميلاد .

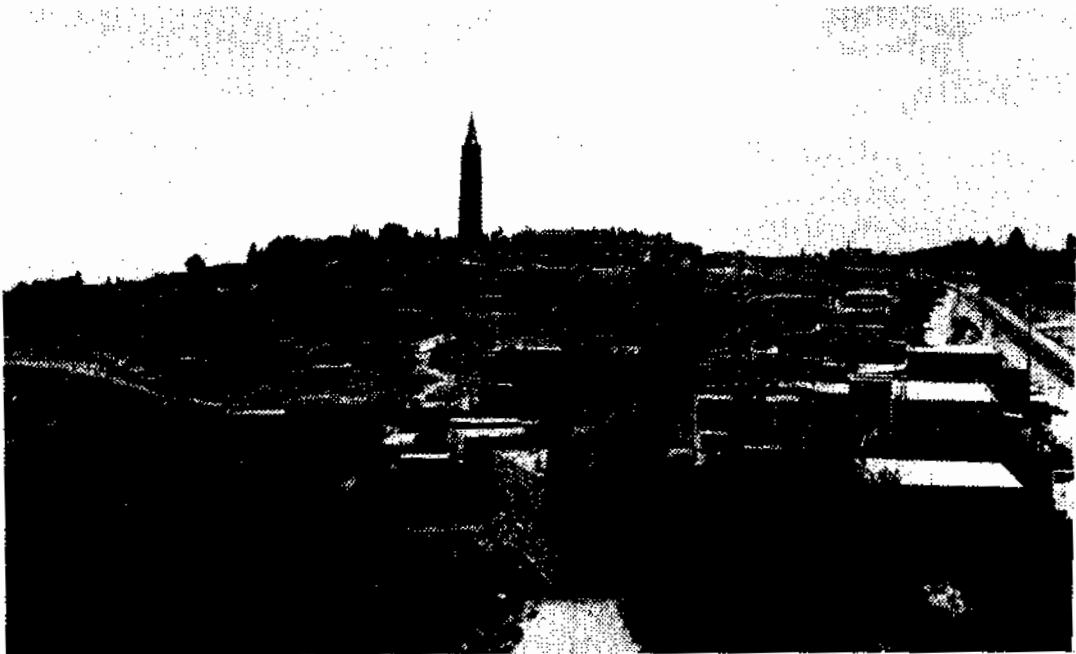
كانت لهم ، فيما مضى ، مكانة مرموقة في القدس .
وكانوا في القرنين السابع والثامن للميلاد يأتون بعد
الفرنجية من حيث الأهمية . وأما اليوم ، فانهم قلة
بين الطوائف المسيحية التي تعيش في القدس . وليس
لهم فيها سوى دير **الموارنة** الذي يعيشون فيه . وهو
واقع في الحي المعروف بحي **الموارنة** ، بين سوقة
علون وحارة الأمن . ولقد بني هذا الدير في ٦ أيار
١٨٩٥ .

الروس :

للروس مكان واسع الأرجاء يعرف **بالمسكوبية** .
وهو خارج السور . إنهم أول من شيد بناء

خارج السور . وكان ذلك حوالي سنة ١٨٥٦ م .
والمكان المذكور واقع على طريق يافا على بعد كيلومتر
من باب الخليل الى الغرب . يحيط به سور غير مرتفع .
وفيه دار الاسقفية الروسية ، وأخرى للقنصلية ،
ومستشفى ، وكنيسة . . احدها كبيرة تسمى
كنيسة الثالوث الأقدس ولها سبع قباب مصفحة
بالرصاص . والأخرى صغيرة بنيت على اسم **القديس**
إسكندر نيفسكي ، ومنازل عديدة لسنزل الحجاج
من الروس . الأول مخصص لسنزل الأشراف
الروسيين ، والثاني للكهنة المرسلين وفيه عدد من
القسوس . والثالث للنساء ويستوعب زهاء ألفي
إمرأة ، والرابع لطبقات الشعب الأخرى . وهذا
يتسع لألف وخمسة شخص .

وهناك دار للقنصلية وأخرى للقنصل وعائلته .
كما أن هناك منازل أخرى للكتابة والحجاب وسائر
المستخدمين . ولقد قامت معظم هذه المباني حوالي
سنة ١٨٦٠ للميلاد . وفي عام ١٨٨٧ شيد نزل آخر



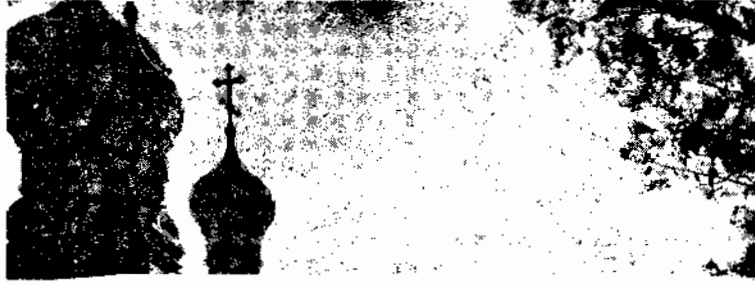
كنيسة الصعود على جبل الزيتون

ولهم كنيسة باسم القديسة مريم المجدلية على مقربة من الجسمانية ومنها الى الشرق على سفح جبل الزيتون من الغرب أنشئت هذه الكنيسة على نفقة العائلة المالكة تخليداً لذكرى والددة القيصر . وكان ذلك عام ١٨٨٩ م .

ولهم أيضاً كنيسة الصعود على جبل الزيتون . ولهذه الكنيسة جرسية مرتفعة ، هي أعلى بناء في القدس على الاطلاق .

على نفقة الجمعية الفلسطينية الروسية التي يرأسها شقيق الامبراطور إسكندر الثالث قيصر روسيا . واستعملت أبنية المسكوبية وعماراتها المختلفة في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٧ م) لإدارة بعض المصالح الحكومية (كالبوليس والعدلية) واستعمل بعضها كمستشفى حكومي .

وللروس دير يعرف بالملكوبية أيضاً . وهو قريب من باب خان الزيت وإلى الشرق من كنيسة القيامة .



كنيسة مريم المجدلية
كنيسة روسية قائمة على سفح جبل الزيتون من الغرب

الألماني :

هبط القدس عدد من الألمان بقصد الزيارة بين القرن الثالث عشر والقرن السادس عشر . وقد استوطنها عدد قليل منهم في أواخر القرن الثامن عشر . ووطدت الارسالية الألمانية أقدامها سنة ١٨٣٥ عندما أسس (فريدرخ أدولف شراوس) جمعية بالقدس أسماها (جيروزاليم فيراين) . وفي القدس الآن (١٩٤٧) جالية ألمانية هي من حيث العنصر والوطنية واحدة ومن حيث الدين فثتان : واحدة بروتستانتية والأخرى كاثوليكية . وللألمان حي يعرف بالكولونية الألمانية قريب من المحطة إلى الجنوب من المدينة .

أما الألمان البروتستانت فلهم ممتلكات نذكر منها :

١ - مدرسة شتار ويسمونها دار الأيتام السورية : أسسها يوحنا لودفيغ شتار عام ١٨٦٠ ، واقعة في ظاهر المدينة إلى الشمال الغربي . لها فروع للتعليم والصناعة والتبشير .

٢ - مدرسة طاليتا قومي ويسمونها شملوطة . في ظاهر المدينة من الغرب على طريق الملك جورج . بنيت عام ١٨٦٨ م . وفيها كنيسة .

٣ - مدرسة ترازيا : أسستها ترازيا سكس الألمانية حوالي عام ١٨٧١ م . وهي واقعة إلى الغرب من بركة ماملا . وفيها كنيسة .

٤ - كنيسة الخلف وتعرف بكنيسة الدباغة ذلك لأنها واقعة في شارع يطلق عليه هذا الاسم على مقربة من كنيسة القيامة إلى الشرق القبلي . بنيت على أرض كانت في الأصل تؤلف قسماً من المرستان الصلاحي . وقد أهداها السلطان عبد العزيز إلى ولي عهد بروسيا البرنس فردريك ويلهلم (تسلم عرش

الامبراطورية فيما بعد) . ولقد جرى تدشينها بحضور الامبراطور غليوم الثاني عام ١٨٩٨ م .

٥ - نزل اوغوستا فكتوريا على جبل الزيتون ويسميه العرب (أم الطلعة) والمطلع بناء الألمان سنة ١٩٠٥ م . وأهدوه للامبراطور والامبراطورة تذكراً لعيد زواجهما الفضي . وقد اتخذ الانجليز في أوائل الاحتلال مقراً للحكم (١٩١٨ م) . وكان يقيم فيه المندوب السامي . وفي هذا المنزل الكبير كنيسة واسعة .

وأما أملاك الألمان الكاثوليك فهي :

٦ - دير القديس شارل بروميوس تأسس عام ١٨٨٧ م . وهو مخصص لنزول الحجاج الألمان الكاثوليكين . كان في بادئ الأمر واقعاً إلى الغرب من مقبرة ماملا . ثم انتقل إلى حي الألمان في البقعة . وفي داخله كنيسة .

٧ - نزل القديس بولس على بعد مئة متر من باب العمود إلى الشمال . بنى عام ١٩٠٨ م . واحتلته حكومة فلسطين عام ١٩١٧ . فاتخذته مقراً لحاكم القدس . وفي داخله كنيسة .

٨ - كنيسة نياحة العذراء ويسمونها باللاتينية (دورميثيون) وبالألمانية (دورميثيون) Dormition : واقعة على جبل صهيون ، إلى الغرب من مقسم النبي داود ، يفصل بينها زقاق ضيق مرصوف ، وإلى الجنوب من السور ، على بعد بضعة أمتار من الباب المعروف بباب النبي داود .

إنها من أملاك الألمان الكاثوليك . بنيت فوق أرض أهداها إياها السلطان عبد الحميد . وقد اشتراها هذا من رجل من الدواحدة يدعى الشيخ سعيد وهبه الداودي .

صغيرة ودار للسينا والتمثيل . كان حتى الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩) عامراً باصحابه من الالمان الهيكليين . ولكنهم ابعدوا عنه بسبب الحرب . ولم يعودوا اليه .

الارسالية الانجيلية لطائفة البروتستانت ان حركة التبشير للدين المسيحي من ناحية البروتستانت تبدأ في القدس سنة ١٨٢٢ م . وكان يتزعم هذه الحركة يهودي تنصر اسمه يوسف وولف . ولم تكن نقمة المسلمين على هذا الرجل بأقل من نقمة اليهود أنفسهم وحاحامهم . وكذلك قل عن اللاتين وراهبانهم . وانتعشت حركة التبشير على عهد المطران نقولا يسون سنة ١٨٣٣ م . والمطران ميخائيل سولومون الكسندر الذي تولى رعاية الكنيسة الانجيليكانيه (كنيسة مار يعقوب) بالقدس عام ١٨٤١ م . وهذا أيضاً يهودي تنصر وكان في انجلترا حاخاماً . وأراد الانكليز أن يستخدموه لبث الدعاية بين أبناء قومه اليهود في القدس . وعلى عهده بنيت (كنيسة يسوع) تجاه القلعة . تم بناء هذه الكنيسة سنة ١٨٤٩ . ولم يكن للبروتستانت حتى ذلك التاريخ أية كنيسة . وقد بنوها فوق أرض شروها من دار الديسي الكائنة قبالة القعة عند باب الخليل وكانت تلك البقعة من الارض تعرف قبل بـ (البعقوبية) . وهناك اليوم في القطعة نفسها والى جانب الكنيسة دار للقس وبناء اتخذوه مدرسه خلال المئة عام المنصرمه .

وفي ٢٥ آذار ١٨٨٧ عُين المطران جورج فرنسيس بوبهام بلايث

George Francis Popham Blyth

وفي زمنه أنشئت الكنيسة المعروفة

بـ : (كندراية القديس جورج)

St. George's Cathedral

ويسمونها أيضاً : (كنيسة القديس جورج) . ان

يعتقد المسيحيون ان المكان الذي تناسول فيه السيد المسيح عشاءه الاخير وغسل اقدام تلاميذه والذي سمي فيما بعد (عليه صهيون) ، كان اما في الموضع الذي تقوم عليه كنيسة نياحة العذراء هذه أو بالقرب منه . ويعتقدون ان في هذا المكان نفسه كان يقوم البيت الذي عاش فيه مار يوحنا ، والتجأت اليه مريم العذراء بعد صلب المسيح . ويقولون ان العذراء قضت نحبها فيه . ولكنها دفنت في المكان الذي تقوم عليه الآن الكنيسة المعروفة بـ (كنيسة سنتا مريم) عند مفترق الطرق التي تربط القدس بسلوان والطور .

واما كنيسة نياحة العذراء هذه فقد شرعوا في بنائها سنة ١٩٠٠ وأتموها سنة ١٩١٠ ودشنوها بحضور البرنس ايتل فريدريك .

لها قبة مزينة بالفسيفساء ، وجرسية يصعد اليها في ١٩٨ درجة ، وهي تشرف على اكثر انحاء المدينة . تحتها مغارة هي ، في نظر المسيحيين اصل البيت الذي كان يعيش فيه مار يوحنا . وفي المغارة اثنا عشر عموداً من الرخام الغليظ .

وفي وسطها تمثال يمثل العذراء وهي نائمة على فراش الموت . وحول التمثال ستة أعمدة من الرخام المشبك . وعلى بعد بضعة امتار من التمثال والى الجنوب منه اسطوانة حجرية لا يزيد ارتفاعها عن متر واحد هي من بقايا الكنيسة القديمة التي يقال انها انشئت هناك في اواخر القرن الرابع للميلاد .

للألمان في القدس الجديدة خارج السور حي مبني على الطراز الحديث ، يعرف بـ (الكولونية الألمانية) . وهو واقع بين محطة السكة الحديدية والحي المعروف بالبقعة . انه عبارة عن مدينة المانية صغيرة . فيها منازلهم وحوالياتهم ومصانعهم ومدارسهم وملاعبهم ومكاتبهم . وهناك كنيسة

ابراهيم بازحداد (١٩٠٨). ثم تتابع الرؤساء، فجاء القس الككن صالح سابا (١٩١٣) فالقس بطرس ناصر (١٩١٤) فالقس يوسف فليحان (١٩٢٦) فالقس الككن اسعد منصور (١٩٢٧) فالقس بطرس ناصر (١٩٣١) فالقس الككن الياس مرمورة (١٩٣٤) فالقس الككن نجيب قبعين (١٩٤٣).

الجلالية الأميركية :

في ٢ حزيران ١٨٥٧ م تأسست أول علاقة بين اميركا وهذه البلاد . يوم انشأ الاميركيون قنصلية لهم بالقدس . والقنصل الاميركي الاول هو الدكتور جون وارن غورهام Dr. J. W. Gorham وفي سنة ١٨٦٦ حاول اعضاء ثلاث اسر اميركية الهجيء الى القدس ، الا انهم ما كادوا يصلون الى يافا حتى سمعوا بهياج المسلمين الذين كانوا يتوجسون خيفة من مجيئهم ، فارتدوا على أعقابهم . . . وفي سنة ١٨٨١ تأمرك^(١) عدد من يهود القدس بقصد ان تحميم اميركا وتأخذ بيدهم . . . وهبطت القدس بعد قليل ، وفي السنة نفسها (١٨٨١) ، عائلة اميركية مؤلفة من أربعة اشخاص . هم : المستر هوارتيو سبافورد^(٢) وقرينته وبناتها : برتا^(٣) وغريس^(٤) . ومع هذه العائلة تسعة اشخاص ، كلهم من المتدينين الذين يؤمنون بالانجيل ، ورجوع المسيح المنتظر . فعاشوا كلهم معا عيشة اشتراكية في اكلهم وشغلهم وصلاتهم . وكانوا النواة الاولى

هذه الكنيسة القائمة على بعد ميل واحد من باب العمود الى الشمال بنيت سنة ١٨٩٨ . وبني على مقربة منها عمارات كثيرة أعدت لسكن المطارنة والقسس ، وأخرى لتزول الزائرين ومدرسة هي الآن من أكبر المدارس الأجنبية الكاثنة في المدينة وتعرف بـ (مدرسة سان جورج) .

وهناك (الكنيسة الاسكتلندية) وهي من الكنائس الانجيلية بالقدس . تقوم على التل الكائن بين محطة السكة الحديدية ومستشفى العيون ، على بعد ميل واحد من باب الخليل الى الغرب . انها كنيسة مستقلة ، ولها راع مستقل .

الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية

ولنبحث الان عن الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية المشتركة في العقيدة مع الكنيسة الانجيليكانية .

يرجع تأسيس الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية في مدينة القدس الى سنة ١٨٤٦ وكانت المدينة يومئذ صغيرة ومحصورة ضمن الاسوار .

وفي سنة ١٨٧٤ بنيت الكنيسة المعروفة باسم كنيسة القديس بولس . انها واقعة في الشارع الذي أطلق عليه فيما بعد « شارع القديس بولس » والذي يتفرع عنه شارع ملكة الحبشة مليسندا يحوار أرض المسكوب . ومنذ بدء تأسيسها أخذت الطائفة تهتم بإنشاء الاوقاف لكي تؤمن إيراداً يضمن نموها وتوسيعها .

يدير هذا المجمع في المملكة كلها عدداً من المدارس للذكور والاثاث ، وله عشرون كنيسة يزيد عدد أعضائها على ٦٠٠٠ نفس ، وله مستشفى كبير .

كان أول رئيس وطني لهذا المجمع القس الككن

(١) بمعنى صاروا اميركيين او تجسوا بالجنسية الاميركية .

(٢) Horatio G. Spafford كان من المهاجرين ومن كبار الملاكين في شيكاغو .

(٣) انها المسز فيستر رئيسة الجلالية الاميركية في يومنا هذا .

(٤) انها المسز وايتنغ امرأة المستر وايتنغ . وهو بحالة اميركي ومشترق معروف .

كبيراً . ثم غادر معظمهم البلاد . فلم يبق منهم في القدس سوى عدد لا يجاوز الخمسين .

لهم في القدس ، بالإضافة الى (دوم بولسكي) المتقدم ذكره ، معبد عند المرحلة الثالثة ، وآخر عند الرابعة . ولقد تم الاتفاق بينهم وبين الأرمن الكاثوليك بالقدس على استعمال المعابد القائمة في هاتين المرحلتين لعشرين سنة ، يمكن تجديدها باتفاق الفريقين .

كبير البولونيين ، في يومنا هذا ، هو المونسنيور (اسطفان بتروشكا) . انه بولوني الاصل ، تابع للكنيسة اللاتينية .

المقابر المسيحية :

للمسيحيين في القدس مقابر عديدة ، معظمها على جبل صهيون . وإنا لذاكرون منها :

(مقبرة الروم الأرثوذكس) الى الجنوب من مقبرة الأرمن والسرمان ، يفصل بينها زقاق ضيق يؤدي الى مدرسة صهيون . تلك المدرسة المعروفة بمدرسة المطران غوبات .

(مقبرة اللاتين) الى الشرق من مقام النبي داود .

(مقبرة البروتستانت) ملاصقة لمدرسة صهيون .

(مقبرة الأرمن) الى الغرب من كنيسة نياحة العذراء المعروفة بالدورميثيون ، يفصل بينها زقاق ضيق مرصوف . ويشترك السرمان والأقباط والاحباش في استعمال هذه المقبرة لدفن موتاهم ، وهي على جبل صهيون .

ويستعمل الانكليز مقبرة البروتستانت من نصارى بيت المقدس لدفن موتاهم .

واشتركت الكنيسة الانجيلية مع الطائفة الانجيلية

التي تكونت منها ما نسميه اليوم بـ (الكولونية الاميركية) . والجالية الاميركية التي تعيش في القدس في يومنا هذا لا يزيد عددها على ثلاثين شخصاً . لهم كنيسة واقعة في شوارع الانبياء . ويصلون ايضاً في (كثرائية القديس جورج) الانكليزية .

الجالية البولونية :

لم يكن في القدس ، في أواخر القرن التاسع عشر ، جالية بولونية مسيحية بالمعنى الصحيح . ولم يكن فيها يومئذ سوى عشرين بولونياً . يقابلهم مثل هذا العدد ، او اكثر منه بقليل ، في انحاء فلسطين الاخرى .

ظل الحال كذلك حتى سنة ١٩٠٨ حيث هبط القدس راهب بولوني يدعى (مارتين بنشوريك ليوفسكي) وانتسب الى بطريركية اللاتين . فشرى في حارة النصارى داراً كانت لعائلة البواب . واتخذها ديراً . وأسمها (دوم بولسكي) . واتبعها باحدى الرهبنيات في بولونيا . ولما توفي (١٩٢٨) ارسل القائمون على شؤون تلك الرهبنة ثلاثاً من الراهبات المنتميات اليها ، فاقمن في هذا الدير . ورحن يعنين بالمرضى والبؤساء . وبالرغم من جميع تلك المساعي لم يزد عدد البولونيين في هذه البلاد زيادة تستحق التدوين .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) وكانت وبالأعلى بولونيا ، اذ أضحت نهياً مقسماً بين الروس والالمان ، غادرها عدد كبير منهم . فعبروا الحدود ، وهبطوا سوريا (١٩٤٠) . ثم لجأوا الى الحكومة البريطانية ، فسمحت لهم هذه بالنزول في فلسطين (١٩٤٠) . وكان عددهم يومئذ

الزيتون . وهي واقعة بجانب كنيسة الصعود .
واخرى على جبل صهيون . في الثانية يدفن الرجال .
وفي الاولى تدفن الراهبات فقط .

وهناك مقبرة انكليزية واقعة في شمال المدينة بين
تل سكوبس وجبل الزيتون . انها مقبرة حربية .
انشئت فور احتلال الانكليز للمدينة (١٩١٧) .
وهي تضم رفات الجنود والضباط من رجال الجيش
البريطاني الذين لاقوا حتفهم في القدس وفي ما حولها
من البلدان خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ -
١٩١٧) .

مساحتها ستة فدادين وثلاثة ارباع الفدان .
يحيط بها سور حجري . الا من ناحيتها الجنوبية التي
تري المدينة منها ، فانه لا سور هناك . دفن الانكليز
فيها ، باديء ذي بدء ، ٢٧٠ رجلاً . ثم اتسعت
فنقلوا اليها قبور الاشخاص الذين كانوا في المقابر
الآخرى^(١) .

فيها اليوم (١٩٤٧) القبان وخمسة وخمسة
عشر قبراً . منهم ٢١٨٠ رجلاً من ابناء المملكة
و ١٤٣ اوستراليون و ٥١ افريقيون و ٤١ هنود
و ٣٤ نيوزلنديون و ٦٦ لم تعرف هويتهم . وهناك
١٦ المانيا و ٣ اترك ماتوا وهم في الاسر ، فدفنوا
فيها .

وفي المقبرة نصب تذكاري ، نصب لتخليد
ذكرى الضباط والجنود الذين لاقوا حتفهم في المعارك
نفسها ، ولكن السلطة لم توفق في العثور على قبورهم .
وعدهم ٣٥٤ ر ٣ : - منهم ٣٠٤٩ من ابناء المملكة

الالمانية في المقبرة المعروفة بالمقبرة الانجليزية الالمانية ،
الواقعة على سفح جبل صهيون الجنوبي . وقد دشت
هذه سنة ١٨٦٩ . ولما كانت هذه المقبرة قد امتلأت
في أواخر عهد الانتداب ، فقد أعدت الترتيبات
لاستعمال مقبرة جديدة تشترك بها الكنائس
الانجليكانية والانجيلية الالمانية والمسيحية بقرب
بيت جالا .

وأما الأمير كيون فلهم مقبرتان : واحدة : على
سفح جبل الزيتون والى الغرب من الجامعة العبرية .
اشترى أرضها رجال الكولونية الأميركية سنة
١٨٩٨ م . واتخذوها مقبرة لدفن موتاهم . والثانية
اشتراها المبشرون بعد ذلك بقليل . واستعملوها
لدفن الاميركيين ممن لا ينتمون للكولونية المتقدم
ذكرها . وهي واقعة عند مفترق الطرق المؤدية الى
البقيعتين فوقوا والتحتا والى حارقي الناصرة والقطمون .

١ ويبدو انه كان للاميركان بالقدس أرض طولها ٣٢
ذراعاً وعرضها ١٥ ذراعاً وثلث ذراع . وكانت
هذه قريبة من زاوية النبي داود ، تبعد عنها مسافة
٢٤ ذراعاً بذراع العمل . وان الاميركيين ارادوا
انشاء مقبرة لموتاهم على تلك الارض . فقدم المستر
(قليدون) قونسولس الاميركان في القدس طلباً
الى الخديوي . وأحال الخديوي طلبه الى (كتخداه)
في هذه البلاد محمد شريف باشا . واستشار الباشا
قاضي القدس في الطلب ؛ وكان القاضي يومئذ (حريري
زادة السيد عمر نسيب) . فكان جواب القاضي
ان الشرع لا يحيز احداث بيعة أو كنيسة أو صومعة
أو مقبرة أو بيت نار أو صنم في مثل هذا الموضع .
فرفض الطلب .

و (للروس) مقبرتان : احدهما على جبل

(١) الوثيقة ذات الرقم ٢٠ من مجموعة اسطفان .

(١) ٦٦ منهم كانوا في مقبرة الالمان على جبل الزيتون و ١١٤
في مقبرة البروتستانت على جبل صهيون وواحد في مقبرة
الالمان ببيت لحم و ١٠٥ في المقبرة الكاثنة على الطريق بين
البيرة وجفنا و ٢٠ في مقبرة رام الله و ١٥٤ في المقبرتين
الحريتين باريجا .

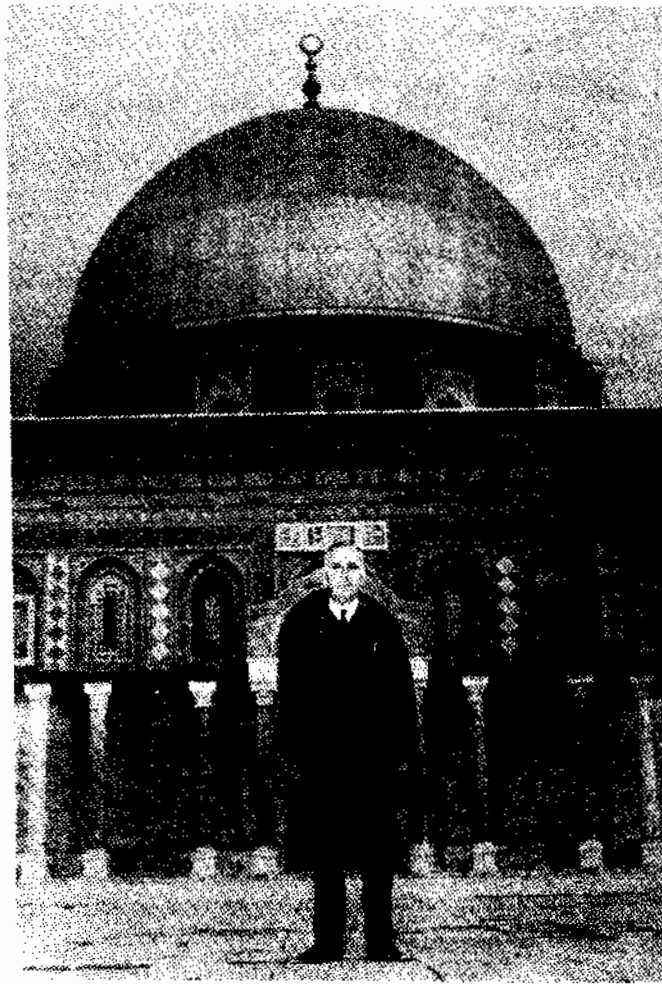
والدردنيل . وهذا يسير في اعماله بارشاد عاصمة
الامبراطورية لندن .

هذا ما حضرنا من المعلومات في صدد مقابر
الحرب الانكليزية . ومن شاء المزيد فعليه ان
يرجع الى التقارير ^(١) التي نشرت في هذا الموضوع .

« The War Graves of the British (١)
Empire » by « The Imperial war
Graves Commission » , London,
1928 .

المتحدة و ٢٤٢ اوستراليا و ٦٠ نيوزلانديا وثلاثة
افريقيون .

ان الموظف المسؤول عن مقبرة القدس وهو
بريطاني يعمل تحت امرة ناظر المقابر المقيم في القدس
والمسؤول عن جميع مقابر الحرب في سورية وفلسطين .
وهذا أيضاً يعمل تحت امرة المراقب العام لمقابر
الشرق ومنها - عدا سورية وفلسطين - مصر
والعراق وتركيا وايران والجزر الواقعة في بحر ايجة



صورتي امام الصخرة

الاماكن اليهودية المقدسة

(أي بحضور القاضي) مئتي دينار ذهباً ، لقاء استعمال الطائفة ارض الوقف لدفن موتاه . وذلك عن سنتي ٩٦٨ و ٩٦٩ للهجرة (أي ١٥٦٠ و ١٥٦١ م) .

وتتد هذه المقبرة من وادي قدرون حتى رأس العمود والسفح القبلي لجبل الزيتون . وفيها اربعة قبور ضخمة ، يقصدها اليهود في أيام معينة . هي :

١ - **قبر أبشالوم** : ويسميه المقدسة (طنطور فرعون) . واقع شرقي المدينة . أقامه أبشالوم ، الابن الثالث لداود الملك ، الذي ثار ضد أبيه وحاول اسقاطه عن عرشه . أقامه قبل موته . اذ لم يكن له ولد ، وقد اراد تخليد ذكره . يعتقد قوندران الكسندر يانوس المكابي مدفون فيه . انه بناء ضخيم ، مربع الشكل ، في كل ركن من أركانه الاربعة اربعة أعمدة . يعلوه افريز يوناني . فوقه قبة هرمية الشكل . علوه سبعة أمتار .

٢ - **قبر يهوشافاط** : يحمل هذا الاسم لوقوعه في وادي يهوشافاط وهو أحد أسماء وادي قدرون . لم يحزم المؤرخون في معرفة اسماء المدفونين فيه . ويرجح الاستاذ رثيف ميخائيل ساعاتي^(١) ان يهوشافاط نفسه دفن مع آبائه في مدينة داود على جبل صهيون .

٣ - **قبر يعقوب** : مدفون اسرائيلي ضخم . ويعتقد المسيحيون ان القديس يعقوب الصغير وهو

ليس لليهود في القدس سوى بضعة كنس حديثة العهد وبعض القبور . وسنأتي على ذكرها في السطور التالية :

واما (**حائط المبكى**) فقد حدثنا عنه في موضع آخر من هذا الكتاب^(٢) . ويتلخص قولنا في الاعتقاد السائد بأنه بقية من سور أورشليم القديم ، وانه الحائط الخارجي للهيكل الذي رمه هيرودس (١٨ ق م) ودمر جانباً منه تيطس (٧٠ م) واتى على ما تبقى منه ادرينانوس (١٣٥ م) . وقلنا ان اليهود يزورونه بين كل آونة واخرى ، ولا سيما في تسعة آب ؛ وكلما زاروه تذكروا بمجدهم الضائع . وبكوا . .

وذكرنا أيضاً في الفصول السابقة الخلافات التي قامت بين المسلمين واليهود حوله ، واللجان التي انتدبت للتحقيق في مصيره . وقد انتهينا عند حد القول : انه ليس لليهود سوى الدنو من الحائط والبكاء عنده ، دون ان يحملوا معهم أية أداة من ادوات الجلوس والعبادة .

واما **المقبرة** التي يدفن اليهود فيها موتاهم في يومنا هذا (١٩٤٧) ، وهي الواقعة على طريق القدس - أريحا بين سلوان والطور ، فان ارضها من الاوقاف الاسلامية . وقد اذن لهم المسلمون باستعمالها لقاء جعل معين يدفعونه في كل سنة لمتولي الوقف . فقد اطلعت في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على سجل^(٣) وقعه قاضي الشرع ، وقد جاء فيه ان مثل الطائفة اليهودية أنقد اصحاب الوقف بحضوره

(١) الصفحة ٤٠٠ .

(٢) السجل ٤٤ الصفحة ٥٧٤ .

(٣) مجلة (الراعي الصالح) ج ٤ ص ٧٢ سنة ١٩٤١ .

- ٥ - **مؤقاب لادخ** : وهذا ايضا واقع في اقصى الحى من الشرق الى الجنوب .
- ٦ - **الاستانبولي** : كنيس واقع في طريق الساحة .
- ٧ - **اليهانافى** : ومن أسمائه : (**الغضر**) . انه الكنيس المعروف بالاستانبولي .
- ٨ - **يوحنان زكاي** : قبلى الاستانبولي واليهانافى .
- ٩ - **كنيس المغاربة** : عند الدرج المعروف بـ (**درج الطابون**) قبالة خان السلطان .
- ١٠ - **توما تورا** : ملاصق لكنيس المغاربة
- ١١ - **بيت ايل** : في طريق الساحة . قائم وسط بناية تخص آل الداودي .
- ١٢ - **بيت الدين** : في جنوب الحى .
- ١٣ - **كوليل سفاراديم** : أيضاً في جنوب الحى .
- ١٤ - **واين غارتن** : في غرب الحى .
- ١٥ - وهناك كنيس تحت الارض ، مخصص لصلاة **القرائين** . وهو واقع بين المطبل وطبرت اسرائيل . وفي قول ان عدد الكنيس الكائنة في الحى اليهودي بالبلدة القديمة ثلاثة وعشرون . وان بعضها وهو الذي ذكرناه في السطور المتقدمة كبير . والبعض الآخر عبارة عن غرف صغيرة أعدت للصلاة . ولكن ليس بينهما ماله قيمة تاريخية أو اثرية .

نشئت اليهود

قد يتساءل المرء : كيف ؟ وما الذي جرى ؟ ولماذا لا نرى لليهود في القدس مقدسات كثيرة ؟ وهم القائلون : انها مدينة يهودية اعلى من الدهور . فانا إذا ما أعدنا نظرنا الى تاريخهم القديم علمنا السبب :

احد الإثني عشر رسولا قد توارى فيه بعد صلب المسيح . ويزعم بعضهم انه بعد موته دفن فيه .
٤ - **قبر النبي زكريا** : يشبه ، من بعض النواحي ، قبر يوشافاط . وينسبه اليهود الى زكريا بن يهوياراع . ويقول بعضهم انه قبر حفيده الذي كان هنا أيام أحاذيا ويهواش . وقد مات رجلاً بالحجارة وبأمر من الملك .

وأما كنسهم^(١) فانها كلها حديثة العهد ، ليس بينها ما يرجع الى عهد يسبق القرن الثامن عشر . جلها - ان لم نقل كلها - واقعة في الحى القديم بالبلدة القديمة . وهو الحى الذي نسميه : **حارة اليهود** واليك أسماءها :

١ - **قدس الاقداس** : مخصص لصلاة الطائفة المسماة بـ : (**السكناج**) . ويطلقون على انفسهم (**اشكنازيم**) . انه ، على ما نعلم ، اكبر الكنيس اليهودية الكائنة في القدس . وهو اقدمها . بني عام ١٧٠١ للميلاد . ومن أسمائه : (**بيت يعقوب**) ويسمونه أيضاً : (**حوروا**) . واقع في وسط الحى القديم وعلى بعد خمسين متراً من مسجد المسلمين الى الشمال .

٢ - **طبرت اسرائيل** : الى الشرق من قدس الاقداس ، وعلى بعد ستين متراً منه .

٣ - **طايلا** : الى الشمال الشرقي من طبرت اسرائيل . ويسميه المقدسيون : (**المطبل**) .

٤ - **مدراش بورات يوسف** : في أقصى الحى اليهودي بالبلدة القديمة من الشرق . وهو مطل على حى المغاربة وعلى الحرم .

(١) جمع (كنيس) وهو - على ما في (البستان) - المكان الذي يتعبد فيه اليهود . واما (الكنيسة) فانها المكان الذي يتعبد فيه المسيحيون . وجمعها كنائس .

المسألة الشرقية وبعث فكرة اسرائيل :

وهكذا ظل اليهود قلة في القدس ، ولا شأن لهم يذكر ، الى ان جاء القرن التاسع عشر . ووضعت المسألة الشرقية على بساط البحث . ففكر (١٨٣٠م) فريق من رجال السياسة في انجلترا وعلى رأسهم اللورد بالمستون وبيكونسفيلد ، في انشاء دولة اسرائيلية في فلسطين ، تحميها بريطانيا وتؤمن طريق الهند .

وأذكت هذه النظرية احلام اليهود . فراحوا يحاولون امتلاك الاراضي في القدس وفي فلسطين . ولكن اهل البلاد عارضوا في ذلك وايدتهم السلطة . ولقد اطلعنا في فصل الاوراق السياسية لسنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧م) من مجموعة الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا للأستاذ أسد رستم ، على قرار اصدره مجلس الادارة في القدس بمنع اليهود من شراء الاراضي وتملكها . وجاء الامر من مصر إلى متسلم القدس مؤيداً ذلك القرار .

واصدرت الحكومة التركية ، عام ١٨٨٢م ، قانوناً حرمت فيه الهجرة اليهودية وشراء الاراضي . إلا انها عادت فعدلته بفضل تدخل ستراوس الوزير الاميركي المفوض في استانبول . ومنحت اليهود حق الدخول الى فلسطين والبقاء فيها ثلاثة اشهر بقصد العبادة . وهنا تلعب الرشوة دورها . فيدخل البلاد عدد غير قليل من اليهود ويبقون فيها . فما يكاد القرن التاسع عشر يقترب من نهايته حتى نرى لليهود في القدس ستة كنس : اثنان منها لليهود الاشكنازيم ويسميهام المقدسيون (السكناج) وهم من روسيا وبولونيا وسائر انحاء أوروبا الشرقية ؛ وثلاثة للسفراديم ، وهم من اسبانيا والبرتغال ؛ وواحد للقرائين .

فقد تشتت اليهود تحت كل كوكب بعد أن ضربهم الرومان تينك الضربتين : الاولى على يد تيطس (٧٠م) يوم احتل هذا اورشليم بعد ان ذاقت من جراء حصاره الأمرين . والثانية على عهد اديانوس (١٣٥م) يوم دكها دكا وجعل عاليها سافلها . وقتل خمسة وثمانين الفاً من سكانها . فحققت عليهم نبوءة أرميا النبي إذ قال : « الذين للموت فالى الموت . والذين للسيف فالى السيف . والذين للجوع فالى الجوع ، والذين للسبي فالى السبي » .

ولم نعد نسمع عن يهود القدس شيئاً قرونًا عديدة . حتى ان السائح اليهودي (بتاحيا) الذي زار القدس خلال القرن الثاني عشر للميلاد لم يجد فيها سوى يهودي واحد .

والسائح اليهودي (موسى بن نحمان جيروندى) الذي هبطها بعد ذلك بقرن واحد لم يجد فيها سوى عائلتين يهوديتين .

وأحصي يهود القدس سنة ١٧٥٢م ، فثبت لمجلس الشرع الشريف أنه كان يعيش فيها يومئذ ١١٥ نفرًا منهم ٥٥ في جهة الحرم والباقيون وقدرهم ٦٠ في غيرها من الجهات . وقرأت اسماءهم في السجل ٥٥ الصفحة ٢٠٧ من سجلات المحكمة الشرعية في القدس . وكان هؤلاء يعيشون عيشة الفقر والذل والحرمان . حتى انهم عجزوا عن دفع دينهم الذي بلغ عام ١٦٦٢م الف قرش أسدي . فأمر قاضي المسلمين بتأجيل الدفع سنة كاملة ، ورضى الدائنون وهم من المسلمين بهذا التأجيل ، شريطة أن يضع اليهود بيدهم رهناً . فرهنوا كنيسهم الكبير الكائن بحوش السرجاني بحارة اليهود .

ونرى بعد ذلك بست سنين (١٦٨٨م) أن عدد اليهود لم يكن سوى مئة وخمسين .

الحركة الصهيونية :

وفي تلك الحقبة من الدهر وضعت النواة الاولى للحركة اليهودية التي عرفت بعدئذ بالصهيونية . وجاء بعد قليل (١٨٩٥) الدكتور ثيودر هرتسل ، من يهود النمسا ، فقلبها من حركة ثقافية دينية الى حركة سياسية (١٨٩٧ م) . وانشأ جمعية اسمها : (الجمعية الصهيونية) .

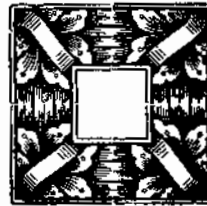
ولما أعلنت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤) راح الاتراك يطاردون الصهيونيين ، وأصدر جمال باشا بوصفه القائد الأعلى للجيش الرابع المربط في فلسطين أمراً منع فيه رفع العلم الصهيوني في أي ارض تقع تحت حكمه . كما منع رفع أي لافتة تكتب باللغة العبرية . وصادر جميع الطوايع والاوراق المالية التي تخص الحركة الصهيونية . وألغى جميع المؤسسات اليهودية التي تكونت في فلسطين بعد ان دخلتها خفية . وجاء في البيان الذي صدر يومئذ (٢٥ كانون الثاني ١٩١٥) ان الحكومة فعلت ذلك بناء على ما لديها من معلومات تثبت ان بعض العناصر تتآمر باسم الصهيونية لاقامة مملكة يهودية في فلسطين .

وعد بلفور :

وقد تزعم الحركة الصهيونية بعد موت هرتسل الدكتور هاييم وايزمن . ولهذا يعود الفضل الاكبر في الحصول على وعد بلفور . . . وزير خارجية بريطانيا . . . ذلك الوعد الذي ذكرناه وما احدثه من قلاقل وثورات في القدس وفي سائر انحاء فلسطين في موضع آخر من هذا الكتاب . ونريد ان نكتفي هنا بالاشارة الى ان عدد اليهود في القدس اصبح في نهاية عهد الانتداب مئة الف وفي فلسطين كلها ستمئة الف ، وان هذا العدد الذي دخل بفضل الحراب الانجليزية بلغ من الجراءة حداً جعله لا يكتفي بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، بل راح يعمل على تأسيس دولة اسرائيل . وكان له - بفضل تعصيد دول الغرب - ما يشاء . وهذا ما اوضحناه لك في كتابنا : (النكبة^(١)) .

(١) طبع هذا الكتاب في المطبعة المصرية بصيدا (لبنان) . وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٥٦ ، والثاني سنة ١٩٥٧ ، والثالث سنة ١٩٥٨ ، والرابع سنة ١٩٥٩ ، والخامس ١٩٦٠ ، والسادس سنة ١٩٦١ . وهو مدعوم بالوثائق والخرائط والصور والرسوم .

تمّ الجزء الأول من الكتاب



مصادر الكتاب

هذه هي الكتب التي تتبعها باحثاً مستقصياً أخبار هذه المدينة . ذكرتها وذكرت ما أعرفه عنها وعن مؤلفيها وعن الأسباب والظروف التي أدت الى وضعها . فاذا كان الكتاب الذي رجعت اليه مطبوعاً ، ذكرت المطبعة التي طبع فيها وتاريخ طبعه . . وإذا كان لا يزال مخطوطاً ولم يطبع بعد ، فأين يمكن العثور عليه . . لا اعتقادي بأن ذكر المصادر على هذا النمط ، يفيد القارئ ، إذا ما أراد استقصاء الحقائق والتعمق في دراسة تاريخ هذه المدينة بأسلوب علمي واضح . أضف الى ذلك أن هذا الأسلوب في ذكر المصادر هو ، في حد ذاته ، تأريخ للكتب التي بحثت تاريخ هذه المدينة ، ولآبائنا الذين حفظوا لنا أخبارها ونقلوها بأمانة وإخلاص . فمن حقهم علينا ان نذكرهم ، وأن نذكر كتبهم ومؤلفاتهم . بالشكر والتقدير :

الكتب العربية

١ - (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) لشمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الملقب بالمقدسي . ولد بالقدس سنة ٣٣٦ هـ - ٩٤٦ م . وهو ينتمي الى اسرة البشاري التي استوطنت القدس منذ الفتح الاسلامي . كان ضليعاً في العلوم الدينية والقضائية وفي الجغرافيا والشؤون الاقتصادية . وقد حج الى بيت الله الحرام . وكتابه هذا يزّ به من تقدمه من الجغرافيين العرب .

٢ - (أخبار مصر) لمحمد بن علي بن يوسف بن جلب المعروف بابن الميسر . توفي بالقاهرة ٦٧٧ هـ ١٢٧٨ م ودفن في المقطم . له تصانيف مفيدة . وهو مصنف تاريخ القضاة . وله تاريخ كبير . وكتابه هذا طبع في المعهد العلمي الافرنسي بمصر (١٩١٩) . وقد اطلعت على جزئه الثاني فقط .

٣ - (اسباب الانقلاب العثماني) لمحمد روجي الخالدي . من الاسرة الخالدية . ولد في القدس عام ١٨٦٤ م . وارتقى في مناصب الدولة العثمانية . وانتدب لتمثيل بلده القدس في اول مجلس للمبعوثين . كما انتدبته الحكومة الافرنسية للتعليم في مدرسة اللغات الاجنبية في باريس . وكان عضواً في جمعية المستشرقين بباريس سنة ١٨٩٧ . توفي بالآستانة سنة ١٩١٣ م . وكتابه هذا يصف فيه الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش . فصحه حسين وصفي رضا ، وطبعه في مطبعة المنار بمصر ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

٤ - (اسفار العهد القديم) .

٥ - (الاشارات في معرفة الزيارات) لملي بن الحسن بن محمد الهروي . ولد سنة نيف وخمسين وستاية للهجرة . ومات في حلب سنة ٧٢٢ هـ - ١٣٢٢ م . زار القدس سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م . والف كتابه حوالي ذلك التاريخ وهو لا يزال مخطوطاً .

اطلعت على نسخة مصورة لهذا المخطوط في مكتبة المتحف الفلسطيني . وقد أخذتها المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٤١ م عن أصلها الذي كان محفوظاً في المكتبة التيمورية .

٦ - (أشهر مشاهير الاسلام) في الحرب والسياسة لمؤلفه رفيق بن محمود العظم . عالم بحاث من رجال النهضة الفكرية في سورية . ولد بدمشق سنة ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥ م وتوفي سنة ١٣٤٣ هـ . وكتابه هذا جاء في أربعة اجزاء . طبع في مطبعة هندية سنة ١٩٠٧ م .

٧ - (الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا) تولى جمعها وضبط قراءتها ووضع فهرسها الدكتور أسد رستم احد اساتذة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية . طبعت في المطبعة الاميركية بيروت سنة ١٩٣٠ م .

٨ - (الاعلام النفيسة) لابي علي احمد بن عمر المكثي ابن رسته . الف كتابه هذا في اصفهان سنة ٢٩٠ هـ - ٩٠٢ م . وهو كتاب كبير في تقويم البلدان . طبع في ليدن سنة ١٨٩٢ م .

٩ - (الافادة والاعتبار) للشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد علي بن سعد البغدادي المعروف بابن اللباد . ويعرف ايضاً بعبد اللطيف البغدادي . ولد ببغداد سنة ٥٥٧ هـ - ١١٦١ م . وقضى ردهاً من الزمن في مصر والشام . وحذق في علم الكلام والطب . وكتب كتابه هذا فوصف فيه الأمور التي شاهدها بارض مصر . طبع في تونجة سنة ١٧٨٩ م وفي باريس ١٨١٠ وفي مطبعة وادي النيل بمصر ١٢٨٦ هـ - ١٨٦٩ م وهذه الطبعة هي التي طالعها من اجل كتابي .

١٠ - (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) للقاضي مجير الدين ابي اليمن عبدالرحمن العلم الفخري الحنبلي . ولد بالقدس في ليلة الأحد ١٣ ذى القعدة سنة ٨٦٠ هـ - ١٤٥٥ م وتوفي فيها سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢٠ م . وقبره ظاهر فيها ، الى الشرق من سور المدينة ، بين باب الاسباط وجبل الطور ، عند مفترق الطرق المؤدية الى الطور وسلوان والقدس وعمان .

شرع في وضع كتابه في اليوم الخامس عشر من ذي الحجة سنة ٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ م وفرغ منه في أقل من أربعة شهور كما قال في آخر الجزء الثاني من كتابه . وقد ظل مخطوطاً حتى جمادي الاول من سنة ١٢٨٣ هـ - ١٨٦٦ م فتم طبعه عامئذ بالمطبعة الوهبية بمصر .

ورد ذكر هذا الكتاب في فهرس المكتبة الخديوية بمصر ، فقليل غلطاً : (الانيس الجليل بتاريخ القدس والخليل) . وقد ترجمه الى اللغة الافرنسية هنري سوفار . وطبعه في اوربا .

١١ - (الانس في فضائل القدس) للقاضي امين الدين احمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي من اهل القرن السابع للهجرة . وقد اعتمد في كتابه هذا على الجامع المستقضي . ورأى الامام السيوطي نسخة منه في جامع دمشق مرقوة على مؤلفها بتاريخ ٦٠٣ هـ - ١٢٠٦ م .

١٢ - (اهل العلم) بين مصر وفلسطين . بقلم احمد سامح الخالدي . طبع في المطبعة العصرية بالقدس ١٩٤٧ م .

١٣ - (باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس) للشيخ برهات الدين ابراهيم بن اسحق بن تاج الدين عبد الله بن عبد الرحمن الشافعي الفزاري المعروف بابن الفركاح وبابن قاضي الصلست المتوفي سنة ٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م . اخذ الكثير من كلامه عن الجامع المستقضي لابن عساكر .

١٤ - (البطل الفاتح ابراهيم) وفتح الشام لداود بركات . طبع في المطبعة الرحمانية بمصر .

١٥ - (بلدانية فلسطين العربية) للاب أ. س. مرمجي الدومنيكي استاذ المعهد الكتابي والآثاري في القدس وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق . طبع في مطبعة جانت دارك ببيروت سنة ١٩٤٨ م . وقد وصف فيه مدن فلسطين التاريخية ، وما جاء عن هذه المدن في مؤلفات البلدانين العرب .

١٦ - (تاريخ الامم والملوك) : المشهور بتاريخ الطبري . للامام ابي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري . ولد بآمل (طبرستان) سنة ٢٢٤ هـ - ٨٣٨ م وتوفي ببغداد سنة ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م ودرس في مصر والشام والعراق . وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه

أحد من أهل عصره . له مؤلفات كثيرة . منها هذا الكتاب الذي طبع في ليدن سنة ١٨٧٦ م في ١٣ جزء . يتلوها كتاب (صلة تاريخ الطبري) لعريب بن سعد الكاتب يجره واحد طبع سنة ١٨٩٧ م . وطبع أيضاً في مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م . وهذه هي الطبعة التي اعتمدها .

١٧ - (تاريخ ابن خلدون) ويعرف بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاهدهم من ذوى السلطان الأكبر) لابي زيد ولي الدين عبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن خلدون التونسي الحضرمي الاشبيلي المالكي . ولد بتونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١ وربي في حجر والده الى أن أئنع وقرأ القرآن ودرس كتباً جمّة . وتعلم صناعة العربية وحفظ الشعر . ودخل في خدمة امير تونس . واستقر في تلسان حيث شرع في تأليف تاريخه . ونزل مصر فعينه السلطان برفوق قاضياً لقضاة المالكية . وسافر الى الشام مع السلطان فرج الملك الناصر . ولما فتح تيمورلنك الشام أخذه معه الى سمرقند اسيراً . ثم رجع الى القاهرة حيث فرغ من تدوين تاريخه ٧٩٧ هـ ١٣٩٤ م وتوفي بعدئذ ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر . ولقد طبع بعض اجزاء هذا الكتاب في باريس ١٨٤١ وبعضها الاخر في دار الطباعة السلطانية بالجزائر ١٨٤٧ . وطبعت (مقدمة ابن خلدون) بالقاهرة مراراً وهي الجزء الاول من كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر .

١٨ - (تاريخ اورشليم) لخليل بن خطار سركيس . ولد في عيبة عام ١٨٤٢ م . وتعلم في المدرسة الاميركية ببيروت . واتقن فن الطباعة وأنشأ (مطبعة المعارف) كما انشأ جريدة (لسان الحال) ومجلة (المشكاة) . وكتابه هذا في تاريخ اورشليم طبع ببيروت سنة ١٨٧٤ م . وله مؤلفات أخرى .

١٩ - (تاريخ البيار ستانات في الاسلام) للدكتور احمد عيسى . طبع بدمشق ١٩٣٩ - ١٣٥٧ هـ .

٢٠ - (تاريخ الحروب المقدسة في المشرق) المعروفة بحرب الصليب . لمكسيموس مظلوم البطريرك الانطاكي لطائفة الروم الملكيين . ولد في حلب ١٧٧٩ م وسم شماساً ثم خورياً على كنيسة حلب ١٨٠٦ م ثم أسقفاً ١٨١٠ م . وكان في الوقت نفسه رئيساً لمدرسة عين تراز . هبط روما ودرس فيها اللغات اللاتينية والایتالية واليونانية . وهبط أيضاً فينا وباريس ومرسيليا وأنشأ في الاخيرة كنيسة لطائفته . ثم عاد الى روما حيث قضى ثمانين سنين في المطالعة والتأليف . وقد انتخب بطريركاً للروم الملكيين خلفاً للبطريرك اغناطيوس ، وسعى لدى السلطان فاعترف بطائفته مستقلة عن طائفة الروم الارثوذكسين . توفي بالاسكندرية سنة ١٨٥٥ م .

وكتابه هذا في تاريخ الحروب المقدسة معرب عن كتاب باللغة الفرنسية لمكسيموس موند . طبع في اورشليم سنة ١٨٦٥ م ، وله مؤلفات اخرى .

٢١ - (تاريخ سورية) : للمطران يوسف الدبس . ولد سنة ١٨٣٣ في كفرزيتا من أعمال طرابلس الشام . ودرس علوم المنطق واللاهوت . وعين اسقفاً لبرشية بيروت . أنشأ مدرسة الحكمة فيها . وله مؤلفات عديدة منها : (تاريخ سورية) وقد جاء في ثمانية اجزاء طبع في بيروت ١٨٩٣ - ١٩٠٢ . و (الموجز في تاريخ سورية) طبعه بعد ذلك بخمس سنين . وهو مختصر تاريخه الكبير . وله كتب اخرى في الفلسفة والدين .

٢٢ - (تاريخ شرقي الاردن وقبائلها) للفتنت كولونيل فريدريك ج . بيك باشا رئيس اركان حرب الجيش العربي . وضعه في عمان باللغة الانكليزية . وعربة بهاء الدين طوقان . وطبعه في مطبعة دار الايتام الإسلامية الصناعية بالقدس ١٩٣٤ م .

٢٣ - (تاريخ فلسطين) لعمر الصالح البرغوثي و خليل طوطح . طبع في مطبعة (بيت المقدس) ١٩٢٣ م .

٢٤ - (تاريخ فلسطين) عنيت بنشره مكتبة بيت المقدس ١٩٣٤ م .

٢٥ - (تاريخ القدس) ل خليل طوطح وبولس شحاده .

٢٦ - (تاريخ الكوسي الأورشليمي للاقباط الأرثوذكس) تأليف الشماس كامل صالح نخلة الاسكندري ، عضو لجنة التاريخ القبطي والمفتش بوزارة المعارف المصرية . خطوط خطه صاحبه بيده سنة ١٩٤٧ م وأطلق عليه الصديق الابنا ياكوبدس مطران الاقباط في القدس (١٩٤٩) .

٢٧ - (تاريخ كنيسة اورشليم الأرثوذكسية) لشحاده خوري ونقولا خوري . طبع في مطبعة (بيت المقدس) سنة ١٩٢٥ م .

٢٨ - (تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية) ل خليل ابراهيم قزاقيا .

٢٩ - (تاريخ مصر) لابي البركات محمد بن احمد بن اياس . ويعرف بتاريخ ابن اياس . ولد في مصر سنة ١٤٤٨ م ٨٥٢ هـ وتوفي سنة ١٥٢٣ م ٩٣٠ هـ . انه احدث لامدة جلال الدين السيوطي . وكتابه هذا يصف فيه مصر واخبار الفتح الاسلامي وما توالى عليها من الدول . طبع في مطبعة بولاق بمصر ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م

ومن مؤلفات ابن اياس : (بدائع الزهور في وقائع الدهور) . وقيل ان هذا هو الاسم

الآخر لتاريخ مصر . كما قيل انه منسوب وهماً الى ابن اياس ، وهو في الحقيقة لاستاذ جلال الدين السيوطي .

٣٠ - (تاريخ مصر الحديث) لرجي زيدان . ولد ببورت ١٨٦١ م . وتوفي في القاهرة ١٩١٤ م . درس اللغات العربية والعبرانية والسريانية . واشتغل بالصحافة والادب . انشأ مجلة الهلال سنة ١٨٩٢ . وانقطع الى التأليف . فالف كتابه هذا في تاريخ مصر الحديث . كالف (العرب قبل الاسلام) و (تاريخ التمدن الاسلامي) و (التاريخ الدام منذ الخليفة الى الآن) وكتباً كثيرة اخرى .

٣١ - (تاريخ اليعقوبي) لاحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي . وكتابته هذا يعرف ايضاً بـ (تاريخ ابن واضح) . انه جزءان : الاول يبحث عن تاريخ ما قبل الاسلام . والثاني فيما بعده الى سنة ٢٥٢ - ١١٥٧ م . وقد طبع باعتناء الاستاذ هوتما بليدن سنة ١٨٨٣ .

ساح اليعقوبي في بلاد الاسلام شرقاً وغرباً . فالف في سياحته كتباً كثيرة . وهو شيعي المذهب . من موالي بني هاشم . توفي سنة ٢٨٤ - ٨٩٧ م . وله تصانيف كثيرة . منها هذا الكتاب و (كتاب البلدان)

٣٢ - (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) لابن بطوطة . انه شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي . ويعرف بابن بطوطة . ولد في طنجة ٥٠٣ - ١٣٠٣ م . وغادر مسقط رأسه سنة ٥٢٥ - ١٣٢٤ م . فساح في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند والصين وبلاد التتر والسودان واواسط افريقيا والاندلس . ودون اخبار رحلته في كتابه بتشويق من السلطان ابي عنان من ملوك بني مدين بالمغرب . ويعرف كتابه هذا بـ (رحلة ابن بطوطة) .

طبعته بعض اجزائها في باريس (١٨٥٣) والاجزاء الاخرى في مصر (١٩٠٤ م) .

٣٣ - (تحليل اسماء الانبياء) مخطوط لم يطبع بعد . الفه الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (١٩٠٣ م) . وقد اطلعت عليه في مكتبته بـ رحلة .

٣٤ - (التنبيه والاشراف) لأبي الحسن علي بن علي المسعودي المؤرخ الشهير . نشأ في بغداد . وساح في مصر وفارس وكرمان والهند وسيلان والصين وعمان وجرجان وأذربيجان وفلسطين والشام . وتوفي سنة ٣٤٥ - ٩٥٦ م . وله مؤلفات اخرى .

وكتابته هذا طبع باعتناء المستشرق دي غوية في ليدن سنة ١٨٩٣ . ونقله الى الافرنسية كارا دي فر وعنوانه هكذا (التنبيه والاشراف) . اما أنا فقد اطلعت على النسخة المطبوعة في

دار الصاوي بشارع درب الجمايز بالقاهرة وقد عني بتصحيحها عبد الله اسماعيل الصاري سنة ١٥٣٧هـ - ١٩٣٨م . وقد عنونت هكذا : التنبيه ، والاشراف .

٣٥ - (الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى) لبهاء الدين ابي محمد القاسم ابن الامام الحافظ شيخ الاسلام ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر المتوفي سنة ٥١٧هـ - ١١٢٣م . منه نسخة في المكتبة التيمورية بالقاهرة . وقد ذكره السيوطي بين المخطوطات التي أخذ عنها في كتابه أنحاف الاخصاص .

٣٦ - (الحاكم بامر الله) لمحمد عبد الله عنان .

٣٧ - (الحروب الصليبية في الآثار السريانية) للقس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي . ولد في ماردين سنة ١٨٧٩ تلقى دروسه في دير الشرفه بلبنان وسم كاهناً . ثم هبط بيروت . وراح يدرس في مدارس الطوائف السريانية . اطلعت على كتابه هذا في بطريركية السريان بالقدس (١٩٤٦) ومن مؤلفاته (القصارى في نكبات النصارى) و (الزهرة الزكية في البطريركية السريانية) .

٣٨ - (الحضرة الانسية في الرحلة القدسية) للشيخ عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني ابن اسماعيل النابلسي . ويعرف ايضاً بالجماعيني ولد بدمشق سنة ١٠٥٠هـ - ١٦٤٠م . واتقن علم الحديث واللغة والفقه والنحو والمعاني والبيان . واخذ الطريقة القادرية الصوفية . زار البقاع ولبنان ومصر والحجاز ، كما زار فلسطين . وقضى فترة من الزمن في بيت المقدس . ثم رجع الى دمشق . وتوفي بها سنة ١١٤٣هـ - ١٧٣٠م .

وكتابه هذا جزء من رحلته المخطوطة . فرغ من تصنيفها سنة ١١٠١هـ ١٦٨٩م . وقف على طبعها ديمتري نقولا صاحب مجلة الفكاهة وطبعها في مطبعة الاخلاص بمصر سنة ١٩٠٢م ومنها نسخ مخطوطة في القدس ودمشق وبرلين . وله ايضاً مصنفات اخرى .

٣٩ - (الحوادث المدنية بدمشق) للخوري ميخائيل بريك الدمشقي . مخطوط اطلعت على نسخته الفوتوغرافية في مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بدمشق . وهي مأخوذة عن الأصل الذي خطه المؤلف بيده ، وهو محفوظ في دار الكتب ببرلين .

٤٠ - (حياة المسيح) لجيوفاني بايني . طبع في (مطبعة العرب) بمصر ١٩٢٩م .

٤١ - (حياة يسوع) للدكتور بترس سميت . تعريب جيب سعيد .

٤٢ - (خطط الشام) لمحمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق . اصله من

السلمانية من الاكراد الايوبية . ولد في دمشق في أواخر صفر سنة ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م من أب كردي وأم شركسية . واتم دراسته فيها ، شاعر واسع الاطلاع في الأدب والتاريخ والفلسفة والاجتماع ، يعرف من اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية . كان مؤلفاً بالصحافة ، وله جريدة (المقتبس) . وكتب في صحف عديدة في مصر وسوريا ، وله مؤلفات كثيرة .

وكتابه هذا (خطط الشام) ، وهو الذي اخذت عنه ، فقد قضي في تأليفه خمسا وعشرين سنة . وقد جاء في ستة اجزاء ؛ طبع الجزء الاول والثاني منها في المطبعة الحديثة بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م ، والثالث في مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م ، والرابع في مطبعة الترقى ايضا سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م ، والخامس في المطبعة نفسها سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م ، والسادس في مطبعة المفيد بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م .

٤٣ - (خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر) لمحمد امين بن فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن ابي بكر تقي الدين بن داود المعروف بالحبي ، ولد بدمشق ١٠٦١ هـ . وتوفي بها ١١١١ هـ واشتهر بتاريخه هذا الذي جمع فيه تراجم ١٢٧٩ فاضلا واميرا من مشاهير القرن الحادي عشر . طبع في المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٤ هـ . ٤٤ - (دائرة معارف البستان) للمعلم بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن أبي شديد بن محفوظ البستاني . من الدببة من أعمال الخروب في جبل لبنان . ولد سنة ١٨١٩ م وتوفي سنة ١٨٨٧ ودرس العلوم الاكليريكية في مدارس لبنان . ثم تبع دعاة البروتستانتية . واشتغل في العلم والتأليف . واعانه الحديوي اسماعيل والحكومة المصرية في تأليف كتابه هذا . وقد ظهر منه على يده ويعد ابنائه أحد عشر جزءاً (١٨٧٦ - ١٩٠٠ م) . وله مؤلفات اخرى .

٤٥ - (دائرة معارف وجدى) لمحمد فريد وجدي بن مصطفى بن علي رشاد . ولد بالاسكندرية سنة ١٨٧٥ . والف معلمته هذه في مصر وطبعها في مطبعة دائرة المعارف سنة ١٩٢٣ فجاءت في عشرة أجزاء ، وقد أسماها (دائرة معارف القرن الرابع عشر هجري - العشرين ميلادي) . ومن مؤلفاته (الاسلام في عصر العلم) وتطبيق الديانة الاسلامية على نوااميس المدنية) و (الحديقة الفكرية في اثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية) و (صفوة العرفان) و (على أطلال المذهب المادي) و (الفلسفة الحققة في بدائع الاكوان) و (كتاب المعلمين) و (كنز العلوم واللغة) و (مجموعة الرسائل الفلسفية) و (المدنية والاسلام) و (المرأة المسلمة) و (الوجديات) .

٤٦ - (دليل قلعة القدس) لمؤلفه س . ن . جونس مساعد مدير الآثار بحكومة فلسطين . طبع ١٩٤٤ م .

٤٧ - (دولة بني قلاوون في مصر) للدكتور محمد جمال الدين سرور . مدرس التاريخ الاسلامي بكلية الاداب في جامعة فؤاد الأول بمصر . طبع في مصر سنة ١٩٤٧ م .

٤٨ - (الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية) لإبراهيم الاسود صاحب جريدة لبنان ومدير معارف متصرفية الجبل في العهد التركي . وكتابه هذا طبع في بعبداء سنة ١٨٩٨ وقد وصف فيه رحلة الامبراطور غليوم الثاني والامبراطورة اوغستا فكتوريا في استانبول وسوريا وفلسطين

٤٩ - (رحلة الأمير يشبك الظاهري) رحلة قام بها الأمير يشبك الظاهري من القاهرة الى بر الشام . دامت رحلته من سنة ٨٧٥ هـ - ١٤٧٠ م الى سنة ٨٧٧ هـ - ١٤٧٢ م . وقد عهد اليه يومئذ الملك الاشرف قايتباي بإدارة المملكة الشامية من العريش الى القرات . فقام بمهمته ودون رحلته . وقد اطلعت في دار الكتب المصرية بالقاهرة (رقم ٢٥٩٢) على نسخة أخذت بالفوتوغراف عن الاصل الذي خطه بيده .

٥٠ - (رحلة قايتباي) أو (القول المستطرف في سفر مولانا الملك الاشرف) تتضمن وصف الرحلة التي قام بها سيف الدين ابو النصر قايتباي بن عبد الله الظاهري الذي حكم مصر سنة ٨٣٨ هـ ١٤٣٤ م وتوفي سنة ٩٠١ هـ ١٤٠٥ م . وقد قام برحلته هذه سنة ٨٨٢ هـ ١٤٧٧ م الى فلسطين والشام . فوصف عادات تلك الايام وشؤون اهلها . لمؤلفها ابي البقاء بن يحيى بن الجيعان المتوفي سنة ٩٠٠ هـ ١٤٩٤ م . ورايت نسختها المخطوطة في المكتبة الحديوية . وقد طبعت في تورينو بايطاليا سنة ١٨٧٨ م باسم (تاريخ قايتباي) وذلك بعناية لانزوني .

٥١ - (رسائل بيلاطس البنطي) الى صديقه سنيكا في روما . بقلم و . ب . كروزيير استاذ كلية ترينتي في جامعة او كسفورد . تعريب جريدة فلسطين . طبعت في (مطبعة جريدة فلسطين) بيافا سنة ١٩٤٥ .

٥٢ - (سجلات المحكمة الشرعية بالقدس) اتيح لي الاطلاع على هذه السجلات المحفوظة في خزائن المحكمة الشرعية باذن خاص من المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى . وهي تحتوي على جميع الحوادث التي جرت بالقدس خلال القرون الاربعة الاخيرة . وفيها الشيء الكثير من الاخبار والمعلومات القيمة عن القدس وعمما جرى فيها من احداث .

٥٣ - (**سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر**) لشيخ الاسلام ابي الفضل محمد خليل ابن علي بهاء الدين محمد البخاري المعروف بالمرادي . مفتي السادة الحنفية بدمشق . توفي سنة ١٢٠٦ هـ - ١٧٩١ م . وكتابه هذا جمعه في رحلاته الكثيرة . وهو يتضمن كما يفهم من التسمية - تراجم الاعيان في القرن الثاني عشر . طبع الجزء الاول الى الثالث في الأستانة سنة ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ م والجزء الرابع في بولاق بمصر ١٣٠١ هـ - ١٨٨٣ م .

٥٤ - (**اللوكة لمعرفة دول الملوك**) لتقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ابن ابراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم ، الشهير بالمقريري . أقام بمكة حتى سنة ٨٣٩ هـ - ١٤٣٥ م . وتوفي بالقاهرة سنة ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م . وقد صحح الكتاب ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة استاذ التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٤ . وهو الذي اعتمدت عليه في كتابي هذا .

٥٥ - (**سؤال وجواب عن بيت المقدس**) من مجاميع المكتبة الخالدية عدد ٤٧ .

٥٦ - (**سوانح الأنس برحلي لوادي القدس**) لمصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي المتوفي سنة ١١٧٨ هـ - ١٧٦٤ م . وصف فيه رحلته من دمياط الى القدس في ستة شهور . انه مخطوط اطلعت على نسخة منه في مكتبة الصديق المرحوم السيد رشيد مكي بحورة عسقلان من اعمال المجلد . وهناك نسخة عنه في برلين .

٥٧ - (**سياحات ومشاهدات**) لرجي الخوري المقدسي . طبع في مطبعة الوفاء ببيروت ١٩٣٤ م .

٥٨ - (**السير السليم في يافا والرملة وأورشليم**) للآباء الفرنسيين . طبع في مطبعتهم بالقدس ١٨٩٠ م .

٥٩ - (**شذرات الذهب في اخبار من ذهب**) لابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد المعروف بابن العماد البكري الدمشقي الحنبلي . وهو تاريخ جامع للحوادث والتراجم من الهجرة الى سنة الف . ولد بدمشق سنة ١٠٣٢ هـ وتوفي بمكة سنة ١٠٨٩ هـ - ١٦٧٨ م . والطبعة التي اعتمدتها في كتابي هذا طبعت سنة ١٣٥٠ - ١٩٣١ م . وهي مأخوذة عن نسخة المصنف الاصلية المحفوظة في دار الكتب المصرية وعن نسخه الامير عبد القادر الجزائري في خزانة الكتب الظاهرية بدمشق .

٦٠ - (**صبحي الاعشى**) لاحد بن علي بن احمد عبد الله الشهاب بن الجمال بن ابي اليمن القلقشندي . سمي كذلك نسبة الى (قلقشندة) من اعمال القليوبية بمصر . وكتابه

هذا في صناعة الانشاء جاء في أربعة عشر مجلداً . فرغ من تأليفه سنة ٨٦٤ هـ . وقد طبع في مطبعة دار الكتب المصرية (١٩١٣ - ١٩٢٠) .

٦١ - (الضوء الالامع لاهل القرن التاسع) لشمس الدين ابو الخير محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن ابي بكر بن عثمان بن محمد البخاري . ولد في القاهرة سنة ٨٣١ هـ ودرس وبرع في الفقه والعربية والحديث . وقد أكتب على التاريخ حتى افنى فيه عمره . ومن مشايخه الحافظ بن حجر العسقلاني . واخذ عنه اكثر تصانيفه . وجاب البلاد ؛ فدخل فيما دخل بيت المقدس . وتوفي في المدينة (٩٠٢ هـ) ودفن بالبقيع بجوار مشهد الامام مالك . والف كتباً كثيرة منها هذا الكتاب وقد جاء في اثني عشر جزءاً ، عنيت بفسره مكتبة القدسي بمصر . وله مصنفات اخرى .

٦٢ - (عجائب الآثار في التراجم والاخبار) للشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي . اصله من بلاد الجبوت من اعمال الحبشة . ولد سنة ١١٦٧ هـ . ودرس في الازهر . وتوفي مخنوقاً بطريق شبرا مصر سنة ١٢٤٠ هـ . وكتابه هذا ويعرف بتاريخ الجبرتي جمع فيه حوادث آخر القرن الثاني عشر للهجرة . واوائل القرن الثالث عشر . طبعه في مطبعة بولاق بمصر ١٢٩٧ هـ وفي المطبعة الشرقية ١٣٢٣ هـ والطبعة الاخيرة هذه هي التي اطلعت عليها واخذت منها .

٦٣ - (عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان) لبدر الدين محمود بن احمد بن موسى بن احمد ابن حسين بن يوسف بن محمود المعروف بالعيني . ولد بعينتاب من اعمال حلب سنة ٧٦٢ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ . وزار دمشق والقاهرة وبيت المقدس . وولى القضاء في مصر . وكانت له منزلة عند الملك الأشرف برسباي وله مصنفات عديدة منها كتاب عقد الجمان هذا ، وقد جاء في تسعة عشر مجلداً لا ندرى اذا كان قد تم طبعها كلها ، وان جاء في (معجم المطبوعات العربية والمصرية) لجامعه يوسف اليان سر كيس (١٣٤٧ - ١٩٢٩ م) ان هناك بعض اجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية ، ونسخة في ٢٤ جزءاً في مكتبة بايزيد بالقسطنطينية . وقد اطلعت على نبذ منه في (مجموعة الحروب الصليبية) في الخزانة الظاهرية بدمشق .

٦٤ - (فتوح البلدان) للامام احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري . نشأ في بغداد وتقرّب من المتوكل والمستعين والمعتز . وكان شاعراً وعالماً وأديباً ونساباً . نقل الفارسية الى العربية . شرب تمر البلاذري على غير معرفة . ومنه اسمه . فوسوس في آخر أيامه واخذ الى البيمارستان ومات سنة ٢٧٩ هـ . وكتابه هذا الذي كتبه قبل مرضه . اجمع كتب الفتوح وأصحابها . طبع باعتناء الموسوي دي غويه في ثلاثة اجزاء ١٨٦٣ م ، وجزء منه باعتناء اهلورد ١٨٨٣ م .

ومن مؤلفاته (انساب الأشراف وأخبرهم) وفيه كثير من أخبار بني أمية في زمن عبد الملك والوليد .

٦٥ - (فتوح الشام) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي . مولى بني هاشم . ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ وتوفي ببغداد سنة سبع ومائتين . ودفن بمقابر الخيزران . كان قاضياً ببغداد . ويعتبر من أقدم مؤرخي الاسلام . استقضاه الرشيد والمأمون . طبع كتابه هذا في جزئين بكلكتة ١٨٥٤ م . وله مؤلفات أخرى كثيرة . وقد ذكره البلاذري والمسعودي وابن خلكان .

٦٦ - (فضائل بيت المقدس والشام) لأبي المعالي المشرف بن المرجى بن ابراهيم المقدسي . انه مخطوط . منه نسخة في دار الكتب المصرية تاريخها ١٢٤٩ هـ - ١٩٣٢ م .

٦٧ - (فلسطين الدائمة) لمحمد تيسير ظبيان الكيلاني . طبع في (مطبعة الاعتدال) بدمشق ١٩٣٧ م .

٦٨ - (القرآن الكريم) .

٦٩ - (القضية الفلسطينية) لأكرم زعير . اخرجته دار المعارف بمصر عام ١٩٥٥ . والاستاذ زعير من الكتاب المبرزين . وكتابه هذا من احسن الكتب التي وضعت في قضية فلسطين .

٧٠ - (القول الحق) في تاريخ سورية وفلسطين والعراق . لمؤلفه ج . دي . ف . لودر . ومعه نزهة المؤيد العظيم . طبع بالمطبعة الحديثة بدمشق (١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م) .

٧١ - (الكامل في التاريخ) لابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الملقب عز الدين . ويسمونه ايضاً : ابن الاثير الجزري . ولد بجزيرة عمر على دجلة قريباً من الموصل . وكان ذلك سنة ٥٥٥ للهجرة . وقام برحلات عديدة في شبابه بين بغداد ودمشق والقدس . ولما عاود الى الموصل اتزوى في منزله منكباً على التصنيف . وكان اماماً حافظاً للتواريخ خبيراً بانساب العرب .

وكتابه هذا طبع في لندن (١٨٧١ - ١٨٧٦) وفي مصر ١٣٠٢ هـ .

وله كتابان آخران : احدهما (اسد الغابة في معرفة الصحابة) والثاني (اللباب في معرفة الانساب) .

٧٢ - (الكتاب الابيض) رقم ٣٢٢٩ (سنة ١٩٢٨) .

٧٣ - (الكتاب الأبيض) رقم ٣٥٣٠ (سنة ١٩٣٠) .

٧٤ - (كتاب الاعتبار) لابي المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنتاني . ومن القابه محب الدين ومؤيد الدولة . انه من اكابر بني منقذ اصحاب قلعة شيزر من اعمال حماة .

ولد سنة ٤٨٨هـ - ١٠٩٥م واستدعاه صلاح الدين الى دمشق سنة ٥٧٠هـ - ١١٧٤م . وكان قد جاوز الثمانين . كان قويا في نثره ونظمه . وله تصانيف عديدة : منها كتابه هذا . وقد سجل فيه سيرة حياته ورحلاته . ولما نزل القدس وصف الصليبيين وما فعلوه فيها . عني بنشره الاستاذ هرتويك ديرنبرج (١٨٨٩ م) . وقد ترجم الى اللغتين : الالمانية والفرنسية .

٧٥ - (كتاب الروضتين في اخبار الدواتين) لشهاب الدين بن محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي المعروف بابن شامة . سمي كذلك لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الايسر .

ولد بدمشق ٥٩٦هـ - ١١٩٩م وقرأ القرآن وسافر الى الاسكندرية حيث اتقن الفقه ودرس وافتى . وبرع في العربية . واختصر تاريخ دمشق لابن عساكر . وتوفي بدمشق ٦٦٥هـ - ١٢٦٦م .

والمقصود بالدولتين : النورية والصلاحية . طبع في مطبعة وادي النيل (١٨٩٢ م) بتصحيح ابي السعود المترجم بقلم الترجمة بديوان عموم المدارس المصرية . وطبع منتخبات منه مع ترجمة افرنسية في باريس سنة ١٨٨٨ م .

٧٦ - (كنيسة القيامة) للخوري ثاوفانس شار . طبع في مطبعة الالباء الفرنسيين بالقدس ١٩١٨ .

٧٧ - (مثير القرام بفضائل القدس وأشام) تأليف الامام ابي محمود أحمد بن ابراهيم ابن هلال بن تميم بن سرور النقدي الشافعي . رأيت نسخة مصورة بالفوتوغراف في مكتبة المتحف الفلسطيني . ومنها يفهم ان مؤلفه ولد سنة ٧١٤هـ - ١٣١٤م وتوفي سنة ٧٦٥هـ - ١٣٦٣م وانه فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٧٥٧هـ - ١٣٥٦م .

واطلعت على نسخة اخرى منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وقد خطت بتاريخ ٩٩٨هـ - ١٥٩٠م .

وهناك مخطوط آخر بهذا الاسم في المكتبة الخالدية بالقدس تاريخه ٩٨٧هـ - ١٥٧٩م . صححه وشرحه وعلق عليه مدير الكلية العربية الاستاذ احمد سامح الخالدي سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م . ويوجد ايضا نسختان اخريان : واحدة في دار الكتب المصرية والثانية في برلين . وقد اختصره ابن عمار في كتاب سماه : (منتهى المرام في تحصيل مثير القرام)

٧٨ - (**مجموعة الحروب الصليبية**) حوت ما كتبه المؤرخون الشرقيون عن الحروب الصليبية. اعتنى بجمعها ونشرها مترجمة الى اللغة الفرنسية بجمع الآثار والفنون الفرنسي. تتألف من ثلاثة أجزاء طبعت في باريس: الاول سنة ١٨٧٢م والثاني سنة ١٨٧٦م والثالث سنة ١٨٨٤م. وفيها مقتطفات من تاريخ ابي الفداء ، ومن كامل التواريخ لابن الأثير ، ومن ابن خلكان ، ومن كتاب عبد اللطيف البغدادي ، ومن رحلة ابن جبير ، وابن ميسر ، ومرآة الزمان ، والنجوم الزاهرة ، ومن معجم كال الدين .

ولقد اطلعت على هذه المجموعة في المكتبة الظاهرية بدمشق .

٧٩ - (**مجموعة مراسلات القاضي الفاضل والعماد الكاتب وابن بصافة**) مخطوطة اطلعت عليها في مكتبة المرحوم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بـحلة. ويرجع تاريخ هذه المخطوطة الى سنة ٦٤٤ هـ - ١٢٤٦ م .

٨٠ - (**مختصر تاريخ العرب والتقدم الاسلامي**) لسيد أمير علي العضو في مجلس شورى الملك بانكلترا . وهو كتاب يبحث في نهضة المسلمين وتدهور سلطانهم وتطور المناحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في الامة العربية من اقدم العصور حتى اغارة التتر على بغداد. وضعه المؤلف باللغة الانكليزية بعنوان A Short History of the Saracens ونقله الى العربية رياض رأفت ، وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م .

والمؤلف كتب اخرى منها: (روح الاسلام) و (القانون الاسلامي) .

٨١ - (**المختصر في تاريخ البشر**) للسلطان الامام والملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه ، صاحب حماء ، المعروف بابي الفداء . ولد سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م ، وكان بارعاً في الفقه والطب والأصول العربية والتاريخ والأدب . وكان اميراً ثم صار في زمن الملك الناصر محمد قلاوون سلطاناً على حماء . ولقب بالملك الصالح ، ثم غير السلطان لقبه ولقبه بالملك المؤيد .

الف كتابه هذا (المختصر في أخبار البشر) ويعرف بتاريخ ابي الفداء ، آخذاً بعضه اوجله من الكامل لابن الأثير . ولقد طبع هذا في المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م ومعه تتممة للشيخ عمر بن مظفر المعروف بابن الوردي .

ومن مؤلفاته (تقويم البلدان) جمع فيه ما تفرق في الكتب التي الفت في البلاد لابن حوقل وانشريف الادريسي وابن خردادبة والسمعاني وياقوت وغيرهم من الكتاب .

٨٢ - (**نمته مختصر في اخبار البشر**) لابي حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر

ابن محمد بن أبي الفوارس بن علي الشهير بابن الوردی . ولد في معرة النعمان ٦٨٩هـ - ١٢٩٠م . وكان شاعراً وكان اماماً بارعاً في اللغة والفقه والنحو والأدب . له تصانيف كثيرة . منها هذا الكتاب ويعرف بتاريخ ابن الوردی . اختصر فيه كتاب (المختصر في اخبار البشر) لأبي الفداء ، وذيله من سنة ٧٢٩هـ الى سنة ٧٤٩هـ . ولقد طبعت تنمة المختصر في الآستانة بذييل تاريخ أبي الفداء المطبوع سنة ١٢٨٦ في اربعة اجزاء . وعليه طبع الكتاب نفسه في مصر باربعة اجزاء سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م وله مؤلفات كثيرة أخرى .

٨٣ - (مرآة الزمان في تاريخ الاعيان) لأبي المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي ابن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي .

ولد ببغداد سنة ٥٧٢هـ - ١١٧٦م . ورحل في العراق والشام . وتفقه على عدد من العلماء . وكان مفرطاً في الذكاء . توفي ودفن في دمشق .

طبع من هذا التاريخ بالفوتوغراف الجزء الثامن فقط في شيكاغو سنة ١٩٠٧م . وطبع منه منتخبات مع ترجمة فرنساوية للاستاذ باريه دي منيار في باريس سنة ١٨٧٢م . وادخلت تلك المنتخبات مع ترجمتها في الجزء الثالث من مجموعة تاريخ الحروب الصليبية .

٨٤ - (الموسليات اللاتينية وامتيازات الاجانب) لالفونس دالونسو .

٨٥ - (مرشد الطالبين الى الآثار المقدسة في فلسطين) ليوحنا الخوري جرجس سكسك المقدسي . وهو مخطوط في اجزاء عديدة اطلعت عليها في خزانة ولده جرجس سكسك بالقدس .

٨٦ - (مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب) للقس اسعد منصور .

٨٧ - (مسالك الابصار في ممالك الامصار) للقاضي شهاب الدين أبي العباس احمد المعروف بابن فضل الله العمري . ولد سنة ٧٠٠هـ - ١٣٠٠م . وتوفي سنة ٧٥٥هـ - ١٣٥٤م . وقد وصف المسجد الاقصى كما كان سنة ٧٤٣هـ - ١٣٤٢م آخذاً اكثره عن (سلسلة العسجد في صفة الصخرة والمسجد) للصاحب تاج الدين أبي الفضائل أحمد بن أمين الملك . وقد حقق كتابه هذا وطبعه بمصر شيخ العروبة احمد زكي باشا . وكان ذلك بتاريخ ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م .

٨٨ - (المسالك والممالك) لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن احمد المعروف بابن خرداذبة الحراساني . ولد سنة ٢١١هـ - ٨٢٦م وتوفي سنة ٣٠٠هـ - ٩١٢م . كان مجوسياً ، فاسلم على يد البرامكة . ونامد المعتمد . وكتابه هذا يبحث عن شؤون الدولة العباسية في اواسط القرن الثالث للهجرة . طبع في لندن سنة ١٨٨٩ للميلاد باعتناء الاستاذ دي غويه

٨٩ - (المستقصى في فضائل المسجد الأقصى) لنصير الدين الرومي الحلبي المتوفي سنة ٩٤٨ هـ - ١٥٤١ م .

٩٠ - (المعاهد المصرية) في بيت المقدس . بقلم احمد سامح الخالدي المقدسي .

٩١ - (معجم البلدان) لياقوت الحموي . انه ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار . ولد في بلاد الروم . وأسر صغيراً . وابتاعه رجل تاجر ببغداد . ولما كبر شغله مولاه بالاسفار . وكثيراً ما نزل الشام . واعتقه مولاه سنة ٥٩٦ هـ - ١١٩٩ م . وقام برحلات عديدة بين الشام والعراق . وجمع في اسفاره الشيء الكثير من الاخبار لكتابه الذي اسماه : (معجم البلدان) . وفي حلب اتمه بمساعدة الوزير جمال الدين القفطي . وكان ذلك في سنة ٦٢١ هـ - ١٢٢٤ م . وتوفي في حلب .

وأما كتابه هذا فقد طبع باعتناء وستنفلد في ستة أجزاء . طبع في ليبسيك (١٨٦٦) وفي مصر بمطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م .

وله اربعة كتب اخرى . اهمها كتاب (معجم الأدباء) .

٩٢ - (مكاتب الاسر العربية بالقدس) لأسطفان حنا اسطفان البحالي المقدسي . ولد في بيت جالا . وتوفي في لبنان (١٩٤٩ م) عن عمر يناهز الخمسين . وكتابه هذا مخطوط اطلعني عليه يوم كان أميناً لخزانة المتحف الفلسطيني . وله مصنف آخر في (قضاء القدس) اطلعني عليه . وهذا ايضاً مخطوط . وقد اخذه عن شذرات الذهب والأنس الجليل والضوء اللامع ووفيات الأعيان وفوات الوفيات و الرحلة القدسية والشقائق النعمانية والمحبي والمرادي .

٩٣ - (النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة) للامير جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي . ولد بالقاهرة سنة ٨١٣ هـ - ١٤١٠ م . كان والده مملوكاً تركياً اشتراه الملك الظاهر برقوق وسماه اميراً على حلب . واما هو فقد رباه زوج أخته قاضي القضاة ناصر الدين ابن العديم الحنفي وقد لازم مؤرخي عصره كالعيني والمقريزي . فمهر وكتب وصنف والف . ومن مؤلفاته هذا الكتاب . وقد ذكر فيه من ولي مصر من السلاطين والنواب من الفتح العمري الى زمانه . طبعت بعض اجزائه في لندن (١٨٥٥ م) باعتناء المستشرق الهولندي جوينبول والاستاذ ماتس . وطبع بعضها الأستاذ وليم بوير من كلية كاليفورنيا بين سنتي (١٩٠٩ - ١٩٢٣ م) . ثم جاءت دار الكتب المصرية فطبع في مطبعها تسعة اجزاء بين ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م و ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م . وهي التي راجعتها من اجل كتابي هذا .

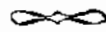
٩٤ - (النظام الاقتصادي في فلسطين) لسعيد حمادة استاذ الاقتصاد العملي في جامعة

بيروت الاميركية . طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٣٩ م . وله أيضاً
(النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان) و (النظام الاقتصادي في العراق) .

٩٥ - (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) : لابي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن
عتبة بن محمد بن عتاب الاسدي ، المعروف بابن شداد بهاء الدين . ولد بالموصل ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م
وتوفي في حلب ٦٣٢ هـ - ١٢٣٤ م وتفقه على يد رهط من علماء عصره . واتصل بصلاح الدين .
فصاحبه هو والقاضي الفاضل في كثير من غزواته . وكان قاضياً لعسكره . وقد حرر
وقائعه فجاءت في كتاب اسماء : (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) وهي
تتضمن على سيرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين . طبع في ليدن سنة ١٧٣٢ و
١٧٥٥ مع ترجمة الى اللغة اللاتينية للاستاذ شلتنس A. Schultens . وطبع
ايضاً في مطبعة المؤيد بمصر (١٣١٧ هـ) . وطبع في لندن (١٨٩٧) مع مقدمة باللغة
الانكليزية للسستر ويلسون Ch. Wilson . وقد اطلعت على الاصل والترجمة
الافرنسية في مجموعة الحروب الصليبية بمكتبة الظاهر بدمشق . ومنها جاء ما اقتبسنا .

٩٦ - (هيكل سليمان) : او الوطن القومي لليهود مؤلفه يوسف الحاج . طبع في
بيروت سنة ١٩٣٤ م .

٩٧ - (وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) : لقاضي القضاة شمس الدين ابي العباس
أحمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان . ولد بباربل من اعمال العراق قرب الموصل سنة
٦٠٨ هـ - ١٢١١ م وانتقل بعد موت أبيه الى الموصل . ثم سافر الى حلب . وتلمذ على القاضي
بهاء الدين بن شداد . واجتمع بعز الدين بن الأثير المؤرخ المشهور . ودخل مصر . ثم قدم
الشام وولي فيها القضاء . وكان عالماً بارعاً ملماً بالشعر . توفي سنة ٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م وكتابه هذا
يشتمل على ٨٦٤ ترجمة . طبع في ثلاثة عشر جزءاً بعناية المستشرق وستنفلد غوطا ١٨٣٥
وطبع في اوروبا بتواريخ مختلفة تراجم بعض الاعيان مستخرجة من الكتاب المذكور .
والطبعة التي اعتمدتها في كتابي هذا هي الاخيرة التي طبعت باشراف وزارة المعارف
العمومية المصرية بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م) .



کتب ترکیه تورکجه کتابلر

صافی	کتابک اسمی	مؤلفی
۱	أولیا جلی سیا حتمامه سی	أولیا جلی
۲	بیروت ولایتی	محمد رفیق و محمد بهجت
۳	تاریخ جودت	جودت
۴	تاریخ لطفی	احمد لطفی
۵	تاریخ نعمیا	نعمیا
۶	سالنامه دولة عثمانیه	عثمانی حکومتی
۷	سفرنامه	ناصری خسرو
۸	عثمانی تاریخی	احمد راسم
۹	عثمانی تاریخی	احمد رفیق
۱۰	فلسطین جبهه سی	حربیة نظارتی
۱۱	نوسال عثمانی	أکرم رشاد و عثمان فرید

ENGLISH BOOKS

کتاب انگلیزی

س.ز	NAME OF THE BOOK	NAME OF THE AUTHOR
1	The Ancient Topography of Jerusalem	James Fergusson
2	Annals of Palestine	Monk Neophytos of Cyprus
3	The Antiquities of the Jews	Flavius Josephus
4	Biblical Resarches	Dr. Robinson
5	Church of the Holy Sepulchre	William Harvey
6	The Decline & Fallof theRomanEmpire	Gibbon
7	The Desert of the Exodees	E. H. Palmer
8	The Dome of the Rock	E. T. Richmond
9	Early Muslim Architecture	K. A. C. Creswell
10	Encyclopaedia Britannica	
11	The Fall of the Lattin Kingdom of Jerusalem	Shukri Muhtadi
12	The First Crusade	August C. Krey
13	Folklore of the Holy Land	J. E. Hanauer
14	Guide to Beithlehem	R. W. Hamilton
15	Guide to the Citadel of Jerusalem	C. N. Johns
16	Guide to the Holy Land	Fransiscan Press
17	New Guide to the Holy City	B. Meistermann
18	Handbook of the Anglican Bishopric in Jerusalem & the East	
19	Handbook of Palestine & Trans-Jordan	Luke & Keith-Roach
20	A History of the Ancient Egyptians	James H. Breasted
21	History of the Arabs	Philip K. Hitti
22	The Historical Geography of the Holy Land	G. A. Smith
23	The Holy Places of Jerusalem	Hayter Lewis
24	Jerusalem	G. A. Smith
25	Jerusalem	Lionel Cust
26	Jerusalem, theCity of Herod & Saladin	W. Besant & H. Palmer
27	Ancient Jerusalem	Selah Merrill
28	The City of Jerusalem	C. R. Conder
29	The Recovery of Jerusalem	Captain Wilson & Captain Warren
30	The Story of Jerusalem	Col. Sir C. M. Watson
31	To Jerusalem	Count Folke Bernadotte
32	Our Jerusalem	Bertha Spafford Vester
33	Six Months in Jerusalem	Charles Biggs
34	Underground Jerusalem	Charles Warren
35	Jerusalem City Plan	Henry Kendall

ENGLISH BOOKS

No.	NAME OF THE BOOK	NAME OF THE AUTHOR
36	Jerusalem's Water Supply Bulletin No. 180 (June, 1938)	The National Gas & Oil Engine Company Ashton-Under-Lyne, England
37	The Knights of St. John	E. J. King
38	Memorandum of the water resources of Palestine	The Government of Palestine
39	The Modern Wall of Jerusalem	Hinckley G. Mitchell
40	The Order of the Hospital of St. John of Jerusalem	H. W. Fincham
41	The Origin of The Plan of the Dome of the Rock	K. A . C. Creswell
42	Palestine	W. H. Boulton
43	Palestine, Past and Present	L. Valentine
44	Palestine Under The Moslems	Guy Le Strange
45	A Palestine Notebook	C. R. Ashbee
46	Ancient & Modern Palestine	Translated by Mary B. Rothier. From French by Liévin De Hamme
47	Palestine in the earliest Historical Period (J. P. O.S. Vol. xv, P. 218)	W. F. Albright
48	The Palestine Campaigns	Col. A. P. Wavell
49	Notes compiled for the information of the United Nations Special Committee on palestine, 1947	
50	A Pilgrimage to Palestine	H. E. Fosdick
51	Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land	James Rose Macpherson.
52	The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land	Col. Sir C. M. Wilson
53	Prophets, Priests & Patriarchs	Harry Charles Luke
54	Saewulf	The Lord Bishop of Clifton
55	A Short History of the Saracens	Sayed Amir Ali, translated into Arabic: Riyad Rafat
56	Stirring Times	James Finn,
57	Story of the Tabernacle of Jerusalem	The American Colony Jerusalem
58	Syrian Orthodox Convent of St. Mark in Jerusalem	J. Stephan
59	The Tell Amarna Tablets	C. R. Conder
60	The Third Wall of Jerusalem	E. L. Sukenick, I. A. Mayer
61	Through The Holy Land	Leonard T. Pearson
62	Visit to Alexandria, Damascus & Jerusalem	E. Hogg
63	Walks About Jerusalem	J. E. Hanauer
64	With the Russian Pilgrims to Jerusalem	Stephan Graham.
65	The War Graves of The British Empire	Imperial War Graves Commission, London

DEUTSCHE BÜCHER

كتب ألمانية

R. F.	NAME DES BUCHES	NAME DES VERFASSERS
1	Die El - Amarna Tafeln	J. A. Knudtson
2	Die Arabischen Nachrichten zur Geschichte der Harambauten	Gildmeister
3	Der Felsendom in Jerusalem und seine Geschichte	R. Hartmann
4	Geschichte der Aksamoshee	R. Hartmann
5	Das Heilige Land in Vergangenheit und Gegenwart	Valmar Cramer und Gustav Meinertz
6	Topographie von Jerusalem	Tobler
7	Westasiatische Studien	George Kampffmeyer

LIVRES FRANCAIS

كتب فرنسية

Nombre	NOM DU LIVRE	AUTEUR
1	Les Allemands En Orient	Alphonse d, Alonzo
2	Encyclopédie De l'Islam	
3	Jérusalem Antique	P. Hugues Vincent
4	Jérusalem Nouvelle	p. Hugues Vincent et F. M. Abel
5	Matériaux pour Un Corpus Inscriptionum Arabicarum	Max Vam Berchem
6	Rapport Sur L'Adduction Des Eaux A Jerusalem	A. A. Meijers
7	Recueil Des Historiens Des Croisades	L, académie Des Inscriptions et Belles - Lettres Paris
8	La Russie En palestine	Alphonse d' Alonzo
9	Sainte Marie Où Elle Est Née	N. Van Der Vliet
10	Le Temple De Salomon	Le R. P. de Vaux O. P.

المؤلف ونبذة من سيرته

ولد **عارف العارف** في مدينة القدس سنة ١٨٩٢ . وأتم دراسته الابتدائية في مدارسها . ثم سافر الى استانبول حيث أتم دراسته الثانوية (١٩١٠) . وكذلك قل عن دراسته الجامعية ، فقد أتمها في جامعة استانبول (١٩١٣) .

وفي أثناء دراسته كان يشتغل بالصحافة ، ليتمكن من تحصيل نفقات دراسته وقد عمل في جريدة الأخبار (بياض) التركية مصححاً .

وانتخب عضواً في مجلس ادارة (المنتدى الأدبي) . ذلك المنتدى الذي كان يضم عدداً كبيراً من الطلاب العرب وكان من أسس النهضة العربية . وعندما أتم دراسته الجامعية ونال درجة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي انتدب للعمل في ديوان الترجمة بوزارة الخارجية .

ولما نشبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) أدخل الكلية العسكرية في استانبول ، حيث تم تدريبه هو وجميع خريجي الجامعة على القتال . وتخرج من الكلية المذكورة ضابطاً . فأرسل الى جبهة القفقاس ، حيث انخرط في صفوف الجيش العثماني الذي كان يحارب الروس في تلك الجبهة . وهناك في معركة دارت رحاها بين الروس والأتراك ، على مقربة من (أرض الروم) ، أبعدت الكتيبة التركية التي كان يعمل فيها ؛ فقتل معظم رجالها . ولم ينج منهم سوى أحد عشر شخصاً ، كان عارف واحداً منهم . فأُسره الروس . وأرسلوه الى سيبيريا (١٩١٥) . وهناك في معتقل للأسرى أقاموه على مقربة من مدينة (قرا سنو يار سق) وعلى شاطئ نهر (يني ساي) قضى ثلاث سنوات أسيراً (١٩١٥ - ١٩١٧) .

وفي غضون الأسر تعلم عارف من الضباط الألمان الذين كانوا في المعتقل نفسه اللغة الألمانية . وترجم الى اللغة التركية الكتاب المعروف (Die welträtzel) لمؤلفه الألماني . . البروفسور (Ernst Häckel) . وقد أسماه (أسرار جهان) واصلدر جريدة عربية هزلية سمّاها : (ناقة الله) .

وأتمه ، وهو في سيبيريا ، أنباء الثورة العربية التي أعلنها ضد الأتراك شريف مكة المغفور له الملك حسين طيّب الله ثراه ؛ فهرب من الاسر ، وهرّب معه واحداً وعشرين أسيراً عربياً . فعادوا جميعاً إلى وطنهم . عادوا عن طريق منشوريا فاليابان والصين

والهند والبحر الأحمر ومصر . وفي خلال هذه الرحلة التي دامت اربعة شهور ؛ كانت الهدنة قد أعلنت ، والحرب قد انتهت (١٩١٨) .

وعندما عاد إلى مسقط رأسه . . . القدس . . . بعد غياب دام سبع سنين ؛ رأى ، بدلاً من الاستقلال الذي كان ينشده ولطالما منى النفس به ، الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي . فرأى من مصلحة قومه وبلاده ، أن يعمل على مناوئتهما ما وسعه جهده . فاصدر بالاشتراك مع صديقه المحامي الاستاذ حسن البديري جريدة أسمياها : (سورية الجنوبية) . وكانت تلك الجريدة أول صحيفة رفعت علم الجهاد ضد الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي في مدينة القدس . وكثيراً ما صودرت وتعرضت للتعتيل ، وتعرض صاحبها للسجن والتعذيب إلى أن نشبت الاضطرابات الأولى بين العرب واليهود سنة ١٩٢٠ . فاعتبره الانكليز أحد مثيري تلك الاضطرابات وسجنوه . بيد انه هرب من القدس ، ولما بقي في السجن سوى ثلاث ليال . . .

وباءت جميع المساعي التي بذلها الانكليز من أجل القاء القبض عليه بالفشل . إذ كان عارف قد اجتاز البحر الميت وحط رحله في الكرك شرقي الاردن . ومن هناك سافر الى الشام حيث عاش مشمولاً برعاية الملك فيصل . ولقد انتخبه ابناء بلده القدس ليمثلهم في (المؤتمر السوري) . ذلك المؤتمر الذي أعلن استقلال سوريا التام ، من طورس إلى رفح ، ونادى بفيصل ملكاً عليها .

وفي غضون تلك الفترة من الزمن ، كانت المحكمة العسكرية التي ألفها الانكليز في فلسطين قد انتهت من النظر في حوادث الاضطرابات ؛ وأصدرت حكمها بادانته وأدانته رفيقه الحاج أمين الحسيني ، وحكمت عليها بالاعدام . ثم خفض الحكم الى السجن عشر سنين .

ولما تأسست إدارة مدنية في فلسطين ، وتسلمها المندوب السامي الأول ، السر هربرت صموئيل ؛ رأى هذا من الحكمة أن يلجأ في بادئ الأمر الى اللين . فعفا عن جميع الاشخاص المحكومين . . . الذين اعتبرهم مجرمين سياسيين . . . خلا اثنين هما :

عارف العارف والحاج أمين . فقد استثنيا من العفو إلا إذا عادا الى فلسطين ، وسلمتا نفسيهما الى الحكومة ! . فرفضتا العودة كما رفضتا ان يطلبتا العفو . وآثرا أن يظلا طليقين في سوريا ، ليعملا بحرية وصراحة على ما فيه نفع وطنهما . فأسسا هناك ، بالاشتراك مع عدد من اخوانها الفلسطينيين ، جمعية أسموها : (الجمعية العربية الفلسطينية) . وانتخب عارف سكرتيراً عاماً لتلك الجمعية . وبقي في دمشق الى أن احتلها الافرنسيون بقيادة الجنرال غورو . فغادرها مع من غادرها من رجالات سوريا وفلسطين ، خشية

ان يسلمه الافرنسيون الى الانكليز . وراح بعدئذ يعيش في شرق الاردن ، الى أن سمع بصدور العفو عنه ، فرجع الى فلسطين .

حاول بعد رجوعه الى فلسطين ان يشتغل بالصحافة مرة اخرى ، فلم يسمح له الانكليز بذلك . لا بل انهم منعه عنها وعن الاشتغال بالسياسة بالمرة . وعرضوا عليه عدداً من الوظائف الحكومية ، فرفضها في بادئ الامر . ثم عاد فقبلها ، عندما اعتزموا نفيه من البلاد ، مشروطاً عليهم ان يحتفظ بمبادئه السياسية . وهكذا كان .

قضى عارف في الاعمال الادارية سبعة وعشرين عاماً (١٩٢١ - ١٩٤٨) كان خلالها قائماً في جنين ، ونابلس ، وبيسان ، ويافا . وفي عام ١٩٢٦ استعاره الامير عبد الله بن الحسين ، فعاش في عمان سكرتيراً عاماً لحكومة الشرق العربي . وبقي في منصبه ذلك ثلاثة أعوام . وأعيد بعدئذ الى فلسطين بسبب معارضته للمعاهدة البريطانية - الاردنية . وفي فلسطين ، انتدب قائماً لبئر السبع ، ثم غزة . ثم جرى ترفيعه مساعداً لحاكم لواء القدس ، وعهد اليه بإدارة قطاع رام الله .

بعد زوال عهد الانتداب البريطاني ، انتدب رئيساً لبلدية القدس (١٩٥٠) . وفي الانتخابات البلدية التي جرت بعد ذلك بسنة (١٩٥١) ربح أغلبية الاصوات فانتخب رئيساً للبلدية نفسها . وظل رئيساً الى ان اختلف في الرأي مع رئيس الوزراء توفيق باشا أبي الهدى ، فأقاله من الرئاسة .

وفي الانتخابات البلدية التي جرت بعدئذ (١٩٥٥) أعيد انتخابه من قبل الشعب فتسلم الرئاسة للمرة الثالثة . وكان في الوقت نفسه رئيساً للجنة التنفيذية لرابطة المناضل الجريح . وعضواً في المجلس الاستشاري لذاترة السياحة . واختير في أواخر عام ١٩٥٥ وزيراً للأشغال ، إلا انه استقال من الوزارة بسبب خلاف في الرأي نشب بينه وبين رئيس الوزراء حول السياسة التي يجب أن تسير عليها البلاد . فقد أراد الرئيس يومئذ ضم الاردن الى حلف بغداد . ورفض هو هذا الحلف . فاستقال من الوزارة . .

يعرف ست لغات هي : العربية والتركية والفرنسية والألمانية والعبرية والانكليزية

ومن عادته ان يدون مذكراته يومياً . فما انقطع عن تدوينها يوماً واحداً منذ أربعين عاماً . انها في الحقيقة سجل كامل لتاريخ حياته وحياة أسرته والحركة الوطنية في فلسطين .

واما كتبه ومؤلفاته فقد بلغت حتى الآن (١٩٦١ م) ثمانية عشر كتاباً . ترجم ستة منها إلى اللغات الأجنبية . انها هي التي تراها في الوجه الأخير لهذا الكتاب .

* * *

الناشر فوزي يوسف

وقد انتقل مؤرخ بيت المقدس المرحوم عارف العارف الى الرفيق الاعلى يوم ٣١ تموز سنة ١٩٧٣ بعد حياة حافلة بجلالات الاعمال وعن عمر يناهز ٨١ عاماً . وقد نعتته الصحف ودور الاذاعة وأتت على الكثير من حياته واعماله . كما قوبل خبر وفاته بحزن بالغ وأسف شديد في سائر انحاء العالم العربي .

وشيعت القدس جثمانه باحتفال كبير من المسجد الاقصى المبارك الى مقبرة باب الساهرة حيث دفن هناك . رحمه الله رحمة واسعة .

وكان كتاب المفصل هذا ، آخر الكتب المطبوعة التي صدرت للمؤلف وهو يحمل الرقم ١٨ وقد صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٦١ .

وقد خلف المرحوم خمسة ابناء هم سمير وفاروق ، ولويس وسلوى وفريدة . وانتقلت السيدة أم سفيان عقيلتها الى رحمة ربها يوم ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٨٥ بالكويت ودفنت هناك رحمها الله .



المؤلف عارف العارف

والناشر فوزى يوسف

في آخر لقاء بينهما في القدس سنة ١٩٧٣

للمؤلف..

العدد	اسم الكتاب	تاريخ صدوره
١	القضاء بين البدو	١٩٣٣
٢	تاريخ بئر السبع وقبائلها	١٩٣٤
٣	تاريخ غزة	١٩٤٣
٤	الموجز في تاريخ عسقلان	١٩٤٣
٥	روايات (الطبعة الاولى)	١٩٤٣
٦	تاريخ الحرم القدسي	١٩٤٧
٧	المسيحية في القدس	١٩٥١
٨	الموجز في تاريخ القدس	١٩٥١
٩	النكبة (الجزء الاول)	١٩٥٦
١٠	النكبة (الجزء الثاني)	١٩٥٧
١١	النكبة (الجزء الثالث)	١٩٥٨
١٢	النكبة (الجزء الرابع)	١٩٥٩
١٣	النكبة (الجزء الخامس)	١٩٦٠
١٤	النكبة (الجزء السادس)	١٩٦١
١٥	النكبة (الجزء السابع)	١٩٦١
١٦	روايات (الطبعة الثانية)	١٩٥٧
١٧	تاريخ قبة الصخرة والمسجد الاقصى	١٩٥٨
١٨	المفصل في تاريخ القدس	١٩٦١

ترجم عدد من هذه الكتب الى اللغات الانكليزية والالمانية والفرنسية

وهناك مخطوطات لم تطبع بعد :

١ - كنت اسيراً : في سبيلها .

٢ - ثلاثة أعوام في عمان .

٣ - الكويت : ماضيها وحاضرها .

A
HISTORY OF JERUSALEM

(DETAILED ACCOUNT OF THE HOLY CITY)

BY

AREF EL-AREF

Copies may be ordered by Mail from the publisher

FAWZI YOUSEF
AL-ANDALUS LIBRARY
DAMASCUS GATE, JERUSALEM

1986